بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وبعد:

فإنَّ كتاب فضائل القرآن ومعالمه وآدابه؛ هو من الكُتب بمنزلة دُرة التَّاج، وواسطةِ العِقد، وفص الخاتم، وكيف لا يكون كذلك، وموضوعه أعظم كتب الله على الإطلاق، ألا وهو القرآن الكريم.

وإن مؤلِّف هذا الكتاب: أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم الهروي رحمه الله قد وصفه السَّلف الذين رأوه، فقالوا: كأنه جبل نُفخ فيه علمٌ. وستأتي ترجمته بعد هذه التقدمة- بإذن الله تعالى-.

وقد وفَّق الله أبا عُبيد في هذا الكتاب توفيقًا عظيمًا؛ فقسَّمه أقسامًا خمسة وهي:

- القسم الأول: في فضل القرآن وتعلمه وختمه والاستغناء به.
- القسم الثاني: في قُراء القرآن ونعوتهم وأخلاقهم.
- القسم الثالث: في فضائل سور القرآن وآياته.
- القسم الرابع: في كتابة القرآن وتأليفه وإقامة حروفه.
- القسم الخامس: في المصاحف وأحكامها وما يتعلق بها.

وحشد في كل قسم من الأحاديث والآثار ما تشتهيه أنفس الموحِّدين وتلذ أعينهم، فرحمه الله رحمة واسعة.

ولقد حرصت «**دار الأمر الأول**» على العناية الشديدة بهذا الكتاب، فقد بدأنا فيه قبل عدة سنوات، ثم لم يزل يكتمل قليلاً قليلاً، وحرصنا جدًا على ضبط النَّص، وتوضيح مُشكله وتكميل ناقصه بالأحاديث والآثار.

وحرصنا على ألا نُشوِّه جمال الكتاب بالرأي الغث المذموم، أو بالكلام الإنشائي البارد، إنما هي الآثار؛ ونِعْمَ المطية للفتى الآثار، وبذلنا فيه من الجهد ما نحتسبه عند الله، ونرجوه ذخرًا عنده سبحانه وتعالى.

وأملنا ألا يكون هذا الكتاب كغيره مما يُقرأ مرة أو مرتين ثم يُترك، بل أن يكون نديم المسلم المحب للقرآن وصاحبه وخليله ورفيقه الخاص؛ فإنه- بعون الله- يشجعه على قراءة القرآن وتدبره، وأن يختلط بلحمه ودمه، ويعلمه آداب تلاوته وطريقة تعلمه والعمل بما فيه، وهو كتاب لا يَملُّ صاحبه منه أبدًا.

قال خبَّاب بن الأرت ط: «تقرّب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحبّ إليه من كلامه».

قال تعالى: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ - إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ - لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ».

وفي الختام: فإن القائمين على «**دار الأمر الأول**» يشكرون الله تعالى أعظم الشكر، ويحمدون الله إليكم- معاشر القراء- حمدًا كثيرًا طيبًا

مباركًا فيه على ما وفَّق وأعان وسدَّد، والظنّ به سبحانه وتعالى أن يتقبل منَّا ومنكم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتب نيابة عن القائمين على «**دار الأمر الأول**»

عبدالرحمن بن صالح بن سليمان الحجي

المدرس بكلية الشريعة بالرياض سابقًا

والمشرف العام على موقع الأمر الأول

في رمضان عام ١٤٣٦ للهجرة.

ترجمة المؤلف

١- اسمه ونسبه:

هو القاسم بن سلَّام بن عبدالله، أبو عُبيد الخراساني الهَروي المولد والمنشأ، الخزاعي بالولاء، البغدادي الشافعي، الإمام الحافظ الفقيه القاضي اللغوي، صاحب التصانيف المشهورة.

كان أبوه مملوكًا روميًّا لرجلٍ من أهل هَراة(١).

٢- مولده:

ولد أبو عبيد بهراة سنة أربع وخمسين ومئة. وقيل غير ذلك.

٣- وصفه:

كان أبو عُبيد مهيبًا وقورًا، يخضب بالحِنَّاء.

٤- شيوخه:

إسماعيل بن عياش، وهُشيم- بالتصغير- بن بشير، وشريك بن عبدالله، وعبدالله بن المبارك، وأبو بكر بن عياش، وجرير بن عبدالحميد، وسفيان بن عيينة، وهشام بن عمار، وإسماعيل بن عليّة، ويزيد بن

(١) هراة: بالفتح مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. انظر: معجم البلدان (٥/ ٣٩٦). وهي الآن تقع غربي أفغانستان.

هارون، ويحيى بن سعيد القطان، وحجَّاج بن محمد المصيصي الأعور، وأبو معاوية الضرير، والإمام محمد بن إدريس الشافعي، والإمام أحمد ابن محمد بن حنبل، وعبدالرحمن بن مهدي، وأبو زيد الأنصاري، وأبو عبيدة معمر ابن المثنى، والأصمعي عبدالملك بن قُريب، وعلي بن حمزة الكسائي، وشجاع بن أبي نصر البلخي أبو نعيم المقري، وإسماعيل بن جعفر بن أبي كثير القارئ، وأبو مُسهر عبدالأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي، وسليمان بن داود بن حماد المصري، وسليم بن عيسى الكوفي المقري، ويحيى بن آدم بن سليمان.

٥- تلاميذه:

أبو بكر بن أبي الدنيا البغدادي، ونصر بن داود الصاغاني، وعلي ابن عبدالعزيز البغوي، ومحمد بن إسحاق الصاغاني، وأحمد بن يوسف أبو عبدالله التغلبي، والحارث بن محمد بن أبي أسامة، ومحمد بن يحيى المروزي، وأحمد بن القاسم، وعباس الدوري، والحسن بن مكرم البزار وآخرون.

٦- مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

أجمع أهل عصره على الثناء عليه والشهادة له بالعلم، فقد جمع وصنَّف واختار وذبَّ عن الحديث ونصره وقمع من خالفه، وقد أثنى عليه المحدِّثون والفقهاء والأدباء وأهل اللغة، وحمدوا مؤلفاته وتصانيفه؛ فمن ذلك:

- قال إسحاق بن راهويه: «الحق يحبه الله عز وجل؛ أبو عبيد القاسم بن سلَّام أفقه مني وأعلم مني».

- وقال: «أبو عبيد أوسعنا علمًا وأكثرنا جمعًا؛ إنا نحتاج إلى أبى عبيد، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا».

- وقال الإمام أحمد: «أبو عبيد القاسم بن سلّام ممن يزداد كل يوم عندنا خيرًا».

- وعن محمد بن أبي بشر، قال: أتيت أحمد بن حنبل في مسألة، فقال: «ائت أبا عبيد، فإن له بيانًا لا تسمعه من غيره، فأتيته؛ فشفاني جوابه».

ومن قرأ كتب أبي عُبيد عامَّة، وكتابه فضائل القرآن خاصَّة؛ علم صدق فراسة الإمام أحمد فيه، فإن له بيانًا لا تسمعه من غيره.

- وقال إبراهيم الحربي: «قد رأيت رجالات الدنيا، فلم أر مثل ثلاثة: رأيت أحمد بن حنبل وتعجز النساء أن تلد مثله، ورأيت بشر بن الحارث كأنه من قرنه إلى قدمه مملوء عقلاً، ورأيت أبا عبيد القاسم بن سلام كأنه جبل نُفخ فيه علمٌ».

- وقال حمدان بن سهل: «سألت يحيى بن معين عن الكتابة عن أبي عبيد والسماع منه فتبسَّم، وقال: مثلي يُسأل عن أبي عبيد؟! أبو عبيد يُسأل عن الناس؛ لقد كنت عند الأصمعي يومًا إذ أقبل أبو عبيد، فشقَّ

إليه بصره حتى اقترب منه، فقال: أترون هذا المقبل؟ قالوا: نعم. قال: لن تضيع الدنيا، أو لن يضيع الناس ما حيى هذا».

- وقال القاضي أحمد بن كامل: «أبو عبيد فاضلٌ في دينه وعلمه، متفنن في أصناف علوم الإسلام من القرآن والفقه والعربية والأخبار، حسن الرواية صحيح النقل، لا أعلم أحدًا من الناس طعن عليه في شيء من أمر دينه».

- وقال الهلال بن العلاء الرقي: «منَّ الله تعالى على هذه الأمة بأربعة في زمانهم: بالشافعي تفقَّه في حديث رسول الله ﷺ، وبالإمام أحمد ثبت في المحنة، ولولا ذلك لكفر الناس- أو قال: ابتدعوا، وبيحيى ابن معين نفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ، وبأبي عبيد القاسم ابن سلّام فسَّر غريب الحديث، ولولا ذلك لاقتحم الناس الخطأ».

- وقال الحاكم: «هو الإمام المقبول عند الكُلِّ».

- وقال ابن درستويه الفارسي النحوي: «كان أبو عبيد ذا فضلٍ ودينٍ وسترٍ ومذهبٍ حسن».

- وقال: «كتبه مستحسنة ومطلوبة في كل بلد، والرواة عنه مشهورون ثقات، ذوو ذكر ونُبْل».

- وقال الداني: «أبو عبيد: إمام أهل دهره في جميع العلوم، صاحب سنة، ثقة مأمون».



- وقال عبدالله بن طاهر: «علماء الإسلام أربعة: عبدالله بن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، والقاسم بن سلام في زمانه».

- وقال ابن الأنباري: «كان أبو عبيد يقسم الليل فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويصنِّف ثلثه».

- وقال ثعلب: «لو كان أبو عبيد في بني إسرائيل لكان عجبًا».

- وكان أبو عبيد قد تفقه على الشافعي، حتى تناظر معه في القُرء هل هو حيض أو طهر؟ فرجع كل منهما إلى قول الآخر. وفي ذلك يقول السُّبكي في طبقات الشافعية: «كان الشافعي يقول: إنه الحيض، وأبو عبيد يقول: إنه الطهر، فلم يزل كل منهما يقرر قوله حتى تفرقا وقد انتحل كل واحد منهما مذهب صاحبه، وتأثر بما أورده من الحجج والشواهد. قال السبكي: قلت: وإن صحَّت هذه الحكاية ففيها دلالة على عظمة أبي عبيد؛ فلم يبلغنا عن أحدٍ أنه ناظر الشافعي ثم رجع الشافعي إليه». اهـ

انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٤١١)، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي (١/ ٢١٧)، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (٣/ ١٩)، ومرآة الجنان لليافعي (٢/ ٨٤)، ونور القبس لليغموري (١/ ٣١٥)، ونزهة الألباء (١/ ١٣٩)، وطبقات الشافعية للسبكي (١/ ٢٧١)، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٢/ ٢٥٣).



٧- عقيدته:

يتضح ذلك من خلال مواقفه الشديدة من أهل البدع، فمن ذلك:

أولاً: موقفه من الجهمية:

روى الدارقطني في كتابه الصفات (١/ ٤٩) عن العباس الدوري، قال: «سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام- وذكر الباب الذي يُروى فيه الرؤية، والكرسي وموضع القدمين، وضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه، وأين كان ربنا قبل أن يخلق السماء، وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك عز وجل قدمه فيها، فتقول: قط قط، وأشباه هذه الأحاديث- فقال: هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حقٌّ لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه؟ وكيف يضحك؟ قلنا: لا يُفسَّر هذا، ولا سمعنا أحدًا يفسِّره». اهـ

أي: تفسير الكيفية، وليس المعنى.

وفي السنة لعبدالله (٦٧) عن محمد بن إسحاق الصغاني، قال: «سمعت أبا عبيد، يقول: من قال: القرآن مخلوق؛ فقد افترى على الله، وقال عليه ما لم تقله اليهود ولا النصارى».

وفي ذم الكلام للهروي (١١٨٦) عن أحمد بن الحسين العازلي، قال: «سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول، وقال له رجل: ما تقول في رأي أهل الكلام؟ فقال: لقد دَلَّك ربك على سبيل الرشد وطريق



الحق، فقال: «فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ». الآية. أما لك فيما دلَّك عليه ربك، من كلامه وسنة نبيه ﷺ ما يغنيك عن الرجوع إلى رأيك وعقلك، وقد نهاك الله عن الكلام في ذاته وصفاته، إلا حسب ما أطلقه لك، وقال: «فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ». وقال: «وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ». الآية».

وفي شرح السنة للالكائي (٦٠٧) قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «لو أن رجلاً حلف، فقال: والله لا تكلمت اليوم بشيء، فقرأ القرآن في غير صلاة أو في صلاة لم يحنث، لأن أيمان الناس إنما هي لمعاملة بعضهم بعضًا، وإن القرآن كلام الله ليس يدخل في شيء من كلام الناس ولا يختلط به، ولو كان يشبهه في شيء من الحالات لكان القرآن إذًا يقطع الصلاة؛ لأن كل متكلم في صلاته بالتعمد لذلك قاطع لها، إلا أن يكون الحالف نوى القرآن واعتقده في يمينه، فيلزمه حينئذ نيته واعتقاده». اهـ

وفي السنة لعبدالله (٧٢) عن أحمد بن إبراهيم الدورقى، قال: «سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام، يقول: لو أن خمسين يؤمون الناس يوم الجمعة لا يقولون: القرآن مخلوق، يخلف بعضهم بعضًا بالإمامة، إلا أن الرأس الذي يأمرهم، يقول هذا، رأيت الإعادة؛ لأن الجمعة إنما تثبت بالرأس. قال عبدالله: فأخبرت أبي رحمه الله بقول أبي عبيد، فقال: هذا يضيق على الناس، إذا كان الذي يصلي بنا لا يقول بشيء من هذا؛ صليت خلفه، فإذا كان الذي يصلي بنا يقول بشيء من هذا القول؛ أعدت الصلاة خلفه». اهـ

والمقصود بيان شدته على أهل البدع عامة وعلى أهل التجهم خاصة. والنقولات عنه في ذلك كثيرة جدًا.

ثانيًا: موقفه من الرافضة:

في السُّنة للخلال (٧٩٩) عن الدوري، قال: «سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام، يقول: عاشرت الناس وكلمت أهل الكلام وكذا وكذا، فما رأيت أوسخ وسخًا، ولا أقذر قذرًا، ولا أضعف حجة، ولا أحمق من الرافضة، ولقد وليتُ قضاء الثغور؛ فنفيت منهم ثلاثة رجال: جهميَّيْن ورافضيًّا، أو رافضيَّيْن وجهميًّا، وقلت: مثلكم لا يساكن أهل الثغور؛ فأخرجتهم».

وفيه (٧٩٦) عن أحمد بن سعيد، قال: «سألت أبا عبيد القاسم بن سلام، فقال: لا حظَّ للرافضي في الفيء والغنيمة؛ لقول الله حين ذكر آية الفيء في آخر سورة الحشر، فقال في آخر آية الفيء: «وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ»». وكذا قال الإمام مالك.

ثالثًا: موقفه من المرجئة:

ألَّف أبو عبيد كتابًا في الرد على المرجئة سماه كتاب الإيمان، بيَّن فيه عوار مذهبهم بأوضح عبارة، ونَسَبَهم فيه إلى البدعة والضلالة. ومما جاء فيه قوله رحمه الله: «لم يرض الله منهم بالإقرار دون العمل، حتى جعل أحدهما من الآخر، فأي شيء يُتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ



ومنهاج السلف بعده الذين هم موضع القدوة والإمامة؟ فالأمر الذي عليه السُّنة عندنا ما نص عليه علماؤنا، مما اقتصصنا في كتابنا هذا؛ أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعًا، وأنه درجات بعضها فوق بعض، إلا أن أولها وأعلاها الشهادة باللسان، فإذا نطق بها القائل، وأقر بما جاء من عند الله؛ لزمه اسم الإيمان بالدخول فيه لا بالاستكمال عند الله، ولا على تزكية النفوس، وكلما ازداد لله طاعة وتقوى، ازداد به إيمانًا». اهـ

٨- من أقواله:

روى الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٤١٠) عن علي بن عبدالعزيز، قال: سمعت أبا عبيد يقول: «المتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السَّيف في سبيل الله عز وجل».

وفي سؤالات السُّلمي للدارقطني (٣٠٢) قال أبو عبيد القاسم بن سلام: أدركتُ من العلماء ما أدركت، وما استأذنتُ على أحد من الشيوخ قط، إنما كنت أصبر أن يخرج؛ أتأوَّلُ فيه قول الله عز وجل: «وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

وفي طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٦) قال أبو عبيد: «من شُكْر العلم أن تقعد مع كل قوم، فيذكرون شيئًا لا تحسنه فتتعلَّمه، ثم تقعد بعد ذلك في موضع آخر، فيذكرون ذلك الشيء الذي تعلمته، فتقول: والله ما كان عندي شيء حتى سمعت فلانًا يقول كذا وكذا، فتعلمته، فإذا فعلت ذلك؛ فقد شكرت العلم».

٩- مصنفاته:

أكثر أبو عبيد من التصنيف، حتى فاق أهل زمانه، فصنف في شتى فنون العلم، وروى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتابًا في القرآن والإيمان والفقه وغريب الحديث وغريب اللغة والأمثال ومعاني الشِّعر، ومن ذلك:

- في الإيمان: صنَّف كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته.

- وفي المواعظ: صنَّف كتاب مواعظ الأنبياء عليهم السلام.

- وفي الفقه: صنَّف كتاب الأيمان والنذور، وكتاب الحيض، وكتاب الطهارة، وكتاب الحَجْر والتفليس، وكتاب الأموال- قال فيه الذهبي: من أحسن ما صُنِّف في الفقه وأجوده-، وصنَّف كتاب أدب القاضي على مذهب الشافعي، وكتاب الأحداث، وكتاب النكاح.

- وفي الغريب: صنَّف الغريب المصنف- وقد اشتغل في تأليفه أربعين عامًا- وغريب الحديث، وغريب القرآن.

- وفي اللغة والأدب: صنَّف كتاب الشعراء، والأمثال السائرة، وكتاب النسب، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب الأجناس من كلام العرب، وكتاب فعل وأفعل، وكتاب لغات القبائل.

- وفي القرآن وعلومه: صنَّف كتاب القراءات- قال فيه الذهبي: هو كتاب جيد ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله-، وصنَّف كتاب المقصور



والممدود، وكتاب عدد آي القرآن، وكتاب معاني القرآن، وكتاب فضائل القرآن- وهو كتابنا هذا- وكتاب الناسخ والمنسوخ، وشواهد القرآن.

- هذا غير الكتب التي لم يُخرجها للناس؛ ففي سؤالات السُّلمي للدارقطني (٣٠٣) قال الدارقطني: «وجدت لأبي عبيد كُتبًا صنَّفها، ولم يخرجها إلى الناس، وفيها: قال أبو عبدالله الشافعي...». اهـ

١٠- وفاته:

كانت وفاته في سنة أربع وعشرين ومئتين بمكة. وقيل غير ذلك، وما ذكرناه هو المختار.

قال ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ٢٦٠): «قد أقام ببغداد، ثم ولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة، وخرج بعد ذلك إلى مكة، فسكنها حتى مات بها». اهـ

ولذلك قصة، وهي: أنه في سنة تسع عشرة ومئتين، وقيل: سنة أربع عشرة ومئتين خرج أبو عبيد من العراق إلى مكة للحج، فلما عزم على العودة إلى العراق واستأجر مركبًا بعد الفراغ من حجه، رأى رؤيا كانت سببًا في مجاورته للبلد الأمين حتى مات؛ قال أبو عبيد: فرأيت النبي ق في النوم وهو جالس على فراشه وقوم يحجبونه والناس يدخلون إليه ويسلمون عليه ويصافحونه. قال: فلما دنوت لأدخل مع الناس؛ مُنعت، فقلت لهم: لم لا تُخلّون بيني وبين رسول الله ق؟ فقالوا: إي والله، لا تدخل إليه ولا تسلم عليه وأنت خارج غدًا إلى العراق! فقلت لهم: فإني



لا أخرج إذًا، فأخذوا عهدي ثم خلوا بيني وبين رسول الله ﷺ، فدخلت وسلمت وصافحت، فلما أصبح قرَّر الإقامة في مكة، فلم يغادرها حتى مات».

ولما مات أبو عبيد بمكة نُعي إلى الأمير عبدالله بن طاهر؛ فأنشأ يقول:

يا طالب العلم قد مات ابن سلَّامِ   وكان فارس علمٍ غيرَ محجامِ
مات الذي كان فيكم رُبعُ أربعةٍ   لم يُلفِ مثلَهم إسنادُ أحكامِ
حبر البرية عبدالله أولهم   وعامر ولنعم التِّلْوُ يا عامِ
هما اللذان أنافا فوق غيرهما   والقاسمان ابنُ معن وابنُ سلَّامِ

انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٦)، وتهذيب الكمال (٢٧٢١).

١١- مصادر الترجمة:

التاريخ الكبير للبخاري، إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي، طبقات المفسرين للداودي، وفيات الأعيان، طبقات الشافعية للسبكي، هدية العارفين، الكامل لابن الأثير، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، المعارف لابن قتيبة، معرفة القراء الكبار، تاريخ العلماء النحويين، كشف الظنون، طبقات الحنابلة، الخلاصة للخزرجي، العبر في خبر من غبر، تذكرة الحفاظ، تاريخ الإسلام ثلاثتهم للذهبي، طبقات الحفاظ للسيوطي، نزهة الألبّاء لابن الأنباري، معجم الأدباء، تاريخ بغداد، شذرات الذهب، مرآة الجنان لليافعي.

- وأما موضوع الكتاب:

فهو في فضائل القرآن ومعالمه وآدابه.

والمؤلفات في فضائل القرآن على ثلاثة أنواع:

- النوع الأول: في فضل سورة واحدة، كما ألف أبو محمد الخلال جزءًا في فضل سورة الإخلاص، وقد يكون في فضل آية واحدة، كما أفرد السيوطي جزءًا في آية الكرسي وبيان فضلها.

- النوع الثاني: في فضائل القرآن على وجه العموم وما يتعلق به من مسائل، والمؤلفات في هذا النوع كثيرة جدًا، فمن ذلك:

ما صنَّفه أبو بكر بن أبي شيبة، والنسائي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وابن الضُّريس، والفريابي، والمستغفري، وأبو الفضل الرازي، والضياء المقدسي، وابن كثير- وهي موجودة ضمن تفسيره- وآخرون. وكان آخر هؤلاء: الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب حيث صنف كتابًا في فضائل القرآن، وهو ضمن مجموع مؤلفات الشيخ رحمه الله تعالى.

- والنوع الثالث من المؤلفات في فضائل القرآن، هو ما يكون في كتب السُّنة والحديث، كما صنع البخاري رحمه الله تعالى حيث أفرد كتابًا ضمن صحيحه سماه فضائل القرآن الكريم، وكذا صنع الترمذي والنسائي وغيرهما.



بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن

كتاب:

فضل القرآن ومعالمه وأدبه

سند الكتاب

أخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر القزويني(١) ثم الهمذاني...(٢) قدم علينا حاجًّا، فنزل بالرباط المجاهدي مقابل دجلة، بقراءة أبي محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن أحمد(٣) في جمادى الأولى من سنة إحدى وستين وخمسمئة، قال: أخبرنا الشيخ العالم أبو منصور محمد

---

(١) هو: أبو الفرج طاهر بن محمد بن طاهر القزويني. وهو غير أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي- المشهور-، ويقوي ذلك: قوله: «ثم الهمذاني»، وهمذان قريبة من قزوين. وكذلك قوله: «قدم علينا حاجًّا»، والمقادسة لا يمرون ببغداد في طريق الحج بخلاف المشارقة، وكذلك شيخه قزويني، ولعلَّه يُكنى بأبي زرعة أيضًا، أو سبق قلم من الناسخ.

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل. ولعلَّها: «الذي».

(٣) القارئ هو: أبو محمد عبدالله بن أحمد، ابن الخشاب البغدادي النحوي. وقد جاء وصفه في الأصل بـ: «الشيخ الأجلّ الإمام العالم الحافظ الأوحد حجة الإسلام»، ومن قرأ ترجمته، علم أن هذه التزكية ليست في محلها، فقد ترجم له ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٢٦٥) فقال: «ذكر ابن الجوزي: أنه كان يُذكر عنه نوع تفريط في الدين، وأنه كان قليل الفقه». اهـ

وأكثر التزكيات التي في ديباجات الكتب تحمل مبالغة لا تجمل ولا تليق؛ درجت عليها عوائد جهلة النُّساخ، ويغتر بها جهلة القُرَّاء.



ابن الحسين بن أحمد المُقَوِّمي القزويني، قراءة عليه، وأنا أسمع بالري، قيل له: أخبركم أبو عبد الله الزبير بن محمد الزبيري، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن مهرويه البزاز القزويني، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز المكي، سنة ثمانين ومئتين، قال: سمعت هذا الكتاب قراءة على أبي عبيد، وسألته: نروي عنك ما قُرئ عليك؟ قال: نعم.



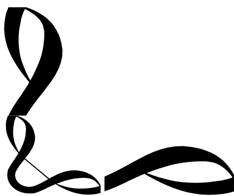






القسم الأول:

جماع أبواب فضل القرآن وتعلمه وقراءته وختمه والاستغناء به







باب: فضل القرآن وتعلمه وتعليمه الناس

١ - قال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا حجاج بن محمد[١]، قال: حدثنا شعبة بن الحجاج، عن علقمة ابن مرثد، قال: سمعت سعد بن عبيدة يحدث، عن أبي عبدالرحمن السُّلمي

عن عثمان بن عفان ط قال: قال رسول الله ق:

«إن أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[٢].

---

(١) هو: الأعور؛ قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ١٦٦): «حجَّاج بن محمد الأعور، أصله خراساني ترمذي سكن المصيصة، روى عن ابن جريج وشعبة، وروى عنه أحمد بن حنبل، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، وهارون بن عبدالله، وسنيد بن داود- سمعت أبي يقول ذلك-.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: سئل أبي وأنا شاهد: أيما أثبت عندك: حجَّاج الأعور أو الأسود ابن عامر؟ فقال: حجَّاج أثبت من الأسود. وعن الأثرم، قال: قال أبو عبدالله: ما كان أضبط حجَّاجًا، وأصح حديثه، وأشد تعاهده للحروف، وكان صاحب عربية. وسئل يحيى بن معين عن حجَّاج بن محمد، وأبي عاصم: أيهما أحب إليك في ابن جريج؟ قال: حجَّاج. وقال علي ابن المديني: حجَّاج الأعور ثقة. وقال عبدالرحمن: سمعت أبي يقول: حجَّاج بن محمد صدوق». اهـ

(٢) رواه أحمد، والبخاري، والترمذي. وجاء بلفظ: «خيركم»، و«خياركم»، و«أفضلكم».

وقد رواه عن النبي ق جماعة، منهم علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود ن، وأسانيدها فيها علل، أما رواية عثمان ط فهي أجلُّ، وأجود إسنادًا.

وقال البخاري: «وأقرأ أبو عبدالرحمن في إمرة عثمان ط حتى كان الحجاج، وقال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا». اهـ. يعني: هذا الحديث وما فيه من الفضل.

=

فالناس كانوا أهل عملٍ وتطبيق؛ لما سمع هذا الفضل أتبعه العمل، فجلس يعلم الناس القرآن- ليس سنة ولا سنتين- بل كما قال أبو إسحاق السبيعي: «أقرأ أبو عبدالرحمن السلمي القرآن في المسجد أربعين سنة».

وفي فضائل القرآن للفريابي، والإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٥٢) قال أبو عبدالرحمن: «وفضل كلام الله على كلام خلقه، كفضل الربِّ على خلقه؛ وذلك لأنه منه». اهـ

وعن الحميدي الجمالي، قال: «سألت سفيان الثوري، عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن؟ فقال: يقرأ القرآن؛ لأن النبي ﷺ قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

والأصل في ذلك: ما رواه أبو داود، وابن ماجه، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة».

والآية المحكمة هي كتاب الله تعالى.

ومما سبق من الأحاديث والآثار يتبيّن لنا خطورة من أَزْرَى على معلمي القرآن، أو استهزأ بهم أو تهكم عليهم، بل ظاهر مذهبه الإلحاد- كما قال ابن النحاس- وليس هذا ببعيد عنه؛ فإن الإزراء بهم، لأجل أنهم يُعَلِّمون هذا الكتاب، هو في الحقيقة إزراءٌ بالقرآن نفسه.

ويا ليت أهل العلم يُبصِّرون الناس بفضيلة معلمي القرآن، ويتكلمون في شرف أصحاب القرآن، كما تكلموا في شرف أصحاب الحديث؛ ليعرف الناس قدرهم، فإن إجلالهم من إجلال القرآن، وهم أهل الله وخاصته؛ وقد قال النبي ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه». حديث حسن، رواه أبو داود.

وروى ابن النحاس في القطع والائتناف عن مالك بن دينار، قال: «بلغنا أن الله جلَّ وعزَّ يقول: إني أهمُّ بعذاب خلقي أو عبادي، فأنظر إلى جلساء القرآن، وعُمَّار المساجد، وولدان الإسلام؛ فيسكن غضبي». اهـ

وأكثر الصحابة إنما أقرأهم القرآنَ رسولُ الله ﷺ؛ كما روى أحمد في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أخذت من فِيِّ رسول الله ﷺ سبعين سورة، لا ينازعني فيها أحد».

وفي قصة عمر بن الخطاب، وهشام بن حكيم رضي الله عنهما لما اختصما في سورة الفرقان، وكلاهما يقول: «أقرأنيها رسول الله ﷺ».

=



وحدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن سفيان بن سعيد، عن علقمة بن مرثد، عن أبـي عبـدالرحمن، عن عثمان ط عن النبي ق مثل ذلك.

٢ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن موسى بن عُلَيٍّ بن رباح، عن أبيه

عن عقبة بن عامر الجهني ط، قال:

خرج علينا رسول الله ق ونحن في الصُفَّة[١]، فقال:

«أيكم يحب أن يغدو كـل يـوم إلى بُطْحـان[٢] أو العقيـق[٣]، فيأخـذ ناقتين كَوماوين[٤] زهراوين[٥] في غير إثم، ولا قطيعة رحم؟». قلنا: كلنا يا رسول الله يحب ذلك! قال: «فلأن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد،

وكذلك أُبَيُّ بن كعب، وأبو الدرداء، وسلمان الفارسي، وعمرو بن العاص ن؛ كلهـم يقولـون: «أقرأنيها رسول الله ق».

(١) موضع مُظلَّل في مسجد النبي ق، كان الفقراء يأوون إليه ويَسْكنونه.

(٢) جاء في معجم البلدان (١/ ٤٦٦): «بُطحـان: بالـضم ثـم الـسكون، كـذا يقولـه المُحـدِّثون أجمعون، وحكى أهل اللغة (بَطحان): بفتح أوله وكسر ثانيه. وقيل: بفتح أوله وسكون ثانيه؛ وهـو وادٍ بالمدينة، وهو أحد أوديتها الثلاثة وهي: العقيق وبطحان وقناة». اهـ

(٣) واد بالمدينة فيه عيون ونخل. قال الأزهري: «العرب تقول لكل مسيل ماء، شـقه الـسيل في الأرض؛ فأنهره ووسعه: عقيق. قـال: وفي بـلاد العـرب أربعـة أَعِقَّـة، وهـي أودية عاديّـة شـقتها السيول». انظر: معجم البلدان (٤/ ١٣٨). ومعنى: (عاديّة). أي: قديمة، نسبة لقوم عاد.

(٤) تثنية كوماء– بفتح الكاف– وهي: العظيمة السنام من الإبل، وهي من خيار مال العرب.

(٥) من الزهرة، وهي الحُسن والبهجة، والمعنى: سمينتين مائلتين إلى البياض من كثرة السِّمن.

فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، ومن ثلاث، ومن أعدادهن من الإبل»[(١)].

٣- حدثنا عمرو بن الربيع بن طارق، عن عبدالله بن لهيعة، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن بشير بن المحرَّر، عن عبدالله بن عثمان بن الحكم

أن مروان بن الحكم، سمع كعب الأحبار، يقول:

إنَّ في التوراة: أنَّ الفتى إذا تعلَّم القرآن وهو حديث السِّن، وحرص عليه وعمل به وتابعه، خلطه الله بلحمه ودمه، وكتبه عنده من السفرة

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود. وعن أبي هريرة ط قال: قال رسول الله ق: «أيحبُّ أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيهم ثلاث خَلِفَات عِظام سِمان؟ قلنا: نعم، قال: فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته، خير له من ثلاث خَلِفَات عِظام سِمان». رواه أحمد، ومسلم واللفظ له.

وعن أبي ذر ط قال: قال رسول الله ق: «يا أبا ذر! لأن تغدو فتَعَلَّم آية من كتاب الله، خير لك من أن تصلي مئة ركعة، ولأن تغدو فتعلَّم بابًا من العلم عُمل به أو لم يُعمل به، خير من أن تصلي ألف ركعة». رواه ابن ماجه في سننه، وقال المنذري: إسناده حسن.

وعن أبي أمامة ط أن رجلًا أتى النبي ق فقال: «يا رسول الله! اشتريت مِقسم بني فلان، فربحت فيه كذا وكذا. قال: ألا أنبئك بما هو أكثر منه ربحًا؟ قال: وهل يوجد؟! قال: رجل تعلَّم عشر آيات؛ فذهب الرجل فتعلَّم عشر آيات، فأتى النبي ق فأخبره». رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

وفي فضائل القرآن للفريابي (١/ ١٨١) عن عبدالله ط قال: «لو جُعل لأحدكم خمسُ قلائص، ويصلي الغداة بالقرية؛ لبات يقول لأهله: قد آن لي أن أنطلق، والله لأن يغدو فيتعلَّم خمس آيات من كتاب الله، لهي خير من خمسِ قلائص، وخمسِ قلائص». اهـ



الكرام البررة، وإذا تعلَّم الرجل القرآن وقد دخل في السِّن، فحرص عليه، وهو في ذلك يتابعه، ويتفلت منه؛ كتب له أجره مرتين(١).

٤ – حدثنا يزيد بن هارون، عن همام بن يحيى، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام

عن عائشة ك قالت: قال رسول الله ق:

«إن الذي يقرأ القرآن وهو به ماهر؛ مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يشتد عليه؛ فله أجران»(٢).

---

(١) قد ورد هذا المعنى في حديث مرفوع، ذكره البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ط، أن النبي ق قال- فيما يُروى عنه-: «من قرأ القرآن، فقام به آناء الليل والنهار، ويُحِلُّ حلاله ويحرِّم حرامه؛ خلطه الله بلحمه ودمه، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجًا، فقال: يا رب! كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا، إلا فلان كان يقوم بي آناء الليل وآناء النهار، فيُحِلُّ حلالي ويحرم حرامي، فيقول: يا رب! فأعطه، فيُتوِّجه الله تاج المُلك، ويكسوه من حُلل الكرامة، ثم يقول: هل رضيت؟ فيقول: يا رب! أرغب له في أفضل من هذا، فيعطيه الله عَزَّوَجَلَّ المُلك بيمينه والخلد بشماله، ثم يقال له: هل رضيت؟ فيقول: نعم يا رب! ومن أخذه بعدما يدخل في السِّن، فأخذه وهو يتفلَّت منه؛ أعطاه الله أجره مرتين». اهـ

وفي إسناده إسماعيل بن رافع الأنصاري، وهو متروك الحديث. وذكر الأجر مرتين؛ صحيح، كما سيأتي في الحديث التالي.

(٢) متفقٌ عليه. وفي لفظ: «والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق؛ له أجران».

وفي مصنف ابن أبي شيبة، عن عطاء قال: «الذي يَهُونُ عليه القرآن؛ مع السفرة الكرام، والذي ينفلت منه ويشق عليه؛ له عند الله أجران». اهـ

=

وحدثنا حجاج، عن شعبة، عن قتادة، قال: سمعت زرارة يحدث عن سعد بن هشام، عن عائشة ك عن النبي ق مثل ذلك.

٥ – حدثنا أبو اليقظان عمار بن محمد الثوري- أو غيره- عن أبي إسحاق الهجري، عن أبي الأحوص

عن عبدالله بن مسعود ط، عن النبي ق قال:

«إن هذا القرآن مأدُبة الله تعالى، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا حبل الله عَزَّوَجَلَّ[1]، ....

والأجران هما: أجر التلاوة، وأجر المشقة.

وقال إسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٧٠٩): «معنى: «له أجران»: يعني نفس الحروف؛ أي أجر كل حرف يضاعف له حتى يصير له أجران». اهـ

(١) أخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، والطبراني بسند صحيح عن ابن مسعود ط في قول الله: « وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ ». قال: «حبل الله: القرآن».

وأخرج الطبراني، والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود ط قال: «إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين، ينادون: يا عبدالله! هلم! هذا هو الطريق؛ ليصدوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله؛ فإن حبل الله: القرآن».

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي شيبة عن أبي شريح الخُزاعي ط قال: «خرج علينا رسول الله ق فقال: أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: فإن هذا القرآن سبب؛ طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به؛ فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدًا». وفي رواية قال: «كتاب الله: هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض».

وقال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ١٠٢): «في حديث عبدالله ط: «عليكم بحبل الله؛ فإنه كتاب الله». قوله: «عليكم بحبل الله». نُراه أراد تأويل قوله: « وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ».

=



وهو النور المبين[١]، والشفاء النافع، عـصمةٌ لمـن تمـسك بـه، ونجـاة لمـن تبعـــه[٢]، ....

يقول: فالاعتصام بحبل الله، هو ترك الفُرقة واتباع القرآن؛ وأصل الحبل في كلام العـرب ينـصرف على وجوه فمنها: العهد، وهو الأمان، وذلك أن العرب كان يُخيف بعضها بعضًا في الجاهلية، فكان الرجل إذا أراد سفرًا، أخذ عهدًا من سيد القبيلة؛ فيأمن به مـا دام في تلـك القبيلـة حتـى ينتهـي إلى الأخرى، ويفعل مثل ذلك أيضًا، يريد بذلك الأمان. فمعنى الحديث: أن يقول: عليكم بكتاب الله وترك الفرقة، فإنه أمان لكم، وعهد من عذاب الله وعقابه». اهـ

(١) روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن رجل من بجيلة، قال: «خرج جندب الـبجلي في سـفر لـه، قال: فخرج معه ناس من قومه، حتى إذا كانوا بالمكان الذي يودع بعضهم بعـضًا، قـال: أي قـوم! عليكم بتقوى الله، عليكم بهذا القرآن، فالزموه على ما كان من جهد وفاقة؛ فإنه نور بالليل المظلـم، وهدى بالنهار».

وعن زيد بن جبير، قال: «قال لي أبو البختري الطائي: اتبع هذا القرآن؛ فإنه يهديك».

وفي الزهد لابن المبارك (١/ ٢٧٣) عن عبدالله بن عمرو بن العاص م قال: «كل آية من القرآن درجة في الجنة، ومصباح في بيوتكم».

وأخرج ابن حبان عن أبي ذر ط في حديث طويل، قال: «قلت: يا رسـول الله! أوصـني. قـال: عليك بتقوى الله؛ فإنه رأس الأمر كله. قلت: يا رسول الله! زدني. قال: عليك بتلاوة القـرآن؛ فإنـه نور لك في الأرض، وذكر في السماء».

والأصل في ذلك كله: قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا».

وقوله: «وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا»، وقوله: «وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ».

(٢) شاهده ما رواه أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه عن حذيفة ط، قـال: «كـان النـاس يـسألون رسول الله ق عن الخير وكنت أسأله عن الشَّر؛ وعرفت أن الخير لن يسبقني، قلت: يا رسول الله! أبعـد هذا الخير شرٌّ؟ قال: يا حذيفة! تعلَّم كتاب الله، واتبع ما فيه- ثلاث مرات-».

=

لا يعوَجُّ فيُقَوَّم، ولا يزيغ فيستعتب(١)، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَقُ(٢) على كثرة الرَّد؛ فاتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: «الٓمٓ»، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر»(٣).

وروى أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٧٤) عن حَبَّة، قال: «قال أبو مسعود لحذيفة: إن الفتنة وقعت، فحدثني بما سمعته؛ قال: أولم يأتكم اليقين؟! كتابُ الله عَزَّوَجَلَّ».

(١) أي: أن القرآن لا يَبْعُد عن الحق، ولا يَميل عن الاستقامة، فيحتاج للتوبة وطلب رضا الله عَزَّوَجَلَّ ومغفرته، بل كما قال الله تعالى: « لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ». وفي لفظ: «ولا يزيغ فيتشعب». وكذلك خليلُ القرآن، العاملُ بما فيه.

(٢) أي: لا يبلى، كما يبلى الثوب من كثرة اللبس.

(٣) رواه عبدالرزاق في المصنف، والدارمي في سننه موقوفًا. ورواه محمد بن نصر في قيام الليل، والآجري في أخلاق حملة القرآن، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان مرفوعًا.

قال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٠٢): «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، ويشبه أن يكون من كلام ابن مسعود رضي الله عنه. قال ابن معين: إبراهيم الهجري ليس حديثه بشيء». اهـ

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٢): «وهذا غريب من هذا الوجه، وقد رواه محمد بن فضيل عن أبي إسحاق الهجري، واسمه إبراهيم بن مسلم، وهو أحد التابعين، ولكن تكلموا فيه كثيرًا:

قال أبو حاتم الرازي: لين، ليس بالقوي. وقال أبو الفتح الأزدي: رفَّاع، كثير الوهم.

قلت: فيحتمل - والله أعلم - أن يكون وَهِمَ في رفع هذا الحديث، وإنما هو من كلام ابن مسعود رضي الله عنه، ولكن له شاهد من وجه آخر، والله أعلم». اهـ

فغاية ما فيه أن يكون من كلام ابن مسعود رضي الله عنه، وقد وَهِم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن، على أنه قد روى الترمذي له شاهدًا عن عليٍّ رضي الله عنه مرفوعًا ولا يصح، والأقرب وقفه، وتقدَّم في الآثار ما يشهد لكل فقرة منه.

=

٦ – حدثنا حجاج، عن محمد بن طلحة، عن معن بـن عبـدالرحمن، عـن أبيـه عبـدالرحمن بـن عبدالله بن مسعود

عن ابن مسعود ط، قال:

«إن كلَّ مُؤْدِبٍ يحب أن يُؤتى أَدْبُه، وإن أَدْبَ الله القرآن»[١].

وللجملة الأخيرة منه شاهدٌ رواه الترمذي عن ابن مسعود ط قال: «قال رسـول الله ق: مـن قرأ حرفًا من كتاب الله؛ فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (الٓمٓ) حـرف، ولكـن: ألـف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

وقال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ١٠٧): «قوله: «مأدبة» فيه وجهان: يقال: مأدُبة، ومأدَبـة. فمن قال: مأدُبة، أراد به الصنيع يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس، يقال منه: أدبتُ على القوم آدب أدْبًا، وهو رجل آدِب، مثال فاعل... ومعنى الحديث: أنه مَثَلٌ؛ شَبَّهَ القرآن بصنيع صنعه الله للناس، لهم فيه خير ومنافع، ثم دعاهم إليه، فالمأدوبة: التي قد صنع لها الصنيع، فهذا تأويل من قال: مأدُبة.

وأما من قال: مأدَبة؛ فإنه يذهب به إلى الأدب يجعله مَفْعلة من الأدب، ويحتج بحديثه الآخر: «إن هذا القرآن مأدَبة الله، فمن دخل فيه فهو آمن». وكان الأحمر يجعلهما لغتين: مأدُبة الله ومأدَبة بمعنـى واحد، ولم أسمع أحدًا يقول هذا غيره. قال أبو عبيد: والتفسير الأول أعجب إليَّ». اهـ

(١) رُوي موقوفًا ومرفوعًا: فرواه أحمد في الزهد، والدارمي في سننه موقوفًا على ابن مسعود ط.

ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن سمرة بن جندب ط مرفوعًا، ولفظه: «كل مُؤْدِبٍ يحـب أن تؤتى مَأْدُبَتُهُ، ومأدبة الله القرآن؛ فلا تهجروه». والموقوف أصح إسنادًا من المرفوع.

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠/ ٦٤) عن يحيى بن معاذ، قال: «اعلموا أن القرآن قد ندبكم إلى وليمة الجنة ودعاكم إليها؛ فأسرع الناس إليها أتركهم لدنياه، وأوجدهم لذة لطعـم تلـك الوليمـة أشدهم تجويعًا لنفسه ومخالفة لها». اهـ

=

٧ – حدثنا عمر بن عبدالرحمن الأبّار

عن الأعمش، قال:

مرَّ أعرابي بعبدالله بن مسعود ط، وهو يُقرئ قومًا القرآن، أو قال: وعنده قوم يتعلمون القرآن، فقال: ما يصنع هؤلاء؟

فقال ابن مسعود ط: «يقتسمون ميراث محمد ق»(١).

وفي معرفة الحديث للحاكم (١/ ١١٢) عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، قال: «إن هذا العلم أَدَبُ الله، الذي أدَّب به نبيه، وأدَّب النبي ق أمته به، وهو أمانة الله إلى رسوله ق ليؤديه على ما أُدِّي إليه، فمن سمع علمًا؛ فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين نبيه ق». اهـ

وفي ترتيب المدارك لعياض، قال الإمام مالك: «أدب الله: القرآن. وأدب رسوله ق: السُّنة. وأدب الصالحين: الفقه». اهـ

قال ابن تيمية في الفتاوى (٤/ ٤١): «حصول العلم في القلب كحصول الطعام في الجسم، فالجسم يحس بالطعام والشراب؛ وكذلك القلوب تحس بما يتنزل إليها من العلوم التي هي طعامها وشرابها، كما قال النبي ق: «إن كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته، وإن مأدبة الله هي القرآن».

وقال في موضع آخر: «فبيَّن أن الله ضيَّف عباده بالكلام الذي أنزله إليهم، فهو غذاء قلوبهم وقوتها، وهو أشد انتفاعًا به واحتياجًا إليه من الجسد بغذائه». اهـ

(١) ميراث محمد ق يطلق على القرآن، ويطلق أيضًا على السُّنة والأحاديث، وقد جاءت الآثار بالمعنيين جميعًا:

ففي شرف أصحاب الحديث للخطيب (١/ ٩٠) عن الأعمش، قال: «بينما ابن مسعود يومًا معه نفر من أصحابه، إذ مرَّ أعرابي، فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ قال ابن مسعود ط: «على ميراث محمد ق يقتسمونه». اهـ

=

وروى الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة ط أنه مرَّ بسوق المدينة، فوقف عليها، فقال: «يا أهل السوق! ما أعجزكم؟ قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ق يقسم وأنتم ههنا! ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد؛ فخرجوا سراعًا، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: يا أبا هريرة! قد أتينا فدخلنا فلم نر فيه شيئًا يُقسم! فقال: وما رأيتم في المسجد أحدًا؟ قالوا: بلى! رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرءون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام. فقال أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراث محمد ق».

وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٢/ ١٠٨) قال سليمان بن عمران: «سمعت أسد بن الفرات يقول: بلغني أن قومًا كانوا يتناظرون بالعراق في العلم، فقال قائل: مَن هؤلاء؟ فقيل: قوم يقتسمون ميراث رسول الله ق».

وفي الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ١٤٨) أن الإمام أحمد سئل عن شيء بعدما ضُرب، فقال: هذا زمان حديث؟! فقال له السائل: يا أبا عبدالله: يحلُّ لك أن تمنعني حقِّي، وتمنع هذا حقَّه - لرجل آخر سأله عن شيء؟ فقال أبو عبدالله: وما حقكم؟! قال: ميراث محمد ق. قال: فسكت أبو عبدالله». اهـ

بل إن ميراث الأنبياء جميعًا هو العلم؛ قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾. أي: ورثه في العلم.

وقال زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا - يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾. أي: يرث العلم والنبوة.

وروى الترمذي وأبو داود، عن أبي الدرداء ط قال: سمعت رسول الله ق يقول: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر».

وأخرج الديلمي عن أم هانئ ك مرفوعًا: «العلم ميراثي، وميراث الأنبياء قبلي».

وأخرج ابن عدي عن عليٍّ ط مرفوعًا قال: «العلماء مصابِيح الأرضِ، وخَلفُ الأنبياء، وورثتي وورثة الأنبياء».

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٨١) عن سفيان بن عيينة، قال: «من قرأ القرآن؛ يُسْأَلُ عما يُسْأَلُ عنه الأنبياء عليهم السلام، إلا تبليغ الرسالة».

٨ – حدثنا حجاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبدالرحمن بن يزيد

عن عبدالله بن مسعود ط، قال:

«لا يَسأل عبدٌ عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن؛ فإنه يحب الله ورسوله ق[(١)]».

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وعنه بلفظ آخر، قال: «من كان يحب القرآن ويعجبه؛ فهو بخير».

ورواه سعيد بن منصور في التفسير عنه بلفظ: «لا يضر الرجل أن لا يسأل عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن؛ فإنه يحب الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ق».

وفيه عن إبراهيم، قال عبدالله ط: «من أحبَّ القرآن؛ فليبشر».

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٧٨) عن أحمد بن أبي الحواري، قال: «سمعت سفيان بن عيينة يقول: والله لا تبلغوا ذروة هذا الأمر، حتى لا يكون شيء أحبّ إليكم من الله، ومن أحبَّ القرآن؛ فقد أحبَّ الله، افقهوا ما يُقال لكم».

وفي الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/ ٢٨) قال سهل بن عبدالله: «علامةُ حبِّ الله: حبُّ القرآن. وعلامة حبِّ القرآن: حبُّ النبي ق. وعلامة حبِّ النبي ق: حبُّ السُّنة. وعلامة حبِّ السُّنة: حبُّ الآخرة. وعلامة حبِّ الآخرة: بُغض الدنيا. وعلامة بغض الدنيا: أن لا يدخر منها إلا زادًا وبُلغة إلى الآخرة». اهـ

وكل هذه العلامات التي ذكرها سهل بن عبدالله لا تنفع إلا بالاتباع؛ فالمحبة وحدها لا تكفي؛ ولهذا امتحن الله قومًا ادعوا محبة الله بهذه الآية: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ».

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير من طريق عبّاد بن منصور، قال: «إن أقوامًا كانوا على عهد رسول الله ق يزعمون أنهم يحبون الله، فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقًا من عمل؛ فقال: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ »، فكان اتباع محمد ق تصديقًا لقولهم».

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق حوشب، عن الحسن في قوله: «فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ». قال: «فكان علامة حبهم إياه اتباع سنة رسوله ق». اهـ

=

٩ - حدثنا حجاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة[(١)]

وقال عروة الرقي: «حبُّ الله تعالى: حبُّ القرآن، وحبُّ رسوله ﷺ: العمل بسنته».

والمحبة عند العرب: هي إرادة الشيء على قصد له؛ قال الأزهري: «محبة العبد لله ورسوله ﷺ: طاعته لهما، واتباعه أمرهما». والقرآن كذلك.

(١) هو: عامر بن عبدالله بن مسعود الهذلي، أبو عبيدة الكوفي، ويقال: اسمه كنيته، روى عن البراء بن عازب، وأبيه عبدالله بن مسعود ولم يسمع منه، وعمرو بن الحارث، وكعب بن عجرة، وأبي موسى الأشعري، وأمه زينب الثقفية، وعائشة أم المؤمنين ﵄، ومسروق. وروى عنه إبراهيم النخعي، وأبو ظبيان، وخصيف بن عبدالرحمن، وسالم الأفطس، وسلمة بن كهيل، وعبدالكريم الجزري، وعطاء بن السائب وعلي بن بزيمة، وأبو إسحاق السبيعي، وعمرو بن مرة، ونافع بن جبير بن مطعم، وأبو مجلز.

قال شعبة عن عمرو بن مرة: سألت أبا عبيدة بن عبدالله هل تذكر من عبدالله شيئًا؟ قال: لا. وقال أبو داود: كان أبو عبيدة يوم مات أبوه ابن سبع سنين. وقال الإمام أحمد: كانوا يفضلون أبا عبيدة على أخيه عبدالرحمن. وقال الترمذي: لا يُعرف اسمه، ولم يسمع من أبيه شيئًا. انظر: تهذيب الكمال (٣٠٥١).

وأكثر العلماء على أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه، وأن حديثه عنه منقطع، ولكن هذا الانقطاع لا يقدح في ثبوت ما رواه عنه:

قال الدارقطني في السنن (٤/ ٢٢٥): «أبو عُبَيْدَة أعلم بحديث أبيه وبمذهبه وفُتْيَاه». اهـ

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦/ ٤٠٤): «يقال: إن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه؛ لكن هو عالم بحال أبيه متلقٍ لآثاره من أكابر أصحاب أبيه، ولم يكن في أصحاب عبدالله من يتهم عليه حتى يخاف أن يكون هو الواسطة؛ فلهذا صار الناس يحتجون برواية ابنه عنه، وإن قيل: إنه لم يسمع من أبيه». اهـ

وقال: «أبو عبيدة لم يسمع من أبيه، لكن رواياته عنه أخذها عن أهل بيته؛ فهي صحيحة عندهم».

وقال ابن رجب في شرح علل الترمذي (١/ ٥٤٤): «قال يعقوب بن شيبة: إنما استجاز أصحابنا أن يدخلوا حديث أبي عبيدة عن أبيه في المسند -أي: الحديث المتصل- لمعرفة أبي عبيدة بحديث أبيه وصحتها، وأنه لم يأت فيها بحديث منكر». اهـ

وقال في شرح البخاري (٦/ ٢٤): «أبو عبيدة لم يسمع من أبيه، لكن رواياته عنه صحيحة».

=

عن عبدالله ط:

أنه كان يقرأ القرآن، فيمر بالآية؛ فيقول للرجل: «خذها، فوالله لهي خير مما على الأرض من شيء[1]».

١٠ – حدثنا إسماعيل بن عياش، قال: حدثنا عمرو بن قيس السَّكُوني، قال:

سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص م، يقول:

«عليكم بالقرآن فتعلموه، وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تُسألون، وبه تُجزون، وكفى به واعظًا لمن عقل»[1].

وقال أيضًا في شرح البخاري (٦/ ٨١): «أبو عبيدة وإن لم يسمع من أبيه، إلا أن أحاديثه عنه صحيحة، تلَّقاها عن أهل بيته الثقات العارفين بحديث أبيه– قاله ابن المديني وغيره–».

وقد أجاب الطحاوي على من ردَّ الاحتجاج برواية أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود، وزعم أنها منقطعة لأنه لم يسمع من أبيه شيئًا؛ فقال كما في شرح معاني الآثار (١/ ٩٥): «ليس من هذه الجهة احتججنا بكلام أبي عبيدة؛ إنما احتججنا به لأن مثله على تقدمه في العلم وموضعه من عبدالله وخلطته لخاصته من بعده لا يخفى عليه مثل هذا من أموره؛ فجعلنا قوله ذلك حجة».

(١) وفي مصنف ابن أبي شيبة، قال: «فيرى الرجل أنها يعني تلك الآية، حتى يفعله بالقوم كلهم».

وفي فضائل القرآن لابن الضُّريس (١/ ٤٧) عن ابن مسعود ط: «أنه كان يقرئ الرجل الآية، ثم يقول: لهي خير مما طلعت عليه الشمس وما على الأرض من شيء، حتى يقول ذلك في القرآن كله».

وروى أبو الشيخ، والديلمي من حديث صهيب ط مرفوعًا: «لقراءة آية من كتاب الله؛ أفضل من كل شيء دون العرش».

١١ – حدثنا حجاج، عن المسعودي

عن عون بن عبدالله بن عتبة، قال:

مَلَّ(٢) أصحاب رسول الله ق مَلَّةً، فقالوا: يا رسول الله! حدثنا، فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: @ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ ! [الزمر:٢٣]. قال: ثم نعته؛ فقال: @كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ !. إلى آخر الآية. قال: ثم مَلّوا مَلَّةً أخرى، فقالوا: يا رسول الله!

---

(١) وفي المحرر الوجيز (١/ ٣٨) قال الحسن البصري: «إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم الليل جَمَلًا تركبونه فتقطعون به المراحل، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل جاءت إليهم من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار». اهـ

وفي أخلاق حملة القرآن للآجري (١/ ٤) عن الحسن قال:« الزموا كتاب الله، وتتبعوا ما فيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل البصر، ثم قال: رحم الله عبدًا عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله؛ حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله؛ أعتب نفسه ورجع من قريب».

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر م قال: «لقد عشت برهة من دهري وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ق فنتعلَّم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن نقف عنده منها، كما تعلَّمون أنتم القرآن، ثم لقد رأيت رجالًا يُؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان؛ فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره، وما ينبغي أن يقف عنده منه، وينثره نثر الدقل».

وقال أحمد بن أبي الحواري: «إني لأقرأ القرآن، وأنظر في آية؛ فيحير عقلي بها! وأعجب من حفاظ القرآن، كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا، وهم يتلون كلام الله! أما إنهم لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقَّه، فتلذذوا به واستحلوا المناجاة؛ لذهب عنهم النوم فرحًا بما قد رزقوا».

وسيعيد المصنف هذا الأثر مرة أخرى بطوله، وذلك في رقم: (٣٠).

(٢) ملَّ الشيء، وملَّ من الشيء. أي: سأمه وضجر منه.



حدثنا شيئًا فوق الحديث ودون القرآن- يعنون: القصص- فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ١-٣][(١)].

قال: فإن أرادوا الحديث دلَّهم على أحسن الحديث، وإن أرادوا القصص دلَّهم على أحسن القصص: القرآن[(٢)].

١٢ - حدثنا أبو الأسود المصري[(١)]، عن ابن لهيعة، عن أبي المصعب مشرح بن هاعان

---

(١) وفي رواية: «ثم مَلّوا ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله! فأنزل الله: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ». الآية. أخرجه ابن أبي حاتم من طريق السُّدي عن القاسم.

(٢) وفي هذا دليلٌ على أن القرآن كافٍ عن كل ما سواه من الكتب- حاشا ما فسره من سنة النبي ﷺ وآثار الصحابة والتابعين- وقد روى أبو يعلى في مسنده عن خالد بن عرفطة، قال: «كنت جالسًا عند عمر، إذ أتي برجل من عبدالقيس مسكنه بالسوس، فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم. قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم، فضربه بقناة معه، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟! فقال له عمر: اجلس؛ فجلس، فقرأ عليه: «الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ - إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ - نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ». فقرأها عليه ثلاثًا، وضربه ثلاثًا، فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟! قال: مرني بأمرك أتبعه، قال: انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه ولا تقرئه أحدًا من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدًا من الناس؛ لأنهكنك عقوبة». اهـ

ولما كان القرآن أحسن الكلام، نهوا عن اتباع ما سواه، قال تعالى: « ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ». وقال تعالى: « أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ». وقال تعالى: « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ».



عن عقبة بن عامر الجهني، عن النبي ق قال:

«لو كان القرآن في إهاب[٢]، ثم ألقي في النار؛ ما احترق»[٣].

قال أبو عبيد: وجه هذا عندنا أن يكون أراد بالإهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن[٤].

---

(١) هو: النضر بن عبدالجبار بن نضير المرادي، أبو الأسود المصري، كان كاتب لهيعة بن عيسى ابن لهيعة قاضي مصر ابن أخي عبدالله بن لهيعة. روى عن بكر بن مضر، وضمام بن إسماعيل، وعبدالله ابن لهيعة، والليث بن سعد. وقال نوح بن عبَّاد القرشي البصري: ما رأيت أحدًا كان أخشى لله منه. وقال أبو حاتم الرازي: صدوق عابد، شبهته بالقعنبي. انظر تهذيب الكمال (٦٤٢٩).

(٢) الإهاب: هو الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ، لسان العرب (١/ ٢١٧).

(٣) رواه أحمد، والدارمي، وابن الضُّريس، والبيهقي في شعب الإيمان، والطبراني في الكبير، كلهم عن عقبة بن عامر ط إلا الطبراني، فرواه عن سهل بن سعد ط، ورواه مَرَّةً عن عصمة بن مالك. وفي سنده مشرح بن هاعان المصري، وابن لهيعة. أما مشرح، فالراجح فيه ما قاله عنه ابن حبان في المتروكين (٣/ ٢٨): «كنيته أبو مصعب، عِداده في أهل مصر، يروي عن عقبة بن عامر أحاديث مناكير لا يُتابع عليها... والصواب في أمره: ترك ما انفرد من الروايات، والاعتبار بما وافق الثقات». اهـ

وهذا الحديث مما رفعه ابن لهيعة في آخر عمره بعد أن اختلط- كما في الجامع في العلل للإمام أحمد- ولكنه جاء من طرق متعددة يقوي بعضها بعضًا.

(٤) ويشهد لذلك التأويل: ما ثبت في أحاديث الشفاعة، أن أهل النار من الموحِّدين يحترقون فيها، إلا مواضع السجود من المصلين، مثله مثل القلب الذي وعى القرآن.

وقال البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٦): «قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: سمعت أحمد ابن حنبل، يقول في حديث عقبة بن عامر ط عن النبي ق قال: «لو كان القرآن في إهاب». يعني: في جلدٍ في قلب رجل، يرجى لمن القرآن في قلبه محفوظ أن لا تمسه النار. وعن الحسن بن =



أحمد بن موسى، قال: سمعت أبا عبدالله البوشنجي يقول في معنى قول رسول الله ﷺ: «لو كان القرآن في إهاب؛ ما مسته النار». قال: معناه أن من حمل القرآن وقرأه؛ لم تمسه النار». اهـ

وقد اعترض قومٌ على هذا الحديث، وغمزوه وطعنوا به على المسلمين، فقالوا: «هذا خبر لا نشك في بطلانه؛ لأنا قد نرى المصاحف تحترق وينالها ما ينال غيرها من العروض والكتب».

فردَّ عليهم ابن قتيبة هذا الاعتراض كما في تأويل مختلف الحديث (١/ ٢٠١) فقال: «ونحن نقول: إن لهذا تأويلًا ذهب عليهم ولم يعرفوه، وأنا مبينه إن شاء الله تعالى: حدثني يزيد بن عمرو، قال: سألت الأصمعي عن هذا الحديث، فقال: يعني لو جعل القرآن في إنسان، ثم أُلقي في النار ما احترق، وأراد الأصمعي أن من علَّمه الله تعالى القرآن من المسلمين وحفظه إياه؛ لم تحرقه النار يوم القيامة إن ألقي فيها بالذنوب، كما قال أبو أمامة ﷺ: «احفظوا القرآن أو اقرؤا القرآن، ولا تغرنكم هذه المصاحف، فإن الله تعالى لا يعذب بالنار قلبًا وعى القرآن». وجعل الجسم ظرفًا للقرآن كالإهاب، والإهاب: الجلد الذي لم يُدبغ، ولو كان الإهاب يجوز أن يكون مدبوغًا، ما جاز أن يجعله كناية عن الجسم... وفيه قول آخر، قال بعضهم: كان هذا في عصر النبي ﷺ علمًا للنبوة ودليلًا على أن القرآن كلام الله تعالى ومن عنده نزل، أبانه الله تعالى بهذه الآية في وقتٍ من تلك الأوقات، وعند طعن المشركين فيه، ثم زال ذلك بعد النبي ﷺ، كما تكون الآيات في عصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، من ميت يحيى، وذئب يتكلم، وبعير يشكو، ومقبور تلفظه الأرض، ثم يعدم ذلك بعدهم. وفيه قول آخر، وهو أن يرد المعنى في قوله: «ما احترق» إلى القرآن، لا إلى الإهاب. يريد أنه إن كتب القرآن في جلد، ثم أُلقي في النار احترق الجلد والمداد، ولم يحترق القرآن، كأن الله يرفعه منه ويصونه عن النار، ولسنا نشك في أن القرآن في المصاحف على الحقيقة، لا على المجاز، كما يقول أصحاب الكلام: «إن الذي في المصحف دليل على القرآن وليس به»، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ - فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ - لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾. اهـ

وقال أبو بكر ابن الأنباري: «معناه: أن النار لا تبطله ولا تقلعه من الأسماع التي وعته، والأفهام التي حصلته، كقوله في الحديث الآخر: «أنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء». أي: لا يبطله ولا يقلعه من أوعيته الطيبة ومواضعه؛ لأنه وإن غسله الماء في الظاهر لا يغسله بالقلع من القلوب». اهـ

=

وعند تحقيق المسألة نجد أن المعنى المختار مرده إلى الوعي والعمل بالقرآن- كما قال أبو عبيد- أي: إذا حفظ حدوده وعمل بموجبه، وإلا كان كما قال أبو عبدالرحمن عبدالله بن يزيد العدوي كما في مسند أبي يعلى (٣/ ٢٨٤): «أن من جمع القرآن، ثم دخل النار؛ فهو شر من خنزير». اهـ

يدلُّ لذلك ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وابن الضُّريس في فضائل القرآن بإسناد حسن، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ق قال: «يُمَثَّلُ القرآن يوم القيامة رجلًا، فيؤتى بالرجلِ قد حمله، فخالف أمره، فيتمثَّل له خصمًا، فيقول: يا ربِّ! حمَّلتَه إيَّاي فشَرُّ حاملٍ: تعدَّى حدودي، وضيَّع فرائضي، وركب معصيتي، وترك طاعتي، فما يزال يقذف عليه بالحُجج حتى يقال: شأنك به، فيأخذ بيده، فما يرسله حتى يكبَّه على مِنخرِه في النار، ويُؤتى بالرجل الصالح كان قد حمله، وحفظ أمره، فيمتثل خصمًا دونه، فيقول: يا رب! حمَّلتَه إيَّاي، فخير حاملٍ: حفظ حدودي، وعمل بفرائضي، واجتنب معصيتي، واتَّبع طاعتي، فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقال: شأنك به، فيأخذه بيده، فما يرسله حتى يُلبِسه حلَّة الإستبرق، ويعقد عليه تاج المُلك، ويسقيه كأس الخمر».

وليس كل من حفظ القرآن لا تمسّه النار، فقد يوجد من المنافقين والظالمين من يقرأ القرآن، كما جاء في جامع أبي عيسى الترمذي عن أبي هريرة ط قال: «حدثني رسول الله ق: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب! قال: فماذا عَمِلت فيما عُلِّمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: إن فلانًا قارئ؛ فقد قيل ذاك».

وقد رُوي: «النار إلى فسقة القرآن أقرب منها إلى عبدة الأوثان».

وفي الحديث الآخر: «أكثر منافقي أمتي: قراؤها». رواه ابن المبارك في الزهد، وأحمد في مسنده، والبخاري في خلق أفعال العباد.

ومن اللَّطيف أن هذا الحديث الأخير جاء أيضًا من طريق عبدالله بن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر- كما في مسند أحمد- مثل حديث الباب.

=

١٣ – حدثنا محمد بن كثير، عن عبدالله بن واقد

عن قتادة، قال:

«ما جالس أحد القرآن إلا فارقه بزيادة أو نقصان».

قـال: ثـم قـرأ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء:٨٢][(١)].

أما أهل العلم والإيمان، فهم أسعد الناس بهذا الحديث؛ قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾. وهم أصحاب محمد ﷺ والمؤمنون به يحفظونه ويقرءونه، ووصفهم بالعلم؛ لأنهم يعملون به؛ كما في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾. فبدأ بالعمل، وختم بالعلم.

وعدم التحريق الوارد في هذا الحديث، مُفَسَّرٌ بما جاء عن النبي ﷺ في الحديث الآخر، الذي أخرجه الطبراني في الصغير عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قرأ القرآن، يقوم به آناء الليل والنهار، يحل حلاله ويحرم حرامه؛ حرَّم الله لحمه ودمه على النار، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، حتى إذا كان يوم القيامة، كان القرآن حجة له».

(١) ونقلها أهل التفسير عن الحسن، بقوله: «والله ما جالس القرآنَ أحدٌ؛ إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾.

وحكاه ابن رجب في جامع العلوم والحكم عن بعض السَّلف.

وهو كذلك مروي عن أويس القرني؛ أخرجه عنه الحاكم في مستدركه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما جالس أحدٌ القرآنَ، فقام سالمًا».

وفي الزهد للإمام أحمد (١/ ٤٤٦) والحلية لأبي نعيم (٢/ ٣٥٨) عن مالك بن دينار، قال: «يا حملة القرآن! ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض، فإن الله ينزل الغيث من السماء إلى الأرض؛ فيصيب الحش، فتكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن

=



تهتز وتخضر وتحسن، فيا حملة القرآن! ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟». اهـ

وقال الآجري في أخلاق حملة القرآن (١/ ٨٥) عن قتادة في قول الله عَزَّوَجَلَّ: «وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ». قال: «البلد الطيب: المؤمن سمع كتاب الله، فوعاه وأخذ به وانتفع به؛ كمثل هذه الأرض أصابها الغيث، فأنبتت وأمرعت، «وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا». أي: إلا عسرا، فهذا مثل الكافر قد سمع القرآن، فلم يعقله، ولم يأخذ به، ولم ينتفع به، كمثل هذه الأرض الخبيثة أصابها الغيث، فلم تنبت شيئًا، ولم تمرع شيئًا». اهـ

ونظائر هذه الآية كثيرة، منها:

قوله: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى».

وقال تعالى: «وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ - وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ».

وقوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ».

وقوله: «أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ».

وقوله: «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا».

وقوله تعالى: «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا».

وقوله: «وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا».

وفي مسند أحمد، وصحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري ط أن رسول الله ق كان يقول: «القرآنُ حجةٌ لك أو عليك».

وفي الزهد أحمد عن مالك بن دينار، قال: «أُقسم لكم: لا يؤمن عبد بهذا القرآن، إلا صدع قلبه».

وفي أخلاق حملة القرآن للآجري (١/ ٢١) عن عطاء قال: «إنما القرآنُ عِبَرٌ، إنما القرآنُ عِبَرٌ». اهـ

وقال غير واحد من السَّلف: «لا يجد طعم القرآن، إلا من آمن به».

وفي صحيح مسلم عن عمر ط قال: أمَا إن نبيكم ق قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين».

=



١٤ – حدثنا النضر بن إسماعيل، عن الأعمش، عن خيثمة بن عبدالرحمن

عن عبدالله بن مسعود ط، قال:

«عليكم بالشفاءين: القرآن، والعسل»[١].

١٥ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن واصل الأحدب

عن إبراهيم[٢]، قال:

مرَّت امرأة على عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقالت: طُوبى لحجرٍ[١] حملك، ولثديين رضعت منهما! فقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «طوبى لمن قرأ كتاب الله، ثم اتبع ما فيه»[٢].

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن ابن مسعود ط قال: «القرآن شافع مُشفَّع وماحِلٌ مصدَّق، فمن جعله أمامه؛ قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره؛ قاده إلى النار».

وفي تفسير سعيد بن منصور، وسنن الدارمي عن أبي موسى الأشعري ط قال: «إن هذا القرآن كائن لكم أجرًا، وكائن عليكم وزرًا، فاتبعوا القرآن، ولا يتَّبعكم القرآن، فإنه منِ اتَّبع القرآنَ هبط به على رياضِ الجنة، ومن اتَّبعه القرآنُ، زخَّ في قفاه، فقذفه في النار». يَزُخُّ: يدفع.

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٨١) عن مجاهد في قوله تعالى: « وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ». قال: «هم الذين يجيئون بالقرآن، ويقولون: هذا الذي أعطيتمونا قد اتبعنا ما فيه». وقال: «إن القرآن يقول: إني معك ما اتبعتني، فإذا لم تتبعني اتبعتك». اهـ

(١) لأن الله سمى كلًا منهما في كتابه شفاءً، وقد عقد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابًا آخر سماه: «باب: الاسترقاء بالقرآن، وما يُكتب منه ويُتعلق للاستشفاء به». فراجعه، ففيه فوائد.

(٢) هو: النخعي.

١٦ – حدثنا مصعب بن المقدام

عن موسى بن عبيدة الرَّبَذِي، قال:

سمعت محمد بن كعب القُرَظي، يقـول في قـول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: @ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ ! [آل عمران:١٩٣].

قال: «هو القرآن، ليس كلهم رأى النبي ق »(٣).

١٧ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن منصور

---

(١) الحجر – بالفتح والكسر –: يطلق على الثوب والحِضْن والبطن. انظر: لسان العرب.

(٢) وفي الزهد لأحمد بن حنبل (ص١٤٣) قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «طوبى لمن علَّمه الله عزَّ وجلَّ كتابه، ثم لم يَمُتْ جبَّارًا». وفي لفظ: «جبانًا».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٤٣).

وقد اختلف أهل التفسير في المنادي على قولين:

أحدهما: أنه محمد ق ، وهو قول ابن مسعود، وابن عباس م ، وأكثر المفسرين؛ والدليل عليه قوله تعالى في سورة النحل: « ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ». وقوله في الأحزاب: « وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ». وقوله في يوسف: «أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ». وعن ابن جريج: «سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ ». قال: «هو محمد ق ».

والثاني: أنه القرآن، وهو قول قتادة، ومحمد بن كعب؛ والدليل ما قصَّه الله علينا بشأن مؤمني الجن، وهنا مؤمنو الإنس قد قالوا مثلهم.

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٤٣) عن قتادة في قوله: « رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ ». قال: «سمعوا دعوة من الله؛ فأجابوها وأحسنوا – وفي رواية: واحتسبوا – فيها وصبروا عليها، ينبئكم الله عن مؤمن الإنس كيف قال، وعن مؤمن الجنِّ كيف قال، فأما مؤمن الجنِّ، فقال: «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا – يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا»، وأما مؤمن الإنس، فقال: «إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ». اهـ



عن هلال بن يساف، في قوله تعالى: @قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ! [يونس:٥٨].

قال: «الإسلام»، @وَبِرَحۡمَتِهِۦ! قال: «القرآن»[(١)].

(١) اختلفت عبارات السَّلف في تفسير هذه الآية اختلاف تنوع لا تضاد، فمن ذلك:

قال ابن عباس م، وأبو التياح، والحسن، وقتادة، وهلال بن يساف: «فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن». وفي رواية قال هلال بن يساف: «بالإسلام الذي هداكم، وبالقرآن الذي علمكم».

وروى ابن جرير، والبيهقي عن الضحاك، وزيد بن أسلم: «فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام».

وقال أبو سعيد الخدري: «الفضل: القرآن، والرحمة: أن جعلهم من أهله»، وهكذا قال ابن عباس م كما في الجامع لابن وهب، وسيأتي في المتن.

وقال ابن عباس م فيما أخرجه أبو الشيخ عنه: «فضل الله: العلم، ورحمته: محمد ق؛ قال الله تعالى: وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ».

وقال ابن عمر م: «الفضل: الإسلام، والرحمة: تزيينه في القلوب».

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير عن مجاهد، قال: «الفضل والرحمة: القرآن»، واختاره الزَّجاج.

وقال سفيان بن عيينة: «الفضل: التوفيق، والرحمة: العصمة». اهـ

ولا مانع من أن تفسر الآية بجميع ما قيل؛ إذ لا تنافي بينهم.

وأخرج أبو القاسم بن بشران في أماليه، عن أنس ط قال: قال رسول الله ق: «من هداه الله للإسلام، وعلَّمه القرآن، ثم شكا الفاقة؛ كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه، ثم تلا النبي ق: «قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ»، من عرض الدنيا من الأموال». اهـ

وروى ابن أبي حاتم، والطبراني عن أيفع الكلاعي، قال: «لما قدم خراج العراق إلى عمر ط خرج عمر ومولى له، فجعل يعد الإبل، فإذا هو أكثر من ذلك، فجعل عمر ط يقول: الحمد لله، وجعل مولاه يقول: هذا والله من فضل الله ورحمته؛ فقال عمر ط كذبت، ليس هذا الذي يقول الله فيه: «قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ»، بل هذا مما تجمعون.

وروى ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير في قوله: «وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا». قال: العبادة ليست من أمر الدنيا». اهـ

=



١٨ – حدثنا الحسين بن الحسن بن عطية، عن أبيه، عن جده عطية العَوفي

عن ابن عباس ، في قوله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [يونس:٥٨].

قال: «القرآن»، ﴿وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ قال: «أن جعلكم من أهله»[1].

أي أن فضل الله الذي أُمِرَ العبدُ بسؤاله في الآية هي عبادة الله.

وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٢/ ٢٥٢) عن ابن أبي الحواري، قال: «أتينا فضيل ابن عياض سنة خمس وثمانين ومئة ونحن جماعة، فوقفنا على الباب فلم يأذن لنا بالدخول، فقال بعض القوم: إن كان خارجًا لشيء، فسيخرج لتلاوة القرآن، فأمرنا قارئًا فقرأ، فاطلع علينا من كوة، فقلنا: السلام عليك ورحمة الله، فقال: وعليكم السلام ورحمة الله، فقلنا: كيف أنت يا أبا علي! وكيف حالك؟ فقال: أنا من الله في عافية، ومنكم في أذى، وإن ما أنتم فيه حَدَثٌ في الإسلام! فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما هكذا كنا نطلب العلم، ولكنا كنا نأتي المشيخة، فلا نرى أنفسنا أهلًا للجلوس معهم، فنجلس، فإذا مرَّ الحديث سألناهم إعادته وقيدناه، وأنتم تطلبون العلم بالجهل، وقد ضيعتم كتاب الله، ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون، قال: قلنا: قد تعلمنا القرآن! قال: إن في تعلمكم القرآن شغلًا لأعماركم وأعمار أولادكم، قلنا: كيف يا أبا علي! قال: لن تعلموا القرآن، حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه، فإذا عرفتم ذلك؛ استغنيتم عن كلام فضيل، وابن عيينة، ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ – قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ». وهذا مما يجمعون». اهـ

(١) وكذلك فسَّره أبو سعيد الخدري ، كما رواه عنه ابن أبي حاتم، وابن جرير.

وروى أحمد في مسنده عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله : «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقلت: أسماني لك؟! قال: نعم. قيل لأُبي : أفرحت بذلك قال: وما يمنعني، والله تعالى يقول: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما تجمعون». هكذا قرأها بالتاء.

وفرح أُبي لأنه صار من أهل القرآن؛ الذين هم أهل الله وخاصته.

١٩ - حدثنا حجاج

عن ابن جريج، في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:١٠٥].

قال: «القرآن والإسلام»(١).

وفي قوله: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة:٢٠٩].

قال: «الإسلام والقرآن»(٢).

---

(١) قال ابن جرير (٦/ ٥١٧): «أما رحمته في هذا الموضع: فالإسلام والقرآن مع النبوة».

وفي تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٢) عن مجاهد في قوله: «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ». قال: «النبوة». وروى عن الربيع بن أنس مثل ذلك.

وعن الحسن: «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ». قال: «رحمته: الإسلام يختص بها من يشاء». اهـ

وفي تفسير الطبري عن ابن جريج: «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ». قال: «القرآن والإسلام». اهـ

والدليل على أن الإسلام: رحمة، ما ذكره الله في سورة الشورى: «يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ». وقال تعالى في سورة الإنسان: «يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا». يعني: في دينه الإسلام.

وفي تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١٧٧): «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ». يعني: بتوبته. اهـ

(٢) في تفسير: «ٱلْبَيِّنَٰتُ». أربعة أقوال:

أحدها: أنها عامة حجج الله ودلائله.

والثاني: محمد ﷺ.

والثالث: القرآن.

والرابع: الإسلام.

=



٢٠ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج

عن مجاهد، في قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ – فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ – لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩].

قال: «الملائكة»[(١)].

والزلل: هو الشِّرك، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) وفي صحيح البخاري، عن أبي رزين في قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾. قال: «لا يجد طعمه ونفعه، إلا من آمن بالقرآن».

وفي تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾. قال: «الكتاب الذي في السماء».

وعن مجاهد، في قوله: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾. قال: «القرآن في كتابه المكنون، الذي لا يمسه شيء من تراب ولا غبار».

وعن الضحاك في قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾. قال: «زعموا أن الشياطين تنزلت به على محمد ﷺ، فأخبرهم الله أنها لا تقدر على ذلك، ولا تستطيعه، ما ينبغي لهم أن ينزلوا بهذا، وهو محجوب عنهم، وقرأ قول الله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ – وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ – إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾».

وعن جابر بن زيد وأبي نهيك، في قوله: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾. قالا: «هو كتابٌ في السماء». وقوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾. يقول تعالى ذكره: «لا يمسّ ذلك الكتاب المكنون إلا الذين قد طهَّرهم الله من الذنوب». وهم الملائكة.

فالصواب أن الكتاب المكنون، هو الكتاب أو الصحف التي بأيدي الملائكة، بدليل قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾، فهو بأيديهم يمسونه، واللوح المحفوظ لا تناله الملائكة في وقت، ولا تصل إليه بحال.

=





قال مالك في الموطأ (١/ ٩١): «أحسن ما سمعت في هـذه الآيـة: « لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ». أنها بمنزلة الآية التي في: «عبس وتـولى»، قـال الله تعـالى: «كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ - فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ - فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ - مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ - بِأَيْدِى سَفَرَةٍ - كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ». اهـ

وقال البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ١٨٥): «قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سـنن حرملـة: قـال الله عَزَّوَجَلَّ: « لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ »، فاختلف فيها بعض أهل التفسير؛ فقـال بعـضهم: فـرضٌ لا يمسه إلا مطهر، يعني: متطهر تجوز له الصلاة... قال الشافعي: وهذا المعنى تحتمله الآية». اهـ

وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٢١٨): «ولهذا استنبط العلماء من هاتين الآيتين- آية الواقعة، وآيـة عَبَسَ-: أن المُحْدِثَ لا يمس المـصحف- كما ورد بـه الحـديث إن صـح- لأن الملائكـة يعظمـون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى، لأنه نزل علـيهم، وخطابه متوجه إليهم، فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم، والانقياد له بالقبول والتسليم». اهـ

والحديث الذي أشار إليه ابن كثير وعلَّقه على الصحة، هو حديث عمرو بن حـزم، وفيـه: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر». وهذا الحديث قد صححه جمهـور المحـدثين، وانعقـد الإجمـاع عـلى تلقيـه والعمل بما فيه، وسيأتي لذلك مزيد بيان عند الأثر رقم: (٧٥٤).



باب: فضل قراءة القرآن والاستماع إليه

٢١ – حدثنا عمر بن عبيد الطنافسي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن أبي الأحوص

عن عبدالله بن مسعود ط، قال:

«تعلموا القرآن واتلوه، فإنكم تؤجرون فيه بكل حرف عشر حسنات. أما إني لا أقول: «الٓمٓ» ، ولكن ألف ولام وميم»(١).

حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء، أن عاصم بن بهدلة، أخبره عن أبي الأحوص

عن عبدالله بن مسعود ط، مثل ذلك إلا أنه قال:

«ألف ولام وميم ثلاثون حسنة»(٢).

---

(١) رواه الترمذي مرفوعًا بلفظ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله؛ فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (الٓمٓ) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». ثم قال: رفعه بعضهم، ووقفه بعضهم عن ابن مسعود. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه». اهـ

(٢) رواه عبدالرزاق في مصنفه، والبيهقي في شعب الإيمان.

وروى ابن أبي شيبة عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: قال رسول الله ق : «من قرأ حرفًا من كتاب الله؛ كتب له حسنة، لا أقول: «الٓمٓ»، ولكن الحروف مقطعة، الألف، واللام، والميم».

=



حدثنا حجاج، عن شعبة، عن عطاء بن السائب، عن أبي الأحوص، عن عبدالله، مثل ذلك.

٢٢ – حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش

عن أبي وائل، قال: قيل لعبدالله ط: إنك لتُقِلُّ الصوم؟

قال: «إنه يضعفني عن قراءة القرآن، وقراءة القرآن أحبُّ إليَّ منه»[(١)].

وفيه عن عبدالله بن مسعود ط قال: «من قرأ القرآن يبتغي به وجه الله؛ كان له بكل حرف عشر حسنات، ومحو عشر سيئات».

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عوف بن مالك الأشجعي ط، قال: قال رسول الله ق: «من قرأ حرفًا من القرآن؛ كتب الله له حسنة، لا أقول: «بِسْمِ» ولكن باء، وسين، وميم، ولا أقول: «الٓمٓ» ولكن الألف، واللام، والميم». قال البيهقي: «وهذا إن صح إسناده، فإنما أراد حسنة مضاعفة».

وفي كتاب الوجيز في ذكر المجاز والمجيز لأبي طاهر السِّلفي، عن أنس ط أنه كان يحدث عن النبي ق قال: «من قرأ حرفًا من القرآن؛ كتب الله له عشر حسنات بالباء والتاء والثاء».

وعن ابن عمر م، قال: «إذا فرغ الرجل من حاجته ثم رجع إلى أهله، ليأت المصحف فليفتحه، فليقرأ فيه، فإن الله سيكتب له بكل حرف عشر حسنات، أما أني لا أقول: «الٓمٓ»، ولكن الألف عشر، واللام عشر، والميم عشر». ذكره صاحب الدر المنثور، وعزاه لابن أبي داود في المصاحف، وأبي نصر السجزي.

__فائدة:__ قال ابن أبي داود في كتاب المصاحف (١/ ٢٨٢): «جميع حروف القرآن: ثلاثمئة ألف حرف، واحد وعشرون ألف حرف، ومئتا حرف، وخمسون حرفًا- أي: (٣٢١٢٥٠) حرفًا-».

(١) كان ابن مسعود ط يُفضِّل قراءة القرآن على ما سواه من أعمال التطوع؛ وقد روى الطبراني في الكبير (٨٨٦٩) عن عبدالرحمن بن يزيد، عن عبدالله ط أنه كان لا يكاد أن يصوم، فقال: إني
=



٢٣ - حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال:

قال ابن عباس م:

«من سمع آية من كتاب الله تتلى؛ كانت له نورًا يوم القيامة»[(١)].

إذا صمتُ ضعفتُ عن الصلاة، والصلاة أحبُّ إليَّ من الصيام. قال: فإن صام، صام ثلاثًا من الشهر».

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن منصور، قال: قال عبدالله: «لو أن رجلًا بات يحمل على الجياد في سبيل الله، وبات رجل يتلو كتاب الله، لكان ذاكر الله أفضلهما».

وقد وردت آثار كثيرة عن الصحابة والتابعين تدل على أفضلية القرآن على غيره من أنواع التطوع:

فمن ذلك ما رواه ابن أبي شيبة، عن عبدالله بن عمرو م: «لو بات رجل ينفق دينارًا دينارًا ودرهمًا درهمًا، ويحمل على الجياد في سبيل الله، وبات رجل يتلو كتاب الله حتى يصبح متقبَّلًا منه- أو قال:- أو بتُّ أتلو كتاب الله حتى أصبح متقبَّلًا مني، لم أحبَّ أن لي عمله بعملي».

وروى أحمد في الزهد (١/ ٢٢١) عن سلمان ط قال: «لو بات رجل يطاعن الأقران، لكان الذاكر التالي أفضل».

وروى عنه ابن أبي شيبة، قال: «لو بات رجل يُعطي القيان البيض، وبات آخر يقرأ القرآن أو يذكر الله، لرأيت أن ذاكر الله أفضل». والمراد بالقيان: الإماء.

وفي حلية الأولياء (٨/ ٢٨٣) عن أبي عبدالرحمن عبدالله العُمَري، قال: «أكثر قراءتك القرآن؛ فإنه يقودك إلى الجنة».

(١) رواه عبدالرزاق، ومن طريقه الدارمي، دون كلمة: «تتلى».

وقال عبدالرزاق: «أخبرنا ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس م بلفظ: «من استمع إلى آية...». وهذا أفضل في المعنى؛ لأن معنى: «استمع». أي: أصغى إليها وأدركها بسمعه، وليس مجرد السماع، فإن الاستماع من السمع، بمنزلة النظر من الرؤية.

=

٢٤ - حدثنا عبدالله بن صباح، ويحيى بن بكير، عن الليث بن سعد، عن يزيد بن عبدالله بـن أسامة بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي

عن أُسيد بن حُضير[(١)]، قال:

وروى أحمد في مسنده، وسعيد بن منصور في تفسيره عن أبي هريرة ط أن رسـول الله ق قـال: «من استمع إلى آية من كتاب الله؛ كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نورًا يوم القيامـة». وفي إسناده مقال.

وقال عبدالله بن أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٥٦٦٠): «حدثني أبي، قال: أخبرنا عبـدالرزاق، أخبرنا ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس م، قال: «من سمع، أو اسـتمع آيـة مـن كتـاب الله؛ كانت له نورًا يوم القيامة». قال أبي: هذا الحديث منكر - كأنه أنكر إسناده-». اهـ

وعلَّة النَّكارة - والله أعلم - الانقطاع بين ابن جريج، وابن عباس م - كـما في روايـة أبي عبيـد - وكذلك عدم التصريح بالسماع - كما في رواية عبدالرزاق-.

وقد قال الأثرم عن أحمد: «إذا قال ابن جريج: قال فلان، وقال فلان، وأُخـبرت؛ جـاء بمنـاكير. وإذا قال: أخبرني، وسمعت؛ فحسبك به».

قال يحيى بن سعيد: «كان ابن جريج صدوقًا، فإذا قال: حدثني؛ فهو سـماع. وإذا قـال: أخـبرني؛ فهو قراءة. وإذا قال: قال؛ فهو شبه الريح».

(١) هو: أُسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيـد بـن عبدالأشـهل، ويكنى: أبا يحيى. توفي سنة عشرين. وكان رجلًا ضاحكًا مليحًا. وقـد قـال عنـه النبـي ق : «نِعْـم الرجل: أُسيد بن حضير». وانظر ترجمةً مفصلة له في المستدرك للحاكم (٣/ ٢٨٥).

ومن أقواله ط: ما رواه الحاكم عن عائشة ك قالت: «كان أسيد بن حضير من أفاضل الناس، وكان يقول: لو أني أكون كما أكون على أحوال ثلاث من أحوالي، لكنت من أهل الجنة وما شـككت في ذلك: حين أقرأ القرآن وحين أسمعه يُقـرأ، وإذا سـمعت خطبـة رسـول الله ق، وإذا شـهدت جنازة، وما شهدت جنازة قط فحدثت نفسي بسوى ما هو مفعول بها، وما هي صائرة إليه».



بينا هو يقرأ من القرآن بسورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت[(١)] الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت، فانصرف إلى ابنه يحيى، وكان قريبًا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجترَّه[(٢)]، رفع رأسه إلى السماء، فإذا هو بمثل الظُّلة[(٣)]، فيها أمثال المصابيح[(٤)] عرجت إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث رسول الله ﷺ بذلك، فقال رسول الله ﷺ: «أتدري ما ذاك؟».

---

(١) جالَ واجْتال: إذا ذهب وجاء؛ ومنه الجَوَلان في الحرب. واجْتال الشيءَ إذا ذهب به وساقه. والجائل: الزائل عن مكانه. انظر: لسان العرب (١١/ ١٣١). والمعنى أنها هاجت واضطربت.

(٢) الاجترار: السَّحْب. والمعنى: أنه اجتر ولده من المكان الذي هو فيه، حتى لا تطأه الفرس.

(٣) أي: السَّحابة.

(٤) وهذا من الأدلة التي استدل بها علماء أهل السُّنة على إثبات الكرامات لأولياء الله المؤمنين- خلافًا للمعتزلة- كما هو صنيع اللالكائي في السُّنة، حيث روى هذا الحديث في سياق ما شوهد في أيام النبي ﷺ من أصحابه من كرامات أسيد بن حضير، وعبَّاد بن بشر.

وكرامات الصحابة والتابعين وسائر الصالحين كثيرة جدًا: مثل ما كانت الملائكة تُسلم على عمران بن حصين؛ وكان سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما يأكلان في صحفة؛ فسبَّحت الصحفة أو سبَّح ما فيها. وكان مطرف بن عبدالله بن الشخير إذا دخل بيته سبَّحت معه آنيته، وكان هو وصاحبٌ له يسيران في ظلمة؛ فأضاء لهما طرف السوط. وغيرها كثير.

وليست هذه هي المرة الوحيدة التي أكرم الله فيها أُسيدًا برؤية النور؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد، حتى أتى أهله».

=

قال: لا يا رسول الله! قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك[(١)]، ولو قرأتَ لأصبحتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم»[(٢)].

قال ابن الهاد: وحدثني عبدالله بن خباب، عن أبي سعيد الخدري، عن أسيد بن حضير بهذا الحديث.

قال أبو عبيد: وحدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن ابن شهاب، عن ابن كعب بن مالك

عن أسيد بن حضير:

أنه كان على ظهر بيته يقرأ القرآن، وهو حسن الصوت، ثم ذكر مثل هذا الحديث.

وحدثنا قبيصة بن عقبة، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى

عن أسيد بن حضير مثل هذا، قال:

وفي رواية، قال: «كان أسيد بن حضير، وعبَّاد بن بشر عند النبي ﷺ فخرجا في ليلة مظلمة، فإذا نور بين أيديهما...» وذكر نحوه. أخرجه البخاري.

(١) وفي هذا دليل على نزول السَّكينة- وهي الملائكة- لقراءة القرآن، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا تنزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». رواه مسلم.

والأصل في ذلك قوله: «وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا». وفي التفسير: أن الملائكة تشهده.

ومن فوائده أن الملائكة تحب أن تسمع القرآن من بني آدم، لاسيما قراءة من حسَّن صوته بالقرآن واستغنى به عن غيره، وكان أسيد بن حضير رضي الله عنه حسن الصوت بالقرآن.

(٢) رواه أحمد، ومسلم، والبخاري معلَّقًا. ومعنى: «ولو قرأت». أي: استمررت في قراءتك.



قلت: يا رسول الله، بينا أنا أقرأ البارحة بسورة[١]، فلما انتهيت إلى آخرها سمعت رجَّة[٢] من خلفي حتى ظننت أن فرسي تُطْلق[٣]، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ أبا عَتيك» مرتين، قال: فالتفتُّ إلى أمثال المصابيح، ملء ما بين السماء والأرض، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ أبا عتيك». فقال: والله ما استطعت أن أمضي. فقال: «تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن، أما إنك لو مضيتَ لرأيت الأعاجيب»[٤].

٢٥ - حدثنا عباد بن عباد، عن جرير بن حازم

عن عمه جرير بن زيد:

أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله ﷺ قيل له: ألم تر ثابت ابن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر[٥] مصابيح؟ قال: «فلعلَّه قرأ بسورة البقرة». قال: فسئل ثابت، فقال: قرأت سورة البقرة[٦].

---

(١) إما أن تكون سورة البقرة، كما في الرواية السابقة. أو سورة الكهف، كما في رواية الصحيحين.

(٢) رجَّة: من الرَّج، وهو الحركة الشَّديدة.

وفي لسان العرب (٢/ ٢٨١): «الرَّجُّ: التحريك؛ رَجَّهُ يَرُجُّهُ رَجًّا: حرّكه وزلزله فارتج».

(٣) الطالِقُ من الخيل أو الإِبل: التي طُلِقت في المرعى، وقيل: هي التي لا قَيْد عليها. انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٢٦). وتطلق على طلق الولادة. وفي رواية للحديث: تنفر. وفي أخرى: تركض.

(٤) رواه الفريابي في فضائل القرآن، والحاكم في المستدرك، وابن حبان في صحيحه.

(٥) أي: تضيء وتنير.

(٦) لم أجده بهذا السياق عند غير المؤلف، وعلَّق عليه ابن كثير في التفسير (١/ ٤٦) قائلًا: «وهذا إسناد جيد، إلا أن فيه إبهامًا، ثم هو مرسل، والله أعلم». اهـ

=





وروى البيهقي في شعب الإيمان، عن عائشة ك قالت: قال رسول الله ق : «البيت الذي يقرأ فيه القرآن؛ يتراءى لأهل السماء، كما تتراءى النجوم لأهل الأرض».

ويشهد له ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٠٢٥) عن ابن سابط – هو: عبدالرحمن الجمحي، من التابعين – قال: «إن البيوت التي يُقرأ فيها القرآن لتضيء لأهل السماء كما تضيء السماء لأهل الأرض».

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن عبدالله بن مسعود ط، قال: «البيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن كمثل البيت الخرب الذي لا عامر له».

وعن ابن سيرين، قال: «البيت الذي يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة، وتخرج منه الشياطين، ويتسع بأهله، ويكثر خيره، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن تحضره الشياطين، وتخرج منه الملائكة، ويضيق بأهله، ويقل خيره».

وعن أبي الأحوص، قال: سمعت عبدالله بن مسعود ط يقول: «إن أصفر البيوت الذي صَفِر من كتاب الله».

وروى الدارمي في مسنده عن أبي هريرة ط، أنه كان يقول: «إن البيت ليتسع على أهله، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره أن يقرأ فيه القرآن، وإن البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيره أن لا يقرأ فيه القرآن».

باب: فضل الحض على القرآن والإيصاء به وإيثاره على ما سواه

٢٦ - حدثنا عبدالغفار بن داود الحراني، عن عبدالله بن لهيعة، عن عمرو بن الحارث، عن يحيى بن ميمون

أن وداعة الغافقي[(١)]، حدثه: أنه كان بجنب مالك بن عُبادة الغافقي ط[(٢)]، وعقبة بن عامر يقول: قال رسول الله ق ...[(٣)]، فقال مالك: إن صاحبكم لعاقل[(٤)] أو هالك، إن رسول الله ق عهد إلينا في حجة

---

(١) هو وداعة الحميدي، وقيل: الحَمْدِي. لم أجد له ترجمة وافية فيما اطلعت عليه من المصادر، غير أنه كان قاضيًا لأهل مصر، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/ ٤٩) وقال: «قال أبي: روى عن أبي موسى الغافقي مالك بن عبادة، وروى عنه يحيى بن ميمون الحضرمي». اهـ

وفي تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٢٦٩) قال أبو زرعة: «فسألت أحمد بن صالح عن وداعة الحَمْدِي هذا؟ فذكر أنه رجل معروف، يكنى: أبا حميد، روى عن فضالة بن عبيد». اهـ

(٢) صحابي، يكنى: أبا موسى، سكن مصر، روى عنه ثعلبة بن أبي الكنود، ووداعة الحميدي.

قال ابن الأثير في أسد الغابة (٥/ ٣٠): «غافِق: هو ابن العاص بن عمرو بن مازن بن الأزد بن الغَوْث. مصري، وقيل: شامي، له صحبة. ومات سنة ثمان وخمسين».

وقال في موضع آخر من نفس الكتاب (٦/ ٣٢٤): «اسمه: مالك بن عبادة. وقيل: مالك بن عبدالله. وقيل: عبدالله بن مالك». اهـ

(٣) وفي الكبير للطبراني، والكامل لابن عدي، قال: «وعقبة بن عامر يَقُصُّ»، وفي رواية: «يُحَدِّث».

(٤) هكذا في الأصل، وفي بعض المصادر: «لغافل»، وعند أحمد في المسند: «لحافظ».



الوداع فقال: «عليكم بالقرآن[(١)]؛ فإنكم سترجعون إلى قوم يشتهون الحديث عني، فمن عقل شيئًا فليُحَدِّث به، ومن قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ بيتًا- أو قال: مقعدًا- من جهنم[(٢)]». قال: لا أدري، أيهما قال؟[(٣)].

---

(١) وفي تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٢٦٩) عن السائب بن يزيد: «أنه سمع عمر ﷺ يقول: إن حديثكم شر الحديث، إن كلامكم شر الكلام، فإنكم قد حدثتم الناس، حتى قيل: قال فلان، وقال فلان، ويترك كتاب الله. من كان منكم قائمًا؛ فليقم بكتاب الله، وإلا فليجلس، إن كلامكم شر الكلام، وإن حديثكم شر الحديث».

ما أعظم هذا الأثر العُمَري لمن عقله!!

وفي تاريخ بغداد (١٣/ ٢٦٢) عن محرز بن عون، قال: «سألت فضيل بن عياض عن حديث، فقال لي: وأنت أيضًا منهم؟! عليكم بالقرآن؛ فإنه ينبغي لنا أن لو بلغنا أن حرفًا من كلام ربنا نزل باليمن؛ لذهبنا حتى نسمعه، ولكن وجدتم هذا الأمر أيسر عليكم». اهـ

ولذلك يُخشى من كثرة التحديث؛ إذا زاحم القرآن وصدَّ عنه، يدلُّ لذلك ما رواه الدارمي في مقدمة سننه (١/ ٣٢٨) عن قرظة بن كعب: «أن عمر ﷺ شيَّع الأنصار حين خرجوا من المدينة، فقال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا: لحق الأنصار! قال: إنكم تأتون قومًا تهتز ألسنتهم بالقرآن اهتزاز النخل، فلا تصدوهم بالحديث عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم». قال قرظة: «فما حدثت بشيء، وقد سمعت كما سمع أصحابي».

وقد مكث عمرُ ﷺ يستخير شهرًا كاملًا في تدوين السُّنة، ثم ترك كتابتها؛ كما في مقدمة الدارمي.

(٢) في الأصل كلمة غير واضحة، أشبه ما يكون بـ «حفير». والصواب ما أثبتناه كما في الروايات الأخرى.

(٣) رواه أحمد في المسند، وابن الضُّريس في فضائل القرآن، والحاكم في المستدرك جميعهم بلفظ: «فمن حفظ شيئًا فليحدِّث به».

=

ورواه البخاري في التاريخ الكبير، وأبو زرعة الدمشقي في تاريخه، والطبراني في الكبير جميعهم بلفظ: «فمن عقل شيئًا فليحدث به». وحسَّنه أبو طاهر السِّلفي في كتابه العلم.

وقال الحاكم في المدخل إلى الصحيح (١/ ١٠٦): «قوله: «وسترجعون إلى قوم يحبون الحديث عني». إخبار عن كل ما نحن فيه في زماننا هذا، وإنذار لما أنه كائنٌ في أمته من الدَّجَّالين». اهـ

وقال في المستدرك (١/ ١٩٦): «هذا الحديث قد جمع لفظتين غريبتين:

إحداهما: قوله: «سترجعون إلى قوم يحبون الحديث عني». والأخرى: «فمن حفظ شيئًا؛ فليُحدِّث به». وقد ذهب جماعة من أئمة الإسلام إلى أنه ليس للمُحَدِّث أن يُحَدِّث بما لا يحفظه». اهـ

وبين الحفظ والعقل تلازم، ومن أراد أن يُحدِّث بالمعنى؛ فلابد أن يعقل ما يقول.

والجملة الأخيرة من الحديث، وهي قول: «ومن قال عليَّ ما لم أقل...»، أصله في الصحيحين.

وذكر ابن المحب المقدسي (ت٧٣٧) في عواليه (مخطوط): «أنه أحد الأحاديث المتواترة عن النبي **ق** روي عن قريب من مئة إنسان من الصحابة. ويقال: إنه اجتمع في روايته العشرة المشهود لهم بالجنة، ولا يعرف ذلك في حديث سواه». اهـ

وقوله: «لا أدري أيهما قال؟». تطبيقٌ عمليٌّ من مالك بن عبادة **ط**؛ فيخاف إن وضع كلمة من الحديث مكان الأخرى، أن يشمله هذا الوعيد مع أن المعنى لم يتغير، لكن الوعيد على: «من قال عليَّ ما لم أقل».

ونظيره ما جاء في الصحيحين عن عمرو بن مرة؛ قال: جاء رجل إلى ابن عمر **م**، فقال: ما لك تحج وتعتمر ولا تجاهد؟! قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام رمضان. فأخذهن الرجل يَعدُهن بيده: وصيام رمضان، وحج البيت. فقال ابن عمر: وحج البيت، وصيام رمضان؛ هكذا سمعنا رسول الله **ق**».

وفي حديث أبي إسحاق، عن البراء **ط**: «آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبرسولك الذي أرسلت. قال: لا، ونبيك الذي أرسلت؛ هكذا سمعنا رسول الله **ق**».

ولقد كان الصحابة **ن** من أخوف الناس وأبعدهم عن التحديث عن رسول الله **ق** وكانوا يتوقون ذلك كراهية التحريف، أو الزيادة في الرواية أو النقصان، وخوفًا من دخولهم في هذا الوعيد، ولئلا يشغلوا الناس عن القرآن، والسنة عندهم تفسِّر القرآن.

=



قال مسروق: «ما نسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن شيء إلا وجدناه في كتاب الله، إلا أن رأينا يَقْصر عنه».

قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (١/ ٣٩): «كان كثير من جلِّة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله ﷺ كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبدالمطلب ﭫ يقلون الرواية عنه، بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئًا، كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة». اهـ

وهذا من شدة ورعهم وعظيم فقههم، وإلا فهم أحفظ الناس وأعقلهم لحديث رسول الله ﷺ:

ففي صحيح البخاري عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه، قال: قلت للزبير: «إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان؟ قال: أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: من كذب عليَّ؛ فليتبوأ مقعده من النار».

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك ﭬ أنه قال: «إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثًا كثيرًا؛ أن رسول الله ﷺ قال: من تعمد عليَّ كذبًا؛ فليتبوأ مقعده من النار».

وفي تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٢٦٨) عن أبي عمرو الشيباني، قال: «كنت أجالس ابن مسعود ﭬ سَنة، لا يقول: قال رسول الله ﷺ، فإذا قال: قال رسول الله؛ استقلته الرعدة، ثم يقول: هكذا، أو نحو هذا، أو قريبًا من هذا، أو ما شاء الله».

وعن مجاهد، قال: «صحبت ابن عمر إلى المدينة، فما سمعته يحدث عن النبي ﷺ إلا حديثًا واحدًا».

وعن طاوس، قال: «جاء بُشير بن كعب العدوي إلى ابن عباس ﭭ، فجعل يحدثه، فقال ابن عباس ﭭ: عد لحديث كذا وكذا، فيعيد له الحديث، ثم يحدث بالحديث، فيقول ابن عباس ﭭ: عد لحديث كذا وكذا، فقال بشير: والله ما أدري عرفت حديثي كله، وأنكرت هذا؟ أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا؟ فقال ابن عباس ﭭ: كنا نحدث عن رسول الله ﷺ، إذ لم يكن يُكذب عليه، وإذ لم يُحدِّث عنه إلا الثقات، فلما ركب الناس الصعب والذلول، تركنا الحديث عنه».

وقال حبيب بن عبيد: «كان أبو أمامة ﭬ يُحدِّث بالحديث؛ كالرجل الذي يؤدي ما سمع».

وعن سليمان بن شمير عن أبي أمامة ﭬ أنه كان يقول: «اعقلوا! ولا إخال العقل إلا قد رفع، لنحن للحديث الذي كنا نسمعه على عهد النبي ﷺ أعقل عليه منا على حديثكم اليوم».

=

٢٧ – حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن موسى بن عبيدة، عن أخيه عبدالله بن عبيدة

عن سهل بن سعد الأنصاري م، قال:

خرج علينا رسول الله ق، ونحن نقترئ؛ يقرئ بعضنا بعضًا، فقال: «الحمد لله، كتاب الله عَزَّوَجَلَّ واحد فيه الأحمر والأسود، اقرؤا، اقرؤا، اقرؤا، قبل أن يجيء أقوام يقيمونه كما يقام القِدْح، لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره، ولا يتأجلونه»(١).

وعن أبي إدريس، قال: «سمعت أبا الدرداء ط إذا فرغ من الحديث عن رسول الله ق قال: هذا، ونحو هذا، وشكله».

وعن ربيعة بن يزيد قال: «كان أبو الدرداء ط إذا تحدث قال: «اللهم إلا هكذا، فَكَشَكْلِهِ».

وعن قيس بن عُبَاد، قال: سمعت عمر ط يقول: «من سمع حديثًا، فأداه كما سمع؛ فقد سلم». قال: قال الفضل: «أُراه قال: سلم، ولم يقل: أُجر».

ومما يدلُّ على خطورة الأمر؛ ما جاء في شرح مقدمة ابن الصلاح (١/ ٢٢٨) عن أبي داود السنجي، قال: «سمعت الأصمعي، يقول: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم، إذا لم يعرف النحو: أن يدخل في جملة قول النبي ق: «من كذب عليّ؛ فليتبوأ مقعده من النار»؛ لأنه ق لم يكن يلحن، فمهما رويتَ عنه حديثًا ولحنتَ فيه؛ كذبتَ عليه». اهـ

والكذب في لغة قريش وأهل الحجاز: مخالفة الواقع مطلقًا؛ كما في حديث: «كذب أبو السنابل»، فإن كان متعمدًا فهو المذموم، والصحابة ن خافوا أن يشمل الوعيد المخطئ ويدخل في عموم اللفظ؛ لأن حديثًا عنه ق ليس كحديثٍ عن غيره؛ ينبني عليه حلالٌ وحرامٌ وأمرٌ ونهيٌ، فالخطأ فيه خطير.

(١) رواه أبو داود. وروى آخره عبدالرزاق في مصنفه، وأحمد في مسنده عن جابر بن عبدالله م.

=

قال الآجري في أخلاق حملة القـرآن (١/ ٣٤): «يتعجلونـه، ولا يتأجلونـه: يطلبـون بـه عاجلـة الدنيا- إما بمال أو سمعة أو نحوهما- ولا يطلبون به الآخرة».

وفيه عن عمر ط قال: «لقد أتى علينا حين، وما نرى أن أحـدًا يـتعلم القـرآن يريـد بـه إلا الله تعالى، فلما كان ههنا بأَخَرة، خشيت أن رجالًا يتعلمونه يريدون به الناس وما عنـدهم، فأريـدوا الله تعالى بقراءتكم وأعمالكم».

قال الآجري: فإذا كان عمر ط قد خاف على قوم قرؤا القرآن في ذلك الوقت بميلهم إلى الدنيا، فما ظنك بهم اليوم!». اهـ

والقِدح- بكسر القاف، وسكون الدال- جمعه: قداح، وهو السهم قبل أن ينصل ويراش.

والمعنى: أنهم يبالغون في القراءة غاية المبالغة؛ طلبًا للرياء والمباهاة وغيرهما.

ومن هنا نعلم أن المبالغة فيما أسماه أهل عصرنا: «أحكام التجويد» لم يكن من عمل الـسَّلف، بـل ما جاءت هذه المبالغة في الأحاديث إلا مذمومة- كما في هذا الحـديث- فـإن معنـاه: لا علـيكم ألا تقيموا ألسنتكم أثناء القراءة إقامة السَّهم عند إعداده للرمي، فإنه سيأتي أقـوام مـذمومون يُقَوِّمـون حروف القرآن وألفاظه، ويمططون أصواتهم بالقراءة، ويجودونها بتفخيم المخارج وترقيقهـا، وهـم مع ذلك يتعجلون أجرهم في الدنيا.

ومن تأمَّل حال هؤلاء المقوِّمين الممططين المفخمين من القراء المعاصرين وجدهم هكذا!

وفي شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٩١): «قال العزيزي- في قوله: «اقرؤا القـرآن»-: أي: اقـرءوه على الكيفية التي يسهل على ألسنتكم النطق بها مع اختلاف ألسنتكم فصاحة ولثغة ولُكْنة، من غـير تكلف ولا مشقة في مخارج الحروف، ولا مبالغة ولا إفراط في المـد والهمـز والإشـباع، فقـد كانـت قراءة رسول الله ق والتابعين له سهلة». اهـ

وفي موطأ مالك برواية أبي مصعب الزهري (٥٧٥) أن عبدالله بن مسعود ط قال لإنسان: «إنـك في زمان قليل قراؤه، كثير فقهاؤه، يحفظ فيه حدود القـرآن، ويـضيع حروفـه، قليـل مـن يـسأل، كثـير مـن يعطي، يطيلون فيه الصلاة، ويقصرون فيه الخطبة، يبدون فيه أعمالهم قبل أهوائهم، وسـيأتي زمـان، كثـير قراؤه، قليل فقهاؤه، يحفظ فيه حروف القرآن، ويضيع حدوده، كثير من يسأل، قليل من يعطي، يطيلـون الخطبة، ويقصرون الصلاة، ويبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم». اهـ

=



وحدثنا حجاج، عن ابن لهيعة، عن بكر بن سوادة، عن وفاء الحضرمي، عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ مثل ذلك أو نحوه.

وحدثنا حجاج، عن ابن لهيعة، عن بكر بن سوادة، عن أبي حمزة الخولاني، أحسبه عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ مثل ذلك.

٢٨ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن قبَاث بن رزين، عن عُلَيٍّ بن رباح اللخمي

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا، ونحن في المسجد، نتدارس القرآن، فقال: «تعلموا كتاب الله عَزَّوَجَلَّ واقتنوه».

وههنا كلامٌ جيدٌ لإمام أهل التجويد!

قال ابن الجزري في النشر (١/ ٢١٣): «ليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين الغنات، ولا بحصرمة الراءات، قراءة تنفر عنها الطباع، وتمجها القلوب والأسماع، بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة، التي لا مضغ فيها ولا لوك، ولا تعسف ولا تكلف، ولا تصنع ولا تنطع، ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء، بوجه من وجوه القراءات والأداء». اهـ

وفي كتاب السَّبْعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ٧٧) عن حمزة الزيات، قال: «إنَّ لهذا التحقيق – أي: التجويد – منتهى ينتهي إليه، ثم يكون قبيحًا، مثل البياض له منتهى ينتهي إليه، وإذا زاد صار بَرَصًا، ومثل الجعودة لها منتهى تنتهي إليه، فإذا زادت صارت قططًا». اهـ

قال[١]: وحسبت أنه قال: «واغنوا به، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتًا من المخاض[٢] من العُقُل»[٣].

حدثنا عبدالله بن صالح، عن موسى بن عُلَيٍّ بن رباح، عن أبيه

عن عقبة بن عامر ط، عن النبي ق مثل ذلك، إلا أنه قال: «واقتنوه وتغنوا به»[٤]، ولم يشك فيه.

٢٩ - حدثنا أبو اليمان، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم

عن المهاصر بن حبيب[٥]، قال: قال رسول الله ق:

---

(١) في مسند أحمد: قال قَبَاث- أحد رجال السند-: «ولا أعلمه إلا قال: وتغنوا به».

(٢) المخاض: هي الحوامل.

(٣) رواه أحمد والطبراني، وفي رواية المصنف لابن أبي شيبة، قال: «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا من قلوب الرجال من الإبل من عُقُلها». وفي رواية للطبراني: «من نوازع الطير إلى أوطانها».

والمراد: الأمر بالمواظبة على تلاوته والمداومة على تكراره؛ لأنه أشد تفلتًا من الإبل المعقلة إذا أطلقها صاحبها. والتعاهد: هو التحفظ.

والعُقُل- بضم العين والقاف، ويجوز إسكان القاف- جمع: عِقال، ككتاب وكتب؛ وهو الحبل الذي يربط به البعير خاصة.

(٤) رواه أحمد، والدارمي. وهنا جمع بين الاقتناء والاغتناء، كما في قوله تعالى: «وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ».

(٥) المهاصر- بالصاد المكسورة، ويقال: المهاجر- هو ابن حبيب الشامي أبو ضمرة الزبيدي، أخو ضمرة بن حبيب. قال أبو حاتم الرازي: لا بأس به. روى عن أبي ثعلبة الخشني، وأبي سلمة =



«يا أهل القرآن! لا توسَّدوا القرآن، واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار، وتغنوه، وتقنوه، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون»(١).

قال أبو عبيد: قوله: تغنوه، يقول: اجعلوه غناكم من الفقر(٢)، ولا تعدوا الإقلال معه فقرًا.

ابن عبدالرحمن، وروى عنه معاوية بن صالح، والأحوص بن حكيم. انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، والتاريخ الكبير للبخاري (٨/ ٦٦)، والإكمال لابن ماكولا (٧/ ٣٠٣).

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وأبو نعيم في أخبار أصبهان، وابن عساكر في تاريخ دمشق، كلهم عن المهاصر بن حبيب، عن عَبيدة الأملوكي- ويقال: المليكى، وهو شامي، كانت له صحبة عن رسول الله ﷺ -. وفيه زيادة: «ولا تستعجلوا ثوابه، فإن له ثوابًا- وفي رواية: ثَوابَيْن-».

وفي لسان العرب (٣/ ٤٥٩) قال ابن منظور: «وسد»: الوِساد والوِسادة: المِخَدَّة، والجمع: وسائِد وَوُسُد. والوِسادُ: المتَّكأ، وقد تَوَسَّده ووَسَّدَه: إذا جعله تحت رأسه. وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال له رجل: «إني أريد أن أطلب العلم، وأخشى أن أضيعه، فقال: لأن تتوسد العلم، خير لك من أن تتوسد الجهل». وفي الحديث: أن شريحًا الحضرمي ذُكر عند رسول الله ﷺ فقال: «ذاك رجلٌ لا يتوسد القرآن». قال ابن الأعرابي: لقوله: «لا يتوسد القرآن» وجهان: أحدهما: مدح. والآخر: ذم، فالذي هو مدحٌ أنه لا ينام عن القرآن، ولكن يتهجد به ولا يكون القرآن متوسدًا معه، بل هو يداوم قراءته ويحافظ عليها، وفي الحديث: «لا توسدوا القرآن، واتلوه حق تلاوته». والذي هو ذمٌ أنه لا يقرأ القرآن، ولا يحفظه ولا يديم قراءته، وإذا نام لم يكن معه من القرآن شيء، فإن كان حمده، فالمعنى هو الأول، وإن كان ذمه فالمعنى هو الآخر. قال أبو منصور: وأشبههما أنه أثنى عليه وحمده، وقد روي في حديث آخر: من قرأ ثلاث آيات في ليلة، لم يكن متوسدًا للقرآن». اهـ

وسيأتي تفسير التوسد عن الحسن.

(٢) لأنه تعزية وتسلية عن الدنيا وما فيها، وكما في سنن الدارمي (٣٣٠٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «نِعْمَ كنز الصعلوك- أي: الفقير- سورة آل عمران، يقوم بها في آخر الليل».

=



فمن اقتنى القرآن فهو أغنى الناس، وإن كان فقيرًا من المال، ولهذا الملحظ ذهب بعض العلماء إلى أن أهل العلم والقرآن لا حقَّ لهم في الزكاة وإن كانوا فقراء، لأنهم أغنياء بالعلم والقرآن.

ففي فتاوى ابن سحنون (١/ ٥٣١) قال ابن الماجشون: «العلماء: هم الأغنياء بعلمهم، فلا حق لهم في الزكاة، وإنما لهم الحق الوافر في بيت المال، يُعطى لهم ما يغنيهم عن الزكاة». اهـ

وليس القرآن غنىً عن الفقر فقط، بل عن كل شيء مما يتعلق بصلاح الدين والدنيا، حتى يدخل فيه الاستغناء به عن أقوال الرجال وآرائهم وتفسيراتهم- حاشا ما فسره من سنة النبي **ق** وآثار أصحابه وتابعيهم- وفي الحديث: «ليس مِنَّا من لم يتغن بالقرآن». أي: لم يستغن به عن غيره؛ قاله جماعة كسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجرّاح وغيرهما.

وروى أحمد في الزهد (١/ ٣٨٥) عن الحسن، أنه كان يقول: «اتهموا رأيكم وأهواءكم على دين الله، وانتصحوا كتاب الله على أنفسكم ودينكم». اهـ

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٠٣) عن رجل من أشجع، قال: «سمع الناس بالمدائن أن سلمان في المسجد، فأتوه فجعلوا يثوبون إليه، حتى اجتمع إليه نحو من ألف، قال: فقام، فجعل يقول: اجلسوا اجلسوا! فلما جلسوا، فتح سورة يوسف يقرؤها، فجعلوا يتصدعون ويذهبون حتى بقي نحو من مئة، فغضب، وقال: الزخرف من القول أردتم، ثم قرأت عليكم كتاب الله؛ فذهبتم! وقال: الزخرف تريدون؟ آية من سورة كذا، وآية من سورة كذا». اهـ

وما قيل في القرآن، يقال في السنة والآثار، فليس مِنَّا من لم يتغن بصحيح الآثار عن آراء الرجال وزبالات الأفكار وأقيسة المفاليس. وليس مِنَّا من لم يتغن بها عن كتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وغيرهم من الأمم السابقة.

ففي الجامع لأخلاق الراوي للخطيب (٢/ ١٦١) قال إسماعيل بن أبي أويس: «سمعت خالي مالك بن أنس، وسأله رجل عن زبور داود؟ فقال له مالك: ما أجهلك! ما أفرغك! أما لنا في نافع، عن ابن عمر، عن نبيّنا **ق** ما يشغلنا بصحيحه، عمّا بيننا وبين داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟!».

وفي مسند أحمد عن جابر بن عبدالله **م**، أن عمر بن الخطاب **ط** أتى النبي **ق** بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي **ق** فغضب، وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب!
=

والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا بـه، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا، ما وسعه إلا أن يتبعني».

أما أهل البدع والأهواء ومتعصبة المذاهب والرجال، فإنهم يقولون كما قال أبو الحسن الكرخـي الحنفي: «كل آية تخالف ما عليه أصحابُنا؛ فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حـديث يخـالف مـا عليـه أصحابنا؛ فهو مؤول أو منسوخ». اهـ

وقال السَّرخسي الحنفي في كتابه المبسوط - الذي جمع فيه كُتب محمد بن الحسن الستة، وهو أصل دين الأحناف ومذهبهم - وهو يَردُّ حديثًا اتفق العلماء على صحته عن أبي هريرة ط أن النبـي ق قال: «من اشترى شاة محفلة، فهو بخير النظرين إلى ثلاثة أيـام، إن رضـيها أمـسكها، وإن سـخطها ردَّها ورد معها صاعًا من تمر». فقال السرخسي: «مِن مذهبنا: أنه إنما يُقبل من أحاديث أبي هريرة ما لا يخالف القياس! فأما ما خالف القياس الصحيح، فالقياس مُقدَّم عليه؛ لأنه ظهر تـساهله في بـاب الرواية! وقد ردَّ ابن عباس م بعض رواياته بالقياس! نحو حديث الوضوء مـن حمـل الجنـازة، فقـال: أيلزمنا الوضوء من حمل عيدان يابسة! ونحو: الوضوء مما مسته النـار، حيـث قـال: لـو توضـأت بـماء ساخن كنت أتوضأ منه!». المبسوط (١٣/ ٧٣).

فهذا السَّرخسي، صاحب الرأي الذي كُتب عنه في أول الكتاب: «الإمام الأجـلّ الزاهـد شـمس الأئمة»، وهذا كتابه المبسوط الذي يدرس في الجامعات، ويعظمه وينصح به أكثر المتأخرين.

وصدق الشيخ الإمام حقًّا محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما وصف بـه هـؤلاء وغـيرهم بقولـه: «مُنتهى أمرهم إلى القرمطة في السمعيات، والسفسطة في العقليات، وهذا منتهى كل مبتدع خـالف شيئًا من الكتاب والسنة، حتى في المسائل العملية، والقضايا الفقهية». اهـ

وصدق أبو البختري حين قال: «ثلاثة لأن أخر من السماء أحبّ إليَّ من أكون أحدهم:... وقـوم اسْتَحْلَوا - من الحلاوة - أحاديث لها زينة وبهجة، وسئموا القرآن». رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

وما أحوج السَّرخسي هذا، ومن كان على شاكلته لتلك الحيَّة العظيمة! التي ذكر خبرهـا الـذهبي في السير (٤/ ٣٧) عن أبي إسحاق الفيروزابادي، قال: «سمعت القاضي أبا الطيب، يقـول: كنـا في مجلس النظر بجامع المنصور، فجاء شاب خراساني، فسأل عـن مـسألة المـصراة، فطالـب بالـدليل، حتى استُدل له بحديث أبي هريرة ط الوارد فيها، فقال - وكان حنفيًّا -: أبـو هريـرة غـير مقبـول
=



وقوله: تقنوه، يقول: اقتنوه كما تقتنون الأموال، واجعلوه مالكم(١).

الحديث! فما استتم كلامه، حتى سقطت عليه حيَّةٌ عظيمة من سقف الجامع، فوثب الناس من أجلها، وهرب الشاب منها وهي تتبعه، فقيل له: تُبْ! تُبْ! فقال: تبت. فغابت الحية، فلم يُر لها أثر».

قال الذهبي: «إسنادها أئمة، وأبو هريرة ط إليه المنتهى في حفظ ما سمعه من الرسول ق وأدائه بحروفه، وقد أدى حديث المصراة بألفاظه، فوجب علينا العمل به، وهو أصلٌ برأسه». اهـ

(١) ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٧٣) عن أبي رافع صاحب النبي ق قال: «أضاف النبي ق ضيفٌ، ولم يكن عند النبي ق شيء يصلحه، فأرسل إلى رجل من اليهود: يقول لك محمد رسول الله ق: أسلفني دقيقًا إلى هلال رجب. قال: لا، إلا برهن. فأتيت النبي ق فأخبرته، فقال: أما والله إني لأمين من في السماء وأمين من في الأرض، ولئن أسلفني أو باعني لأؤدين إليه. فلما خرجت من عنده؛ نزلت هذه الآية: «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ»؛ كأنه يعزيه عن الدنيا». اهـ

وقال الطبري (١٧/ ١٤١) في تأويل قوله تعالى: «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ - لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ»: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ق: لا تتمنين يا محمد! ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعًا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن من ورائهم عذابًا غليظًا.

«وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ». يقول: ولا تحزن على ما متعوا به، فعجل لهم، فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عجلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم...

وذُكر لي عن ابن عيينة أنه كان يتأول هذه الآية قول النبي ق: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن». أي: من لم يستغن به، ويقول: ألا تراه يقول: «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ - لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ»؛ فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال، قال: ومنه قول الآخر: من أوتي القرآن، فرأى أن أحدًا أعطي أفضل مما أعطي؛ فقد عظم صغيرًا، وصغر عظيمًا». اهـ

٣٠ – حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عمرو بن قيس السكوني، قال:

سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص م، يقول:

«إن من أشراط الساعة أن يُبسط القول ويُخزن الفعل، وإن من أشراط الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار، وإن من أشراط الساعة أن تقرأ المثناة على رؤوس الملأ لا تُغيّر». قيل: وما المثناة؟ فقال: «ما استُكتب من غير كتاب الله». قيل: يا أبا عبدالرحمن! وكيف بما جاء من حديث رسول الله ق؟! فقال: «ما أخذتموه عمن تأمنونه على نفسه ودينه فاعقلوه، وعليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه أبناءكم؛ فإنكم عنه تسألون وبه تجزون، وكفى به واعظًا لمن كان يعقل»(١).

قال أبو عبيد: المثناة أُراه يعني: كتب أهل الكتابَيْن التوراة والإنجيل(٢).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة، والدارمي، والحاكم بألفاظ متقاربة. وهو في حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال بمجرد الرأي. وفي جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٠٢) عن سلمان ط قال: «يوشك أن يظهر العلم، ويخزن العمل، يتواصل الناس بألسنتهم، ويتقاطعون بقلوبهم، فإذا فعلوا ذلك؛ طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم». اهـ.

وهذا هو سبب ظهور المثناة.

(٢) قال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ٢٨٢): «فسألت رجلًا من أهل العلم بالكتب الأولى قد عرفها وقرأها عن المثناة؟ فقال: إن الأحبار والرهبان من بني إسرائيل بعد موسى وضعوا كتابًا فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله، فسَمَّوه: (المثناة) كأنه يعني أنهم أحلّوا فيه ما شاءوا وحرّموا فيه ما شاءوا، على خلاف كتاب الله؛ فبهذا عرفتُ تأويل حديث عبدالله بن عمرو، أنه إنما كره الأخذ عن أهل الكتب لذلك المعنى، وقد كانت عنده كتب وقعت إليه يوم اليرموك، فأظنّه قال
=



٣١ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب

عن أبي قلابة:

أن رجلاً من أهل الكوفة لقي أبا الدرداء ط فقال: إن إخوانًا لـك مـن أهـل الكوفـة يقرئونـك الـسَّلام، ويأمرونـك أن توصـيهم. فقـال:

هذا لمعرفته بما فيها، ولم يُرد النهي عن حديث رسول الله ق وسنّته، وكيف ينهى عـن ذلـك وهـو من أكثر الصحابة حديثًا عنه». اهـ

وقال البقاعي في مصاعد النظر للإشراف على مقاصـد الـسور (٢/ ٢٨): «أخـبرني بعـضهم: أن معنى هذه اللفظة عندهم: الجمع والضم. فتكون المثناة تعريبها، وهي في أكثر من مئة سِفر، وذلـك أنه كان يجتمع أحبارهم، فيكتبـون مـا يـرون أنهـم محتـاجون إليـه مـن الأحكـام والآداب، ثـم إذا انقرضوا، اجتمع من خلف بعدهم من الأحبار في العصر الثاني، فـزادوا مـا شـاءوا، وعنـدهم: أن هؤلاء الأحبار لا يفعلون ذلك إلا عن الله وحيًا، وأن كل ما كتبوه فهو وحيٌ من عند الله، كـما قـال تعـالى: «وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ». ومـا زالـوا كذلك عصرًا بعد عصر، إلى أن زادت عدة مجلداتها على العد وتجاوزت الحـد، فيقـال: إنهـا تقـارب مئتي مجلد! فلما رأوا ذلك منعوا من الزيادة، فمنعوا الوحي على زعمهم». اهـ

وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٢٥): «قال الجوهري: المثناة هي التـي تـسمى بالفارسية: دُوَبَيْتي، وهو الغناء». اهـ

وليست المثناة خاصة بكتب أهل الكتاب فحسب، بل كـما فـسرها عبـدالله بـن عمـرو م: «مـا استُكتب من غير كتاب الله». فكل ما استُكتب في الدين- من غير الوحي، وما يعين على فهمه- ممـا يصد الناس عنه؛ فهو مثناة.

بل إن ظهور المثناة وانكباب الناس عليها؛ سببٌ لرفع القرآن في آخر الزمـان، ففـي مختـصر قيـام الليل للمروزي (١/ ١٧٩) قال الليث بن سعد: «يقال: إنما يُرفـع القـرآن حـين يُقْبِـلُ النـاس عـلى الكتب، ويَكُبُّون عليها، ويتركون القرآن». اهـ



«أقرئهم السلام، ومرهم فليعطوا القرآن بخزائمهم[(١)]؛ فإنه يحملهم على القصد والسهولة ويجنبهم الجور والحزونة».

٣٢ – حدثنا محمد بن عبيد، عن هارون بن عنترة

عن عبدالرحمن بن الأسود، عن أبيه، قال:

أصبت أنا وعلقمة صحيفة، فانطلقنا إلى ابن مسعود ط بها، وقد زالت الشمس أو كادت تزول، فجلسنا بالباب، ثم قال للجارية: «انظري مَنْ بالباب؟»، فقالت: علقمة والأسود. فقال: «ائذني لهما». قال: فدخلنا، فقال: «كأنكما قد أطلتما الجلوس». قلنا: أجل. قال: «فما منعكما أن تستأذنا؟» قالا: خشينا أن تكون نائمًا، فقال: «ما أحب أن تظنا بي هذا، إن هذه الساعة كنا نقيسها بصلاة الليل». فقلنا: هذه صحيفة فيها حديث حسن! فقال: «هاتها، يا جارية! هاتي الطست، فاسكبي فيها ماء». قال: فجعل يمحوها بيده، ويقول: @ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ! [يوسف:٣].

---

(١) جمع خزامة، وهي الحلقة التي تجعل في أنف البعير، انظر غريب الحديث لأبي عبيد (٣/ ٦٤).

وفي مصنف عبدالرزاق (٣/ ٣٦٨): «بخزائمهم. يعني: اجعلوا القرآن مثل الخزام في أنف أحدكم؛ فاتبعوه واعملوا به». اهـ

وروى أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٣) عن أبي العالية، قال: «قال رجل لأُبي بن كعب: أوصني. قال: اتخذ كتاب الله إمامًا، وارض به قاضيًّا وحكمًا؛ فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم، شفيع مطاع، وشاهد لا يُتهم، فيه ذكركم، وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم».

فقلنا: انظر فيها، فإن فيها حديثًا عجيبًا! فجعل يمحوه، ويقـول: «إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره».

قال أبو عبيد: إن هذه الصحيفة أخذت مـن بعـض أهـل الكتـاب، فلهذا كرهها عبدالله ط.[1]

---

(١) وروى الخطيب البغدادي في تقييد العلم (٧٥) عن أبي الشعثاء سليم بن أسود، قال: «كنت أنا وعبدالله بن مرداس، فرأينا صحيفة فيها قصص وقرآن مع رجل من النخع، قال: فواعدنا المسجد، فقال عبدالله بن مرداس: اشتري صحفًا بدرهم، إنا لقعود في المسجد ننتظر صاحبنا، إذا رجل فقال: أجيبوا عبدالله يدعوكم، قال: فتقوضت الحلقة، فانتهينا إلى عبدالله بن مسعود، فإذا الصحيفة في يده، فقال: «إن أحسن الهدي هدي محمد ق، وإن أحسن الحديث كتاب الله، وإن شر الأمور محدثاتها، وإنكم تحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدى الأول، فإنما أهلك أهل الكتابين قبلكم، مثل هذه الصحيفة وأشباهها توارثوها قرنًا بعد قرن، حتى جعلوا كتاب الله خلف ظهورهم كأنهم لا يعلمون، فأنشد الله رجلًا علم مكان صحيفة إلا أتاني، فوالله لو علمتها بدير هند لانتقلت إليها». اهـ

وفي مصنف ابن أبي شيبة، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (١/ ٢٧٢) عن عبدالله بن يسار، قال: «سمعت عليًّا ط يخطب، ويقول: أعزم على كل من كان عنده كتاب، إلا رجع فمحاه، فإنما هلك الناس؛ حيث تتبعوا أحاديث علمائهم، وتركوا كتاب ربهم». اهـ

هذا هو الأمر الأول، وهو الآن غريبٌ أشد الغربة، بل يُعادى من الخاصة والعامة.

وقد ذكر ابن مسعود ط هنا ملحظًا مهمًا وهو: أن القلب وعاءٌ له غاية يمتلىء عندها، فكلُّ كلام تشغل به قلبك فهو يملأ بقدره من الوعاء ويأخذ من نصيب الوحي، وهذا أمرٌ مشاهدٌ فيمن جعل همه ضبط كلام الناس وشرحه ومعرفة المراد منه، وقد قال عليٌّ ط: «يا كميل بن زياد! القلوب أوعية؛ فخيرها أوعاها».

٣٣ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ليث بن أبي سليم

عن أبي حَصين، قال:

جاء رجل إلى عبدالله بن مسعود ط فقال: علمني كلمات جوامع نوافع. فقال: «نعم، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتزول مع القرآن أينما زال، ومن جاءك بصدق من صغير أو كبير وإن كان بعيدًا بغيضًا؛ فاقبله منه. ومن جاءك بكذب وإن كان حبيبًا قريبًا؛ فاردده عليه»[١].

٣٤ – حدثنا الأشجعي، عن مسعر بن كدام، قال: حدثني عون أو معن أو أحدهما، قال:

جاء رجل إلى عبدالله ط فقال: أوصني، فقال:

«إذا سمعت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: @ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ !؛ فأرعها سمعك، فإنه خيرٌ تُؤمر به، أو شرٌ تُنهى عنه»[٢].

---

(١) وأخرج الحاكم وصححه، عن ابن عباس م قال: «قلت: يا رسول الله! أوصني، قال: أقم الصلاة، وأدِ الزكاة، وصم رمضان، وحج البيت، واعتمر، وبر والديك، وصل رحمك، وأقرِ الضيف، وأمر بالمعروف، وأنه عن المنكر، وزل مع الحق حيث زال».

(٢) اعلم أن الله سبحانه وتعالى خاطب المؤمنين بقوله: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟» في تسعة وثمانين موضعًا من القرآن، بينما ورد النداء للذين كفروا مرة واحدة في سورة التحريم.

وقد ورد النداء بـ« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ » في عشرين سورة من القرآن، وإليك بيانها بالترتيب:

المائدة: ست عشرة مرة. البقرة: إحدى عشرة مرة. النساء: تسع مرات. آل عمران: سبع مرات. الأحزاب: سبع مرات. الأنفال: ست مرات. التوبة: ست مرات. الحجرات: خمس مرات. النور:
=



٣٥ – حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل

عن عبدالله ط، قال:

«إن هذا الصراط محتضر، تحضره الشياطين، يقولون: هلم يا عبد الله؛ ليصدوا عن سبيل الله، فعليكم بكتاب الله؛ فإنه حبل الله».

قال أبو عبيد: أراد عبدالله بقوله: «فإنه حبل الله»؛ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[1] [آل عمران:١٠٣].

ثلاث مرات. المجادلة: ثلاث مرات. الممتحنة: ثلاث مرات. الصف: ثلاث مرات. محمد: مرتان. التحريم: مرتان. الحج: مرة. الحديد: مرة. الحشر: مرة. الجمعة: مرة. المنافقون: مرة. التغابن: مرة.

وأصول هذه النداءات هكذا:

(اتقوا الله)، (كُتب عليكم)، (اذكروا)، (أطيعوا)، (لا تأكلوا الربا)، (انفقوا)، (توبوا)، (اركعوا)، (استعينوا)، (لا تكونوا كالذين كفروا)، (اصبروا وصابروا)، (كونوا أنصار الله)، (لا تقولوا راعنا)، (لا تبطلوا)، (لا تتولوا)، (لا يسخر)، (لا تخونوا)... فهي كما قال ابن مسعود ط: «إذا سمعت الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾؛ فأرعها سمعك، فإنه خيرٌ تُؤمر به، أو شرٌ تُنهى عنه».

وفي تفسير يحيى بن سلام (١/ ٨٣) عن أبي الدرداء ط قال: «نزل القرآن على ست آيات: آية مبشرة، وآية منذرة، وآية فريضة، وآية تأمرك، وآية تنهاك، وآية قصص وأخبار». اهـ

ومثله قال أبو إدريس الخولاني، كما في التفسير لعبدالرزاق، وحلية الأولياء (٥/ ١٢٣).

وفي تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٩٦) عن خيثمة، قال: «ما تقرءون في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين».

(١) قال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ١٠٢): «قول ابن مسعود ط: «عليكم بحبل الله». نراه أراد تأويل قوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾». يقول: فالاعتصام بحبل الله هو ترك الفرقة واتباع القرآن؛ وأصل الحبل في كلام العرب ينصرف على وجوه، فمنها العهد وهو الأمان، =



وذلك أن العرب كان يخيف بعضها بعضًا في الجاهلية، فكان الرجل إذا أراد سفرًا؛ أخذ عهدًا من سيد القبيلة فيأمن به ما دام في تلك القبيلة، حتى ينتهي إلى الأخرى ويفعل مثل ذلك أيضًا، يريد بذلك الأمان. قال أبو عبيد: فمعنى الحديث أن يقول: عليكم بكتاب الله وترك الفرقة؛ فإنه أمان لكم وعهد من عذاب الله وعقابه». اهـ

هذا وقد تنوعت عبارات المفسرين في المراد «بِحَبْلِ ٱللَّهِ»:

الوجه الأول من معانيها: الجماعة والسمع والطاعة؛ قاله ابن مسعود وابن عباس م وأكثر السُّلف: حيث روى ابن أبي حاتم، عن ثابت بن قطبة، قال: «سمعت ابن مسعود ط يخطب، وهو يقول: يا أيها الناس! عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به».

وروى القاسم بن ثابت السرقسطي في الدلائل في غريب الحديث (٢/ ٦٨٦) عن سماك بن الوليد الحنفي أنه لقي ابن عباس م، فقال: «هيه يا ابن عباس! ما تقول في سلطان علينا يظلموننا ويشتموننا ويعتدون علينا في صدقاتنا ألا نمنعهم؟ قال: لا، أعطهم يا حنفي! قلت: إنهم لا يعطوننا ما في كتاب الله، ألا نمنعهم؟ قال: لا، أعطهم يا حنفي! وإن أتاك أهدل الشفتين منتفش المنخرين- يعني: زنجي- فأعطه صدقتك، فلنِعْم القلوص قلوص تؤمن المرءَ بين عِرسه ووطنه- وعند ابن أبي حاتم في التفسير: فلنعم القلوص قلوص يؤمن الرجل بين عرسه ووطبه، يعني زوجته وقِربة اللبن- ثم أخذ بذراعي فغمزها، ثم قال: يا حنفي! الجماعة، الجماعة، إنما هلكت الأمم الخالية بتفرّقها، أما سمعت قول الله تعالى في كتابه: « وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ»». اهـ

ومما يؤيد ذلك ما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، عن أنس بن مالك ط عن النبي ق أنه قال: «إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قال: فقيل: يا رسول الله! وما هذه الواحدة؟ قال: فقبض يده، وقال: الجماعة، وقرأ: « وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا »». اهـ

الوجه الثاني: بطاعته؛ قاله الحسن البصري، رواه عنه ابن أبي حاتم في التفسير.

الوجه الثالث: اعتصموا بالإخلاص لله وحده- أي: التوحيد-؛ قاله أبو العالية، رواه عنه ابن أبي حاتم.

الوجه الرابع: بعهد الله وبأمره- ومنه الميثاق والأمانة الأولى- وهذا رواه ابن أبي حاتم عن قتادة.

=



٣٦ - حدثنا أبو بكر بن عياش، قال:

سمعت أبا حَصين يقول كذا وكذا- وذكر كلامًا- ثم قال:

«جردوا القرآن، وأقلوا الرواية على رسول الله ق وأنا شريككم». أو قال: «عن رسول الله ق»[١].

الوجه الخامس: لزوم السنة وأهلها، وترك البدع وأهلها؛ قاله الخلال في السُّنة (١/ ٢٣١).
وقيل غير هذا، وبعضها قريب من بعض.

(١) وروى الدارمي في مقدمة سننه (١/ ٣٢٨) عن قرظة بن كعب: «أن عمر ط شيَّع الأنصار حين خرجوا من المدينة، فقال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا: لحق الأنصار! قال: إنكم تأتون قومًا تهتز ألسنتهم بالقرآن اهتزاز النحل، فلا تصدوهم بالحديث عن رسول الله ق وأنا شريككم». قال قرظة: «فما حدثت بشيء، وقد سمعت كما سمع أصحابي».

وفي لفظ قال: بعث عمر ط رهطًا من الأنصار إلى الكوفة، فبعثني معهم، فجعل يمشي معنا حتى أتى صرار- ماء في طريق المدينة- ثم قال: «إنكم تأتون الكوفة، فتأتون قومًا لهم أزيز بالقرآن، فيقولون: قَدِمَ أصحاب محمد ق! قدم أصحاب محمد ق! فيأتونكم، فيسألونكم عن الحديث، فأقلوا الرواية عن رسول الله ق وأنا شريككم فيه». قال قرظة: «وإن كنت لأجلس في القوم، فيذكرون الحديث عن رسول الله ق وإني لمن أحفظهم له، فإذا ذكرت وصية عمر ط؛ سكت».
قال الدارمي: معناه عندي: الحديث عن أيام رسول الله ق ليس السنن والفرائض». اهـ

وقال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ٤٩): «في قول عمر: «أقلوا الرواية عن رسول الله ق»، ما يبين لك أنه لم يرد بتجريد القرآن: ترك الرواية عن رسول الله ق، وقد رخَّص في القليل منه، وهذا يبين لك أنه لم يأمر بترك حديث رسول الله ق، ولكنه أراد عندنا: علم أهل الكتاب؛ للحديث الذي سمع من النبي ق فيه حين قال: «أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب؟!». ومع هذا فإنه كان يُحدِّث عن النبي ق بحديث كثير». اهـ

=

والظاهر أن مراد عمر ط أبعد مما فهم أبو عبيد من قصره ذلك على أخبار أهل الكتاب، وقد كان أهل المدينة لا يحدثون عامة الناس إلا بالأحاديث المحكمات التي عليها العمل، ويدعون المشتبهات لطلبة العلم حتى لا يلتبس على الناس دينهم، ولا ينشغلوا عن القرآن.

ومن اقتصر على المحكمات قلَّ حديثه.

وقال البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ١٤٦): قوله: «امضوا وأنا شريككم». يعني- والله أعلم-: وأنا أفعل ذلك، يقول: أقلّ الحديث عن رسول الله ق ، وحين رخَّص في القليل منه دلَّ أنه إنما نهاهم عن الإكثار مخافة الغلط، لما في الغلط من الإحالة، ورخَّص في القليل منه على الإثبات عند الحاجة، وأمرهم بتجريد القرآن عند عدم الحاجة إلى الرواية؛ لأن القوم كانوا قد رغبوا في أخذ القرآن، فلم يرد اشتغالهم بغيره قبل استحكامه؛ شفقة منه على رعيته، والله أعلم». اهـ

وقال ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (٢/ ١٠٠٣): «احتج بعض من لا علم له ولا معرفة من أهل البدع وغيرهم الطاعنين في السنن بحديث عمر هذا: «أقلوا الرواية عن رسول الله ق »، وبما ذكرنا في هذا الباب من الأحاديث وغيرها، وجعلوا ذلك ذريعة إلى الزهد في سنن رسول الله ق ، التي لا يُوصل إلى مراد كتاب الله إلا بها، والطعن على أهلها؛ ولا حجة في هذا الحديث، ولا دليل على شيء مما ذهبوا إليه من وجوه، قد ذكرها أهل العلم منها: أن وجه قول عمر هذا، إنما كان لقوم لم يكونوا أحصوا القرآن؛ فخشي عليهم الاشتغال بغيره عنه، إذ هو الأصل لكل علم. وقيل: إن عمر ط إنما نهى من الحديث عما لا يفيد حكمًا ولا يكون سنة...

ثم قال: إن نهي عمر عن الإكثار، وأمره بإقلال الرواية عن رسول الله ق ، إنما كان خوف الكذب على رسول الله ق وخوفًا أن يكون مع الإكثار أن يحدثوا بما لم يتقنوا حفظه ولم يعوه؛ لأن ضبط من قلَّت روايته أكثر من ضبط المستكثر». اهـ

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ١٤٥) عن أبي قتيبة، قال: «ربما قال شعبة في الحديث لأصحاب الحديث: اعلموا يا قوم أنكم كلما تقدمتم في الحديث؛ تأخرتم في القرآن، قال: وربما ضرب بيديه رأسه، وهو يقول: خَاَكَ بُسْر شعبة- يعني: التراب على رأس شعبة-». وهي لفظة فارسية.

فإذا كان هذا في الحديث عن رسول الله ق ، فكيف بمن يقدِّم الآراء والأفكار والأهواء على كلام الله.

٣٧- حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص

عن عبدالله ط، قال:

«جرِّدوا القرآن ليربو فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم، فإن الشيطان يفر من البيت يَسمع فيه سورة البقرة»[١].

٣٨- حدثنا حجاج، عن جرير بن عبدالحميد، عن منصور، عن هلال بن يساف

عن فروة بن نوفل الأشجعي، قال:

كان خَبَّاب بن الأرتّ لي جارًا، فقال لي يومًا: «يا هناه! تقرَّب إلى الله تعالى ما استطعت، واعلم أنك لست تتقرب إليه بشيء هو أحبّ إليه

---

(١) وفي فضائل القرآن للفريابي (١/ ١٥١) قال شعبة: «فحدثت به أبا التياح- وكان عربيًّا- فقال: نعم، أمروا أن يجردوا القرآن، قلت له: ما جَرِّدوا القرآن؟ قال: لا يخلطوا به غيره». اهـ

قال ابن منظور في لسان العرب (٣/ ١١٧): «جرَّد الكتاب والمصحف، معناه: عَرَّاه من الضبط والزيادات والفواتح؛ ومنه قول عبدالله بن مسعود ط وقد قرأ عنده رجل، فقال: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال: «جرِّدوا القرآن؛ ليربو فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم، ولا تلبسوا به شيئًا ليس منه». قال ابن عيينة: معناه لا تقرنوا به شيئًا من الأحاديث التي يرويها أهل الكتاب؛ ليكون وحده مفردًا، كأنه حثَّهم على أن لا يتعلم أحد منهم شيئًا من كتب الله غيره، لأن ما خلا القرآن من كتب الله تعالى، إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى وهم غير مأمونين عليها. وكان إبراهيم يقول: أراد بقوله: «جرِّدوا القرآن»، من النقط والإعراب والتعجيم وما أشبهها. واللام في ليربو من صلة: جردوا، والمعنى: اجعلوا القرآن لهذا، وخصوه به واقصروه عليه، دون النسيان والإعراض عنه؛ لينشأ على تعليمه صغاركم، ولا يبعد عن تلاوته وتدبره كباركم». اهـ



من كلامه»[١].

٣٩ – حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن مُغيث عن كعب، أنه قال:

«عليكم بالقرآن، فإنه فهم العقل[٢]**، ....**

---

(١) وروى أحمد في مسنده، والترمذي في سننه عن أبي أمامة ط مرفوعًا: «ما تقرَّب العبد إلى الله تعالى، بمثل ما خرج منه، يعني: القرآن». ومعنى: يا هناه: أي: يا هذا.

وروى الترمذي عن جبير بن نفير ط، قال: قال النبي ق: «إنكم لن ترجعوا إلى الله بأفضل مما خرج منه، يعني: القرآن».

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على الاستدلال بهذا الأثر على أن القرآن كلام الله، ليس بمخلوق.

(٢) هكذا في جميع روايات الأثر؛ كما في سنن الدارمي، ومختصر قيام الليل للمروزي، وحديث هشام بن عمار، وحلية الأولياء لأبي نعيم.

وروى ابن أبي الدنيا في كتابه العقل وفضله (١/ ٤٠) عن الضحاك في قوله تعالى: «لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا». قال الضحاك: أي: عاقلًا. وبوب عليه ابن أبي الدنيا بقوله: «القرآن الكريم نذيرٌ للعقلاء».

وفيه عنه، قال: «ما بلغني عن رجل صلاح فاعتددت بصلاحه، حتى أسأل عن خلالٍ ثلاث، فإن تمت تمَّ له صلاحه، وإن نقصت منه خصلة كانت وصمة عليه في صلاحه؛ أسأل عن عقله؟ فإن الأحمق إنما يريد صلاح غيره وربما هلك وأهلك فئامًا من الناس؛ يمر بالمجلس فلا يسلم! فإذا قيل له، قال: مِن أهل دنيا، ويترك عيادة الرجل من جيرانه! فإذا قيل له، قال مِن أهل دنيا، ويدع الجنازة لا يتبعها لمثل ذلك! ويدع طعام أبيه يبرد، فإذا هو قد صار عاقًّا. وأسأل عن النعمة العظيمة التي لا نعمة أعظم منها ألا وهي الإسلام؟ إن كان أحسن احتمال النعمة، ولم يدخلها بدعة ولا زيغ، وإلا لم أعتد به فيما سوى ذلك. وأسأل عن وجه معاشه؟ فإن لم يكن له وجه معاش لم آمن عليه أن يعمل بخلافه أقرب ما يكون من أجله». اهـ

=



ونور الحُكم(١)، وأحدث الكتب عهدًا بالرحمن»(٢).

وأهل القرآن هم أعقل الناس:

ففي مصنف ابن أبي شيبة عن عبدالملك بن عمير، قال: كان يقال: «إن أبقى الناس عقولًا: قراء القرآن». وقوله: «كان يقال» يعني في زمن الصحابة ن، وعبدالملك بن عمير تابعي ثقة.

وقال محمد بن كعب القرظي: «من قرأ القرآن؛ متع بعقله وإن بلغ مئتي سنة».

وروى ابن أبي الدنيا في العمر والشيب (٧٣) عن الشعبي، قال: «من قرأ القرآن؛ لم يخرف».

(١) وفي سنن الدارمي: «ونور الحكمة، وينابيع العلم».

(٢) رواه الدارمي في سننه، وفي آخره زيادة: «وقال في التوراة: يا محمد! إني منزل عليك توراةً حديثة؛ تفتح بها أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غلفًا».

ومعنى: «أحدث الكتب عهدًا بالرحمن»: أي: أقربها نزولًا إليكم، كما روى عكرمة عن ابن عباس م قال: «كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم، وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهدًا بالله تقرءونه محضًا لم يُشب». رواه البخاري.

ولهذا فإن من أراد فهم العقل، ونور الحكمة، والعلم النافع؛ فعليه بالقرآن، وقد روى أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٧) عن عليٍّ، قال: «ألا إن الفقيه كل الفقيه: الذي لا يُقنِّط الناس من رحمة الله، ولا يُؤمنهم من عذاب الله، ولا يُرخِّص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره». اهـ

ولا غرو في ذلك! فإن أول خطبة خطبها النبي ق حين قدم المدينة، كانت في الوصاية بكتاب الله، فعن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، قال: «كانت أول خطبة خطبها رسول الله ق بالمدينة أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: إن الحمد لله، أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتابُ الله؛ قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحبَّ الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملوا كلام الله تعالى وذكره، ولا تَقْسُ عنه قلوبكم». رواه البيهقي في دلائل النبوة.

=



وكذلك كان أبو بكر الصديق ط أفضل هذه الأمة بعد نبيها ق ؛ يخطب المسلمين كـل جمعـة، ويقول: «وهذا كتاب الله فيكم؛ لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله، وانتـصحوا كتابـه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة». رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٥).

وفيه (١/ ١٢٩) عن أبي البختري، قال: «قالوا لعليٍّ ط: حدثنا عن أصحاب محمد ق ؟ قـال: عن أيهم؟ قالوا: أخبرنا عن عبدالله بن مسعود، قال: عَلِم القرآن والسُّنة، ثم انتهى، وكفى بذلك علمًا».

وقال مجاهد: «استفرغ علمي القرآن».

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان، عن قتادة، قـال: «إن هـذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم».

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن الحسن، قال: «كان رجل يكثر غشيان بـاب عمـر، فقـال لـه عمـر ط: اذهب فتعلَّم كتاب الله تعالى، فذهب الرجـل، ففقـده عمـر ثـم لقيـه، فكأنـه عاتبـه، فقـال: وجدتُ في كتاب الله ما أغناني عن باب عمر».

وروى ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (٢/ ٢٨)- وأصله في البخـاري- عـن ابـن عـون، قـال: «ثلاث أحبهن لي ولإخواني: هذا القرآن يتدبره الرجل ويتفكر فيه؛ فيوشك أن يقع على علم لم يكن يعلمه، وهذه السُّنة يتطلبها ويسأل عنها، ويذر الناس إلا من خير». قال أحمد بن خالد: «هـذا هـو الحق الذي لا شك فيه». قال: «وكان ابن وضَّاح يعجبه هذا الخبر، ويقول: جيد جيد».

وفي حلية الأولياء (٤/ ٨٤) قال ميمون بن مهران: «إن هذا القرآن قد خَلِـق في صـدر كثـير مـن الناس، والتمسوا ما سواه من الأحاديث، وإن فيمن يبتغي هذا العلم من يتخذه بضاعة، يلتمس بها الدنيا، ومنهم من يريد أن يشار إليه، ومنهم من يريد أن يماري به، وخيرهم من يتعلمه، ويطيع الله به».

وفي حلية الأولياء (٤/ ٢٤٥) عن عون، قال: كان يقـال: «مَثَـلُ الـذي يطلـب علـم الأحاديـث ويترك القرآن، مِثل رجل آخذ بباب زريبة فيها غنم، فمرَّت به ظباء، فتبعهـا يطلبهـا فلـم يـدركها، فرجع فوجد غنمه قد خرجت، فلا هذه أدرك، ولا هذه أدرك».

وهذا محمول على من يترك القرآن، ويطلب أحاديث الرجال وآرائهم، أو يتكاثر في الحديث فيلهيه.

وقال سفيان الثوري كما في حلية الأولياء (٣/ ٣٦٦): «وددت أني حـين قـرأت القـرآن، وقفـت عنده؛ فلم أتجاوزه إلى غيره».

=

وروى عبدالله بن أحمد في العلل ومعرفة الرجال (١٠٨٣) عن أبي الأحوص، قال: سمعت سُفيان، يقول: «لَيْتَني كنت اقتصرت على القرآن». اهـ

وعن سفيان بن عيينة، قال: «من أُعطي القرآن، فمدَّ عينيه إلى شيء مما صَغَّر القرآن- كالمثناة وكتب أهل الأهواء والكلام والبدع- فقد خالف القرآن، ألم تسمع قوله تعالى: «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ». يعني: القرآن.

وكان الربيع يقول: «قلما كنت أدخل على الشافعي، إلا والمصحف بين يديه؛ يتتبع أحكام القرآن».

بل قال الشافعي في الرسالة (١/ ١٩): «الناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم بالقرآن». اهـ

ولهذا قال عليٌّ ط: «من ابتغى الهدى في غيره؛ أضله الله». ولم يقل: «حَرَمه الله»، بل أضله الله؛ غيرةً على كتابه، وهذا أشد ما يكون للمعرض عن القرآن؛ فإن من ابتغى الهدى في غيره، ليس فقط لم يوفق للهدى، وإنما أشد من ذلك، وهو أن الله يضله بسبب طلبه الهدى في غير كلامه سبحانه وتعالى، يغار الحق سبحانه وتعالى على كلامه الحق. قال ابن القيم:

فتدبر القرآن إن رمت الهدى ... فالعلم تحت تدبر القرآن

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٣٤) عن ابن عباس م قال: «من تعلَّم كتاب الله، ثم اتبع ما فيه؛ هداه الله من الضلالة في الدنيا، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، ثم تلا هذه الآية: «فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ». اهـ

وليس هذا فحسب؛ بل إن المؤمن يهديه القرآن لمعرفة ضلالة من ضل من الخلق، فقد روى أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٨) عن الحسن، قال: «إن المؤمنين شهود الله في الأرض؛ يعرضون أعمال بني آدم على كتاب الله، فمن وافق كتاب الله؛ حمد الله عليه، ومن خالف كتاب الله؛ عرفوا أنه مخالف لكتاب الله، وعرفوا بالقرآن ضلالة من ضلَّ من الخلق».

وقال ابن مسعود ط: «إذا أردتم العلم؛ فأثيروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين».

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٤١) عن هشام بن مسلم، قال: «سألت ابن محيريز، فأكثرت عليه، فقال: يا هشام! ما هذا؟ قلت: ذهب العلم! قال: إن العلم لن يذهب ما دام فيكم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ». اهـ

=



وروى ابن أبي الدنيا في العزلة والانفراد (١/ ٨١) عن كرز بن وبرة، قال: «لقد عجبت بمن عنده القرآن، كيف يشتاق إلى حديث الرجال؟!».

وفي روضة العقلاء (١/ ٨٥) كان مالك بن دينار، يقول: «من لم يأنس بحديث الله عن حديث المخلوقين؛ فقد قلَّ علمه، وعَمِيَ قلبُه، وضيَّع عمره».

ومن وصايا نصر بن يحيى بن أبي كثير، التي رواها عنه ابن أبي الدنيا، قال: «القرآن الذي جعله الله نورًا وشفاءً للمؤمنين، وحجة ووبالًا على المنافقين؛ فاجعله مفزعك الذي إليه تلجأ، وحصنك الذي به تعتصم، وكهفك الذي إليه تأوي، ودليلك الذي به تهتدي، وشعارك ودثارك ومنهجك وسبيلك. وإذا التبست عليك الطرق، واشتبهت عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك، وضاق بها صدرك، فارجع إلى عجب القرآن الذي لا حيرة فيه؛ فقف على دلائله من الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد والتشويق، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية؛ فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحدتك، وتقوى بعد ضعفك، فليكن دليلك دون المخلوقين؛ تفز مع الفائزين، ولا تهذه كهذِّ الشِّعر، وقف عند عجائبه، وما أشكل عليك؛ فرده إلى عالمه، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». اهـ

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

ولم يبق للراجي سلامة دينه ... سوى عزلة فيها الجليس كتابُ

كتاب حوى كل العلوم وكل ما ... حواه من العلم الشريف صوابُ

وفي المعارضة والرد لسهل بن عبدالله التستري (١/ ٧٥) عن الحسن بن صالح العباداني، قال: «دخلت على سهل بن عبدالله التستري، فقلت له: أوصني أيها الشيخ يرحمك الله! فإني أريد الحج، فقال لي: أوصيك، وواعظك معك؟ فقلت: ومن واعظي يرحمك الله؟ قال: الكتاب المنزل، فقلت له: الكتاب كبير وفيه مواعظ وتخويف، فعظني يرحمك الله قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، ثم قال: استمسك بما سمعت؛ ترشد، قال: فوالله لقد دلتني هذه الآية على كل خير».

=

٤٠ – حدثني أبو نوح، عن شيبان أبي معاوية، عن قتادة، عن أبي غلاب يونس بن جبير

عن حطان بن عبدالله السدوسي، قال:

قدم علينا جندب بن عبدالله ط البصرة[1]، فقلنا له: يا صاحب رسول الله ق! أوصنا. فقال: «من استطاع منكم ألا يجعل في بطنه إلا

وقال ابن تيمية في آخر حياته، وهو في السجن: «قد فتح الله عليَّ في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء كان الكثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن». اهـ

وقال ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٤٥٠): «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع منه الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما، وتتل –أي: تضع– في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه وافتراقهم فيما يفترقون فيه. وبالجملة: تعرفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه؛ فهذه ستة أمور ضروري للعبد معرفتها ومشاهدتها ومطالعتها». اهـ

(١) هكذا في الأصل، وفي المصادر زيادة: «فلما أراد أن يخرج؛ شيعناه إلى حصن المُكاتب».

طيبًا فليفعل؛ فإن أول ما ينتن من الإنسان بطنه[١]، ومن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم امرئ مسلم، يهريقه كأنما يذبح به دجاجة، لا يأتي بابًا من أبواب الجنة إلا حال بينه وبينه فليفعل، وعليكم بالقرآن؛ فإنه هدى النهار ونور الليل المظلم، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة، فإن عرض بلاء فقدموا أموالكم دون دمائكم، فإن تجاوزها البلاء فقدموا دماءكم دون دينكم، فإن المحروب[٢] من حُرِب

---

(١) بدأ  وصيته بأكل الطيب، كما بدأ الله بها قبل العمل الصالح؛ فقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ»، وإن الله قد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين.

فقدَّم الأكل من الطيبات على الصالح من الأعمال؛ ليدل على أهمية هذا الأمر وعدم إغفاله، وأن ما سيأتي بعده من وصايا لا تنفع بدونه، ولهذا من أكل الخبيث والمال الحرام جرَّه ذلك إلى سفك الدم الحرام، ومن فسد رزقه؛ فسد دينه.

ومن الأعمال الصالحة: قراءة القرآن؛ فإنها لا تنفع مع أكل الحرام، وقد قال إبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض كما في حلية الأولياء: «لم ينبل من نبل بالحج ولا بالجهاد ولا بالصوم ولا بالصلاة، وإنما ينبل عندنا من كان يعقل ما يدخل جوفه- يعني: الرغيف من حله-».

فدلَّ على قوة تأثيره في صلاح العبد؛ وقد جاء في الأثر: «إن الواعظ والمُذَكِّر كان إذا جلس للناس، ونصب نفسه؛ سئل أهل العلم عن مجالسته، فكانوا يقولون: تفقدوا منه ثلاثًا: انظروا إلى صحة اعتقاده، وإلى غريزة عقله، وإلى طُعمته، فإن كان يعتقد البدعة فلا تجالسوه؛ فإنه عن لسان الشيطان ينطق، وإن كان سيئ الطعمة؛ فاعلموا أنه ينطق عن الهوى، وإن كان غير ممكن العقل، فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح؛ فلا تجالسوه».

(٢) بمعنى: المسلوب. وفي رواية: «واعلموا أن الخائب من خاب دينه». وفي رواية: «وإن المخروب من خَرب دينه». وفي رواية: «فإن المحروم من حُرم دينه».



دينه، وإن المسلوب من سُلِب دينه. إنه لا فقر بعد الجنة، ولا غنى بعد النار؛ إن النار لا يُفك أسيرها، ولا يستغني فقيرها، والسَّلام عليكم»[(١)].

وحدثنا أبو نوح، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن يونس بن جبير، عن جندب بن عبدالله **ط**، مثل ذلك، ولم يذكر حطان.

٤١ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم

عن يونس بن عبيد، قال:

كتبت إلى ميمون بن مهران بعد طاعون كان ببلاده، أسأله عن أهله، فأتاني كتابه: «كتبت إليَّ تسألني عن أهلي، وإنه مات من حامَّتي[(٢)] سبعة عشر، وإني أكره البلاء إذا أقبل، فإذا أدبر لم يسرني أنه لم يكن. وعليك بكتاب الله تعالى، فإن الناس قد بَهَوْا به[(٣)] واختاروا عليه الأحاديث- أحاديث الرجال-.

---

(١) وفي الزهد للإمام أحمد (١/ ٢٩٦) عن أبي السَّوَّار: «أنهم أتوا جندبًا في قراء أهل البصرة، فقال: أرى هديًا حسنًا وسمتًا حسنًا، فإياكم وهذه الأهواء، ثم قال: مثل الذي يُعَلِّم الناس، ولا يعمل، كمثل السراج يضيء للناس، ويحرق نفسه».

(٢) أي: من خاصتي، وذوي قرابتي.

(٣) في إصلاح غلط المحدثين (١/ ٧١): «بَهَوْا به- كذا يُروى- وإنما هو: بَهَأوا به- مهموز- أي: أَنِسوا به، واستخفوا بحقِّه». اهـ

وقال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ٤٧٣): «بهوا به، وبَهَؤُا به- مهموز- معناه: أَنِسُوا به. وإنما أراد ميمون: أنهم قد أَنِسُوا به، وذلك حين ذهبت هَيْبَتُه من قلوبهم وخرج إعظامه منها، وكذلك كل شيء أَنِسْتَ به، فإن هيبته تَنْقُص من القلب». اهـ

=

ولا تُمارين به عالمًا ولا جاهلاً؛ فإنك إذا ماريت الجاهل خشن بصدرك، ولم يطعك، وإذا ماريت العالم خزن عنك علمه، ولم يبال ما صنعت».

٤٢ - حدثنا الحسين بن محمد البلخي، عن أبي سنان الشيباني

عن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه وضع رجله في الغرز، ثم قال- أحسبه قال لأصحابه-: «إياي والمزاح، فإنه يجر القبيحة، ويورث الضغينة[١]، وتحدثوا بكتاب الله، فإن ثقل عليكم، فأحاديث الرجال. اندفعوا على اسم الله»[٢].



وفي حلية الأولياء (٤/ ٩٠) جاء بلفظ: «وإنَّ الناس قد لهوا عنه، يعني: نسوه». اهـ

(١) وفي أنساب الأشراف للبلاذري (٢٧٠٨) قال ابن مسعود: «إياكم والمزاح؛ فإن فيه التذابح».

وقال ربيعة: «إياكم والمزاح؛ فإنه يفسد المودة، ويغل الصدر».

(٢) وفي الزهد لنعيم بن حماد (٢/ ١٠) عن ابن أبي روَّاد، قال: «كتب الحجَّاج إلى الوليد: إن عمر ابن عبدالعزيز كهفٌ للمنافقين، فندبه الوليد إليه، فاستصحبه ناس، فخرج عمر إليهم وقد اجتمعوا ليخرجوا معه، فقال: أكلكم قد حضر؟ قالوا: نعم، قال: فحمد الله وأثنى عليه- وكانوا يفعلون ذلك إذا تكلموا- ثم قال: اتقوا الله وحده لا شريك له، وإياي والمزاحة؛ فإنها تجر القبيحة وتورث الضغينة، تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به، فإن ثقل عليكم؛ فحديث حسن من حديث الرجال، سيروا باسم الله». اهـ

وهذا يوصي به رفقته في السَّفر- والسَّفر قطعةٌ من العذاب- يحذرهم من المزاح، ويأمرهم بالتحميض بكلام الرجال، كلما ثَقُلَ عليهم القرآن مع مشقة السَّفر.



باب: فضل اتباع القرآن، وما في العمل به من الثواب وما في تضييعه من العقاب

٤٣ - حدثنا هشيم، قال: حدثنا زياد بن مخراق، عن أبي إياس، عن أبي كنانة

عن أبي موسى الأشعري ط أنه قال:

«إن هذا القرآن كائن لكم ذكرًا، أو كائن لكم أجرًا، أو كائن عليكم وزرًا، فاتبعوا القرآن، ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من يتبع القرآنَ يهبط به على رياض الجنة، ومن يتبعه القرآن يَزُخُّ في قفاه حتى يقذفه في نار جهنم»(١).

---

(١) رواه الدارمي في سننه، ثم قال: «يزخ: يدفع». اهـ

قال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ١٧٣): «قوله: «اتبعوا القرآن». أي: اجعلوه أمامكم، ثم اتلوه، كقوله تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ». قال عكرمة: يتبعونه حق اتباعه؛ ألا ترى أنك تقول: فلان يتلو فلانًا، والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها. وأما قوله: «لا يتبعنكم القرآن»، فإن بعض الناس يحمله على معنى: لا يطلبنكم القرآن بتضييعكم إياه، كما يطلب الرجل صاحبه بالتبعة، وهذا معنى حسن؛ يصدقه الحديث الآخر: «إن القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق»، فجعله يمحل بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه؛ والماحل: الساعي. وفيه قول آخر هو أحسن من هذا، وهو: لا تدعوا العمل به، فتكونوا قد جعلتموه وراء ظهوركم، وهو أشد موافقة للمعنى الأول؛ لأنه إذا اتبعه كان بين يديه، وإذا خالفه كان خلفه. ومن هذا قيل: لا تجعل حاجتي بظهر، أي لا تدعها فتكون خلفك؛ ومن ذلك حديث يروى عن الشعبي في قوله: «فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ». قال: «أما إنه كان بين أيديهم، ولكنهم نبذوا العمل به». قال أبو عبيد: فهذا يبين لك أن من رفض شيئًا، فقد جعله وراء ظهره. وقوله: «يزخ في قفاه». أي: يدفعه. يقال: زخخته أزخه زخًّا».

=



وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن زياد بن مخراق، عـن أبـي إيـاس، عـن أبـي كنانـة، عـن أبـي موسى، مثل ذلك سواء.

وحدثنا هشيم، قال: أخبرنا محمد مولى قريش، قال: سمعت أبا كنانة، يحـدث عـن أبـي موسـى، بمثل ذلك.

٤٤ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال:

حُدِّثتُ عن أنس بن مالك ط أنه قال: قال رسول الله ق:

«القرآن شافع مشفع، ومَاحِلٌ مُـصَدَّق، مـن شـفع لـه القـرآن يـوم القيامة نجا، ومن محل به القرآن يوم القيامة كبَّه الله في النار على وجهه»[١].

وفي مختصر قيام الليل للمروزي (١/ ١٧٥) عن ميمون بن مهران، قال: «القـرآن قائـد وسـائق، فمن اتبع القرآن؛ قاده إلى الجنة، ومن نبذه وراء ظهره؛ ساقه إلى النار».

وفيه عن عقبة بن عامر ط قال: «القرآن حجيج يوم القيامة، فلكم أو عليكم».

وفي حلية الأولياء (٤/ ٨٤) عن ميمون بن مهران، قال: «من تبع القرآن؛ قاده القرآن حتـى يَحِـلّ به في الجنة، ومن ترك القرآن لم يدعه القرآن؛ يتبعه حتى يقذفه في النار». اهـ

وروى أحمد في مسنده عن أنس بن مالك ط قال: قال رسول الله ق: «مـررت ليلـة أسري بي على قوم تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، قال: قلت من هؤلاء؟ قالوا: خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون».

وفي رواية لأبي نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان: «هؤلاء خطباء أمتـك الـذين يقولـون ولا يفعلون، ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون به».

(١) رواه المروزي في قيام الليل، وله شاهد من حديث جابر بن عبدالله، وابن مسعود ن.

والصواب وقفه كما رجحه أبو حـاتم في العلـل (١٦٨١). وقـال الـدارقطني في العلـل (٧٤٨): «روي عن جابر مرفوعًا، والصحيح عن ابن مسعود موقوف». اهـ

=

وحدثنا حجاج، عن شريك، عن عاصم بن بهدلة، عن المسيب بن رافع، عن عبدالله بن مسعود ط، مثل ذلك، ولم يرفعه.

٤٥ – حدثنا حجاج، عن شعبة، عن عاصم، عن ذكوان

عن أبي هريرة ط، أنه قال:

«نِعْمَ الشفيع القرآن». قال: قال شعبة: وأحسبه قال:

«يقول يوم القيامة: يا رب! حَلِّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب! زده، فيكسى حُلَّة الكرامة، فيقول: يا رب! ارض عنه، فإنه ليس بعد رضاك شيء. قال: فيرضى عنه»[1].

وقوله: «مَاحِلٌ مُصَدَّق». أي: خَصِم مجادل مصدَّق. وقيل: ساع مصدَّق، من قولهم: محل بفلان، إذا سعى به إلى السلطان. يعني: أن من اتبعه وعمل بما فيه؛ فإنه شافع له مقبول الشفاعة، وهو مصدق عليه فيما يرفع من مساويه إذا ترك العمل به. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

(١) رواه الترمذي، ثم قال: «وهذا أصح من حديث عبدالصمد، عن شعبة». اهـ

أي: أن الموقوف أصح من المرفوع.

وفي مسند أحمد عن عبدالله بن عمرو م: أن رسول الله ق قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربّ! منعته الطعام والشهوات بالنهار؛ فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل؛ فشفعني فيه، قال: فيشفعان».

وفي فضائل القرآن لابن الضُّريس عن مجاهد، قال: «إن القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة، يقول: أي ربّ! جعلتني في جوفه، فأسهرت ليله، ومنعته كثيرًا من شهواته، ولكل عامل من عمله عمالة، فيقال له: ابسط يدك، قال: فتُملأ من رضوان الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يسخط عليه بعده، ثم يقال له: اقرأ وارق، قال: فيرفع بكل آية درجة، ويزاد بكل آية حسنة».

٤٦ - حدثنا عمرو بن طارق، عن ابن لهيعة، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن بشير بن المحرر، عن عبدالله بن عثمان بن الحكم

أن مروان بن الحكم، سمع كعب الأحبار وذكر قارئ القرآن، فقال:

«إذا بُعث تكلم القرآن، فقال: يا رب! إن عبدك هذا كان حريصًا على أن يتبعني ويعمل بي فآته أجره. قال: فيكسى حلة الكرامة ويتوج بتاج الوقار، فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: هل رضيتَ لعبدي هذا ما أعطيته؟ فيقول القرآن: يا رب! ما رضيتُ ما أعطيته، فيعطى النعمة في يمينه، والخلد في شماله، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: هل رضيت ما أعطيت عبدي هذا؟ فيقول: نعم».

قال أبو عبيد: إنما هذا ثوابه، فأما القرآن فهو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ(١).

(١) وفي ذم الكلام للهروي (١٢٠٢) قال الفضل بن محمد المروزي: «سمعت إسحاق بن راهويه الحنظلي، يقول في الحديث الذي يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاب الشاحب، قال: إنما يجيء ثواب عمله، خيال كالرجل ليس خلق مخلوق. وجاء في الحديث: «الحجر الأسود يأتي يوم القيامة، له عينان ولسان». ولقد جاءنا عن النبي ﷺ: «إذا دخل الرجل القبر، أتاه عمله الصالح على أحسن صورة، فيقول: أنا عملك الصالح». إنما يجيء ثواب عمله وهو خيال، كيف ندرك صفة هذا بالعقول، وقد نهينا عن تكلف علم هذا، وإنما علينا التعبد والاستسلام». اهـ

وقال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٢٠٢): «ثم إن الجهمية لجأت إلى المغالطة في أحاديث تأولوها، موهوا بها على من لا يعرف الحديث، مثل الحديث الذي روي: «يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب، فيقول له القرآن: أنا الذي أظمأت نهارك، وأسهرت ليلك، فيأتي اللهَ فيقول: أي ربّ! تلاني ووعاني وعمل بي». والحديث الآخر: «تجيء البقرة، وآل عمران؛ كأنهما =

٤٧ – حدثني أبو نعيم، عن بشير بن مهاجر، قال:

حدثني عبدالله بن بريدة، عن أبيه ط، قال:

كنت عند رسول الله ق فسمعته يقول: «إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، إن كل تاجر من وراء تجارته، وإني اليوم من وراء كل تجارة». قال: «فيعطى المُلْك بيمينه والخُلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حُلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن. ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها. قال: فهو في صعود ما دام يقرأ؛ هذًّا كان أو ترتيلاً»[1].

٤٨ – حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن محمد بن عبدالرحمن السدوسي، عن معفس بن عمران بن حطان، قال:

سمعت أم الدرداء ك، تقول:

سألتُ عائشة رضوان الله عليها وكرامته، عمن دخل الجنة ممن جمع القرآن: ما فضله على من لم يجمعه؟

غمامتان»، فأخطأوا في تأويله، وإنما عنى في هذه الأحاديث في قوله: «يجيء القرآن، وتجيء البقرة، وتجيء الصلاة، ويجيء الصيام ويجيء ثواب ذلك كله، وكل هذا مبيَّن في الكتاب والسُّنة». اهـ

(١) رواه أحمد، والدارمي، وابن ماجه.



فقالت: «إن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن، فمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن فليس فوقه أحد».

وحدثنا حجاج، عن عمران بن يحيى، قال: سمعت معفس بن عمران بن حطان، يقول: سأل أبي أم الدرداء ك عن ذلك، ثم ذكر مثل حديث مروان، إلا أنه لم يذكر عائشة ك.

٤٩ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن عاصم ابن بهدلة، عن زر بن حبيش

عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ق:

«يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارقَ ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك في آخر آية تقرؤها»(١).

٥٠ – حدثنا يزيد، عن همام، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام

عن عائشة ك قالت: قال رسول الله ق:

«الذي يقرأ القرآن وهو به ماهر، مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يشتد عليه، فله أجران»(٢).

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) متفق عليه. وقال إسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٧٠٩): «معنى: «أجران»، يعني: نفس الحروف، أي: أجر كل حرف يضاعف له حتى يصير له أجران، والماهر به هو فوقه، كما جاء: «من قال مثل ما يقول المؤذن، فله مثل أجره، يعني: مثل أجر الكلمات التي تكلم بها المؤذن، ويفضله =

وحدثنا حجاج، عن شعبة، عن قتادة، قال: سمعت زرارة، يحدث عن سعد بن هشام، عن عائشة ك عن النبي ق مثله.

٥١ – وحدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن عبدالله، أو عبدالرحمن بن بديل العقيلي، عن أبيه بُدَيْل بن ميسرة

عن أنس بن مالك ط عن النبي ق قال:

«إن لله تعالى أهْلِين من الناس». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته»(١).



المؤذن بها صار مؤذنًا، فله مثل أجر من سمعه من رطب ويابس، وهو كالمتشحط في دمه، وهو أول من يُكسى، وأشباه ذلك خص بها المؤذن». اهـ

(١) رواه أحمد، وابن ماجه، والنسائي.

وأهل القرآن هم: الذين يقرءونه آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى، العاملون بما فيه.

قال ابن النحاس في القطع والائتناف: «يجب أن يكون أهل القرآن: العاملين به، لأن القرآن إنما أُنْزَل ليُعْمَل به، لا ليُحفظ فقط». اهـ

وإضافة أهل القرآن لله؛ إضافة تشريف وتكريم، فهم أولياؤه المختصون به، اختصهم الله بزيادة فضل على غيرهم؛ لأنهم جمعوا بين العلم والعمل. وقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٣٧٧) عن كعبٍ في قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾. قال: «هم أهل القرآن».



باب: إعظام أهل القرآن وتقديمهم وإكرامهم

٥٢ – حدثنا أبو معاوية، عن حجاج بن أرطأة، عن سليمان بن سحيم

عن طلحة بن عبيدالله بن كَريز، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق، ويبغض أو قال: ويكره سفسافها[1]، وإن من تعظيم جلال الله تعالى إكرام ثلاثة: الإمام المقسط، وذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه»[2].

---

(١) سفساف الأخلاق: رديئها. وسفساف الشعر: رديئه. والسفساف: الرديء من كل شيء، والأمر الحقير، وكل عمل دون الإحكام، وهو ضد المعالي والمكارم. وأصله ما يطير من غبار الدقيق إذا نخل، والتراب إذا أثير. لسان العرب (٣/ ٢٠٣٠).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه، والبيهقي في شعب الإيمان مرسلًا عن طلحة بن عبيدالله بن كَريز.
وروى شطره الأخير، أبو داود في سننه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
وفي شعب الإيمان: «غير الغالي فيه، ولا الجافي، ولا المستكثر به».
والغلو فيه: التعمق، والجفاء عنه: التقصير.
قال أبو عبيد في غريب الحديث (٣/ ٤٨٣): «فالغالي فيه: هو المُتَعمِّقُ، حتى يخرجه ذلك إلى إكفار الناس؛ كنحوٍ من مذهب الخوارج وأهل البدع. والجافي عنه التارك له وللعمل به، ولكن القصدُ من ذلك». اهـ

=



فمن أمثلة غلو الخوارج في القرآن: أنهم يقرؤن القرآن يحسبونه لهم وهو عليهم.

ومنها: أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في المشركين فجعلوها في المسلمين؛ من ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك وصححه، والبيهقي في الكبرى، عن حكيم بن سعد، قال: «نادى رجل من الغالين عليًّا في صلاة الفجر، فقال: « وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »، فأجابه عليٌّ وهو في الصلاة: « فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ». اهـ

وروى أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣٧) عن صلة العدوي، قال: «إياك وقومًا يقولون: نحن المؤمنون! وليسوا من الإيمان على شيء؛ هم الحرورية، هم الحرورية».

وفي فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٨٣)، وخلق أفعال العباد للبخاري (١/ ٥٦) قالت عائشة ك: «يا عبيدالله بن عدي! لا يغرنك أحدٌ بعد الذين تعلم، فوالله ما احتقرت أعمال أصحاب رسول الله ق حتى نجم النفر الذين طعنوا في عثمان، فقالوا قولًا لا يُحسَنُ مثله، وقرءوا قراءة لا يُحسَنُ مثلها، وصلوا صلاة لا يُصلى مثلها، فلما تدبرت الصنيع، إذا هم والله ما يقاربون أصحاب رسول الله ق، فإذا أعجبك حسن قول امرئ منهم، فقل: « وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ». ولا يستخفنك أحد». اهـ

ومن أمثلة غلو أهل البدع في القرآن: هؤلاء الذين سموا أنفسهم- زورًا- بـ(القرآنيين)، وهم الذين جاء فيهم الخبر: «لا أُلْفِيَنَّ أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه؛ فيقول: لا أدري! ما وجدنا في كتاب الله؛ اتبعناه». رواه أحمد، والترمذي، وصححه.

ومن أمثلة التكلف والغلو في القرآن: هؤلاء الذين يشتغلون بالقراءات وتحصيل الإجازات فيها، فيفني أحدهم أكثر عمره في جمعها والإقراء بها، فيشغله ذلك عن معرفة ما أوجب الله عليه من التوحيد والسُّنة، بل كما قال الفضيل بن عياض: «أُنزل القرآن ليُعمل به؛ فاتخذ الناس تلاوته عملًا».

يعني: اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به، بل حتى التلاوة أخرجوها عن مراد الله؛ ومن ذلك أن أحدهم يقرأ في محرابه بالشاذ، ويترك المتواتر المشهور، أو ما تعارف عليه أهل بلده. ومنهم من يتشدد في مخارج الحروف، وفي تحقيق الشدة والمدود، وفي إخراج ضاد (المغضوب عليهم)، حتى إن بعضهم عندما يقرأ كلمة: (المغضوب) يخرج بصاقه مع إخراج الضاد، لقوة تشديده.

=

٥٣ – حدثنا معاذ بن معاذ، عن عوف بن أبي جميلة، عن زياد بن مخراق، عن أبي كنانة

عن أبي موسى الأشعري، قال:

«إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وذي السُّلطان المقسط»[١].

ولقد قال أحدهم في الإذاعات: «إن العوام يغلطون في قراءة الفاتحة نحوًا من (١٣٥) خطأ!». فكانت نتيجة ذلك أن أُصيب بعض الناس بوسواس في القراءة وفي الصلاة، والله المستعان!

ومن أمثلة الجفوة عن القرآن: هؤلاء الذين ذكرهم ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٣٤٩) بقوله: «أنزلوا نصوص السنة والقرآن منزلة الخليفة العاجز في هذا الزمان؛ اسمه على السّكة، وفي الخُطبة فوق المنابر مرفوع، والحكم النافذ لغيره! فحكمه غير مقبول ولا مسموع، لبسوا ثياب أهل الإيمان على قلوب أهل الزيغ والخسران والغل والكفران، فالظواهر ظواهر الأنصار، والبواطن قد تحيزت إلى الكفار، فألسنتهم ألسنة المسالمين وقلوبهم قلوب المحاربين، ويقولون: «ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ»، رأس مالهم الخديعة والمكر، وبضاعتهم الكذب والختر». اهـ

وقال في أعلام الموقعين (١/ ٢٤٧): «إن السنن والآثار عند الآرائيين والقياسيين، خاوية على عروشها، معطلة أحكامها، معزولة عن سلطانها وولايتها، لها الاسم ولغيرها الحكم، لها السّكة والخُطبة، ولغيرها الأمر والنهي». اهـ

وأما أهل السُّنة والحديث والجماعة فهم أهل القرآن حقًّا، وهم أهل القصد في ذلك؛ أخذوا دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم، كما وقف الفضيل بن عياض على رأس سفيان وحوله جماعة، فقال له: « قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ». فقال له سفيان: يا أبا عليّ! والله لا يفرح أبدًا، حتى يأخذ دواء القرآن؛ فيضعه على داء قلبه». اهـ

فهؤلاء هم الذين إكرامهم من تعظيم جلال الله تعالى.

(١) رواه أبو داود في سننه مرفوعًا، ورواه ابن المبارك في الزهد، ومن طريقه البخاري في الأدب المفرد موقوفًا على أبي موسى الأشعري ط، وهو الصحيح.

٥٤ – حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي مليكة، وغير جرير يقول

عن ابن أبي مليكة، قال:

«ثلاثة حق عليك توقيرهم: ذو السلطان المقسط، وذو الشيبة المسلم، وحامل القرآن»[١].

٥٥ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن حميد بن هلال

عن هشام بن عامر الأنصاري[٢]، قال:

شكوا إلى رسول الله ق القرح[٣] يوم أُحد، وقالوا: كيف تأمر بقتلانا؟ فقال: «احفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا في القبر الاثنين والثلاثة، وقدموا أكثرهم قرآناً». قال: فَقُدِّم أبي بين يدي ثلاثة[٤].

(١) وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عمار ط، قال: «ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق بيِّنٌ نفاقه: الإمام المقسط، ومعلم الخير، وذو الشيبة في الإسلام».

وقال الشعبي: «أَمْسَكَ ابن عباس م بركاب زيد بن ثابت، وقال: هكذا يُفعل بالعلماء».

(٢) كان اسمه في الجاهلية (شهابًا) فغيره النبي ق وسماه (هشامًا)، واستشهد أبوه عامرٌ يوم أُحُد. وسكن هشام البصرة، وهو والد سعد بن هشام الذي سأل عائشة ك عن وتر رسول الله ق. وتوفي هشام بالبصرة. أسد الغابة (٥/ ٤١٩).

(٣) أي: كثرة الجراحات والقتلى يوم أحد، فهم يعجزون أن يحفروا لكل واحدٍ قبرًا، وأرادوا الرُّخصة في جمع النَّفر في قبر واحد.

(٤) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وأبوه: هو عامر بن أمية بن الحسحاس ط.

=



حدثنا أبو النضر[1]، عن سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن هشام بن عامر، عن النبي ﷺ مثل ذلك.

٥٦ – حدثنا يزيد، عن مسعر بن حبيب الجرمي، قال:

سمعت عمرو بن سَلِمة الجرمي، يقول:

لما قدم وفد قومي على رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله! من يصلي لنا أو بنا؟ فقال: «أكثرهم جمعاً أو أخذاً للقرآن»[2].

ومثله جاء عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه - كما في البخاري - قال: «كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد في ثوب واحد، ثم يقول: أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللَّحد».

وفي رواية، قال: «فكفن - أو فدفن - أبي وعمي - وفي رواية: وأخي - في نمرة واحدة - وفي رواية: قبر واحد يومئذ».

وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٤٤): «فكان ممن نعرف أنه دفن في قبر واحد: عبدالله بن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجموح في قبر. وخارجة بن زيد، وسعد بن الربيع في قبر. والنعمان بن مالك، وعامر بن الحسحاس في قبر واحد». اهـ

فإذا كان هذا إكرام صاحب القرآن بعد موته، ففي حياته هو أولى بالإكرام والتقديم.

(١) هو: هاشم بن القاسم، أبو النضر الليثي البغدادي، ولقبه: قيصر، وكان الإمام أحمد يقول: أبو النضر شيخنا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. وقال أبو بكر بن الأعين: سمعت أحمد ابن حنبل يقول: أبو النضر من متثبتي بغداد. تهذيب الكمال (٦٥٤٠).

(٢) رواه أحمد، وأبو داود. وقد جاءت القصة كاملة، كما في كتب الحديث عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال: «كنا بحاضر يمرُّ بنا الناس إذا أتوا إلى النبي ﷺ فكانوا إذا رجعوا مروا بنا، فأخبرونا أن رسول الله ﷺ قال كذا وكذا، وكنت غلامًا حافظًا، فحفظت من ذلك قرآنًا كثيرًا، فانطلق أبي وافدًا =

٥٧ – حدثنا الحسن بن يزيد، قال: سمعت السدي، يحدث عن أوس بن ضمعج

عن أبي مسعود الأنصاري، عن النبي ﷺ قال:
«يؤم القوم: أقرؤهم لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ»[1].

إلى رسول الله ﷺ في نفر من قومه، فعلمهم الصلاة، وقال: يؤمكم أقرؤكم. وفي رواية: لما أرادوا أن ينصرفوا، قالوا: يا رسول الله! من يؤمنا؟ قال: أكثركم جمعًا للقرآن– أو أخذًا للقرآن– فلم يكن أحد جمع ما جمعت، فقدموني وأنا غلام علي شملة لي. وفي رواية: فكنت أقرأهم لما كنت أحفظ، فقدموني– وفي رواية عند ابن أبي شيبة، قال: فدعوني، فعلموني الركوع والسجود– فكنت أؤمهم، وعليَّ بردة لي صغيرة صفراء. وفي رواية: موصلة فيها فتق، فكنت إذا سجدت، خرجت استي. وفي رواية: فكنت إذا سجدت تكشفت عني، فقالت امرأة: واروا عنا عورة قارئكم، فاشتروا لي قميصًا عمانيًّا، فما فرحت بشيء بعد الإسلام فرحي به، فكنت أؤمهم وأنا ابن سبع سنين، أو ثمان سنين. وفي رواية: وما شهدت مجمعًا من جرم، إلا كنت إمامهم، وكنت أصلي على جنائزهم إلى يومي هذا».

وصاحب القرآن مقدَّمٌ في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة، وهو مع السفرة الكرام البررة:

أما في الدنيا: فكما في حديث عمرو بن سلمة الجرمي رضي الله عنه المتقدِّم.

وأما في البرزخ: فكما في قصة هشام بن عامر الأنصاري، وجابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

وأما في الآخرة: فقد روى أحمد، وأبو داود، والترمذي وصححه، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها».

وروى البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له؛ مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد؛ فله أجران».

(١) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي. وفيه: «فإن كانوا في القراءة سواء؛ فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء؛ فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء؛ فأقدمهم سِنًّا– وفي رواية: سِلمًا. أي: إسلامًا– ولا يَؤُمَّنَّ الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه».

=

وكان الأقرأ في زمنهم هو الأعلم، إذ كانوا يتعلمون مع تلاوته ما يتعلق به من الأحكام، والمعاني.

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن مرة بن شراحيل، قال: «كنت في بيتٍ فيه ابن مسعود، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري ن فحضرت الصلاة، فقال هذا لهذا: تقدم، وقال هذا لهذا: تقدم، وعبدالله بين أبي موسى وحذيفة، فأخذا بناحيتيه؛ فقدماه، قلت: مم ذلك؟ قال: إنه شهد بدرًا». اهـ

<u>فائدة:</u> قال الذهبي في ترجمة أُبي بن كعب ط في كتابه معرفة القراء الكبار (١/ ٣١): «كان أُبي ابن كعب أقرأ من أبي بكر ومن عمر، ومع هذا فما استخلف النبي ق أُبيًّا، بل استخلف أبا بكر على الصلاة، وقد قال ق: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»، وهذا مُشكل». اهـ

قلت: ولا إشكال في ذلك؛ ففي السُّنة للخلال (٢/ ٣٠١) عن أبي بكر المروذي، قال: «قيل لأبي عبدالله: قول النبي ق: يؤم القوم أقرؤهم، فلما مرض رسول الله ق قال: قَدِّموا أبا بكر يصلي بالناس، وقد كان في القوم من هو أقرأ من أبي بكر؟ فقال أبو عبدالله: إنما أراد الخلافة».

وعن علي بن سعيد أنه سأل أبا عبدالله عن الإمامة، من أحق؟ قال: أقرؤهم، فإذا استووا، فالصلاح عندي - والله أعلم -. قال: قدَّم النبي ق أبا بكر يصلي بالناس، ولم يكن أقرأهم، وابن مسعود أعلمهم بكتاب الله، فقال: هذا يختلف. فقال: من أي شيء؟ قال: إنما قدَّمه النبي ق من أجل الخلافة، وهذا موضع تأويل».

وقال الأثرم: «قلت لأبي عبدالله: حديث النبي ق: «قدموا أبا بكر يصلي بالناس»، هو خلاف حديث أبي مسعود عن النبي ق: «يؤم القوم أقرؤهم» فقال: إنما قوله لأبي بكر عندي يصلي بالناس للخلافة، إنما أراد الخلافة بذلك، وقد كان لأبي بكر فضلٌ بيِّنٌ على غيره، وإنما الأمر في القراءة، فأما أبو بكر فإنما أراد به الخلافة. ثم قال: ألا ترى أن سالمًا مولى أبي حذيفة كان مع خيار أصحاب رسول الله ق فكان يؤمهم؛ لأنه جمع القرآن، وحديث عمرو بن سلمة أمهم للقرآن». اهـ

وقال ابن كثير - كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي (١/ ٤٢) -: «كان الصديق أقرأ الصحابة، أي أعلمهم بالقرآن؛ لأنه قدمه إمامًا للصلاة بالصحابة مع قوله: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله». وأخرج الترمذي عن عائشة ك قالت: قال رسول الله ق: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره». وكان مع ذلك أعلمهم بالسُّنة، كلما رجع إليه الصحابة في غير موضع يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي ق يحفظها ويستحضرها عند الحاجة إليها ليست عندهم، وكيف لا يكون =



٥٨ - حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو عبد الجليل، عن عبدالله بن فروخ

عن عائشة ك قالت:

«يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى، وأقدمهم هجرة، فإن كانوا في ذلك سواء؛ فليؤمهم أحسنهم وجهًا»(١).

كذلك وقد واظب على صحبة رسول الله ق من أول البعثة إلى الوفاة، وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعقلهم، وإنما لم يرو عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل لقصر مدته وسرعة وفاته بعد النبي ق، وإلا فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه جدًا ولم يترك الناقلون عنه حديثًا إلا نقلوه، ولكن كان الذي في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته، فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم». اهـ

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٠٠)، وقال: «هذا حديثٌ موضوع». وقال: «قال أبو حاتم الرازي: ابن فروخ مجهول، وقال أحمد بن حنبل: هذا حديث سوء؛ ليس بصحيح». اهـ

ورواه ابن عدي في الكامل، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ك قالت: «قال النبي ق: ليؤمكم أحسنكم وجهًا؛ فإنه أحرى أن يكون أحسنكم خلقًا».

قال ابن عدي: «هذا الحديث منكر المتن».

ورواه الجورقاني في الأباطيل والمناكير (١/ ٢١٢) وقال: «هذا حديث منكر، وإسناده ضعيف».

وقال البيهقي في السنن الكبير (٣/ ١٢١): «باب: من قال: يؤمهم أحسنهم وجهًا- إن صح الخبر- ثم ساق بسنده إلى أبى زيد الأنصاري، وهو عمرو بن أخطب، عن النبي ق قال:«إذا كانوا ثلاثة، فليؤمهم أقرؤهم لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فإن كانوا في القراءة سواء؛ فأكبرهم سنًا، فإن كانوا في السن سواء؛ فأحسنهم وجهًا». فكأن البيهقي يشير لضعفه بقوله: «إن صح».

وفيه عبدالعزيز بن معاوية، وقد أنكر ابن حبان، والحاكم روايته هذه؛ ففي الثقات لابن حبان قال: «هذا منكر لا أصل له، ولعله أُدخل عليه، وما عدا هذا من حديثه يشبه حديث الأثبات». اهـ

=

قال أبو عبيد: لا أراها أرادت إلا حُسن السَّمت والهدي(١).

٥٩ - حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن نافع

عن ابن عمر :

أن سالمًا كان يؤم المهاجرين والأنصار في مسجد قباء فيهم أبو بكر، وعمر، وأبو سلمة بن عبدالأسد(٢)، وزيد بن حارثة، وعامر بن ربيعة.

وقال الحاكم: «حدَّث عن أبي عاصم بما لا يتابع عليه». اهـ

وعليه فإن الحديث من حيث الصنعة الحديثية لا يصح، لكن له وجه صحيح من حيث المعنى، وهو الذي فسره أبو عبيد: بالسمت والهدي، فلا ينبغي أن يتقدم في الإمامة من أسبل إزاره، أو حلق لحيته، أو من تظهر عليه أمارات الفسق؛ لأن الإمامة شعار الصلاة، والصلاة شعار الإسلام.

وإن تعجب! فاعجب للأحناف؛ أصحاب الرأي والقياس والاستحسان، حيث يرتبون أفضلية الإمامة هكذا: «أكثرهم حَسَبًا، ثم الأشرف نسبًا، ثم الأحسن صوتًا، ثم الأحسن زوجة، ثم الأكثر مالًا، ثم الأكثر جاهًا، ثم الأنظف ثوبًا، ثم الأكبر رأسًا، والأصغر عضوًا- أي: الأصغر ذَكَرًا!-». قاله صاحب الدر المختار (١/ ٥٥٨). وهذا هو اللائق بمذهبهم.

وقد قال ابن المنذر في الأوسط (٤/ ١٤٩): «القول بظاهر خبر ابن مسعود؛ يجب، فيقدم الناس على سبيل ما قدمهم رسول الله ﷺ لا يجاوز ذلك». اهـ

(١) وقال أبو عبيد في غريب الحديث (٣/ ٣٨٤): «السَّمت يكون في معنيين: أحدهما: حُسن الهيئة والمنظر في مذهب الدين، وليس من الجمال والزينة، ولكن يكون له هيئة أهل الخير ومنظرهم. وأما الوجه الآخر: فإن السَّمت: الطريق، يقال: الزم هذا السَّمْتَ، وكلاهما له معنى جيد، أن يلزم طريقة أهل الإسلام، وأن يكون له هيئة أهل الإسلام». اهـ

(٢) هو: عبدالله بن عبدالأسد بن هلال القرشي المخزومي، أبو سلمة المكي ﭬ، والد عمر بن أبي سلمة، وزينب بنت أبي سلمة، أمه برة بنت عبدالمطلب عمة النبي ﷺ، وهو أخو النبي ﷺ من =



قال أبو عبيد: يعني بسالم مولى أبي حذيفة[1].

الرضاعة، هاجر الهجرتين، بل قيل: هو أول من هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، وتوفي بالمدينة في حياة النبي ﷺ بعد غزوة أحد، سنة أربع للهجرة، وكانت عنده أم سلمة زوج النبي ﷺ، فلما مات تزوجها النبي ﷺ وكان من أفاضل الصحابة.

وفي الأوائل لابن أبي عاصم (١/ ٨٢) عن القاسم بن محمد، عن ابن عباس ﭭ قال: «أول من يعطي كتابه بيمينه: أبو سلمة بن عبدالأسد. قال: وهو الذي يقول: «هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ». قال: وكان ابن عباس ﭭ يقرؤها: «كُلْ واشرب يا أبا سلمة! بما أسلفت في الأيام الخالية». وأما الذي يعطى كتابه بشماله، فأول من يعطاه: فأخوه سفيان بن عبدالأسد». اهـ

(١) هو: سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وقيل: سالم بن معقل، يكنى أبا عبدالله، كان مولى لامرأة من الأنصار، يقال لها: عمرة بنت يعار، أعتقته سائبة- أي: لا عَقْل بينهما ولا ميراث- تبناه أبو حذيفة، وأرضعته سهلة بنت سهيل بن عمرو بعد البلوغ، وكانت رخصة له، شهد بدرًا، واستشهد باليمامة في خلافة أبي بكر. وقد كان ﭬ من سادات المسلمين، وكان يؤم الناس قبل مقدم النبي ﷺ في المدينة.

ومن فضائله: ما رواه البخاري في صحيحه، وعقد له بابًا أسماه: «مناقب سالم مولى أبي حذيفة»، فعن مسروق قال: ذُكر عبدُالله عند عبدالله بن عمرو، فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «استقرئوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود- فبدأ به- وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل». اهـ

وروى أحمد في مسنده عن عائشة ﭫ قالت: «أبطأتُ على النبي ﷺ فقال: ما حبسكِ يا عائشة؟ قالت: يا رسول الله! إن في المسجد رجلًا ما رأيت أحدًا أحسن قراءةً منه، قالت: فذهب رسول الله ﷺ، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك».

وروى الحاكم، عن زيد بن ثابت، قال: «لما قتل سالم مولى أبي حذيفة، قالوا: ذهب ربع القرآن».

وفي حلية الأولياء (١/ ١٧٧) قال عمر ﭬ: لو استخلفت سالمًا مولى أبي حذيفة، فسألني عنه ربي: ما حملك على ذلك؟ لقلت: ربِّ! سمعت نبيك ﷺ وهو يقول: إنه يحب الله تعالى حقًّا من قلبه».

٦٠ – وحدثنا عبدالله بن صالح، عن الهِقْل بن زياد، عن معاوية بن يحيى الصدفي، قال: حدثني الزهري، قال:

حدثني عامر بن واثلة ط:

أن نافع بن عبد الحارث الخزاعي، تلقى عمر بن الخطاب ط بعُسْفان، وكان عمر استعمله على مكة، فسلم على عمر، فقال له: «من استخلفت على أهل الوادي؟» فقال نافع: استخلفت عليهم يا أمير المؤمنين ابن أبزى. فقال عمر: «وما ابن أبزى؟» فقال نافع: هو من موالينا. فقال عمر: «استخلفت عليهم مولى؟» فقال: يا أمير المؤمنين! إنه قارئ لكتاب الله تعالى، عالم بالفرائض؛ فقال عمر: أما إن نبيكم ق قال: «إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين»[1].

---

(١) رواه أحمد، ومسلم. وقد قال الله تعالى: «يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ». أي: خبير بمن يستحق ذلك، ومن لا يستحقه.

وروى البخاري عن ابن عباس م قال: «كان القراء أصحابَ مجلس عمر ومشاورته، كهولًا وشبانًا».

وفي الجرح والتعديل (٣/ ٥١٠) قال أبو العالية: «كنت ألزم ابن عباس م فيرفعني على السرير؛ فتغامزت بي قريش وهم أسفل من السرير، يقولون: يرفع هذا المولى على السرير، ففطن بهم ابن عباس م، فقال: إن هذا العلم يزيد الشريف شرفًا، ويُجْلِس المملوك على الأسرة».

وفي المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان (١/ ٧٠١) قال الإمام أحمد: «العلم خزائن، يقسم الله لمن أحبَّ، لو كان يخص بالعلم أحدًا؛ كان أهل بيت النبي ق أولى: كان عطاء بن أبي رباح حبشيًّا.
=



وكان يزيد بن أبي حبيب نوبيًّا أسود. وكان الحسن البصري مولى للأنصار. وكان ابن سيرين مولى للأنصار». اهـ

وفي الأوسط لابن المنذر (٤/ ١٤٨) قال: «كان الأشعث بن قيس أميرًا على جيش، فقدَّم غلامًا، فقيل له: تقدم غلامًا، وأنت أمير؟! قال: إنما أقدم القرآن».

وفي حلية الأولياء (٥/ ٥٤) عن الحارث بن أبي أسامة، قال: «قلت: لحفص بن أبي حفص الأَبَّار: رأيتَ الأعمش؟ قال: نعم، وسمعته يقول: إن الله يرفع بالعلم، أو بالقرآن أقوامًا، ويضع به آخرين، وأنا ممن يرفعني الله به، لولا ذلك لكان على عنقي دَنٌّ صِحْنا؛ أطوف به في سكك الكوفة».

والدَّنُّ: برميل أو وعاء ضخم للخلِّ ونحوه. والصِّحْنا: إدام يُتخذ من السَّمك، يُمدُّ ويُقصر.

وفي حلية الأولياء (٩/ ١٣٢) عن الربيع بن سليمان، قال: «قال الشافعي: يا ربيع! رضى الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه، فإنه لا سبيل إلى رضاهم. واعلم أن من تعلَّم القرآن جلَّ في عيون الناس». وفي لفظ قال: «من تعلَّم القرآن؛ عظمت قيمته». اهـ

وفي الفقيه والمتفقه للخطيب (١/ ٤٩) قال أبو إسحاق إبراهيم الحربي: «كان عطاء بن أبي رباح عبدًا أسود لامرأة من أهل مكة، وكان أنفه كأنه باقلاء، قال: وجاء سليمان بن عبدالملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حوَّل قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما، فقاما، فقال: يا بني! لا تنيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود».

وقال أبو إسحاق: «كان محمد بن عبدالرحمن الأوقص عنقه داخلًا في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زُجَّان- وهي الحديدة التي تُركَّب في أسفل الرمح- فقالت له أمه: يا بني! لا تكون في قوم، إلا كنت المضحوك منه المسخور به، فعليك بطلب العلم؛ فإنه يرفعك، قال: فطلب العلم، فولي قضاء مكة عشرين سنة، فكان الخصم إذا جلس بين يديه يرعد حتى يقوم، قال: ومرَّت به امرأة يومًا، وهو يقول: اللهم أعتق رقبتي من النار، فقالت له: يا ابن أخي، وأيُّ رقبة لك؟!». اهـ

وفي شرف أصحاب الحديث (١/ ٩٩) قال يحيى بن أكثم: «قال لي الرشيد: ما أنبل المراتب؟! قلت: ما أنت فيه يا أمير المؤمنين، قال: فتعرف أجلَّ مني؟ قلت: لا، قال: لكنني أعرفه؛ رجل في حلقة يقول: حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ، قال: قلت: يا أمير المؤمنين! هذا خير منك،
=



وحدثني أبو اليمان الحكم بن نافع، عن شعيب بن أبي حمزة، عن ابن شهاب، قال: حدثني عامر ابن واثلة الليثي، أن نافع بن عبد الحارث، لقي عمر بعسفان، ثم ذكر مثل حديث الهقل غير أنه لم يرفعه إلى النبي ق.

وحدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت

عن أبي الطفيل- عامر بن واثلة الليثي ط -:

أن نافع بن عبد الحارث، كان على مكة، فاستقبل عمر، فذكر أيضًا مثل ذلك أيضًا أو نحوه، ولم يرفعه، إلا أنه قال: قال له عمر: «استعملت على أهلِ الله رجلاً من الموالي؟ وزاد في آخره: قال: قال عمر: وإني لأرجو أنَ يكون عبدالرحمن بن أبزى ممن رفعه الله بالقرآن.



وأنت ابن عم رسول الله ق وولي عهد المؤمنين؟! قال: نعم، ويلك هذا خير مني؛ لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ق، لا يموت أبدًا، نحن نموت ونفنى، والعلماء باقون ما بقي الدهر». اهـ

وفي فوائد تمام الرازي (١/ ١٥٦) قال خيثمة بن سليمان: «حدثنا ابن أبي الخناجر، قال: كنت في مجلس يزيد بن هارون بواسط، فجاء المأمون فوقف علينا في المجلس، وفي المجلس ألوف، فالتفت إلى أصحابه، وقال: هذا الملك». اهـ



باب: فضل علم القرآن والسعي في طلبه

٦١ - حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن مُرَّة

عن عبدالله ط، قال:

«إذا أردتم العلم؛ فأثيروا[1] القرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين»[2].

---

(١) ثَوِّر القرآن، أي: بحث عن معانيه وعن علمه، قال شمر: تثوير القرآن: قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه. وقيل: ليُنَقِّر عنه، ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته. انظر: لسان العرب (٤/١٠٨).

(٢) قال ابن القيم في نونيته:

والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحق ذو تبيان

علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمن

والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني

والكل في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالقرآن

وفي ذم الكلام وأهله للهروي (٥٥٩) عن نافع بن راشد؛ قال: «ما خطب عمر بن عبدالعزيز على هذا المنبر- يعني منبر رسول الله ق - قط؛ إلا قال: أيها الناس! عليكم بالقرآن؛ فتعلموه وعلِّموه؛ فبه فَقُهَ الفقهاء، وبه عَلِمَ العلماء، وبه يُبلغُ العلم، وإليه ينتهي العلم».



٦٢ – وحدثني أبو نعيم، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح

عن مسروق بن الأجدع، قال:

«ما نسأل أصحاب محمد ق عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه»(١).

---

(١) مصداق ذلك في كتاب الله؛ قوله تعالى: «مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ».

وفي الإبانة الكبرى عن ابن مسعود ط، قال: «إن الله أنزل هذا القرآن تبيانًا لكل شيء، ولكن علمنا يَقْصُرُ عما بَيَّن لنا في القرآن، ثم قرأ: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ».

وفي الصحيحين عن طلحة بن مصرف، قال: «سألت ابن أبي أوفى ط: أوصى النبي ق؟ قال: لا. قلت: كيف كُتب على الناس الوصية، ولم يوصِ؟ قال: أوصى بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ».

وروى عبد بن حميد في تفسيره عن علي ط قال: «ما من شيء إلا علمه في القرآن، ولكن رأي الرجال يعجز عنه».

وفي سنن الدارمي (١/ ٦٣) قال هشام بن مسلم القرشي: «كنت مع ابن محيريز بمرج الديباج، فرأيت منه خلوة، فسألته عن مسألة، فقال لي: ما تصنع بالمسائل؟ قلت: لولا المسائل؛ لذهب العلم، قال: لا تقل: ذهب العلم؛ إنه لا يذهب العلم ما قرئ القرآن؛ ولكن لو قلت: يذهب الفقه». اهـ

وروى البزار في مسنده (٧/ ١١٥) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/ ٤٥٩) عن عبدالرحمن بن غنم: «أن الحارث بن عميرة بكى عند معاذ ط حين احتضر، فقال معاذ: يا ابن الحميرية! لم تبكِ عليَّ؟ أعوذ بالله منك، فقال الحارث: والله ما عليك أبكي، فقال معاذ: فعلى ما تبكي؟! قال: أبكي على ما فاتني منك العصرين، الغدو والرواح، قال معاذ: أجلسني، فأجلسه في حجره، فقال: اسمع مني، فإني أوصيك بوصية، إن الذي تبكي عليَّ من غدوك ورواحك، فإن العلم مكانه بين لوحي المصحف».

وفي رواية للحاكم في المستدرك (٤/ ٤١٥) قال: «إن كنتم تبكون على العلم، فهذا كتابُ الله بين أظهركم فاتبعوه». اهـ

=

٦٣ - حدثنا حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن قتادة

عن الحسن، قال:

«ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ آية إلا وهو يحب أن يُعْلم فيم أنزلت، وما أراد بها»(١).

وفي السنة للخلال (٣/ ٥٤٧) قال الشعبي: «ما ابتدع في الإسلام بدعة، إلا وفي كتاب الله ما يكذبه».

وفيه، قال الإمام أحمد: «لو تدبر إنسانٌ القرآن، كان فيه ما يَردُّ على كل مبتدع بدعته». اهـ

وفي ذم الكلام عن مسروق، قال: «ما أحد من أصحاب الأهواء، إلا في القرآن ما يرد عليهم، ولكنا لا نهتدي له». اهـ

فما عذر الذين يتركون كتاب الله، ويذهبون يلتمسون الحجج من الفلاسفة وأهل الكلام والرأي.

قال سعيد بن عمرو البرذعي: « شهدت أبا زرعة وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه، فقال للسائل: إياك وهذه الكتب؛ هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر؛ فإنك تجد فيه ما يغني عن هذه الكتب. قيل له: في هذه الكتب عبرة! قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة، فليس له في هذه الكتب عبرة. أبلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صنفوا هذه الكتب في الخطوات والوساوس وهذه الأشياء! هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم... ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع!». الضعفاء وأجوبة الرازي على سؤالات البرذعي (ص٦٥١).

(١) والصحابة ن هم أعلم الناس بذلك، فهم الذين شهدوا تنزيله وعلموا تأويله، وقد روى معمر، عن وهب بن عبدالله، عن أبي الطفيل، قال: «شهدت عليًّا ط يخطب، وهو يقول: «سلوني؛ فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله؛ فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم: أبليل نزلت أم بنهار؟ أم في سهل أم في جبل؟». اهـ

وروى ابن سعد في الطبقات (٢/ ٤٢٠) عن عليٍّ، قال: «والله ما نزلت آية، إلا وقد علمت فيما نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت؛ إن ربي وهب لي قلبًا عقولًا، ولسانًا طلقًا -وفي لفظ: سئولًا-».

وروى ابن منده في كتاب الإيمان (١/ ٣٦٩) عن القاسم بن عوف، قال: «سمعت ابن عمر م يقول: لقد عشنا برهة من الدهر، وأحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ق؛ =



٦٤ – ثم قال حجاج: أو نحو هذا. وأحسبه قال: عن أبي جعفر

عن عمرو بن مُرَّة[(١)]، قال:

فنتعلم حلالها وحرامها، وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يُوقف عنده منها، كما يتعلم أحدكم السورة، ولقد رأيت رجالًا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ما يعرف حلاله ولا حرامه، ولا آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، وينثره نثر الدَّقل».

ثم التابعون من بعدهم، ففي سنن الدارمي (٣/ ٣٣٨) عن مجاهد، قال: «لقد عرضت القرآن على ابن عباس ﭬ ثلاث عرضات؛ أقف عند كل آية، أسأله فيم أنزلت؟ وفيم كانت؟».

وروى الطبري في تفسيره (١/ ٩٠) عن ابن أبي مُليكة، قال: «رأيت مجاهدًا يسأل ابن عباس ﭬ عن تفسير القرآن، ومعه ألواحُه، فيقول له ابن عباس: اكتب. قال: حتى سأله عن التفسير كلِّه».

وروى الطبري في تفسيره (١/ ٧٦) عن سعيد بن جبير، قال: «من قرأ القرآن، ثم لم يفسره، كان كالأعمى، أو كالأعرابي».

(١) المسمى بهذا الاسم- عمرو بن مُرة- رجلان: أحدهما: صحابي، والآخر: تابعي:

أما الصحابي: فهو عمرو بن مرة الجهني، أبو مريم صاحب رسول الله ﷺ، وكان معاوية يسميه: (أسد جهينة)، وكان قوّالًا بالحق.

وأما التابعي: فهو عمرو بن مُرة بن عبدالله المُرادي الجملي، أبو عبدالله الكوفي الأعمى- وهو المقصود ههنا- روى عن أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن أبي أوفى، وعبدالله بن سلمة، وإبراهيم النخعي، والحسن بن مسلم بن يناق وغيرهم. وروى عنه سفيان الثوري، والأعمش، والأوزاعي وغيرهم.

قال أبو حاتم: صدوق ثقة، كان يرى الإرجاء، وقال مغيرة: لم يزل في الناس بقية، حتى دخل عمرو بن مُرة في الإرجاء، فتهافت الناس فيه. انظر: تهذيب الكمال (٤٤٤٨).

ومن وصفه بالإرجاء: البخاري في التاريخ الكبير (٢٦٦٢) وابن حبان في صحيحه (٤٤٧٩).

=

«إني لأمر بالمثل من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا أعرفه، فأغتم به[(١)] لقول الله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]»[(٢)].

وقال العجلي في الثقات (١٤٠٨): «كان عمرو بن مرة يرى الإرجاء، قال: نظرت في هذه الآراء، فلم أر قومًا خيرًا من المرجئة؛ فأنا مرجئ، فقال له سليمان الأعمش: لِمَ تَسَمَّ باسمٍ غير الإسلام؟! قال: أنا كذلك». اهـ

(١) وفي لفظ: «إلا أحزنتني».

(٢) فأما أمثال القرآن:

فقد قال ابن القيم في أعلام الموقعين (١/ ٢٤٨): «اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلًا».

وأما أمثال الحديث:

فقد روى أحمد في مسنده عن عمرو بن العاص ط قال: «عقلتُ عن رسول الله ق ألفَ مَثَل».

قال ابن كثير: «وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص ط حيث قال الله تعالى: «وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ». اهـ

وهذه الأعداد على سبيل المثال لا الحصر؛ قال تعالى: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ».

ومن تدبر؛ استخرج من كل آية مثلًا، إما في الأمر- وأعظمه التوحيد- وإما في النهي- وأعظمه الشرك- وإما في الخلق- وأعظمه خلق السماوات والأرض- ولكننا كما قال مطرف: «كأن القلوب ليست منا، وكأن الحديث يُعنى به غيرنا». مصنف ابن أبي شيبة.

وفي تفسير البغوي (٦/ ٢٤٣) عن جابر، أن النبي ق تلا هذه الآية: «وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ» فقال: «العالم: من عقل عن الله؛ فعمل بطاعته واجتنب سخطه».

ولأبي عبيد القاسم بن سلَّام- مؤلف هذا الكتاب- كتابٌ اسمه: «الأمثال»، وفي مقدمته: «هذا كتاب الأمثال، وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجتها في المنطق، بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاثة خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه». اهـ

=



٦٥ - وحدثنا حجاج، عن المبارك بن فضالة

عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ آية إلا لها ظهر وبطن، ولكلُ حرفٍ حـد، ولكـلُ حدٍّ مَطْلَع»(١).

فائدة: قال الزركشي في البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٨٤): «تنبيه: لا يجوز تعدي أمثلة القـرآن؛ ولذلك أُنْكِر على الحريري قوله في مقامته الخامسة عـشرة: «فـأدخلني بيتًـا أحـرجَ مـن التـابوت، وأوهى من بيت العنكبوت!»؛ فأيُّ معنى أبلغ من معنى أكَّده الله من ستة أوجه، حيث قـال: «وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ»؛ فأدخل (إن)، وبنى أفعل التفضيل، وبناه مـن الـوهن، وأضـافه إلى الجمع، وعرَّف الجمع باللام، وأتى في خبر (إن) بـاللام، وقـد قـال تعـالى: «وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ»، وكان اللائق بالحريري ألا يتجاوز هـذه المبالغـة، ومـا بعـد تمثيـل الله تمثيـل، وقـول الله أقـوم قـيلًا وأوضح سبيلًا». اهـ

(١) رواه نعيم بن حماد في الزهد مرسلًا. ورواه ابن حبان في صحيحه، وأبو يعـلى في مـسنده عـن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، قال: قال رسول الله ﷺ: «ولو كنت متخـذًا خلـيلًا؛ لاتخـذت أبـا بكـر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله، وإن القرآن نزل على سبعة أحرف، لكل آية منهـا ظهـر وبطـن، ولكل حد مطلع».

وآخر الحديث مدرج من قول ابن مسعود رضي الله عنه رواه الطبراني في الكبير موقوفًا عليه، وأمـا رفعـه ففيه نظر. وكلمة: (مطلع)، يحتمل في ضبطها: (مَطْلَع) وهو الأشهر، أو (مُطَّلع).

قال ابن المبارك في الزهد (١/ ٢٣): «سمعت غير واحد في هذا الحديث- ما في كتاب الله آية، إلا ولها ظهر وبطن- يقول: لها ظـاهر، وتفـسير خفـي، ولكـل حـدٍّ مطلـع، قـال: يطلـع عليـه قـوم، فيستعملونه على تلك المعاني، ثم يذهب ذلك القرن، فيجيء قرن آخـر يتطلعـون منهـا عـلى معنـى آخر، فيذهب عليه ما كان عليه من كان قبلهم، فلا يزال الناس على ذلـك إلى يـوم القيامـة، يقـول: ينهى عن ذلك، ولكن يفسره السُّنة». اهـ

=

وقال البغوي في تفسيره (١/ ٤٦): «اختلفوا في تأويله، قيل: الظهر: لفظ القرآن، والبطن: تأويله. وقيل: الظهر: ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا، فهو في الظاهر خبر، وباطنه عظة وتحذير أن يفعل أحد مثل ما فعلوا؛ فيحل به ما حلَّ بهم. وقيل: معنى الظهر والبطن: التلاوة والتفهم، يقول: لكل آية ظاهر، وهو أن يقرأها كما أنزلت؛ قال تعالى: «وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا»، وباطن، وهو التدبر والتفكر، قال تعالى: «كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ». ثم التلاوة تكون بالتعلم والحفظ بالدرس، والتفهم يكون بصدق النية، وتعظيم الحرمة، وطيب الطعمة.

وقوله: «لكل حرف حد»، أراد له حدٌّ في التلاوة والتفسير لا يجاوز، ففي التلاوة لا يجاوز المصحف، وفي التفسير لا يجاوز المسموع، وقوله: «لكل حد مطلع»، أي: مصعد يصعد إليه مَن عرفه وعلمه، ويقال: «المطلع»: الفهم. وقد يفتح الله على المتدبر والمتفكر في التأويل والمعاني، ما لا يفتح على غيره، وفوق كل ذي علم عليم». اهـ

وعليه؛ فإن الظاهر: هو ما تعرفه العرب من كلامها، وما لا يعذر أحد بجهالته؛ من اعتقاد أو حلال وحرام. والباطن: هو التفسير الذي يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه.

وقال سهل بن عبدالله التستري في تفسيره (١/ ١٩): «إن الله تعالى ما استولى وليًّا من أمة محمد ﷺ إلا علَّمه القرآن، إما ظاهرًا وإما باطنًا. قيل له: إن الظاهر نعرفه، فالباطن ما هو؟ قال: فهمه، وإن فهمه هو المراد». اهـ

ومن أمثلة الظاهر والباطن في القرآن:

١- ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم، ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في «إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ»، حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري- أو لم يقل بعضهم شيئًا- فقال لي: يا ابن عباس! أكذلك قولك؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له».

فظاهر السورة أن الله أمر نبيه ﷺ أن يسبح بحمد الله، ويستغفره إذ جاءه النصر والفتح، وباطنها أن الله نعى إليه نفسه.

=

قال: وقال الحسن:

«كان أهل الجاهلية إذا حَزَب أحدهم الأمرُ قال: قد ضربت أمري ظهرًا لبطن، فما وجدت له فرجًا».

وقال حجَّاج عن الحسن تفسيرًا آخر؛ أنه قال:

٢- ولما نزل قوله تعالى: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا»، فرح الصحابة، وبكى عمر! فقال: يا رسول الله! كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل؛ فليس بعد الكمال إلا النقصان، قال: صدقت.

٣- وفي صحيح البخاري عن ابن عباس م، قال: «قال عمر ط يومًا لأصحاب النبي ق: فيم ترون هذه الآية نزلت: «أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ». الآية؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر، فقال: قولوا: نعلم، أو لا نعلم، فقال ابن عباس م: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين! قال عمر: يا ابن أخي! قل، ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس م: ضُربت مثلًا لعمل، قال عمر: أي عمل؟! قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان؛ فعمل بالمعاصي، حتى أغرق أعماله».

٤- ومنه ما حصل في قصة موسى والخضر عليهما السلام، فكان الظاهر منكرًا، والباطن رحمة.

والأمثلة في ذلك كثيرة، لكن لابد من التنبيه على أن هذا الفهم الباطن يحتاج إلى دليل خاص، أو تشمله الأدلة العامة، ولا يخالف ما تواتر في الشريعة، أو ما أجمع عليه العلماء، حتى لا ينفتح الباب أمام الصوفية والروافض والقرامطة والأشعرية والجهمية ومؤولة الصفات وكل من تمذهب بمذهب الباطنية؛ فيفسرون القرآن على أهوائهم، وهذا هو معنى ما قاله علي ط لما سُئل هل عندكم كتاب؟ فقال: «لا، إلا كتابُ الله، أو فهمٌ أُعْطِيَه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة».

وقد قال النبي ق: «تركتكم على البيضاء؛ ليلها كنهارها». رواه أحمد في المسند.



الظهر: هو الظاهر. والبطن: هو السِّر. والحد: هو الحرف الذي فيه علم الخير والشر. والمطلع: الأمر والنهي.

قال أبو عبيد: هذا الكلام الأخير لا أدري أهو في حديث المبارك أو في حديث غيره؟

٦٦ - حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد

عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما أنزل الله تعالى آية إلا لها ظهر وبطن، ولكلِّ حرفٍ حدٌّ، ولكلِّ حدٍّ مَطْلَعٌ». قال: قلت: يا أبا سعيد! ما المطلع؟ قال: يطلع قوم يعملون به[1].

(١) قال أبو عبيد في غريب الحديث (٢/ ١٣): «فأحسب قول الحسن هذا، إنما ذهب به إلى قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فيه: حدثني حجاج، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبدالله، قال: «ما من حرف- أو قال: آية- إلا وقد عمل بها قوم، أو لها قوم سيعملون بها». فإن كان الحسن ذهب إلى هذا؛ فهو وجه، وإلا كان المطلع في كلام العرب على غير هذا الوجه. وقد فسَّرناه في موضع آخر، وهو المأتى الذي يؤتى منه، حتى يُعلم علم القرآن من ذلك المأتى والمَصْعد. وأما قوله: «لها ظهر وبطن»، فإن الناس قد اختلفوا في تأويله: يُروى عن الحسن أنه سُئل عن ذلك؟ فقال: إن العرب تقول: قد قلّبت أمري ظهرًا لبطن. وقال غيره: الظهر: لفظ القرآن، والبطن: تأويله. وفيه قول ثالث، وهو عندي أشبه الأقاويل بالصواب؛ وذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ قد قصّ عليك من نبأ عاد وثمود، وغيرهما من القرون الظالمة لأنفسها، فأخبر بذنوبهم وما عاقبهم بها، فهذا هو الظهر؛ إنما هو حديث حدثك به عن قوم فهو في الظاهر خَبَرٌ، وأما الباطن منه، فكأنه صيّر ذلك الخبر عظة لك وتنبيهًا وتحذيرًا أن تفعل فعلهم، فيحلّ بك ما حلَّ بهم من عقوبته، ألا ترى أنه لما أخبرك عن قوم لوط وفعلهم وما أنزل بهم، أن ذلك مما يبين ذلك؛ أن من صنع ذلك، عوقب بمثل عقوبتهم؛ وهذا =



٦٧ – حدثنا حجاج، ومحمد بن جعفر، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، قال: سمعت مرة الهمداني يحدث

عن عبدالله ط أنه قال:

«ما من حرف أو آية إلا وقد عمل بها قوم، أو لها قوم سيعملون بها».

٦٨ – حدثنا يزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زُبيد الإيامي، قال:

قال عبدالله بن مسعود ط:

«إن للقرآن منارًا كمنار الطريق، فما عرفتم منه فتمسكوا به، وما يُشَبَّهُ عليكم– أو قال: شُبِّه عليكم–؛ فكلوه إلى عالمه»[(١)].

كرجل قال لك: إن السلطان أتى بقوم قَتَلُوا؛ فقتلهم، وآخرين سَرَقُوا؛ فقطعهم، وشربوا الخمر؛ فجلدهم، فهذا الظاهر، إنما هو حديث حدثك به، والباطن أنه قد وعظك بذلك، وأخبرك أنه يُفعل ذلك بمن أذنب تلك الذنوب، فهذا هو البطن على ما يقال، والله أعلم». اهـ

(١) وروى ابن أبي شيبة، عن معاذ بن جبل ط، قال: «أما القرآن: فمنار كمنار الطريق، ولا يخفى على أحد، فما عرفتم منه؛ فلا تسألوا عنه أحدًا، وما شككتم فيه؛ فكلوه إلى عالمه».

وثبت أيضًا من قول أبي الدرداء، وأُبي بن كعب م.

وفيه عن الربيع بن خثيم، قال: «اضطروا هذا القرآن إلى الله ورسوله».

وكذلك الإسلام والتوحيد عليه منار كمنار الطريق، لا يخفى على أحد أولها: أن يُعبد الله وحده، ولا يُشرك به شيءٌ.

وقد استدل ابن حزم الظاهري الجهمي بأثر معاذ بن جبل ط المتقدم آنفًا على بدعته الظاهرية في فهم النصوص، وعدم الاعتماد على فهم السلف، فقال في كتابه الإحكام (٦/ ٨٠٣): «رحم الله =



معاذًا، لقد صدع بالحق، ونَهى عن التقليد في كل شيء، وأمر باتباع ظاهر القرآن، وألا يبالي من خالف فيه، وأمر بالتوقف فيما أشكل؛ وهذا نص مذهبنا». اهـ

مع أن أثر معاذ ط يرد عليه؛ حيث أمر في آخره بالرجوع إلى العلماء.

ثم أخذ يتطاول على فهم الصحابة والتابعين بكلام يظهر منه الكبر وسوء الأدب كعادته معهم، فقال في نفس المصدر: «فرضٌ علينا اتباعه ق ، وألا نأخذ بقولهما- أي: أبي بكر وعمر- في أمور الشريعة، وهذا بيِّن». وقال: «ليس فعل معاذ ولا غيره سنة، إلا حين يأمر بها النبي ق ويصححها».

وقال: «وأما قولهم: إن الصحابة ن شهدوا الوحي، فهم أعلم به، فإنه يلزمهم على هذا أن التابعين شهدوا الصحابة فهم أعلم بهم، فيجب تقليد التابعين! وهكذا قرنًا فقرنًا، حتى يبلغ الأمر إلينا، فيجب تقليدنا، وهذه صفة دين النصارى في اتباعهم أساقفتهم، وليست صفة ديننا والحمد لله رب العالمين». اهـ

يقصد: دينه هو؛ القائم على إعجابه بفهمه، ورفضه اتباع الصحابة والتابعين وتابعيهم ن .

أما نحن، فديننا هو ما قاله الله تعالى في كتابه: «وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ».

وقول النبي ق : «اقتدوا بالذين من بعدي: أبو بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود؛ فصدقوه».

وقال ابن مسعود: «من كان مستنًا، فليستن بمن قد مات؛ أولئك أصحاب محمد ق كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم فضيلتهم، واتبعوهم في أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

وقال إبراهيم النخعي، كما في الطبقات الكبرى لابن سعد (٩١٩١): «لو أن أصحاب محمد ق لم يمسحوا إلا على ظفر ما غسلته؛ التماس الفضل، وحسبنا من إزراء على قوم أن نسأل عن فقههم، ونخالف أمرهم!».

وفي سنن الدارمي عنه، قال: «لقد أدركت أقوامًا لو لم يجاوز أحدهم ظفرًا؛ لما جاوزته، كفى إزراء على قوم أن تخالف أفعالهم».

=



وقال محمد بن المنكدر: «الدين سُنة؛ يأثر الآخِر عن الأول».

وقال الأوزاعي: «العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجيء عن واحد منهم؛ فليس بعلم».

وقال أبو عمرو بن العلاء: «إنما نحن فيمن مضى؛ كبَقْل في أصول نخل طوال».

وفي المدخل إلى السنن الكبرى (١/ ٤٥) قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بعدما ذكر الصحابة ﷺ وأثنى عليهم بما هم أهله- قال: «وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استُدْرِك به علمٌ، واستُنبط به، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا».

وقال الإمام أحمد: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم».

وما أشبه كلام ابن حزم هذا بكلام الرجل الذي قال لمطرف بن عبدالله بن الشخير: «لا تحدثونا إلا بالقرآن! فقال له مطرف: والله ما نريد بالقرآن بدلًا، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا». رواه زهير بن حرب في العلم، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم.

فهذه صفة ديننا، والحمد لله رب العالمين. وقد ذكر ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين ستة وأربعين دليلًا على وجوب اتباع أقوال الصحابة. ويراجع في ذلك رسالة: فضل علم السلف لابن رجب.

بل إن أهل السُّنة والجماعة يحتجون بآثار التابعين وتابعيهم في العقائد والأحكام، ويجعلونها حجة في الباب بشروطها المعروفة عند أهل العلم، وما أثر مجاهد في إقعاد النبي ﷺ على العرش عنا ببعيد.

وفي ذلك قصة لطيفة ذكرها عياض اليحصبي في كتابه: (ترتيب المدارك) في ترجمة أبي إسحاق الجبنياني، حيث قال لإنسان لاحاه في شيء أنكره على آخر، لجهره في صلاة نافلة النهار، فقال له: «يا هذا! إن مالكًا استحب فيها الإسرار، لاسيما في المسجد، لما يخلط على الناس، فقال الرجل: قد جهر في مسجد رسول الله ﷺ عمرُ بن عبدالعزيز، فقال له أبو إسحاق: كان ذلك بالليل، وقد عاب عليه ذلك سعيدُ بن المسيِّب، فقال له الرجل: تقول: سعيدٌ حجة؟! فقال له الشيخ: يا متعوس! إمام دار الهجرة وشيخ التابعين، تقول هذا فيه؟! ما أراك تفلح والله، ما أراك تموت على الإسلام! قال: ومات معتزليًّا بعد ذلك». اهـ

فهذا الجاهل المغرور- ابن حزم- لا يُفرق بين التقليد والاتباع بإحسان، ولا غرو! فهو أول من أفسد علم الحديث والتصحيح والتضعيف، وهو معروفٌ بشذوذاته في الأحكام اللائقة بظاهريته، وجهميته في أبواب الأسماء والصفات والقدر والإيمان والفِرق والنبوات...، ولا أدري كيف =



٦٩ - حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن أبيه، عن بكر بن ماعز

عن الربيع بن خثيم، قال:

«وجدت هذا القرآن في خمس: حلال، وحرام، وخبر ما قبلكم، وخبر ما هو كائن بعدكم، وضرب الأمثال».

٧٠ - حدثنا أبو اليمان، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم

عن راشد بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ:

اجتمع في قلب رجل واحد ظاهريةٌ في الأحكام، وجهميةٌ في العقائد؟! حتى عدَّه ابن تيمية من الفلاسفة الباطنية، كما في الصفدية والعقيدة الأصفهانية، وجعله في طبقة المريسيّ وابن الثلجيّ! ووصفه ابن عبدالهادي في مختصر طبقات علماء الحديث (٣/ ٣٥٠): «بأنه جهميٌّ جَلْد». وقال عنه ابن كثير في البداية والنهاية (١٢/ ١١٣): «كان مع هذا من أشد الناس تأويلًا في باب الأصول، وآيات الصفات وأحاديث الصفات، لأنه كان أولًا قد تضلع من علم المنطق، أخذه عن محمد بن الحسن المذحجي الكناني القرطبي، ففسد بذلك حالُه في باب الصفات». اهـ

ولا يكاد العجب ينقضي من قوم زعموا اتباع السَّلف، وأنهم على طريقة أهل الحديث والأثر، ثم تجدهم يعدون ابن حزم من أهل السنة والجماعة! بل ويجعلونه إمامًا في الدين، يوالون ويعادون فيه!

وهذا جندب بن عبدالله رضي الله عنه يقول لفرقة من الخوارج دخلوا عليه، فقالوا: «إنا ندعوك إلى كتاب الله، فقال: أنتم؟! قالوا: نحن، قال: أنتم؟! قالوا: نحن، فقال: يا أخابيث خلق الله في اتباعنا تختارون الضلالة؟! أم في غير سنتنا تلتمسون الهدى؟! اخرجوا عني».



«نزل القرآن على خمسة أحرف: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وضرب الأمثال، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، واعتبروا بأمثاله»[١].

٧١ - حدثنا حجاج، عن الليث بن سعد، عن عُقيل، عن ابن شهاب

عن سلمة بن أبي سلمة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال:

«نزل القرآن على سبع».

ثم ذكر مثل ذلك، وزاد فيه: «وخبر ما كان قبلكم، وخبر ما هو كائن بعدكم»[٢].

---

(١) لم أجده عند غير المصنِّف بهذا الإسناد، وهو مرسل ضعيف، وفيه أبو بكر بن عبدالله بن أبي مريم، وهو ضعيف الحديث.

ورواه ابن الضُّريس في فضائل القرآن، عن القاسم عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا عليه، وهو أشبه.

(٢) نقل أبو شامة في المرشد الوجيز (١/ ١٠٧) عن ابن عبدالبر أنه قال: «هذا حديث عند أهل العلم لم يثبت، يرويه سلمة بن أبي سلمة، عن أبيه، عن النبي ﷺ مرسلاً، وسلمة ليس ممن يُحتج به، وهذا الحديث مجمعٌ على ضعفه من جهة إسناده، وقد ردَّه قوم من أهل النظر».

قال أبو شامة: «وهكذا رواه البيهقي في المدخل، وقال: هذا مرسل جيد، وقال: فإن صح، فمعنى قوله: «سبعة أحرف»: أي سبعة أوجه، وليس المراد به ما ورد في الحديث الآخر، من نزول القرآن على سبعة أحرف؛ ذاك المراد به: اللغات التي أبيحت القراءة عليها، وهذا المراد به: الأنواع التي نزل القرآن عليها، والله أعلم». اهـ

وفي جامع معمر بن راشد، عن الزهري- في نزول القرآن على سبعة أحرف- قال: «إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد، الذي ليس فيه حلال ولا حرام».

=



٧٢ – وحدثنا حجاج، عن ابن جريج

عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران:٧]. **قال: «الراسخون في العلم: يعلمون تأويله، ويقولون: آمنا به».**

وفي غير قول مجاهد، قال: انتهى علمهم إلى أن قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾[1].

وقال أبو عبيد في غريب الحديث (٣/ ١٥٩): «ولسنا ندري ما وجه هذا الحديث؛ لأنه شاذٌ غير مسند، والأحاديث المسندة المثبتة ترده- كحديث: «نزل القرآن على سبعة أحرف، كلها كافٍ شافٍ، وبعضهم يرويه: فاقرؤا كما عُلِّمتم»- فقوله: سبعة أحرف: يعني سبع لغات من لغات العرب، فهذا يُبيِّن لك أن الاختلاف إنما هو في اللفظ والمعنى واحد، ولو كان الاختلاف في الحلال والحرام لما جاز أن يقال في شيء هو حرام: هكذا نزل، ثم يقول آخر في ذلك بعينه: إنه حلال! فيقول: هكذا نزل، وكذلك الأمر والنهي، وكذلك الأخبار لا يجوز أن يقال في خبر قد مضى: إنه كان كذا وكذا فيقول: هكذا نزل، ثم يقول الآخر بخلاف ذلك الخبر، فيقول: هكذا نزل! وكذلك الخبر المستأنف كخبر القيامة والجنة والنار، ومن توهم أن في هذا شيئًا من الاختلاف، فقد زعم أن القرآن يكذب بعضه بعضًا ويتناقض، وليس يكون المعنى في السبعة الأحرف إلا على اللغات لا غير، بمعنى واحد لا يختلف فيه في حلال ولا حرام ولا خبر ولا غير ذلك. قال أبو عبيد: إلا أنه في بعض الحديث: «نزل القرآن على خمسة»، وليس فيه ذكر أحرف، فهذا قول قد يحتمل المعنى الآخر». اهـ

(١) وأخرج عبدالرزاق، والحاكم وصححه، عن طاوس، قال: كان ابن عباس رضي الله عنهما يقرؤها: «وما يعلم تأويله إلا الله، ويقول الراسخون في العلم: آمنا به».

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف عن الأعمش، قال في قراءة عبدالله: «وإن حقيقة تأويله عند الله، والراسخون في العلم يقولون: آمنا به».

=

وأخرج ابن جرير عن ابن أبي مليكة، قال: «قرأت على عائشة ﵂ هؤلاء الآيات، فقالت: كان رسوخهم في العلم؛ أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه، وما يعلم تأويله إلا الله، ولم يعلموا تأويله».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن أبي الشعثاء، وأبي نهيك، قالا: «إنكم تصلون هذه الآية، وهي مقطوعة: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ»، «وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا»، فانتهى علمهم إلى قولهم الذي قالوا».

وأخرج ابن جرير عن عروة، قال: الراسخون في العلم لا يعلمون تأويله، ولكنهم يقولون: «ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا».

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن عمر بن عبدالعزيز، قال: انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: «ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا».

وأخرج ابن جرير عن مالك في قوله: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ». قال: «ثم ابتدأ، فقال: «وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ»، وليس يعلمون تأويله».

وأخرج ابن وهب، عن هشام بن عروة، قال: كان أبي يقول في هذه الآية: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا»: إن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله، ولكنهم يقولون: «ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا».

وأخرج ابن المنذر من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﵄ قال: «تفسير القرآن على أربعة وجوه: تفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعذر الناس بجهالته من حلال أو حرام، وتفسير تعرفه العرب بلغتها، وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله؛ من ادعى علمه فهو كاذب».

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ﵄، قال: «أنا ممن يعلم تأويله».

وأخرج ابن جرير عن الربيع، قال: «والراسخون في العلم يعلمون تأويله، ويقولون: آمنا به».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﵄ في قوله تعالى: «يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ». قال: «نؤمن بالمحكم وندين به، ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به، وهو من عند الله كله». اهـ

ومعنى: «ندين به». أي: نعمل به.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس ﵄: «كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا» يعني: ما نسخ منه، وما لم ينسخ.



٧٣ – وحدثنا نعيم، عن بقية

عن حبيب بن صالح، قال:

سمعت مجاهدًا، يقول: «استفرغ علمي القرآن».

٧٤ – وحدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، قال:

قال أبو الدرداء ط:

«لو أعيتني آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فلم أجد أحدًا يفتحها علي إلا رجلاً ببَرْكِ الغِمَاد لرحلت إليه». قال: وهو أقصى حجر باليمن.

قال أبو عبيد:

المُحدِّث قال: ببُرك بالضم، والصواب: ببرك بالكسر. والغُماد بضم الغين[1].

٧٥ – وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن سيرين، قال:

---

(١) برك الغماد: تكون بفتح الباء، أو كسرها، أو ضمها، والمشهور في كتب الحديث: فتح الباء وإسكان الراء. والغماد: بكسر الغين، أو ضمها، لكن الكسر أفصح، وهو المشهور في روايات المحدثين، والضم هو المشهور في كتب اللغة. وهو موضع من وراء مكة بخمس ليال، بناحية الساحل، ويسمى الآن (البرك) بين مكة وجازان، وهو المراد. وقيل: هي مدينة الحبشة. وقيل: هو موضع بأقاصي هجر. وقيل: هو أقصى حجر باليمن. وقيل: هو الذي جاء في الحديث أن أرواح الكافرين تكون فيه.



نبئت أن ابن مسعود ط، قال:

«لو أعلم أن أحدًا تبلغنيه الإبل أحدث عهدًا بالعرضة الأخيرة مني لأتيته، أو لتكلفت أن آتيه»(١).

٧٦ – وحدثنا يزيد بن هارون، عن كهمس بن الحسن

عن عبدالله بن بريدة، قال:

شتم رجل ابن عباس م فقال: «أما إنك تشتمني وفيَّ ثلاث خلال: إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فأفرح، وعليَّ ألا أقاضي إليه أبدًا، وإني لأسمع بالغيث يصيب بلدًا من بلدان المسلمين؛ فأفرح به ومالي به من سائمة، وإني لآتي على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم».

٧٧ – وحدثنا هشيم، عن العوام

عن إبراهيم التيمي، قال:

---

(١) وفي مسند أحمد، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس م، قال: «أيُّ القراءتين تَعُدُّون أَوَّل؟ قالوا: قراءة عبدالله، قال: لا، بل هي الآخرة، كان يُعرض القرآن على رسول الله ق في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عُرض عليه مرتين، فشهد عبدالله، فعلم ما نُسِخ وما بُدِّل». اهـ

وفيه عن ابن عباس م، قال: «أيُّ القراءتين كانت أخيرًا، قراءة عبدالله أو قراءة زيد؟ قلنا: قراءة زيد، قال: لا، إلا أن رسول الله ق كان يعرض القرآن على جبرائيل كل عام مرة، فلما كان في العام الذي قُبض فيه عرضه عليه مرتين، وكانت آخر القراءة قراءة عبدالله».



خلا عمر ط ذات يوم فجعل يحدث نفسه كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس م فقال: «كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟» فقال ابن عباس م: «يا أمير المؤمنين! إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤن القرآن ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا».

قال: فزبره عمر ط وانتهره، فانصرف ابن عباس م. ونظر عمر ط فيما قال، فعرفه، فأرسل إليه، فقال: «أعد عليَّ ما قلت». فأعاده عليه، فعرف عمر ط قوله وأعجبه[1].

---

(١) وقد جاءت القصة كاملة في جامع معمر بن راشد (٢/ ٢١٧)، والسنة لعبدالله (١/ ١٣٥)، وذم الكلام للهروي (٢٠٥) عن ابن عباس م قال: «قدم على عمر ط رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين! قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا، فقال ابن عباس م: فقلت: والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة، قال: فزبرني عمر ط، ثم قال: مه! قال: فانطلقت إلى أهلي مكتئبًا حزينًا، فقلت: قد كنت نزلت من هذا الرجل منزلة، فلا أراني إلا قد سقطت من نفسه، قال: فرجعت إلى منزلي، فاضطجعت على فراشي، حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع، وما هو إلا الذي تقبلني به عمر، قال: فبينا أنا على ذلك أتاني رجل، فقال: أجب أمير المؤمنين، قال: فخرجت فإذا هو قائم ينتظرني، قال: فأخذ بيدي ثم خلا بي، فقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفًا؟ قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! إن كنت أسأت، فإني أستغفر الله وأتوب إليه، وأنزل حيث أحببت، قال: لتحدثني بالذي كرهت مما قال الرجل، فقلت: يا أمير المؤمنين! متى ما تسارعوا هذه المسارعة؛ يحيفوا- وفي رواية: يحتَقُّوا: أي: يقول كل منهم: الحق معي- ومتى ما =

يحيفوا؛ يختصموا، ومتى ما يختصموا؛ يختلفوا، ومتى ما يختلفوا؛ يقتتلوا، فقال عمر: لله أبوك! لقد كنت أكاتمها الناس حتى جئت بها». اهـ

وقد وقع ما كان يخشاه الصحابة ن من المسارعة في حفظ القرآن دون تفقه؛ حتى وصل الحال إلى الخصومات وإكفار بعضهم بعضًا، ومن ثَم القتال بعد ذلك.

روى الطبري في تفسيره (١١/ ١٤٠) عن سوّار بن شبيب، قال: «كنت عند ابن عمر م، إذ أتاه رجل جليد في العين، شديد اللسان، فقال: يا أبا عبدالرحمن! ستة كلهم قد قرأ القرآن، فأسرع فيه، وكلهم مجتهد لا يألوا، وكلهم بغيض إليه أن يأتي دناءة، وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشِّرك! فقال رجل من القوم: وأي دناءة تريد أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك! قال: فقال الرجل: إني لست إياك أسأل، أنا أسأل الشيخ، فأعاد على عبدالله الحديث، فقال عبدالله بن عمر: لعلك ترى- لا أبَ لك- أني سآمرك أن تذهب تقتلهم! عِظهم وانههم، فإن عصوك؛ فعليك بنفسك، فإن الله تعالى يقول: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ».

وفي مسند الفاروق لابن كثير (٢/ ٤٨١) عن عمر بن الخطاب ط قال: «إني قد دونت الديوان ومصرت الأمصار؛ وإنما أتخوف عليكم أحد رجلين: رجل تأول القرآن على غير تأويله؛ فيقاتل عليه، ورجل يرى أنه أحق بالملك من صاحبه؛ فيقاتل عليه». اهـ

وقد تكلم عمر ط بهذا الكلام يوم الجمعة، ومات يوم الأربعاء!

وروى أحمد في مسنده، والطبراني في الكبير عن عقبة بن عامر الجهني ط قال: سمعت رسول الله ق يقول: «هلاك أمتي في الكتاب واللبن، قالوا: يا رسول الله! ما الكتاب واللبن؟ قال: يتعلمون القرآن، ويتأولونه على غير ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ، ويحبون اللبن؛ فيدعون الجماعات والجمع ويبدون». ومعنى: يبدون: أي يسكنون البادية.

وروى أحمد في مسنده، وابن أبي خيثمة في كتاب العلم عن زياد بن لبيد الأنصاري ط قال: «ذكر النبي ق شيئًا، فقال: وذاك عند أوان ذهاب العلم، قال: قلنا: يا رسول الله! وكيف يذهب العلم، ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: ثكلتك أمّك يا

=





ابن أم لبيد! إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل، لا ينتفعون مما فيهما بشيء؟».

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عبيدالله بن أبي يزيد عن ابن عباس ﭬ أنه ذُكِر عنده الخوارج؛ فذُكِر من عبادتهم واجتهادهم- وفي رواية: وما يلقون عند تلاوة القرآن- فقال: «ليسوا بأشد اجتهادًا من اليهود والنصارى، ثم هم يضلون». اهـ

وعن إبراهيم النخعي، قال: «كانوا يكرهون أن يعلموا أولادهم القرآن حتى يعقلوا».



باب: فضل قراءة القرآن نظرًا وقراءة الذي لا يقيم القرآن

٧٨ – حدثنا نعيم بن حماد، عن بقية بن الوليد، عن معاوية بن يحيى، عن سليمان بن مسلم، عن عبدالله بن عبدالرحمن

عن بعض أصحاب رسول الله ق قال: قال رسول الله ق:

«فضل قراءة القرآن نظرًا على من يقرؤه ظاهرًا، كفضل الفريضة على النافلة»[1].

---

(١) رواه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال، من طريق معاوية بن يحيى الشامي الأطرابلسي، وأما معاوية بن يحيى المذكور هنا في سند أبي عبيد فهو الصدفي.

قال ابن كثير في التفسير (١/ ٦٩): «وهذا الإسناد ضعيف- وفي نسخة قال: فيه ضعف- فإن معاوية بن يحيى، هو الصدفي أو الأطرابلسي، وأيهما كان فهو ضعيف». اهـ

لكن معاوية بن يحيى الشامي: صدوق مستقيم الحديث؛ قاله أبو حاتم الرازي. وقال النسائي، وأبو داود السجستاني: لا بأس به. وقال هشام بن عمار، وأبو علي النيسابوري: ثقة. وقال صالح جزرة: صحيح الحديث.

هذا وقد صرَّح كثير من العلماء بأن القراءة من المصحف نظرًا أفضل من القراءة عن ظهر قلب؛ للآثار الكثيرة في ذلك، ولأنه يشتمل على أنواع من العبادة، كالتلاوة، واشتراك العين مع اللسان، ولئلا يتعطل المصحف فلا يقرأ فيه، وقد يقع له نسيان فيتذكر منه، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير. وصرَّح كثير من العلماء أن النظر في المصحف عبادة، ولو لم يقرأ فيه، وكرهوا أن يمضي =

على الرجل يوم لا ينظر في مصحفه؛ ففي شعب الإيمان (٣/ ٥٠٩) عن الحسن، قال: «قال أمير المؤمنين عثمان ط: لو أن قلوبنا طهرت؛ ما شبعنا من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر في المصحف».

قال: «وما مات عثمان ط حتى خَلِقَ مصحفُه، من كثرة ما كان يديم النظر فيه».

وفيه عن عثمان ط قال: «إني لأستحيي من ربي تعالى؛ أن يمر عليَّ يوم لا أنظر في عهد ربي».

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٣٦٧) عن إسماعيل بن أبي حكيم، قال: «كان عمر بن عبدالعزيز قلَّما يدع النظر في المصحف بالغداة، ولا يطيل».

وفي مصنف ابن أبي شيبة، عن يونس، قال: «كان من خلق الأولين النظر في المصاحف، وكان الأحنف بن قيس إذا خلا؛ نظر في المصحف».

وفي شعب الإيمان، عن عليٍّ القاشاني، قال: «كان عبدالله بن المبارك ربما يقلِّب المصحف ولا يقرأ؛ للحديث الذي جاء: «النظر في المصحف عبادة». وكان إذا ختم القرآن؛ أكثرُ دُعائِه للمؤمنين والمؤمنات».

وروى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ٨٦) عن أبي خالد، قال: صحبت سفيان الثوري في طريق مكة، فكان يقرأ في المصحف كل يوم، فإذا لم يقرأ فيه، فتحه فنظر فيه وأطبقه». اهـ

وأما ما جاء في القراءة في المصحف؛ فقد روى البيهقي في الشعب (٣/ ٥٠٩) عن أم سلمة الأزدية، قالت: «رأيت عائشة ك تقرأ في المصحف، فإذا مرَّت بسجدة، قامت فسجدت».

وفيه عن ابن مسعود ط، قال:«أشد العبادة: القراءة في المصحف».

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي صالح العقيلي، قال: «كان أبو العلاء يزيد بن عبدالله بن الشخير يقرأ في المصحف، حتى يغشى عليه».

وفيه عن ليث، قال: «رأيت طلحة يقرأ في المصحف».

وروى أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٧٨) عن ابن شوذب، قال: «كان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف، ويقوم به ليله».

وفي جامع بيان العلم لابن عبدالبر (١/ ٢٧٩) عن الضحاك، قال: «يأتي على الناس زمان؛ يكثر فيه الأحاديث، حتى يبقى المصحف بغباره لا يُنظر فيه».

=

٧٩ – حدثنا زيد بن الحباب، عن سفيان، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، قال: قال عبدالله : «أديموا النظر في المصحف»[(١)].

وقال ابن كثير في التفسير (١/ ٧٠): «قال بعض العلماء: المدار في هذه المسألة على الخشوع في القراءة، فإن كان الخشوع عند القراءة على ظهر القلب؛ فهو أفضل، وإن كان عند النظر في المصحف؛ فهو أفضل، فإن استويا؛ فالقراءة نظرًا أولى؛ لأنها أثبت، وتمتاز بالنظر في المصحف». اهـ

(١) وفي معجم ابن المقرئ، والترغيب في الفضائل لابن شاهين عن عبدالله بن مسعود ط قال: قال رسول الله ق : «من سرَّه أن يحب الله ورسوله ق ؛ فليقرأ في المصحف». إسناده حسن.

وإنك لتعجب من رجالٍ ونساءٍ لا يَملُّون ولا يسأمون قراءة الصحف والمجلات والنظر في الجوالات، ومع ذلك يصيبهم الملل والسآمة من النظر في كتاب الله والقراءة فيه، وتفسير ذلك أن القلب إذا أحبَّ شيئًا عكف عليه ولازَمه، قال الخليفة الراشد عثمان بن عفان ط: «لو طهرت قلوبكم؛ ما شبعت من كلام الله عز وجل».

وروى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ١٨) عن ابن وهب، قال: «قيل لأخت مالك بن أنس: ما كان شُغل مالك بن أنس في بيته؟ قالت: المصحف والتلاوة». اهـ

والله سبحانه وتعالى شكورٌ؛ ولهذا روى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ١٨) عن خالد بن نزار الأيلي، قال: «ما رأيت أحدًا أنزع بكتاب الله عزَّ وجل من مالك بن أنس». اهـ

وما نراه اليوم من ضعف المسلمين ووهنهم وهوانهم على الناس إلا بسبب إعراضهم عن كتاب الله، وعدم تمسّكهم بهذا الحبل المتين؛ تلاوة وعلمًا وعملًا وتدبرًا وتحكيمًا، حتى تجد أحدهم يحمل أكبر الشهادات الدراسية، وهو لا يحسن أن يقرأ الفاتحة أو آية من كتاب الله على الوجه الصحيح.

سؤال: هل يُعَدُّ مَن نظر في المصحف دون تحريك الشفتين قارئًا للقرآن، وهل يحصل له بذلك فضل القراءة؟ الجواب: قال ابن رجب في شرح البخاري (٤/ ٤٢٢): «قراءة السِّرِّ تكون بتحريك اللسان والشفتين، وهذا القدر لابد منه في القراءة والذكر وغيرهما من الكلام». اهـ

وقال الشيخ ابن باز: «لا مانع من النظر في القرآن من دون قراءة؛ للتدبر والتعقل وفهم المعنى، ولكن لا يعتبر قارئًا، ولا يحصل له فضل القراءة إلا إذا تلفظ بالقرآن ولو لم يُسمع من حوله؛ لقول =



٨٠ – حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس

عن عمر ط، أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف؛ فقرأ فيه[(١)].

٨١ – حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة، عن حجاج بن أرطاة، عن ثوير بن أبي فاختة

عن ابن عمر م، أنه قال:

«إذا رجع أحدكم من سوقه، فلينشر المصحف؛ فليقرأ».

٨٢ – حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى

عن عبدالله بن مسعود ط:

أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه؛ نشروا المصحف، فقرؤا، وفسَّر لهم[(٢)].

النبي ق: اقرؤا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه». رواه مسلم. ومراده ق: «بأصحابه»: الذين يعملون به– كما في الأحاديث الأخرى– وقال ق: «من قرأ حرفًا من القرآن؛ فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها». خرَّجه الترمذي، والدارمي بإسناد صحيح، ولا يعتبر قارئًا إلا إذا تلفظ بذلك، كما نص على ذلك أهل العلم». مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥١)، (ص١٣٩).

(١) فدخل ط ذات يوم، فقرأ سورة الأنعام، فأتى على هذه الآية: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ». إلى آخر الآية، فانفتل وأخذ رداءه، ثم أتى أُبي بن كعب، فقال: يا أبا المنذر! أتيت على هذه الآية: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ». وقد نرى أنا نظلم ونفعل ونفعل، فقال: يا أمير المؤمنين! إن هذا ليس بذاك؛ يقول الله: «إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ»، إنما ذلك الشرك». رواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة.

(٢) هذا الأثر من رواية عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن ابن مسعود ط، فالله أعلم هل سمع منه أم لا؟ غير أن مثل هذه الأخبار يُتسامح فيها لانتشارها وفشوها بين أصحاب ابن مسعود ط.

=

٨٣ – حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن الأعمش

عن خيثمة، قال:

دخلت على عبدالله بن عمر م وهو يقرأ في المصحف فقال: «هذا جزئي الذي أقرؤه الليلة».

٨٤ – وحدثنا هشام بن إسماعيل الدمشقي، عن محمد بن شعيب

عن الأوزاعي، أن رجلاً صحبهم في سفر، قال: فحدثنا حديثًا ما أعلمه إلا رفعه، أن رسول الله ق قال:

«إن العبد إذا قرأ فحرَّف[1] أو أخطأ كتبه الملك كما أنزل»[2].

٨٥ – وحدثنا حفص بن غياث، عن الشيباني

وفي مسند أحمد (١٢٤٠٢)، وحلية الأولياء (١/ ١٢٣) عن ثابت البناني، قال: «ذكر أنس بن مالك ط سبعين رجلًا من الأنصار، كانوا إذا جنَّهم الليل انطلقوا إلى معلم لهم بالمدينة؛ يبيتون يدرسون القرآن، فإذا أصبحوا فمن كانت عنده قوة؛ أصاب من الحطب واستعذب من الماء، ومن كانت عنده سعة؛ أصابوا الشَّاة فأصلحوها...». الحديث.

(١) أي: لحن أو نسي.

(٢) لم أجده عند غير المصنف بهذا الإسناد، لكن روى نحوه الرافعي في أخبار قزوين، عن أنس ابن مالك ط قال: قال رسول الله ق: «إن ملكًا موكل بالقرآن، فمن قرأ منه شيئًا لم يُقوِّمه؛ قوَّمه الملك ورفعه».

ورواه الديلمي في الفردوس (١١٣٧) عن ابن عباس م مرفوعًا قال: «إذا قرأ القارئ، فأخطأ أو لحن أو كان أعجميًّا؛ كتبه الملك كما أُنزل». وأسانيدها لا تخلو من مقال.



عن بُكير بن الأخنس، قال:

كان يقال: «إذا قرأ الأعجمي، والذي لا يقيم القرآن، كتبه الملك كما أنزل»(١).



(١) وفي تاريخ بغداد (١١/ ١٦٤) عن بكير بن الأخنس، عن عبدالله بن عمرو ﭫ قال: «إذا قرأ الرجل القرآن بالفارسية، أو أخطأ أو تخطرف؛ كتبه الملك على الصواب، ثم رفعه».

باب: فضل ختم القرآن

٨٦ - حدثنا جرير، عن منصور

عن الحكم بن عتيبة، قال:

كان مجاهد، وعبدة بن أبي لبابة وناس يعرضون المصاحف، فلما كان اليوم الذي أرادوا أن يختموا فيه أرسلوا إليَّ وإلى سلمة، فقالوا:

«إنا كنا نعرض المصاحف، فلما أردنا أن نختم أحببنا أن تشهدوا؛ لأنه كان يقال: إذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته، أو حضرت الرحمة عند خاتمته».

٨٧ - وحدثنا حجاج- أو حدثت عنه- عن صالح المُرِّي، عن أيوب

عن أبي قلابة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«من شهد خاتمة القرآن كان كمن شهد الغنائم حين تقسم، ومن شهد فاتحة القرآن كان كمن شهد فتحًا في سبيل الله»[1].

---

(١) رواه الدارمي، ومحمد بن نصر في مختصر قيام الليل. ولا يصح إسناده؛ فيه صالح بن بشير المُري، وهو منكر الحديث، كما قال أبو حاتم الرازي. وقال الإمام أحمد: ليس هو صاحب حديث، ولا إسناد، ولا يعرف الحديث. وقال أبو داود: لا يكتب حديثه. وقال النسائي: ضعيف الحديث، وله أحاديث مناكير.



قال: وقال المُرِّي، عن قتادة:

كان بالمدينة رجل يقرأ القرآن من أوله إلى آخره على أصحاب له، فكان ابن عباس م يضع عليه الرُّقَباء، فإذا كان عند الختم جاء ابن عباس م فشهده.

٨٨ – وحدثنا هشيم، قال: أنبأنا العوام، قال هشيم: أحسبه عن إبراهيم التيمي، قال:

قال عبدالله بن مسعود ط: «من ختم القرآن؛ فله دعوة مستجابة».

قال: فكان عبدالله ط إذا ختم القرآن جمع أهله ثم دعا وأمنوا على دعائه.

٨٩ – وحدثنا أحمد بن عثمان الخراساني، عن عبدالله بن المبارك، عن همام بن يحيى، عن قتادة

عن أنس بن مالك ط: أنه كان يجمع أهله عند الختم[١].

٩٠ – وحدثنا هشيم، قال: أخبرنا العوام

عن إبراهيم التيمي، قال:

كان يقال: «إذا ختم الرجل القرآن في أول النهار صلت عليه الملائكة بقية يومه، وإذا ختمه أول الليل صلت عليه الملائكة بقية ليلته، قال: فكانوا يحبون أن يختموا في أول النهار أو في أول الليل».

---

(١) وفي فضائل القرآن للفريابي (١/ ١٨٩) قال مسعر: «أُراه قال: دعا».

قال أبو عبيد: ويروى عن همام، عن محمد بن جحادة قال:

«وكانوا يستحبون إذا ختموا من الليل أن يختموا في الركعتين بعد المغرب، وإذا ختموا من النهار أن يختموا في الركعتين قبل صلاة الفجر»(١).

---

(١) ولختم القرآن آدابٌ نجملها فيما يلي:

١- في وقته: فقد كان السَّلف يستحبون ختمه أول النهار وأول الليل؛ ففي سنن الدارمي، عن ثابت البناني، قال: «كان أنس بن مالك ط، إذا أشفى على ختم القرآن بالليل، بَقَّى منه شيئًا حتى يصبح، فيجمع أهله؛ فيختمه معهم». وقال سليمان الأعمش: «فرأيت أصحابنا يعجبهم أن يختموه أول النهار، وأول الليل».

وفي قيام الليل لمحمد بن نصر (١/ ١٤٩) قال ابن المبارك: « إذا كان الشتاء؛ فاختم القرآن في أول الليل، وإذا كان الصيف؛ فاختمه في أول النهار».

وكان الإمام أحمد يُعجب بهذا القول؛ لما روي عن طلحة بن مصرف: «أدركت أهل الخير من صدر هذه الأمة، يستحبون الختم أول الليل وأول النهار، يقولون: إذا ختم في أول النهار؛ صلَّت عليه الملائكة حتى يمسي، وإذا ختم في أول الليل؛ صلَّت عليه الملائكة حتى الصبح». انظر: مسائل أحمد لأبي داود (١/ ٩٣)، والمغني لابن قدامة (١/ ٨٣٨).

وذلك لأن الليل في الشتاء أطول، والنهار في الصيف أطول؛ فيكون هذا الوقت أفضل للبركة وصلاة الملائكة.

٢- هيئته: يستحب حضور مجلس ختم القرآن، بشرط ألا يكون على طريقة الصوفية أو بهيئة جماعية، كما في أثر الحكم بن عتيبة، وأثر ابن عباس م الذين ذكرهما المصنف.

وفي قيام رمضان لمحمد بن نصر (١/ ١٤٨) عن مجاهد، قال: «كانوا يجتمعون عند ختم القرآن، ويقولون: تنزل الرحمة».

وفي فضائل القرآن لابن الضُّريس، عن مالك بن دينار، قال: «كان يقال: اشهدوا ختم القرآن».

=

٣- <u>ما يقال عنده:</u> يستحب الدعاء عقيب الختم، لما رُوي عن أنس بن مالك أنه جمع أهلـه وأولاده ودعا عند الختم، وليس في هذا الدعاء شيء مخصوص. وقد روى الحاكم عن عبدالله بن المبارك أنـه كان إذا ختم القرآن، كان أكثر دعائه للمسلمين والمؤمنين والمؤمنات.

وفي مسائل عبدالله للإمام أحمد (١/ ٩٠) قال: «سألت أبي عن الدعاء عند ختـم القـرآن قـائمًا أو قاعدًا؟ فقال: يقال: إن أنسًا  كان يجمع عياله عند الختم، قال أبي: وكان المعتمر بـن سـليمان إذا أراد أن يختم؛ اجتمع إليه جماعة، أُراه قال: يدعو ويدعون- يعني: إذا خـتم- قلـت لأبي: يـدعو إذا قرأ: «قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ »، أو حين يبتدئ من البقرة؟ فقال: إذا ختم القرآن دعا».

وقال ابن قدامة في المغني (١/ ٨٣٨): قال الفضل بن زياد: «سـألت أبـا عبـدالله، فقلـت: أخـتم القرآن أجعله في الوتر أو في التراويح؟ قال: اجعله في التراويح؛ حتى يكون لنـا دعـاء بـين اثنتـين. قلت: كيف أصنع؟ قال: إذا فرغت من آخر القرآن؛ فارفع يديك قبل أن تركع وأدع بنـا ونحـن في الصلاة، وأطل القيام. قلت: بم أدعو؟ قال: بما شئت. قال: ففعلت بما أمـرني، وهـو خلفـي يـدعو قائمًا ويرفع يديه. قال حنبل: سمعت أحمد، يقول في ختم القـرآن: إذا فرغـت مـن قـراءة: «قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ »، فارفع يديك في الدعاء قبل الركوع. قلت: إلى أي شيء تذهب في هذا؟ قـال: رأيـت أهل مكة يفعلونه، وكان سفيان بن عيينة يفعله معهم بمكة. قال العباس بن عبـدالعظيم: وكـذلك أدركنا الناس بالبصرة وبمكة، ويروي أهل المدينة في هذا شيئًا، وذُكر عن عثمان بن عفان». اهـ

وقال ابن القيم في جلاء الأفهام (١/ ٤٠٢): «وقد نص الإمام أحمد على الـدعاء عقيـب الختمـة؛ فقال في رواية أبي الحارث: كان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله وولده. وقـال في روايـة يوسـف بـن موسى، وقد سُئل عن الرجل يختم القرآن، فيجتمع إليه قوم فيدعون؟ قـال: نعـم، رأيـت معمـرًا- هكذا في المطبوع، ولعله معتمر بن سليمان- يفعله إذا ختم. وقال في رواية حرب: أستحب إذا ختم الرجل القرآن أن يجمع أهله ويدعو». اهـ

وروى الدينوري في المجالسة (١/ ٤٣١) أن يوسف بن أسباط سأله رجل؛ فقال: «يا أبا محمد! ما تقول إذا ختمت القرآن؟ قال: أقول خمسين مرة: اللهم لا تمقتني، قـال: وربـما كـان ابنـي خارجًـا، فأنتظره حتى يجيء؛ لعلَّ الله أن ينزل علينا الرحمة».

=





وسبب حرص السَّلف على الدعاء عقيب الختم؛ هو ما جاء في بعض الآثار أن عند كل ختمة دعوة مستجابة، وهذه سنةٌ متروكةٌ الآن.

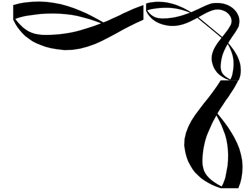
٤- ماذا يفعل بعدها: يستحب إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى؛ وقد روي في ذلك حديثٌ مرسلٌ عن زرارة بن أوفى، قال: «قال رجل: يا رسول الله! أي العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: الحالُّ المُرتحل، قال: وما الحالُّ المُرتحل؟ قال: الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره- وفي رواية: فَتَحَ القرآنَ وخَتمَه من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله- كلما حَلَّ ارتحل». رواه الترمذي.

٥- كانت العرب تصنع طعامًا يسمونه: الحِذَاقة- بكسر الحاء وتخفيف الذال- وهو الطعام الذي يُتخذ عند حذق الصبي القرآن وختمه إياه، وذلك شكرًا لله.

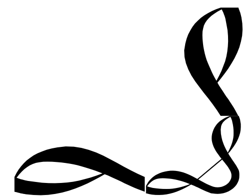
وروى ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ٤٨٩) عن يونس، قال: «حَذَق ابنٌ لعبدالله بن الحسن ابن أبي الحسن البصري، فقال عبدالله: إن فلانًا قد حذق، فقال الحسن البصري: كان الغلام إذا حذق قبل اليوم؛ نحروا جزورًا، وصنعوا طعامًا للناس». اهـ

وأخرج الخطيب في رواة مالك، والبيهقي في شعب الإيمان، عن ابن عمر م قال: «تعلَّم عمر ط البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزورًا؛ شكرًا لله».



القسم الثاني:
جماع أبواب قُراء القرآن
ونعوتهم وأخلاقهم



جملة أبواب قراء القرآن ونعوتهم وأخلاقهم

باب: حامل القرآن وما يجب عليه أن يأخذ به من أدب القرآن

٩١ – حدثنا حجاج، عن محمد بن طلحة، عن معن بن عبدالرحمن، عن أبيه عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود

عن ابن مسعود، قال ط:

«إن كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه، وإن أدب الله عَزَّوَجَلَّ القرآن»(١).

٩٢ – وحدثني أبو أيوب الدمشقي، عن الحسن بن يحيى الخشني، قال: حدثنا زيد بن واقد، عن بسر بن عبيدالله، عن أبي إدريس الخولاني

عن أبي الدرداء ط، قال:

سئلت عائشة ك عن خلق رسول الله ق فقالت:

«كان خلقه القرآن؛ يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه»(٢).

---

(١) تقدَّم أن لها وجهين: إما من المأدبة؛ فيكون الضبط: «إن كل مُؤْدِب يحب أن يُؤتى أَدْبَهُ». وإما من الأدب؛ فيكون الضبط: «إن كل مُؤَدِّب يحب أن يُؤتى أَدَبَه».

(٢) يعني: أنه كان يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه. وروى أحمد في مسنده عن قيس بن وهب، عن رجل من بني سواد، قال: =

«سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: أما تقرأ القرآن: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ »؟ قال: قلت: حدثيني عن ذاك، قالت: صنعت له طعامًا، وصنعت له حفصة طعامًا، فقلت لجاريتي: اذهبي، فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبل، فاطرحي الطعام، قالت: فجاءت بالطعام، قالت: فألقت الجارية، فوقعت القصعة فانكسرت- وكان نطعًا -قالت: فجمعه رسول الله ﷺ، وقال: «اقْتصُّوا- أو: اقتصِّي- شك أسود- ظرفًا مكان ظرفك. قالت: فما قال شيئًا».

ومن مظاهر خلقه ﷺ أنه كان إذا رأى أو سمع ما يكرهه الله؛ غضب لذلك وقال فيه قولًا شديدًا ولم يسكت؛ كما قال لمن سمعه يتعزى بعزاء الجاهلية: «أعضوه بهن أبيه، ولا تكنوا».

فهذه الشدة في هذا الموضع من حسن خلقه ﷺ، وهذا معنى قول عائشة: «كان خلقه القرآن؛ يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه».

والناس لا يعلمون من سنته إلا جانب اللين فقط! بل كان من دعائه ﷺ: «أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا».

وقد دخل بيت عائشة ك فرأى سترًا فيه تصاوير؛ فتلَّون وجهه وهتكه، وقال: «إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة؛ الذين يصورون هذه الصور».

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن عائشة، قالت: «ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ؛ ما دعاه أحد من أصحابه، ولا من أهل بيته؛ إلا قال: لبيك، فلذلك أنزل الله: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ »».

وأخرج الخرائطي عن أنس ط، قال: «خدمت رسول الله ﷺ وأنا ابن ثمان سنين، فما لامني على شيء يومًا من الأيام، فإن لامني لائم، قال: دعوه؛ فإنه لو قضي شيءٌ لكان». اهـ

ولو قال قائل: كيف السبيل إلى خُلُقِ القرآن، وأنا كلما اجتهدتُ في باب قصرتُ في آخر؟

فالجواب ما رواه عبدالله بن أحمد في كتاب السنة (١/ ١٥١) عن صالح المري، قال: «أتى رجل الحسن، فقال له: يا أبا سعيد! إني إذا قرأت كتاب الله، فذكرت شروطه وعهوده ومواثيقه؛ قطع رجائي- وفي لفظ، قال: ونظرت في عملي؛ كدت أن آيس وينقطع رجائي- فقال له الحسن: يا ابن أخي! إن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ إلى القوة والمتانة، وإن أعمال ابن آدم إلى الضعف والتقصير، ولكن سدد وقارب، وأبشر». اهـ



٩٣ – حدثنا أحمد بن عثمان، عن عبدالله بن المبارك، عن المبارك بن فضالة، قال: حدثنا الحسن

عن سعد بن هشام، قال:

قلت لعائشة ك: ما كان خلق النبي ق؟ فقالت:

«قال الله جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾؛ كان خلقه القرآن»[(١)].

٩٤ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج

عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. قال: «الدين».

وفي غير حديث ابن جريج، عن مجاهد:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. قال: «أدب القرآن»[(٢)].

---

(١) وفي رواية النسائي، قالت: «كان خُلقه القُرآن، وقرأتْ أول (المؤمنون) من قوله: «قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ»، حتى انتهت إلى قوله: «وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ».

وفي التفسير من جامع ابن وهب (٢/ ١٥٦) أن عائشة ك سُئلت عن قول الله للنبي ق: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ». ما ذلك الخلق العظيم؟ فقالت عائشة: «خلقه القرآن، والعمل بما فيه».

(٢) وقال البغوي في التفسير (٥/ ١٣٠): «والمعنى: إنك لعلى الخلق الذي أمرك الله به في القرآن. وقيل: سمى الله خلقه عظيمًا؛ لأنه امتثل تأديب الله إياه، بقوله: خذ العفو». اهـ

وفي هذا السِّياق ننبه على أمرٍ يقع فيه كثير من الناس – لاسيما خطباء الجمعة والقصاص – من حيث يشعرون أو لا يشعرون! وهو قولهم عن النبي ق: «كان قرآنًا يمشي على الأرض». أو «كان قرآنًا يدب على الأرض». وهذا يُخشى أن يُفهم منه دين الجهمية، أصحاب عقيدة خلق القرآن.

=



٩٥ – وحدثنا العباس بن أبي العباس وكان من قدماء أهل الحديث، عن أبي معشر

عن محمد بن كعب القرظي، قال:

«كنا نعرف قارئ القرآن، أو كان يعرف قارئ القرآن بصفرة اللون»(١).

وعائشة ك إنما قالت: «كان خلقه القرآن». ففرق بين العبارتين.

ومن ذلك ما رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٢) عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم، قال: «قيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا موسى! إنما مثل كتاب أحمد ق في الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن، كلما مخضته؛ أخرجت زبدته!». اهـ

ومما يُستظرف ويُتهكم به على الجهمية؛ ما ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات (١٦/ ٣٥٩) في ترجمة عَبَّادة- وكان صاحب نوادر ومجون- قال: «دخل على المأمون، فامتحنه بخلق القرآن، فقال: يعظم الله أجرك، قال: فيمن؟! قال: في القرآن، فقال: القرآن يموت، قال: أليس بمخلوق، مَن يصلي بالناس التراويح إذا مات القرآن؟! فقال: أخرجوه». اهـ

(١) كما جاء في الحديث: «يجيء القرآن يوم القيامة إلى الرجل، كالرجل الشاحب، فيقول له: من أنت؟! فيقول: أنا الذي أظمأت نهارك، وأسهرت ليلك».

وفي حلية الأولياء (٢/ ١٣٣) عن الحسن، أنه قال: «والله لا يؤمن عبد بهذا القرآن، إلا حَزِن وذبُل، وإلا نصب، وإلا ذاب، وإلا تعب».

وعنه قال: «كان أحدهم يبيت يقرأ القرآن؛ فيصبح يُعرف ذلك فيه، وأحدهم اليوم يقرأ القرآن فكأنما يَحمل به رداء كتَّان». أي: من خِفَّتِه عليه.

وفيه (٣/ ٢٤٦) عن أبي حازم، قال: «كنت ترى حامل القرآن في خمسين رجلًا فتعرفه؛ قد مصعه القرآن، فأدركت القُراء الذين هم القُراء، وأما اليوم فليسوا بِقُراء، ولكنهم خُرَّاء».

وفيه عن أبي رزين، قال: «مثل قراء هذا الزمان، مثل درهم زيْف، حتى يمرّ بالجهبذ فيبدي زَيْفَه».

=

قال أبو عبيد:

ولا أرى هذا إلا للخلال التي تكون في قُرَّاء القرآن مما يروون صفتهم فيه عن عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمرو [1]:

٩٦ – حدثنا علي بن ثابت، عن مالك بن مغول، عن رجل- أما عليٌّ فلم يسمه لنا وسماه غيره، قال: أبو يعفور- عن المسيب بن رافع، قال:

وروى ابن وضاح في البدع (٢٦٣) عن الأعمش، قال: «قال لي شقيق: يا سليمان! ما شبَّهتُ قُراءَ زمانك إلا بغنم رَعتْ حمضًا، فمن رآها ظن أنها سِمَان، فإذا ذبحها لم يجد فيها شاة سَمينة».

وقال عبدالله بن مسعود ط: «ما أُشَبِّه علماء زمانكم إلا كرجل رعى غنمه الحَمْض، حتى إذا أرتجت بطونها وانتفخت أحقاؤها، أَمَّ إلى أفضلها في نفسه، فإذا هي لا تنقي، وما بقي من الدنيا إلا كالشيء شرب صفوه وبقي كدره». اهـ

وفي الزهد لأحمد (١/ ٣٦٩) عن حوشب، قال: «سمعت الحسن يحلف بالله، يقول: والله يا ابن آدم! لئن قرأت القرآن، ثم آمنت به، ليطولَنَّ في الدنيا حزنُك، وليشتدَّنَّ في الدنيا خوفك، وليكثرَنَّ في الدنيا بكاؤك».

(١) وللآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة نافعة في أخلاق حملة القرآن؛ تكلم فيها عن الأخلاق التي ينبغي لحامل القرآن أن يتحلى بها، ومما جاء فيها قوله «أول ما ينبغي له أن يستعمل تقوى الله في السر والعلانية باستعمال الورع في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه، بصيرًا بزمانه وفساد أهله، فهو يحذرهم على دينه، مقبلًا على شأنه، مهمومًا بإصلاح ما فسد من أمره، حافظًا للسانه مميزًا لكلامه، إن تكلم: تكلم بعلم، إذا رأى الكلام صوابًا، وإذا سكت: سكت بعلم، إذا كان السكوت صوابًا، قليل الخوض فيما لا يعنيه، يخاف من لسانه أشد مما يخاف من عدوه، يحبس لسانه كحبسه لعدوه؛ ليأمن من شره وشر عاقبته، قليل الضحك مما يضحك منه الناس؛ لسوء عاقبة الضحك، إن مرَّ بشيء مما يوافق الحق؛ تبسم...». إلى آخر ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٢٧).



قال عبدالله بن مسعود ط:

«ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يُخَلِّطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون. قال: وأحسبه قال: وبحزنه إذا الناس يفرحون»[1].

---

(١) وفي الزهد لأبي داود (١/ ١٧٠) زيادة، قال: «وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا، محزونًا، حليمًا، سِكِّيتًا، لينًا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا ولا غافلًا، ولا سخَّابًا، ولا صيَّاحًا، ولا حديدًا». اهـ

وفي حلية الأولياء (١/ ١٣) عن ذي النون المصري، قال: «هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم؛ فحرَّكهم بالإدلاج فوضعوه على أفئدتهم فانفرجت، وضموه إلى صدورهم فانشرحت، وتصدعت هممهم به فكدحت، فجعلوه لظلمتهم سراجًا، ولنومهم مهادًا، ولسبيلهم منهاجًا، ولحجتهم إفلاجًا، يفرح الناس ويحزنون، وينام الناس ويسهرون، ويفطر الناس ويصومون، ويأمن الناس ويخافون، فهم خائفون، حذرون، وجلون، مشفقون، مشمرون، يبادرون من الفوت، ويستعدون للموت».

وفيه (٨/ ٩٢) عن الفضيل، قال: «حامل القرآن حامل راية الإسلام؛ لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى الخلق حاجة، لا إلى الخلفاء فمن دونهم، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه».

وفيه (٤/ ٨٣) عن ميمون بن مهران، قال: «لو أن أهل القرآن صلحوا؛ لصلح الناس». اهـ

وقال الآجري في أخلاق حملة القرآن (١/ ١٠١): «هذه الأخبار كلها تدل على ما تقدَّم ذكرنا له: من أن أهل القرآن ينبغي أن تكون أخلاقهم مباينة لأخلاق من سواهم، ممن لم يعلم كعلمهم، إذا نزلت بهم الشدائد؛ لجئوا إلى الله فيها، ولم يلجئوا فيها إلى مخلوق، وكان الله أسبق إلى قلوبهم، قد =

٩٧ - وحدثنا عمرو بن طارق، عن يحيى بن أيوب، عن خالد بن يزيد، عن ثعلبة بن أبي الكنود

عن عبدالله بن عمرو ، قال:

«من جمع القرآن فقد حُمِّل أمرًا عظيمًا، وقد استُدرجت النبوة بين جنبيه، إلا أنه لا يوحى إليه، ولا ينبغي لصاحب القرآن أن يحد فيمن يحد[1]، ولا يجهل فيمن يجهل، وفي جوفه كلام الله عَزَّوَجَلَّ»[2].

تأدبوا بأدب القرآن والسُّنة، فهم أعلام يهتدى بهم؛ لأنهم خاصة الله وأهله: «أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ». اهـ

وفي معجم ابن المقرئ، وكتاب الإخوان لابن أبي الدنيا عن سعيد الزبيدي، قال: «يعجبني من القُراء كل سهل طلق مضحاك، فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس، يمنّ عليك بعمله؛ فلا أكثر الله في القراء مثل هؤلاء». اهـ. فهو يتبسم مع الناس، ويبكي إذا خلا بربه عَزَّوَجَلَّ.

وفي الزهد للإمام أحمد (١/ ١٨٥) قال عبدالله: «قرأت على أبي هذه الأحاديث: حدثنا محمد بن مصعب، قال: سمعت مخلد بن حسين ذكر عن هشام أن عجوزًا كانت مولاة لعامر، وكانت تكون معه في بيته، قالت: ما كان يخلو بأحد دوني إلا أنه دخل عليه قوم مرة، فكلموه بشيء لم أدرِ ما قالوا، غير أني سمعت عامرًا وهو يقول لهم: أذكركم الله، أنشدكم الله أن تكونوا عارًا على أهل القرآن».

(١) جاءت بألفاظ مختلفة منها: «يحتد فيمن يحتد» - بالحاء - أي: لا يغضب ولا يطيش.

ومنها: «يَجِد فيمن يَجِد»: أي: من المَوْجِدة، وهو الغضب؛ انظر: تاج العروس (٣/ ٣٠٨).

وفي بعض النسخ: «يجدَّ فيمن جدَّ» - بالتشديد - أي لا يتكبر، أو يطلب الحظوة، فتكون الدنيا أكبر همه، ومبلغ علمه.

(٢) رُوي مرفوعًا وموقوفًا، والموقوف أصح. وممن رووه: ابن المبارك في الزهد، وابن أبي شيبة في المصنف، وابن الضُّريس في فضائل القرآن، ومحمد بن نصر في مختصر قيام الليل. والطبراني في =



٩٨ – وحدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن أبي يحيى

عن عبدالله بن عمرو م، قال:

«من قرأ القرآن فقد اضطربت[1] النبوة بين جنبيه، فلا ينبغي أن يلعب مع من يلعب، ولا يرفث مع من يرفث، ولا يتبطل مع من يتبطل، ولا يجهل مع من يجهل».

قال أبو عبيد:

وحكي لي عن سفيان بن عيينة؛ أنه قال:

«من أُعطي القرآن فمدَّ عينيه إلى شيء مما صغَّر القرآن؛ فقد خالف القرآن، ألم تسمع قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ – لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر:٨٧-٨٨].

الكبير، وفيه: «ومن قرأ القرآن، فرأى أن أحدًا أُعطي أفضل مما أعطي؛ فقد عظَّم ما صغَّر الله، وصغَّر ما عظَّم الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتد فيمن يحتد، ولكن يعفو ويصفح؛ لفضل القرآن». اهـ

– والسرُّ في ذلك أن المؤمن قيَّده القرآنُ عن كثيرٍ من شهوات الرضى والغضب، كما أن الإيمان قيَّد الفَتْك، فكذلك القرآن. ففي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال (٤٩) عن أرطاة بن المنذر، قال: «المؤمن لا ينتصر لنفسه، يمنعه من ذلك القرآن والسُّنة، فهو ملجم».

(١) أي: تحركت.



وقوله أيضًا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١]. قال: يعني: القرآن[١].

وقوله أيضًا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢].

قال: وقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦]. قال: هو القرآن[٢].

---

(١) وهذا التفسير من أعجب التفاسير! كيف لا؟! وقد روى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ٣٣) عن عبدالله بن وهب، قال: «لا أعلم أحدًا أعلم بتفسير القرآن من سفيان بن عيينة».

وقال نعيم بن حماد: «كان ابن عيينة من أعلم الناس بالقرآن، وما رأيت أحدًا أجمع لمتفرق من ابن عيينة». اهـ

وفي هذا التفسير إشارة إلى أن قارئ القرآن ينبغي عليه أن يتحلى بصفتين:

الأولى: غنى النفس وعدم الافتقار إلى أحد من الناس.

والثانية: قصر الأمل.

وقد روى ابن أبي الدنيا في كتابه قصر الأمل (١٠٤) عن الشعبي، قال: «لما بعث زياد مسروقًا على السِّلسلة، شيَّعه أصحابه، وكان فينا شاب يجالسه، لم يكن مسروق يعرف اسمه، فلما أراد القوم الرجوع، جعلوا يودعون مسروقًا، والشاب في ناحية، فلما انصرف القوم، أتاه، فقال: إنك أصبحت قريع القراء، وإن زينك لهم زين، وإن شينك لهم شين، فلا تحدثن نفسك بفقر، ولا بطول عمر». اهـ

(٢) عامة المفسرين على أن الإنفاق هنا هي النفقة الواجبة، كالزكاة المفروضة، أو النفقة المستحبة مما سوى الزكاة، ولكن المعنى الذي أشار إليه سفيان بن عيينة معنى دقيق ولطيف، وهو أن الإنفاق هنا يتعلق بالقرآن، فيقرأه ويعلِّمه غيره، ومثله ما قاله بعضهم في تأويل قوله تعالى: «وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ». قال: «مما علَّمناهم يُعلِّمون»، نقله صاحب الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٧٩).

=



قال: ومن ذلك قول النبي ق:

«ما أنفق عبد من نفقة أفضل من نفقة في قول»[1].

قال أبو عبيد: يذهب إلى أن القول نفقة، ويروى عن شريح أنه سمع رجلاً يتكلم؛ فقال: املك عليك نفقتك، أو أمسك عليك نفقتك.

٩٩ – قال أبو عبيد: سمعت قبيصة يحدث عن سفيان، عن منصور:

أن شريحًا سمع رجلاً يتكلم، فقال: «أمسك أو املك عليك نفقتك».

١٠٠ – قال أبو عبيد: وحدثنا أبو النضر، عن عكرمة بن عمار

عن يحيى بن أبي كثير قال:

وفي مصنف ابن أبي شيبة، عن مطرف، قال: « إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ». قال: «هذه آية القُراء».

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره، عن سعيد بن جبير، قال: «كان علماء بني إسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم، وينهون العلماء أن يُعلِّموا الناس شيئًا؛ فعيَّرهم الله بذلك، فأنزل الله تعالى: « ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ». وقال: هذا في العلم ليس للدنيا منه شيء».

(١) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى، عن الحسن مرسلًا، وفي إسناده مجهول.

ومعناه صحيح، وقد صحَّ ذلك عن مسروق: قال ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٠١٦): «حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسروق، قال: ما من نفقة أعظم عند الله من قول». اهـ

وأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأعظمها نفقة: قراءة كتاب الله؛ إذ الحرف منه بعشر حسنات.

مرَّ رسول الله  على إبل لحي، يقال لهم: بنو المُلَوَّح، أو بنو المصطلق، قد عَبسَتْ في أبوالها من السِّمَن[١]، قال: فتقنَّع بثوبه ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه:١٣١].

١٠١ - وحدثني الحكم بن محمد- وكان من أهل العلم- أسنده إلى سالم مولى أبي حذيفة، أنه كان معه لواء المهاجرين يوم اليمامة، قال: فقيل له: إنا نخاف عليك؛ كأنهم يعنون الفرار، فقال: «بئس حامل القرآن أنا إذاً»[٢].

---

(١) قال أبو عبيد في تفسيرها في غريب الحديث (٣/ ١٠): «يعني: أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها، وذلك إنما يكون من كثرة الشَّحم؛ فذلك العَبَسُ». اهـ

وجاء عن شريح القاضي- كما في شرح السنة للبغوي- أنه كان يَرُدُّ الرقيق من العَبَس، أي: كان يرد العبد لسيده الأول، إذا وجده المشتري يبول في الفراش.

(٢) وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٣٧٧) عن الجحَّاف بن عبدالرحمن من ولد زيد بن الخطاب عن أبيه، قال: «كان زيد بن الخطاب ط يحمل راية المسلمين يوم اليمامة، ولقد انكشف المسلمون حتى غلبت حنيفة على الرِّحال، فجعل زيد يقول: أما الرِّحال فلا رِحَال، وأما الرِّجال فلا رِجَال، ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة، ومحكم بن الطفيل، وجعل يشتد بالراية يتقدم بها في نحر العدو، ثم ضارب بسيفه حتى قتل ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة، فقال المسلمون: يا سالم! إنا نخاف أن نؤتى من قِبلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا، إن أتيتم من قبلي».

وفي رواية قال أبو حذيفة: «يا أهل القرآن! زينوا القرآن بالأفعال».

وفي الجهاد لابن المبارك (١/ ١٠١) أن سالم مولى أبي حذيفة: «قيل له يومئذ في اللِّوى- وهو اللواء، أي: تحفظه- فقال غيره: تخشى من نفسك شيئًا فتُولِّي اللِّوى غيرك؟ فقال: بئس حامل =





القرآن أنا إذًا، فقطعت يمينه، فأخذ اللِّوى بيساره، فقطعت يساره، فاعتنق اللوى وهو يقـول: ومـا محمد إلا رسول، وكأي من نبي قاتل معه ربيـون كثـير، فلـما صرع، قـال لأصـحابه: مـا فعـل أبـو حذيفة؟ قيل: قتل، قال: فما فعل فلان؟- لرجل قد سماه- قيل: قتل، قال: فأضجعوني بينهما». اهـ

وفي سؤالات السُّلمي للدارقطني (٣٠٩) في ترجمة كعب بن سُوْر، قال الدارقطني: «كان قـاضي عُمر ط، قُتل يوم الجمل، وكان زمام الناقة في يده، والمصحف في رقبته، والسَّيف في يده الأخرى، فقاتل، وكان من أصحاب عائشة ك». اهـ



باب: ما يستحب لحامل القرآن من إكرام القرآن وتعظيمه وتنزيهه

١٠٢ - حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن المقدام بن شريح، عن أبيه شريح بن هانئ

عن عائشة الصدِّيقة ك قالت:

«ما بالَ رسولُ الله ق قائمًا منذ أُنزل عليه القرآن»(١).

---

(١) رواه أحمد، وإسحاق بن راهويه في مسنديهما، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وفي رواية، قالت عائشة ك: «ما بال رسول الله ق قائمًا منذ أُنزل عليه الفرقان».

وقال عمر بن الخطاب ط: «ما بُلتُ قائمًا منذ أسلمت». رواهما الحاكم في المستدرك.

وهو أدب عام لا يختص بحامل القرآن، وروى ابن المنذر في الأوسط (٢٧٨) عن ابن مسعود ط قال: «من الجفاء أن تبول قائمًا». ثم قال: «ورُوى ذلك عن الشعبي، وقال ابن عيينة: كان سعد ابن إبراهيم لا يجيز شهادة من بال قائمًا. ورُوي عن أبي موسى الأشعري ط أنه رأى رجلًا يبول قائمًا، فقال: ويحك، أفلا قاعدًا! بنو إسرائيل كانوا في شأن البول أشد منكم، إنما كان مع أحدهم شفرته أو مقراضه، لا يصيبه منه شيء؛ إلا قطعه». اهـ

وروى أحمد في مسنده عن عبدالرحمن ابن حسنة، قال: «كنت أنا وعمرو بن العاص جالسيْن، قال: فخرج علينا رسول الله ق ومعه دَرَقة- أو شبهها- فاستتر بها، فبال جالسًا، فقلنا: أيبول رسول الله ق كما تبول المرأة؟! قال: فجاءنا، فقال: أوما علمتم ما أصاب صاحب بني إسرائيل؟ كان الرجل منهم إذا أصابه الشيء من البول، قرضه؛ فنهاهم عن ذلك؛ فعُذِّب في قبره». اهـ

ولم يَرد أن النبي ق تبول قائمًا إلا مرة واحدة، كما في مصنف ابن أبي شيبة عن مجاهد، قال: «ما بال رسول الله ق قائمًا، إلا مرة في كثيبٍ أعجبه».

=



١٠٣ - حدثنا علي بن ثابت، عن سعيد بن أبي عروبة، قال:

سمعت قتادة، يقول:

«ما أكلت الكراث منذ قرأت القرآن»[(١)].

١٠٤ - وحُدثت عن الفرج بن فضالة، عن مسافر، قال:

سمعت يزيد بن أبي مالك، يقول:

ولعلَّها تلك المرة التي قال فيها حذيفة ط: «قام رسول الله ق إلى سباطة قوم؛ فبال قائمًا».

وقد كان له ق عذرٌ في ذلك؛ قال ابن شاهين في كتابه: إعلام العالم بعد رسوخه بناسخ الحديث ومنسوخه (١/ ٦٤): «فأما حديث حذيفة ط، فله ثلاثة أوجه: أحدها: أنه إنما فعله رسول الله ق لمرض منعه من القعود، قال أبو هريرة ط: بال رسول الله ق قائمًا من جرح بمأبضه- أي: باطن ركبته-. والثاني: أنه استشفى بذلك من مرض كان به؛ قال الشافعي: كانت العرب تستشفي لوجع الصلب بالبول قائمًا. والثالث: أن يكون البول أعجله، ولم يجد سوى ذلك المكان، ولم يتمكن من القعود؛ لكثرة الأنجاس فيه». اهـ

وعليه فالأصل: البول قاعدًا، ويباح قائمًا للحاجة إذا كان البائل يأمن من انكشاف عورته، ويأمن النجاسة على بدنه وثوبه.

(١) وفي مصنف ابن أبي شيبة عن علي ط، قال: «إذا قام أحدكم من الليل فليستك، فإن الرجل إذا قام من الليل فتسوك، ثم توضأ ثم قام إلى الصلاة، جاءه الملك حتى يقوم خلفه يستمع القرآن، فلا يزال يدنو منه حتى يضع فاه على فيه، فلا يقرأ آية إلا دخلت جوفه».

وفي العلل لابن أبي حاتم عن عمر ط قال: «كان رسول الله ق يكره الكراث، فمن أكله منكم؛ فلا يحضر المساجد، وتلاوة القرآن». اهـ

والعلَّة في ذلك كما جاءت في الأحاديث: «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم».

وقوله ق: «إني أناجي من لا تناجي»، وقوله: «من أكل من هذه الشجرة؛ فلا يقربن مسجدنا».



«إن أفواهكم طرق من طرق الله تعالى فنظفوها ما استطعتم».

قال: فما أكلت البصل منذ قرأت القرآن.

١٠٥ – وحُدثت عن عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن واصل بن أبي جميل

عن مجاهد:

أنه كان يكره لمن يريد قيام الليل؛ أن يأكل الثوم والبصل والكراث.

١٠٦ – حدثنا حفص بن غياث، عن عبدالعزيز بن أبي رواد

عن مجاهد:

أنه كان إذا صلى[1] فوجد ريحًا؛ أمسك عن القراءة[2].

---

(١) هكذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «قرأ».

(٢) وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٤٣) عن زرزر، قال: «سمعت رجلًا سأل عطاء، قال: أقرأ القرآن، فيخرج الريح مني؟ فقال: أمسك عن القراءة، حتى تذهب عنك». اهـ

وفيه عن مجاهد، قال: «كان ربما قرأ، وقوم نيام، فيجد الريح، فيمسك عن القراءة حتى تذهب».

أي: ليس ريح نفسه، بل لو وجد ريحًا قبيحة في مكان القراءة؛ أمسك عن القراءة حتى تذهب.

وفي فضائل القرآن لابن الضُّريس (١/ ٤٢) عن الشعبي: «أنه كره قراءة القرآن في ثلاثة مواطن: الرّحا، وبيت الخلاء، وبيت الحمّام».

والمراد بـ «الرّحا»: الموضع الذي يُتخذ لطحن الحبوب؛ وذلك لارتفاع الأصوات فيه.

وعلى هذا فلا يقرأه في الأسواق، ولا في مواطن الخصومات واللغط واللغو ومجمع السفهاء، وقد قال الله تعالى: «وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا»، هذا إذا مرَّ دون قراءة، فكيف إذا مرَّ وهو يقرأ القرآن؟



١٠٧ - حدثنا عبدالله بن المبارك، عن عثمان بن الأسود، عن حميد

عن مجاهد، قال:

«إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن؛ فأمسك عن القراءة، حتى يذهب تثاؤبك»[1].

١٠٨ - وحدثنا يزيد، عن جرير بن حازم، عن يعلى بن حكيم

عن عكرمة، قال:

«إذا تثاءب أحدكم وهو يقرأ القرآن فليسكت، ولا يقل: هاها! وهو يقرأ»[2].

١٠٩ - حدثنا وكيع، وأبو معاوية، عن الأعمش

عن أبي وائل، قال:

قيل لعبدالله ط: إن فلانًا يقرأ القرآن منكوسًا.

قال: «ذاك منكوس القلب»[3].

---

(١) وفي فضائل القرآن للمستغفري (١/ ١٧٩) من طريق المؤلف، عن عكرمة، قال: «إذا تثاءب أحدكم وهو يقرأ؛ فليسكت، ولا يقل: هاها وهو يقرأ».

(٢) والعلَّة في ذلك، ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ط عن النبي ق قال: «التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم، فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها؛ ضحك الشيطان».

(٣) أصل التنكيس: هو ما جعل أعلاه أسفله.

=



قال ابن منظور في لسان العرب (٦/ ٢٤١): «قراءة القرآن منكوسًا: أن يبدأ بالمعوذتين ثم يرتفع إلى البقرة. والسُّنة خلاف ذلك». اهـ

وقال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ١٠٣): «قوله: «يقرأ القرآن منكوسًا» يتأوله كثير من الناس: أن يبدأ الرجل من آخر السورة، فيقرأها إلى أولها، وهذا شيء ما أحسب أحدًا يطيقه، ولا كان هذا في زمن عبدالله، ولا أعرفه، ولكن وجهه عندي: أن يبدأ من آخر القرآن، من المعوذتين ثم يرتفع إلى البقرة، كنحو ما يتعلم الصبيان في الكُتَّاب؛ لأن السنة خلاف هذا، يُعلم ذلك من الحديث الذي يحدثه عثمان ط عن النبي ق: «أنه كان إذا أنزلت عليه السورة أو الآية، قال: ضعوها في الموضع الذي يُذكر فيه كذا وكذا». ألا ترى أن التأليف الآن في هذا الحديث من رسول الله ق ثم كُتبت المصاحف على هذا؟ ومما يُبيِّن لك أيضًا أنه ضم براءة إلى الأنفال، فجعلها بعدها وهي أطول، وإنما ذلك لأجل التأليف، فكان أول القرآن فاتحة الكتاب، ثم البقرة إلى آخر القرآن، فإذا بدأ من المعوذتين، صارت فاتحة الكتاب آخر القرآن، فكيف تُسمى فاتحته، وقد جعلت خاتمته؟!

وقد روي عن الحسن وابن سيرين من الكراهة فيما هو دون هذا.

قال أبو عبيد: حدثني ابن أبي عدي، عن أشعث، عن الحسن وابن سيرين أنهما كانا يقرءان القرآن من أوله إلى آخره، ويكرهان الأوراد. وقال ابن سيرين: «تأليف الله خير من تأليفكم».

قال أبو عبيد: وتأويل الأوراد: أنهم كانوا أحدثوا أن جعلوا القرآن أجزاءً، كل جزء منها فيه سور مختلفة من القرآن، على غير التأليف، جعلوا السورة الطويلة مع أخرى دونها في الطول، ثم يزيدون كذلك، حتى يتم الجزء، ولا يكون فيه سورة منقطعة، ولكن تكون كلها سورًا تامة، فهذه الأوراد التي كرهها الحسن ومحمد، والنَّكْس أكثر من هذا وأشدُّ.

وإنما جاءت الرخصة في تَعَلُّم الصبي والعجمي من المفصّل؛ لصعوبة السور الطوال عليهما، فهذا عذر، فأما من قرأ القرآن وحفظه، ثم تعمّد أن يقرأه من آخره إلى أوّله، فهذا النكسُ المنهيُّ عنه وإذا كرهنا هذا، فنحن للنكس من آخر السورة إلى أوّلها أشد كراهة، إن كان ذلك يكون». اهـ

وما قال عنه أبو عبيد: «إنَّ هذا شيء ما أحسب أحدًا يطيقه، ولا كان هذا في زمن عبدالله، ولا أعرفه»، يعني به تنكيس الآيات: وهو أن يقرأ الآية الأخيرة، ثم التي تليها، حتى يصل إلى الآية الأولى في نفس السورة، كما تفعله الشيعة الآن في محافلهم مع صبيانهم.

=



١١٠ – حدثنا حجاج، عن عبدالملك بن شداد الأزدي، عن عبيدالله بن سليمان العبدي

عن أبي حُكيمة العبدي، قال:

كنت أكتب المصاحف، فبينما أنا أكتب مصحفًا، إذ مرَّ بي عليٌّ بن أبي طالب ط، فقام ينظر إلى كتابي؛ فقال: «أَجْلِل قلمك».

قال: فقصمت من قلمي قصمة، ثم جعلت أكتب. فقال: «هكذا نَوِّرْهُ كما نَوَّرَهُ الله عَزَّوَجَلَّ»(١).

قال ابن كثير في التفسير (١/ ٤٨): «فأما ترتيب الآيات في السور؛ فليس في ذلك رخصة، بل هو أمر توقيفي عن رسول الله ق».

والأشد منه: تنكيس الكلمات، قال ابن مفلح في الفروع (١/ ٤٢٢): «وتنكيس الكلمات محرمٌ مُبْطِل». أي مُبْطِل للصلاة.

وأما ما يحدث الآن في الكتاتيب وحلقات تحفيظ القرآن، من قراءة الصبيان القرآن من الناس إلى البقرة، بغرض سهولة الحفظ، فهذا عذرٌ كما قال أبو عبيد.

وقال ابن قدامة في المغني (١/ ٥٧٢): «قال أحمد لما سئل عن هذه المسألة: لا بأس به؛ أليس يُعَلَّم الصبي على هذا؟! وقال في رواية مهنا: أعجب إليَّ أن يقرأ من البقرة إلى أسفل».

قال ابن قدامة: وقد رُوي أن الأحنف قرأ بالكهف في الأولى، وفي الثانية بيوسف، وذكر أنه صلى مع عمر ط الصبح بهما؛ استشهد به البخاري». اهـ

(١) سيعقد المؤلِّف بابًا في آخر كتابه للكلام عن كتابة المصاحف وما يستحب من عظمها، وما يكره من صغرها، وسيأتي بنفس الآثار؛ فأرجأنا التعليق عليها هنا إلى موضعها هناك.

والشَّاهد هنا: ما ينبغي من تعظيم القرآن وإجلاله.



١١١ - وحدثنا أبو معاوية، وعلي بن هاشم، كلاهما عن الأعمش، عن إبراهيم

عن علي ط:

أنه كان يكره أن يُكتب القرآن في الشيء الصغير[١].

١١٢ - وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن نافع

عن ابن عمر م، قال: قال رسول الله ق:

«لا تسافروا بالقرآن؛ فإني أخاف أن يناله العدو»[٢].

١١٣ - وحدثنا القاسم بن مالك، عن محمد بن الزبير

عن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: قال رسول الله ق:

«لا تكتبوا القرآن إلا في شيء طاهر»[٣].

---

(١) انظره برقم: (٧٥١).

(٢) رواه أحمد، ومسلم. وعلة النهي: إجلال المصحف لئلا يناله المشركون الأنجاس أو يهينوه، فنُهِيَ عن السَّفر به؛ سدًا للذريعة، وسيأتي تفصيل ذلك.

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى من طريق المصنِّف. ورواه أبو داود في المراسيل، وابن أبي داود في المصاحف بلفظٍ قريبٍ من هذا، وفي آخره: «ولا تضعوا اسم الله إلا في موضعه». وهو مرسلٌ ضعيف، فيه محمد بن الزبير الحنظلي؛ حديثه منكر، وفيه نظر؛ قاله أبو حاتم الرازي، والبخاري. وأما معناه فصحيحٌ، تشهد له الأدلة الأخرى.

وقال ابن تيمية في الاختيارات الفقهية (١/ ٣٩٢): «ويجب احترام القرآن حيث كُتب، وتحرم كتابته حيث يُهان ببول حيوان، أو جلوسٍ عليه إجماعًا».



١١٤ - قال: وسمعت عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول:

«لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ»(١).

١١٥ - وحدثنا يزيد، عن محمد بن إسحاق

عن عبدالله بن أبي بكر، قال:

«كتب رسول الله ق لجَدِّي أن: لا يمس القرآن إلا طاهر»(٢).

---

(١) وعلى هذا فلا تجوز كتابته على الحيطان والجدران؛ لأنه يتكأ عليه، ولا يُرمى به لمن طلبه، ولا يوضع على الأرض بلا حاملٍ له، والأشد من هذا وذاك ما يوجد الآن في بعض المساجد، حيث يضعون المصاحف معلقةً على السواري، وبعضها يكون قريبًا من المصلين، بحيث إذا ركع المصلي كان دبره ملاصقًا للمصحف أو قريبًا منه!

وروى عبدالله بن أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٢٤٤) عن محمد بن الزبير، قال: «رأيت عمر ابن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأى ابنًا له كتب في الحائط ذكر الله؛ فضربه». اهـ

ومن ذلك: كتابة آيات القرآن على جدران المساجد أو المحاريب، وكثير منها يكون في قبلة المصلين، فيشوش عليهم. قال الإمام أحمد: «لا ينبغي تعليق شيء فيه قرآن يُستهان به».

ومن ذلك: أن بعض الناس يعلِّقه للزِّينة والمناظر الجميلة، وربما يعلِّقه إلى جانب صورة محرَّمة، وربما تكتب الآيات أو الآية على شكلِ نقوشٍ وزخارفٍ، أو ما هو أشدّ من ذلك؛ كأن تُكتب على شكل حيوان أو طائر، كفراشة أو أسد أو نعامة أو غير ذلك، وكل هذا من العبث الذي يصان عنه كتاب الله تعالى.

ومن ذلك مما فشا في زماننا: كتابة الآيات أو ما فيه ذكر الله على السَّيارات، أو في دعوة الأعراس، أو في الأوراق التي تتعرض للإهانة والرمي والوطء بالأقدام.

(٢) سيعقد المؤلف بابًا في آخر كتابه للكلام عن المصحف يمسه المشرك، أو المسلم الذي عليه حدث، وذلك من الأثر: (٧٥٤) إلى آخر الكتاب.

١١٦ - وحدثنا أبو معاوية، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع

عن ابن عمر :

أنه كان لا يأخذ المصحف إلا وهو طاهر.

١١٧ - وحدثني يحيى بن أبي بكير

عن مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنه كان يكره أن يمس المصحف- وإن كان بعلاقته، أو قال: في غلافه، أو كان على وسادة- إلا وهو طاهر.

قال: «وليس ذلك إلا إكرامًا للقرآن».

قال أبو عبيد:

وجلست إلى معمر بن سليمان النخعي بالرَّقة- وكان من خير من رأيت- وكانت له حاجة إلى بعض الملوك، فقيل له: لو أتيته فكلمته. فقال: قد أردت إتيانه، ثم ذكرتُ القرآن والعلم فأكرمتهما عن ذلك. أو كلام هذا معناه[1].

(١) وهذا المعنى مما تواتر عن السَّلف، فأهل السُّنة والجماعة لا يدخلون على الأمراء والسلاطين، وأيضًا لا يخرجون عليهم، وهو في حقِّ أهل القرآن آكد من غيرهم؛ لشرف ما يحملونه في صدورهم: ففي أخبار الشيوخ (٥٥) عن ابن سيرين، قال: «إن دعاك الأمير أن تقرأ عليه القرآن؛ فلا تأته». وقال يونس بن عبيد: «ثلاثة ما أحبُّ مجالستهم: أمير ما أحبُّ أن أجالسه، وإن قال: اقرأ عليَّ =



سورة من القرآن، ولا أحبُّ مجالسة امرأة ليست لي بمحرم، ولا صاحب بدعة».

وهكذا قال سفيان الثوري، وحماد بن سلمة، حتى قال سفيان: «إن دعاك، لتقرأ عليهم: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ »؛ فلا تأتهم».

وقال فتح بن أبي الفتح العابد: «كنا على باب يزيد بن هارون، فسمعت ابن أبي خدويه- يعني سهلًا- يقول: عرفت النقص في القُرَّاء، أني دخلت لهؤلاء القوم- أي: السُّلطان- في شيء؛ فلم ينفض عني أحد- أي: من القُرَّاء-».

وعن الأوزاعي، قال: «ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملًا- أي: من عمال الملوك-».

وفي سنن ابن ماجه، وأخبار الشيوخ، عن ابن عباس ﵄ مرفوعًا: «إن أناسًا من أمتي يتفقهون في الدين، ويقرؤون القرآن، ويقولون: نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم، ونعتزلهم بديننا! ولا يكون ذلك، كما لا يُجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يُجتنى من قربهم إلا الخطايا».

وقال سفيان الثوري ليوسف بن أسباط: «إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان؛ فاعلم أنه لصٌ، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء؛ فاعلم أنه مُراءٍ، وإياك أن تخدع، فيقال لك: ترد مظلمة، تدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس، اتخذها لفجار القراء سُلَّمًا».

وقال نعيم بن الهيصم في جزئه المشهور: «عن الحسن، أنه مرَّ ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين، فقال: أقرحتم جباهكم، وفلطحتم نعالكم، وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم؟! أما إنكم لو جلستم في بيوتكم، لكان خيرًا لكم، تفرَّقوا فرَّق الله بين أعضائكم».

وقال الزجاجي في أماليه (١/ ١٣): «مرَّ الحسن البصري بباب عمر بن هبيرة وعليه القراء فسلَّم، ثم قال: «ما لكم جلوسًا قد أحفيتم شواربكم، وحلقتم رؤوسكم، وقصرتم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم! أما والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيما عندكم، فضحتم القُراء، فضحكم الله».

وقال الفضيل بن عياض لسفيان بن عيينة لما أَخَذَ من البرامكة: «كنتم معاشر العلماء سُرُجًا للبلاد يُستضاء بكم، فصرتم ظُلمة، وكنتم نجومًا يُهتدى بكم، فصرتم حَيرة، أما يستحيي أحدكم من الله إذا أتى هؤلاء الأمراء، وأخذ من مالهم وهو يعلم من أين أخذوه، ثم يُسند ظهره إلى محرابه ويقول: حدثني فلان عن فلان، فطأطأ سفيان رأسه، وقال: نستغفر الله، ونتوب إليه».

=

١١٨ - حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي

عن حسان بن عطية، قال:

صحب رجلٌ أمَّ الدرداء[(١)] فقالت له: «هل تحسن من القرآن شيئًا؟»

وفيها من المفاسد أنه يعرض دينه للفتن:

ففي جامع معمر بن راشد، عن حذيفة ط قال: «إياكم ومواقف الفتن! قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير، فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه».

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي ذر ط أنه قال لسلمة بن قيس: «لا تغش ذا سلطان، فإنك لا تصيب من دنياهم شيئًا، إلا أصابوا من دينك أفضل منه».

وقال سحنون: «ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يُوجد، فيسأل عنه، فيقال: عند الأمير! وكنت أسمع أنه يقال: «إذا رأيتم العالم يحب الدنيا، فاتهموه على دينكم»، حتى جربتُ ذلك، ما دخلت قط على هذا السلطان، إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج، فأرى عليها الدرك، مع ما أواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم». اهـ

وصدق أبو القاسم الشاطبي المقرئ حين قال:

قـل للأمـير نـصيحة ... لا تـركنن إلى فقيـه

إن الفقيـه إذا أتـى ... أبـوابَكم لا خـير فيـه

بل لو لم يكن في إتيان أبواب السَّلاطين إلا ما قاله عبيدالله الوصافي، لكفى! ففي أخبار الشيوخ (٦٤) عن خلف بن تميم، قال: «قلت لعبيدالله الوصافي: لو دخلت على أبي جعفر فكلمته، لعلَّ الله ينفع بكلامك، فقال: إني أكره أن أقول: عافاك الله، فيقول لي المَلَكُ: لا عافاك الله». اهـ

وروى ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٧٧) عن عبدالملك بن مروان أنه قال وهو في الاحتضار: «إياكم وأبوابنا هذه الخبيثة أن تطيفوا بها».

(١) هي: أمُّ الدرداء الصغرى، هُجيمة بنت حيي؛ اتفق العلماء على وصفها بالفقه والعقل والفهم.



قال: ما أحسن إلا سورة، ولقد قرأتها حتى أدبرتُها[(١)].

قال: فقالت: «وإن القرآن لَيَدْبَر؟!»، فكفَّت دابتها، وقالت: «خذ أي طريق شئت»[(٢)].

١١٩ – حدثنا هشيم، عن مغيرة

عن إبراهيم، قال:

«كانوا يكرهون أن يتلو الآية عند الشيء يعرض من أمر الدنيا».

---

(١) والمعنى: أنه أَكْثَرَ من قراءتها، ثم شَبَّه ذلك بظهر البعير إذا كثر الركوب عليه؛ أصابه الدَبَر؛ لذلك فارقته أم الدرداء وأنكرت عليه، فالقرآن لا يَخْلَق، ولا يفنى، ولا يَتْفه، ولا يَدْبَر.

قال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ٥٥): «في حديث عبدالله ط وذَكَر القرآن، فقال: «لا يَتْفَهُ ولاَ يَتَشَانُّ». قوله: «لا يَتْفَهُ». قال أبو عمرو: هو من الشيء التافه، وهو الخسيس الحقير... وقوله: «لا يَتَشانُّ». يقول: لا يخلق، وهو مأخوذ من الشنّ، وهو الجلد الخَلِق البالي». اهـ

(٢) وفي تاريخ دمشق (٧٠/ ١٦٠) عن ابن أبي زكريا الخزاعي، قال: «خرجنا مع أم الدرداء في سفر، فصحبنا رجلٌ، فقالت له أم الدرداء: ما يمنعك أن تقرأ أو تذكر الله، كما يصنع أصحابك؟! فقال: ما معي من القرآن إلا سورة، وقد رددتها حتى قد أدبرتها، قالت: وإن القرآن ليدبر؟! ما أنا بالتي أصحبك، إن شئت أن تتقدم وإن شئت أن تتأخر، فضرب دابته وانطلق، ثم صحبنا رجل آخر، فقال: يا أم الدرداء! دعاء كان يدعو به: اللهم اجعلني أرجو رحمتك، وأخاف عذابك؛ إذ لا يأمنك من لا يرجو رحمتك، ولا يخاف عذابك، وأسألك الأمن يوم يخافون، فقالت لي أم الدرداء: اكتبه، فكتبته». اهـ



قال أبو عبيد:

وهذا كالرجل يريد لقاء صاحبه، أو يهم بالحاجة، فتأتيه من غير طلب، فيقول كالمازح: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠]؛ وهذا من الاستخفاف بالقرآن(١).

(١) ومن أمثلة ذلك:

١- قراءة قوله تعالى: «كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»، عند حضور الطعام والشراب، أو كتابتها على المطاعم.

٢- مناداة من كان اسمه (يحيى) بقوله: «يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ»، ومن كان اسمه (يوسف) بقوله: «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا».

٣- كتابة قوله تعالى: «وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ» على أماكن بيع الذهب والفضة.

٤- كتابة قوله تعالى: «وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا» على محلات العصائر والأشربة.

٥- كتابة قوله تعالى: «فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ» على محلات بيع الكُتب.

٦- ومنها القصة التي روَّج لها الصوفية والقُصاص في المرأة التي ما كانت تتكلم إلا بالقرآن؛ فجعلت القرآن محلًا لأحاديث الناس، وقد ذكرها أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٨٢) عن عبدالله بن داود الواسطي، قال: «بينا أنا واقف بعرفات، إذا أنا بامرأة، وهي تقول: من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، فقلت: من أنت؟ فقالت: امرأة ضالة، فنزلت عن بعيري، وقلت لها: يا هذه! ما قصتك؟ فقرأت: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا»، فقلت في نفسي: حروريةٌ لا ترى كلامنا! فقلت لها: فمن أين أتيت؟ فقالت: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا»، فأركبتها بعيري وقُدْتُ بها أريد بها رِحَال المقدسيين، فلما توسطت الرَّحْل، قلت: يا هذه بمن أُصَوِّت؟ فقرأت: «يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ»، «يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ»، «يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ» فناديتُ: يا داود! يا زكريا! يا يحيى! فخرج إليَّ ثلاثة فتيان من بين الرّحالات، فقالوا: أُمُّنا ورب الكعبة، ضلَّت منذ ثلاثٍ، =



فأنزلوها، فقرأت: «فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ»، فغدوا فاشتروا تمرًا وفستقًا وجوزًا، وسألوني قبوله، فقبلته، فقلت لهم: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: هذه أُمُّنا لا تتكلم منذ ثلاثين سنة إلا بالقرآن؛ مخافة أن تزل!». اهـ

فنقول- إن صحَّت القصة-: هي الآن زَلَّتْ بالقرآن، ولأن تتكلم فتزل بغيره خيرٌ لها من أن تجعل القرآن بدلًا عن كلام الناس، ولاشك أن هذا نسك أعجمي، وتكلف زائد لم يفعله النبي ﷺ ولا أصحابه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وأصحابه. فكيف والقصة من أولها إلى آخرها منكرة! يرويها عبدالله بن داود التَّمار، وهو ضعيف عند أهل الصنعة، وفي حديثه مناكير؛ كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ٤٨).

وجاءت من طريق أخرى عند ابن حبان في كتابه روضة العقلاء (١/ ٤٩)، وإسنادها واهٍ جدًا، فيه محمد بن زكريا الغلابي، وهو ممن يضع الحديث؛ كما قال يحيى بن معين، والدارقطني.

وقال ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ٤١١): «هذه امرأة صالحة المقصد، إلا أنها لقلة علمها لم تدرِ أن هذا الفعل منهيٌّ عنه؛ لأنها استعملت القرآن فيما لم يوضع له؛ قال ابن عقيل: لا يجوز أن يجعل القرآن بدلًا من الكلام؛ لأنه استعمال له في غير ما وُضع له، كما لو أراد استعمال المصحف في الوزن به أو توسده. قال: ويكره الصمت إلى الليل؛ لأن النبي ﷺ نهى عن صمت يوم إلى الليل». اهـ

وقال في تلبيس إبليس (١/ ١٤١): «قال ابن عقيل: كان أبو إسحاق الخرَّاز رجلًا صالحًا، وهو أول من لقنني كتاب الله، وكان من عادته الإمساك عن الكلام في شهر رمضان، فكان يخاطب بآي القرآن فيما يَعرض إليه من الحوائج؛ فيقول في إذنه: «ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ»، ويقول لابنه في عشية الصوم: «مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا»؛ آمرًا له أن يشتري البقل! فقلت له: هذا الذي تعتقده عبادة هو معصية؛ فصعب عليه، فقلت: إن هذا القرآن العزيز أُنزل في بيان أحكام شرعية، فلا يُستعمل في أغراض دنيوية، وما هذا إلا بمثابة صَرِّكَ السِّدرَ والأشنانَ في ورق المصحف أو توسدك له؛ فهجرني ولم يصغ إلى الحجة». اهـ

وقد ذُكر عن بعض مشيخة بغداد: أن صاحبًا له تَمَثَّل بقوله تعالى: «فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ»، وكان من أخص الناس به، وأقربهم إليه؛ قال: فلم يَزَلْ بعد ذلك عنده مَهْجُورًا.

=



تنبيه مهم: لا يدخل فيما ذكرناه آنفًا ما يلي:

أولًا: نزعُ الآيات من القرآن عند تعبير الرؤى؛ فهذا بابٌ من العلم، وقد رخَّص فيه السَّلف؛ قال حرب الكرماني- كما في مسائله للإمام أحمد في باب: تعبير الرؤيا-: «قلت لأحمد: يا أبا عبدالله! الرجل يعبر الرؤيا؟ قال: وما بأس بذلك؛ فرخَّص فيه، وقال: **إنه ينزع من القرآن**، وحسَّنه، وذكر أن أبا بكر، وابن المسيب، وابن سيرين كانوا يفعلون ذلك. قال أحمد: وقد كان عندكم بكِرمان رجل عالم بهذا. قلت: نعم، وفسرت له حاله، فجعل يعجب من علمه، وقال: لا بأس بالعَبارة». اهـ

قلت: ومن ذلك من أوَّلَ الخشب في الرؤيا بالنفاق، والماء بالفتنة، والسفينة بالنجاة، وهكذا.

ثانيًا: إذا نابه المصلي أمرٌ في الصلاة، فتلا آية من القرآن قاصدًا بها القراءة؛ ليحصل بها الجواب أو تنبيه الغير على أمرٍ ما؛ فلا بأس به، ولا فرق في ذلك بين أن يكون منتهيًّا في قراءته إلى تلك الآية أو ينشيء قراءتها حينئذ. ودليل ذلك ما رواه الشافعي في الأم، وابن أبي شيبة في مصنفه، والبيهقي في سننه واللفظ له، عن حَكيم بن سعد، قال: «نادى رجلٌ من الغالين عليًّا ط، وهو في صلاة الفجر، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. فأجابه علي ط وهو في الصلاة: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾».

وزاد ابن أبي شيبة في مصنفه، قال: «فترك سورته التي كان فيها، وقرأ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾».

وقد ترجم البيهقي في سننه على هذا الأثر (٢/ ٢٤٥) بقوله: «باب ما يجوز من قراءة القرآن والذكر في الصلاة يريد به جوابًا أو تنبيهًا». اهـ

وروى أحمد، وأبو داود الطيالسي في مسنديهما، عن عبدالله بن أبي قتادة، عن أبيه ط، قال: «كان النبي ق يقرأ في الركعتين الأوليين من الظهر والعصر، يسمعنا الآية أحيانًا».

وقال السيوطي في الدر المنثور (١٠/ ٢٩٥): أخرج عبد بن حميد، وابن الأنباري في المصاحف، عن عمرو بن ميمون، قال: «صلَّيتُ خلف عمر بن الخطاب ط المغرب، فقرأ في الركعة الأولى: «والتين والزيتون وطور سينا»- قال: وهكذا هي قراءة عبدالله- وقرأ في الركعة الثانية: «﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾»، و«﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾»، جمع بينهما، ورفع صوته؛ فقدَّرتُ أنه رفع صوته تعظيمًا للبيت». اهـ

=



وروى ابن أبي شيبة، عن إبراهيم، قال: «كانوا يستحبون لمن سُبِقَ ببعض الصلاة في الفجر أو المغرب أو العشاء، إذا قام يقضي، أن يجهر بالقراءة، كي يعلم من لا يعلم أن القراءة فيما يُقضى».

قال البغوي في شرح السنة (٢/ ٣٤٣): «ولو أعَلَمَ رجلًا بكلام يوافق نظم القرآن، وقصد به قراءة القرآن؛ فجائز». اهـ

ثالثًا: تضمين الخطب والمواعظ والرسائل والعهود بكلمات أو آيات من القرآن الكريم، ومعنى التضمين: أخذ كلمات أو آيات من القرآن بنصها دون التغيير فيها ووضعها في كلام المتكلم دون أن يقول: قال الله، وهو ما يسمى عند المتأخرين بالاقتباس؛ فهذا حكمه: إن كان لمقاصد لا تخرج عن المقاصد الشرعية، من الاتعاظ والتدبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان في مقام عظيم وفيه تعظيم للأمر لا استخفاف فيه ولا تفكُّه ولا خلاعة ولا مجون؛ فلا بأس، لما رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن عليٍّ ط: «أن رسول الله ق طرقه وفاطمة ليلة، فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله! أنفسنا بيد الله؛ فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إليَّ شيئًا، ثم سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فخذه، وهو يقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا».

ولقوله ق عند فتح خيبر: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم؛ فساء صباح المنذرين». رواه مالك، وأحمد.

وقوله ق في فتح مكة لما جعل يطعن الأصنام، ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقًا، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد». رواه أحمد، والبخاري، ومسلم.

وقوله ق: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه؛ فأنكحوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». رواه الترمذي.

وفي هذا الحديث الأخير دليلٌ لأمرٍ آخر، وهو أنه يجوز تغيير بعض الآيات بإبدال كلمة بأخرى أو بزيادة أو بنقص؛ لأنه لا يقصد به التلاوة ولا القراءة، ولا يُقصد إيراد النظم على أنه قرآن؛ لأن الآية التي انتزع منها هذا الحديث هي قوله تعالى: «إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ».

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عائشة ك، واللالكائي في السُّنة، واللفظ له عن عثمان بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، قال: «لما حضر أبا بكر ط الوفاة، دعا عثمان بن عفان ط، فأملى عليه عهده: هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة عند آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، =

وأول عهده بالآخرة داخلًا فيها، وحتى يؤمن الكافر، ويتوب الفاجر، إني استخلفت من بعدي عمر بن الخطاب، فإن عَدَل؛ فذلك رأيي فيه وظني، وإن جَارَ وبَدَّل؛ فالحق أردت، ولا أعلم الغيب، وما توفيقي إلا بالله، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون». اهـ

وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى، عن عمرو بن ميمون، قال: «رأيت عمر بن الخطاب ط لما طُعن، عليه ملحفة صفراء، قد وضعها على جرحه، وهو يقول: وكان أمر الله قدرًا مقدورًا».

وفي لفظ، قال: «لما طُعن عمر ط دخل عليه كعبٌ، فقال: الحق من ربك فلا تكونن من الممترين؛ قد أنبأتك أنك شهيد، فقلت لي: من أين لي بالشهادة وأنا في جزيرة العرب؟!».

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، وابن أبي حاتم في تفسيره، عن ابن أبي ليلى الكندي، قال: «أشرف عثمان ط على الناس من داره، وقد أحاطوا به، فقال: يا قوم! لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح، أو قوم هود، أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد، يا قوم! لا تقتلوني، فإنكم إن تقتلوني؛ كنتم هكذا- وشبك بين أصابعه-».

وروى ابن سعد في الطبقات، والبيهقي في دلائل النبوة عن الشعبي، قال: «لما سلَّم الحسن بن عليّ الأمرَ إلى معاوية، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن أكيس الكيس التُّقى، وإن أعجز العجز الفجور، ألا وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية، لا امرؤٌ كان أحق به مني، وهو حقٌّ لي تركته لمعاوية؛ إرادة إصلاح المسلمين وحقن دمائهم، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين، ثم استغفر ونزل».

وروى عبدالرزاق في مصنفه، عن حُميد بن الحميري، قال: «صلى ابن مسعود ط وراء أعرابي، فقرأ الأعرابي أمَّ القرآن، فلما ختمها، وقال: غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: نحُجُّ بيت ربنا ونقضيه الدَّيْنَ، على مثل القَطَواتِ يَهْوِينَ! فقال ابن مسعود: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق! قال: فاستأخر الأعرابي، حتى يتقدَّم ابن مسعود؛ علم أنه أفقه منه، فقال ابن مسعود: ما رأيت أعرابيًّا أفقه منه».

وروى ابن سعد، عن الشعبي، قال: «حدثني فروة بن نوفل الأشجعي، قال: قال ابن مسعود ط: إن معاذ بن جبل كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين، فقلت: غلط أبو عبدالرحمن! إنما

=

قال الله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، فأعادها عليٌّ؛ فعرفتُ أنه تعمَّد الأمر تعمدًا، فسكتُّ».

وروى ابن سعد، عن عبدالله بن رافع، قال: «طُعن ابنا معاذ بن جبل، فقال معاذ: كيف تجدانكما؟ قالا: يا أبانا! الحقُّ من ربك فلا تكونن من الممترين، قال: وأنا، ستجداني إن شاء الله من الصابرين».

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره، عن أبي جعفر، قال: «قال عليُّ بن أبي طالب ط للحسن: قم يا حسن! فاخطب الناس، قال: إني أهابك أن أخطب وأنا أراك، فتغيَّب عنه حيث يسمع كلامه ولا يراه، فقام الحسن فخطب، ثم نزل، فقال عليٌّ: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم».

وروى ابن سعد، ويعقوب بن سفيان، عن عُمارة بن أبي حفصة: «أن عمر بن عبدالعزيز، قيل له في مرضه: من توصي بأهلك؟ فقال: إن وليِّيَ فيهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين».

وروى أبو العرب في المحن، وأبو نعيم في الحلية، عن عون العبدي: «أن الحجَّاج لما أمر بقتل سعيد بن جبير، قال سعيد بن جبير: إني وجهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، فقال الحجَّاج: شُدُّوا به لغير القبلة، فقال سعيد: فأينما تولوا فثم وجه الله، فقال الحجَّاج: كُبُّوه لوجهه، فقال سعيد: منها خلقناكم وفيها نعيدكم».

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، عن بكر بن ماعز، قال: «لما انتهى الربيع بن خثيم إلى مسجد قومه، قالوا له: يا ربيع! لو قعدت لتحدثنا اليوم، فقعد، فجاء حجر فشجه، فقال: فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف».

والأدلة على جواز هذا النوع من الاقتباس من القرآن، كثيرة لا تُحصى.

قال السيوطي في تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١/ ٣١٢): «لا أعلم بين المسلمين خلافًا في جوازه». اهـ

رابعًا: تضمين آيات من القرآن الكريم بين يدي الفتوى والقضاء والبيعة، فهذا لا بأس به؛ لما رواه أحمد عن هزيل بن شرحبيل، قال: «جاء رجل إلى أبي موسى، وسلمان بن ربيعة فسألهما عن: ابنة، وابنة ابن، وأخت، فقالا: للابنة النصف، وللأخت النصف، وائت عبدالله بن مسعود، فإنه سيتابعنا؛ فأتى عبدالله ط، فأخبره، فقال: قد ضللتُ إذًا وما أنا من المهتدين، لأقضين فيها بقضاء رسول الله ق: للابنة النصف، ولابنة الابن السدس، وما بقيَّ فللأخت».

=



وروى الشافعي في الأم، عن عروة بن الزبير، قال: «كان أبو حذيفة بن اليمان شيخًا كبيرًا، فخرج يوم أُحُد يتعرض للشهادة، فابتدره المسلمون؛ فتواشقوه بأسيافهم، وحذيفة يقول: أبي! أبي! فلا يسمعونه من شغل الحرب، حتى قتلوه، فقال حذيفة ط: يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين، فقضى النبي ق فيه بديته».

وروى الشافعي في مسنده، عن المطلب بن حنطب: «أنه طلَّق امرأته البتة، ثم أتى عمر بن الخطاب ط فذكر ذلك له، فقال: ما حملك على ذلك؟ فقال: قد فعلت، فقال عمر: ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به؛ لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا، أمسك عليك امرأتك، فإن الواحدة لا تَبِتُّ».

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، عن أم راشد، قالت: «كنت عند أم هانئ، فسمعت رجلين يقولان: بايعته أيدينا، ولم تبايعه قلوبنا! فذكرت ذلك لعليٍّ ط، فقال عليٌّ: من نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا».

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، عن هشام بن عروة، قال: «أُتي عمر بن عبدالعزيز بقوم قعدوا على مُسْكِرٍ، معهم رجل صائم؛ فضربه، وقال: فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره».

وروى أبو نعيم في الحلية، عن سعيد بن سليمان، قال: «قلَّما سمعت مالكًا يفتي بشيء، إلا قال: إن نظن إلا ظنًا وما نحن بمستيقنين».

وروى الخطيب البغدادي وغيره، عن سعيد بن بشير، قال: «كان مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا سُئل عن مسألة، يظن أن صاحبها غير متعلِّم، وأنه يريد المغالطة، يقول: وللبسنا عليهم ما يلبسون».

وقال صاحب ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ترجمة محمد بن أحمد بن عبدالله، المعروف بابن العطار: «إنه سُئل عن مسألة في السهو في الصلاة، فأفتى فيها بسجود السهو، فقال له السائل: إن أصبغ بن الفرج الطائي، لم يرَ عليَّ سجودًا، فردَّ عليه ابن العطار: كلا، لا تطعه، واسجد واقترب».

<u>خامسًا:</u> تضمين الشِّعر آيات من القرآن الكريم. فهذه المسألة قد اختُلِفَ فيها، فمن العلماء من منع اقتباس القرآن في الشِّعر مطلقًا- ومن أشهر هؤلاء المالكية- ومنهم من فرَّق بين الشِّعر والنثر؛ فكره الاقتباس في الشِّعر، وأجازه في النثر- ومن أشهر هؤلاء الشافعية- ومنهم من فصَّل في المسألة، فقال بعدم جوازه في الحالات الآتية:

١- حديث الله عن نفسه، فلا يجوز لإنسان أن ينسبه إلى نفسه.

=



٢- مواطن الاستخفاف والاستهزاء والسِّياق الهزلي.

٣- استخدام النص القرآني لغاية مخالفة لهدايته ومقاصده.

قال ابن حجة الحموي في كتابه خزانة الأدب وغاية الأرب (٢/ ٤٥٥): «الاقتباس: هو أن يُضَمِّن المتكلم كلامه كلمة من آية، أو آية من كتاب الله خاصة. والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام: مقبول ومباح ومردود؛ فالأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي ﷺ ونحو ذلك. والثاني: ما كان في الرسائل والقصص. والثالث: على ضربين أحدهما: ما نسبه الله تعالى إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه؛ كما قيل عن أحد بني مروان: أنه وقَّعَ على مطالعة فيها شكاية من عماله: إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم. والآخر تضمين آية كريمة في معنى هزل، ونعوذ بالله من ذلك». انتهى كلامه.

ومن أشهر من استخدم هذا النوع المحرم من الاقتباس: الصوفية، وكتبهم مشحونة بذلك، ومن الأفراد: ابن الرومي في ديوانه، وابن الوردي الشافعي في كثير من كتبه.

وما عدا ذلك؛ فلا بأس به، وذلك بشروط:

١- أن تكون هناك ضرورة شعرية للاقتباس، فلا يتجاوزها بأن يصبح ديدنًا، وطريقًا مسلوكًا للشاعر فيما يكتبه.

٢- ألا يكون في الاقتباس امتهان لكتاب الله.

٣- ألا يكون الاقتباس بآية كاملة، بل في كلمتين أو أكثر.

٤- وضع فاصل بين الشِّعر والقرآن المقتبس، كعلامتي التنصيص، أو تغيير الخط المكتوب، أو غير ذلك.

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ٢٧٧): «فصل: في الاقتباس بتضمين بعض القرآن في النظم والنثر. ثم قال: سُئل ابن عقيل عن وضع كلمات وآيات من القرآن في آخر فصول خطبة وعظية؟ فقال: تضمين القرآن لمقاصد تضاهي مقصود القرآن؛ لا بأس به، تحسينًا للكلام، كما يُضمَّن في الرسائل إلى المشركين آيات تقتضي الدعاية إلى الإسلام، فأما تضمين كلام فاسد؛ فلا يجوز، ككتب المبتدعة، وقد أنشدوا في الشِّعر:

ويخزهم وينصركم عليهم ... ويشف صدور قوم مؤمنينا

=



ولم يُنكر على الشاعر ذلك؛ لما قصد مدح الشرع، وتعظيم شأن أهله، وكـان تـضمين القـرآن في الشعر سائغًا؛ لصحة القصد وسلامة الوضع». اهـ

ومن أمثلة التضمين المباح لآيات القرآن الكريم:

ما قاله الحريري في مقاماته (١/ ٤٦): «كلا، والله لن يدفع المنون؛ مال ولا بنون! ولا ينفـع أهـل القبور؛ سوى العمل المبرور! فطوبى لمن سمع ووعى، وحقق ما ادعى! ونهى الـنفس عـن الهـوى. وعلم أن الفائز من ارعوى! وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يُرى». اهـ

وروى البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٧٥) عن شيخه أبي عبـدالرحمن الـسُّلمي، قـال: «أنـشدنا أحمد بن محمد بن يزيد لنفسه:

سَلِ اللهَ مِنْ فضله وَاتَّقِه ... فَإِنَّ التُّقَى خيرُ مَا يُكْتَسَبْ

ومَنْ يَتَّقِ اللهَ يصْنَعْ لَه ... وَيَرْزُقْهُ مِنْ حيث لَا يَحْتَسِبْ

والصواب- الذي لا نشك فيه- أن ترك ذلك والبعد عنه هو الذي ينبغي، وذلك للأمور التالية:

١- أن هذا لم يكن من عمل الصحابة ولا التابعين.

٢- أن هذا يوحي بأن القرآن نوع من الشِّعر، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: «وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ» ، وقال تعالى: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ».

٣- احترامًا وتعظيمًا وتنزيهًا له عما نزهه الله عنه.

٤- وهو أخطرها: أن هذا العمل هو بداية تحريف الكتب السَّماوية السابقة.

وعليه؛ فالورع اجتناب ذلك كله، وأن ينزه عن مثله كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

تنبيه: إذا صرَّح الشاعر بقوله: قال الله تعالى... ثم ذكر الآية في شعره، فـلا يُعَـدُّ هـذا تـضمينًا أو اقتباسًا- على ما ذكرناه في التعريف، وهذا محل إجماع بين أهل الشأن- مثال ذلك:

ما ذكره صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٨٣) عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال:

أَنِلْنِي بالذي استقرضتَ خطًّا ... وأَشْهِدْ مَعْشَرًا قد شاهدوه

فإن الله خلاق البرايا ... عنت لجلال هيبته الوجوه



يقـــــول إذا تـــــداينتم بـــــدْينٍ إلى أجــــــلٍ مــــــسمًّى فــــــاكتبوه

وكذلك ما ذكره صاحب طبقات الشافعية (٥/ ١٣٩) في ترجمة أبي منصور عبدالقاهر بـن طـاهر التميمي البغدادي من كبار الشافعية أن من شعره قوله:

يـا مـن عـدا ثـم اعتـدى ثـم اقـترف ثـم انتهـى ثـم ارعـوى ثـم اعـترف

أبــــشر بقــــول الله في آياتــــه إن ينتهـوا يغفـر لهـم مـا قـد سـلف

قال السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٧٢٣): «ليس هذان البيتان من الاقتباس لتـصريحه بقول الله، وقد قدَّمنا أن ذلك خارج عنه». اهـ

٧- ومن أشد أنواع الاستخفاف بالقرآن والحـديث: أن يـأتي بالآيـة أو الحـديث في مقـام النِّـزاع والخصومة والجدل والغضب، بحيث يحمل الآخر على ردِّها وكراهيتها، كما يفعل بعض النـاس إذا تجادل مع أبناء البادية، يقول لـه: إن الله قـال فـيكم: « ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ»، فيقول الآخر: وأنتم قال الله فيكم: «وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ».

أو يقول الرجل للمرأة- في موضع نزاع وخصومة- إن الله قال فـيكن: «وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ»، وقال الرسول ق: «أنتن ناقصات عقلٍ ودين»، مراده بذلك أن يقـوِّي حجتـه ويـستظهر بـالقرآن على صاحبه، ليس للهداية والتعليم؛ فهذا من أخطر الأنواع.

وأشد من ذلك ما يفعله المدافعون عن المبتدعة في عـصرنا، فيـأتي أحـدهم ويُنـزِّل قولـه تعـالى: « أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ». وكذلك قوله ق: «إذا بلغ الماء قُلَّتين لم يحمل الخَبث». على المبتدع، ويقصد بذلك: أن سيئات هـذا المبتدع مغمورة في بحر حسناته، فلا عبرة بهذه البدع، ولا داعي للطعن فيه. وكذلك قوله ق مُبلغًا عن ربه عز وجل: «من عادى لي وليًّا؛ فقد آذنته بالحرب». والوليُّ عندهم هو المبتدع!

٨- ومن أشد أنواع الاستخفاف بالقرآن: استخفاف الفرق الضالة، الذين يضعون القرآن في غير مواضعه، ويستدلون به في غير ما أراد الله، ففي الجامع في التفسير لابن وهـب (٣/ ١١) عـن عمـر ط قال: «إنما هذا القرآن كلام الله، فضعوه على مواضعه، ولا تتبعوا فيه أهواءكم». اهـ

ومن هـؤلاء الذين اتبعوا فيه أهواءهم، ولم يضعوه في مواضعه: الروافض، والصوفية، والمعتزلة، =

ومنه قول ابن شهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لا تناظر بكتاب الله، ولا بسنة رسول الله ».

قال أبو عبيد: يقول: لا تجعل لهما نظيرًا من القول ولا الفعل(١).

والجهمية، والأشعرية، والخوارج، والمرجئة وغيرهم، وقد قال الله تعالى في حقِّ اليهود- وكذلك من فسد من علماء هذه الأمة-: « فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ». وقال: « فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ». وقال: «مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ».

ثم بيَّن سبحانه وتعالى أن هذا التأويل والتحريف وصرف القرآن عن مواضعه، سيؤول بهم إلى الشرك والكفر، فقال في الآية التي بعدها: « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا».

وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ».

فائدة: قال صالح بن أحمد في مسائله عن أبيه الإمام أحمد (٢/ ٤١٨): «حدثني أبي، قال: حدثنا سيار بن حاتم أبو سلمة العنزي، قال: حدثنا جعفر، قال: حدثنا مالك بن دينار، قال: سألت سعيد بن جبير وهو في المسجد الحرام: يا أبا عبدالله ما أميركم هذا؟! قال: يُفسِّر القرآن تفسيرًا أزرقيًّا في طاعة شامية- يعني: الحجَّاج». أي: يفسِّره تفسير الأزارقة وهم الخوارج، مع أنه من أهل الطاعة الشَّامية المذمومة، وهي طاعة الأمراء في الحقِّ والباطل.

(١) وقال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ٤٧٥): «قوله: «لا تُناظِر»، لم يُرد: لا تتبعه ولا تَنْظر فيه،

=



١٢٠ - وحدثنا أبو إسماعيل المؤدب

عن عاصم، قال:

قال رجل لأبي العالية: سورة صغيرة، أو قال: قصيرة! فقال: «أنت أصغر منها وأَلَمُّ[1]، القرآن كله عظيم».

وليس ينبغي أن تكون المناظرة إلا بالكتاب والسنة، ولكن الذي أراد عندي: أنه جعله من النظير، وهو المِثل، يقول: لا تجعل نظيرًا لكتاب الله، ولا لكلام رسول الله ﷺ. أي: لا تتبع قول أحد وتدعهما. ويكون أيضًا في وجه آخر: أن يجعلهما مثلًا للشيء يَعْرِض، مثل قول إبراهيم: كانوا يكرهون أن يذكروا الآية عند الشيء، يعرض من أمر الدنيا». اهـ

وقد يكون مراد الزهري؛ ما تقدَّم من المناظرة لأجل الاستظهار على الخصم وقهره ورفع الآيات والأحاديث في وجهه في غير موضعها؛ كما مثَّلنا آنفًا.

وفي ذم الكلام للهروي (١٩٧) عن يزيد بن أبي حبيب؛ قال: «لا تناظر بكتاب الله، ولا بكلام رسول الله ﷺ». يقول: تنزع بكلمة بشِبْهِهِ. قال عثمان- أحد الرواة-: «يضرب بأشباهه الأمثال».

ومن هذا الباب أيضًا، ما ذكره الهروي في ذم الكلام (٨٢٧) أن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال لسليمان بن سعد: «بلغني أن أبا عاملنا بمكان كذا وكذا زنديق؛ قال: وما يضره ذلك يا أمير المؤمنين؟! قد كان أبو النبي ﷺ كافرًا، فما ضرَّه!! فغضب عمر غضبًا شديدًا، وقال: وما وجدت له مثلًا غير النبي ﷺ؟! قال: فعزله عن الدواوين». اهـ

(١) هكذا بالأصل، وفي بعض النسخ بدونها. فإن كانت محفوظة هكذا، فيكون المعنى: أنت أصغر منها وأحقر. وإن لم تكن كذلك، فلعلَّها تصحَّفت من: «وأما» إلى «وألم» لاسيما وقد ذكر القرطبي هذا الأثر في كتابه الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣١) بلفظ: «كره أبو العالية أن يقال: سورة صغيرة، أو كبيرة، وقال لمن سمعه قالها: أنت أصغر منها، وأما القرآن فكله عظيم». اهـ

وقال المستغفري في فضائل القرآن (١/ ١٩٨): «باب: هل يجوز أن يقال: سورة صغيرة أو قصيرة؟ ثم ساق هذا الأثر بسنده من طريق أبي عبيد، ولفظه: أنت أصغر منها وألأم، القرآن كله عظيم». اهـ

=



١٢١ – وحدثنا أبو إسماعيل، عن عاصم، قال:

قال خالد الحذاء لابن سيرين: سورة خفيفة؛ قال ابن سيرين:

«من أين تكون خفيفة؟! والله تعالى يقول: @إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ! [المزمل:٥]، ولكن قل: يسيرة، فإن الله تعالى يقول: @وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ! [القمر:١٧]»[1].

ومعنى: ألأم، أي: من اللؤم الذي هو ضد الكرم.

وقد جاء في السُّنة الرُّخصة في هذا– إن كان على سبيل الوصف لا التصغير– وذلك من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أنه قال: «ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة، إلا وقد سمعت رسول الله ق يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة». رواه أبو داود في سننه.

(١) ويشبه هذا ما جاء عن مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في ترتيب المدارك لعياض اليحصبي، قال مصعب: «سئل مالك عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال له السائل: إنها مسألة خفيفة سهلة، وإنما أردت أن أعلم بها الأمير، قال: وكان السائل ذا قدر، فغضب مالك، وقال: مسألة خفيفة سهلة! ليس في العلم شيء خفيف، أما سمعت قول الله تعالى: «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا»، فالعلم كله ثقيل، وبخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة». اهـ

وقد جاء في السُّنة الرُّخصة في هذا أيضًا– إن كان على سبيل الوصف، فحسب– وذلك من حديث أنس ط أن رسول الله ق : «كان يكون في الصلاة، فيقرأ سورة خفيفة، من أجل المرأة وبكاء الصبي». رواه أحمد في مسنده.

وفي الجامع في تفسير القرآن لابن وهب (٣/ ١٣) عن عبدالله بن عمر م : «أن عمر بن الخطاب سأله ورجلًا من بيته، فقال: ما معكما من القرآن؟ فقال عبدالله: معي إحدى عشرة سورة، وقال الآخر: معي سورة واحدة، فقال لهما عمر بن الخطاب: إن كنتما متعلمي القرآن، فعليكما بكل سورة خفيفة، فإن ذلك أدنى أن تنشطا للصلاة بها».

=



وفي كتاب المصاحف لابن أبي داود (١/ ٣٥٥) عن نافع عن ابن عمر م أنه ذُكر عنده المفصل، فقال: «وأيُّ القرآن ليس بمفصل؟! ولكن قولوا: قصار السور، وصغار السور».

ومن الآداب أيضًا، زيادة على ما ذكره المصنف:

١- وضع المصحف على مكان مرتفع عن الأرض، كالحامل له، أو كرسي المصحف، أو على وسادة، أو على شيء بين يديه، أو ما أشبه ذلك؛ ومما يدل عليه ما رواه أبو داود عن ابن عمر م قال: «أتى نفر من يهود، فدعوا رسول الله ق إلى القُفِّ، فأتاهم في بيت المدراس، فقالوا: يا أبا القاسم! إن رجلًا منا زنى بامرأة، فاحكم بينهم، فوضعوا لرسول الله ق وسادة فجلس عليها، ثم قال: عليَّ بالتوراة، فأتي بها، فنزع الوسادة من تحته، فوضع التوراة عليها، ثم قال: آمنت بكِ، وبمن أنزلكِ. ثم قال: ائتوني بأعلمكم، فأتي بفتى شاب، فذكر قصة الرجم».

والشاهد منه: وضع النبي ق التوراة على الوسادة، تكريما لها.

٢- لا يقال: مصيحف- بالتصغير:

فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن مجاهد: «أنه كره أن يقول: مُصيحف».

وروى ابن سعد في الطبقات (٦٩٥٦) عن سعيد بن المسيب، قال: «لا تقولن: مُصيْحف، ولا مُسيْجد، ولكن عظِّموا ما عظَّم الله، كل ما عظَّم الله فهو عظيم حسن».

وفي حلية الأولياء (٤/ ٢٣٠) عن إبراهيم، قال: «كانوا يكرهون أن يُصغروا المصحف». قال: وكان يقال: «عظموا كتاب الله».

وأما أهل الرأي؛ فطغوا في هذا اللفظ وعدوه كفرًا بالرغم من إرجائهم المعروف.

٣- لا تمحى الألواح التي كُتب فيها القرآن بالرِّجل، ففي الإبانة الكبرى، عن ابن عباس م: «أنه رأى رجلًا يمحو لوحًا برجله، فنهاه، وقال: لا تمح القرآن برجلك».

٤- لا يختم قراءته بقول: «صدق الله العظيم»، فإن المواظبة على ذلك تجعله بدعة، إذ لا دليل عليه من السُّنة والأثر. وأول من ابتدع هذه البدعة هو محمد بن علي المشهور بالحكيم الترمذي الجهمي الصوفي صاحب نوادر الأصول، فإنه قال في كتابه المذكور (٣/ ٢٥٤): «وإذا انتهت قراءته، أن يصدق ربه، ويشهد بالبلاغ للرسل صلوات الله عليهم، ويشهد على ذلك أنه حق، =



فيقول: صدقتْ ربنا، وبلَّغتْ رسلك، ونحن على ذلك من الشاهدين، اللهم اجعلنا من شهداء الحق، القائمين بالقسط، ثم يدعو بدعواته»، ثم تابعه على ذلك الحليمي، والبيهقي، والقرطبي.

٥- عدم النفخ في المصحف؛ ففي الزهد لابن المبارك (١/ ٢٧٥) عن عبيدالله بن زحر أنه بلغه: أنه يكره أن ينفخ في المصحف.

٦- عدم التسمية بأسماء السور المختصة به، مثل: (طه) و(يس)، قال ابن القيم في تحفة المودود (١/ ١٢٧): «ومما يمنع منه التسمية بأسماء القرآن وسوره، مثل: (طه)، و(يس)، و(حم)، وقد نصَّ مالك على كراهة التسمية بـ (يس)؛ ذكره ابن عبدالحكم في الجامع، وأما ما يذكره العوام أن (يس) و(طه) من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح، ليس ذلك في حديث صحيح، ولا حسن، ولا مرسل، ولا أثر عن صاحب، وإنما هذه الحروف مثل: (الٓمٓ)، و(حمٓ)، و(الٓر)، ونحوها». اهـ

٧- لا يقال: ربُّ القرآن، ففي السُّنة للالكائي (٢/ ٢٥٦) عن عكرمة، قال: «كان ابن عباس رضي الله عنهما في جنازة، فلما وضع الميت في لحده، قام رجل، فقال: اللهم ربّ القرآن! اغفر له، فوثب إليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال: مه! القرآن منه». زاد الصهبي في حديثه، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «القرآن كلام الله، ليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود». وفي تاريخ بغداد (٨/ ٣٠٢) قال عكرمة: «فرأيت الرجل نَكَّس رأسه، ومضى؛ استحياء مما قال له ابن عباس رضي الله عنهما، كأنه أتى على كبيرة».

وكان الإمام أحمد إذا قالت له الجهمية: «قل: الله ربُّ القرآن»، يقول لهم: «القرآن كلام الله».

٨- ومن آدابه: ألا يُحمل فوقه متاع، ولا يُنبذ حيث اتفق، وألا يوضع مع الكتب على الرفوف، شأنه شأن باقي الكتب، بل زاد بعضهم فجعله مع الجرائد والمجلات، التي تحوي الصور والمنكرات.

٩- ألا يفتح المصحف للفأل؛ قاله طائفة من العلماء خلافًا لأبي عبدالله بن بطة، كما حكاه ابن تيمية في الاختيارات الفقهية (١/ ٣٩٢).

وروى الأصفهاني في كتابه الأغاني عن يحيى بن سليم، قال: «دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف، فلما فتحه وافق ورقة فيها: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾، فقال: أسجعًا سجعًا! علِّقوه، ثم أخذ القوس والنبل، فرماه حتى مزقه، ثم قال:

أتُوعِدُ كلَّ جَبّارٍ عنيدٍ ... فها أنا ذاك جبارٌ عنيدُ

=

إذا لاقيـــتَ ربَّـــك يـــوم حـــشر فقـــل لله مزّقنـــي الوليـــدُ

قال: فما لبث بعد ذلك إلا يسيرًا حتى قتل». وفي لفظ قال: «فلم يلبث إلا أيامًا، حتى قتل شرَّ قتلة، وصُلب رأسه على قصره، ثم على سور بلده». اهـ

١٠ – ألا يباع أو يشترى، وسيأتي لها مزيد بحث.

١١ – عدم تشبيه آيات القرآن بأنغام الموسيقى أو باللوحات الفنية؛ كما يفعله المبتدعة في زماننا.

١٢ – عدم رفع الصوت واللغط عند قراءة القرآن، ففي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي عبدالرحمن السُّلمي، قال: «القرآن وحشي، ولا يصلح مع اللغط».

أي: نزيه مهيب، وتفسيره في ما بعده:

وفي لفظ عن أبي معاوية الأسود، قال: «القرآن وحشي، إذا تُحدِّث وقُرئ؛ نَفَر القرآن».

وعن قيس بن عُبَاد، قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الذكر».

وروى عبدالرزاق في مصنفه، عن الحسن، قال: «أدركت أصحاب رسول الله ﷺ يستحبون خفض الصوت عند الجنائز، وعند قراءة القرآن، وعند القتال».

١٣ – ومن آدابه: عدم وضع القرآن على هيئة برنامج الكتروني داخل الجوالات والقراءة منها، فمع كونه من آثار التَّرف الذي ظهر في الناس، فإن فيه من المفاسد ما يجعله ينافي الأدب مع القرآن، من ذلك:

أنه يوضع إلى جوار برامج أخرى خبيثة، وأنه يؤدي إلى هجر المصاحف، وأنه يؤدي إلى انتشار مصاحف مزورة أو محرَّفة، وأنه يؤدي إلى اختلاط قارئ القرآن بالناظر في اللهو؛ إذ كلهم ينظرون في جهازٍ واحد، وأنه يؤدي إلى دخول الخلاء به، وأنه يؤدي إلى قطع القراءة باتصال المتصل أو بأنغام الغناء أو بمنبهات، وأنه في الغالب لا يكون بالرسم العثماني، ... ومفاسد ذلك لا تحصى.

والحمد لله، فالمصاحف موجودة بكثرة، وبطباعة فاخرة، فلا حاجة إذًا لمثل هذه البرامج.

ولكن إذا حصل هذا، فهل يأخذ هذا البرنامج حُكم المصحف؟ الذي يظهر أن برنامج المصحف الذي في الجوال له حكم المصحف الورقي، وعليه فمن أراد القراءة منه فلابد أن يكون طاهرًا من الحدث الأكبر، ولا يضع يده على الشَّاشة إلا وهو طاهر، والدليل على ذلك: هو ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، وحيث يتصرف من الوجوه كلها.
=



أي: كيف تُلي، وكيف قُرِيء، وكيف كُتب.

١٤- ومن آدابه: عدم وضعه في نغمة جوال، أو تنبيهًا من نوم، أو تذكيرًا لموعد، أو خدمة يسمعها المتصل أثناء الانتظار، فكل هذا وضعٌ للقرآن في غير ما وُضع لها، ويُخشى أن يكون في ذلك استخفافًا بكلام الله؛ حيث يُعرِّضه للامتهان، سواء بانقطاع الآية في موقف غير مناسب، أو على معنى لا يحسن الوقوف عليه، أو صدور هذه النغمة في مواضع قضاء الحاجة، أو غير ذلك، والله تعالى أنزل القرآن؛ ليُقرأ ويُتدبر ويُتعبد بتلاوته ويُعمل بما فيه، وكلام الله تعالى أعظم من أن نجعله مجرد وسيلة لشغل الفراغ، أو لأجل التنبيه؛ قال تعالى: «كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ». وقال تعالى: «وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ». وقال تعالى: «كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ».

١٥- ومن آدابه: عدم وضع آيات القرآن الكريم في صور التوقيع، أو في خلفية الشاشة، أو التصاميم، أومعرِّفات وشعارات برامج التواصل الاجتماعي؛ لأن في كثير منها تكون الآية في الخلف، شأنها شأن باقي الصور، وقد لا تكون واضحة، وإنما هي للزينة فقط، كوضع صورة لمصحف مفتوح تظهر بعض آياته في خلفية التصميم، وعليه آيات لا يمكن قراءتها؛ فإن هذا كله لا يجوز؛ لأنه ينافي تعظيم ما عظَّمه الله؛ قال تعالى: « ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ».

ومما يصلح شاهدًا في مقامنا هذا؛ قول المتنبي:

وَوَضعُ النَدى في مَوضِعِ السَّيفِ بِالعُلا   مُضِرٌّ كَوَضعِ السَّيفِ في مَوضِعِ النَدى

١٦- ومن آدابه: عدم تجسيم أو تجسيد الآيات؛ فإن بعض الخطَّاطين الذين استفزهم الشيطان وتلاعب بهم قد جعلوا آيات القرآن الكريم على صور محرمة؛ كصورة طير، أو حيوان، أو يجعلها على صورة ثِمار، أو على صورة مصباح كهربائيٍّ أو قنديل، أو يجعلها على شكل منارة أو مسجد؛ فهذا كلُّه محرم في دين الإسلام.

هذا، وقد سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية بالفتوى رقم: (٢٠١٩٦): ما حكم كتابة القرآن كالألعاب مثلًا؟

وكان الجواب: «كتابة آيات القرآن على هيئة الألعاب، أو الطيور، أو الأشجار ونحو ذلك، أو كتابتها على ألواحٍ وأطباقٍ للزينة، أو ليتخذ ذلك وسيلة لترويج السلع- فإن ذلك كله محرمٌ آثمٌ =



فاعله؛ لما في ذلك من الاستهانة بالقرآن والاستهزاء به، ولما في ذلك من امتهانه وجعله عرضة لأن يُلقى في أماكن لا تليق به، إذا بَليت تلك الأشياء التي كُتب عليها لطول العهد أو ضاعت عند نقلها من مكان لمكان، والله سبحانه لم يتعبدنا بذلك، وقد أنزل الله القرآن ليكون موعظة وعبرة وشفاء لما في الصدور، وليعمل الناس بما فيه من أحكام، ويؤمنوا به ويتلوه آناء الليل والنهار، فيزدادوا بذلك إيمانًا، ويرفع الله بذلك درجاتهم عند ربهم». اهـ

وفي فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية أيضًا: «لا يجوز أن تُجعل آيات القرآن الكريم على هيئة مجسمات، سواء وُضعت هذه المجسمات في البيوت أو المكاتب أو الميادين العامة؛ لعدة أمور:

أولًا: إن ذلك لم يكن من عمل النبي ﷺ، ولا عمل أصحابه ﭫ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ».

ثانيًا: إن في ذلك تعريضًا لآيات القرآن الكريم للامتهان، واتخاذه هزوًا ولعبًا، وذلك سعي الأخسرين أعمالًا.

ثالثًا: إن في ذلك توظيفًا للقرآن الكريم في غير ما أُنزل من أجله، وهو تلاوته والعمل به وهداية الناس إليه. فالواجب إلغاء المجسمات المذكورة؛ تعظيمًا للقرآن الكريم، وبُعْدًا عن الوقوع فيما نهى عنه الشرع المطهر». اهـ

وأشد ما يكون من الاستخفاف بالقرآن الكريم: تسمية بعض الأفلام والمسلسلات والمسرحيات الماجنة ببعض آيات القرآن الكريم؛ وفي فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٤/ ٥٧) الفتوى رقم: (٨٦٩١): ما الحكم في تسمية بعض الأفلام السينمائيَّة ببعض الآيات القرآنية، مثل: (إنَّ ربَّكَ لَبِالمِرْصَادِ)، (وَبِالوالِدَيْنِ إِحْسَانًا)، (واللَّيلِ إذا سَجَى)؟

فكان الجواب: «لا يجوز تسمية الأفلام السينمائيَّة ببعض الآيات القرآنية؛ لأنَّ ذلك من الاستهانة بالقرآن، ومن التَّلبيس». اهـ

١٧- من الآداب اللفظية فيما يتعلق بالقرآن، ما قاله البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٢٠٠) قال: «يقال: فلان حسن القراءة، ورديء القراءة، ولا يُقال: حسن القرآن، ولا رديء القرآن، وإنما يُنسب إلى العباد: القراءة، لا القرآن؛ لأن القرآن كلام الربِّ جلَّ ذكره، والقراءة فعل العبد». اهـ

=

١٨- لا يجوز أن يقول: قرآني وقرآنك، فقد كرهه حذيفة ط، وإنما قل: «مصحفي ومصحفك» ونحو هذا، كما قال الأعرابي لعائشة ك: «أريني مصحفك؛ لعلي أؤلف القرآن عليه».

وهذا كله بدون قصد الاستهزاء أو أنه مخلوق، فلو قصد الاستهزاء بالقرآن أو اعتقد أنـه مخلـوق؛ فإنه يكفر إجماعًا.

وعند استقراء فرق الضلالة نجد الأشعرية قد طغت وفاقت جميع أهـل البـدع في موقفهـا مـن القرآن، حتى فاقت الجهمية والمعتزلة والروافض، فهؤلاء صرحوا بأنه مخلـوق، ومـنهم مـن ادعـى الزيادة فيه والنقصان، لكن الأشعرية موَّهوا! فمذهبهم أن كلام الله عنده، وأن الذي بين أيدينا هـو عبارة وحكاية وترجمة عن كلام الله، وليس هو كلام الله!! حتى قال عنهم الـسجزي في رسـالته إلى أهل زبيد: «بل أخس حالًا منهم- أي: من المعتزلة- في الباطن».

ونقل عن متأخريهم أنهم يقولون: «إن القرآن إذا كتب بمداد فيـه نجـس، أو رمـي المـصحف في الخلاء، أو طرح عليه قذر على سبيل العمد؛ لم يجب فيه كبير نكير؛ لأنه صفة لله سـبحانه ليـست في الدنيا. وإنما المصحف بما فيه مخلوق، وهو من جملة المثمنات». انتهى من رسـالة الـسجزي لأهـل زبيـد (ص١٣٠ دار الأمر الأول).

والعجيب أن النووي قال في كتابه: التبيان في آداب حملة القرآن (١/ ١٩٠): «أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه، قال أصحابنا وغيرهم: ولو ألقاه مسلم في القـاذورة- والعيـاذ بالله تعالى- صار الملقِي كافرًا». اهـ

ومع ذلك لم ينبس ببنت شفة بالإنكار على أصحابه الأشعرية فيما اعتقدوه في القرآن، ولا عجـب في ذلك! فهم حزبٌ واحد.

ثم هم متناقضون؛ إذ كيف يكفر الملقِي مع أن الملقَى ليس كلام الله في عقيدتهم!

وفي ذم الكلام للهروي (١٣١٨) عن عمر بن إبراهيم؛ قال: «لا تحـل ذبـائح الأشـعرية؛ لأنهـم ليسوا بمسلمين، ولا بأهل كتاب، ولا يثبتون في الأرض كتاب الله».

لأنهم يقولون: المصاحف التي بأيدينا هي عبارة عن كلامه، وليست هي كلامه.

وقد وصفهم أبو إسماعيل الهـروي في كتابـه ذم الكـلام (١٤٥٥) بـأدق وصـفٍ، فقـال: «عـابوا القرآن، وضللوا الرسول ق فلا تكاد ترى منهم رجـلًا وَرِعًـا، ولا للـشريعة معظـمًا، ولا للقـرآن =





محترِمًا ولا للحديث موقِّرًا. سُلبوا التقوى ورِقة القلب، وبركة التعبد ووقار الخشوع، واستفضلوا الرسول ﷺ - أي: طلبوا أفضل منه- فانظر!! فلا هو طالب آثاره، ولا متتبع أخباره، ولا مناضل عن سنته، ولا هو راغب في أسوته. يتقلب بمرتبة العلم وما عرف حديثًا واحدًا، تراه يهزأ بالدين ويَضرب له الأمثال، ويتلعب بأهل السُّنة ويخرجهم أصلًا من العلم، لا تُنقِّر لهم عن بطانة إلا خانتك، ولا عن عقيدة إلا أرابتك، أُلبسوا ظُلمة الهوى، وسُلبوا هيبة الهدى؛ فتنبوا عنهم الأعين، وتشمئز منهم القلوب. وقد شاع في المسلمين أن رأسهم أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، كان لا يستنجي ولا يتوضأ ولا يصلي». اهـ



باب: ما يُؤمر به حامل القرآن من تلاوته بالقراءة والقيام به في الصلاة

١٢٢ – حدثنا أحمد بن عثمان، عن عبدالله بن المبارك، عن معمر، عن الزهري

عن سالم بن عبدالله، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال:

«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في الليل والنهار»[١].

---

(١) متفق عليه.

والحسد المذكور في الحديث بمعنى: الغبطة، وهي التي جاء تفسيرها في رواية البخاري الأخرى، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علَّمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان! فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالًا، فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان! فعملت مثل ما يعمل».

وفي لسان العرب (٣/ ١٤٩) قال: «هو أن يتمنى الرجل أن يرزقه الله مالًا، ينفق منه في سبيل الخير، أو يتمنى أن يكون حافظًا لكتاب الله، فيتلوه آناء الليل وأطراف النهار، ولا يتمنى أن يرزأ صاحب المال في ماله، أو تالي القرآن في حفظه». اهـ

وأما من رزقه الله الجمع بين هاتين النعمتين– تلاوة القرآن، والنفقة بالمال– فقد قال الله في حقه: « إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ – لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ».



١٢٣ - حدثنا أبو اليمان، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم

عن المهاصر بن حبيب، قال: قال رسول الله ﷺ:

«يا أهل القرآن! لا توسدوا القرآن، واتلوه آناء الليل والنهار»[١].

١٢٤ - وقال عبدالله بن صالح، عن الليث، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن السائب بن يزيد

عن مخرمة بن شريح الحضرمي، قال:

ذُكر رجلٌ عند النبي ﷺ فقال: «ذاك رجلٌ لا يتوسد القرآن»[٢].

---

(١) تقدَّم تخريجه، والتعليق عليه تحت الأثر رقم: (٢٩).

(٢) رواه ابن المبارك، وأحمد في مسنديهما، ورواه ابن سعد في الطبقات، والنسائي في الكبرى.

والرجل المذكور هنا: إما شريح الحضرمي، كما في مسند ابن المبارك، وأحمد.

وإما مخرمة بن شريح الحضرمي، كما في المعجم الكبير للطبراني وغيره، ولكن أكثر الروايات على أنه شريح الحضرمي.

ومعناه مختصرًا: أنه لا ينام الليل، حتى يقرأ نصيبه من القرآن؛ كما في الزهد والرقائق لابن المبارك (١/ ٤٢٦) قال ابن صاعد: «معناه: لا ينام عنه».

وفي الجليس الصالح للمعافى بن زكريا (٣/ ٣٩٨) قال: «فلانٌ يتوسد القرآن: هذا يكون مدحًا، بمعنى يجعله وسادة، أي: يتلوه مكان توسده إياه، ويكون ذمًا، أي: ينام عن القيام به، وتأدية الحق فيه». اهـ

وقد تقدَّم التفصيل في ذلك عند التعليق على الأثر ذي الرقم: (٢٩).



قال أبو عبيد:

وقد ذكرنا تفسير التوسد عن الحسن، أنه سئل عمن جمع القرآن ثم ينام عنه، فقال: يتوسد القرآن؟! لعن الله ذاك.

١٢٥ – وحدثنا حجاج، عن المبارك بن سعيد، عن رجلٍ قد سماه؛ أراه عمار بن سيف

عن الحسن قال:

«قراء القرآن ثلاثة أصناف: فصنف اتخذوه بضاعة يأكلون به[١]، وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم، واستدروا[٢] به الولاة، وكثُر هذا الضرب من حملة القرآن، لا كثرهم الله، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم فركدوا به في محاريبهم، وحنوا[٣] به في برانسهم، واستشعروا الخوف[٤]، وارتدوا

---

(١) وعند ابن أبي الدنيا بلفظ: «ينقله من مصر إلى مصر، يطلب به ما عند الناس».

(٢) وعند ابن أبي الدنيا بلفظ: «استدرجوا». ذكره في كتاب الهم والحزن (١/ ٩٢).

(٣) حنوا: إما بالتشديد هكذا: (حَنُّوا) من الحنين، وهو كتم صوت البكاء، ومثله الخنين- بالخاء المعجمة- كما في حديث أنس ط: «غطى أصحاب رسول الله ق وجوههم ولهم خنين». رواه البخاري. وإما: (حَنَوا) من الانحناء، وهو أن يطأطئ رأسه، ويقوِّس ظهره، ويطرق رأسه تأثرًا.

والبرانس: «كل ثوبٍ رأسه منه ملتزق به، دُرَّاعَةً كان أو مِمْطَرًا أو جُبَّةً. وعند الجوهري: البرنس: قلنسوة طويلة، وكان النُّساك يلبسونها في صدر الإسلام». انظر: لسان العرب (١/ ٢٧٠).

وهو يشبه لباس أهل المغرب في عصرنا.

(٤) أي: جعلوه شعارًا، وهو اللِّباس الباطن مما يلي الجسد، وهنا مما يلي القلب.

الحـزن[١]، فأولئـك الـذين يـسقي الله بهـم الغيـث، وينـصر بهـم علـى الأعداء، والله لَهَذا الضرب في حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر[٢]».

١٢٦ – حدثني صالح أبو الفضل الرازي، عن عبدالله بن المبارك، قال:

قال معضد:

«لولا ظمأ الهواجر، وطول ليل الشتاء، ولذاذة التهجد بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ما باليت أن أكون يعسوبًا[٣]»[٤].

---

(١) أي: جعلوه رداءً، وهو اللِّباس الظاهر، وهنا جعلوا الحزن رداء القلب والجسد.

(٢) الكبريت الأحمر، قيل: هو الذَّهب الأحمر، وهو مثل عربي؛ يضرب للشيء الذي لا يكاد يوجد.

وقال الآجري في كتابه أخلاق حملة القرآن (١/ ٦٦) بعدما ذكر أثر الحسن: «الأخبار في هذا المعنى كثيرة، ومرادي من هذا نصيحة لأهل القرآن، لئلا يبطل سعيهم، إن هم طلبوا به شرف الدنيا؛ حرموا شرف الآخرة، إذ بذلوه لأهل الدنيا طمعًا في دنياهم، أعاذ الله حملة القرآن من ذلك. فينبغي لمن جلس يُقرئ المسلمين، أن يتأدب بأدب القرآن، يقتضي ثوابه من الله تعالى، يستغني بالقرآن عن كل أحد من الخلق، متواضع في نفسه ليكون رفيعًا عند الله جلَّت عظمته». اهـ

(٣) قال ابن الأثير في النهاية في معنى: (اليعسوب): «هو ههنا فراشة مخضرة تظهر في الربيع. وقيل: هو طائر أعظم من الجراد، ولو قيل: إنه النحلة، لجاز».

(٤) وقالها أيضًا معاذ بن جبل، وأبو الدرداء عند حضور أجلهما، ومثلها قال إبراهيم بن أدهم، كما في حلية الأولياء (٨/ ٢٣): «لولا ثلاث ما باليت أن أكون يعسوبًا، ظمأ الهواجر، وطول ليلة الشتاء، والتهجد بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ».

وقالها كذلك عامر بن عبدالله التابعي الجليل؛ كما في الزهد لأحمد (١/ ١٧٩) عن قتادة أن عامر ابن عبد قيس لما حضر، قال: «ما آسى على شيء إلا على قيام الشتاء، وظمأ الهواجر».

=



١٢٧ – حدثنا ابن المبارك، عن مسعر، عن علي بن الأرقم

عن أبي الأحوص، قال:

«إن كان الرجل ليطرق الخباء[(١)] فيسمع فيه كدوي النحل، فما لهؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون؟».

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٧٢٨) عن سعيد بن جبير، قال: «لما أصيب ابن عمر ﵁ قال: ما تركت خلفي شيئًا من الدنيا آسى عليه غير ظمأ الهواجر، وغير مشي إلى الصلاة».

بل ويتعجب الإمام أحمد بن حنبل من الذين يطلبون العلم، وليس لهم من قيام الليل نصيب، كما في المدخل إلى السنن الكبير للبيهقي (١/ ٣٣٠) عن أبي عصمة البيهقي، قال: «بِتُّ ليلة عند أحمد ابن حنبل، فجاء بالماء فوضعه عندي، فلما أصبح نظر في الماء، فإذا هو كما كان على حاله، لم يُتوضأ منه، فقال أحمد: سبحان الله! رجل يطلب العلم، ولا يكون له ورد بالليل؟!».

وفي طبقات الحنابلة (١/ ٢٠٦) عن عبدالصمد بن سليمان بن أبي مطر، قال: «بِتُّ عند أحمد بن حنبل، فوضع لي صاخرة ماء، قال: فلما أصبحت وجدني لم أستعمله، فقال: صاحب حديث، لا يكون له ورد بالليل؟! قال: قلت: مسافر! قال: وإن كنت مسافرًا؛ حج مسروق، فما نام إلا ساجدًا».

وقال المروذي: «كنت مع الإمام أحمد بن حنبل نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر، فكان لا يدع قيام الليل وقراءة النهار، وما علمت بختمة للقرآن ختمها؛ لأنه كان يُسِرُّ ذلك».

وقال أبو سليمان الداراني: «لَأَهلُ الطاعة بليلهم ألذ من أهل اللهو بلهوهم، ولولا الليل؛ ما أحببت البقاء في الدنيا».

(١) يطرق: أي: يقدم على أهله ليلًا، من الطَّرْق وهو الدَّق. والخباء هنا: البيت.



١٢٨ - قال أبو عبيد:

وسمعت شجاع بن الوليد، يحدث بإسناد له: أن رجلاً أدخلت عليه امرأته؛ فقام يصلي حتى أصبح وما التفت إليها، قال: فعوتب في ذلك فقال: «إني قمت وأنا أريد أن أصلي الركعتين اللتين من السُّنة عند دخول أهل الرجل عليه، فما زلت في عجائب القرآن حتى نسيتها». أو كما قال(١).

(١) وهذا الأمر كثير الوقوع في السَّلف؛ فمن ذلك:

١- ما رواه أحمد في مسنده عن جابر بن عبدالله ، فيما يذكر من اجتهاد أصحاب رسول الله ﷺ في العبادة، قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى نجد، فغشينا دارًا من دور المشركين، قال: فأصبنا امرأة رجل منهم، قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعًا، وجاء صاحبها، وكان غائبًا، فذكر له مصابها، فحلف لا يرجع حتى يهريق في أصحاب رسول الله ﷺ دمًا، قال: فلما كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق، نزل في شعب من الشعاب، وقال: من رجلان يكلآنا في ليلتنا هذه من عدونا؟ قال: فقال رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار: نحن نكلؤك يا رسول الله ﷺ، قال: فخرجا إلى فم الشعب دون العسكر، ثم قال الأنصاري للمهاجري: أتكفيني أول الليل، وأكفيك آخره، أم تكفيني آخره، وأكفيك أوله؟ قال: فقال المهاجري: بل اكفني أوله، وأكفيك آخره، فنام المهاجري، وقام الأنصاري يصلي، قال: فافتتح سورة من القرآن، فبينا هو فيها يقرؤها، إذ جاء زوج المرأة، قال: فلما رأى الرجل قائمًا عرف أنه ربيئة القوم، فينتزع له بسهم فيضعه فيه، قال: فينزعه، فيضعه وهو قائم يقرأ في السورة التي هو فيها، ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، قال: ثم عاد له زوج المرأة بسهم آخر، فوضعه فيه، فانتزعه، فوضعه وهو قائم يصلي، ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، قال: ثم عاد له زوج المرأة الثالثة بسهم، فوضعه فيه، فانتزعه، فوضعه ثم ركع فسجد، ثم قال لصاحبه: اقعد فقد أُتيت، قال: فجلس المهاجري، فلما رآهما صاحب المرأة هرب، وعرف أنه قد نُذر به، قال: وإذا الأنصاري يموج دمًا من رميات صاحب المرأة، قال: فقال له أخوه المهاجري: =



يغفر الله لك، ألا كنت آذنتني أول ما رماك؟ قال: فقال: كنت في سورة من القرآن قد افتتحتها أصلي بها، فكرهت أن أقطعها، وايم الله لولا أن أضيع ثغرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها».

٢- وروى ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٣٢١) عن أبي ريحانة ﷺ، وكان من أصحاب النبي ﷺ أنه: «قفل من بعثٍ غزا فيه، فلما انصرف إلى أهله تعشى من عشائه، ثم دعا بوَضوء فتوضأ منه، ثم قام إلى المسجد، فقرأ سورة ثم أخرى، فلم يزل ذلك دأبه؛ كلما فرغ من سورة افتتح أخرى، حتى أذن المؤذن من السَّحر، فشدَّ عليه ثيابه، فأتته امرأته، فقالت: يا أبا ريحانة! قد غزوت فبقيت في غزوك، ثم قدمت، ألم يكن لي منك حظ ونصيب؟ قال: بلى! والله ما خطرتِ لي على بالي ولا ذكرتك، ولو ذكرتك لكان لك عليَّ حق. قالت: فما الذي شغلك يا أبا ريحانة؟! قال: لم يزل يهوي قلبي فيما وصف الله عَزَّوَجَلَّ في جنته؛ من لباسها وأزواجها ونعيمها ولذاتها، حتى سمعت المؤذن».

٣- وروى أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٤) قال: «قالت أمُّ محمد بن كعب القرظي لابنها: يا بني! لولا أني أعرفك صغيرًا طيبًا، وكبيرًا طيبًا، لظننت أنك أحدثت ذنبًا موبقًا، لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار، قال: يا أماه! وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع عليَّ وأنا في بعض ذنوبي فمقتني، فقال: اذهب لا أغفر لك، مع أن عجائب القرآن تورد عليَّ أمورًا، حتى أنه لينقضي الليل، ولم أفرغ من حاجتي».

٤- وفيه (٨/ ٣٠) عن إبراهيم بن أدهم، قال: «لقيت عابدًا من العُبَّاد، قيل: إنه لا ينام الليل! فقلت له: لم لا تنام؟! فقال لي: منعتني عجائب القرآن أن أنام!».

وفي رواية عن وهيب بن الورد، قال: «قيل لرجل: ألا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن؛ أذهبت نومي».

وقال أسلم بن عبدالملك: «صحبت رجلًا شهرين، وما رأيته نائمًا بليل ولا نهار، فقلت: ما لك لا تنام؟! قال: إن عجائب القرآن أطرن نومي، ما أخرج من أُعجوبة، إلا وقعت في أخرى».

وفيه (٩/ ٢٦٢) عن أبي سليمان، قال: «ربما أقمت في الآية الواحدة خمس ليال، ولولا أني بعد أدع الفكر فيها ما جزتها أبدًا، وربما جاءت الآية من القرآن تطير العقل! فسبحان الذي رده إليهم بعد».

وفيه (١/ ١٣) عن ذي النون المصري، قال:

منع القرآن بوعده ووعيده ... مُقَلَ العيون بليلها أن تهجعا

=



فَهِمُــوا عــن الملــك الكــريم كلامــه   فهــمًا تَـــذِلُّ لـــه الرقـــاب وتخـــضعا

- ومثل هذه الآثار التي تفيد العزوف عن الزوجة والأولاد، أو فيها معنى تضييع الحقوق، ينبغي أن تُحمل على أنها حالاتٍ تعرض للصالحين أحيانًا تغلبهم على حاجاتهم، لا أن ذلك صنيعهم دائمًا، والواجب أن تُرد إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ق ؛ قال الله تعـالى في كتابـه: « وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ - أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ - وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ».

وقد كان النبي ق يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، ومع ذلك تقول عائشة ك، كما رواه أبـو داود وأصله في الصحيحين: «كان رسول الله ق إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر؛ فإن كنت مستيقظة حدثني، وإن كنت نائمة أيقظني».

وبلغ من حُسْن عشرته ق وإعطائه كل ذي حقٍّ حقَّه، أنه كان يستأذن أهله في قيـام الليـل، كـما رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي (١/ ١٥٣) عن عائشة ك، قالت: «أتاني رسول الله ق في ليلتي، حتى إذا دخل معي في لحافي، وألزق جلده بجلدي، قال: يا عائشة! أتأذنين لي أتعبـد لـربي؟ قلـت: والله إني لأحب قربك وهـواك، قالـت: فقـام إلى قربـة في البيـت، فـما أكثـر صـب المـاء، ثـم قـام فقـرأ القرآن...». الحديث.

ويشبه ذلك ما رواه أحمد في مسنده عن عبدالله بن عمرو م، قال: «زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت عليَّ جعلت لا أنحاش لها، مما بي من القوة عـلى العبـادة، مـن الـصوم والـصلاة، فجـاء عمرو بن العاص إلى كنَّته- زوجة ابنه- حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدتِ بعلـك؟ قالـت: خير الرجال أو كخير البعولة، من رجل لم يفتش لنا كنفًا، ولم يعرف لنا فراشًا، فأقبل عـليَّ فعـذمني وعضني بلسانه، فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب، فعضلتها وفعلت وفعلت، ثم انطلق إلى النبي ق فشكاني، فأرسل إليَّ النبي ق فأتيته، فقال لي: أتصوم النهار؟ قلت: نعم، قال: وتقوم الليل؟ قلت: نعم. قال: لكني أصومُ وأفطر، وأصلي وأنام، وأمسُّ النساء، فمن رغب عـن سـنتي؛ فليس مني».

زاد حصين بن عبدالرحمن في حديثه: ثم قال ق : «فإن لكل عابد شِرَّة، ولكل شِرَّة فترة، فإما إلى سنة، وإما إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنة؛ فقد اهتدى، ومن كانت فترتـه إلى غـير ذلـك؛ فقـد هلك». اهـ

=





قال المروزي في الورع (٣٩٠): «قلت لأبي عبدالله- الإمام أحمد- إن الفضيل بن عياض يُروى عنه أنه قال: لا يزال الرجل في قلوبنا حتى إذا اجتمع على مائدته جماعة- يعني: أنه تزوج- زلَّ عن قلوبنا!

فقال: دعني من بُنيات الطريق؛ العلم هكذا يؤخذ، انظر عافاك الله ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه.

ثم قال: هو ذا أهل زمانك الصالحون، هل تجد فيهم إلا من هو متزوج.

ثم قال: ليتق الله العبد ولا يطعمهم إلا طيبًا، لبكاء الصبي بين يدي أبيه متسخطًا يطلب منه خبزًا أفضل من كذا وكذا، يراه الله بين يديه.

ثم قال: هو ذا عبدالوهاب! كن مثل هؤلاء، لو ترك الناس التزويج من كان يدفع العدو؟!

وقال لي أبو عبدالله: صاحب العيال إذا تسخَّط ولده بين يديه يطلب منه الشيء، أين يلحق به المتعبد الأعزب؟!».

وقال المروزي: قلت: إن إبراهيم بن أدهم يُحكى عنه أنه قال: لروعة صاحب عيال . . . فما قدرت أن أتم الحديث، حتى صاح بي، وقال: وقعنا في بنيات الطريق، انظر عافاك الله ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه». اهـ

فانظر إلى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دعني من بُنيات الطريق؛ العلم هكذا يؤخذ، انظر عافاك الله ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه».



باب: ما يوصف به حامل القرآن من تلاوته بالاتباع والطاعة له والعمل به

١٢٩ – حدثنا عبّاد بن العوام، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة

عن ابن عباس م في قول الله تعالى:

@ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ! [البقرة:١٢١].

قال: «يتبعونه حقَّ اتباعه»[(١)].

---

(١) أجمع الصحابة والتابعون على أن المقصود بتلاوة القرآن حق التلاوة: هو اتباعه والعمل به، وقراءته كما أنزل؛ فمن ذلك:

ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي رزين، قال: «يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ»: يتبعونه، ويعملون به حق عمله.

وما رواه اللالكائي في السنة، عن عطاء، قال: «يتبعونه حق اتباعه، ويعملون به حق عمله».

وفي المستدرك للحاكم وصححه عن ابن عباس م في قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ» قال: «يحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه عن مواضعه».

ومثله جاء عن ابن مسعود، وفيه زيادة: «وأن تقرأه كما أنزل، ولا يتأول منه شيئًا على غير تأويله».

وروى ابن أبي حاتم عن عمر في قوله تعالى: «يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ»، قال: «إذا مرَّ بذكر الجنة؛ سأل الله الجنة، وإذا مرَّ بذكر النار؛ تعوذ بالله من النار».

وفي الإيمان لابن منده، قال قتادة: «هؤلاء أصحاب محمد ق: آمنوا بكتاب الله، فصدَّقوا به، وأحلُّوا حلاله، وحرَّموا حرامه، وعملوا بما فيه».

وقال مجاهد: «يعملون به حقَّ عمله».

=



قال: وقال عكرمة:

«ألا ترى أنك تقول: فلان يتلو فلانًا، أي: يتبعه.

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا – وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس:١-٢]؛ أي: تبعها».

وحدثنا هشيم، عن داود، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ مثل ذلك، ولم يذكره عن ابن عباس م.

وحدثنا هشيم، قال: أخبرنا عبدالملك، عن قيس بن سعد، عن مجاهد، في هذه الآية مثل ذلك.

١٣٠ – وحدثنا حجاج

عن ابن جريج في قوله تعالى:

وفي تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر، عن الحسن: «يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ» قال: «يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه».

وقال ابن رجب في جامع العلوم (١/ ٨٠) في شرح حديث: «الدين النصيحة»: «والنصيحة لكتابه: تكون بالإيمان به وتعظيمه وتنزيهه، وتلاوته حق تلاوته، والوقوف مع أوامره ونواهيه، وتفهم علومه وأمثاله، وتدبر آياته والدعاء إليه، وذب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه». اهـ

ولم يفسر هذه الآية أحدٌ من السَّلف بالتجويد أو الحفظ مجردًا عن التدبر والعمل.

ومما سبق يتبيَّن أن حقَّ التلاوة يطلق على معان متعددة منها: تدبره، والخشوع والخشية عند تلاوته، والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه والوقوف عند المشكل منه، وأن يُقرأ كما أنزله الله، ولا يُحرف، ولا يُتأول على غير الحق، وإذا مرَّ بآية رحمة؛ سأل، وإذا مرَّ بآية عذاب؛ استعاذ.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [النساء:١٧٤]. **قال: «القرآن»**[١].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ [النساء:١٧٥]. **قال: «بالقرآن»**[٢].

١٣١ – حدثنا الأشجعي، عن مالك بن مِغول

عن الشعبي في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ [آل عمران:١٨٧].

قال: «أما إنه كان بين أيديهم، ولكن نبذوا العمل به»[٣].

---

(١) القرآن برهان: فإما أن يكون بمعنى الدليل القاطع للعذر، والحجة المزيلة للشبهة.

وإما أن يكون بمعنى أن القرآن علامة وشاهد، لمن ادعى محبة الله والعمل الصالح، كما في حديث: «والقرآن حجة لك أو عليك».

(٢) الآية كلها في القرآن؛ قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ»، هو القرآن. وقال: «وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا»، هو القرآن. وقال: «فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا»، هو القرآن. فعمَّم في مجيء البرهان وإنزال النور جميع الناس، وخصَّص في الرحمة والفضل والهداية المؤمنين.

(٣) والسبب في ذلك: هو طول الأمد والإقبال على الدنيا؛ كما في نفس الآية، وكما في الآية الأخرى: «أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ».

وروى الإمام أحمد في الزهد (١٧٤١) عن أبي العالية، قال: «يأتي على الناس زمان تخرب صدورهم من القرآن، ولا يجدون له حلاوة ولا لذاذة، إن قصَّروا عما أمروا به، قالوا: إن الله غفور رحيم! وإن عملوا بما نهوا عنه، قالوا: سيغفر لنا؛ إنا لم نشرك بالله شيئًا! أمرهم كله طمع ليس معه صدق، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أفضلهم في دينه المداهن». اهـ

فهذا يُبيِّن لك أن من نبذ شيئًا؛ فقد تركه وراء ظهره، وقوله: يزخ في قفاه: يدفعه؛ يقال: زخخته أزخه زخًا[١].

١٣٢ – حدثني قبيصة، عن سفيان، عن جبلة بن سحيم

عن عامر بن مطر، قال:

رأى حذيفة ط من الناس كثرة، فقال: «يا عامر بن مطر! كيف أنت إذا أخذ الناس طريقًا، وأخذ القرآن طريقًا، مع أيهما تكون؟».

قلت: أكون مع القرآن؛ أموت معه، وأحيا معه.

قال: «فأنت إذاً أنت، فأنت إذاً أنت»[٢].

١٣٣ – حدثنا عبدالرحمن، عن شعبة، عن جبلة بن سحيم، قال:

حدثني من سمع سلمان، يقول لزيد بن صوحان:

«كيف أنت إذا اقتتل القرآن والسلطان؟».

قال: أكون مع القرآن. قال: «أنت إذاً أنت يا ابن أم زيد!»[٣].

---

(١) تقدَّم هذا في الأثر رقم: (٤٣).

(٢) وفي مصنف ابن أبي شيبة عن معن، قال: «أتى رجل ابن مسعود ط، فقال: علمني كلمات جوامع نوافع، فقال: تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتزول مع القرآن حيث زال».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وفيه قال له: «نِعْم الزويد أنت إذًا! فقال أبو قرة– وكان يبغض الفتن–: إذًا أجلس في بيتي، فقال سلمان: لو كنت في أقصى تسعة أبيات، كنت مع إحدى الطائفتين».

=



١٣٤ – وحدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح

عن أبي الزاهرية:

أن رجلاً أتى أبا الدرداء بابنه، فقال: يا أبا الدرداء! إن ابني هذا قد جمع القرآن. فقال: «اللهم غفرًا، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع»[(١)].

أي: إن لم تكفّ لسانك وهواك.

وفيه عن كعب، قال: «يقتتل القرآن والسلطان، فيطأ السلطان على صماخ القرآن، فلا يبالي ذا من ذا، ولا ذا من ذا».

وفيه عن جندب بن عبدالله البجلي ط، قال في وصيته لأهل البصرة: «عليكم بالقرآن! فإنّه هدى النهار، ونور الليل المظلم، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة، فإن عرض بلاء؛ فقدموا أموالكم دون دينكم، فإن تجاوزها البلاء؛ فقدموا دماءكم دون دينكم، فإنَّ المحروم من حُرم دينه، وإنَّ المسلوب من سُلب دينه، وإنَّه لا فقر بعد الجنة، ولا غنى بعد النار».

(١) كان السَّلف يشدِّدون في استعمال مثل هذه الألفاظ، خاصة فيما يتعلق بالقرآن، فلا يصح عندهم إطلاق كلمة: (فلان جمع القرآن) إلا بالعمل به أولًا؛ لأنهم يعلمون أن هذا القرآن له مطالب يوم القيامة، وكل آية فيه تقول لصاحبها: أين حقي؟ وقد طبَّق أبو الدرداء ط هذا الأمر على نفسه، كما رواه عنه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٣) قال: «أخوف ما أخاف، أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر! أعلمت أم جهلت؟ فإن قلتُ: علمتُ، لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها، الآمرة هل ائتمرت؟ والزاجرة هل ازدجرت؟ وأعوذ بالله من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع».

وفي مصنف ابن أبي شيبة، عن أبي رزين، قال: «قال رجل لحيَّة بن سلمة- وكان من أصحاب عبدالله-: قرأتُ القرآن كله! قال: وما أدركتَ منه؟!».

ويحتمل أنهم كرهوا أن يقال: فلان جامع للقرآن، أو أحكمه كله، أو حامل له؛ لأجل أنه لا يأمن من إسقاط كلمة أو آية، أو شيء منه، أو بعض حروفه التي أنزل بها، فالأمر لا يخلو من تزكيةٍ أو كذبٍ.

=



١٣٥ - حدثنا أحمد بن عثمان، عن ابن المبارك، عن يحيى، أو عيسى بن عبدالرحمن، عن محمد بن أبي لبيبة، قال:

حدثني نافع أبو سهيل، قال: قال رسول الله ق:

«اقرأ القرآن ما نهاك، فإن لم ينهك؛ فلست تقرؤه».

أو قال: «فلا تقرؤه»[(١)].

وفي مصنف ابن أبي شيبة، عن ابن عمر م أنه كان يكره أن يقول: «قرأت القرآن كله».

والعلَّة في ذلك كما جاءت في الرواية الأخرى، قال: «إن منه ما قد رفع، أو نسي».

وروي أن بعض التابعين ذُكر عنده إنسان، فقيل: أحكم القرآن؛ فكره ذلك، فقيل: حمل القرآن؛ فكرهه، وقال: قولوا: حفظ القرآن، أو قرأه.

ومثله ما رواه أحمد، وأبو دواد في سننه واللفظ له عن أبي بكرة ط، قال: قال رسول الله ق: «لا يقولن أحدكم: إني صمت رمضان كله، وقمته كله». قال: «فلا أدري أكره التزكية، أو قال: لابد من نومة أو رقدة؟». اهـ

وفي مختصر قيام الليل عن الحسن، قال: «إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن كله، وما أسقطت منه حرفًا واحدًا، وقد والله أسقطه كله؛ ما ترى القرآن له في خلق ولا عمل». اهـ

(١) إسناده ضعيف؛ لأن به موضع إرسال من نافع أبي سهيل- وهو عم مالك بن أنس- وأيضًا فيه محمد بن أبي لبيبة، وهو ضعيف الحديث. ورواه كذلك الطبراني في مسند الشاميين، والشهاب في مسنده عن عبدالله بن عمر م قال: قال رسول الله ق: «رُبَّ حامل فقه غير فقيه، ومن لم ينفعه علمه؛ ضره جهله، اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك؛ فلست تقرؤه».

وأسانيدها المرفوعة لا تخلو من مقال، والصحيح وقفه كما سيأتي، ومعناه صحيح. وقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٧٧) عن مكحول، قال: «من لم ينفعه علمه؛ ضره جهله، اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك؛ فلست تقرؤه».



١٣٦ - قال أبو عبيد: وكذلك يروى عن الحسن بن علي؛ حُدثت عن خلف بن خليفة، عن أبان المكتب، عن أبي هاشم

عن الحسن بن علي م، قال:

«اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك؛ فلست تقرؤه».

١٣٧ - وحدثنا شجاع بن الوليد، عن عمرو بن قيس الملائي[(١)]

عن الحسن[(٢)]، قال:

«إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه، وإن لم يكن يقرؤه»[(٣)].

---

(١) ترجم له أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٠٠) حيث روى عن المحاربي، قال: «قال لي سفيان الثوري: عمرو بن قيس هو الذي أدبني وعلمني قراءة القرآن، وعلمني الفرائض، فكنت أطلبه في سوقه، فإن لم أجده في سوقه وجدته في بيته، إما أن يصلي، وإما يقرأ في المصحف، كأنه يبادر أمورًا تفوته، فإن لم أجده في بيته وجدته في بعض مساجد الكوفة، في زاوية من بعض زوايا المسجد، كأنه سارق قاعدًا يبكي، فإن لم أجده وجدته في المقبرة قاعدًا ينوح على نفسه. فلما مات عمرو بن قيس أغلق أهل الكوفة أبوابهم، وخرجوا بجنازته، فلما أخرجوه إلى الجبان وبرزوا بسريره- وكان أوصى أن يصلي عليه أبو حيان التيمي- تقدَّم أبو حيان فكبر عليه أربعًا، وسمعوا صائحًا يصيح: قد جاء المحسن عمرو بن قيس! وإذا البرية مملوءة من طير أبيض، لم ير على خلقتها وحسنها، فجعل الناس يعجبون من حسنها وكثرتها، فقال أبو حيان: من أي شيء تعجبون؟ هذه ملائكة جاءت فشهدت عمرًا». اهـ

(٢) هو البصري.

(٣) وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور عن الحسن، قال: «إن هذا القرآن قرأه عبيد وصبيان، لم يأخذوه من أوله، ولا علم لهم بتأويله، إن أحق الناس بهذا القرآن من رئي في عمله؛ قال الله =





تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ »، وإنما تدبر آياته: اتباعه بعمله، يقول أحدهم لصاحبه: تعال أقارئك! والله ما كانت القراء تفعل هذا، والله ما هم بالقراء، ولا الوَرَعة، لا كثر الله في الناس أمثالهم، لا كثر الله في الناس أمثالهم».

وفي شعب الإيمان للبيهقي عن الحسن، قال: «إن هذا الحق جهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما صبر على هذا الحق، من عرف فضله ورجى عاقبته، إن من الناس ناسًا قرءوا القرآن، لا يعلمون سنته، وإن أحق الناس بهذا القرآن، من اتبعه بعمله، وإن كانوا لا يقرءونه، إنك لتعرف الناس ما كانوا في عافية، فإذا نزل بلاء؛ صار الناس إلى حقائقهم، صار المؤمن إلى إيمانه، والمنافق إلى نفاقه».

وقال محمد بن كعب القرظي: «من بلغه القرآن، فكأنما كلَّمه الله، وإذا قدر ذلك؛ لم يتخذ دراسة القرآن عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه، الذي كتبه إليه؛ ليتأمله ويعمل بمقتضاه». اهـ



باب: ما يستحب لقارئ القرآن من البكاء عند القراءة في صلاة وغير صلاة وما في ذلك(١)

١٣٨ – حدثنا هشيم، عن عبدالرحمن بن إسحاق

عن عبدالملك بن عُمير، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني قارئ عليكم سورة(٢)، فمن بكى؛ فله الجنة. فقرأها، فلم يبك أحد». ثم أعاد الثانية ثم الثالثة؛ فقال: «ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»(٣).

---

(١) قال الآجري في أخلاق حملة القرآن (١/ ٩٢): «أُحِبُّ لمن يقرأ القرآن أن يتحزن عند قراءته، ويتباكى ويخشع قلبه، ويتفكر في الوعد والوعيد؛ ليستجلب بذلك الحزن، ألم تسمع إلى ما نعت الله من هو بهذه الصفة؟ وأخبرنا بفضلهم، فقال تعالى: «ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ». ثم ذمَّ قومًا استمعوا القرآن، فلم تخشع له قلوبهم، فقال تعالى: «أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ – وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ – وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ». يعني: لاهين». اهـ

(٢) هي سورة: «أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ»، كما في رواية البيهقي في الشعب.

(٣) رواه البيهقي في الشعب، وإسناده ضعيف؛ لأن به موضع إرسال عن عبدالملك بن عمير، وقد قال فيه الإمام أحمد: مضطرب الحديث جدًا مع قلة روايته، ما أرى له خمسمئة حديث، وقد غلط في كثير منها، وذكر إسحاق بن منصور عن أحمد أنه ضعفه جدًا، وقال صالح بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: عبدالملك يختلف عليه الحفاظ. وكذلك فيه عبدالرحمن بن إسحاق، وهو ضعيف الحديث، قال عنه الإمام أحمد: حدَّث بأحاديث مناكير، ليس هو في الحديث بذاك.

والبكاء عند تلاوة القرآن والترغيب فيه مما تواترت به الأحاديث والآثار، حتى قال عبدالله بن عروة بن الزبير: «قلت لجدتي أسماء: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت: =

تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم؛ كما نعتهم الله، قال: قلت: فإن ناسًا ههنا إذا سمع أحدهم القرآن؛ خرَّ مغشيًا عليه! قالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». رواه البيهقي في الشعب.

وقال شميط بن عجلان: «كل دمع يجري من القرآن، فمرحوم عند الله». رواه ابن أبي الدنيا.

وفي حلية الأولياء (٢/ ٣١١) عن أبي عمران الجوني، قال: «والله لقد صرَّف إلينا ربنا في هذا القرآن، ما لو صرَّفه إلى الجبال؛ لهدَّها وحناها».

وأفضل من بكى من خشية الله ومما نزل من الحق: هو النبي ﷺ، من ذلك ما رواه أحمد في مسنده عن عليٍّ رضي الله عنه وهو يصف حاله ﷺ في بدر حين تعب أصحابه، وأسلموا أعينهم للنوم، فيقول: «ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي، ويبكي حتى أصبح».

وروى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ عليَّ، قال: قلت: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟! قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، قال: فقرأت النساء، حتى إذا بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾، قال لي: كُف أو أمسك، فرأيت عينيه تذرفان». وفي رواية قال: «فرفعت رأسي، فإذا دموعه تسيل».

وفي رواية الطبراني: «فبكى رسول الله ﷺ حتى اضطرب لحياه».

وقد ذكر المصنِّف جملة من الأحاديث والآثار في ذلك، وحتى لا يخلو المقام من فائدة نذكر جملة أخرى؛ فمن ذلك: ما رواه محمد بن نصر في مختصر قيام الليل (١/ ١٤٤) أن عائشة رضي الله عنها قرأت في الصلاة: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾؛ فبكت، ثم قالت: «اللهم مُنَّ عليَّ وقني عذاب السموم؛ إنك أنت البرُّ الرحيم».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم أر رجلًا يجد من القشعريرة ما يجد عبدالرحمن بن عوف عند القراءة».

وفي شعب الإيمان (٣/ ٤١٧) عن حماد، قال: «كان ثابت يقرأ بتلك: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ وهو يصلي صلاة الليل، ينتحب ويرددها».

وعن أبي بردة، قال: «كان أبو موسى رضي الله عنه إذا قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾، قال: يعني الجهل، وإذا قرأ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾؛ بكى».

وعن ابن أبي مليكة، قال: «صحبت ابن عباس رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى مكة، وكان يصلي ركعتين، فإذا نزل؛ قام شطر الليل ويرتل القرآن يقرأ حرفًا حرفًا، ويكثر في ذلك من النشيج

=

والنحيب، ويقرأ: «﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾».

وعن ابن أبي ذئب، قال: «حدثني من شهد عمر بن عبدالعزيز وهو أمير المدينة، وقرأ عنده رجل «﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا﴾»، فبكى حتى غلبه البكاء وعلا نشيجه، فقام من مجلسه، فدخل بيته، وتفرق الناس».

وروى ابن أبي الدنيا في التهجد (٣٤١) عن القاسم بن أبي أيوب، قال: «كان سعيد بن جبير يبكي بالليل، حتى عمش وفسدت عيناه».

وروى أحمد في الزهد، عن البراء بن سليمان، قال: «سمعت نافعًا مولى ابن عمر، يقول: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قطُّ من آخر سورة البقرة إلا بكى: «﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾»، إلى آخر الآية، ثم يقول: إن هذا لإحصاءٌ شديد».

وفي مصنف ابن أبي شيبة، عن إبراهيم التيمي، قال: «لقد أدركت ستين من أصحاب عبدالله ط في مسجدنا هذا، أصغرهم الحارث بن سويد، وسمعته يقرأ: «﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾»، حتى بلغ: «﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾»، قال: فيبكي، ثم يقول: إن هذا لإحصاءٌ شديد».

وفي شعب الإيمان (٣/ ٥١٥) عن محمد بن جُحادة، قال: «قلت لِأُمِّ ولد الحسن البصري: ما رأيت منه؟ قال: رأيته فتح المصحف، فرأيت عينيه تسيلان، وشفتيه لا يتحركان».

ولابن أبي الدنيا كتابًا سماه: (الرقة والبكاء)، رصد فيه قصصًا عن السلف الصالح في ذلك.

ومن تأمل حالَ السَّلف في هذا الباب، علم أنهم كانوا يبكون بالعيون والقلوب، ثم يُتبعون ذلك بالعمل، أما من جاء بعدهم فيكثر منهم من يبكون بأعينهم فقط، وقلوبهم ساهية لاهية، لم يثمر ذلك في أعمالهم، قال الحسن البصري: «إن أقوامًا بكت أعينهم ولم تبك قلوبهم، فمن بكت عيناه؛ فليبك قلبه».

وفي الزهد لابن المبارك، عن شعيب الجبائي، قال: «إذا كَمُل فجور الإنسان، ملَكَ عينيه، فمتى شاء أن يبكي؛ بكى!».

وعن الحسن، أنه قرأ هذه الآية: «﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ - وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ﴾»، قال: «والله إن كان أكيس القوم في هذا الأمر لمن بكى، فأبكوا هذه القلوب، وأبكوا هذه الأعمال، فإن الرجل لتبكي عيناه، وإنه لقاسي القلب».



١٣٩ – حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش

عن أبي صالح، قال:

لما قدم أهل اليمن في زمن أبي بكر رحمة الله عليه، فسمعوا القرآن، فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر الصديق ط: «هكذا كنَّا، ثم قست القلوب»(١).

١٤٠ – حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني

عن مطرف بن عبدالله بن الشخير، عن أبيه ط قال: «انتهيت إلى رسول الله ق وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المِرْجل(٢)». يعني: من البكاء.

---

(١) قال أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٣) بعدما ساق هذا الأثر: «معنى قوله: قست القلوب؛ قويت واطمأنت بمعرفة الله تعالى». اهـ

وما قاله أبو نعيم ليس هو الوجه المراد، بل الكلام على ظاهره؛ وأراد به أبو بكر الصِدِّيق ط الإزراء على نفسه وعتابها.

ومما يدل على رقة قلب الصِّدِّيق، ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة ك قالت: «لما مرض النبي ق مرضه الذي مات فيه، أتاه بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر؛ فليصل، قلت: إن أبا بكر رجلٌ أسيف، إن يقم مقامك يبك، فلا يقدر على القراءة».

وفي قصة إدخال ابن الدغنة أبا بكر في جواره وإعادته إلى مكة، تقول عائشة ك: «وكان أبو بكر رجلًا بكّاءً، لا يملك عينه إذا قرأ القرآن؛ فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين».

(٢) رواه أحمد، وأبو داود بلفظ: «كأزيز الرَّحى»، ورواه الترمذي في الشمائل. والمرجل: هو الإناء الذي يغلي فيه الماء، والأزيز: هو صوت الغليان. ومعنى قوله: «ولجوفه أزيز». يعني: غليان جوفه بالبكاء. ومعنى: «كأزيز الرحى». أي: صوتها وجرجرتها.

=



١٤١ – حدثنا وكيع، عن حمزة الزيات

عن حُمْرَان بن أَعْين[١]، قال:

«سمع رسـول الله ق رجـلاً يقـرأ: @إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيـمًا – وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ! [المزمل:١٢-١٣]؛ **قال: فصعق رسول الله ق »[٢].**

قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ١٨٣) عن هديه ق في البكاء: «وأما بكاؤه ق فكان من جـنس ضحكه، لم يكن بشهيق ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن كانـت تـدمع عينـاه حتـى تهملا، ويسمع لصدره أزيز». اهـ

ولهذا لم يشعر ابن مسعود ط ببكاء النبي ق لما قرأ عليه جزءًا من سورة النساء، إلا بعد أن نظر إليه، فوجد عينيه تذرفان؛ لأنه ق كان يكتم بكاءه في صدره. وفي هذا دليل على أن السُّنة في البكاء أن يُحبس في الصدر، وأن يكتمه العبد قدر استطاعته، فلم يكـن مـن هـدي النبـي ق أن يبكـي في الصلاة بصوت عالٍ؛ ليبكي من خلفه، كما يفعله بعض الأئمة اليوم– هداهم الله– فيـستدعون ببكـائهم بكاء غيرهم، وبعضهم يتكلف ذلك، فضلًا عن أصوات البكاء، كالنحيب والعويل والشهيق والـزفير، وكل هذا خلاف السُّنة ومنافٍ للإخلاص.

وروى ابن أبي حاتم في التفسير، عن إسحاق بن يسار، قال: «لما اتخذ الله إبراهيم خلـيلًا ألقـى في قلبه الوجل، حتى إن خفقان قلبه ليُسمع من بعيد، كما يُسمع خفقان الطير في الهواء».

(١) هو حُمْران بن أعين الكوفي مولى بني شيبان، قال أبو عبيد الآجري: سألت أبا داود عن حُمْران ابن أعين؟ فقال: كان رافضيًّا. وقال الإمام أحمد: كان يتشيع. وقال ابن المديني: كانوا ثلاثـة أخـوة: عبدالملك بن أعين، وحمران بن أعين، وزرارة بن أعين كـانوا شـيعة، وكـان أشـدهم في هـذا الأمـر حمران بن أعين. وقال ابن معين: ضعيف. وقال مَرَّةً: ليس بشيء. وقال النسائي: ليس بثقة.

(٢) رواه وكيع في الزهد، ومن طريقه محمد بن نصر في مختصر قيام الليل، وابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب؛ وهو مرسل ضعيف.

=



١٤٢ – حدثني محمد بن صالح، عن هشام بن حسَّان

عن الحسن، قال:

«قـرأ عمـر بـن الخطـاب ط: @إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ – مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ! [الطور: ٧-٨]؛ قال: فربا منها ربوة عِيد منها عشرين يومًا»(١).

ولذلك فصعقه ق لم يثبت به حديث صحيح، بل هو كان أقوى وأخشع وأخشى، وإنما الصعق حال ضعف.

وقد وصف الله حاله ق وحال أصحابه– حين سماعهم القرآن– فقال: «تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ». يعني: تلين إلى العمل بما في كتاب الله، والتصديق به.

ولهذا جاء في الأثر أن قتادة تلا قوله تعالى: «تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ». ثم قال: «هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله بأنهم تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وإنما هو من الشيطان».

وكان حالهم– عند سماع الموعظة– كما وصفهم العرباض بن سارية ط، حيث قال: «وعظنا رسول الله ق موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب».

(١) أخبار عمر ط في البكاء عند تلاوته للقرآن كثيرة ومشهورة، فمن ذلك:

ما رواه ابن أبي الدنيا في كتابه الرقة والبكاء، عن الشعبي، قال: «سمع عمر ط رجلًا يقرأ: «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ – مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ»، فجعل يبكي حتى اشتد بكاؤه، ثم خرَّ يضطرب، فقيل له في ذلك، فقال: «دعوني، فإني سمعت قَسَم حقٍّ من ربي».

وفي مسند الفاروق لابن كثير زيادة، قال: «ونزل عن حماره، واستند إلى الحائط، فلبث مليًّا، ثم رجع إلى منزله، فلبث شهرًا يعوده الناس، لا يدرون ما مرضه ط».

١٤٣ – وحدثنا النضر بن إسماعيل، عن ابن أبي ليلى، عن عطاء

عن عبيد بن عمير، قال:

«صلى بنا عمر بن الخطاب ط صلاة الفجر فافتتح سورة يوسف فقرأها، حتى إذا بلغ: @وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ! [يوسف:٨٤]؛ بكى، حتى انقطع فركع».

وحدثني حجاج، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن علقمة بن وقاص، عن عمر، مثله. إلا أنه قال: «العتمة».

ويروى: أنه لما انتهى إلى قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: @أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ! [يوسف:٨٦]؛ بكى؛ حتى سُمع نشيجه من وراء الصفوف.

نشيج الشيخ مثل بكاء الصبي إذا ضُرب فلم يخرج بكاءه؛ فردَّده في صدره. ولذلك قيل لصوت الحمار: نشيج، يقال منه: قد نشج ينشج نشجًا ونشيجًا.

وإنما يراد من هذا الحديث: أن يرفع الصوت بالبكاء في الصلاة حتى يُسمع صوته، ولا يقطع ذلك الصلاة(١).

---

(١) قال ابن قدامة في المغني (١/ ٧٤١): «فأما البكاء والتأوه والأنين الذي ينتظم منه حرفان، فما كان مغلوبًا عليه، لم يفسد الصلاة. وما كان من غير غلبة، فإن كان لغير خوف الله؛ أفسد الصلاة. وإن كان من خشية الله؛ فقال أبو عبدالله بن بطة في الرَّجل يتأوه في الصلاة: إن تأوه من النار، فلا =

قال أبو عبيد:

وفي غير هذا الحديث، أنه لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ !﴾ [يوسف:٨٦]؛ بكى حتى سمع نشيجه من وراء الصفوف.

١٤٤ – حدثنا حجاج، عن عبدالرحمن بن أبي الزناد

عن سليمان بن سحيم، قال:

أخبرني من رأى ابن عمر م يصلي وهو يترجح ويتمايل ويتأوه، حتى لو رآه غيرنا ممن يجهله؛ لقال: أصيب الرجل، وذلك لذكر النار إذا مرَّ بقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا !﴾ [الفرقان:١٣]، أو شبه ذلك[1].

بأس. وقال القاضي: التأوه ذِكْرٌ مَدَحَ اللهُ تعالى به إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ فقال: «إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ». والذكر لا يفسد الصلاة، ومدح الباكين بقوله تعالى: «خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا». وقال: « وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا». ثم ذكر حديث أزيز المرجل، ونشيج عمر في الصلاة. ثم قال: ولم أر عن أحمد في التأوه شيئًا ولا في الأنين، والأشبه بأصولنا أنه متى فعله مختارًا؛ أفسد صلاته، فإنه قال في رواية مهنا في البكاء الذي لا يفسد الصلاة: إنه ما كان عن غلبة». اهـ

(١) وروى محمد بن نصر في مختصر قيام الليل (١/ ١٤٣) عن نافع قال: «كان ابن عمر م يصلي بالليل، فيمر بالآية فيها ذكر الجنة، فيقف فيسأل الله الجنة ويدعو، وربما بكى، ويمر بالآية فيها ذكر النار، فيقف ويتعوذ بالله من النار ويدعو، وربما بكى، وكان إذا أتى على هذه الآية: «أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ» بكى، وقال: بلى يا رب، بلى يا رب».

=

١٤٥ – وحدثنا أبو بكر بن عياش، عن عيسى بن سليم

عن أبي وائل، أنه قال:

خرجنا مع عبدالله بن مسعود ط ومعنا الربيع بن خثيم، فمررنا على حدَّاد، فقام عبدالله ط ينظر إلى حديدة في النار، فنظر الربيع إليها فتمايل ليسقط، ثم إن عبدالله ط مضى كما هو حتى أتينا على شاطئ الفرات على أتُّون[1]، فلما رآه عبدالله ط، والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية: @إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ! [الفرقان:١٢]. إلى قوله تعالى: @دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ! [الفرقان:١٣] قال: فصعق الربيع، فاحتملناه، فجئنا به إلى أهله. قال: ورابطه عبدالله ط إلى الظهر فلم يفق، فرابطه إلى المغرب فأفاق، ورجع عبدالله إلى أهله[2].

وعن محارب بن دثار، قال: «دخلت على ابن عمر م بيته وهو يصلي، فإذا هو يبكي في صلاته، فلما انصرف، أقبل عليّ وعلم أني قد رأيته وهو يبكي، فقال: «إن هذه الشمس لتبكي من خشية الله، ابكوا، فإن لم تبكوا، فتباكوا»». اهـ

(١) الأَتُّون: هو موقد النار.

(٢) لم يُنقل عن أحد من الصحابة مثلُ هذا الفعل، وحكاية الربيع بن خثيم هذه؛ راويها عيسى ابن سليم؛ قال فيه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٨٢): «حدثنا عبدالله بن أحمد، قال: سألت أبي عن عيسى بن سليم؟ فقال: لا أعرفه. وقال: حدثنا عبدالله بن أحمد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا يحيى ابن آدم، قال: سمعت حمزة الزيات، قال لسفيان: إنهم يروون عن ربيع بن خثيم أنه صعق! قال: ومن يروي هذا؟! إنما كان يرويه ذلك القاص- يعني: عيسى بن سليم- فلقيته، فقلت: عمن تروي أنت ذا؟!- مُنكِرًا له-». اهـ

=



١٤٦ – حدثنا عبدالله بن المبارك، عن الأوزاعي

عن يحيى بن أبي كثير، قال:

استمع كعب على رجل قراءته أو دعاءه أو بكاءه أو نحو هذا، فمضى وهو يقول: «واهًا للنَّواحين[1] على أنفسهم قبل يوم القيامة».

١٤٧ – وحدثنا عبدالله بن المبارك، عن مسعر

عن عبدالأعلى التيمي، قال:

«من أوتي من العلم ما لا يبكيه، فليس بخليق أن يكون أوتي علمًا

وسيأتي لهذا مزيد بيان في باب: «القارئ يصعق عند قراءة القرآن، ومن كره ذلك وعابه».

وقيل: إن أول من جاء عنه الصعق والغشيان عند قراءة القرآن أو سماعه في عصر التابعين زرارة ابن أوفى، حيث جاء عنه أنه قرأ في الصلاة، فلما بلغ: «فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ» شهق فمات.

ومثل هذه الأمور تحدث لبعض الناس ولا ننكرها، بل كان الإمام أحمد يقول عن يحيى بن سعيد القطان، لما كان يذهب عقله لسماع القرآن: «لو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه؛ دفعه يحيى». رواه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكننا نقول دائمًا: إن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وقد مرَّ بنا كيف كان هديه وحاله ﷺ عند سماع القرآن أو تلاوته، والصعق مع الصدق حال ضعف لم يقدر صاحبه أن يدفعه، وحال الرسول ﷺ وأصحابه أكمل.

(١) كانوا يطلقون هذا اللَّقب على من يتهجد بالقرآن ليلًا؛ لغلبة البكاء عليه عند قراءة القرآن.

وفي الزهد لأبي داود (١/ ٢١٩) عن عطاء بن قرة: «أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان إذا سمع أصوات المتهجدين من الليل، قال: بأبي وأمي النَّواحين على أنفسهم، وتندى قلوبهم بذكر الله قبل يوم القيامة».

ينفعه؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **نعت العلماء، فقال:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء:١٠٧]»[١].

١٤٨ – وحدثنا إسماعيل بن مجالد، عن هلال الوزان

عن عبدالرحمن بن أبي ليلى:

أنه قرأ سورة مريم حتى انتهى إلى السجدة: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨] **فسجد بها، فلما رفع رأسه قال: «هذه السجدة قد سجدناها؛ فأين البكاء؟!»**[٢].

---

(١) والشَّاهد في الآية التي بعدها، وهو قوله: « وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا».

قال ابن عباس م: «إذا قرأتم سجدة (سبحان)؛ فلا تعجلوا بالسجود، حتى تبكوا، فإن لم تبكِ عينُ أحدكم، فليبك قلبه». اهـ

وقال ابن مسعود: «ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم خشية الله». اهـ

وكان النبي ق يجمع في التعوذ بين العلم الذي لا ينفع، والعين التي لا تدمع.

وفي إبطال الحيل (٧٠) عن الحسن؛ قال: «إنا لنجالس الرجل فنرى أن به عِيًّا! وما به عيّ، وإنه لفقيه مسلم». قال وكيع: «أسكتته الخشية».

وفيه عن سفيان بن عيينة، قال: «العالم بالله: الخائف من الله، وإن لم يحسن: فلان عن فلان، ومن لم يحسن العلم، والخوف من الله؛ فهو جاهل، وإن كان يحسن: فلان عن فلان، المسلمون شهود على أنفسهم، عرضوا أعمالهم على القرآن، فما وافق القرآن تمسكوا به، وإلا استعتبوا من قريب».

وفيه عن الحسن؛ قال: «كان الرجل إذا طلب بابًا من العلم، لم يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده وزهده وصلاته وبدنه».

(٢) وجاء مثله عن عمر بن الخطاب ط كما في تفسير ابن أبي حاتم، وشعب الإيمان.

=





وفي مصنف ابن أبي شيبة، عن عبدالله بن عبيد، قال: «رأتْ صفيةُ زوج النبي ق قومًا قرءوا سجدة؛ فسجدوا، فنادتهم: هذا السجود والدعاء، فأين البكاء؟!».

وفي ترجمة يزيد الرقاشي من تهذيب الكمال (٦٩٥٨) عن أبي رجاء الجزري، قال يزيد الرقاشي: «رأيت في نومي، كأني قرأت على النبي ق سورة، فلما فرغت، قال لي- أو قيل لي-: هذه القراءة، فأين البكاء؟». قال: «وكان يزيد من البكائين».

باب: ما يستحب للقارئ إذا مرَّ في قراءته بذكر الجنة من المسألة، وبذكر النار من التعوذ

١٤٩ – حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن المستورد بن الأحنف، عن صلة بن زفر

عن حذيفة ط، قال:

صليت مع رسول الله ق ذات ليلة، فكان إذا مرَّ بآية رحمة سأل، وإذا مرَّ بآية عذاب تعوذ، وإذا مرَّ بآية فيها تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سبَّح[1].

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود.

وفي مصنف عبدالرزاق عن الحسن، وقتادة: «أنهما كانا لا يريان بأسًا أن يدعو الرجل في التطوع، إذا مرَّ بآية فيها ذكر الجنة والنار، فيقف عندها، فيسأل ويتعوذ».

وفيه عن علقمة، قال: «صليت إلى جنب عبدالله بن مسعود، فما علمت ما يقرأ، حتى سمعته يقول: «رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»، فعلمت أنه في طه».

وهنا رفع ابن مسعود ط صوته بالآية، وقد يكون قرأها ثم دعا بها، وسيأتي برقم: (١٥٦).

وهذا إنما هو في حق الإمام والمنفرد، أما المأموم فلا؛ لئلا ينشغل بذلك عن الاستماع والإنصات لقراءة الإمام، فإن كان شيئًا يسيرًا؛ فلا يُلْبس على إخوانه.

وكذلك هو في صلاة التطوع دون الفريضة؛ لعدم ورود ذلك في الفريضة، ولأن الفريضة يستحب فيها التخفيف، وقد روى مالك في الموطأ عن أبي هريرة ط أن رسول الله ق قال: «إذا =



١٥٠ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن عمرو بـن قـيس الكنـدي، أنـه سمع عاصم بن حميد، يقول:

سمعت عوف بن مالك، يقول:

قمت مع رسول الله ﷺ ليلـة، فبـدأ فاسـتاك، ثـم توضـأ، ثـم قـام يصلي، فقمت معه، فاستفتح البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا

صلى أحدكم بالناس؛ فليُخفِّف، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صـلى أحـدكم لنفسه؛ فليُطوِّل ما شاء».

ولو أن الإمام في الفريضة كلما مرَّت به آية رحمة سأل، أو آية عذاب اسـتعاذ، أو آيـة تنزيـه سـبَّح، لطالت الصلاة بالناس ونفروا منها. وفِعْلُ النبي ﷺ كان في النافلة.

قال ابن قدامة في المغني (١/ ٦٢٢): «ولا يستحب ذلك في الفريضة؛ لأنه لم يُنقل عن النبـي ﷺ في فريضة مع كثرة من وصف قراءته فيها». اهـ

وروى عبدالرزاق في المصنف عن مجاهد، قال: «كُره إذا مرَّ الإمام بآيـة تخويـف أو آيـة رحمـة، أن يقول من خلفه شيئًا».

وعن الإمام أحمد رواية في جواز ذلك للإمام والمأموم، وفي الفرض والنفـل، لكـن دون أن يجهـر بها، ففي مسائل الكوسج (٢/ ٤٧٦) قال: «قلـت: إذا قـرأ: «أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ»، يقـول: سبحانك اللهم، بلى؟ قال: إن شاء قاله فيما بينه وبين نفسه، ولا يجهر بها في المكتوبـة وغيرهـا. قـال إسحاق: كما قال، وإن أسمع أذنيه؛ فحسن». اهـ

ويدلُّ لذلك ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عمير بن سعيد، قـال: «صـليت مـع أبي موسـى ﷺ الجمعة، فقرأ بـ «سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى»، فقال: سبحان ربي الأعلى، وهو في الصلاة».



يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم قرأ آل عمران، ثم قرأ سورة النساء أو قال: ثم قرأ سورة، يفعل مثل ذلك(١).

١٥١ – حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن زياد بن نعيم الحضرمي، عن مسلم بن مخراق

عن عائشة ﵂ قالت:

كان رسول الله ﷺ يقوم ليلة التمام(٢)، فيقرأ بسورة البقرة وآل عمران والنساء، لا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورَغِب، ولا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله تعالى، واستعاذ(٣).

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٥٣٦) : «ليلة التَّمام: هي ليلة أربعة عشر من الشهر؛ لأن القمر يتمُّ فيها نورُه. وتفْتح تاؤها وتُكسر. وقيل: ليلة التِّمام- بالكسر- أطول ليلة في السَّنَة وهي أطول ما يكون من ليالي الشتاء». اهـ

فهي أطول ليالي السَّنة بحيث تتسع لهذا القدر من القرآن مع حظ جسده من الليل، قال اليهودي- في قصة شهيرة رواها ابن أبي شيبة في مصنفه-:

وأشعثَ غرَّه الإسلامُ مني ... خلوتُ بعُرْسِهِ ليلَ التَّمامِ

وفي لفظ عند البيهقي في السنن الكبرى، قالت: «يقوم الليل التَّام يقرأ البقرة...».

وعند ابن المبارك في الزهد: «يقوم ليله التمام». فكأنه كان يستغرق الليل كله في قراءة هذه السور.

(٣) رواه ابن المبارك، وأحمد، وأبو يعلى في مسانيدهم، عن مسلم بن مخراق، عن عائشة ﵂ قال: «ذُكر لها أن ناسًا يقرءون القرآن في الليلة مرة أو مرتين- وفي رواية: أو ثلاثًا- فقالت: أولئك قرءوا، ولم يقرءوا! كنت أقوم مع رسول الله ﷺ ...». وذكرت الحديث.

=



١٥٢ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن ابن أبي ليلى، عن ثابت البناني

عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه[١]، قال:

كان رسول الله ﷺ يصلي؛ فإذا مرَّ بآية فيها ذكر النار، قال: «أعوذ بالله من النار»[٢].

١٥٣ – حدثنا أبو عبيد: قال: حدثنا محمد بن كثير، عن عبدالله بن شوذب، عن موسى بن أنس

عن أبيه أنس بن مالك رضي الله عنه:

أنه كان إذا مرَّ بآية فيها ذكر النار، وقف عندها ودعا.



ومسلم بن مخراق: قد وثَّقه النسائي، والعجلي، وأبو مسهر الغساني، ودحيم الدمشقي، وقال عنه الإمام أحمد: «ما أرى به بأسًا». فحاله ليس مجهولًا كما ادعاه بعضهم.

وذكر ابن لهيعة في السَّند لا يُضعفه؛ فقد رواه عنه قتيبة بن سعيد، وتوبع كذلك بعبدالله بن المبارك، وهما صحيحا السماع من ابن لهيعة، وبقية رجاله ثقات.

وقول عائشة رضي الله عنها: «قرءوا ولم يقرءوا». أي: قرءوه بألسنتهم، لكنهم لم يعقلوا معناه بقلوبهم.

(١) هو: أبو ليلى داود بن بلال بن أحيحة- وقال يحيى بن معين: اسمه: يسار بن نمير- من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار سكن الكوفة، وكان قد شهد أُحدًا وما بعدها. انظر التاريخ الكبير للبخاري (٣٥٥٦)، والثقات لابن حبان (١٤٧٦).

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وفيه زيادة بيان أن هذه الصلاة كانت تطوعًا، كما في سنن أبي داود، وابن ماجه. وفي المسند قال: «يقرأ في صلاة ليست بفريضة». وفي آخره، قال النبي ﷺ: «ويحٌ، أو ويلٌ لأهل النار».



باب: ما يستحب لقارئ القرآن من تكرار الآية وتردادها

١٥٤ – حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن قدامة البكري، أو قال: العامري، عن جسرة بنت دجاجة العامرية، قالت:

حدثنا أبو ذر ط، قال:

قام رسول الله ق ليلة من الليالي، فقرأ آية واحدة الليل كله حتى أصبح؛ بها يقوم، وبها يركع، وبها يسجد. فقال القوم لأبي ذر: أي آية هي؟! فقال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨][(١)].

---

(١) رواه أحمد، وابن ماجه. وقد كان للنبي ق، ولأصحابه من بعده في ذلك أحوال: فإما أن يكرر الآية كما هنا، وإما أن يكرر السورة كما فعل في سورة (ق) فقد كان يقرؤها في الجمعة على المنبر، إذا خطب الناس.

وفي مسند أحمد عن أبي ذر ط قال: «جعل رسول الله ق يتلو عليَّ هذه الآية: «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا»، حتى فرغ من الآية، ثم قال: يا أبا ذر! لو أن الناس كلهم أخذوا بها؛ لكفتهم، قال: فجعل يتلوها، ويرددها عليَّ حتى نعست».

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري ط أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» يرددها، فلما أصبح، جاء إلى رسول الله ق فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله ق: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن».

=

١٥٥ – حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن أبي الضحى

عن تميم الداري ط:

أنه أتى المقام ذات ليلة، فقام يصلي فافتتح السورة التي تذكر فيها الجاثية، فلما أتى على هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أم الدرداء: «أنه أغمي على أبي الدرداء ط فأفاق، فإذا بلال ابنه عنده، فقال: قم فاخرج عني، ثم قال: من يعمل لمثل مضجعي هذا! من يعمل لمثل ساعتي هذه! ثم يقول: «وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ»، قالت: ثم يغمى عليه، فيلبث لبثًا، ثم يفيق فيقول مثل ذلك، فلم يزل يرددها حتى قبض».

وفيه عن نسير أبي طعمة مولى الربيع بن خثيم، قال: «كان الربيع بن خثيم يصلي، فمرَّ بهذه الآية: «أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ»، فجعل يرددها حتى أصبح».

وفيه عن صالح بن سعيد المؤذن، قال: «بينما أنا مع عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالسويداء، فأذنت للعشاء الآخرة، فصلى ثم دخل القصر، فقلما لبث أن خرج فصلى ركعتين خفيفتين، ثم جلس فاحتبى، فافتتح الأنفال، فما زال يرددها ويقرأ، كلما مرَّ بآية تخويف تضرع، وكلما مرَّ بآية رحمة دعا، حتى أذنت للفجر».

وعن الأسود، قال: «كانوا يحبون أن يُرجِّعوا بالآية من آخر الليل».

وعن مغيرة، قال:- أراه عن إبراهيم-: «لا بأس أن يقف الرجل عند الآية، فيرددها».

والآثار في ذلك أكثر من أن تحصى، وقد ذكر محمد بن نصر في كتابه مختصر قيام الليل جملة من ذلك.

ومن الحال الثانية: ما جاء عن الفرافصة بن عمير، قال: «ما أخذت سورة يوسف إلا من قراءة عثمان ط إياها في الصبح من كثرة ما كان يرددها».

لكن التكرار هنا على الأيام، وليس في الصلاة نفسها.

نَجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ! [الجاثية:٢١]؛ فلم يزل يرددها حتى أصبح.

وحدثنا يزيد، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي الضحى

عن مسروق، قال: قال له رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري ط. ثم ذكر مثل ذلك أو نحوه.

١٥٦ – حدثنا معاذ، عن ابن عون، قال:

حدثني رجل من أهل الكوفة:

أن عبدالله بن مسعود ط صلى ليلة، قال: فذكروا ذلك، فقال بعضهم: هذا مقام صاحبكم منذ الليلة؛ يردد آية حتى أصبح.

قال ابن عون: بلغني أن الآية @وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ! [طه:١١٤].

١٥٧ – حدثنا خالد بن عمرو، عن إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم

عن علقمة(١)، قال:

قمت خلف عبدالله ط في صلاة النهار، فسمعته يقول: ربِّ زدني علمًا؛ فعلمت أنه يقرأ من سورة @طه!.

(١) قال بعض الحفاظ: أصح الأسانيد: منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود ط.

١٥٨ - وحدثنا مروان بن معاوية، عن عوف بن أبي جميلة

عن أبي المنهال سيار بن سلامة:

أن عمر بن الخطاب  سقط عليه رجل من المهاجرين[(١)]، وعمر يتهجد من الليل يقرأ بفاتحة الكتاب لا يزيد عليها، ويكبر ويسبح ثم يركع ويسجد، فلما أصبح ذكر ذلك لعمر، فقال له عمر: «لأمِّك الويل! أليست تلك صلاة الملائكة؟».

١٥٩ - وحدثني قدامة أبو محمد

عن امرأة من أهل بيت عامر بن عبد قيس[(٢)]:

(١) أي: اطَّلَعَ عليه دون علمه.

(٢) روى البخاري في تاريخه، من طريق أبي كعب، قال: «كان الحسن وابن سيرين يكرهان أن يقولا: عامر بن عبد قيس، ويقولان: عامر بن عبدالله». اهـ

وعامر بن عبدالله؛ كان يُضرب به المثل في العبادة والزهد؛ روى ابن أبي الدنيا في كتاب المتمنين (٧٨) عن حجاج الأسود- وكان من أفضل زمانه- قال: «تمنى رجلٌ، فقال: ليت أني بزهد الحسن، وورع ابن سيرين، وفقه سعيد بن المسيب، وعبادة عامر بن عبد قيس».

وترجم له العجلي في معرفة الثقات (٨٢٧) بقوله: «عامر بن عبد قيس العنبري، بصرى تابعي ثقة من كبار التابعين وعبادهم، رآه كعب الأحبار، فقال: هذا راهب هذه الأمة». اهـ

وفي طبقات الحنابلة (١/ ٢٦١) قال محمد بن أحمد بن المثنى أبو جعفر: «قلت لأحمد: ما تقول في بشر؟ فقال: سألتني عن رابع سبعة من الأبدال، أو عامر بن عبد قيس ما مثله عندي إلا مثل رجل ركز رمحًا في الأرض، ثم قعد منه على السنان، فهل ترى ترك لأحد موضعًا يقعد فيه؟».



أن عامرًا قرأ ليلة من سورة @المؤمن!(١) فلما انتهى إلى قوله تعالى: @ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ! [غافر:١٨]؛ قالت: فكظم حتى أصبح، أو قالت: فلم يزل يرددها حتى أصبح.

١٦٠ - وحُدثت عن أبي معاوية، عن هشام بن عروة

عن عبدالوهاب بن يحيى بن حمزة(٢)، عن أبيه، عن جدِّه(٣)، قال:

---

(١) وهي: سورة غافر.

(٢) هكذا في الأصل، والصواب «عَبَّاد»، كما في كتب التراجم، وهو أخو حمزة، وكلاهما من أبناء عبدالله بن الزبير. انظر: الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار (١/ ١٩١)، والتاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٣٦٢)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ٧٢)، والثقات لابن حبان (٤/ ٧٩).

(٣) هذا الأثر له طريقان:

الأول: ما ذكره أبو عبيد: عن هشام بن عروة، عن عبدالوهاب بن يحيى بن عَبَّاد، عن أبيه، عن جده. واندرج معه في ذلك ابن أبي شيبة في المصنف (٦٠٧٣) إلا أنه قال: «عن هشام بن عروة، عن عبدالوهاب بن يحيى، عن جده عبَّاد».

والثاني: رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٥٥) قال: «حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا ابن نمير، ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، قال: دخلتُ على أسماء وهي تصلي فسمعتها وهي تقرأ هذه الآية: «فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ»؛ فاستعاذت- هكذا في الأصل، ولعلَّها: فأعادت- فقمت وهي تستعيذ- لعلَّها: تعيد- فلما طال عليَّ أتيت السُّوق، ثم رجعت وهي في بكائها تستعيذ- لعلَّها: تُعيد».

فلعلَّ الأمر تكرَّر منها مرتين، والقصة لم تخرج عن آل بيت أسماء ك.

ولا غرابة في رواية هشام بن عروة، عن عبدالوهاب، عن أبيه، عن جدِّه، عن أسماء، فقد ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/ ٧٢) وقال: «عبدالوهاب بن يحيى بن عَبَّاد: روى عن أبيه، =



افتتحت أسماء بنت أبي بكر م سورة ﴿الطور﴾، فلما انتهت إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧]؛ ذهبت إلى السوق في حاجة، ثم رجعت وهي تكررها ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ قال: وهي في الصلاة(١).

١٦١ – حدثنا يزيد، عن الأصبغ بن زيد، قال:

حدثنا القاسم بن أبي أيوب، قال:

سمعت سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يردد هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١].

وروى عنه: هشام بن عروة، وجويرية بن أسماء، وفليح، سمعت أبي يقول ذلك، وسألته عنه، فقال: شيخ». اهـ

وعبدالوهاب بن يحيى: هو من ولد عَبَّاد بن عبدالله بن الزبير، كما ذكره الترمذي في جامعه (١/ ٤٨٣)، وعليه فيكون هشام بن عروة بمثابة ابن عم جده عَبَّاد. وقال الزبير بن بكار: «أمه أسماء بنت ثابت بن عبدالله بن الزبير، وأمها صفية بنت عبدالله بن سعد بن أبي وقاص». انظر: تهذيب الكمال (٣٦٠٩).

وأما جدُّه فهو عَبَّاد بن عبدالله بن الزبير بن العوام، كان عظيم القدر عند أبيه، وكان على قضائه بمكة، وكان أصدق الناس لهجة. وهو في الحديث ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٣٠٨٦).

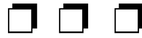
(١) وكذلك فعلت أختها عائشة ك فيما رواه ابن أبي شيبة في المصنف، عن عائشة أنها مرَّت بهذه الآية: «فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ»، فقالت: اللهم! مُنَّ علينا وقِنا عذاب السموم، إنك أنت البَرُّ الرحيم. فقيل للأعمش: في الصلاة؟ فقال: في الصلاة».



١٦٢ – حدثنا أبو الأسود، عن ضمام بن إسماعيل

عن العلاء، قال:

حدثني رجل، قال: كنت بمكة فلما صليت العشاء إذا رجل أمامي قد أحرم في نافلة فاستفتح: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار:١]. قال: فلم يزل فيها حتى نادى منادي السَّحر، فسألت عنه فقيل لي: هو سعيد بن جبير[(١)].



(١) أخبار سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا كثيرة، منها:

ما رواه ابن سعد في الطبقات، عن أبي شهاب موسى بن نافع، قال: «كان سعيد بن جبير يصلي بنا في رمضان، فكان يُرَجِّع، فربما أعاد الآية مرتين».

وروى عبدالرزاق في مصنفه، عن سعيد بن عبيد، قال: «رأيت سعيد بن جبير وهو يؤمهم في رمضان؛ يُردِّد هذه الآية: « إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ »، و«يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ‌– ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ»، يرددها مرتين أو ثلاثًا».

وروى أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٧٢) عن وهب بن إسماعيل الأسدي، قال: «قيل لورقاء بن إياس: كان سعيد بن جبير يصنع كما يصنع هؤلاء الأئمة اليوم، يُطرِّبون أو يُردِّدون؟ قال: معاذ الله! إلا أنه كان إذا مرَّ على مثل هذه الآية في (حم المؤمن): «ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ »؛ مدَّها شيئًا».



باب: ما يستحب لقارئ القرآن من الجواب عند الآية والشهادة لها

١٦٣ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبدالله بن عثمان بن خثيم، عن يوسف ابن ماهك

عن عبدالله بن السائب، قال:

أخَّر عمر بن الخطاب ط العشاء الآخرة فصَلَّيْتُ، ودخل فكان في ظهري، فقرأتُ: @وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ! [الذاريات:١] حتى أتيت على قوله: @وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ! [الذاريات:٢٢]؛ فرفع صوته حتى ملأ المسجد: «أشهد».

١٦٤ – حدثنا عباد بن العوام، عن سعيد بن إياس الجريري

عن جعفر بن إياس، قال:

دخل عمر بن الخطاب ط المسجد، وقد سُبق ببعض الصلاة، فنشب في الصف، وقرأ الإمام: @وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ! [الذاريات:٢٢]؛ فقال عمر: «وأنا أشهد»[1].

---

(١) قالها عمر ط وأقرَّه الصحابة ولم ينكروا عليه، فدلَّ ذلك على استحباب ما بوب عليه أبو عبيد من الجواب عند الآية والشهادة لها.



١٦٥ – حدثنا حجاج، عن أبي عمر زياد بن أبي مسلم

عن صالح أبي الخليل:

أن عمر بن الخطاب ط سمع رجلاً يقـرأ: @هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ! [الإنسان:١]؛ فقال: «يا ليتها تمَّتْ»(١).

١٦٦ – حدثنا أبو عبيد: وحدثنا كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، قال:

حدثنا يزيد بن أبي زياد:

أن عبدالله بن مسعود ط سمع رجلاً قرأ: @هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا – إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ! [الإنسان:١-٢].

فقال: «إي وعزتك! فجعلته سميعًا بصيرًا وحيًّا وميتًا».

١٦٧ – حدثنا كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان

عن صالح بن مسمار، قال:

بلغنـا أن رسـول الله ق تـلا هـذه الآيـة: @يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ! [الانفطار:٦]؛ فقال: «جهله»(١).

---

(١) أي: ليت المدة التي أتت على الإنسان لم يكن فيها شيئًا مذكورًا؛ تمَّتْ على ذلـك، فلـم يولـد، ولم يحمل الأمانة، ولم يُبتلى.
وكان ابن مسعود ط يأخذ عودًا من الأرض، ويقول: «يا ليتني كنت مثل هذا!».



١٦٨ - حدثنا أبو النضر، عن شعبة، عن موسى بن أبي عائشة

عن رجل، عن آخر، عن آخر[٢]:

أنه كان يقرأ فوق بيت له، فرفع صوته: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة:٤٠]؛ فقال: «سبحانك اللهم! وبلى». فسئل عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقوله[٣].

---

(١) وجاء هذا التفسير أيضًا عن عمر بن الخطاب، وابنه عبدالله رضي الله عنهما، رواه عنهما ابن أبي حاتم في التفسير، ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما، والربيع بن خثيم، والحسن مثل ذلك، وكذلك عن أبي موسى الأشعري؛ رواه عنه البيهقي في شعب الإيمان، وتنوعت عبارات السلف في تفسيرها:

فقال قتادة: «ما غرَّ ابن آدم غير هذا العدو الشيطان».

وقال الفضيل بن عياض: «لو قال لي: ما غرك بي؟ لقلت: ستورك المرخاة».

وهذا يعود إلى جهل الإنسان وحمقه! لا أن له عذرًا.

وقال أبو بكر الوراق: «لو قال لي: «مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ»، لقلت: غرني كرم الكريم».

وقال آخر: «غرتني نفسي الأمارة بالسوء».

وزعم عكرمة أن هذه الآية نزلت في أُبي بن خلف.

(٢) وفي نسخة: «عن رجل آخر، عن آخر أنه كان يقرأ...». وهذا أصح مما ذكر في المتن، وعليه أكثر الروايات؛ أن المبهم واحد غير الصحابي.

(٣) وفي تفسير عبدالرزاق (٣٤١٩) عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة، أن رجلًا حدثهم، قال: «أَمَّهُمْ رجل، فقرأ: «لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ». فلما بلغ آخرها، قال: «أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ». قال: سبحانك اللهم! بلى، فلما انصرف، قلنا: شيئًا سمعناك تقوله، من أين أخذته؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقوله».

=

١٦٩ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس م:

أنـه قـرأ في الـصلاة: @أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ! [القيامـة:٤٠]؛ فقـال: «سبحانك؛ وبلى».

١٧٠ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن إسماعيل بن أمية، عن عبدالرحمن بن القاسم، قال:

قال أبو هريرة ط: «من قرأ: @لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ! [القيامة:١]؛ فانتهى إلى آخرها، أو بلغ آخرها: @أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ! [القيامة:٤٠]؛ فليقل: بلى.

وإذا قرأ: @وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ! [المرسلات:١]، فانتهى إلى آخرهـا، أو بلـغ آخرهـا: @فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ! [المرسلات:٥٠]؛ فليقل: آمنت بالله وما أنزل.

ومن قرأ: @وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ! [التين:١]، فانتهى إلى آخرها، أو بلـغ آخرهـا: @أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ! [التين:٨]؛ فليقل: بلى».

وهذا الأثر وإن كان معنعنًا بالمبهمات والمجاهيل، إلا أنه ثابت، وعليه عمل السَّلف– كما سيذكره أبو عبيد.

ويشهد له ما رواه أبو داود في سننه (٨٨٤) قال: «حدثنا محمد بن المثنى، حدثني محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن موسى بن أبي عائشة، قال: كان رجل يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ: «أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ»، قال: سبحانك! فبلى، فسألوه عن ذلك، فقال: سمعته من رسول الله ق ». اهـ

فسقط منه الراوي بين موسى بن أبي عائشة والصحابي؛ وذلك لأن موسى لا يروي عن الصحابة مباشرة، وشعبة بن الحجَّاج لا يسند غالبًا إلا عن الثقات، وموسى بن أبي عائشة ثقـة، مخـرجٌ لـه في الصحيح، لكنه موصوفٌ بكثرة الإرسال. وجهالة الصحابي لا تضر.

١٧١ – وحدثنا أبو أحمد الزُّبيري، عن سفيان، عن عمر بن عطية، قال:

سمعت أبا جعفر محمد بن علي، يقول:

«إذا قرأت: @قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ![الإخلاص:١]؛ فقل أنت: الله أحد، الله الصمد. وإذا قرأت: @قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ![الفلق:١]؛ فقل أنت: أعوذ برب الفلق. وإذا قرأت: @قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ![الناس:١]؛ فقل أنت: أعوذ برب الناس».

قال أبو عبيد:

ويُروى عن معمر بن راشد، أن حُجْرًا المدري[1] قام ليله يصلي، فاستفتح الواقعة، فلما انتهى إلى قوله تعالى: @أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ – ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ![الواقعة:٥٨-٥٩]؛ فقال: بل أنت يا رب!

ثم قرأ: @أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ – ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ![الواقعة:٦٣-٦٤]؛ فقال: بل أنت يا رب!

---

(١) هو: حُجر بن قيس الهمداني المدري اليماني، ويقال له: الحجوري. روى عن زيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وعلي بن أبي طالب ن. وروى عنه شداد بن جابان، وطاوس بن كيسان.

وهو صاحب حديث: «أن النبي ق قضى بالعمرى للوارث». يرويه عن زيد بن ثابت.

وترجم له العجلي في الثقات (٢٧٣) بقوله: «يماني تابعي ثقة، وكان من خيار التابعين؛ دعاه محمد ابن يوسف وهو أمير اليمن، فقال: إن أخي الحجاج بن يوسف كتب إليَّ أن أقيمك للناس، فتلعن علي بن أبي طالب ط! فقال: اجمع لي الناس، فجمعهم، فقام، فقال: ألا إن الأمير محمد بن يوسف أمرني بلعن علي بن أبي طالب ط! فالعنوه، لعنه الله– يقصد الأمير». اهـ



ثـــم قـــرأ: @أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ – ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ! [الواقعة:٦٨-٦٩]؛ فقال: بل أنت يا رب!

ثـم قـرأ: @أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ – ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ! [الواقعة:٧١-٧٢]؛ فقال: بل أنت يا رب!»[1].

١٧٢ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن السُّدي

عن عبد خير، قال:

سمعـت عليًّـا ط، قـرأ في الـصلاة: @سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ! [الأعلى:١]؛ فقال: «سبحان ربي الأعلى».

١٧٣ – حدثنا هشيم، عن حجاج بن أرطاة

عن عمير بن سعيد، قال:

سمعت أبا موسى الأشعري ط قـرأ: @سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ! [الأعلى:١]؛ فقال: «سبحان ربي الأعلى».

١٧٤ – حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير

عن ابن عمر م:

---

(١) وفي السنن الكبير للبيهقي، أن حُجرًا المدري، قال: «بتُّ عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ط فسمعته وهو يصلي من الليل، يقرأ... فذكره».

أنه قرأ: @سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ! [الأعلى:١]؛ فقال: «سبحان ربي الأعلى».

وحدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس  أنه قال مثل ذلك أيضًا.

وحدثنا ابن أبي زائدة، عن وقاء بن إياس، عن سعيد بن جبير، أنه قال مثل ذلك أيضًا.

١٧٥ – وحدثنا يزيد، عن الجريري، عن أبي السليل[1]

عن صلة بن أشيم، قال:

«إذا أتيت على هذه الآية: @وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ! [الرحمن:٢٧]؛ فقف عندها؛ وسل الله الجليل»[2].

١٧٦ – قال أبو عبيد:

وحدثنا يوسف بن الغرق، بإسناد لا أحفظه[1]، قال:

---

(١) اسمه: ضريب بن نقير، أبو السليل القيسي الجريري البصري.

(٢) لأنه قال في الآية التي بعدها: «يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ».

وفي الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا (٢٤٤) عن حميد بن هلال، قال: قال رجل: «رحم الله رجلًا أتى على هذه الآية: «وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ»؛ فسأل الله بذاك الوجه الباقي الكريم».



«كان يستحب للقارئ إذا أتى على هذه الآية، أو على هؤلاء الآيات: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف:٩٧] أن يرفع بها صوته».



(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١١٩) مسندًا من طريق أخرى، قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، قال: حدثنا أبو يعلى، قال: حدثنا المقدمي، قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، عن أبي عقيل، قال: سمعت أبا نضرة، يقول: «يُستحب إذا قرأ الرجل هذه الآية: «أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ»، أن يرفع بها صوته».

وفيه عن المعلى بن زياد، قال: «كان هرم بن حيان يخرج في بعض الليل، وينادي بأعلى صوته: «عجبت من الجنة كيف ينام طالبها؟! وعجبت من النار كيف ينام هاربها؟! ثم قرأ: «أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ»، ثم يقرأ: «والعصر» و«ألهاكم» ثم يرجع إلى أهله». اهـ

وفي التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا، عن مغيرة قال: «كان عروة بن رويم إذا نام الناس بالبصرة، خرج فنادى في سككها: يا أهل البصرة! الصلاة الصلاة! ثم يتلو هذه الآية: «أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ». اهـ



باب: ما يستحب لقارئ القرآن من الترسل في قراءته والترتيل والتدبر

١٧٧ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج

عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

قال: «ترسل فيه ترسيلاً»(١).

١٧٨ – حدثنا أحمد بن عثمان، عن عبدالله بن المبارك، عن الليث بن سعد، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك

عن أم سلمة ك:

أنها نعتت قراءة رسول الله ق قراءة مفسرة حرفًا حرفًا(٢).

---

(١) وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس م، قال: «شيئًا بعد شيء».
وقال الحسن في قوله: «وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا»: اقرأه قراءة بينة. وعن قتادة، قال: «بيِّنه بيانًا».
وقال مجاهد: «بعضه على أثر بعض». وعن سعيد بن جبير، قال: «فسره تفسيرًا».
والأصل في ذلك قوله تعالى: «كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ».
وحديث عبدالله بن عمرو م عن النبي ق قال: «يقال لصاحب القرآن يوم القيامة: اقرأ وأرق ورتل، كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».
ومن فوائد الترتيل، أنه يعين على فهم المعاني سواء للقارئ أو لمن يسمعه.
(٢) رواه أحمد، والترمذي.

=



١٧٩ - حدثني يحيى بن سعيد الأموي، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة

عن أم سلمة ك، قالت:

كان رسـول الله ق يُقَطِّع قراءتـه: @بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ - الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ !(١). @ملك(٢) يوم الدين!.

وفي صحيح البخاري عن قتادة، قال: «سئل أنس بن مالك ط: كيف كانت قراءة النبـي ق؟ فقال: كانت مدًا، ثم قرأ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ »؛ يمدُّ ببسم الله، ويمدُّ بالرحمن، ويمدُّ بالرحيم».

(١) لا يؤخذ من هذا جواز الجهر بـ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ » في الصلاة؛ للأمور التالية:

أولًا: ليس فيه أن قراءته هذه كانت في الصلاة، وليس فيه إشارة إلى الجهر أو الإسرار.

ثانيًا: لو قلنا: إنها في صلاة، فليست بفريضة؛ لأنها ك ذكرت في رواية أخرى أنه كان يـصلي في بيتها، وأنها في صلاة الليل، فيحتمل أن تكون سمعته يقرأ غير جاهر بها، لقربها منه.

ثالثًا: أنها أرادت التمثيل وتطبيق الترسل، لا حكاية فعله ق في الصلاة.

رابعًا: أن الذين لازموه في صلاة الجماعـة حـدَّثونا أنـه ق كـان يبـدأ القـراءة بــ«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »، بل سمى بعض الصحابة الجهرَ بالتسمية (مُحْدَث)، كما سيأتي.

خامسًا: قال ابن رجب في شرح البخاري (٤/ ٣٥٩): «قراءة هذه الآيات على هـذا الوجـه، إنـما هو من حكاية ابن جريج لحديث أم سلمة... يدل على صحة هذا: ما خرَّجه الإمام أحمد من طريـق نافع، عن ابن أبي مليكة، عن بعض أزواج النبي ق - قال نافع: أراهـا حفـصة- أنهـا سـئلت عـن قراءة النبي ق؟ فقالت: إنكم لا تستطيعونها، فقيل: أخبرينا بها، فقرأت قراءة ترسلت فيهـا. قـال نافع: فحكى لنا ابن أبي مليكة: «الحمد لله رب العالمين»، ثم قطـع. «الـرحمن الـرحيم»، ثـم قطـع. «مالك يوم الدين». ففي هذه الرواية: تصريح ابن جريج بأن هذه القراءة إنما هي حكاية ما قرأ لهـم ابن أبي مليكة. وفي لفظ الحديث اختلاف في ذكر البسملة وإسقاطها». اهـ

(٢) قال ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٣٩٥): «سـمعت أبي يقـول في هـذا الحـديث: إنـما هـو الحديث في تقطيع القراءة والترسل فيها، وأما قوله: «ملك»، فيقال: إنها قـراءة ابـن جـريج، لا أنـه =



هكذا قال ابن أبي مليكة[١].

١٨٠ – حدثنا جرير، عن مغيرة

عن إبراهيم، قال:

قرأ علقمة على عبدالله ط، فكأنه عجل، فقال عبدالله: «فداك أبي وأمي رتل، فإنه زين القرآن». قال: وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن[٢].

رواها عن ابن أبي مليكة. ثم روى عن الكسائي، قال: قراءتهم، يعني أهل مكة «ملك»، وإنما روى هذا الحديث لتقطيع القراءة، ولا أدري ما قولهم: «ملك». قال ابن أبي داود: ومما يدل على أنه كما قال أبي، وكما قال الكسائي، أن نافع بن عمر روى هذا الحديث عن ابن أبي مليكة، فقال: «مالك». اهـ

وقال أبو داود في سننه (٤/ ٦٥): «سمعت أحمد يقول: القراءة القديمة «مالك يوم الدين»». اهـ

والصحيح- والله أعلم- أن (ملك يوم الدين) قراءة سبعية صحيحة؛ قرأ بها السَّبعة إلا عاصمًا والكسائي ويعقوب، وقد قرأ النبي ق (مالك يوم الدين) بإثبات الألف وحذفها، وأخذ أصحابه عنه ذلك. وممن قرأ بالقصر- أي حذف الألف- أبو الدرداء وابن عباس وابن عمر ن. لكن كما قال أحمد: القراءة القديمة «مالك يوم الدين».

وقال أبو منصور الأزهري في كتابه معاني القراءات (١/ ١١٠): «القراءتان كلتاهما ثابت بالسُّنة، غير أن (مالك) أحبُّ إليَّ؛ لأنه أتم». اهـ

(١) أراد أبو عبيد بقوله: «هكذا قال ابن أبي مليكة». أي: «ملك يوم الدين» بغير ألف، وقد تقدَّم أنه رويت عنه القراءتان.

والحديث رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وقال: «ليس إسناده بمتصل». ومقصود الترمذي: أن ابن أبي مليكة لم يسمعه من أم سلمة، وإنما رواه عن يعلى بن مملك، كما في الإسناد السابق.

(٢) وفي حلية الأولياء (٢/ ٩٩) عن علقمة، قال: «كنت رجلًا قد أعطاني الله حُسن الصوت =



١٨١ - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب

عن أبي جمرة[(١)]، قال:

قلت لابن عباس ﭫ: إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث. فقال: «لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدَّبَّرها وأرتلها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ كما تقول».

وحدثنا حجاج، عن شعبة، وحماد بن سلمة، عن أبي جمرة، عن ابن عباس، نحو ذلك.

إلا أن في حديث حماد: «أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن أَجْمَعْ هذرمة»[(٢)].

بالقرآن، وكان عبدالله بن مسعود ﰀ يرسل إليَّ فأقرأ عليه القرآن، قال: فكنت إذا فرغت من قراءتي؛ قال: زدنا من هذا».

(١) بالجيم والراء، وتصحَّفت في الأصل وفي كثير من المصادر بالحاء والزاي (حمزة).

وهو: نصر بن عمران الضبعي البصري، أبو جمرة صاحب ابن عباس ﭫ، أقام بسرخس مريضًا وتوفي بها. قال ابن عبدالبر: أجمعوا على أنه ثقة.

(٢) وفي رواية أخرجها سعيد بن منصور في التفسير من سننه (١٦١) قال: «فإن كنت لا بد فاعلاً، فأقرأ قراءة تُسْمِعُ أذنيك وتُوعِيه قلبك». اهـ

والهذرمة: هي السرعة في القراءة والكلام، وهي صفة مذمومة. انظر غريب الحديث للمؤلِّف.

وقد ذمَّ الله قومًا في القرآن، وسماهم أميين؛ وهم الذين يحفظون الكتب المنزلة، ولا يعلمون أحكامها وحلالها وحرامها، فقال تعالى: «وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ».

وعن ابن مسعود ﰀ قال: «لا تنثروه نثر الدَّقَل، ولا تهذوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكون همّ أحدكم آخر السورة».

=

١٨٢ – حدثنا يزيد، عن يحيى بن سعيد

عن رجل، حدثه عن أبيه:

أنه سأل زيد بن ثابت ط عن قراءة القرآن في سبع؟

فقال: «حسن، ولأن أقرأه في عشرين أو في النصف أحبُّ إليَّ من أن أقرأه في سبع، وسلني عن ذلك؛ أردده وأقف عليه»(١).

وحدثنا أبو النضر، عن شعبة، عن عبد ربه، ويحيى ابني سعيد، عن رجلٍ تَبَّان(٢) من أهل المدينة، عن أبيه، عن زيد بن ثابت ط، مثل ذلك.

وقال علي ط: «لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها». رواه أبو نعيم في الحلية.

وفي الزهد لابن المبارك (٢٨٧) قال محمد بن كعب القرظي: «لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ«إذا زلزلت» و«القارعة» لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأتفكر، أحبُّ إليَّ من أن أهُذَّ القرآن ليلتي هَذًّا» أو قال: «أنثره نثرًا». وكذلك قال ابن عباس م.

وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ٢٩٧): «قال أحمد: تعجبني القراءة السهلة، وأكره السرعة في القراءة. وقال حرب: سألت أحمد عن السرعة في القراءة؛ فكرهه، إلا أن يكون لسان الرجل كذلك، أو لا يقدر أن يترسل، قيل: فيه إثم؟ قال: أما الإثم، فلا أجترئ عليه». اهـ

(١) وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور (١٦٢) عن زيد بن ثابت ط، قال: «لأن أقرأه في شهر أحبُّ إليَّ من خمسَ عشرة، وخمسَ عشرة أحبُّ إليَّ من عشرٍ، وعشرٌ أحبُّ إليَّ من سبعٍ؛ أقف عند ما ينبغي أن أقف عنده، وأدعو الله عَزَّوَجَلَّ، وأسأل».

(٢) أي: يبيع التِّبْن في المدينة. والتِّبْن: عصيفة الزرع من البُر ونحوه، واحدته تِبْنَة. انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٥٠٣).



١٨٣ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان

عن عبيد المُكْتِب، قال:

قلت لمجاهد: رجل قرأ البقرة وآل عمران، ورجل قرأ البقرة؛ قيامهما واحد، وركوعهما واحد، وسجودهما واحد، وجلوسهما واحد، أيهما أفضل؟ فقال: «الذي قرأ البقرة، ثم قرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦]»(١).

---

(١) وهذه قاعدة في جميع العبادات: أن الإحسان مقدم على الكثرة؛ قال تعالى: «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا». وعلى هذا فلو صلى رجل راتبة الفجر، فقرأ في الأولى بـ «قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ»، وفي الثانية بـ «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ»؛ لكان أكثر ثوابًا من رجل قرأ في الركعتين بالبقرة كاملة، لأن الأول وافق السُّنة فَحَسُنَ عمله.

وفي صحيح مسلم، عن أبي وائل، قال: «جاء رجل يقال له: نهيك بن سنان إلى عبدالله بن مسعود ط فقال: إني لأقرأ المفصل في ركعةٍ، فقال: هَذًّا كَهَذِّ الشِّعر؛ إن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه؛ نفع».

وروى سعيد بن منصور في سننه (٤٨٥) عن وقاء بن إياس الأسدي، قال: «سمعني سعيد بن جبير ليلة وأنا أقرأ: البقرة، وآل عمران، والنساء. قال: ألم أسمعك قرأت البارحة: البقرة، والنساء، وآل عمران؟ قلت: بلى. قال: فلا تفعل، عليك بآل حم، والمفصل؛ وقد قال عمر بن الخطاب ط: من قرأ البقرة، والنساء، وآل عمران، كُتب عند الله من الحكماء».

لعلَّه قرأها هَذًّا كَهَذِّ الشِّعر، فنهاه سعيد وأرشده إلى قراءة (آل حم، والمفصل)، وتدبر معانيها.

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/ ١٩٣): «لو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر؛ لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فقراءة آية بتفكر خير من ختمة بغير تدبر وتفهم». اهـ

وقد جاء الأمر بالتدبر في أربع آيات من القرآن:

=





الأولى: في سورة «النساء»: « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ».

والثانية: في سورة «المؤمنون»: « أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ».

والثالثة: في سورة «ص»: « كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ».

والرابعة: في سورة «محمد»: « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ».

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٤٢) عن وهيب بن الورد، قال: «نظرنا في هذا الحديث فلم نجد شيئًا أرق لهذه القلوب، ولا أشد استجلابًا للحق من قراءة القرآن لمن تدبره».



باب: ما يستحب للقارئ من تحسين القرآن وتزيينه بصوته

١٨٤ – حدثنا أبو النضر، عن شعبة، قال: حدثني معاوية بن قرة، قال:

سمعت عبدالله بن مغفل ط، يقول:

رأيت رسول الله ق يوم الفتح على ناقته أو جمله يسير وهو يقرأ سورة الفتح، أو من سورة الفتح.

ثم قرأ معاوية(١) قراءة لينة ورجَّع(٢)، ثم قال: لولا أني أخشى أن يجتمع الناس علينا؛ لقرأت ذلك اللحن(٣).

---

(١) هو معاوية بن قرة، أبو إياس.

(٢) رجَّع: أي ردَّد صوته في حلقه بالقراءة.

(٣) رواه البخاري ومسلم. وفي البخاري، قال شعبة بن الحجاج لمعاوية: «كيف كان ترجيعه؟ قال: آ آ آ، ثلاث مرات».

وقيل في ضبطها: (أ اْ أ) بهمزة مفتوحة، بعدها ألف ساكنة، ثم همزة أخرى.

والترجيع في تلاوة القرآن له معانٍ متعددة:

منها: تحسين التلاوة مع التأني والتؤدة والخشوع، ومنه حديث أم هانئ: «كنت أسمع صوت النبي ق وهو يقرأ، وأنا نائمة على فراشي؛ يُرجِّع القرآن». أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار.

ومنها: ترديد الصوت أثناء القراءة لاسيما في المدود والهمزات، ومنه حديث عبدالله بن مغفل.

=



١٨٥ - حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: حدثنا طلحة بن مصرف، عن عبدالرحمن بن عوسجة

عن البراء بن عازب ، قال: قال رسول الله :

«زينوا القرآن بأصواتكم»[1].

ولا خلاف بين العلماء في أن هذا الترجيع لم يكن ترجيع غناء؛ سواء قلنا بأنه كان صادرًا من حركة الدابة تحته، أو أنه تعمد ذلك وأنه كان اختيارًا لا اضطرارًا لهز الناقة له. فالترجيع يطلق ويراد به طريقة الأداء، ولحن اللغة نفسها في طبيعتها، لا لحن القراءة المصطنعة المتكلّفة.

وذهب بعض المعاصرين إلى أن الترجيع المقصود في الحديث هو تكرار الآية، ومنهم الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال في أثناء تقريره على صحيح البخاري، في الحديث رقم: (٤٢٨١) في قول معاوية بن قرة (آ آ آ): «إن هذا الظاهر فيه أنه وَهْمٌ من بعض الرواة في تفسير الترجيع؛ لأن هذه الأحرف لا تدل على معنى، والمقصود من ترديد القراءة: الفائدة والخشوع، فالترجيع: هو ترديد القراءة. وقال: معنى ترجيع القراءة: أي ترديد القراءة هكذا: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا». «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا». «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» للخشوع والتدبر، وهذا هو معنى الترجيع في القراءة، وكان يسرد القراءة إلا في بعض الأحوال، وقد قام ليلة بآية: « إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ »، فالترجيع سنة عند الحاجة فقط». اهـ

وما قاله هو الأقرب للصواب؛ لأن ترديد الحروف لم يكن معهودًا عند السَّلف.

ومن فوائد الحديث: أنه دليلٌ على عدم تقليد أصوات القراء أو محاكاتها، ولو كان ذلك مستحبًا لفعله الصحابة مع رسول الله .

والمراد باللحن هنا: الترجيع، ويدل على أن مراده الترجيع، وروده مصرحًا به في رواية البخاري في كتاب المغازي من صحيحه بلفظ: «لولا أن يجتمع الناس حولي؛ لرجَّعتُ كما رجَّع». اهـ

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والدارمي؛ وفيه زيادة: «فإن الصوت الحسن؛ يزيد القرآن حُسنًا». وسيأتي برقم (١٩٩) أن أيوب السختياني نهى شعبة أن يحدث بهذا الحديث لعلَّةٍ ستأتي.

=



قال[١]: نسيتها، فذكرنيها الضحاك[٢].

١٨٦ – حدثنا يحيى بن بكير، عن يعقوب بن عبدالرحمن القاري، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه

عن أبي هريرة ط، عن النبي ق قال:
«زينوا أصواتكم بالقرآن»[٣].

وقال البغوي في شرح السنة (٤/ ٤٨٦): «وفيه دليلٌ على أن المسموع من قراءة القارئ هو القرآن، وليس بحكاية القرآن». اهـ

لا كما تقول الأشاعرة الكافرة.

(١) القائل: هو عبدالرحمن بن عوسجة.

(٢) هو: الضحاك بن مزاحم.

والضمير في قوله: «فذكرنيها الضحاك»، يعود إلى قوله في الحديث: «زينوا القرآن بأصواتكم».

وقد جاء ذلك مصرحًا به في خلق أفعال العباد للبخاري (١/ ٦٨) وفيه: «قال عبدالرحمن بن عوسجة: وكنت أُنسيت: «زينوا القرآن بأصواتكم»،حتى أذكرنيه الضحاك بن مزاحم».

وقال البيهقي في السنن الكبرى (٢١٥٧٦): «هذا حديث طويل؛ قد رواه جماعة عن طلحة بن مصرف إلا أن عبدالرحمن بن عوسجة كان يشك في هذه اللفظة، وقال في رواية شعبة عن طلحة بن مصرف عنه: كنت نسيت هذه الكلمة، حتى ذكرنيها الضحاك بن مزاحم». اهـ

(٣) رواه أبو عوانة في مستخرجه في حديث طويل مرفوعًا عن أبي هريرة ط.

ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفًا على عمر ط بلفظ: «حسِّنوا أصواتكم بالقرآن».

وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (١/ ٧٣) عن صالح، أنه قال لأبيه: «زينوا القرآن بأصواتكم، ما معناه؟ قال الإمام أحمد: التزيين: أن تُحسِّنه». اهـ

=



١٨٧ - حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة

عن أبي هريرة ط، عن النبي ق قال:

«ما أَذِنَ الله لشيء كأَذَنِهِ لنبي يتغنى بالقرآن؛ يجهر به»[1].

وقال الآجري في أخلاق حملة القرآن (١/ ٨٨): «ينبغي لمن رزقه الله حسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله قد خصَّه بخير عظيم، فليعرف قدر ما خصَّه الله به، وليقرأ لله لا للمخلوقين، وليحذر من الميل إلى أن يستمع منه؛ ليحظى به عند السامعين، رغبة في الدنيا والميل إلى حسن الثناء والجاه عند أبناء الدنيا، والصلاة بالملوك دون الصلاة بعوام الناس، فمن مالت نفسه إلى ما نهيته عنه خِفتُ أن يكون حُسْن صوته فتنة عليه، وإنما ينفعه حُسْن صوته إذا خشي الله عَزَّوَجَلَّ في السِّر والعلانية، وكان مراده أن يستمع منه القرآن؛ لينتبه أهل الغفلة عن غفلتهم، فيرغبوا فيما رغبهم الله عَزَّوَجَلَّ وينتهوا عما نهاهم، فمن كانت هذه صفته؛ انتفع بحسن صوته، وانتفع به الناس». اهـ

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والدارمي، وفي لفظ: «ما أَذِنَ الله لشيء ما أَذِنَ لنبيٍّ...».

وقوله: «كأَذَنِهِ»: بفتح الألف والذال، وهو مصدر أَذِنَ يَأذَن أَذَنًا، كفرح يفرح فَرَحًا.

وفي إصلاح غلط المحدثين (١/ ٦٢):«كأَذَنِه: الألف والذال مفتوحتان، مصدر أَذِنْتُ للشيء أَذَنًا، إذا استمعتُ إليه، ومن قال: كإذنِهِ، فقد وَهِمَ». اهـ

ومعنى: «ما أذن الله لشيء» أي: ما استمع الله لشيء، كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها.

وفي هذا دليلٌ على إثبات صفة «الأَذَن» لله؛ وهي بمعنى الاستماع، وهو استماعٌ حقيقيٌّ يليق بالله لا يشابه صفات خلقه، بل هو على الوجه اللائق به، وهو سبحانه لا يشغله سمعٌ عن سمع.

ومعنى: «يتغنى بالقرآن». أي: الجهر بالقراءة مع التحزين.

قال عبدالله بن أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٣٤٧): «حدثني محمد بن سَلام الجُمَحِي، قال: سمعت حماد بن سَلمَة يقرأ الشجن». اهـ

والشجن: هو التحزين.

=



وحدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ط، مثل ذلك، ولم يرفعه.

١٨٨ – حدثني هشام بن عمار، عن يحيى بن حمزة، عن الأوزاعي، قال: حدثني إسماعيل بن عبيدالله

عن فضالة بن عبيد، عن النبي ق قال:

«لله أشد أذانًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَيْنَة إلى قَيْنَته»[1].

قال أبو عبيد:

هذا الحديث بعضهم يزيد في إسناده يقول: عن إسماعيل بن عبيدالله، عن مولى فضالة، عن فضالة[2].

وقال أبو عبيد في غريب الحديث (٢/ ١٤١): «ما جاء عن طاوس أنه قال: «أقرأ الناس للقرآن: أخشاهم لله تعالى» فهذا تأويل حديث النبي ق : «ما أذن الله لشيء، كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن أن يجهر به». وهو تأويل قوله: «زينوا القرآن بأصواتكم». اهـ

(١) رواه أحمد، وابن ماجه.

وقوله في الحديث: «أذانًا»؛ هكذا في جميع نسخ الأصل بزيادة ألف بعد الذال المعجمة، وفي كلام العرب بدونها؛ كما سيذكره أبو عبيد.

(٢) كما في سنن ابن ماجه، والإبانة الكبرى لابن بطة، وخلق أفعال العباد للبخاري؛ فإنهم رووه عن إسماعيل بن عبيدالله، عن ميسرة مولى فضالة، عن فضالة بن عبيد.

ورواه الإمام أحمد في مسنده مرَّةً عن مولى فضالة، ومرَّةً بدونه.



وقوله: «أشد أذانًا» هكذا الحديث، وهو في كلام العرب: «أشد أذنًا». يعني: الاستماع.

وهو قوله في الحديث الآخر: «ما أَذِنَ الله لشيء» أي: ما استمع[(١)].

١٨٩ - حدثنا يزيد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة

عن أبي هريرة ط، قال:

دخل رسول الله ق المسجد، فسمع قراءة رجل، فقال: «من هذا؟» قيل: عبدالله بن قيس[(٢)]، فقال: «لقد أوتي هذا من مزامير آل[(٣)] داود».

وحدثنا عبدالله بن صالح، وأبو النضر، عن الليث، قال: حدثني ابن شهاب، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، عن النبي ق، وأبي موسى ط، مثل ذلك ونحوه.

وحدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة، أن رسول الله ق قال ذلك لأبي موسى ط.

---

(١) ومنه قوله تعالى: «وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ». أي: استمعت.

(٢) هو أبو موسى الأشعري ط. والحديث رواه أحمد، والدارمي، وأصله في الصحيحين.

(٣) قيل: المقصود داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ نفسه؛ لأن ما أضيف إلى أهل الرجل أو آله، فهو المراد به أولًا، لأن المزامير كانت لداود لا لغيره من آله. ومثله قوله تعالى: «فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ». وقوله تعالى: «وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ».

وقيل: يجوز أن يكون المراد أهل بيته جميعًا، فإن حسن الصوت يُتوارث.

والمقصود بالمزمار هنا: الصوت الحسن، فمن رزقه الله شيئًا من ذلك فليجعله في القرآن، ومن لم يُرزق فليُحسِّن ما استطاع، دون تكلُّفٍ أو تعلم ألحان.



١٩٠ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا سليمان التيمي، أو نبئت عنه، قال:

حدثنا أبو عثمان النهدي، قال:

«كان أبو موسى ط يصلي بنا، فلو قلت: إني لم أسمع صوت صَنْج[(١)] قط، ولا صوت بَربط[(٢)] قط، ولا شيئًا قط أحسن من صوته»[(٣)].

١٩١ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن يونس، عن ابن شهاب

عن أبي سلمة قال:

كان عمر ط إذا رأى أبا موسى ط، قال: «ذَكِّرنا ربنا يا أبا موسى!»؛ فيقرأ عنده.

١٩٢ – حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن حيي بن عبدالله المعافري

عن أبي عبدالرحمن الحُبلي:

---

(١) الصَّنْج: بفتح الصاد وسكون النون بعدها جيم، هي آلة تتخذ من صفر (نحاس)، يضرب أحدهما بالآخر. وقيل: آلة ذات أوتار يُلعب بها. لسان العرب (٢/ ٣١١).

(٢) البربط: ببائين بينهما راء ساكنة ثم طاء، وهي آلة تشبه العود، من ملاهي العجم. لسان العرب (٧/ ٢٥٨).

(٣) وفي لفظ قال: «أدركت الجاهلية، فما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا مزمار ولا ناي أحسن صوتًا من صوت أبي موسى الأشعري بالقرآن، وإن كان ليصلي بنا صلاة الصبح، فنود لو قرأ بالبقرة من حُسن صوته». انظر: التدوين في أخبار قزوين، والاستيعاب في معرفة الأصحاب.



أنه سمع عقبة بن عامر ط، يقول: قال: وكان عقبة أحسن النـاس صوتًا بالقرآن. قال عمر: «يا عقبة! اعرض عليَّ سـورة». قـال: فعـرض عليه @بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ! [التوبة:١] [(١)].

١٩٣ - حدثنا حجاج

عن ابن جريج، قال:

قلت لعطاء: ما تقول في القراءة على الألحـان؟ فقـال: «ومـا بـأس ذلك؟ سمعت عبيد بن عمير يقول: كان داود يفعل كـذا وكـذا؛ لـشيء ذكره، يريد أن يَبْكِي بذلك ويُبْكِي، وذكر شيئًا كرهته»[(٢)].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء، عن أبي عبدالرحمن الحبلي، وفي آخره قال: «فقرأها عليه، فبكى عمر بكاء شديدًا، ثم قال: ما كنت أظن أنها أنزلت».

أي: كأني أسمعها لأول مرة، من شدة تأثره بها.

(٢) قال الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١/ ٧٧): «أخبرنا أبو بكر المـروذي، قـال: قلت لأبي عبدالله- الإمام أحمد-: إن رجلًا له جارية تقرأ بالألحان، وقد خرَّج أحاديث يحـتج بهـا؟ فأنكر أن يكون على معنى الألحان، قلت: وقد روى ابن جريج، عن عطاء أنه لم يـر بقـراءة الألحـان بأسًا؟ فقال: «قد روي عن ابن جريج شيء، ليس أدري كيف هو؟»».

وقال الخلال: «سألت أحمد بن يحيى النحوي ثعلب عن قوله: «ليس منا مـن لم يـتغن بـالقرآن»؟ فقال بعضهم: إلى أنه الغناء، يترنم به. وبعضهم يذهب إلى الاستغناء، وهو الذي عليه العمل.

وسمعت إبراهيم الحربي، يقول: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»، قال: «يعني: حَسِّنوا أصـواتكم على قدر ما يُمكنكم، ومعنى: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»، قال: «يستغني بالقرآن».

=

قال أبو عبيد:

وعلى هذا المعنى تحمل هذه الأحاديث التي ذكرناها في حسن الصوت، إنما هو طريق الحزن والتخويف والتشويق؛ يبين ذلك حديث أبي موسى ط: أن أزواج النبي ق استمعن قراءته، فأخبر بذلك، فقال: لو علمت؛ لشوقتُ تشويقًا، أو حبَّرتُ تحبيرًا.

فهذا وجهه، لا الألحان المطربة الملهية، وقد روي في ذلك أحاديث مفسرة مرفوعة، وغير مرفوعة(١).

١٩٤ – حدثنا قبيصة، عن سفيان عن ابن جريج عن طاوس، عن أبيه، وعن الحسن بن مسلم عن طاوس، قال:

سئل رسول الله ق: أي الناس أحسن صوتًا بالقرآن؟ فقال: «الذي إذا سمعته؛ رأيته يخشى الله تعالى». أو قال: سئل أي الناس أحسن قراءة؟ فقال: «الذي إذا سمعته رأيته يخشى الله عَزَّوَجَلَّ»(٢).

قال أبو بكر الخلال: فعرضت قول إبراهيم الحربي على بعض أهل المعرفة بطرسوس، وسمع بعض هذه الكتب، فأنكر قوله الأول في يتغنَّى، وقال: إنما هو أن له تفسيرين». اهـ

وسيأتي بيان التفسيرين في الأثر رقم: (٢٩٨).

(١) يراجع في ذلك كتاب البدع لابن وضاح، النشرة الأولى لدار الأمر الأول؛ ففي حواشيه بحثٌ نفيسٌ عن قراءة القرآن بالألحان.

(٢) رواه الدارمي في سننه، وابن أبي شيبة، وعبدالرزاق في مصنفيهما، جميعًا مرسلًا عن طاوس.

=



١٩٥ - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ليث

عن طاوس، قال:

«أحسن الناس صوتًا بالقرآن؛ أخشاهم لله تعالى».

١٩٦ - وحدثني نعيم بن حماد، عن بقية بن الوليد

عن حصين بن مالك الفزاري، قال:

سمعت شيخًا- يُكنى أبا محمد- يحدث عن حذيفة بن اليمان ، قال: قال رسول الله : «اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين، وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم»[1].

ورواه ابن ماجه في سننه مرفوعًا عن جابر بن عبدالله وفي سنده ضعف، ورواه الضياء في المختارة مرفوعًا عن ابن عباس ، ورواه عبد بن حميد في مسنده مرفوعًا عن ابن عمر .

قال الدارقطني في العلل (١٢/ ٣٨٥): «لا يصح». اهـ

وسيأتي عن طاوس من كلامه، ومعناه صحيح؛ فإن انكسار القلب بالخشية يحدث في الصوت نغمة مؤثرة لا يُمَلُّ منها.

(١) رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ، والمروزي في مختصر قيام الليل، والطبراني في الأوسط. ولا يصح مرفوعًا، بل وقفه على حذيفة أصح، ويراجع ما كُتب عليه من تعليق في كتاب البدع لابن وضاح، النشرة الأولى لدار الأمر الأول، عند الأثر رقم: (٥٨).

=



١٩٧ – وحدثنا يزيد، عن شريك، عن أبي اليقظان عثمان بن عمير، عن زاذان أبي عمر

عن عليم، قال:

كنا على سطح، ومعنا رجل من أصحاب النبي ق - قال يزيد: لا أعلمه إلا قال: عبس الغفاري ط[1]- فرأى الناس يخرجون في الطاعون، فقال: ما هؤلاء؟! قالوا: يفرون من الطاعون. فقال: يا طاعون! خذني. فقالوا: أتتمنى الموت، وقد سمعت رسول الله ق يقول: «لا يتمنين أحدكم الموت»؟ فقال: «إني أبادر خصالاً سمعت

وروى النيسابوري في مناقب مالك، بإسناده عن عبدالله بن مطرف الضبي، ومطرف بن عبدالله، قالا: «سمعنا مالكًا يقول: من قرأ بالتمطيط والتمديد والألحان، ضُرب ضربًا وجيعًا، وحبس حتى يتوب من ذلك؛ وإنما هؤلاء قوم رفعوا أنفسهم عن الغناء، فجعلوا كتاب الله يتغنون به، ولقد أدركتُ أهل العلم والفقه ببلدنا وإنهم لهذا أشد كراهية من الغناء، ولا أدري أي شيطان ألقى في أفواه الناس هذا؟!». ذكره البقاعي في مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ٣١٢).

وقال سهل التستري في تفسيره (١/ ٢١): «وإني أخاف بعد سنة ثلاثمئة إلى ما فوقها، أن يندرس القرآن بالتشاغل بالألحان والقصائد والأغاني، قيل له: وكيف ذلك يا أبا محمد؟! فقال: لأنهم ما أحدثوا هذه الألحان والقصائد والأغاني إلا للتكسّب بها، حتى ملك إبليس قلوبهم، كما ملك قلوب شعراء الجاهلية، وحُرِموا فهم القرآن والعمل لله به».

فمن أعجبه شأنهم؛ فهو مفتونٌ مثلهم- كما قال حذيفة ط.

(١) قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/ ٣٥): «عابس الغفاري، ويقال: عبس الغفاري، له صحبة». وهكذا قال البخاري في التاريخ الكبير.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة (٣/ ١٠٤): «نزل بالكوفة، روى عنه أبو أمامة الباهلي، وعُليم الكِنْدي، وزاذان أبو عمر». اهـ



رسول الله ق يتخوفهن على أمته: بيعَ الحُكم، والاستخفاف بالدم، وقطيعة الرحم، وقومًا يتخذون القرآن مزامير، يُقدِّمون أحدهم، ليس بأفقههم ولا أفضلهم، إلا ليغنيهم به غناء». وذكر خلتين أخريين[1].

وحدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان بن عمير، عن زاذان، عن عابس الغفاري، عن النبي ق بمثل ذلك أو نحوه.

١٩٨ - حدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن الأعمش، عن رجل

عن أنس بن مالك ط:

أنه سمع رجلاً يقرأ بهذه الألحان التي أحدث الناس، فأنكر ذلك، ونهى عنه.

١٩٩ - وحدثني يحيى بن سعيد

عن شعبة، قال:

---

(١) والخلتان هما: كثرة الشُّرَط، وإمارة الصبيان؛ كما في رواية أحمد في المسند، وعبدالرزاق في المصنف، والحاكم في المستدرك، والطبراني في الكبير.

وتمني الموت إنما نُهي عنه إذا كان لضُرٍّ نزل به، وليس خوفًا على دينه؛ كما قالت مريم: «يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا».

وبيع الحكم: الرشوة والحكم بالهوى. والاستخفاف بالدم: كثرة القتل.

وتقديم الإمام ليصلي بالناس، وليس فيه مزية إلا صوته هو الأصل في زماننا هذا، لا ينظرون في صلاحه وتقواه، إنما يريدون أن يغنيهم ويجلب الطغام لهم.



نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث: «زينوا القرآن بأصواتكم».

قال أبو عبيد:

وإنما كره أيوب فيما نرى: أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ في هذه الألحان المبتدعة، ولهذا نهاه أن يُحَدِّث به.

٢٠٠ - قال أبو عبيد(١):

سمعت أبا الحارث المكفوف، يسأل يزيد بن هارون في التغبير(٢)، فقال: «بدعة وضلالة».

---

(١) هذا الأثر غير موجود في الأصل، وجاء في المخطوطات الأخرى للكتاب.

(٢) في إحدى النسخ: «التعبير»، وفي غيرها: «التحبير»؛ وكله خطأ، والصواب ما أثبتناه.

والتغبير: هو شعر يُزهد في الدنيا، يغني به مغن؛ فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع أو مخدة على توقيع غنائه؛ ولهذا يسمى: الطقطقة بالقضيب، وهو بدعة مُحْدَثة يُتخذ للصدِّ عن القرآن:

ففي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (١/ ٧٥) قال أبو بكر الأثرم: «سمعت أبا عبدالله، يقول: التغبير: هو مُحْدَث».

وسأل يوسف بن موسى أبا عبدالله عن التغبير؟ فقال: «لا تسمعه، قيل له: هو بدعة؟ قال: حسبك».

وعن محمد بن الخليل، قال: «قال أبو عبدالله: أرى أن يُضرب صاحب التغبير».

وعن أبي الحارث، قال: «سألت أبا عبدالله: ما ترى في التغبير؟ إنه يرقق القلب؟ فقال: بدعة».

وعن هارون بن يعقوب الهاشمي، قال: «سمعت أبي: أنه سأل أبا عبدالله عن التغبير؟ فقال: هو بدعة ومُحْدَث».

وعن يعقوب بن بختان، أنه سأل أبا عبدالله عن التغبير؟ «فكرهه، ونهى عن استماعه».

وعن إسماعيل بن إسحاق الثقفي، أن أبا عبدالله سئل عن استماع التغبير، فكرهه.

=

قال: ما تقول في قراءة الحزن؟ قال: «فاذهب فحَزِّن نفسك في بيتك». قال: ما تقول في قراءة الألحان؟ قال: «بدعة». قال: يا أبا خالد! يشتهيه الناس. قال: «لك غيره»(١).



وعن الحسن بن الحروري، قال: «سمعت الشافعي محمد بن إدريس، يقول: تركت في العراق شيئًا يقال له: التغبير؛ أحدثه الزنادقة، يصدون به الناس عن القرآن».

وعن الحسن بن علي بن عمر المصيصي، قال: «سمعت أن جدي، قال: سمعت يزيد بن هارون، يقول: ما يُغَبِّر إلا فاسق، ومتى كان التغبير؟!».

(١) أي: اشتغل بغيره؛ فإن الذي ينفعك وينفع الناس، ويكون لك لا عليك؛ شيءٌ آخر غير قراءة القرآن بالألحان، وإن اشتهاها الناس.

وقوله: «يشتهيه الناس». أي: ينفعني في دعوة الناس، وفي هذا ردٌ على من ارتكب المنهيات لأجل مصلحة الدعوة، ولو كان باسم الإسلام كالأناشيد والتغبير والتمثيل وقراءة الألحان وغيرها:

قال ابن تيمية في الفتاوى (١١/ ٢٩٧): «وأما السماع المحدث- سماع الكَفِّ والدُّفِّ والقَصَب- فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين، يجعلون هذا طريقًا إلى الله تبارك وتعالى، ولا يعدونه من القرب والطاعات، بل يعدونه من البدع المذمومة، حتى قال الشافعي: «خلفت ببغداد شيئًا أحدثته الزنادقة، يسمونه التغبير، يصدون به الناس عن القرآن». وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيبًا وافرًا».

وقال: «ومن المعلوم أنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها النبي ﷺ: «خير القرون قرني الذي بُعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». لا في الحجاز، ولا في الشام، ولا في اليمن، ولا في العراق، ولا في مصر، ولا في خُرَاسان أحد من أهل الخير والدين يجتمع على السماع المبتدع لصلاح القلوب؛ ولهذا كرهه الأئمة كالإمام أحمد وغيره، حتى عدَّه الشافعي من إحداث الزنادقة». اهـ



باب: القارئ يجهر على أصحابه بالقرآن فيؤذيهم بذلك

٢٠١ - حدثنا إسحاق بن عيسى، عن مالك بن أنس، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي حازم التمار

عن البياضي ط[(١)]، قال: خرج رسول الله ق على الناس وهم يصلون، وقد علت أصواتهم، فقال ق: «إن المصلي يناجي ربه، فلينظر بم يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن»[(٢)].

---

(١) هو فروة بن عمرو، من بني بياضة بن عامر الخزرجي الأنصاري ط، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدرًا وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ق، آخى رسول الله ق بينه وبين عبدالله بن مخرمة العامري ط، ولما أسلم كان يَكسر أصنام بني بياضة هو وزياد بن لبيد، واستعمله رسول الله ق على المغانم يوم خيبر، وكان يبعثه خارصًا بالمدينة. انظر طبقات ابن سعد (٣/ ٥٩٨)، والثقات لابن حبان (١٠٨٢)، والاستيعاب لابن عبدالبر (١٦٥٣و ٢٠٧٤).

تنبيه: ذُكر عن ابن وضاح، وابن مزين أنهما يقولان: «سكت مالك في الموطأ عن اسمه، وكان يقول: البياضي؛ لأنه كان ممن أعان على قتل عثمان ط».

ونقلها أيضًا ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة (٢/ ٨٧٥).

وهذا خطأ فاحش- إن ثبت عنهما ذلك- قال ابن عبدالبر في الاستيعاب (٣/ ١٢٦٠): «هذا لا يُعرف، ولا وجه لما قالاه في ذلك، ولم يكن لقائل هذا علم بما كان من الأنصار يوم الدار». اهـ

(٢) رواه مالك في الموطأ، وأحمد في المسند، والبخاري في خلق أفعال العباد، والنسائي في الكبرى.

=



وحدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، رفعه إلى النبي ﷺ مثل ذلك.

٢٠٢ - حدثنا مالك بن إسماعيل، عن خالد بن عبدالله، قال: أخبرنا مطرف، عن أبي إسحاق، عن الحارث

عن علي رضي الله عنه قال:

نهى رسول الله ﷺ أن يرفع الرجل صوته بالقرآن في الصلاة قبل العشاء الآخرة وبعدها، يُغَلِّط أصحابه[1].

وهذا النهي إنما هو للمنفردين المصلين المتنفلين ومثله ما كان من جهر خارج الصلاة؛ قال ابن عبدالبر في التمهيد (٢٣/ ٣١٦): «وهذا الحديث معناه في صلاة النافلة، إذا كان كل أحد يصلي لنفسه، وأما صلاة الفريضة فقد أحكمت السُّنة سرها وجهرها، وأنها خلف إمام الجماعة أبدًا؛ هذه سنتها، وكان أصل هذا الحديث في صلاة رمضان؛ لأن رسول الله ﷺ لم يجمعهم لها إلا على ما قد مضى في باب ابن شهاب عن عروة، من أنه صلى بهم ليلة وثانية وثالثة ثم امتنع من الخروج إليهم؛ خشية أن تفرض عليهم. وقد روي هذا الحديث حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، فقال فيه: إن ذلك في رمضان».

ثم قال ابن عبدالبر: وإذا لم يجز للتالي المصلي رفع صوته؛ لئلا يغلط ويخلط على مصلٍ إلى جنبه، فالحديث في المسجد مما يخلط على المصلي أولى بذلك وألزم وأمنع وأحرم، وإذا نهي المسلم عن أذى أخيه المسلم في عمل البِّر وتلاوة الكتاب، فأذاه في غير ذلك أشد تحريمًا». اهـ

وفي مصنف عبدالرزاق، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، وهو في قبة له، فكشف الستور، وقال: ألا إن كلكم يناجي ربه؛ فلا يؤذين بعضكم بعضًا، ولا يرفعن بعضكم على بعض في القراءة، أو قال: في الصلاة».

(١) رواه أحمد، وأبو يعلى. وفي آخره: «والقوم يصلون». وفيه الحارث الأعور متهم بالكذب. وفي لفظ: «نهى أن يجهر القوم بعضهم على بعض بين المغرب والعشاء بالقرآن».

=



وقد جاءت آثار بإسرار الصوت عند قراءة القرآن- كما في هذا الباب- وأخرى بالجهر- كما في الباب التالي، وجمع العلماء بين ذلك من عدة وجوه:

فقالوا: الإسرار يكون في صلاة النهار، والجهر في صلاة الليل.

وقالوا: الإسرار أفضل في حق من يخاف الرياء، فإن لم يخف الرياء فالجهر أفضل، بشرط ألا يؤذي غيره من مصلٍ أو نائم أو غيرهما، وهو السبيل الذي قال الله فيه: «وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا »، قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: «كان أهل الكتاب يخافتون، ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح به، ويصيحون هم به وراءه، فنهاه أن يصيح كما يصيح هؤلاء، وألا يخافت كما يخافت القوم، ثم كان السبيل الذي بين ذلك، الذي سن له جبريل من الصلاة».

وروى أحمد، وأبو داود، والترمذي، واللفظ لأحمد عن عليٍّ ط، قال: «كان أبو بكر ط يخافت بصوته إذا قرأ، وكان عمر ط يجهر بقراءته، وكان عمار ط- وفي رواية: بلال- إذا قرأ يأخذ من هذه السورة وهذه، فذُكر ذاك للنبي ق، فقال لأبي بكر: لم تخافت؟ قال: إني لأُسْمِعُ من أناجي. وقال لعمر: لم تجهر بقراءتك؟ قال: أُفْزِع الشيطان- وفي رواية: أطرد الشيطان، وأُسْمِع الرحمن-، وأوقظ الوسنان، وقال لعمار: ولم تأخذ من هذه السورة وهذه؟ قال عمار: أتسمعني أخلط به ما ليس منه؟ قال: لا، قال: فكله طيب».

وليس مراد عمر ط بقوله: (أسمع الرحمن) أنه تعالى لا يسمعه إذا خافت! وإنما مراده- والله أعلم- قد أسمعتُ الرحمن، وإنما أردت طرد الشيطان، كقوله تعالى: «قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ». أي: قد علم. أو يكون مراده: أسمع ملائكة الرحمن؛ لأنهم لا يكتبون حديث النفس، وهذا يشبه قوله تعالى: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ». أي: بالملائكة وهم جنوده، وهو سبحانه قريبٌ بعلمه، عليٌّ بذاته. وسيأتي هذا الأثر عن بلال ط برقم (٢٥٣).

وقال البغوي في شرح السُّنة (١٢/ ٢٩٢): «وكذلك السُّنة في القراءة، وفي كل ذِكْرٍ يأتي به خلف الإمام أن يسمع نفسه، ولا يغلب جاره، قال الشعبي: «إذا قرأت القرآن، فاقرأ قراءة تُسْمِعُ أذنيك، ويفقه قلبُك، فإن الأذن عدلٌ بين اللسان والقلب». اهـ

قال ابن قدامة في المغني (٢/ ١٣٩): «المتهجد: مخير بين الجهر بالقراءة والإسرار بها، إلا أنه إن كان الجهر أنشط له في القراءة، أو كان بحضرته من يستمع قراءته أو ينتفع بها، فالجهر أفضل، وإن =



٢٠٣ – وحدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، سعد بن إبراهيم

عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، قال:

سمع رسول الله ﷺ عبدالله بن حذافة يقرأ في المسجد، يجهر بقراءته في صلاة النهار، فقال: «يا ابن حذافة! سمِّع الله ولا تسمعنا»(١).

٢٠٤ – حدثنا عبدالله بن صالح، حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي

عن يحيى بن أبي كثير، قال:

قيل للنبي ﷺ: إن ههنا قومًا يجهرون بالقرآن في صلاة النهار!

كان قريبًا منه من يتهجد، أو من يستضر برفع صوته، فالإسرار أولى، وإن لم يكن لا هذا ولا هذا، فليفعل ما شاء». اهـ

والسُّنة في ذلك أن يسر أحيانًا ويجهر أحيانًا على ما يقتضيه حاله، كما سيأتي من كلام عائشة رضي الله عنها.

فائدة: قال مهنا: «سألت أحمد عن المرأة ينبغي لها أن تخفض من صوتها، إذا كانت في بيتها في قراءتها إذا قرأت بالليل؟ قال: نعم». أحكام النساء رواية الخلال (٢٦).

(١) رواه البيهقي في القراءة خلف الإمام موصولًا عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في معرفة الصحابة، عن جهر رضي الله عنه قال: «قرأتُ خلف النبي ﷺ فلما انصرف قال: يا جهر! أسمع ربك، ولا تسمعني».

وفي إسناده عثمان بن عبدالرحمن المدني، وهو متروك الحديث.

وقال ابن رجب في شرح البخاري (٤/ ٤٨٢): «قد رواه بعضهم، فجعله عن أبي سلمة، عن أبي هريرة موصولًا، وإرساله أصح؛ قاله الدارقطني وغيره». اهـ

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عبيدة – في القراءة في صلاة النهار – قال: «أسمع نفسك».

وفيه عن ابن سابط، قال: «أدنى ما يقرأ القرآن، أن تسمع أذنيك».



فقال: «ارموهم بالبعر»[١].

حدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن عمر بن عبدالعزيز، عن النبي ﷺ مثل ذلك.

٢٠٥ - حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر

عن سعيد بن جبير:

أن رجلاً، كان يصلي قريبًا من ابن عمر رضي الله عنهما يجهر بالقراءة نهارًا، فقال رجل من جلساء ابن عمر رضي الله عنهما: إن هذا الأحمق لا يعقل الصلاة. فقال ابن عمر رضي الله عنهما: «فلعلك أنت لا تعقل، أتقول لرجل يقرأ القرآن لا يعقل؟» فلما فرغ الرجل من صلاته؛ دعاه ابن عمر رضي الله عنهما فقال: «إن القراءة بالنهار تُسَرُّ».

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه مرسلًا، ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة من طريق يحيى بن أبي كثير، عن بريدة رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ بلفظ: «من جهر بالقراءة بالنهار؛ فارجموه بالبعر».

ورواه الطبراني في المعجم الكبير، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، قال: «قيل: يا رسول الله! إن ههنا قومًا يجهرون بالقراءة في صلاة النهار، فقال لهم رسول الله ﷺ: أفلا ترمونهم بالبعر». وإسناده شديد الضعف؛ فيه الوزاع بن نافع، وهو متروك الحديث.

قال ابن رجب في شرح البخاري (٤/ ٤٨٢): «مراسيل يحيى بن أبي كثير ضعيفة، وقد رواه يزيد ابن يوسف الدمشقي، عن الأوزاعي، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن بريدة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فوصله؛ وهو خطأ لا أصل له- قاله صالح بن محمد الحافظ وغيره- ويزيد هذا ضعيف. وروي موصولًا من وجوه أخر لا تصح». اهـ

٢٠٦ - حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان

عن عبدالكريم الجزري، قال:

بعثني أبو عبيدة بن عبدالله إلى رجل يجهر بالقراءة، فقال: قل له: «إن قراءة النهار عجماء». أو قال: «صلاة النهار عجماء»[(١)].

٢٠٧ - حدثني يحيى بن سعيد

عن عبدالرحمن بن حرملة، قال:

جاء الأعلم المؤذن فرفع صوته بالقراءة، فحصبه سعيد بن المسيب وقال: «أتريد أن تكون فتاناً؟»[(٢)].

---

(١) أبو عبيدة: هو ابن عبدالله بن مسعود ط. وقوله: «عجماء» أي: لا يُجهر فيها بالقراءة:
فأما الفريضة: فالأصل عدم الجهر، إلا ما ورد الدليل باستثنائه، كما في الجمعة والعيدين.
وأما التطوع: فالأكثرون على أنه لا يُجهر فيها بالقراءة، ورخَّصت طائفة في الجهر في التطوع بالنهار، إذا لم يؤذ أحدًا؛ قال إبراهيم النخعي: «لا بأس أن يجهر بالنهار في التطوع، إذا كان لا يؤذي أحدًا». وروي أيضًا عن خالد بن معدان، وسعيد بن جبير وابن سيرين؛ وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عاصم، قال: «كان ابن سيرين يتطوع، فكنا نسمع قراءته، فإذا قام إلى الصلاة- أي: الفريضة- خفيَ علينا ما يقرأ». وهو قول سفيان الثوري، وإسحاق بن راهويه.

(٢) لم أجده بهذا السِّياق فيما وقفت عليه من المصادر، وإنما المثبت من المصادر؛ ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عون: «أن عمر بن عبدالعزيز صلى، فرفع صوته، فأرسل إليه سعيد، فقال: أفتان أنت أيها الرجل؟!».

=

٢٠٨ – حدثنا فرج بن فضالة

عن لقمان بن عامر، قال:

صلى رجل إلى جنب أبي مسلم الخولاني، فجهر بالقراءة، فلما فرغ أبو مسلم من صلاته، قال: «يا ابن أخي! أفسدت عليَّ، وعلى نفسك»[١].

٢٠٩ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب

عن ابن سيرين، أنه قال في قراءة النهار: «أسمع نفسك»[٢].

وفي مصنف عبدالرزاق، عن معمر، قال: «كان عمر بن عبدالعزيز حسن الصوت بالقرآن، قال: فخرج ليلة يصلي في المسجد، فجهر بصوته، فاجتمع الناس؛ فأرسل إليه سعيد بن المسيب: فتنت الناس، قال: فلم يَعُد لذلك- وفي لفظ قال: فدخل-».

وفي مسند الحارث عن حماد، قال: «حدثني من شهد الحسن، قال: رفع إنسان صوته بالقرآن عند الحسن بن علي م، فرفع كَفًّا من حصى؛ فضرب وجهه، وقال: ما هذا؟!».

وروى ابن سعد في الطبقات (٦٥١٥) عن عبيدالله بن أبي بكر: «أن زيادًا النُّمَيري جاء مع القُـرّاء إلى أنس بن مالك ط، فقيل له: اقرأ، فرفع صوته وكان رفيع الصوت، فكشف أنس عن وجهه الخرقة، وكان على وجهه خرقةٌ سوداء فقال: ما هذا؟! ما هكذا كانوا يفعلون! قال: فكان إذا رأى شيئًا ينكره؛ كشف الخرقة عن وجهه».

(١) قوله: «أفسدت عليَّ». أي: بالتشويش والتلبيس. وقوله: «وعلى نفسك». أي: بفعل الكراهة في رفع الصوت، أو ببطلان الصلاة بالرياء والشهرة.

(٢) وهو في مصنف ابن أبي شيبة، عن ابن سيرين، عن عَبيدة، أنه قال في القراءة في صلاة النهار: «أسمع نفسك».

=



٢١٠ – حدثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، قال:

سألت إبراهيم عن الجهر في قراءة النهار، فقال: «إن لم تؤذِ أحدًا؛ فلا بأس بذلك».



وفي موضع آخر من المصنف: أن ابن سيرين سأل عَبيدة عن القراءة- أي في النهار- فقال: «أسمع نفسك». اهـ



باب: القارئ يمد صوته بالقرآن ليلاً في الخلوة به

٢١١ - حدثنا محمد بن ربيعة، عن عمران بن زائدة بن نشيط، عن أبيه، عن أبي خالد الوالبي

عن أبي هريرة ط، قال:

«كانت قراءة رسول الله ق بالليل يرفع طورًا، ويخفض طورًا»[١].

٢١٢ - حدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح

عن عبدالله بن أبي قيس، قال:

سألت عائشة ك: كيف كانت قراءة رسول الله ق؟ أيُسِرُّ القراءة، أم يجهر؟ فقالت: «كل ذلك قد كان يفعله؛ ربما أسر، وربما جهر». قال: قلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة[٢].

---

(١) رواه أبو داود في سننه، وابن أبي شيبة في مصنفه، وابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل.

(٢) رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب».

ومثله ما رواه أحمد في مسنده، عن غضيف بن الحارث، ورواه مسلم عن عبدالله بن أبي قيس، واللفظ لأحمد، قال: «قلت لعائشة: أرأيتِ رسول الله ق كان يغتسل من الجنابة في أول الليل، أم في آخره؟ قالت: ربما اغتسل في أول الليل، وربما اغتسل في آخره، قلتُ: الله أكبر، الحمد لله الذي =



٢١٣ - وحدثني بعض أهل العلم عن مسعر بن كدام، عن أبي العلاء، عن يحيى بن جعدة

عن أم هانئ بنت أبي طالب ك، قالت:

«كنت أسمع قراءة النبي ق وأنا على عريشي».

قال أبو عبيد:

تعني: بالليل[(١)].

جعل في الأمر سعة. قلت: أرأيتِ رسول الله ق كان يوتر في أول الليل، أو في آخره؟ قالت: ربما أوتر في أول الليل، وربما أوتر في آخره، قلتُ: الله أكبر، الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة. قلت: أرأيت رسول الله ق كان يجهر بالقرآن، أو يخفت به؟ قالت: ربما جهر به، وربما خَفَتْ، قلت: الله أكبر، الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة».

(١) رواه أحمد في مسنده، وفيه زيادة: «وهو عند الكعبة».

ورواه الطحاوي في شرح معاني الآثار بلفظ: «وهو يصلي يُرَجِّع بالقرآن».

ورواه الطبراني في الكبير بلفظ: «كنت أسمع قراءة النبي ق يراجع بها في جوف الليل».

وفي شعب الإيمان للبيهقي، قالت: «وأنا على عريشي بمكة، وهو يَرْفَعُ».

وكلها ألفاظ صحيحة، وتفيد معنى الجهر وترديد القراءة.

وقولها: «وأنا على عريشي». أي: على سقف بيتي، كما في مسند إسحاق بن راهويه، قالت: «وأنا على عريشٍ أصلي». والعريش: السَّقف.

قال ابن منظور في لسان العرب (٤/ ٢٨٨٠): «وفي الحديث: كنت أسمع قراءة رسول الله ق وأنا على عرشي، وقيل: على عريشٍ لي. العريش، والعرش: السَّقف». اهـ

وكذلك قال البغوي في شرح السُّنة (٤/ ٣٠).

وقولها: «وهو يَرْفَعُ». أي: يرفع صوته بالقراءة، ولهذا بوب عليه النسائي في سننه الكبرى: «رفع الصوت بالقراءة».

=

وبوب عليه ابن المنذر في الأوسط: «ذكر الجهر بالقراءة في صلاة الليل»، وبوب البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٥٣): «فصل في الجهر بقراءة القرآن في صلاة الليل». ثم قال البيهقي: «وقد استحب بعض أهل العلم الجهر ببعضها والإسرار ببعضها؛ لأن المُسِرَّ قد يَمَلُّ فيأنس بالجهر، والجاهر قد يَكِلُّ فيستريح بالإسرار، إلا أن من قرأ بالليل جهر بالأكثر، ومن قرأ بالنهار أسرَّ بالأكثر، إلا أن يكون بالنهار في موضع لا لغو فيه ولا صخب ولم يكن في صلاة؛ فيرفع صوته بالقرآن». اهـ

وفي مختصر قيام الليل للمروزي (١/ ١٣٣) قال: «وسئل ابن عباس ﵄ عن جهر النبي ﷺ بالقراءة بالليل؛ فقال: كان يقرأ في حجرته قراءة، لو أراد حافظ أن يحفظها فعل».

وعن عكرمة، عن ابن عباس ﵄، قال: «كنت أسمع قراءة النبي ﷺ في البيت، وأنا في الحجرة».

وعن عكرمة، قال: «كانت قراءة رسول الله ﷺ، بالليل قدر ما يسمعه من في الحجرة، وهو في البيت». رواهما الضياء في المختارة. والحجرة: فناء المنزل.

وقال إسحاق الكوسج في مسائله (٢/ ٦٦١): «قلت: يرفع صوته بالقرآن بالليل؟ قال أحمد بن حنبل: نعم، إن شاء رفع. ثم ذكر حديث أم هانئ ﵂: «كنت أسمع قراءة النبي ﷺ وأنا على عريشي من الليل». قال إسحاق بن راهويه: الذي نختار له: إذا أمن العُجب أو أن يدخله شيء يكرهه، أن يرفع صوته». اهـ

ويحتمل أن يكون ضبط الحديث: (وهو يُرَجِّع).

فائدة حديثية: «سئل الدارقطني عن حديث يحيى بن جعدة، عن أم هانئ ﵂، قالت: كنت أسمع قراءة رسول الله ﷺ، وأنا على عريشي بمكة؟ فقال: يرويه مسعر، واختلف عنه:

فرواه علي بن حرب، عن ابن عيينة، عن مسعر، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة، عن أم هانئ، ووهم فيه. والمحفوظ: عن مسعر، عن أبي العلاء- وهو: هلال بن خباب، عن يحيى بن جعدة، عن أم هانئ؛ كذلك قال وكيع، وابن المبارك، وعبدالله بن داود الخريبي، وعبيدالله بن موسى، وأبو نعيم، عن مسعر. وكذلك رواه قيس بن الربيع، وفضيل بن منبوذ، عن هلال بن خباب؛ وهو الصحيح». انظر: علل الدارقطني (٤٠٧٥).

ولعلَّ سفيان بن عيينة أو قيسًا أو فُضيلًا هم المرادون بقول أبي عبيد في السند: (وحدثني بعض أهل العلم).



٢١٤ – حدثنا يزيد، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حبان، عمن حدثه

أن رجلاً كان يصلي قريبًا من معاذ بن جبل ط يجهر بالقراءة، ففقده معاذ؛ فقال: «ما فعل الذي يطرد الشيطان، ويوقظ الوسنان؟»[(١)].

٢١٥ – حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم

عن علقمة، قال:

بتُّ عند عبدالله ط ذات ليلة، فقالوا: كيف كانت قراءته؟ فقال: «كان يُسمِع أهل الدار»[(٢)].

---

(١) هاتان فائدتان للجهر بالقراءة في الليل، والفائدة الثالثة: أنه يُذكِّر غيره ما قد نسيه من الآيات؛ ففي سنن أبي داود، وأصله في الصحيحين عن عائشة ك: «أن رجلاً قام من الليل، فقرأ، فرفع صوته بالقرآن، فلما أصبح، قال رسول الله ق: يرحم الله فلانًا! كائنْ من آية أذكرنيها الليلة، كنت قد أسقطتها». وكائن بمعنى: كم من؛ وهي التي تأتي في القرآن: «وكأيِّن».

وما قاله معاذ ط هنا قد قاله عمر بن الخطاب ط لما قال له النبي ق: «مررت بك وأنت تجهر، قال: أطرد الشيطان، وأوقظ الوسنان. قال: صدقت».

وكلمة عمر ط هذه قد جاءت في الروايات بألفاظ متعددة، منها:

أزجر أو أطرد أو أطارد الشيطان، أُكرِب الشيطان، أُوحِش الشيطان، أُنَفِّر الشيطان، أُفْزِعُ الشيطان، أَقْرَعُ الشيطان، أُرْغِم الشيطان. انظر: (المسند، وفضائل الصحابة للإمام أحمد، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، ومصنف ابن أبي شيبة، وحديث هشام بن عمار، وشعب الإيمان).

(٢) وفي المعجم الكبير للطبراني عن علقمة، قال: «جاء رجل إلى عبدالله ط، فقال: أخبرنا متى كان النبي ق يوتر؟ قال: إذا بقي من الليل نحوٌ مما مضى منه إلى صلاة المغرب، فسألوه عن قراءته، فقال: كان يُسمع أهل الدار».

=



٢١٦ - حدثنا يزيد، عن يحيى بن سعيد

عن أبي بكر بن حزم، قال:

باتت عندنا عمرة(١) ذات ليلة لمريض كان فينا(٢)، فقمت من الليل أصلي، فلما أصبحتْ فسألتْ، قالتْ: «ما منعك أن ترفع صوتك؟ فما كان يوقظنا من الليل إلا قراءة معاذ القارئ(٣)، ....

وروى عبدالرزاق في المصنف (٤٢١٢) عن إبراهيم، قال: «سألنا علقمة: كيف كانت قراءة عبدالله بالليل- وكان يبيت عنده؟ قال: كان يسمع آل عتبة أخيه، وهم في حجرة بين يديه». اهـ

(١) هي: عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية المدنية، والدة أبي الرجال محمد بن عبدالرحمن الأنصاري، وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ، روت عن رافع بن خديج، وحمنة بنت جحش، وعائشة، وأم سلمة وغيرهم. وروى عنها جمع غفير من العلماء. قال عنها يحيى بن معين: ثقة حجة. وكان علي بن المديني يذكر عمرة بنت عبدالرحمن، ويُفخم أمرها. وقال: عمرة أحد الثقات العلماء بعائشة، الأثبات فيها. توفيت سنة ست ومئة. انظر تهذيب الكمال (٧٨٩٥).

وقد أمر عمر بن عبدالعزيز أبا بكر بن عمرو بن حزم أن يجمع أحاديث عمرة، وكانت خالته.

فقد روى ابن سعد في الطبقات (٢٧٥٢) عن عبدالله بن دينار، قال: «كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، أو سنة ماضية، أو حديث عمرة بنت عبدالرحمن فاكتبه، فإني قد خفت دروس العلم، وذهاب أهله».

(٢) لأن أبا بكر بن حزم، هو ابن أخت عمرة بنت عبدالرحمن.

(٣) هو: معاذ بن الحارث الأنصاري المازني النجاري رضي الله عنه، أبو حليمة، ويقال: أبو الحارث المدني، المعروف بالقارئ، له صحبة. قال ابن عبدالبر: شهد الخندق. وقيل: إنه لم يدرك من حياة النبي ﷺ إلا ست سنين، وهو الذي أقامه عمر رضي الله عنه فيمن أقام في شهر رمضان، ليصلي التراويح، وكان ممن شهد الجسر مع أبي عبيد. وروى عن أبي بكر، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم.
=



وأفلح مولى أبي أيوب[(١)]».

٢١٧ - حدثنا عبدالله بن صالح

عن الليث، قال:

كان ابن أبي الكنود الأزدي[(٢)] يسمع قراءة خالد بن ثابت..........

وروى عنه سعيد المقبري، ونافع مولى ابن عمر، وحكى عنه عبدالله بن عون قنوته في شهر رمضان ولم يدركه. وقال الحاكم: قتل يوم الحرَّة. انظر: تهذيب الكمال (٦٠٢٢).

(١) وفي رواية، قالت: «وتميم الداري ط».

وأفلح أبو كثير، هو مولى أبي أيوب الأنصاري، يعد في أهل المدينة، رأى عثمان وعبدالله بن سلام وأبا أيوب ن. سمع منه محمد بن سيرين، وأبو بكر بن عمرو بن حزم، وعبدالله بن الحارث.

قال البخاري في التاريخ الكبير: «قال ابن سيرين: قتل كثير بن أفلح وأبوه- وكانا موليين لأبي أيوب الأنصاري- يوم الحرَّة فلقيته في المنام، فقلت: أشهداء أنتم؟ قال لا!».

قال ابن سعد: كان ثقة، يكنى أبا كثير. وقال الواقدي: هو من سبي عين التمر في خلافة أبي بكر.

وقال محمد بن سيرين: «إن أبا أيوب كاتب أفلح على أربعين ألفًا، فجعلوا يهنئونه، فندم أبو أيوب، وقال: أُحبُّ أن تَرُدَّ الكتاب وترجع كما كنت، فجاءه بمكاتبته، فكسرها، ثم مكث ما شاء الله، فقال له أبو أيوب: أنت حرٌّ، وما كان لك من مال، فهو لك». اهـ

انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ٥٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٧٥).

(٢) لم أهتد إلى معرفته بالضبط، وهو رجلٌ من أهل مصر؛ كما يظهر من هذا الأثر، ولعلَّه: ثعلبة ابن أبي الكنود- المذكور في الأثر رقم: (٢٧٠)- قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٨٧٩): «ثعلبة بن أبي الكنود الحمراوي، روى عن عبدالله بن عمرو، وعائشة، وأبي موسى الغافقي، روى عنه خالد بن يزيد، وسليمان بن أبي زينب؛ سمعت أبي يقول ذلك». اهـ

وذكره البخاري في التاريخ الكبير، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن كثير: «إسناده مقارب».

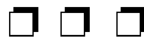
=



الفهمي(١) من الليل إذا صلى على ظهر بيته.

قال الليث:

وكان بين منزليهما دُورٌ في البُعد(٢).



أو لعلَّه أبو الكنود سعد بن مالك الأزدي المذكور في الأثر ذي الرقم (٥١٠).
وكلاهما من أهل مصر.

(١) خالد بن ثابت بن ظاعن بن العجلان الفهمي، تابعي من أهل الشام، وهو الذي وجهه عمر ط من الجابية إلى بيت المقدس لفتحها. حدَّث عن عمرو بن العاص ط، وكعب الأحبار. وروى عنه أبو إبراهيم المعافري، وله حديث في كتاب الزكاة من موطأ ابن وهب الكبير، وهو جدُّ عبدالرحمن بن خالد بن مسافر، وجدُّ عبدالملك والوليد ابني رفاعة بن خالد بن ثابت أمراء مصر لهشام بن عبدالملك. ومن أخباره: أن كعب الأحبار أوصاه وتقدم إليه عند خروجه مع عمرو بن العاص إلى مصر أن لا يقرب المَكْس، ونهاه عن ذلك. تاريخ دمشق (١٦/ ٩).

(٢) وروى مالك في الموطأ عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه مالك بن أبي عامر أنه قال: «كنا نسمع قراءة عمر بن الخطاب عند دار أبي جهم بالبلاط».
والبلاط: موضع بالمدينة قريب من السُّوق.
وعمر ط كان إمامًا في الفريضة، فلا إشكال في ذلك.



باب: القارئ يقرن بين السورتين من القرآن معًا

٢١٨- حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن عاصم الأحول، عن ابن سيرين

عن ابن عمر م: أنه كان يقرأ عشر سور في الركعة.

قال عاصم: فذكرت ذلك لأبي العالية، قال: قد كنت أفعله، حتى حدثني من سمع النبي ق يقول: «لكل سورة حظها من الركوع والسجود»[1].

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن عاصم، قال: «حدثنا أبو العالية، قال: أخبرني من سمع رسول الله ق يقول: «لكل سورة حظها من الركوع والسجود». قال: ثم لقيته بعدُ، فقلت: إن ابن عمر م كان يقرأ في الركعة بالسور، فتعرف من حدثك بهذا الحديث؟ قال: إني لأعرفه، وأعرف منذ كم حدثنيه؛ حدثني منذ خمسين سنة». قال محقق المسند: «إسناده صحيح».

وفي الأثر التالي جاء هذا الحديث من رواية ابن عمر م نفسه.

وقد جاءت أحاديث عن النبي ق تدلُّ على أنه كان يجمع بين السورتين أو أكثر في ركعة واحدة، منها حديث عائشة ك مرفوعًا رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح، عن عبدالله بن شقيق، قال: «قلت لعائشة: أكان رسول الله ق يجمع بين السور في ركعة؟ قالت: نعم، المفصل».

ومنها حديث ابن مسعود ط: «كان رسول الله ق يقرأ سورتين في ركعة». وسيأتي.

وأما ما جاء في حديث أبي العالية؛ فإنه ينصرف إلى من قرأ القرآن كله، أو أكثره، أو قرأ السُّور الطوال في ركعة، ولم يعط القرآن حقَّه في الصلاة من التدبر والاطمئنان، فيهذّه كهذِّ الشِّعر.

=



٢١٩ – حدثنا حجاج، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن عبدالرحمن بن لبيبة

عن ابن عمر ﭭ:

أن رجلاً أتاه، فقال: قرأت القرآن في ليلة- أو قال: في ركعة!- فقال ابن عمر ﭭ: «أفعلتموها؟! لو شاء الله لأنزله جملة واحدة، وإنما فصَّله؛ لتُعْطَى كل سورة حظها من الركوع والسجود».

٢٢٠ – حدثنا عبدالله بن صالح، قال: حدثني قَبَاث بن رَزين، عن شيخٍ من المعافر- ذكر منه صلاحًا وفضلاً- حدثه

أن رجلاً- يقال له: عَبَّاد- كان يلزم عبدالله بن عمرو ﭭ، وكان امرأً صالحًا- فكان يقرأ القرآن فيقرن بين السور في الركعة الواحدة، فبلغ ذلك عبدالله بن عمرو ﭭ، فأتاه عَبَّادٌ يومًا، فقال له عبدالله بن عمرو ﭭ: «يا خائن أمانته!» ثلاث مرات، فاشتد ذلك على عَبَّاد، فقال: غفر الله لك، أي أمانة بلغك أني خنتها؟!

فتكون الرُّخصة في قصار السور أو ما شابهها.

وقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه، عن سعيد بن جبير؛ أنه سئل عن الرجل يجمع بين السورتين في ركعة؟ فقال: «أما ما كان من المئين؛ فاركع بكل سورة، وأما ما كان من المثاني والمفصل؛ فاقرن إن شئت».

وروى أحمد في مسنده (٢٠٦٥٢) عن نافع، قال: ربما أمنا ابن عمر ﭭ بالسورتين، والثلاث».

زاد ابن أبي شيبة قوله: «في المكتوبة».

وروى عبدالرزاق، عن ابن سيرين، عن ابن عمر ﭭ: «أنه كان يقرأ بعشر سور في ركعة».



قال: «أُخبرت أنك تجمع بين السورتين في الركعة الواحدة».

فقال: إني لأفعل ذلك.

فقال: «كيف بك يوم تأخذك كل سورة بركعتها وسجدتها؟ أما إني لم أقل إلا ما قال لي رسول الله ﷺ».

٢٢١ - حدثنا هشيم، قال: أخبرنا سيار

عن أبي وائل، قال:

جاء رجل إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقال: إني قرأت البارحة المفصل في ركعة!

فقال عبدالله رضي الله عنه: «أنثرًا كنثر الدَقَل[1]، وهذًّا كهذ[2] الشِّعر؟

---

(١) الدَقَل: هو التمر الرديء واليابس.

قال ابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٢٥٤): «الدَقَل من التمر أكثره لا يلصق بعضه ببعض، فإذا نُثِر خرج سريعًا وتفرَّق وانفردت كل تمرة عن صاحبتها، شَبَّه قراءته للقرآن بذلك؛ لهذِّه إياه. يريد: لا تعجلوا في التلاوة، قال الله تعالى: «وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا». اهـ

(٢) الهَذّ: سرعة القطع والقراءة.

وقوله: «هذًّا كهذِّ الشِّعر»؛ لأن هذه كانت صفتهم عند إنشاد الأشعار.

لقد علمت النظائر[١] التي كان رسول الله ق يقرن بينهن؛ السورتين في ركعة»[٢].

(١) أي: السور المتماثلة في المعاني والمقاصد، كالمواعظ، أو الحكم، أو القصص، لا المتماثلة في عدد الآي؛ فإنها ليست متساوية في العدد.

وهذه النظائر جاءت مبينة في مسند الإمام أحمد، وهي عشرون سورة يقرؤها في عشر ركعات، آخرهن: إذا الشمس كورت، والدخان، ثم يوتر بواحدة، فقد روى أحمد بسنده عن ابن مسعود ط أنه قال: «إني لأعرف النظائر التي كان رسول الله ق يقرن بينهن؛ سورتين في ركعة، قال: ثم قام، فدخل، فجاء علقمة، فدخل عليه، قال: فقلنا له: سله لنا عن النظائر التي كان رسول الله ق يقرأ سورتين في ركعة، قال: فدخل فسأله، ثم خرج إلينا، فقال: عشرون سورة من أول المفصل، في تأليف عبدالله ط».

أي: حسب ترتيب السور في مصحفه، ثم وَحَّد الله المسلمين بعد ذلك.

ولكن هذه الرواية لم تذكر أسماء السور التي كان يقرن بينهن، بينما سردها أبو إسحاق، عن علقمة والأسود، عن ابن مسعود ط، فيما أخرجه أبو داود (١٣٩٨) بعد قوله: «كان يقرأ النظائر السورتين في ركعة، قال: الرحمن والنجم في ركعة، واقتربت والحاقة في ركعة، والطور والذاريات في ركعة، وإذا وقعت و(ن) في ركعة، وسأل سائل والنازعات في ركعة، وويل للمطففين وعبس في ركعة، والمدثر والمزمل في ركعة، وهل أتى ولا أقسم بيوم القيامة في ركعة، وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة، والدخان وإذا الشمس كورت في ركعة. قال أبو داود: هذا تأليف ابن مسعود ط». اهـ

(٢) وروى أحمد، ومسلم واللفظ له عن أبي وائل، قال: «جاء رجل يقال له: نهيك بن سنان إلى عبدالله، فقال: يا أبا عبدالرحمن! كيف تقرأ هذا الحرف ألفًا تجده أم ياءً: «مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ»، أو من ماء غير ياسن؟ فقال عبدالله: وكل القرآن قد أحصيت غير هذا؟! قال: إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال =



٢٢٢ - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن نافع

عن ابن عمر ﵄:

أنه كان يقرأ في الركعة من الفريضة بالسورتين، والثلاث، والأربع[(١)].

عبدالله: هَذًّا كهَذِّ الشِّعر، إن أقوامًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه؛ نفع، إن أفضل الصلاة الركوعُ والسجود، وإني لأعلم النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن؛ سورتين في كل ركعة».

وفي الزهد لابن المبارك عن الشعبي، عن عائشة ﵂: «أنها سمعت رجلًا يقرأ يَهُذُّ القرآن هذًّا، فقالت: ما قرأ هذا، وما سكت».

وفي مختصر قيام الليل (١/ ١٣٥) عن أبي الدرداء ﵁ قال: «إياكم والهذَّاذين، الذين يهذون القرآن، يسرعون بقراءته، فإنما مثل أولئك كمثل الكُنَّة: لا أمسكت ماءً، ولا أنبتت كلأً».

والكُنَّة: هي الظلة التي تكون فوق الدار.

(١) خلاصة الباب أن:

المستحب هو الاقتصار على سورة مع الفاتحة، هذا هو الأصل؛ وممن كره الجمع بين سورتين في ركعة: زيد بن خالد الجهنى ﵁، وأبو العالية، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث، وأبو عبدالرحمن السُّلمى، حتى روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن زيد بن خالد الجهني، قال: «ما أحبُّ أني قرنت سورتين في ركعة، وأن لي حُمر النعم».

قال الإمام مالك فى المختصر: «لا بأس بأن يقرأ السورتين وثلاث فى ركعة، وسورة أحبُّ إلينا».

وتجوز الزيادة على ذلك، علمًا بأن الأمر يضيق في الفرض ويتسع في النافلة؛ ويدلُّ للجواز ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة، وأنس بن مالك ﵁: «كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما استفتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به؛ افتتح: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ »، حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك =



تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وأما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها...». الحديث.

قال ابن رجب في شرح البخاري (٤/ ٤٧١): «وقد دلَّ حديث أنس وعائشة على جواز جمع سورتين مع الفاتحة في ركعة واحدة من صلاة الفرض؛ فإن النبي ﷺ لم ينهه عن ذلك. ويدل على أنه ليس هو الأفضل؛ لأن أصحابه استنكروا فعله، وإنما استنكروه؛ لأنه مخالف لما عهدوه من عمل النبي ﷺ وأصحابه في صلاتهم؛ ولهذا قال له النبي ﷺ: «ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟». فدلَّ على أن موافقتهم فيما أمروه به كان حسنًا، وإنما اغتفر ذلك لمحبته لهذه السورة. وأكثر العلماء على أنه لا يكره الجمع بين السور في الصلاة المفروضة، وروي فعله عن عمر وابن عمر رضي الله عنهم، وعمر بن عبدالعزيز، وعلقمة، وهو قول قتادة والنخعي ومالك، وعن أحمد في كراهته روايتان».

وقال ابن رجب أيضًا: «وروى وكيع بإسناده، عن عمرو بن ميمون، قال: أمنا عمر رضي الله عنه في المغرب؛ فقرأ في الركعة الأولى: «وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ»، ثم قرأ في الركعة الثانية: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ»، و«لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ». قال ابن رجب: وفي هذا جمع بين سورتين في الركعة». اهـ

ذكره السيوطي في الدُّر المنثور، وعزاه لعبد بن حميد، وابن الأنباري في المصاحف، وفيه قال عمرو بن ميمون: «جمع بينهما، ورفع صوته».

وروى عبدالرزاق في مصنفه، عن الزهري: «أن عثمان رضي الله عنه قرأ بسورتين في ركعة».

وفيه عن ابن طاوس، قال: «كان أبي يجمع بين: «سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى» «وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ» في ركعة، وبين «وَٱلضُّحَىٰ» و«أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» في ركعة في المكتوبة».

وفيه عن عطاء: «أنه كان لا يرى بجمع السور في الركعة بأسًا».

وقال ابن جريج: «وكان طاوس يجمع ثلاث سور في ركعة». انتهى من مصنف عبدالرزاق.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، عن علقمة: «أنه كان يقرأ في الفجر في الركعة الأولى بالدخان، والطور، والجن، ويقرأ في الثانية بآخر البقرة، وآخر آل عمران، وبالسورة القصيرة».

وعن وقاء، قال: «رأيت سعيد بن جبير يجمع بين سورتين في كل ركعة في الفريضة». اهـ

=



أما النافلة: فالأصل فيها ما رواه أحمد، ومسلم من حديث حذيفة ط قال: «صليت مع النبي ق ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المئة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح سورة النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها»، وذكر الحديث.

قال ابن قدامة في المغني (١/ ٥٧٢): «ويُكره الجمع بين سور القرآن في الفرض، أما الجمع بين السُّور في النفل؛ فلا يُكره رواية واحدة، ولا نعلم فيه خلافًا؛ فإن النبي ق قرأ في ركعة سورةَ البقرة وآل عمران والنساء...، ثم ذكر الآثار في ذلك.

قال: وأما الفريضة، فيستحب أن يقتصر فيها على سورة بعد الفاتحة من غير زيادة؛ لأن النبي ق هكذا كان يصلي أكثر صلاته». اهـ



باب: القارئ يقرأ القرآن في سبع ليال أو ثلاث

٢٢٣ - حدثنا حجاج، وعمرو بن طارق، ويحيى بن بكير، كلهم، عن ابن لهيعة، عن حَبَّان ابن واسع، عن أبيه

عن قيس بن أبي صعصعة ط:

أنه قال للنبي ق: يا رسول الله! في كم أقرأ القرآن؟ فقال: «في كل خمس عشرة». فقال: إني أجدني أقوى من ذلك، فقال: «ففي كل جمعة»[1].

٢٢٤ - حدثنا حجاج، عن شعبة، عن محمد بن ذكوان، رجل من أهل الكوفة، قال:

سمعت عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود، يقول:

كان عبدالله بن مسعود ط يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ورواه الطبراني في الكبير، وفيه: «قال: إني أجدني أقوى من ذلك، فمكث كذلك يقرؤه زمانًا حتى كَبِر، وكان يعصب على عينيه، ثم رجع فكان يقرؤه في خمس عشرة، قال: يا ليتني! قبلت رخصة النبي ق الأولى».

ومعنى: «وكان يعصب على عينيه». أي: ليرفع سقوط الحاجبين عليهما من الكِبَر.

٢٢٥ – حدثنا حجاج، عن شعبة، عن أيوب، قال: سمعت أبا قلابة، يحدث

عن أبي المهلب، قال: كان أُبَيٌّ بن كعب ط يختم القرآن في ثمانٍ.

٢٢٦ – حدثنا علي بن عاصم، عن خالد- هو: الحذاء-

عن أبي قلابة، قال:

كان أُبَيٌّ بن كعب ط يختم القرآن في كل ثمان، وكان تميم الـداري ط يختمه في كل سبع.

٢٢٧ – حدثنا هشيم، عن الأعمش

عن إبراهيم: أنه كان يقرأ القرآن في كل سبع.

٢٢٨ – حدثنا جرير، عن منصور

عن إبراهيم قال: كان الأسود يختم القـرآن في سـت، وكـان علقمـة يختمه في خمس.

٢٢٩ – حدثنا فضيل بن عياض، عن منصور

عن إبراهيم، قال: كان الأسود يختم القرآن في كل ست.

٢٣٠ – حدثنا ابن بكير، عن ابن لهيعة، عن حَبَّان بن واسع، عن أبيه

عن سعد بن المنذر الأنصاري ط، أنه قال:

يا رسول الله! أأقرأ القرآن في ثلاث؟



فقال: «نعم، إن استطعت». قال: فكان يقرؤه كذلك حتى توفي.

٢٣١ – حدثنا يوسف بن الغرق، عن الطيب بن سلمان، قال:

حدثتنا عمرة، أنها سمعت عائشة ك، تقول:

كان رسول الله ق لا يختم القرآن في أقل من ثلاث[١].

٢٣٢ – حدثنا يزيد، عن همام، عن قتادة، عن يزيد بن عبدالله بن الشخير

عن عبدالله بن عمرو م، قال: قال رسول الله ق:

«لا يفقهه من قرأه في أقل من ثلاث»[٢].

٢٣٣ – حدثنا يزيد، عن هشام بن حسان، عن حفصة، عن أبي العالية

عن معاذ بن جبل ط:

أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث.

٢٣٤ – حدثنا يزيد، عن سفيان، عن علي بن بَذِيمة، عن أبي عبيدة، قال:

قال عبدالله ط: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث؛ فهو راجز»[٣].

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ق.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

وسيأتي في نهاية الباب التالي مبحثٌ يتعلق بقراءة القرآن في أقل من ثلاث.

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب (٥/ ٣٥١): «إنما سماه راجزًا؛ لأن الرجز أخف على لسان

=



وحدثنا حجاج، عن شعبة، عن علي بن بَذيمة، عن أبي عبيدة، عن عبدالله ﭬ، مثل ذلك سواء.

٢٣٥ – حدثنا حجاج، عن شعبة، عن محمد بن ذكوان

عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود، عن أبيه ﭬ:

أنه كان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث.

٢٣٦ – حدثنا فضيل بن عياض، عن منصور

عن إبراهيم، قال:

كان الأسود يختم القرآن في شهر رمضان في كل ليلتين[1].



المنشد، واللسان به أسرع من القصيد». وجاءت بلفظ: «زاجر». قال ابن منظور: «من زجر الإبل يزجرها، إذا حثَّها وحملها على السرعة، والمحفوظ: راجز». اهـ

(١) وكذلك كان يفعل سعيد بن جبير- كما في الطبقات الكبرى لابن سعد.
وعطاء بن السائب- كما في التهجد لابن أبي الدنيا.
وعبدالرحمن بن مهدي- كما في تاريخ بغداد.
وسيأتي أن السُّنة ختمه في ثلاث.



باب: القارئ يختم القرآن كله في ليلة أو في ركعة

٢٣٧ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني ابن خصيفة

عن السائب بن يزيد:

أن رجلاً، سأل عبدالرحمن بن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبيدالله، فقال: إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان. فقال: نعم. قال: قلت: لأغْلِبنَّ الليلة على الحِجْر- يعني: المقام- فقمت. فلما قمت، إذا أنا برجل متقنع يزحمني، فنظرت، فإذا عثمان بن عفان رحمة الله عليه وبركاته، فتأخرت عنه فصلى، فإذا هو يسجد بسجود القرآن، حتى إذا قلتُ: هذه هوادي الفجر[1]، أوتر بركعة لم يصل غيرها، ثم انطلق[2].

---

(١) قال الأصمعي: «الهادية من كل شيء: أوله وما تقدم منه، ولهذا قيل: أقبلت هوادي الخيل؛ إذا بدت أعناقها. وفي الحديث: «طلعت هوادي الخيل»؛ يعني: أوائلها. وهوادي الليل: أوائله». انظر لسان العرب (١٥/ ٣٥٣).

وفي نسخة قال: «هذا هو أذان الفجر».

(٢) وفي مصنف ابن أبي شيبة، قال: «فتنحيت، وتقدَّم، وقرأ القرآن كله في ركعة، ثم انصرف».

فائدة: من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي يعلى بن الفراء، حيث روى عن وهب بن جرير، عن أبيه، قال: «كنا عند الأعمش، فذكروا عثمان ط، فقال: كان يختم القرآن في ركعة، فقال =



٢٣٨ – حدثنا هشيم قال: أخبرنا منصور

عن ابن سيرين، قال:

قالت نائلة بنت الفَرافِصة الكلبية[١]، حيث دخلوا على عثمان ط ليقتلوه: «إن تقتلوه أو تدعوه، فقد كان يحيي الليل بركعة؛ يجمع فيها القرآن».

٢٣٩ – وحدثنا أبو معاوية، عن عاصم بن سليمان

عن ابن سيرين: أن تميمًا الداري ط، قرأ القرآن في ركعة.

٢٤٠ – حدثنا حجاج، عن شعبة، عن حماد

عن سعيد بن جبير، أنه قال:

«قرأت القرآن في ركعة في البيت»[٢].

رجلٌ مكفوفٌ: لقد كان صُلْبَ السَّاقيْن، فقال الأعمش: أُفٍّ! أُفٍّ! تذكر رجلًا من أصحاب النبي ق، وتقول: كان صُلْبَ السَّاقيْن! قال: ولا أُراه إلا قال: قم، فلا تجالسنا». اهـ

(١) هي: نائلة بنت الفَرافصة بن الأحوص الكلبية، زوج عثمان بن عفان ط، كانت خطيبة وشاعرة ومن ذوات الرأي والشجاعة. حُملت إلى عثمان ط من بادية سماوة كلب، فتزوجها وأقامت معه في المدينة، وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها. قال ابن الكلبي: كل اسم في العرب: (فرافصة) بضم الفاء، إلا نائلة بنت الفرافصة؛ فإنها بفتح الفاء.

(٢) قوله: في البيت. أي: الكعبة؛ يدلُّ لذلك ما رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٩٠٩٦) عن حماد، قال: «قال سعيد بن جبير: قرأت القرآن في ركعة في الكعبة».

=



٢٤١ - حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم

عن علقمة:

أنه قرأ القرآن في ليلة؛ طاف بالبيت أسبوعًا[١]، ثم أتى المقام فصلى عنده، فقرأ الطُّوَل، ثم طاف أسبوعًا، ثم أتى المقام فصلى عنده، فقرأ بالمئين، ثم طاف أسبوعًا، ثم أتى المقام فصلى عنده، ثم قرأ بالمثاني، ثم طاف أسبوعًا، ثم أتى المقام فصلى عنده، فقرأ بقية القرآن[٢].

٢٤٢ - حدثنا سعيد بن عفير

عن بكر بن مضر:

أن سُليم بن عِتر التُّجيبي[٣]، كان يختم القرآن في الليلة ثلاث مرات، ويجامع ثلاث مرات. قال: فلما مات، قالت امرأته: رحمك الله! إن كنت

وقد ذكر الترمذي في سننه أثر عثمان ﷺ، وأثر سعيد بن جبير بصيغة التمريض؛ فقال: «وروي عن عثمان بن عفان أنه كان يقرأ القرآن في ركعة يوتر بها، وروي عن سعيد بن جبير أنه قرأ القرآن في ركعة في الكعبة». كأنه يشير إلى ضعفهما، ثم قال الترمذي: «والترتيل في القراءة أحبُّ إلى أهل العلم». اهـ

(١) كل سبعة أشواط حول الكعبة تسمى عند السَّلف: «أسبوعًا».

(٢) سرد ابن كثير كل الآثار السابقة في كتابه فضائل القرآن (١/ ٢٥٨) ثم قال: «هذه كلها أسانيد صحيحة».

(٣) سُلَيم بن عِتْر، تابعيٌّ جليلٌ وثقةٌ نبيلٌ، وهو أول من قصَّ بمصر سنة (٣٩)، فلما كان عام الجماعة سنة (٤٠) ولاه معاوية القضاء مع القصص - أي: الوعظ العام -. قال كعب بن علقمة:
=



لترضي ربك، وترضي أهلك. قالوا: وكيف ذلك؟! قالت: كان يقوم من الليل فيختم القرآن، ثم يُلِمُّ بأهله، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يختم، ثم يُلِمُّ بأهله، ثم يغتسل، ثم يعود فيقرأ حتى يختم، ثم يُلِمُّ بأهله، ثم يغتسل فيخرج لصلاة الصبح[(١)].

«كان سليم بن عتر من خير التابعين». ورُوي عن الحارث بن يزيد، قال: «قلت لحسن بن عبدالله: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾؟ قال: أخبرك، هذه والله صفة سليم بن عتر، وأبي عبدالرحمن الحُبُلي». وقال ابن يونس: «كان يكنى أبا سلمة، هاجر في خلافة عمر، وسمع خطبته بالجابية، وشهد فتح مصر، وجُمع له القضاء والقَصص بمصر، وكان يُسمى: سُليم الناسك؛ لشدة عبادته». روى عن عمر وحفصة وأبي الدرداء ن. وروى عنه عُلَيّ بن رباح، وأبو قَبيل، ومِشْرَح، وعقبة بن مسلم، والحسن بن ثوبان، وغيرهم. يقال: توفي وسط إمرة عبدالعزيز بن مروان. ويقال: سنة خمس وسبعين. انظر: الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة للسخاوي (٥/ ٨٠).

<u>وفي ترجمته فائدة:</u> ففي التاريخ الكبير للبخاري (٢٩٨٥)، وأخبار قضاة مصر لأبي عمر الكندي (١/ ١٩) عن أبي صالح الغفاري، قال: «إن سُليم بن عِتر التُّجيبي كان يقصُّ على الناس وهو قائم، فقال له صلة بن الحارث الغفاري- وهو من أصحاب النبي ق -: «والله ما تركنا عهد نبينا ولا قطعنا أرحامنا، حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا!». اهـ

وهذا يدلُّ على كراهية الصحابة ن للقَصص، وأن ينتصب الرجل للوعظ العام- وإن كان فاضلًا في نفسه.

(١) يُلِمُّ بالمرأة. أي: يجامعها.

وقولها: «كان يقوم من الليل فيختم القرآن، ثم يُلِمُّ بأهله- ثلاث مرات». قد يكون مرادها: أنه يختم حفظه من القرآن ثلاث مرات في الليلة؛ فإن كثيرًا من الصحابة والسَّلف لم يكن يحفظ القرآن كاملًا، وختم القرآن كله ثلاث مرات في ليلةٍ واحدةٍ أمرٌ يصعب حدوثه جدًا، فلو فرضنا أنه يقرأ وجهين في دقيقةٍ واحدةٍ فسيحتاج إلى خمس ساعات بنَفَسٍ واحدٍ للختمة الواحدة دون الركوع والسجود.

=

قال أبو عبيد:

والذي عليه أمر الناس أن الجمع بين السور في الركعة حسن واسع غير مكروه[١].

وهذا الذي فعله عثمان وتميم الداري ﭫ وغيرهما هو من وراء كل جمع[٢].

وههنا قصة لطيفة ذكرها ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (٢/ ٦٨٩) عن الشعبي: «أن امرأة جاءت إلى عمر ﭬ فقالت: يا أمير المؤمنين! أَعْدِني على زوجي يقوم الليل ويصوم النهار، قال: فما تأمريني؟! أتأمريني أمنع رجلًا من عبادة ربه؟! قال: فذهبت ثم عادت، فقالت: مثل ذلك، فقال: ما تأمريني؟ أتأمريني أن أمنع رجلًا من عبادة ربه؟! قال: وعنده كعب بن سُور، فقال كعب: يا أمير المؤمنين! إن لها حقًا... ثم إن الزوج قال:

زهَّدني في فُرْشها وفي الحَجَل ... أني امرؤٌ أذهله ما قد نَزَل

في سورة النور وفي السبع الطُّول ... وفي كتاب الله تخويفٌ جَلَل

فقال كعب:

إن خير القاضيَيْن من عدل ... وقضى بالحق جهدًا وفصل

إن لها عليك حقًا ما حفل ... تُصِيبها في أربعٍ لمن عقل

اجعل لها ذاك ... ودع عنك العلل

فقضى لها من كل أربعة أيام يومًا، وبعثه عمر ﭬ على قضاء البصرة». اهـ

(١) تقدَّم بحثه قبل بابيْن.

(٢) فعل عثمان وتميم ﭫ؛ سيأتي بحثه قريبًا.



ومما يُقوِّي ذلك حديث عبدالله ط الذي ذكرنا قوله: «قد علمت النظائر التي كان رسول الله ق يقرن بينهن».

إلا أن الذي أختار من ذلك: ألا تقرأ القرآن في أقل من ثلاث، للأحاديث التي ذكرناها عن النبي ق وأصحابه من الكراهة لذلك[1].

---

(١) مسألة قراءة القرآن في أقل من ثلاث:

الأصل فيها: حديث عبدالله بن عمرو م الذي رواه أحمد في مسنده، قال: «قلت: يا رسول الله! في كم أقرأ القرآن؟ قال: اقرأه في كل شهر، قال: قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك، قال: اقرأه في خمس وعشرين، قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك، قال: اقرأه في عشرين، قال: قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك، قال: اقرأه في خمس عشرة، قال: قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك، قال: اقرأه في عشر، قال: قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك، قال: اقرأه في سبع، قال: قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك، قال: لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث».

وفي رواية قال: «اقرأ القرآن في كل سبع، ولا تزيدن على ذلك». رواه أبو داود.

وعليه فيستحب ختم القرآن في كل سبعة أيام، فعن أوس بن حذيفة ط قال: «قلنا لرسول الله ق: لقد أبطأت عنا الليلة، قال: إنه طرأ عليَّ جزئي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتى أتمه. قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ق كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده». رواه أبو داود.

والمراد ثلاث سور هي: البقرة، وآل عمران، والنساء، ثم على هذا النسق، وتكون آخر الثلاث عشرة هي سورة الحجرات.

ورواه أحمد، وزاد: «وحزب المفصل من (ق) حتى يختم».

وروى أبو نعيم في الحلية (٢/ ٩٩) عن إبراهيم، قال: «كان علقمة يختم القرآن كل خميس».

وفي المغني لابن قدامة (١/ ٨٣٩) قال عبدالله ابن الإمام أحمد: «كان أبي يختم القرآن في النهار في كل سبع؛ يقرأ كل يوم سُبُعًا، لا يكاد يتركه نظرًا». اهـ

=



وإن قرأه في ثلاث؛ فلا بأس، لقوله ﷺ لعبدالله بن عمرو: «اقرأه في ثلاث».

وإن قرأه في أقل من ثلاث؛ فهو مكروه لما تقدم من قوله: «لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث».

وبهذا أفتى الإمام أحمد، فقال: «أكره أن يقرأه في أقل من ثلاث»؛ وذلك لأنه لا يمكن مع قراءته في أقل من ثلاث التفقه فيه والتدبر لمعانيه وتَفَوُّقُهُ، كما كان الصحابة يفعلون.

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن زيد بن ثابت ؓ، قال: «لأن أقرأ القرآن في شهر، أحبُّ إليَّ من أن أقرأه في خمس عشرة، ولأن أقرأه في خمس عشرة أحبُّ إليَّ من أن أقرأه في عشر، ولأن أقرأه في عشر أحبُّ إليَّ من أن أقرأه في سبع - وفي رواية، قال: وسبع أحبُّ إليَّ من ثلاث -؛ أقف وأدعو».

وفي رواية المروزي في مختصر قيام الليل، قال: «لكي أتدبره، وأقف عليه».

وفي رواية قال: «فأقف عند ما ينبغي لي أن أقف عنده؛ فأدعو وأتعوذ وأسأل».

وعن الإمام أحمد رواية بأن ذلك غير مُقدَّر، بل هو على حسب ما يجد من النشاط والقوة.

ولكن المشهور من كلامه: الأول؛ قال إسحاق الكوسج في مسائله (٢/ ٧٥١): «قلت: في كم يقرأ الرجل القرآن؟ قال أحمد بن حنبل: أقل ما سمعنا أربعون، وأكره له دون ثلاث. قال إسحاق ابن راهويه: كما قال، وأجاد». اهـ

وقول أحمد: (أقل ما سمعنا أربعون). أي: أقصى مدة لختم القرآن.

قال أبو داود في مسائله للإمام أحمد (ص٧١): «سمعت أحمد يقول: أكثر ما سمعنا أن يختم القرآن فيه: أربعين».

وتقدم قول عائشة ؓ لما قالت: «إن رسول الله ﷺ كان لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث».

وفي صحيح مسلم عنها، قالت: «لا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة».

بل إن النبي ﷺ لما قال لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة»، فشقَّ ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟!- وفي رواية قالوا: فأشفقنا أن يأمرنا بأمر نعجز عنه- فقال: «الله الواحد الصمد؛ ثلث القرآن». رواه البخاري.

فقوله: «فشقَّ ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟!». يدل على استصعابهم قراءة ثلث القرآن في ليلة، وخوفهم من العجز عن القيام بهذا الأمر، فكيف بمن يقرأه كله في ليلة.

=



وقال إسحاق بن راهويه كما في مسائل الكوسج (٩/ ٤٨٢٠): «وأما الذي نستحب لمن حمل القرآن حتى حفظه أن يقرأه في السبع أو الثمان، وإن كان في ثلاث فهو أفضل، ولا يقرؤه في دون ثلاث إلا أن يحب في الأحايين ختم القرآن؛ ليدعو دعوة يطمع في الإجابة، كنحو دخوله الكعبة، أو ليلة القدر وما أشبه ذلك، فأما الإدمان ففي ثلاث». اهـ

ومعنى الجملة الأخيرة: أنه يلازم الختم في الثلاث، وإن ختم دونها أحيانًا؛ فلا بأس.

وقوله: «وإن كان في ثلاث فهو أفضل». فيه نظر؛ بل هو رخصة، والأفضل: السبع؛ كما كان تحزيبه ﷺ وأصحابه ﷺ.

وأما ما روي عن جماعة من السَّلف من قراءة القرآن في أقل من ذلك: كمن قرأه كله في ليلتين، أو في ليلة واحدة، أو في ركعة واحدة، أو أكثر من ختمة في يوم واحد. فإما أنهم فهموا من الحديث أن المقصود بالنفي هنا نفي الفقه لا نفي الثواب، وأن القراءة في أقل من الثلاث جائزة، وأن هذا يختلف باختلاف الناس. وإما أنهم كانوا يفعلون مثل ما كان يفعل بلال ﷺ، يقرأ من كل سورة جزءًا ثم ينتقل إلى الأخرى، كما في مصنف عبدالرزاق وغيره أن النبي ﷺ قال لبلال: «استمعت إليك يا بلال! وإذا أنت تأخذ من هذه السورة، ومن هذه السورة! قال: أجمع الطيب بالطيب، أخلط بعضه إلى بعض، قال: كل هذا حسن». وفي رواية قال: «اقرأ السورة على وجهها».

وقال ابن كثير في فضائل القرآن (١/ ٢٦٠) بعدما سرد أخبارًا عن بعض المتقدمين بأن فلانًا ما كان يحلُّ حَبْوَتَه حتى يختم القرآن، وآخر كان يختم في رمضان ستين ختمة، وآخر فيما بين الظهر والعصر، ويختم ختمة أخرى فيما بين المغرب والعشاء، وآخر كان يختم بالنهار أربع ختمات، وبالليل أربع ختمات، قال ابن كثير: «هذا وأمثاله من الصحيح عن السَّلف، محمول إما على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مما تَقَدَّم، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة، والله سبحانه وتعالى أعلم». اهـ

وأما بخصوص ما جاء من فعل عثمان وتميم ﷺ - إن صحَّ ذلك - فإنهما لم يداوما عليه، بل جاء عنهما ما يخالف ذلك:

فأما عثمان ﷺ فقد روى عبدالله بن أحمد في فضائل عثمان (١/ ١٧٨) عن القاسم، قال: «كان عثمان بن عفان ﷺ يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وبالأنعام إلى هود، وبيوسف إلى مريم،
=





وبـ(طه) إلى طسم موسى وفرعون- يعني: القصص- وبالعنكبوت إلى (ص)، وبتنزيل- أي: الزمر- إلى الرحمن، ثم يختم. فيفتتح ليلة الجمعة ويختم ليلة الخميس».

وأما تميم ط فقد جاء عنه في متن هذا الكتاب عن أبي قلابة، قال: «كان تميم الداري يختم القرآن في كل سبع».

ولا يُعلم في الصحابة على عهد النبي ق أو بعده مَن دوام على قراءة القرآن فيما دون الثلاث.

وأما أكثره: فقد قال الإمام أحمد، كما في المغني لابن قدامة (١/ ٨٣٩): «أكثر ما سمعت أن يختم القرآن في أربعين». قال ابن قدامة: «لأن النبي ق سأله عبدالله بن عمر م: في كم يقرأ القرآن؟ قال: في أربعين يومًا، ثم قال: في شهر، ثم قال: في عشرين، ثم قال: في خمس عشرة، ثم قال: في عشر، ثم قال: في سبع، لم ينزل من سبع». رواه الترمذي، وأبو داود.

ولأن تأخيره أكثر من هذا يفضي إلى نسيانه والتهاون به، وهذا إذا لم يكن عذرٌ، فأما مع العذر، فذلك واسع». اهـ

ومما يؤيد ذلك ما رواه الترمذي في سننه، عن عبدالله بن عمرو م أن النبي ق قال له: «اقرأ القرآن في أربعين». وقال: هذا حديث حسن غريب.

وقال إسحاق بن راهويه، كما في مسائل الكوسج (٩/ ٤٨٢٠): «وأما قارئ القرآن حفظًا أو نظرًا، فإنه يستحب له أن لا يجاوز أربعين يومًا، حتى يكون خاتمًا فيه مرة، لما أمر النبي ق عبدالله ابن عمرو م أن يقرأه في أربعين حين سأله: إني جمعت القرآن، ففي كم أقرؤه؟ فبدأه: «اقرأه في أربعين». فالرخصة لمن جمع القرآن هذا الوقت أكثره، مع أن أكثر الرواية أن النبي ق حيث سأله، قال له: «اقرأه في شهر». ونرجو في أربعين، لما ذكر في الحديث». اهـ

وإن ضاق الوقت بالقارئ، أو كان مشغولًا بما يهمه من أمر دينه أو دنياه، ولم يختمه إلا في أكثر من ذلك، فنرجو- إن شاء الله- ألا يكون ممن اتخذ القرآن مهجورًا؛ لأن النبي ق كان يعرض القرآن على جبرائيل في كل سنة مرة، وفي السَّنة التي توفي فيها عرضه عليه مرتين.

وقد كان أقوياء أصحاب رسول الله ق يقرءون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، والله أعلم.



باب: القارئ يحافظ على جزئه وورده من القرآن بالليل والنهار في صلاة أو غير صلاة

٢٤٣ – حدثنا مروان بن معاوية، عن عبدالله بن عبدالرحمن الطائفي، قال:

حدثني عثمان بن عبدالله بن أوس الثقفي، عن جده ط[١]:

أنه كان في الوفد الذين وفدوا على رسول الله ق من بني مالك- من ثقيف-فأنزلهم في قبة له في المسجد-أو قال: بين المسجد وبين أهله- قال: فكان يأتينا فيحدثنا بعد العشاء، وهو قائم حتى يراوح بين قدميه من طول القيام، وكان أكثر ما يحدثنا شكايته قريشًا وما كان يلقى منهم. ثم قال: كنا مستضعفين بمكة، فلما قدمنا المدينة، انتصفنا من القوم، وكانت سجال الحرب بيننا علينا ولنا. قال: فاحتبس عنا ليلة، فقلنا: يا رسول الله! لبثت عنا الليلة أكثر مما كنت تلبث؛ فقال: «نعم، طرأ عليَّ حزبي[٢] من القرآن[٣]، فكرهت أن أخرج من المسجد حتى أقضيه»[٤].

---

(١) جده: هو أوس بن حذيفة ط من أصحاب النبي ق، مات أيام الحرَّة.

(٢) هو ما يجعله العبد على نفسه من قرآن أو صلاة في كل يوم، كالوِرْد.

(٣) وفي الطبقات الكبرى لابن سعد، قال: «إنه طرأ عليَّ نفر من الجن، وبقي عليَّ من حزبي، فكرهت أن أخرج...». الحديث.

(٤) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه. قال ابن كثير: «إسناده حسن».

وحدثني أبو نعيم، عن عبدالله بن عبدالرحمن الطائفي، عن عثمان بن عبدالله بن أوس، عن جده، عن النبي ﷺ مثل ذلك.

وزاد في حديثه قال:

فقلنا لأصحاب رسول الله ﷺ: إنه قد حدثنا: أنه قد طرأ عليه حزبه من القرآن، فكيف تُحزِّبون[١] القرآن؟ قالوا: نحزبه: ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل ما بين «قاف» فأسفل[٢].

٢٤٤ - حدثنا يحيى بن بكير، عن مالك بن أنس، عن داود بن الحصين، عن عبدالرحمن الأعرج

عن عبدالرحمن بن عبدٍ القاري:

أن عمر رضي الله عنه قال: «من فاته حزبه من الليل فقرأه حين تزول الشمس إلى صلاة الظهر، فكأنه لم يفته، أو كأنه أدركه»[٣].

---

(١) أصل الحزب: هو الطائفة، والمراد به هنا هو تجزئة سور القرآن، واتخاذ كل جزء حزبًا له.

(٢) أي: الحزب الأول: يقرأ فيه ثلاث سور من البقرة إلى آخر النساء، والثاني: خمس سور إلى آخر براءة، والثالث: سبع سور إلى آخر النحل، والرابع: تسع سور إلى آخر الفرقان، والخامس: إحدى عشرة إلى آخر (يس)، والسادس: ثلاث عشرة إلى آخر الحجرات، ثم حزب المفصل: من (ق) إلى الناس. وهذا هو التحزيب الثابت في السُّنة، أما التحزيب الحالي وتجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءًا وستين حزبًا، فهو حادث.

(٣) قال ابن عبدالبر في التمهيد (١٢/ ٢٧٠): «هذا الأثر وهْمٌ عندي- والله أعلم- ولا أدري أمِن داود بن الحصين جاء، أم من غيره؟ لأن المحفوظ فيه عن عمر من حديث ابن شهاب: من نام =



٢٤٥ – حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن

عن عبدالرحمن بن عبدٍ القاري، قال:

استأذنت على عمر ط بالهاجرة، فحبسني طويلاً، ثم أذن لي، وقال: «إني كنت في قضاء وِردي».

٢٤٦ – حدثني قبيصة، عن سفيان، عن الأعمش

عن خيثمة، قال:

دخلت على عبدالله بن عمرو م وهو يقرأ في المصحف، فقلت له، فقال: «هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة[(١)]».

٢٤٧ – حدثنا هشيم، أخبرنا مغيرة

عن أم موسى[(٢)]:

عن حزبه أو عن شيء من حزبه، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر؛ كتب له كأنما قرأه... إلى أن قال: وهذا الوقت فيه من السعة ما ينوب عن صلاة الليل، فيتفضل الله برحمته على من استدرك من ذلك ما فاته، وليس من زوال الشمس إلى صلاة الظهر ما يستدرك فيه كل أحد حزبه، وهذا بَيِّنٌ والله أعلم». اهـ

(١) كان يراجعه بالنهار؛ ليسهل عليه بالليل.

(٢) هي: أم موسى، سرية علي بن أبي طالب ط. قيل: اسمها حبيبة، وقال أبو داود: اسمها فاختة. روت عن عليٍّ، وأم سلمة م. وروى عنها مغيرة بن مقسم الضبي.

=



أن الحسن بن علي م كان يقرأ ورده من أول الليـل، وأن حُـسينًا ط كان يقرؤه من آخر الليل.

٢٤٨ – حدثنا ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، قال: حدثني أبو الخير، قال:

سمعت عقبة بن عامر ط، يقول:

«ما تركت حزب سورة من القرآن في ليلتها منذ قرأت القرآن».

٢٤٩ – حدثنا أبو معاوية، ومحمد بن فضيل، كلاهما عن الأعمش، عن سلمة بن كهيل، عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس، وابن عمر ن:

أنهما كانا يقرآن أجزاءهما بعدما يخرجان من الخلاء قبل أن يتوضآ.

٢٥٠ – حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود

عن عائشة ك، قالت:

«إني لأقرأ جزئي- أو قالت: سُبْعي- وأنا جالسة علـى فراشـي، أو على سريري»[١].

قال الدارقطني: «حديثها مستقيم، يُخرج حديثها اعتبارًا». ووثقها العجلي. وروى لها البخاري في الأدب. وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال (٨٠١٦).

(١) وهكذا كان ابن أختها عروة بن الزبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات =



وحدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة ﵂ مثل ذلك.

٢٥١ – حدثنا عبدالله بن أبي أمية، عن أبي عوانة، عن أبي عوانة، عن عبدالملك بن عمير

عن أبي بردة:

أن معاذاً، قال لأبي موسى: «كيف تقرأ القرآن؟». فقال: «أَتَفَوَّقه تَفَوُّقَ اللَّقُوح، فكيف تقرأ أنت؟». قال: «أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيتُ كراي، فأقرأ ما كتب لي، فأحتسب نومي كما أحتسب قومي»[(١)]. أو قال: «أحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي»[(٢)].

---

(١٣١): «حدثنا عبدالرحمن بن بشر بن الحكم، حدثنا عبدالرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري: أن عروة بن الزبير لما وقعت الأكلة في رجله، قيل له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: إن شئتم؛ فجاء الطبيب، فقال: أسقيك شرابًا يزول فيه عقلك؛ فقال: امض لشأنك! ما ظننت أن خلقًا يشرب شرابًا يزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه! قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله، فما سمعنا حِسًا، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذتَ لقد أبقيتَ، ولئن ابتليتَ لقد عافيتَ. قال: وما ترك جزأه بالقرآن تلك الليلة».

وروى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ١١٦) عن عبدالرزاق، قال: «كان الثوري قد جعل على نفسه لكل ليلة جزأ من القرآن وجزأ من الحديث، قال: فيقرأ جزأه من القرآن، ثم يجلس على الفراش، فيقرأ جزأه من الحديث، ثم ينام». اهـ

(١) وفي تاريخ دمشق زيادة، قال: «فما فرَّطت فيه من الليل؛ استدركته بالنهار».

(٢) وفي مستخرج أبي عوانة، قال: «فكان صنع معاذ أفضلهما».

=



٢٥٢ - حدثنا جرير، عن منصور

عن إبراهيم، قال:

«كان أحدهم[(١)] إذا بقي عليه من جزئه شيء فنشط، قرأه بالنهار، أو قرأه من ليلة أخرى». قال: «وربما زاد أحدهم[(٢)]».



وفي هذا تنبيه على أهمية النية، وأنها تقلب العمل المباح إلى عمل مستحب؛ يؤجر عليه العبد، وقد قال النبي ﷺ: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك». وقد قيل: «الأعمال البهيمية ما عُمل بغير نية».

ومعنى قوله: (أتفوقه تفوق اللقوح). أي: أقرأه قليلًا قليلًا بتدبرٍ وتفكيرٍ ومداومةٍ، حتى أستطعمه وأستلذُّ به وأنتفع منه، كما يفعل من أراد أن يستطعم شرابًا حلوًا، كلبن الإبل أو غيره.

قال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ١٧٦): «قوله: أَتَفَوَّقه. أي: لا أقرأ جزئي بمرة، ولكن أقرأ منه شيئًا بعد شيء في آناء الليل والنهار، فهذا التفوق، وإنما هو مأخوذٌ من فُواق الناقة، وذلك أنها تُحلب ثم تترك ساعة حتى تدرّ، ثم تحلب». اهـ

(١) أي: أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وقد روى الفريابي في فضائل القرآن (١٣٠) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «اقرؤا القرآن في كل سبع، وليحافظ أحدكم على حزبه في يومه وليلته».

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٧٠) عن أنس بن سيرين، قال: «كان لمحمد بن سيرين سبعة أوراد يقرؤها بالليل، فإذا فاته منها شيء؛ قرأه من النهار».

(٢) عملًا بقوله ﷺ: «إن خياركم؛ أحسنكم قضاء». ودين الله أحقُّ بحسن القضاء.



باب: القارئ يقرأ آي القرآن من مواضع مختلفة أو يفصل القراءة بالكلام

٢٥٣ - حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبدالرحمن بن حرملة

عن سعيد بن المسيب:

أن رسول الله ق مرَّ بأبي بكر ط وهو يخافت، ومرَّ بعمر ط وهو يجهر، ومرَّ ببلال ط وهو يقرأ من هذه السورة، ومن هذه السورة.

فقال لأبي بكر ط: «مررت بك وأنت تخافت». فقال: إني أُسمع من أناجي. قال: «ارفع شيئًا».

وقال لعمر ط: «مررت بك وأنت تجهر». قال: أطرد الشيطان، وأوقظ الوسنان. فقال: «اخفض شيئًا».

وقال لبلال ط: «مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة». فقال: «أخلط الطَّيب بالطَّيب».

فقال: «اقرأ السورة على وجهها». أو قال: «على نحوها»[١].

---

(١) رواه عبدالرزاق، وابن أبي شيبة في مصنفيها، والمروزي في مختصر قيام الليل، من مراسيل سعيد بن المسيب، وعامة العلماء على أن مراسيل سعيد أصح المراسيل.

=



حدثنا حجاج، عن ليث بن سعد

عن عُمر مولى غُفرة[١]:

عن النبي ق مرَّ بأبي بكر وعمر وبلال ن مثل ذلك؛ إلا أنه قال لبلال ط: «إذا قرأت السورة فأنفذها[٢]».

ورواه الترمذي، وأبو داود، دون الزيادة الأخيرة عن بلال ط.

ورواه أحمد، والضياء في المختارة بمعناه عن علي ط وفيه: «أن النبي ق مرَّ بأبي بكر وعمر وعمار - ولم يذكر بلالًا ن - وفي آخره قال: فكله طيب».

ورواه عبدالرزاق عن عطاء مرسلًا، وفي آخره قال ق: «كل هذا حسن».

ورواه البيهقي في الشعب، وفي آخره، قال: «كلكم قد أصاب».

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي إسحاق، قال: «كان عمار يخلط من هذه السورة، ومن هذه السورة، فقيل له، فقال: أتروني أخلط فيه ما ليس منه؟». اهـ

وعلى هذا فإن خَلْط سورة بسورة؛ تركه أولى، والمستحب له أن يأتي بكل سورة على وجهها حتى يُنْفِذَها.

(١) هو: عمر بن عبدالله المدني أبو حفص، مولى غُفرة بنت رباح، أخت بلال بن رباح، قال عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: «ليس به بأس، ولكن أكثر حديثه مراسيل».

وقال يحيى بن معين: «لم يسمع من أحد من أصحاب النبي ق».

وقال يحيى بن بكير: «عمر مولى غفرة وربيعة بن أبي عبدالرحمن ابنا خالة».

وقال ابن أبي حاتم: «سمعت أبي، يقول: عمر مولى غفرة يُكتب حديثه».

انظر: تهذيب الكمال (٤٢٧١). والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦٤٠).

(٢) أي: «اقرأها على وجهها إلى آخرها»، كما في الرواية الأخرى.

٢٥٤ – حدثنا أبو نعيم، عن الوليد بن عبدالله بن جُميع، قال:

حدثني رجل- أثق به- قال:

أمَّ الناسَ خالدُ بن الوليد ط بالحيرة فقرأ من سور شتى، ثم التفت إلى الناس حين انصرف، فقال: «شغلني الجهاد عن تعلم القرآن».

٢٥٥ – حدثنا ابن أبي زائدة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال:

قال خالد بن الوليد ط:

«لقد شغلني الجهاد في سبيل الله عن كثير من قراءة القرآن»[(١)].

٢٥٦ – حدثنا معاذ

عن ابن عون، قال:

سألت ابن سيرين: عن الرجل يقرأ من السورة آيتين، ثم يدعها ويأخذ في غيرها، ثم يدعها ويأخذ في غيرها؟ فقال:

«ليتق أحدكم أن يأثم إثمًا كبيرًا وهو لا يشعر»[(٢)].

---

(١) وفي رواية أخرى، قال: «إني بطَّأت عن الإسلام، وشغلني الجهاد عن تعلم القرآن».
فإذا كان أبو سليمان خالد بن الوليد ط يتأسف ويعتذر بانشغاله في الجهاد، لجعل كلمة الله هي العليا عن قراءة القرآن، فما هو عذرنا نحن إذا انشغلنا عن القرآن، والله المستعان!

(٢) وفي مصنف ابن أبي شيبة عن الحسن: «أنه كان يكره أن يقرأ من سورتين، حتى يختم واحدة، ثم يأخذ في أخرى».

٢٥٧ – حدثنا علي بن عابس، عن العلاء بن المسيب، عن أبيه

عن ابن مسعود ط، قال:

«إذا ابتدأت في سورة فأردت أن تَحَوَّلَ منها إلى غيرها فتحوَّل، إلا: @قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ![الإخلاص:١]. فإذا ابتدأت فيها فلا تحول منها حتى تختمها».

٢٥٨ – حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن أبي سنان

عن عبدالله بن أبي الهذيل، قال:

«كانوا يكرهون أن يقرؤا بعض الآية، ويدعوا بعضها»(١).

---

(١) وفي رواية سعيد بن منصور في التفسير، قال: «إذا قرأ أحدكم الآية، فلا يقطعها حتى يتمَّها».

وأما مسألة الوقوف على رؤوس الآي، فهذه من المواضع التي يخالف فيها بعضُ القراء علماءَ الحديث، فإن بعض القراء يذهبون إلى عدم الفصل بين الآيات في أثناء القراءة إذا كان المعنى متصلًا، وعلماء الحديث يقولون: السُّنة الوقوف على رؤوس الآيات، وإن لم يكتمل المعنى، وإذا أراد أن يُنهي القراءة، فليقطعها على معنى تام. واستدلوا لذلك بما روته أم سلمة ك أن النبي ق كان يقطع قراءته آية آية، يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ثم يقف، ثم يقول: «الحمد لله رب العالمين» ثم يقف، ثم يقول: «الرحمن الرحيم»، ثم يقف».

ولهذا قال البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٢١): «ومتابعة السُّنة أولى مما ذهب إليه بعض أهل العلم بالقرآن من تتبع الأغراض والمقاصد، والوقوف عند انتهائها». اهـ

ثم تابعه ابن القيم وغيره في ذلك.

=



ويدلُّ لذلك أن رسول الله ﷺ قال لابن مسعود: «اقرأ عليَّ، فقال: أقرأ عليك، وعليك أنـزل؟! قال: إني أحبُّ أن أسمعه من غيري، قال: فافتتحت سورة النساء، فلما بلغت: « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا »، قال: فرأيته وعيناه تذرفان دموعًا. فقال لي: حسبك». اهـ

فالوقوف على قوله: «شَهِيدًا » ليس بتام المعنى، لأن المعنى: فكيف يكون حالهم إذا كان هذا؟ الجواب: « يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا »، فما قبله متعلق بما بعده، ولو كان الأمر لازمًا على حسب المعنى؛ لتركه النبي ﷺ يكمل الآيات، ولكنه وقف على رأس الآية؛ ففي هذا دليل على جواز القطع الكافي، إذا كان على رؤوس الآيات.

والحمد لله، فإن أكثر أواخر الآيات في القرآن، إما وقف تام أو كاف، لاسيما في السور قصيرة الآيات، كالرحمن والواقعة والشعراء، ونحوهم.

قال أبو عمرو الداني في كتابه: المكتفى في الوقف والابتدا (١/ ١١): «ومما ينبغي له أن يقطع عليه: رؤوس الآي؛ لأنهن في أنفسهن مقاطع. وأكثر ما يوجد التام فيهن؛ لاقتضائهن تمام الجمل، واستيفاء أكثرهن انقضاء القصص، وقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون القطع عليهن، وإن تعلق كلام بعضهن ببعض، لما ذكرناه من كونهن مقاطع، ولسن بمشبهات لما كان من الكلام التام في أنفسهن دون نهاياتهن.

وعن اليزيدي عن أبي عمرو- هو: ابن العلاء، أحد القراء السَّبعة الذين طلبوا الحديث، وكان صاحب سنة، ولا يشتبه هذا بأبي عمرو الداني صاحب الكتاب المذكور آنفًا؛ فإنه كان على اعتقاد الأشاعرة- أنه كان يسكت عند رأس كل آية، وكان يقول: إنه أحبُّ إليَّ؛ إذا كان رأس آية أن يسكت عندها. وقد وردت السُّنة أيضًا بذلك عن رسول الله ﷺ عند استعمال التقطيع». اهـ

وقد سبق في قول أم سلمة ﵂ أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قالت: «كانت قراءة مفسرة، حرفًا حرفًا». ومعناه: الوقف على رؤوس الآيات.

وأيضًا من السُّنة أنه ينبغي للقارئ أن يقطع على الآية التي فيها ذكر النار والعقاب، ويفصلها عما بعدها، إن كان بعدها ذكر الجنة أو الثواب، والعكس بالعكس.

=

قال أبو عبيد:

الأمر عندنا على الكراهة لقراءة هذه الآيات المختلفة كما أنكر الرسول ﷺ على بلال ﵁، وكما اعتذر خالد ﵁ من فعله، ولكراهة ابن سيرين له.

وأما حديث عبدالله ﵁[1] فإنما وجهه عندي على أن يبتدئ الرجل في السورة يريد إتمامها، ثم يبدو له في أخرى، فأما من ابتدأ القراءة وهو

مثال ذلك: قوله تعالى في سورة البقرة: «فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ». فلا ينبغي للقارئ أن يصلها بقوله: «وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ»، ويقطع على: «ٱلصَّٰلِحَٰتِ»؛ فإن ذلك يوهم أن حكم الفريقين في الآخرة سواء.

أو قوله تعالى في سورة الملك: «فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ». فلا ينبغي للقارئ أن يصلها بقوله: «قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ»، ويقطع على: «ٱلرَّحۡمَٰنُ»؛ فإن هذا يوهم أن الله يجير الكافرين من عذاب أليم.

وعلى هذا فَقِسْ، وقد قال عبدالله بن مسعود ﵁: «الخطأ: أن يجعل في القرآن ما ليس منه، أو أن يختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة».

ومن ذلك أيضًا: عدم قطع جملة عن حقِّها فيما بعدها، كما قال ميمون بن مهران: «إني لأقشعرُّ من قراءة أقوام، كأن أحدهم فيما عليه ألا يقصر عن العشر آيات! إنما كانت القراء تقرأ القَصص، إن طالت أو قصرت، وإن أحدهم اليوم يقرأ: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ»، ويقوم في الركعة الثانية، فيقرأ: «أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ». اهـ

ذكره ابن الطحان الأندلسي في كتابه: نظام الأداء في الوقف والابتداء.

ومما تقدَّم من الأحاديث والآثار يتبين لنا: أن السُّنة هي الوقوف على رؤوس الآيات، وأن وصل الآيات ببعضها في نَفَسٍ واحدٍ مما أحدثه العجم، وتبعهم على ذلك جهلاء أئمة المساجد، حتى وصل الأمر بأحدهم إلى أن يقرأ الفاتحة كاملة في نَفَسٍ واحد دون انقطاع في الصلاة الجهرية!

(١) يقصد: ابن مسعود ﵁ في قوله المتقدم آنفًا: «إذا ابتدأت في سورة، فأردت أن تحول منها...».



يريد التنقل من آية إلى آية، وترك التأليف لآي القرآن فليس هـذا عنـدنا من فعل أهل العلم[١]، إنما يفعله الأحداث[٢] ومن لا علـم لـه؛ لأن الله لو شاء لأنزله على ذلك، أو لفعله رسول الله ق:

على أن حجَّاجًا حدثنا عن ابن جريج، عـن عطـاء، عـن الـنبي ق وأبي بكر وعمر وبلال ن مثل الحديث الذي ذكرناه عنهم.

إلا أنه قال: قال رسول الله ق: «كل ذلك حسن».

قال أبو عبيد:

وذلك أثبت عندي؛ لأنه أشبه بفعل العلماء[٣].

---

(١) بل حُكي الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة.

(٢) أي: الصبيان في الكتاتيب.

(٣) أي: حمل فعل بلال ط على أنه دخل في السورة وهو يريد إتمامها، ثم بـدا لـه في أخـرى، لا أنه أراد التنقل بين السُّور ابتداءً؛ وبهذا يُجمع بين إنكار النبي ق عليه، وبين قوله: «كل ذلك حسن».

فائدة: قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٢٠٩) بعدما ذكر صفة قراءة النبـي ق في الـصلاة، قـال: «ولم يفعل ما يفعله كثير من الناس اليوم؛ من قـراءة بعـض هـذه- أي: الـسورة- وبعـض هـذه في الركعتين».

وقال: «وأما الجمعة، فكان يقرأ فيها بـسورتي «الجمعـة» و«المنـافقين» كـاملتين و«سـورة سـبح» و«الغاشية». وأما الاقتصار على قراءة أواخر الـسورتين مـن: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ». إلى آخرهـا، فلـم يفعله قطُّ، وهو مخالفٌ لهديه ق الذي كان يحافظ عليه».

وقال: «وكان من هديه ق قراءة السورة كاملة، وربما قرأها في الركعتين- أي: كرر نفس السورة في الركعتين، كما في السفر- وربما قرأ أول السورة. وأما قراءة أواخر السُّور وأوساطها، فلـم يُحفـظ =



عنه. وأما قراءة السورتين في ركعة، فكان يفعله في النافلة، وأما في الفرض، فلم يحفظ عنـه... وأمـا قراءة سورة واحدة في ركعتين معًا، فقلما كان يفعله». اهـ

وفي شرح البخاري لابن رجب (٤/ ٤٦٤) قال البخاري: «باب: الجمع بين السورتين في الركعة، والقراءة بالخواتيم، وسورة قبل سورة، وبأول السورة، ويذكر عن عبدالله بـن الـسائب: قـرأ النبـي ﷺ (المؤمنين) في الصبح، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون- أو ذكر عيسى- أخذته سعلة فركع.

قال ابن رجب: وهذا الحديث قد يُستدل به على قراءة السورة في الركعتين، وقد سبق ذكر ذلـك، إلا أنه ليس فيه تصريح بأنه أتمها في الركعة الثانية، فإنما يُستدل به عـلى جـواز قـراءة أول الـسُّور في ركعة. وأكثر العلماء على أنه لا يكره قراءة أوائل السُّور وأوساطها وخواتمها في الـصلاة. وقـد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ في المفروضة بخواتيم السُّور. وعن أحمد يُكره القراءة من أوسـاط السور دون خواتيمها. وعنه أنه يكره قراءة أواخر السور؛ كذا حكاها طائفة من أصحابنا عن أحمد، ومنهم من حملها على كراهة المداومة عـلى ذلـك دون فعلـه أحيانًـا؛ لأن أصـحاب النبـي ﷺ كـان الغالب عليهم قراءة السُّورة التامة، فيكره مخالفتهم في أفعاله.

ثم قال البخاري: وقرأ عمر رضي الله عنه في الركعة الأولى بمئة وعشرين آية من البقرة، وفي الثانية بسورة من المثاني.

قال ابن رجب: هذا يدلُّ على قراءة سورة وبعض أخرى في ركعتين، وأنه غير مكروه.

قال البخاري: وقال قتادة فيمن يقرأ سورة واحدة في الركعتين، أو يردد سورة واحدة في ركعتين: «كلٌّ كتاب الله».

قال ابن رجب: أما قراءة سورة يقسمها في ركعتـين؛ فغـير مكـروه، وقـد فعلـه أبـو بكـر وعمـر وغيرهما، وقد سبق ذكره. وكذلك ترداد السورة في الركعتين كلتيهما.

وقال ابن رجب في موضع آخر: القراءة بسورة تامة؛ هذا هو الأفضل بالاتفاق؛ فإن قـرأ الـسورة في ركعتين لم يكره أيضًا، وقد فعله أبو بكر الصديق. ورخص فيه سعيد بن جبير وقتادة وأحمـد، ولا نعلم فيه خلافًا إلا رواية عن مالك. وقد قرأ النبي ﷺ بالأعراف في ركعتين من المغـرب. وكـذلك لو قرأ في ركعة بسورة وفي أخرى ببعض سورة، وقد روي عن عمر وابن مـسعود رضي الله عنهما. وإن قـرأ في الركعتين ببعض سورة إما في أوائلها، أو أواسطها، أو أواخرها؛ ففي كراهته خلاف عن أحمد». اهـ

=

قال ابن قدامة في الشرح الكبير (١/ ٦١٤): «المشهور عن أحمد أنه لا يكره قراءة أواخر السُّور وأوساطها في الصلاة؛ نقلها عنه جماعة، لقول الله تعالى: «فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ»، ولأن أبا سعيد ط قال: «أُمِرنا أن نقرأ فاتحة الكتاب وما تيسر»، رواه أبو داود. وروى الخلال بإسناده أن ابن مسعود ط كان يقرأ في الآخرة من صلاة الصبح: آخر آل عمران، وآخر الفرقان.

وقال أبو برزة ط: «كان رسول الله ق يقرأ بالستين إلى المائة»، ففيه دليلٌ على أنه لم يكن يقتصر على قراءة سورة، ولأن آخرها أحد طرفي السورة؛ فلم يكره كأولها، وعن أحمد أنه يكره ذلك في الفرض؛ نقلها عنه المروذي وقال: سورة أعجب إليَّ، وقال المروذي: كان لأبي عبدالله قرابة يصلي به، فكان يقرأ في الثانية من الفجر بآخر السورة، فلما أكثر؛ قال أبو عبدالله: تقدَّم أنت فصل، فقلت له: هذا يصلي بكم منذ كم؟! قال: دعنا منه؛ يجيء بآخر السور! وكرهه.

قال ابن قدامة: قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولعلَّ أحمد إنما أحب اتباع النبي ق فيما نُقل عنه، وكره المداومة على خلاف ذلك؛ فإن المنقول عن النبي ق قراءة السورة أو بعض السور من أولها. ونُقل عنه رواية ثالثة أنه يكره قراءة أوسط السورة دون آخرها؛ لما روينا في آخر السور عن عبدالله بن مسعود ط ولم ينقل مثل ذلك في وسطها، قال الأثرم: قلت لأبي عبدالله: الرجل يقرأ آخر السورة في الركعة؟ فقال: أليس قد رُوي في هذا رخصة عن عبدالرحمن بن يزيد وغيره؟!

قال ابن قدامة: فأما قراءة أوائل السُّور، فلا خلاف في أنه غير مكروه». انتهى كلامه.

فيتلخص مما سبق أن طبقات الفضل في قراءة الأئمة في الصلاة وموافقتها للسُّنة تكون على الترتيب التالي:

١- أن يقرأ في كل ركعة سورة تامة.

٢- أن يقسم السورة على الركعتين.

٣- أن يقرأ من أول السورة ما شاء الله في الركعتين.

٤- أن يقرأ من أواخر السورة أحيانًا، لوروده عن عبدالله بن مسعود ط.

٥- أن يقرأ آيات في الركعتين من أواسط السورة.

٦- أن يقرأ آيات في الركعتين من سور مختلفة.

=



٢٥٩ - حدثنا الأنصاري، عن ابن عون، قال:

كان ابن سيرين يكره أن يقرأ الرجل القرآن، إلا كما أنزل؛ يكره أن يقرأ، ثم يتكلم، ثم يقرأ[١].

٢٦٠ - حدثنا معاذ، عن ابن عون

عن نافع، قال:

كان ابن عمر ‌م إذا قرأ، لم يتكلم حتى يفرغ مما يريد أن يقرأه. قال: فدخل يومًا فقال: أمسك عليَّ سورة البقرة؛ فأمسكتها عليه، فلما أتى على مكان منها[٢] قال: «أتدري فيم أنزلت؟». قلت: لا. قال: «في كذا، وكذا»، ثم مضى في قراءته.

وللأسف فإن أكثر الأئمة اليوم لجهلهم بالسُّنة تجدهم يدامون على الطبقة الخامسة والسادسة، وأحسنهم حالًا من يداوم على الرابعة، أما المداومة على الطبقات الأُوَل؛ فمهجور الآن.

وقد أطلنا الكلام في هذا المبحث؛ لحاجة الناس عامة- وأئمة المساجد خاصة- لمعرفة ما كان عليه النبي ق وأصحابه في القراءة في الصلاة، فلا خير في مخالفة السُّنة.

ومن فوائد قراءة سورة في كل ركعة؛ أن ذلك يحمله على أن يقتصر على المفصل في الفريضة، فلا يطيل على الناس.

(١) ولفظه من مصنف ابن أبي شيبة عنه، قال: «كانوا إذا قرؤا القرآن، لم يخلطوا به ما ليس منه، ويمضون كما هم».

(٢) وهو قوله تعالى: «نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ»، كما في الرواية الأخرى.



قال أبو عبيد:

إنما رخَّص ابن عمر م في هذا؛ لأن الذي تكلم به من تأويل القرآن وسببه، كالذي ذكرناه عن ابن مسعود ط أن أصحابه كانوا ينشرون المصحف فيقرؤن، ويفسر لهم.

ولو كان الكلام من أحاديث الناس وأخبارهم؛ كان عندي مكروهًا أن تقطع القراءة به[(١)].



(١) وفي حلية الأولياء (١٠/ ٧) عن أحمد بن أبي الحواري قال: «سمعت أبا زكريا يحيى بن العلاء، يقول: إذا قرأ ابن آدم القرآن، ثم خلط، ثم عاد يقرأ، يقول الله: ما لك ولكلامي!».

وفيه، عن عمر بن محمد بن المنكدر، قال: «كنت أمسك على أبي المصحف، قال: فمرَّت مولاة له، فكلمها، فضحك إليها، ثم أقبل يقول: إنا لله! إنا لله! حتى ظننت أنه قد حدث شيء، فقلت: ما لك؟! فقال: أما كان لي في القرآن شغلٌ حتى مرَّت هذه، فكلمتها؟!».

وعن محمد بن كعب في قوله تعالى: «أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ »، قال: «يستمع القرآن وقلبه معه، لا يكون في مكان آخر». اهـ

ومما فتن به الناس في زماننا: قطع قراءة القرآن لأجل الردِّ على اتصالات الهواتف والجوالات! مع أنه لو كان بحضرة أمير أو وزير لصمَّت جواله وهاتفه حتى يفرغ.



باب: القارئ يقرأ القرآن على غير وضوء ويقرؤه جُنبًا

٢٦١ - حدثنا يزيد، ومحمد بن جعفر، عن شعبة، عن عمرو بن مرة

عن عبدالله بن سلمة، قال:

دخلت على عليٍّ ط أنا ورجلان: رجل من قومي، ورجل من بني أسد. أحسبه قال: فبعثهما وجهًا. وقال: إنكما عِلجان فعالجا عن دينكما[١]. ثم دخل المخرج[٢] فقضى حاجته، ثم خرج فأخذ حفنة من ماء فتمسح بها، ثم جعل يقرأ القرآن. قال: فكأنه رآنا أنكرنا ذلك، فقال: «كان رسول الله ق يقضي حاجته، ثم يخرج فيقرأ القرآن، ويأكل معنا اللحم، لا يحجزه عن القرآن شيء؛ ليس الجنابة[٣]»[٤].

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٤/ ٣٠٦٦): «العلج: الرجل القوي الضخم. وعالِجا: أي مارسا العمل الذي ندبتكما إليه، واعملا به وزاولاه؛ وكل شيء زاولته ومارسته، فقد عالجته». اهـ

(٢) مكان قضاء الحاجة.

(٣) قوله: «ليس الجنابة». أي: غير الجنابة. وحرف «ليس» يأتي على ثلاثة معان: الأول: بمعنى الفعل. والثاني: بمعنى «لا». والثالث: بمعنى «غير».

(٤) رواه أحمد، وأصحاب السنن، ورواه الترمذي بمعناه، وقال: «حسن صحيح»، وخرَّجه ابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم في مستدركه، وقال: «صحيح الإسناد».

=



٢٦٢ – حدثنا أبو معاوية، عن ابن أبي ليلى، عن عمرو بن مرة، عن عبدالله بن سلمة

عن علي ط، قال:

«كان رسول الله ق يقرئنا القرآن على كل حال إلا الجنابة»[(١)].

٢٦٣ – حدثنا هشيم، أخبرنا منصور، ويونس

عن ابن سيرين:

وهو حديث حسن، يصلح للاحتجاج به، وقد كان شعبة بن الحجاج يقول عن هذا الحديث: «هذا ثلث رأس مالي». رواه عنه ابن خزيمة في صحيحه.

فلعلَّ لديه ثلاثة أحاديث نادرة، هذا أحدها.

وفي سنن الدارقطني، قال سفيان بن عيينة: «قال لي شعبة: ما أُحَدِّثُ بحديثٍ أحسن منه». اهـ

وتحريم قراءة القرآن على الجنب عليه جماهير العلماء من السلف والخلف، وإذا كان هذا التحريم في حق الجنب، فالحائض أولى؛ لأن الحيض أشد من الجنابة.

وسيأتي تفصيل ذلك في آخر الباب.

(١) رواه أحمد، والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح، وبه قال غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي ق والتابعين، قالوا: يقرأ الرجل القرآن على غير وضوء، ولا يقرأ في المصحف إلا وهو طاهر؛ وبه يقول سفيان الثوري، والشافعي، وأحمد، وإسحاق». اهـ

والحديث صحَّحه ابن السَّكن، وعبدالحق، والبغوي في شرح السنة.

وروى الدارقطني في سننه عن عبدالله بن رواحة ط: «أن رسول الله ق نهى أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب».

قال الدارقطني: «إسناده صالح».

وقال ابن عبدالبر: «رويناه من وجوه صحاح». اهـ

أن عمر بن الخطاب ط، قرأ من القرآن بعدما خرج من الغائط، فقال له أبو مريم الحنفي[١]: أتقرأ وقد أحدثت؟ فقال: «أمسيلمة أفتاك بهذا؟»[٢].

وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عمرو بن أبي مريم، مثل ذلك.

وحدثنا معاذ، عن ابن عون، عن ابن سيرين، عن عمر مثل ذلك، إلا أنه قال له ذلك القول ضُبيح أو ابن ضُبيح- وهو أبو مريم نفسه-

قال: وكانوا يرون أن في قلب عمر ط عليه[٣] بعض الشِّدة.

---

(١) اسمه: إياس بن ضُبيح- بالضاد - وكان من أهل اليمامة من أصحاب مسيلمة، وهو الذي قتل زيد بن الخطاب ط يوم اليمامة، ثم تاب وأسلم وحسن إسلامه، وولي قضاء البصرة بعد عمران بن الحصين ط في زمن عمر بن الخطاب ط. انظر طبقات ابن سعد (٧/ ٩١).

(٢) ويشهد لفعل عمر ط ما رواه مالك في الموطأ وغيره، عن ابن عباس م: «أن رسول الله ق نام حتى إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ق فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شَنٍّ معلق، فتوضأ منها». فدلَّ ذلك على أنه قرأ الآيات قبل أن يتوضأ.

وفي مسند أحمد عن عليٍّ ط قال: «قرأ رسول الله ق بعدما أحدث، قبل أن يمس ماءً».

(٣) أي: على أبي مريم الحنفي؛ لأنه قتل أخاه زيد بن الخطاب ط، وقيل: الذي قتله هو سلمة ابن ضبيح ابن عم أبي مريم. وقد رُوي عن عمر ط أنه قال له: «لأنا أشد بغضًا لك من الأرض للدم»، وذلك لأنها لا تُنَشِّفُه.

قال ابن قتيبة: «بلغني ذلك في كل دم إلا دم البعير، فإن الأرض تُنَشِّفُه».

=

قال: وكانوا يرون أنه قتل زيد بن الخطاب ﷺ يوم اليمامة، فقال: يا أمير المؤمنين! إن الله أكرم زيدًا بيدي، ولم يُهنِّي بيده.

٢٦٤ – حدثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم

عن عبدالله ﷺ:

أنه أقرأ رجلاً بعدما أحدث من غائط أو بول(١).

٢٦٥ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن زيد بن معاوية العبسي

عن علقمة، والأسود، قالا:

أتينا سلمان ﷺ، فقرأ علينا وقد خرج من الغائط والبول.

فلما قال له عمر ﷺ: «لا أحبك حتى تحب الأرض الدم، قال أبو مريم: أو يمنعني ذلك حقي عندك؟ قال: لا. قال: لا ضير إذًا، إنما يأسف على الحُبِّ النِّساء».

ولطهارة قلب الخليفة عمر ﷺ وأن الحق عنده يغلب الهوى، ولجودة عقل أبي مريم ولاه عمر ﷺ قضاء البصرة، وهو الذي قتل أخاه زيد بن الخطاب ﷺ. وقد كان الخلفاء الراشدون يقدِّمون المصالح العامة على عواطفهم الشخصية.

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن إبراهيم: «أن ابن مسعود ﷺ كان يمشي نحو الفرات، وهو يُقرئ رجلًا، فبال ابن مسعود ﷺ، فكفَّ الرجل عنه، فقال: ابن مسعود: ما لك؟! قال: إنك بلت! فقال ابن مسعود ﷺ: إني لست بجنب».



٢٦٦ – حدثنا حجاج، عن شعبة، عن الأزرق بن قيس

عن أبان، قال:

كان ناس من أهل البصرة لا يقرؤن القرآن إلا وهم على طهارة؛ منهم عسعس بن سلامة[(١)]، قال: فلقيت ابن عمر ﭬ بعرفة فسألته: أيقرأ الرجل القرآن وقد هراق الماء؟

فقال: «ما هراق الماء؟! قل: بال». قلت: بال، قال: «نعم»[(٢)].

---

(١) هو: عسعس بن سلامة البصري التميمي. روى عن النبي ﷺ، وروى عنه الحسن البصري، والأزرق بن قيس بن الحارث. حديثه مرسل، لم يسمع من النبي ﷺ، وكنيته أبو صُفْرة، ويقال أبو صفيرة. ومن حديثه عن النبي ﷺ ما رواه شعبة عن الأزرق بن قيس، قال: «سمعت عسعس بن سلامة، يقول: إن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ أتى الجبل ليتعبد، ففُقد، فطُلب، فجيء به إلى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أعتزل، فأتعبد! فقال رسول الله ﷺ: لا تفعله، أو لا يفعله أحد منكم– ثلاث مرات– فلصبر أحدكم ساعة من نهار في بعض مواطن الإسلام، خيرٌ من عبادته خاليًا أربعين عامًا». انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢٠٢٩).

(٢) والعلَّة في إنكار ابن عمر ﭬ لهذه العبارة:

إما لأنها تُستعمل في الأصل للماء الطاهر؛ فيقال: هراق الماء، وأهرقه، وأراقه، أي: صبه.

ولذلك جاءت الرواية هكذا في بعض الأحاديث، كما في الصحيحين ومسند أحمد عن أسامة بن زيد ﭬ: «أن النبي ﷺ أردفه من عرفة، فلما أتى الشعب، نزل فبال، ولم يقل: أهراق الماء».

وأيضًا لأن عدم التكلف في الكلام وعدم التطويل والتصريح أحيانًا ببعض ما يكره أشبه بطريقة العرب في الكلام، وأبعد عن طريقة العجم.

=



٢٦٧ – حدثنا محمد بن فضيل، وأبو معاوية كلاهما، عن الأعمش، عن سلمة بن كهيل، عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس، وابن عمر ن:

أنهما كانا يقرآن أجزاءهما بعدما يخرجان من الخلاء قبل أن يتوضآ.

وأيضًا لأن المسألة فيها فتوى وحكم شرعي؛ فلابد من استخدام اللفظ الصريح؛ حتى لا توضع الفتوى في غير موضعها، كمن يُسمي أمَّ الزوجة (خالة)، ثم يستفتي عن بعض شأنها، ويظنه المفتي يسأل عن خالته أخت أمه، فينبغي التنبه لمثل هذا وعدم التهاون به.

وعن عمر بن الخطاب ط أنه قال لرجل: «لا تقل: أهريق الماء! ولكن قل: أبول».

وفي الكامل في الضعفاء (٨/ ٢٥٦) عن أبي هريرة ط مرفوعًا: «لا تقل: أهريق الماء! ولكن قل: أبول». ولا يصح مرفوعًا، والصواب وقفه على أبي هريرة ط.

وقال ابن خزيمة في صحيحه: «باب: كراهة تسمية البائل: مهريقًا للماء». ثم ذكر بسنده حديث أسامة بن زيد م المتقدم آنفًا.

وذكر ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عباس، وابن مسعود نحو ما تقدم عن عمر ن.

وقد جاءت أحاديث وآثار تدل على جواز استعمال هذه الكلمة، كما في مسند أحمد، عن عبدالله ابن جابر م أنه قال: «انتهيت إلى رسول الله ق وقد أهراق الماء، فقلت: السلام عليك يا رسول الله...». الحديث.

وفي حديث أبي سعيد الخدري ط قال: «فانطلق بلال؛ فأهراق الماء». رواه العقيلي في الضعفاء.

فيكون النهي لأجل ألا يغلبنا الاسم المنهي عنه على اسمه الصحيح، كما في مسند أحمد، عن ابن عمر م، عن النبي ق قال: «لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم، ألا وإنها العشاء، وإنهم يعتمون بالإبل – أو عن الإبل». اهـ

أما قولها أحيانًا، فلا بأس به.

٢٦٨ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن عبدالرحمن بن خالد، عن ابن شهاب

عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مكمل الزهري:

أنه سأل ابن عباس ﭭ: أيقرأ الرجل من القرآن شيئًا وهو غير طاهر؟ قال: «الآية والآيتين».

وحدثنا أبو نعيم، عن بقية، عن شعيب بن أبي حمزة، عن ابن شهاب، عن عبدالرحمن بن عبدالله ابن مكمل

عن ابن عباس ﭭ نحو ذلك، إلا أنه قال: «إلا الجنب»[1].

٢٦٩ – حدثنا هشيم

أخبرنا أبو بشر، قال:

سألت نافع بن جبير، قلت: أيقرأ الرجل وهو غير طاهر؟

فقال: «أو ليس القرآن في جوفه؟».

---

(١) قوله: «الآية والآيتين». ثم قوله: «إلا الجنب»، يعارض ما سبق عن ابن عباس ﭭ أنه كان يقرأ جزأه كله بعدما يخرج من الخلاء.

وفي السند بقية بن الوليد وقد عنعن، وأيضًا فيه عبدالله بن صالح كاتب الليث بن سعد، ولا يحتمل انفراده، والمروي عن ابن عباس ﭭ - إن صحَّ - بجواز الآية والآيتين هو للجنب، فتكون رواية بقية التي فيها إلا الجنب منكرة، ويكون مراده: إلا الجنب؛ فإنه يقرأ الآية والآيتين، وسيأتي مزيد بيان لذلك قريبًا.



٢٧٠ – حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة

عن حماد بن أبي سليمان، قال:

سألت سعيد بن المسيب: أيقرأ الجنب القرآن؟

فقال: «أوليس القرآن في جوفه؟».

قال أبو عبيد:

قال يحيى أو غيره، عن شعبة: إنما حدَّث بهذا حماد عن سعيد بن المسيب على جهة التعجب منه[1].

قال أبو عبيد:

نذهب فيما نرى إلى أن السُّنة قد سنت الكراهة لذلك، وسعيد يرخص فيه. من ذلك هذه الأحاديث التي ذكرناها، وفيما سواها أيضًا:

---

(١) حماد بن أبي سليمان- مرجئ صاحب رأي- غير مأمون على سعيد بن المسيب، لاسيما وهو يريد تفضيل أهل الكوفة وتنقيص أهل المدينة؛ فقد روى ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٩٣) عن مغيرة، عن حماد: أنه ذكر أهل الحجاز؛ فقال: «قد سألتهم فلم يكن عندهم شيء، والله لصبيانكم أعلم منهم، بل صبيانُ صبيانكم». وفي لفظ قال مغيرة: «قدم علينا حماد بن أبي سليمان من مكة، فأتيناه لنسلم عليه، فقال لنا: احمدوا الله يا أهل الكوفة! فإني لقيت عطاء وطاوسًا ومجاهدًا، فلصبيانكم وصبيانُ صبيانكم أعلم منهم! قال مغيرة: هذا بَغْيٌ منه». اهـ



٢٧١ – حدثنا ابن أبي مريم، وسعيد بن عفير، كلاهما عن ابن لهيعة، عن عبدالله بن سليمان، عن ثعلبة أبي الكنود أو ابن أبي الكنود، قال ابن أبي مريم، عن مالك بن جنادة الغافقي، وقال ابن عفير

عن عبدالله بن مالك الغافقي ط:

أنه سمع رسول الله ق يقول لعمر: «إذا توضأتُ وأنا جنب؛ أكلتُ وشربتُ، ولا أصلي ولا أقرأ حتى أغتسل»[١].

٢٧٢ – حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن عَبيدة السَّلماني

عن عمر ط:

أنه كره للجنب أن يقرأ شيئًا من القرآن.

٢٧٣ – حدثنا محمد بن فضيل، ومروان بن معاوية، وأبو معاوية، كلهم عن عامر بن السمط

عن أبي الغريف، قال:

سئل علي ط عن الجنب؛ أيقرأ القرآن؟ فقال: «لا، ولا حرفًا»[٢].

(١) رواه الطبراني في الكبير، والدارقطني في سننه، والبيهقي في السنن الكبير.

(٢) وفي مسند أحمد، ومصنف ابن أبي شيبة بإسناد حسن عن أبي الغريف، قال: «أتى علي ط بوضوء، فمضمض واستنشق ثلاثًا، وغسل وجهه ثلاثًا، وغسل يديه وذراعيه ثلاثًا ثلاثًا، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجليه، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ق توضأ، ثم قرأ شيئًا من القرآن، ثم قال: هذا لمن ليس بجنب، فأما الجنب فلا، ولا آية». صحَّحه الدارقطني.

=



وقد اشتمل الباب على مسألتين:

الأولى: جواز قراءة المحدث حدثًا أصغر للقرآن بلا مس.

الثانية: مسألة قراءة الجنب- وإلحاق الحائض به- للقرآن.

فأما المسألة الأولى فقد تقدَّمت، وأما المسألة الثانية فهي مما خالف فيها المتأخرون المتقدمين، فإن كثيرًا من المتأخرين لا يرون بأسًا بقراءة الجنب والحائض للقرآن- كما هو مذهب ابن حزم ومن تبعه من المتأخرين- بناءً على تضعيفهم لجميع الأحاديث الواردة في القراءة والمس معًا!

قال ابن حزم في كتابه المحلى (١/ ٧٨): «وقراءة القرآن، والسجود فيه، ومسُّ المصحف، وذكر الله تعالى؛ جائز كل ذلك بوضوء وبغير وضوء، وللجنب والحائض. وقال: قد جاءت آثار في نهي الجنب ومن ليس على طهر عن أن يقرأ شيئًا من القرآن، ولا يصح منها شيء، وقد بينَّا ضعف أسانيدها في غير موضع. وقال: وأما من قال: يقرأ الجنب الآية أو نحوها، أو قال: لا يتم الآية، أو أباح للحائض ومنع الجنب؛ فأقوال فاسدة، لأنها دعاوى لا يعضدها دليلٌ لا من قرآن، ولا من سنة صحيحة، ولا سقيمة، ولا من إجماع، ولا من قول صاحب، ولا من قياس، ولا من رأي سديد». اهـ

وترك هؤلاء- كما هو دأبهم- النظر في عمل السَّلف، وما كان عليه أكثرهم، وأيضًا الأخذ بالشواهد والمتابعات والقرائن. ولغياب هذا الأصل العظيم يُصدر بعضهم أحكامًا شاذة مخالفة لما دلَّتْ عليه النصوص، ولما كان عليه العمل في القرون الأولى.

وعند التأمل نجد أن تحريم القراءة على الجنب قد كان مشهورًا بين الصحابة، منتشرًا عند الكافة، حتى لا يخفى على رجالهم ونسائهم، ففي كتاب العيال لابن أبي الدنيا (٢/ ٧٧٢): «أن امرأة عبدالله ابن رواحة ﵁ رأته على جارية له، فقالت له: وعلى فراشي أيضًا، فقام يُجاحِدها، فقالت له امرأته: اقرأ آية من القرآن، فإني أعلم أنك لا تقرأ وأنت جنب- وفي رواية: إن كنت صادقًا، فاقرأ القرآن، فإن الجنب لا يقرأ القرآن- فقال:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

=



وتحملـــــه ملائكـــــة شـــــداد ملائكـــــة الإلـــــه مـــــسومينا

فاشتبه عليها ذلك وظنته قرآنًا، فقالت: «صدق الله، وكذبتْ عيني!». وكانت لا تحفظ القرآن. فهو كالإجماع لدى العامة والخاصة.

وأحسن مَنْ تكلم في هذه المسألة ولخَّصها: ابن رجب في شرحه للبخاري (١/ ٤٢٧) فقال: «ذُكر عن النخعي أن الحائض تقرأ الآية، وعن ابن عباس ﭬ أنه لم ير بالقرآن للجنب بأسًا، وقد حَكى عنه جواز القرآن للجنب غيرُ واحد. قال ابن المنذر: روينا عن ابن عباس أنه كان يقرأ وِرده وهو جنب، ورخّص عكرمة وابن المسيب في قراءة الجنب. وقال ابن المسيب: أليس في جوفه؟ وكذا قال نافع بن جبير بن مطعم في قراءة القرآن على غير طهارة: لا بأس به، أليس القرآن في جوفه؟... وحُكي رواية عن أحمد بجواز قراءة الآية، وهي مخرجة من كلامه، ليست منصوصة عنه، وفي صحة تخريجها نظر. ومنع الأكثرون الحائض والجنب من القراءة بكل حال، قليلًا كان أو كثيرًا، وهذا مروي عن أكثر الصحابة، روي عن عمر، وروي عنه أنه قال: لو أن جنبًا قرأ القرآن؛ لضربته. وعن علي، قال: لا يقرأ ولا حرفًا. وعن ابن مسعود، وسلمان، وابن عمر. وروي عن جابرٍ، قال البيهقي: وليس بقوي. وروي عن ابن عباس ﭬ بإسناد لا يصح. وهو قول أكثر التابعين، ومذهب الثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق- في إحدى الروايتين عنهما- وأبي ثور وغيرهم. وهو قول مالكٍ في الجنب، إلا أنه رخَّص له في قراءة آيتين وثلاث عند المنام للتعوذ. ورخَّص الأوزاعي له في تلاوة آيات الدعاء والتعوذ- تعوذًا لا قراءة- وهذا أصح الوجهين للشافعية أيضًا.

وقال سعيد بن عبدالعزيز: «رُخص للحائض والجنب في قراءة آيتين عند الركوب والنزول: «سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا» الآية، و«رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا». الآية.

وعن مالك في الحائض روايتان إحداهما: هي كالجنب، والثانية: أنها تقرأ. وهو قول محمد بن مسلمة؛ لأن مدة الحيض تطول، فيخشى عليها النسيان، وهي غير قادرة على الغسل، بخلاف الجنب. وحكى أبو ثور ذلك عن الشافعي، وأنكره أصحاب الشافعي عنه.

وعكس ذلك آخرون، منهم: عطاء، قال: الحائض أشد شأنًا من الجنب، الحائض لا تقرأ شيئًا من القرآن، والجنب يقرأ الآية. خرَّجه ابن جرير بإسناده عنه.

=



ووجه هذا: أن حدث الحيض أشد من حدث الجنابـة؛ فإنـه يمنـع ممـا يمنـع منـه حـدث الجنابـة وزيادة، وهي الوطء والصوم، وما قيل من خشية النسيان؛ فإنه يندفع بتذكر القرآن بالقلـب، وهـي غير ممنوعة منه.

وفي نهي الحائض والجنب عن القراءة أحاديث مرفوعـة، إلا أن أسـانيدها غـير قويـة، كـذا قـال الإمام أحمد في قراءة الحائض، وكأنه يشير إلى أن الرواية في الجنب أقوى، وهو كذلك.

وأقوى ما في الجنب: حديث عبدالله بن سلمة، عن عليٍّ ط قال: «كان رسول الله ق يخرج من الخلاء، فيقرئنا القرآن، ويأكل معنا اللحم، ولم يكن يحجبـه- أو يحجـزه- عـن القـرآن شيء، لـيس الجنابة». وتكلم فيه الشافعي وغيره؛ فإن عبدالله بن سلمة هذا رواه بعدما كبر، قال شعبة عنه: كان يحدثنا، فكنا نعرف وننكر، وقال البخاري: لا يتابع في حديثه، ووثقه العجلي، ويعقـوب بـن شـيبة، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به.

والاعتماد في المنع على ما روي عن الصحابة، ويعضده قول عائشة وميمونـة في قـراءة النبـي ق القرآن في حجرهما في حال الحيض؛ فإنه يدل على أن للحيض تأثيرًا في منع القراءة». انتهى كلامه.

وزيادة على ما قاله ابن رجب، فقد قال ابن حبيب كما في النوادر والزيادات (١/ ١٢٤): «لا يجوز للجنب أن يقرأ القرآن- لا نظرًا ولا ظاهرًا- حتى يغتسل. قال ابن حبيـب: إلا أن مالكًـا قـال: لا بأس أن يقرأ الجنب الآيات عند نوم أو عنـد رَوْع. قـال مالـك: ولقـد حرصـت أن أجـد في قـراءة الجنب القرآن رخصة؛ فما وجدتها. قال مالك في المختصر: لا يقرأ الجنب إلا الآيات اليسيرة». اهـ

وكلام مالك في الرخصة للجنب يُحمل على الآية والآيتين على أنها من الأذكار، وليس التلاوة.

وأما الحائض؛ فقد ذكر الأبهري: «أن قول مالك اختلف في قراءة الحائض القرآن، والمشهور مـن مذهبه الرُّخصة لها في القراءة، وقال: إن الحائض إن لم تقرأ نسيت؛ لتطاول الحـيض بهـا، وأنـه ربـما استوعب شطر زمانها». اهـ

وهذا مُعَارَضٌ بورود النص بنهـي الجنـب والحـائض، ولأن حـدث الحـيض أغلـظ مـن حـدث الجنابة؛ لأنه يمنع من الصيام والوطء، ولا يمنع منهما الجنابة، فلـما كـان الجنـب ممنوعًـا، فـأولى أن تكون الحائض ممنوعة، ثم إن حرمة القرآن أعظم من حرمة المسجد، فلما كـان المـسجد ممنوعًـا عـلى الحائض، فأولى أن تكون ممنوعة من القرآن.

=

فالخلاصة: أن الذي عليه الصحابة والتابعون وأكثر العلماء- ومنهم الأئمة الستة أرباب المذاهب، وهم: سفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد- هو منع الجنب والحائض من قراءة القرآن، واستثنى بعضهم أن تقرأ ما دون الآية، وهذه بعض آثارهم:

روى ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٩٠)، والدارمي في مسنده (٩٧٢) في باب: الحائض تذكر الله عَزَّوَجَلَّ ولا تقرأ القرآن، عن الشعبي، قال: «الجنب والحائض لا يقرآن القرآن».

وعن أبي وائل، قال: «لا يقرأ الجنب والحائض القرآن».

وعن أبي العالية، قال: «الحائض لا تقرأ القرآن».

وعن محمد بن سيرين، قال: «الحائض لا تقرأ القرآن».

وعن إبراهيم، قال: «تقرأ ما دون الآية، ولا تقرأ آية تامة».

وعنه، قال: «أربعة لا يقرءون القرآن: عند الخلاء، وعند الجماع، والجنب، والحائض، إلا الجنب والحائض فإنهما يقرآن الآية ونحوها».

وعن إبراهيم، وسعيد بن جبير في الحائض والجنب، قالا: يستفتحون رأس الآية، ولا يتمون آخرها».

وعن أبي وائل، قال: «كان يقال: لا يقرأ الجنب، ولا الحائض، ولا يُقرأ في الحمام، وحالان لا يذكر العبد فيهما الله: عند الخلاء، وعند الجماع، إلا أن الرجل إذا أتى أهله، بدأ فسمى الله».

وعن سفيان، قال: بلغني عن إبراهيم، وسعيد بن جبير، أنهما قالا: «لا يقرأ الجنب والحائض آية تامة، يقرآن الحرف».

وسئل عطاء عن المرأة الحائض: أتقرأ؟ قال: «لا، إلا طرف الآية، ولكن تتوضأ عند وقت كل صلاة، ثم تستقبل القبلة، وتسبح، وتكبر، وتدعو الله عَزَّوَجَلَّ».

وروى عبدالرزاق في مصنفه، عن معمر، قال: سألت الزهري، عن الحائض والجنب أيذكران الله؟ قال: «نعم»، قلت: أفيقرآن القرآن؟ قال: «لا». قال معمر: وكان الحسن، وقتادة، يقولان: «لا يقرآن شيئًا من القرآن».

=

وقال ابن جريج: «قلت لعطاء: ما تقرأ الحائض والجنب من القرآن؟ فقال: أما الحائض: فلا تقرأ شيئًا، وأما الجنب فالآية...- كلمة غير واضحة بالأصل، ولعلَّها: يُنْفِذُها، كما في الأوسط لابن المنذر».

وقال الترمذي في جامعه (١/ ٢٣٦): «وهو قول أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ق، والتابعين، ومن بعدهم مثل: سفيان الثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، قالوا: لا تقرأ الحائض ولا الجنب من القرآن شيئًا، إلا طرف الآية والحرف ونحو ذلك، ورخصوا للجنب والحائض في التسبيح والتهليل». اهـ

وفي معرفة السنن للبيهقي (٧٧٥) قال الشافعي: «إذا كان جنبًا لم يجز له أن يقرأ القرآن، والحائض في مثل حال الجنب إن لم يكن أشد نجاسة منه». اهـ

وروى ابن المنذر في الأوسط (٢/ ٢١٦) عن أبي الزبير، أنه سأل جابر بن عبدالله م عن المرأة الحائض والنفساء، هل تقرأ شيئًا من القرآن؟ فقال جابر: لا». اهـ

وقال أبو داود في مسائله (١/ ٣٩): «قلت لأحمد: الحائض تقرأ شيئًا من القرآن؟ قال: لا، وتسبح وتذكر الله. وقال: الحائض أشد من الجنب، ورخَّص- للجنب- في الكلمة يقرؤها». اهـ

وقال حرب الكرماني في مسائله (١/ ٣٥٢): «سمعت إسحاق يقول: إذا أرادت الحائض أن تتطهر لوقت صلاةٍ- للتسبيح والذكر لا للصلاة- فذلك لها، وتسبح وتذكر الله، ولا تقرأ من القرآن شيئًا قليلًا ولا كثيرًا -يريد به التلاوة- وإذا سمعت السجدة وهي حائض، فلا قضاء عليها إذا طهرت؛ كما لا تصلي وهي حائض؛ الصلاة أعظم جرمًا».

وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣٣٢) عن موسى بن عيسى، قلت لأحمد: «هل يقرأ الجنب شيئًا من القرآن؟ قال: لا، والتسبيح رخصة فيه، وأما أن يتعمد الآية أو السورة، فلا يعجبني».

وقال إسحاق الكوسج في مسائله (٢/ ٧٥٤): «القراءة على غير وضوء؟ قال أحمد بن حنبل: لا بأس بها، ولكن لا يقرأ في المصحف إلا متوضئ. قال إسحاق بن راهويه: كما قال، سنة مسنونة.

قلت: الحائض والجنب سواء؟ قال: الجنب أهون في بعض الأحوال. قال إسحاق: كما قال، إلا أن حكمهما في القراءة واحد». اهـ

=



٢٧٤ – حدثنا مروان بن شجاع، عن خصيف

عن سعيد بن جبير، قال:

«لا يقرأ الجنب شيئًا من القرآن».

٢٧٥ – وحدثنا الأشجعي، عن سفيان، عن ليث، **عن مجاهد،** وجابرٌ، **عن الشعبي:**

أنهما كرها[1] أن يكتب الجنب: «».

❐ ❐ ❐

وعليه؛ فالحائض لا تقرأ القرآن، والذي أمرها ورغَّبها في قراءة القرآن هو الذي منعها منه حال الحيض، ومنعها كذلك من الصلاة وهي أعظم. ومن خافت نسيانه؛ فلتستمع إليه.

(١) أي: مجاهد، والشعبي.

وقال حرب الكرماني في مسائله (ص١٦٠): «سئل أحمد عن الجنب يكتب الحديث والكتاب؟ فقال: أرجو أن لا يكون به بأس، ما لم يكن قرآنًا. كأنه كره أن يكتب القرآن». اهـ



باب: القارئ يعلم المشركين القرآن أو يحمله في سفر نحو بلاد العدو

٢٧٦ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن نافع

عن ابن عمر م، قال: قال رسول الله ق:

«لا تسافروا بالقرآن، فإني أخاف أن يناله العدو»[1].

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم.

والمراد بالقرآن هنا: المصحف، كما جاء مفسرًا في بعض الروايات.

وقال أيوب السختياني، معلِّقًا عليه: «فقد ناله العدو، وخاصموكم به».

وقال ابن حبيب، كما في النوادر والزيادات (٣/ ٣٢): «لما يُخشى من تعنتهم واستهزائهم به، وتصغير ما عظم الله منه». اهـ

وفي معرفة السنن والآثار (١/ ٣١٩): «قال مالك: أراه مخافة أن يناله العدو. ورواه الشافعي في كتاب حرملة عن مالك، ثم قال: وهذا يشبه بعض معنى حديث آل حزم، فيشبه أن يكون نهى عنه؛ لئلا يناله مشرك فيمسه، ويحتمل أن يكون نهى عنه لذلك، ولئلا يناله فيعبث به». اهـ

وقال ابن عبدالبر في التمهيد (١٥/ ٢٥٤): «أجمع الفقهاء على ألا يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو في السرايا والعسكر الصغير المخوف عليه، واختلفوا في جواز ذلك في العسكر الكبير المأمون عليه:

قال مالك: لا يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو، ولم يفرق بين العسكر الكبير والصغير... وذكر أحمد بن المعدل عن عبدالملك بن عبدالعزيز الماجشون أنه سئل عن الرجل يدخل بالمصحف أرض العدو لما له في ذلك من استذكار القرآن والتعليم، ولما يخشى أن يطول به السفر فينسى؛ فقال =

٢٧٧ - حدثنا عبَّاد بن العوام، قال:

حدثنا عمر بن حفص من أهل واسط قال- وكان أبـواه مجوسـيين- فدفعه أبوه إلى معلم- يقال له: صالح- من جلساء الحسن، فقال: علمـه القرآن، فذهب به صالح إلى الحسن، فسأله عن ذلك، فقال: «علمه، فإنه عسى»(١).

عبدالملك: لا يدخل أرض العدو بالمصاحف، لما يخشى من التعبث بالقرآن والامتهان له، مـع أنهـم أنجاس، ومع ما جاء في ذلك من النهي الذي لا ينبغي أن يُتعدى». اهـ

وفي النوادر والزيادات (٣/ ٣٤) عن ابن الماجشون، قال: «لـو أن الطاغيـة- الكـافر- كتـب إلى السلطان أن يبعث إليه مصحفًا يتدبره أو يدعو إليه؛ فلا ينبغي أن يفعل، وليس هذا وجـه الـدعوة، وهم أنجاس وأهل ظنة وبغض للإسلام وأهله. قال ابن سـحنون: قلـت لـسحنون: أجـاز بعـض العراقيين الغزو بالمصاحف إلى أرض العـدو في الجـيش الكبـير كالطائفـة ونحوهـا، وأمـا الـسرية ونحوها فلا. قال سحنون: لا يجوز ذلك؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك عامًّـا، ولم يُفَـصِّل، وقـد ينالـه العدو من ناحية الغفلة عنه. قال ابن الماجشون: لا يتعرض بما يكون سببًا لاسـتخفافهم بـه. قـال: وإذا طلبك ذمي أو حربي أن تعلمه القرآن، فلا تفعل؛ لأنه خبيث، وإنما المشركون نجس. ولا بـأس أن يقرأ القرآن على الكفار ويحتج عليهم به كما قال الله عَزَّوَجَلَّ». اهـ

يقصد قوله تعالى: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ». والله أبـاح الـسماع، لا تمكينهم من المصاحف.

وقال ابن القيم في أحكام أهل الذمة (٢/ ٧٧٥): «صيانة للقرآن أن يحفظه ممن ليس من أهله ولا يؤمن به، بل هو كافر به، فهذا ليس أهلًا أن يحفظه ولا يُمكن منه، وقـد نهـى النبـي ﷺ أن يُـسافر بالقرآن إلى أرض العدو؛ مخافة أن تناله أيديهم، فلهذا ينبغي أن يصان عن تلقينهم إيـاه، فـإن طلـب أحد منهم أن يسمعه منهم، فإن له أن يسمعه إياه؛ إقامة للحجة عليهم، ولعله أن يسلم». اهـ

(١) أي: عسى أن ينتفع به؛ فيُسْلِم.

=



وما أجاب به الحسن هنا محمولٌ على الوارد؛ وهو القراءة عليهم وإسماعهم كلام الله- كما في الآية- وتفسير الفاتحة ونحوها للصبي لعلَّ الإيمان يدخل قلبه. فإن كان الحسن يرى أن الصبي المجوسي يُعَلَّم القرآن كاملًا- كما في الأثر الذي بعده- فهذا من شواذه رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي لا يُتابع عليها، وسيأتي بحث المسألة.

ومما يباح أيضًا كتابة بعض الآيات إليهم، كما في كتب النبي ﷺ التي كتبها لملوك الشرك في وقته، وكان فيه الآية والآيتان، وهذا محله الضرورة، ورجاء إسلامهم فقط، أما تعليمهم القرآن شأنه شأن باقي العلوم؛ فلم يَرِدْ.

جاء في المنتقى في شرح الموطأ (٣/ ٢٦) قال: «لا يجوز أن يُعلِّم أحدًا من ذراريهم القرآن؛ لأن ذلك سبب لتمكنهم منه، ولا بأس أن يقرأ عليهم احتجاجًا عليهم به، ولا بأس أن يكتب إليهم بالآية ونحوها على سبيل الوعظ، كما كتب النبي ﷺ إلى ملك الروم: «﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾». الآية». اهـ

وتعليم صبيان المشركين القرآن مخالفٌ لما اشترط النصارى على أنفسهم، وإقرار عمر بن الخطاب ﵁ لهم على ذلك، وهو ألا يُعلِّموا أولادهم القرآن، ففي معجم ابن الأعرابي (١/ ٢٠٧) عن عبدالرحمن بن غنم، قال: «كتبت لعمر بن الخطاب ﵁ حين صالح نصارى الشام: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ لعبدالله عمر أمير المؤمنين، من نصارى مدينة كذا وكذا، إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا، وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا: أن لا نُحْدِث في مدينتنا، ولا فيما حولها ديرًا ولا كنيسة ولا قبلة... إلى أن قالوا: ولا نعلِّم أولادنا القرآن، ولا نُظهر شركًا، ولا ندعو إليه أحدًا...». اهـ

ولهذا تتابع أهل العلم بعد ذلك على عدم تعليم أولاد المشركين القرآن الكريم، ومن ذلك:

ما قاله ابن قدامة في المغني (١٠/ ٦٢٤) قال: «ولا يجوز تمكينه- أي: الكافر- من شراء مصحف، ولا حديث رسول الله ﷺ، ولا فقه، فإن فعل فالشراء باطل؛ لأن ذلك يتضمن ابتذاله، وكره أحمد بيعهم الثياب المكتوب عليها ذكر الله تعالى، قال مهنا: سألت أحمد- أبا عبدالله-: هل

=



تكره للرجل المسلم أن يعلِّم غلامًا مجوسيًّا شيئًا من القرآن؟ قال: إن أسلم فنعم، وإلا فأكره أن يضع القرآن في غير موضعه، قلت: فيعلمه أن يصلي على النبي ﷺ؟ قال: نعم.

وقال الفضل بن زياد: سألت أبا عبدالله عن الرجل يرهن المصحف عند أهل الذمة؛ قال: لا، نهى النبي ﷺ أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو؛ مخافة أن يناله العدو». اهـ

وفي أهل الملل للخلال (١٣١): قال سليمان بن الأشعث: «سمعت أبا عبدالله- الإمام أحمد- يُسأل عن المسلم يُعَلِّم ولد المجوسي واليهودي والنصراني القرآن؟ قال: لا يُعجبني». اهـ

بل ومن العلماء من منع حتى تعليم أولاد المشركين اللغة العربية والخط والكتابة؛ لئلا يكون ذريعة لتعلمهم القرآن.

ففي الذخيرة (١٠/ ٥٥) عن الإمام مالك قال: «يمنع المسلم من تعليم النصارى الخط وغيره... وتعليم المسلم لهم الخط ذريعة لقراءتهم القرآن فيكذبونه ويهزءون به. وجعل ابن حبيب ذلك مسقطًا للشهادة».

وقال: «كره مالك تعليم المشركين الخط؛ لأنهم يستعينون به على إلقاء الشبه إذا كبروا، وكره تَعَلُّم المسلم عند الكفار كتابهم؛ لأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه».

وفي رواية أخرى: «سئل مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن تعليم أولاد اليهود والنصارى الكتابة بغير قراءة قرآن، فقال: لا والله، ما أحب ذلك؛ يصيرون إلى أن يقرءوا القرآن».

وقال: «لا يتعلم المسلم عند النصراني، ولا النصراني عند المسلم».

وقال مالك- كما في مختصر ابن عبدالحكم-: «لا يُعلِّم أبناء اليهود والنصارى الكتاب؛ لأنهم يستعينون بها على الباطل». اهـ

وهو نفس المسلك الذي سلكه العلماء في عدم تعليم المبتدع القرآن والسُّنة والحديث؛ لأنهم يستعينون به على بدعتهم. وكذلك في عدم السماع من المبتدع أو التعلم منه.

قال عون بن عبدالله: «لا تفاتح أصحاب الأهواء في شيء؛ فإنهم يضربون القرآن بعضه ببعض».

وفي السنة للخلال (٥/ ٩٥) عن أبي بكر المروذي، قال: «قلت لأبي عبدالله: الرجل المقرئ يجيئه ابن الجهمي، ترى أن يأخذ عليه؟ قال: وابن كم هو؟ قلت: ابن سبع أو ثمان. قال: لا تأخذ عليه، ولا تقبله، لِيذلَّ الأب به».

=

قال عبَّاد: فسألت أبا حنيفة عن ذلك، فقال: «لا بأس أن تعلمه القرآن صغيرًا أو كبيرًا»[(١)].

٢٧٨ – حدثنا يزيد، عن حماد بن سلمة

عن حبيب المعلِّم، قال:

سألت الحسن؛ قلت: أُعَلِّم أولاد أهل الذمة القرآن؟ فقال: «نعم، أو ليس يقرءون التوراة والإنجيل وهما من القرآن».

أو قال: «وهما من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ»[(٢)].

٢٧٩ – حدثنا حجاج، عن شعبة، عن منصور، عن إبراهيم

عن علقمة: أنه أراد أن يتخذ مصحفًا، فأعطاه نصرانيًا فكتبه له.

وقال سفيان الثوري: لا تزيدوه؛ فإنه كشجر الحنظل، كلما سقي الماء ازداد مرارة.

أما دعوة الكفار إلى الإسلام، وأهل البدع إلى السُّنة، فهذا بابٌ آخر.

(١) صدق عبدالرحمن بن مهدي عندما قال لإسحاق بن راهويه: «ما أُشَبِّه أبا حنيفة في أهل العلم إلا بناقةٍ شاردةٍ فاردةٍ ترعى في وادٍ جدبٍ، والإبل كلها ترعى في واد آخر. قال إسحاق: ثم نظرت بعدُ، فإذا الناس في أمر أبي حنيفة على خلاف ما كُنا عليه بخراسان». أخبار الشيوخ (ص١٦١).

فدائمًا ما تجد الصحابة ﭫ وصدر هذه الأمة في وادٍ، وهذا المشؤوم في وادٍ آخر في الأصول والفروع. وقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ١١) عن عبدالرحمن بن عمر، قال: سمعت عبدالرحمن بن مهدي، يقول: «ما كان يدري أبو حنيفة ما العلم».

(٢) تقدَّم بحثُ المسألة، وبالمقاييس عُبدت الشمس والقمر، كما قال ابن سيرين.



٢٨٠ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن شعبة، عن رجل

عن سعيد بن جبير:

أنه كان معه غلام مجوسي يخدمه، فكان يأتيه بالمصحف في غلافه- أو قال-: في عِلاقة.

وحدثنا حفص النجار الواسطي، عن شعبة، عن القاسم الأعرج، عن سعيد بن جبير، بذلك.

قال أبو عبيد:

الحديث المرفوع عن النبي ﷺ: «لا يمس القرآن إلا طاهر»، أولى بالاتباع من هذا كله، وكيف تكون الرخصة لأهل الشرك أن يمسوه مع نجاستهم، وقد كره المسلمون أن يمسه أحد من أهل الإسلام وهو جنب أو غير طاهر؟[1].



(١) انظره مفصلًا في الأثر رقم: (٧٦٢)، وهو آخر أثر في هذا الكتاب المبارك.

باب: القارئ ينسى القرآن بعد أن قرأه وما في ذلك من التغليظ

٢٨١ - حدثنا حجَّاج، عن ابن جريج، قال:

حُدِّثتُ[١] **عن أنس بن مالك ط، قال: قال رسول الله ق:**

«عُرضت عليَّ أجور أمتي حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد، وعُرضت عليَّ ذنوب أمتي فلم أر ذنبًا أكبر من آية أو سورة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أوتيها رجل فنسيها»[٢].

---

(١) الذي حدَّثه: هو المطلب بن حنطب، كما في أكثر المصادر.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: «غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه واستغربه، قال محمد: ولا أعرف للمطلب بن عبدالله بن حنطب سماعًا من أحد من أصحاب النبي ق إلا قوله: حدثني من شهد خطبة النبي ق. قال: وسمعت عبدالله بن عبدالرحمن، يقول: لا نعرف للمطلب سماعًا من أحد من أصحاب النبي ق. قال عبدالله: وأنكر علي بن المديني أن يكون المطلب سمع من أنس ط». اهـ

وقد ضعَّفه الدارقطني، وابن عبدالبر؛ لأن ابن جريج لم يسمع من المطلب شيئًا، وكذلك المطلب لم يسمع من أنس شيئًا، وفيه علل أخرى.

وأما معناه فصحيح في الأجور والذنوب، وسيأتي تعليق أبي عبيد على هذا المعنى تحت الأثر: (٢٨٣).

وروى أحمد في الزهد (١/ ٤٢٥) عن خالد بن دينار، قال: «سمعت أبا العالية، يقول: كنا نَعُدُّ من أعظم الذنوب: أن يتعلم الرجل القرآن، ثم ينام عنه، حتى ينساه».



قال ابن جريج:

وحُدِّثتُ عن سلمان الفارسي، أنه قال: قال رسول الله ق:

«من أكبر ذنب توافي به أمتي يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت مع أحدهم فنسيها».

٢٨٢ - حدثنا جرير بن عبدالحميد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عيسى بن فائد

عمن سمع[1] سعد بن عبادة، يقول:

قال رسول الله ق: «ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه، إلا لقي الله أجذم»[2].

---

(١) وفي مسند ابن أبي شيبة (٨٢٣) جاء التصريح بالواسطة بين عيسى بن فائد، وسعد بن عبادة، ألا وهو بلال بن عبدالله المؤذن.

(٢) رواه أحمد في مسنده مرَّةً عن سعد بن عبادة، ومرَّةً عن عبادة بن الصامت ط، كلاهما من طريق عيسى بن فائد الرقي. ورواه أبو داود، والدارمي.

وفيه يزيد بن أبي زياد من أئمة شيعة أهل الكوفة، وهو ضعيف الحديث، وعيسى بن فائد الرقي مجهول، كما قال علي ابن المديني. وقال عنه الإمام أحمد: لا أعرفه. وقال ابن عبدالبر: لم يسمع من سعد، ولا أدركه.

وقال ابن كثير: «هذا في باب الترهيب مقبول- والله أعلم- لاسيما إذا كان له شاهد من وجه آخر».

وقال أبو عبيد- في تأويل الأحاديث التي فيها الوعيد على من نسي القرآن-: «يقال: إن وجه هذا الحديث؛ إنما هو على التارك لتلاوة القرآن الجافي عنه، ومما يبين ذلك قوله: «استذكروا القرآن». وفي حديث آخر: «تعهدوا القرآن»، فليس يقال هذا إلا للتارك». انظر: غريب الحديث (٣/ ١٤٩).

=



وفي الاستذكار لابن عبدالبر (٢/ ٤٨٩) عن نعيم بن حماد، قال: «سمعت سفيان بن عيينة، يقول في معنى ما جاء من الأحاديث في نسيان القرآن، قال: هو ترك العمل بما فيه؛ قال تعالى: «ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ».

وقوله: «فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ».

وليس من اشتهى حفظه وتفلَّت منه بناسٍ له، إذا كان يُحِلُّ حلاله ويُحرِّم حرامه.

قال: ولو كان كذلك، ما نسي النبي ﷺ شيئًا منه؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: «سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ».

وقد نسي رسول الله ﷺ منه أشياء، وقال: «ذكرني هذا آية أنسيتها!».

قال سفيان: ولو كان كما يقول هؤلاء الجهال، ما أنسى الله نبيه ﷺ منه شيئًا». اهـ

وقال إبراهيم الحربي في غريب الحديث (٢/ ٤٣١): قوله: «من قرأ القرآن، ثم نسيه». أي: ترك العمل به، كما قال تعالى: «نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ». أي: تركوا العمل بطاعته، فنسيهم من رحمته، أي: تركهم». اهـ

وقال أبو عبيد في غريب الحديث (٣/ ٤٨): «قوله: أجذم: هو المقطوع اليد، ومن ذلك حديث علي رضي الله عنه: من نكث بيعته؛ لقي الله يوم القيامة أجذم، ليست له يد، فهذا تفسير الأجذم». اهـ

وقد رُوي معناه عن سويد بن جبلة الفزاري- وهو من التابعين- قال: «ما أبالي تعلمت سورة من القرآن ثم تركتها، أو مشيت في الناس مقطوعة يدي». رواه سعيد بن منصور (١/ ٢١).

وقال الحربي في غريب الحديث (٢/ ٤٣١): «لقي الله أجذم: أي: مقطوع اليد عن التناول من خير الآخرة شيئًا».

وقال ابن الأعرابي: «هذا مَثَل، والمعنى: أن من نسي القرآن؛ لقي الله خالي اليد من الخير، صفرها من الثواب».

وقال ابن الجوزي في غريب الحديث (١/ ١٤٧): «أجذم فيه خمسة أقوال: أحدها: مقطوع اليد؛ قاله أبو عبيد. والثاني: أنه الذي ذهبت أصابع كفيه؛ قاله الليث. والثالث: أنه المجذوم الذي ذهبت أعضاؤه كلها؛ قاله ابن قتيبة. والرابع: المقطوع السبب؛ قاله ابن عرفة. والخامس: المقطوع الحجة؛ قاله ابن الأنباري». اهـ



٢٨٣ – حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال:

قال عبدالله ط: «إني لأمقت القارئ أن أراه سمينًا نسيًّا للقرآن»[(١)].

٢٨٤ – حدثنا عبدالله بن المبارك، عن عبدالعزيز بن أبي رواد، قال:

سمعت الضحاك بن مزاحم، يقول:

«ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى:٣٠]؛ وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب»[(٢)].

٢٨٥ – حدثنا عمر بن عبدالرحمن، عن منصور، عن أبي وائل

عن عبدالله ط، عن النبي ق قال:

«بئس ما لأحدكم أن يقول: نسيت آية كَيْتَ وكَيْتَ، ليس هو نَسِيَ،

---

(١) يؤيده ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي كَنَفٍ: «أن رجلًا رأى رؤيا، فجعل يقصُّها على ابن مسعود ط وهو سمين. فقال ابن مسعود: إني لأكره أن يكون القارئ سمينًا». قال الأعمش: «فذكرت ذلك لإبراهيم، فقال: سمينٌ نَسِيٌّ للقرآن». اهـ

(٢) قال أبو عبيد في غريبه (٣/ ١٤٩): «إنما هذا على الترك، فأما الذي هو دائبٌ في تلاوته، حريصٌ على حفظه إلا أن النسيان يغلبه؛ فليس من ذلك في شيء. ومما يحقق ذلك أن رسول الله ق قد كان ينسى الشيء من القرآن، حتى يذكره. ومن ذلك حديث عائشة ك أن النبي ق سمع قراءة رجل في المسجد؛ فقال: رحمه الله! لقد أذكرني آياتٍ كنتُ نسيتُها من سورة كذا وكذا». اهـ



ولكن نُسِّيَ(١)، فاستذكروا القرآن، فلهو أشد تفصِّيًا(٢) من صدور الرجال من النَّعم من عُقُله»(٣).

---

(١) ومثلها: أُنْسِيتُ، وأَسْقطتُ. ومعناها: أي عوقب بالنسيان لتفريطه في استذكار القرآن.

وأما ما رواه ابن سعد في الطبقات، عن أبي عبدالرحمن السُّلمي، أنه كره أن يقول: «أسقطتُ آية كذا، ولكن يقول: أغفلت»، فهو خلاف ما ثبت عن النبي ق في قوله: «يرحم الله فلانًا! كائن من آية أذكرنيها الليلة، كنت قد أسقطتها». فهذا يدل على جواز قول: «أسقطت»، وعدم الكراهة فيه.

إلا أن يكون الحديث مرويًا بالمعنى، وظن الراوي أن «أسقطت»، و«أنسيت» سواء. وعلَّة النهي في: «أسقطت»؛ أن السُّقوط لا يناسب القرآن.

(٢) قال في لسان العرب (١٥/ ١٧٥): «أي: أشد تفلتًا وخروجًا. وأصل التفصي: أن يكون الشيء في مضيق، ثم يخرج إلى غيره. قال الجوهري: أصل الفصية: الشيء تكون فيه، ثم تخرج منه».

(٣) رواه البخاري ومسلم. وفي الحديث دليل على كراهة قول الرجل: «نسيت آية كذا، وكذا». وهي كراهة تنزيه من باب التأدب مع القرآن، قال تعالى: «وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ».

والنهي عن قول: «نسيت آية كذا، وكذا» فيه احتمالان:

الأول: كأنه- والله أعلم- ليس للزجر عن هذا اللفظ، بل للزجر عن تعاطي أسباب النسيان، المفضية إلى هذا اللفظ. فمعناه ذمُّ الحال، لا ذمُّ القول.

الثاني: أن أصل النسيان هو الترك- كما فسره أبو عبيد في غريبه فيما تقدم- فكره له أن يقول: تركت القرآن، أو قصدت إلى نسيانه، إذ لم يكن ذلك باختياره.

تنبيه: جاء في كثير من كتب شروح الحديث والمعاجم واللغة والغريب تفسير النهي عن قول: «نسيت آية كذا، وكذا». بكراهة نسبة النسيان إلى النفس؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي أنساه إياه، لأنه المقدر للأشياء كلها. وهذا التفسير خطأ وأكثر من روّج له الأشاعرة الجبرية؛ لأنه موافق لنظرية الكسب عندهم، وهو أن فعل العبد غير مؤثر، بل تأثره صوري، وأن المؤثر الحقيقي هو الله؛ فهذا من عبارات الجبرية المعروفة لينفوا اختيار العبد وإرادته. وقد جاء في القرآن إضافة النسيان للعبد كما في قوله تعالى: «سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ». وقوله: «وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا».



وحدثنا حجاج، عن شعبة، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبدالله ط، عن النبي ق مثل ذلك.

وحدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي الأحوص، عن عبدالله ط نحو ذلك، ولم يرفعه.

وحدثنا أبو النضر، عن شيبان، عن عاصم، عن المسيب بن رافع، عن عبدالله ط، مثل حديث أبي بكر.

٢٨٦ - حدثنا حجاج، عن صخر بن جويرية، عن نافع

عن ابن عمر م، عن النبي ق قال:

«مثل القرآن كمثل الإبل المعقلة، إذا عاهد صاحبها على عُقُلها أمسكها عليه، وإذا أغفلها ذهبت»[(١)].

وحدثنا إسحاق بن عيسى، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر م، عن النبي ق، مثل ذلك.

٢٨٧ - حدثنا الأنصاري[(٢)]، عن أشعث

عن الحسن، قال:

مات عمر بن الخطاب ط ولم يجمع القرآن[(٣)]، ....

---

(١) متفق عليه. وخصّت الإبل بالذكر؛ لأنها أشدُّ الحيوانات نفورًا، وفي تحصيلها صعوبة ومشقة.

(٢) هو محمد بن عبدالله الأنصاري من قدماء شيوخ البخاري، كان مولده في السَّنة التي ولد فيها ابن المبارك، غلب عليه الرأي، وكان من أصحاب زفر وأبي يوسف؛ قال أبو بكر الأثرم: «سمعت أبا عبدالله- يعني أحمد بن حنبل- يقول: ما كان يضع الأنصاري عند أصحاب الحديث، إلا النظر في الرأي، وأما السماع فقد سمع». انظر لترجمته تهذيب الكمال (٥٣٧٢).

(٣) كان الصحابة ن لا يسارعون في حفظ القرآن دون تدبره والعمل به، بل ثبت في الصحيحين أن النبي ق مات ولم يحفظ القرآن من الصحابة غير أربعة- على اختلافٍ في أسماء اثنين منهم- =



قال: «أموت وأنا في زيادة، أحبُّ إليّ من أن أموت وأنا في نقصان»(١).

قال الأنصاري:

يعني: نسيان القرآن(٢).

وبمجموع الروايات لا يكاد الحفاظ من الصحابة يتجاوز عددهم العشرة، وَوَصْفُ غيرهم بالقرَّاء لا يعني حفظه كله، بل كانوا كما تقدَّم، يتعلمون الإيمان قبل القرآن، ثم يتعلمون القرآن فيزدادون إيمانًا، وكانوا لا يجاوزون عشر آيات حتى يعلموا معانيهن والعمل بهن؛ ولهذا قال ابن مسعود ط: «إنَّا صعب علينا حفظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن، ويصعب عليهم العمل به».

وقال عبدالله بن عمر م: «كان الفاضل من أصحاب رسول الله ق في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يرزقون القرآن، منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به». الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٠).

(١) وفي تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٣/ ٢٤) أن عليًّا ط ذُكر عنده أن عمر بن الخطاب ط لم يجمع القرآن؛ فقال عليٌّ: «إن قلبه وعاه، قبل أن ينطق به لسانه».

(٢) إن كان النسيان بسببٍ منه كالإهمال والتكاسل، فهذا من التقصير الذي هو من الذنوب، ويُخشى على صاحبه الإثم.

أما إذا كان النسيان بسببٍ خارج عنه، كغفلة أو مرض أو سفر يمنعه من التكرار أو ينُسيه ما حفظ، فذلك مما يرجى له عدم الإثم- إن شاء الله-.

روى ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٣٢٧) عن أبي ريحانة ط- صاحب النبي ق - قال: «أتيت رسول الله ق فشكوت إليه تَفَلُّتَ القرآن ومشقَّته عليَّ؛ فقال لي: لا تحمل عليك ما لا تطيق، وعليك بالسجود».

قال عميرة- أحد الرواة-: فقدم أبو ريحانة عسقلان؛ فكان يكثر من السُّجود.

=





وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٧٨) عن الحارث بن مشقف، قال: «قال رجل لابن سيرين: إني رأيت كأني ألعق عسلًا من جامٍ من جوهر! فقال: اتق الله! وعاود القرآن؛ فإنك رجل قرأت القرآن ثم نسيته».

وإذا كان نسيان القرآن ذنبًا، فهو أيضًا لا يكون إلا بذنب؛ وفي حلية الأولياء (٦/ ٢٨٨) عن جعفر، قال: «كان مالك بن دينار من أحفظ الناس للقرآن، وكان يقرأ علينا كل يوم جزءًا من القرآن حتى ختم، فإن أسقط حرفًا؛ قال: بذنبٍ مني، وما الله بظلام للعبيد».



باب: القارئ يستأكل بالقرآن ويرزأ عليه الأموال وما في ذلك من الكراهة والتشديد

٢٨٨ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي راشد الحبراني

عن عبدالرحمن بن شِبْل ط، قال: سمعت رسول الله ق يقول: «اقرؤا القرآن، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به[١]، أو تستكبروا به»[٢]. قد شكَّ أبو عبيد.

---

(١) قوله: «لا تستكثروا به». أي: لا تجعلوه سببًا للإكثار من الدنيا والشرف والتكسب به. فإن كانت: «لا تستكبروا به». فالمعنى: من قرأه للتفاخر والتكبر ومراءاة الناس؛ وهذا يشبه استكبار قريش بالحرم، قال تعالى: « مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ». ويدخل فيه من قرأه بلسانه وخالفه بعمله، كما فعلت الخوارج. ولهذا المعنى بوّب البخاري في صحيحه: «باب: إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به. ثم أردفه بحديث علي ط: سمعت النبي ق يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة». وفي الحديث الذي بعده، قال: «ويقرؤن القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

(٢) رواه أحمد، وابن أبي شيبة، وأبو يعلى في مسانيدهم، ورواه الطبراني في الأوسط، وليس فيه: «أو تستكبروا به»، وإنما جاءت في رواية عند أبي عاصم في الآحاد والمثاني، وعند الآجري في أخلاق =



٢٨٩ – حدثنا ابن أبي مريم، وأبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن موسى بن وردان، عن أبي الهيثم

عن أبي سعيد الخدري ط، عن النبي ق قال:

«تعلموا القرآن واسألوا الله به، قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرؤه لله عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

٢٩٠ – حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن موسى بن عبيدة، عن أخيه عبدالله بن عبيدة

عن سهل بن سعد م، عن النبي ق قال:

«اقرؤا القرآن قبل أن يجيء قوم يقيمونه كما يقام القِدْح، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه»[(٢)].

وحدثنا حجاج عن ابن لهيعة، عن بكر بن سوادة، عن وفاء الحضرمي، عن سهل بن سعد، عن النبي ق مثل ذلك.

وعن بكر بن سوادة، عن أبي حمزة الخولاني، عن أنس بن مالك ط، عن النبي ق مثل ذلك أو نحوه.

حملة القرآن. والحديث إسناده قوي، ورجاله ثقات.

(١) رواه محمد بن نصر في مختصر قيام الليل، والبيهقي في الشعب.

(٢) تقدَّم تخريجه، والكلام عنه تحت الأثر رقم: (٢٧).



٢٩١ - حدثنا نعيم، عن بقية، عن بشر بن عبدالله بن يسار، قال: حدثني عبادة بن نسي، عن جنادة ابن أبي أمية

عن عبادة بن الصامت ط، قال:

كان رسول الله ق إذا قدم عليه مهاجر دفعه إلى رجل مِنَّا يُعَلِّمه القرآن، فدفع إليَّ رجلاً فكنت أقرئه القرآن، فأهدى إليَّ قوسًا، فأُخْبِر بذلك النبي ق فقال: «جمرة بين كتفيك تقلدتَها»[1].

٢٩٢ - حدثنا هشام بن عمار، عن عمرو بن واقد مولى قريش قال: حدثني إسماعيل بن عبيدالله، قال: حدثتني أم الدرداء

عن أبي الدرداء ط:

أن أُبي بن كعب ط، أقرأ رجلاً من أهل اليمن سورة، فرأى عنده قوسًا. فقال: بعنيها. فقال: لا، بل هي لك. فسأل رسول الله ق عن ذلك، فقال: «إن كنت تريد أن تقلد قوسًا من نار؛ فخذها».

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود بلفظ أتم من هذا عن عبادة بن الصامت ط قال: «علَّمتُ ناسًا من أهل الصفة الكتاب والقرآن، فأهدى إليَّ رجل منهم قوسًا، فقلت: ليست بمال، وأرمي عنها في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، لآتين رسول الله ق فلأسألنه، فأتيته، فقلت: يا رسول الله! رجل أهدى إليَّ قوسًا ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن، وليست بمال، وأرمي عنها في سبيل الله، قال: إن كنت تحب أن تطوق طوقًا من نار؛ فاقبلها». وفي لفظ قال: «جمرة بين كتفيك تقلدتها أو تعلقتها».

قال الضياء في المختارة (٢٧٥٢): «إسناده حسن». ورواه الحاكم في مستدركه وصححه.

والحديث نصٌّ في كراهة أخذ الهدية على تعليم القرآن، فالأجرة من باب أولى.

حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن النبي ق، قال ذلـك لأبي بن كعب ط، إلا أنه قال:

«لو تقوستها؛ لتقوست قوسًا من نار»[١].

وحدثنا هشيم، عن أبي هاشم، بمثل ذلك أيضًا عن النبي ق وأبي بن كعب ط.

٢٩٣ – حدثنا عبدالله بن صالح

عن موسى بن عُلَيّ بن رباح، عن أبيه:

أن النبي ق قال لأبي بن كعب ط: «ألم أنهك عن فلان[٢]، فـاردد القوس عليه». قال: فرددتها عليه.

وزاد في الحـديث، قـال: وقـال أُبَـيٌّ ط: كنـت أختلـف إلى رجـل مكفوف[٣] أقرئه القرآن، فكنت إذا أقرأته دعا لي بطعـام، فأكلـت منـه، فحاك في نفسي منه شيء، فأتيت رسـول الله ق، فأخبرتـه، فقلـت: يـا

(١) رواه ابن ماجه، وأبو نعـيم في الحليـة. وقـال الأصـبهاني في كتابـه سـير الـسلف الـصالحين (٣/ ٩٧٤) في ترجمة إسماعيل بن عبيدالله، قال إسماعيل: «بعث إليَّ عبدالملك بن مـروان، فقـال: يـا إسماعيل! علِّم ولدي وإني معطيك، قلت: وكيف؟! وقد حدثتني أم الـدرداء، عـن أبي الـدرداء أن أبي بن كعب... فذكره، فقال عبدالملك: لست أعطيك على القرآن، إنما أعطيك على العربية». اهـ

(٢) هو: الطفيل بن عمرو الدَّوسي ط، وقد جاء التصريح به في التفسير مـن سـنن سـعيد بـن منصور، والمعجم الأوسط للطبراني وغيرهما.

(٣) رجل مكفوف، أي: أعمى، قد كُفَّ بصره.



رسول الله! إني آتي فلان بن فلان فأقرئه القرآن، فيـدعو لـي بطعـام لا آكل مثله بالمدينة. فقال رسـول الله ﷺ: «إن كـان ذلـك الطعـام طعامـه وطعام أهله الذي يأكلون فكل، وإن كان طعامًا يتحفك به فـلا تأكـل». قال: فأتيته نحوًا مما كنت آتيه، فلما فرغ قـال: يـا جاريـة! هلمـي طعـام أخي. فقلت له: أهذا طعامك وطعام أهلك الذي تأكل ويأكلون؟ فقال: لا، ولكني أتحفك به. قال: فإن رسول الله ﷺ قد نهاني عنه[(١)].

٢٩٤ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن واقد مولى يزيد بن خليدة

عن زاذان، قال:

«من قرأ القرآن ليستأكل الناس؛ جاء يوم القيامة ووجهـه عظـم لـيس عليه لحم»[(٢)].

---

(١) رواه سعيد بن منصور في التفسير، وابن أبي شيبة في المـصنف، والطـبراني في الكبـير بألفـاظ متقاربة.

وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور، قال: «أما طعـامٌ صـنع لغـيرك فحـضرته، فـلا بـأس أن تأكله، وأما ما صنع لك، فإنما تأكل بخلاقك».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والآجري في أخلاق حملة القرآن، ومثل هذا لا يقال مـن قبـل الرأي. وجاء عن بريدة بن الحصيب مرفوعًا، رواه ابن الأعرابي في معجمه، والبيهقي في الشعب.

وهذه عقوبة من جعل القرآن ذريعة ووسيلة إلى تحصيل مراده من الدنيا؛ فإنه يأتي يوم القيامـة في أسوأ حال وأقبح صورة؛ لأنه جعل أشرف الأشياء وأعزها– وهو كلام الخـالق عَزَّوَجَلَّ– وسـيلة إلى أذل الأشياء وأحقرها.

=



٢٩٥ - حدثنا علي بن ثابت

عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، قال:

أمر مصعب بن الزبير عبدالله بن معقل أن يصلي بالناس في شهر رمضان، فلما أفطر أرسل إليه بخمسمئة درهم وحلة، فردَّها، وقال: «ما كنت لآخذ على القرآن أجرًا»(١).

٢٩٦ - حدثنا مروان بن معاوية، عن أبي يعفور العامري، عن أبي ثابت، عن أم رجاء الأشجعية

عن عبدالله بن مسعود ط، قال:

«سيجيء على الناس زمان يُسأل فيه بالقرآن؛ فإذا سألوكم فلا تعطوهم»(٢).

بل هذا القارئ المتأكل بالقرآن الذي يُقدم في المجالس ويظهر للناس بسمت حسن وهيئة حسنة، عقوبته عند الله أبلغ من السائل الذي يسأل الناس بغير القرآن، والذي جاء خبره في قول النبي ق : «لا يزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم».

لأن الأول أخبر النبي ق عن وجهه أنه عَظْمٌ صِرف، ثم أكده بقوله: «ليس عليه لحم».

وفي تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٣) عن إبراهيم، قال: «يجيء المعلم- أي: معلم القرآن- يوم القيامة ووجهه عظم، لا لحم عليه».

قال عطاء: «هذا جزاء الذين يأخذون على القرآن أجرًا».

(١) هذه مسألة أخذ الأجر على الإمامة وسيأتي تفصيلُها في آخر الباب.

(٢) هذه مسألة سؤال الناس بالقرآن، وسيأتي تفصيلُها في آخر الباب.



٢٩٧ - حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن الشيباني

عن أُسير[(١)] بن عمرو، قال:

بلغ عمر بن الخطاب ط أن سعدًا ط قال: «من قرأ القرآن ألحقته في ألفين؛ فقال: «أفٍّ أفٍّ، أيُعطى على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؟»[(٢)].

٢٩٨ - حدثنا شبابة، عن حسام بن مصك، عن عبدالله بن أبي مليكة، عن عبدالله بن أبي نهيك. قال حسام: ولقيت عبدالله بن أبي نهيك فسألته عن هذا الحديث، فقال:

دخلت على سعد ط فرأيته رثَّ المتاع، رثَّ المال، فقال:

قال رسول الله ق: «ليس منَّا من لم يتغن بالقرآن»[(٣)].

---

(١) هكذا في الأصل: أُسير، ويقال: أسير ويُسير، وإن كان الثاني أصح وأشهر. قال الدارقطني في سؤالات أبي عبدالرحمن السُّلمي: «كان في أيام النبي ق ابن عشر سنين، حدَّث عن النبي ق حديثين». والشيباني الذي يروي عنه: هو سليمان بن فيروز بن أبي سليمان، أبو إسحاق.

(٢) رواه أبو عبيد هكذا في كتابه الأموال. ومعنى: «ألحقته في ألفين» أي: أعطيته عطاء يبلغ الألفين، وكانوا قديمًا يعطون الناس عطايا من بيت المال، فمنهم من يُعطى ألفًا، ومنهم من يُعطى ألفين، ومنهم من يُعطى عشرة آلاف.

(٣) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، والدارمي.

وقوله: «يتغن بالقرآن»؛ قال سفيان بن عيينة - كما في صحيح البخاري -: تفسيره: يستغني به - أي: من الاستغناء الذي هو ضد الافتقار - وكما فسره سعد بن أبي وقاص ط. وهكذا فسره وكيع بن الجراح كما في مسند أحمد، والدارمي في سننه، كأنهم - والله أعلم - يشيرون إلى قوله تعالى: « أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ».

=



وروى ابن أبي شيبة عن ابن مسعودٍ، قال: «إن أصْفَرَ البيوت البيت الذي صَفِرَ من كتابِ الله».

وهذا ما رجَّحه أبو عبيد؛ فقد قال في كتابه غريب الحديث (٢/ ١٦٩): «كان سفيان بن عَيينة يقول: معناه: من لم يستغن به، ولا يذهب به إلى الصوت. وليس للحديث عندي وجه غير هذا؛ لأنه في حديث آخر كأنه مفسر عن عبدالله بن نَهيك أو ابن أبي نهيك، أنه دخل على سعد وعنده متاع رَثٌّ، فقال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

قال أبو عبيد: فذكره رثاثة المتاع عند هذا الحديث يُبيِّنك أنه إنما أراد الاستغناء بالمال القليل، وليس الصوت من هذا في شيء؛ ويُبيِّن ذلك حديث عبدالله رضي الله عنه: «من قرأ سورة آل عمران؛ فهو غني». وعنه قال: «نعم كنز الصعلوك، سورة آل عمران؛ يقوم بها من آخر الليل».

قال أبو عبيد: فأرى الأحاديث كلها إنما دلَّت على الاستغناء، ومنه حديثه الآخر: «من قرأ القرآن، فرأى أن أحدًا أُعطي أفضل مما أُعطي، فقد عظَّم صغيرًا وصغَّر عظيمًا». ومعنى الحديث: لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدًا من أهل الأرض أغنى منه، ولو ملك الدنيا برحبها. ولو كان وجهه كما يتأوله بعض الناس، أنه الترجيع بالقراءة وحسن الصوت، لكانت العقوبة قد عظمت في ترك ذلك أن يكون من لم يُرَجِّع صوته بالقرآن، فليس من النبي ﷺ حين قال: «ليس منَّا من لم يتغن بالقرآن»، وهذا لا وجه له، ومع هذا فإنه كلام جائز فاش في كلام العرب وأشعارهم أن يقولوا: تغنيت تغنيًا وتغانيت تغانيًا، يعني: استغنيت، قال الأعشى:

وكنت امرأ زمنًا بالعراق ... عفيفَ المناخِ طويلَ التغنْ

يريد: الاستغناء أو الغنى.

وقال المغيرة بن حبناء التميمي يعاتب أخًا له:

كلانا غني عن أخيه حياته ... ونحن إذا متنا أشد تغانيا

يريد: أشد استغناءً، فهذا وجه الحديث والله أعلم». اهـ

ورؤيت عند امرأة من العرب شاة واحدة، فقيل: ما تصنعين بها؟! قالت: نتغنى بها. أي: نستغني.

– ويدخل فيه أيضًا الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم، وعما سواه من الأحاديث وكلام الناس، على ما ذكره إسحاق بن راهويه.

=



٢٩٩ - حدثنا شبابة، وأبو النضر، عن الليث بن سعد، قال: حدثني عبدالله بن أبـي مليكـة، عن عبدالله أو عبيدالله بن أبي نهيك

وفسره بعضهم بالجهر به، على ما جاء في رواية أخرى للبخاري، وهو قوله: «يجهر به».

وبذلك جزم الإمام أحمد؛ فقد روى الخلال في كتابه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر (١/ ٧٧) أن إسحاق حدثهم قال: «قال لي أبو عبدالله يومًا وكنت سألته عنه: هـل تـدري مـا معنـى: «مـن لم يتغن بالقرآن؛ فليس مِنَّا»؟ قال: يرفع صوته، فهذا معناه: إذا رفع صوته؛ فقد تغنى به».

وفسره بعضهم بتحسين الصوت؛ كما رواه أبو داود، والطبراني عن ابـن أبي مليكـة، قـال: «قـال عبيدالله بن أبي يزيد: مرَّ بنا أبو لبابة، فاتبعناه حتى دخل بيته، فدخلنا عليه، فإذا رجـل رثُّ البيـت، رثُّ الهيئة، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لـيس منـا مـن لم يـتغن بـالقرآن». قـال: فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد! أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع».

وبهذا جزم الشافعي، وأحمد في رواية:

فأما الشافعي؛ فقد قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن، فقال له رجل: يستغني به، فقال: لا، ليس هذا معناه، معناه: تقرءونه حدرًا وتحزينًا».

وفي حلية الأولياء (٩/ ١٠٤) عن حرملة، قال: «سمعت الـشافعي، يقـول في تفـسير الحـديث: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» قال: يتحزن به، ويترنم به».

وقال ابن مفلح في الآداب الـشرعية (٢/ ٢٩٧): «قـال أحمـد: يُحَـسِّن القـارئ صـوته بـالقرآن، ويقرؤه بحزن وتدبر، وهو معنى قوله ﷺ: «ما أذن الله لشيء، كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن». اهـ

وعلى هذا فيكون المراد بالتغني بالقرآن ثلاثة معان:

١- الغنى والاستغناء به عما سواه.

٢- الجهر به.

٣- تحسين الصوت بقراءته.

عن سعد ط، قال: قال رسول الله ق: «ليس منَّا من لم يتغن بالقرآن».

٣٠٠ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن ابن أبي مليكة، عن عبيدالله بن أبي نهيك

عن سعيد بن أبي سعيد(١)، قال: قال رسول الله ق:

«ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

قال أبو عبيد:

قوله: «من لم يتغن» التغني: هو الاستغناء والتعفف عن مسألة الناس واستئكالهم بالقرآن، وأن يكون في نفسه بحمله القرآن غنيًا، وإن كان من المال معدمًا(٢).

---

(١) هو: المقبري، صاحب أبي هريرة ط.

(٢) وخلاصة الباب: أن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر في هذا الباب عدة مسائل:

المسألة الأولى: أخذ الأجرة على قراءة القرآن.

المسألة الثانية: أخذ الأجرة على الإمامة في الصلاة.

المسألة الثالثة: سؤال الناس بالقرآن.

المسألة الرابعة: أخذ الأجرة على تعليم القرآن.

وهذه المسائل الأربع كرهها السلف كراهة شديدة؛ لأنها عبادة والأصل فيها الاحتساب، والأجر فيها على الله، ولذلك عدَّها ابن بطة في كتابه الإبانة الصغرى من البدع، فقال (١/ ٢٧٧): «ومن البدع: أخذ الأجرة على الأذان، والإمامة، وتعليم القرآن، وتغسيل الموتى». اهـ

=



وذكر ابن هانئ في مسائله (٢/ ٣١) عن أحمد أنه قال: «سمعت ابن عيينة يقول: لا يأخذ على شيء من الخير».

وروى أحمد وأبو داود والترمذي عن عثمان بن أبي العاص ط قال: «قلت: يا رسول الله! اجعلني إمام قومي، فقال: أنت إمامهم، واقتد بأضعفهم، واتخذ مؤذنًا لا يأخذ على أذانه أجرًا».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم؛ كرهوا أن يأخذ المؤذن على الأذان أجرًا، واستحبوا للمؤذن أن يحتسب في أذانه». اهـ

وقد يتمادى به الأمر؛ فلا يكون له إرادة من عمل الخير سوى الدنيا فقط، وهذا يُخشى عليه من الشرك، وقد قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد: «باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا». وذكر قوله تعالى: « مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ - أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ». ثم ذكر في أول المسائل: «إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة». اهـ

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عمر ط قال: «قد أتى عليَّ زمان، وأنا أحسب من قرأ القرآن يريد به الله! فقد خيل لي الآن بأَخَرة أني أرى قومًا قد قرءوه يريدون به الناس، فأريدوا الله بقراءتكم، وأريدوا الله بأعمالكم».

بل قد قال عبدالله بن مسعود ط -كما في البدع لابن وضاح-: «كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربوا فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، إذا تُرك منها شيء قيل: تُرِكتْ السنة، فقيل: متى ذلك يا أبا عبدالرحمن؟ فقال: ذلك إذا ذهب علماؤكم، وقلّت فقهاؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتُفُقّهَ لغير الدين».

وفي تهذيب الكمال، قال ميمون بن مهران: «يا أصحاب القرآن! لا تتخذوا القرآن بضاعة تلتمسون به الربح في الدنيا، اطلبوا الدنيا بالدنيا، والآخرة بالآخرة».

وفي الزهد للإمام أحمد (١/ ٢١٧) قال شُميط بن عجلان: «يعمد أحدهم فيقرأ القرآن ويطلب العلم، حتى إذا علم؛ أخذ الدنيا فضمَّها إلى صدره وحملها فوق رأسه، فنظر إليه ثلاثة ضعفاء: امرأة ضعيفة وأعرابي جاهل وأعجمي، فقالوا: هذا أعلم بالله منا، لو لم ير في الدنيا ذخيرة ما فعل

=

هذا، فرغبوا في الدنيا وجمعوها، فمثله كمثـل الـذي قـال الله عَزَّوَجَلَّ: «وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ».

وهذه المسائل الأربع ليست في درجة واحدة، فبعضها أشد من بعض، وإليك التفصيل:

المسألة الأولى: أخذ الأجرة على قراءة القرآن.

والمقصود بها ههنا القراءة المحضة المجردة، أي: يقرأ للقوم بصوته، ليأخذ الأجرة على ذلـك كـما يفعله بعض القـراء في مـصر وغيرهـا، وذلـك في الاحتفـالات البدعيـة أو عـلى أرواح الأمـوات، والاستئجار على مجرد التلاوة لم يقل به أحد من الأئمة، بل هي بدعة لم يفعلهـا أحـد مـن الـصحابة ن فمن دونهم، وإنما تنازعوا في الاستئجار للتعليم- كما سيأتي- وإذا قرأ القارئ لأجل المال، فلا ثواب له، فأي شيء يهديه إلى الميت؟ بل إن القراءة بالأجرة لا يستحق الثـواب عليهـا لا الميـت ولا القارئ.

وفي مسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ط قال: سـمعت رسـول الله ق يقـول: «يقـرأ القـرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر، قال بشير: فقلت للوليد: ما هـؤلاء الثلاثـة؟ قـال: المنـافق كـافر بـه، والفاجر يتأكَّل به، والمؤمن يؤمن به».

وقد قيل: من استجَّر الجيفة ببعض الملاهي والمعازف، أهون ممن استجَّرها بالمصحف.

المسألة الثانية: أخذ الأجرة على الإمامة في الصلاة.

اشتد نكير السلف على من أمَّ الناس بأجرة، حتى وصل الأمر إلى أن قال الحسن البـصري، وقـد سئل عن القوم يستأجرون الأجير فيصلي بهم؟ قال: ليس له صلاة ولا لهم!

وقال ابن المبارك: أكره أن يصلى بأجر، وقال: أخشى أن تجب عليهم الإعادة.

انظر مختصر قيام الليل للمروزي (١/ ٢٤٦).

وقال سفيان الثوري: «إذا رأيت الرجل حريصًا على الإمامة؛ فأخِّره».

فكيف إذا انضم إلى ذلك حرصه على أجرة الإمامة.

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن معاوية بن قرة، قال: «كنت نازلًا على عمرو بن النعمان بـن مُقـرن، فلما حضر رمضان جاءه رجل بألفي درهم من قِبل مـصعب بـن الـزبير، فقـال: إن الأمـير يقرئـك =



السلام، ويقول: إنا لم ندع قارئًا شريفًا إلا قد وصل إليه منا معروف، فاستعن بهذين على نفقة شهرك هذا، فقال عمرو: اقرأ على الأمير السلام، وقل: والله ما قرأنا القرآن نريد به الدنيا، ورده عليه».

وعن عبدالله بن معقل: أنه صلى بالناس في شهر رمضان، فلما كان يوم الفطر بعث إليه عبيدالله ابن زياد بحلة وبخمسمئة درهم فردَّها، وقال: «أُخْبرنا أن لا نأخذ على القرآن أجرًا».

وعن القاسم بن عبدالرحمن، قال: «لا يُؤخذ على القرآن أجر».

وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٩٩) عن عبدالرحمن بن مصعب قال: «كان رجل أعمى يجالس سفيان الثوري، فكان إذا كان شهر رمضان خرج إلى السَّواد، فيصلي بالناس فيُكسي ويُوهب له، فقال سفيان: إذا كان يوم القيامة أُثيب أهل القرآن من قراءتهم، ويقال لمثل هذا: قد تعَّجلت ثوابك. فقال له الرجل: يا أبا عبدالله! تقول هذا لي، وأنا جليس لك؟! قال: إني أتخوف أن يقال لي يوم القيامة: إنه كان جليسًا لك، أفلا نصحته؟».

وفي الإقناع (١/ ١٦٦): «من صلى بأجرة لم يصلى خلفه- قاله ابن تميم- فإن رُفع إليه شيء بغير شرط، فلا بأس نصًا». اهـ

وفي مسائل أبي داود للإمام أحمد (١/ ٩١) قال أبو داود: «سمعت أحمد، وسئل عن إمام قال لقوم: أُصلي بكم رمضان بكذا وكذا درهمًا. فقال: أسأل الله العافية، من يصلي خلف هذا؟!».

وفتوى أحمد هذه، هي بحروفها فتوى لبعض التابعين.

وفي المدونة الكبرى برواية سحنون (٣/ ٤٣١) قال: «قلت: أرأيت إن استأجرت رجلًا يؤم في رمضان؟ قال: قال مالك: لا خير في ذلك».

قلت: «أرأيت إن استأجره على أن يصلي بهم المكتوبة؟ قال: كرهه مالك في النافلة، فهو في المكتوبة عندي أشد كراهية». اهـ

وفي مسائل الكوسج (٧٢٠) قال: «قلت: العطاء للذي يقوم بالناس في شهر رمضان؟ قال أحمد: ما يعجبني أن يأخذ على شيء من الخير أجرًا. قال إسحاق: لا يسعه أن يؤم على نية أخذه، وإن أمَّ ولم ينو شيئًا من ذلك فأُعطي أو أكرم؛ جاز ذلك». اهـ

المسألة الثالثة: سؤال الناس بالقرآن.

=

روى أحمد في مسنده، وسعيد بن منصور في التفسير من سننه، واللفظ له عن خيثمة بن أبي خيثمة البصري قال: «كان رجل يطوف، وهو يقرأ سورة يوسف، فيجتمع الناس عليه، فإذا فرغ سأل، فقال الحسن: كنت مع عمران بن الحصين ط، فمرَّ بهذا السائل فقام، فاستمع لقراءته، فلما فرغ سأل، فقال عمران: إنا لله وإنا إليه راجعون! اذهب بنا، فإني سمعت رسول الله ق يقول: من قرأ القرآن، فليسأل الله به، فإنه سيجيء قوم يقرءون القرآن، يسألون به الناس».

وعلى هذا فلا يجوز أن يُتخذ القرآن وسيلة لسؤال الناس واستدرار عطفهم، وبخاصة ما يكون عليه السائل من هيئة مبتذلة، كأنها عنوان للقراء أو لأهل العلم عامة.

المسألة الرابعة: أخذ الأجرة على تعليم القرآن.

وهذه المسألة من أكثر المسائل اختلافًا بين العلماء، لكن الذي كان عليه أصحاب محمد ق هو المنع من ذلك، ولم نسمع عن صحابيٍّ واحد في زمن النبي ق جلس يُعلِّم الناس القرآن على أجرة، بل ولا في التابعين ولا في تابعي التابعين؛ ففي التفسير من سنن سعيد بن منصور، ومصنف ابن أبي شيبة عن عبدالله بن شقيق، قال: «كان أصحاب رسول الله ق يكرهون بيع المصاحف، وتعليم الغلمان بالأرش- أي: بالأجرة- ويُعظِّمون ذلك».

وفي لفظ، قال: «يُكره أرش المعلم؛ فإنَّ أصحاب رسول الله ق كانوا يكرهونه، ويرونه شديدًا».

وقال: «هذه الرُّغفان التي يأخذها المعلمون من السُّحْت».

وقال إبراهيم النخعي: «كانوا يكرهون أن يأخذوا على الغلمان في الكُتَّاب أجرًا».

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٠/ ٢٠٤): «تعليم القرآن والعلم بغير أجرة هو أفضل الأعمال وأحبها إلى الله، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، ليس هذا مما يخفى على أحد ممن نشأ بديار الإسلام. والصحابة والتابعون وتابعو التابعين وغيرهم من العلماء المشهورين عند الأمة بالقرآن والحديث والفقه إنما كانوا يُعلِّمون بغير أجرة. ولم يكن فيهم من يعلم بأجرة أصلًا». اهـ

وعند التتبع والاستقراء يمكن القول بأن العلماء اختلفوا في أخذ الأجرة على تعليم القرآن على ثلاثة أقوال:

الأول: المنع مطلقًا.

والثاني: الجواز مطلقًا.

=



والثالث: أن يعلِّم بغير شرط، فإذا أُهدي إليه قَبِل.

١ - فأصحاب القول الأول- وهم الأكثرون- يرون منع أخذ الأجرة على تعليم القرآن مطلقًا، وهو مروي عن عطاء والضحاك بن قيس والزهري وإسحاق بن راهويه وأحمد في المشهور عنه، وقد استدل هؤلاء بالأحاديث التي ذكرها أبو عبيد في صدر الباب، وبعض هذه الأحاديث صحيح، وبعضها الآخر وإن كان فيه مقال، إلا أنه يقوي بعضها بعضًا، وترتقي للاستدلال بها على المطلوب، فهي ما بين الصحيح والحسن، وهي صريحة في النهي عن الاسترزاق والتأكل بالقرآن.

وأما الآثار في هذا الباب فهي أكثر من أن تحصى، ومن ذلك:

ما رواه ابن أبي شيبة عن القاسم بن عبدالرحمن، قال: «أربع لا يؤخذ عليهن أجر: قراءة القرآن، والأذان، والقضاء، والمقاسم».

وفي مصنف عبدالرزاق عن الضحاك بن قيس، أن رجلًا قال له: «إني لأحبك في الله، قال له: ولكني أبغضك في الله! قال: لم؟! قال: إنك تبغي في أذانك، وتأخذ الأجر على كتاب الله».

وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور، عن عمير بن هانئ، أن رجلًا كان يقرئ رجلًا القرآن، فحجَّ ذلك الرجل، فأهدى للذي أقرأه قوسًا، فأتى عوف بن مالك، فأخبره، فقال له: «ألقها عنك، فقال: إني أريد أن أغزو، فقال: ألقها عنك، فقال: إني أريد أن أغزو بها، فقال له عوف: أتريد أن تعلق قوسًا من نار؟! قال: فردَّها الرجل إلى صاحبها».

وفي تفسير ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس، في قوله: «لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا». قال: «لا يأخذ على تعليم القرآن أجرًا». قال ابن أبي حاتم: يعني: إذا احتسب بتعليم القرآن، فلا يأخذ عليه أجرًا. وفي بعض الكتب: يا ابن آدم! علِّم مجانًا كما عُلِّمت مجانًا».

وفيه عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله: «قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا». يقول: «لا أسألكم على القرآن أجرًا».

وعن أبي العالية في قوله تعالى: «وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا». قال: لا تأخذ على ما عَلَّمْتَ أجرًا، فإنما أجر العلماء والحكماء والحلماء على الله عَزَّوَجَلَّ، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة: «يا ابن آدم! عَلِّمْ مجانًا كما عُلِّمْتَ مجانًا».

=



وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٩٢) عن مسروق: «أنه كان لا يأخذ على القضاء أجرًا، ويتأول هذه الآية: «إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ». الآية».

وروى الآجري في أخلاق حملة القرآن (١/ ٤٢) عن حذيفة المرعشي أنه كتب إلى يوسف بن أسباط: «بلغني أنك بِعْتَ دِينك بحبتين، وقفتَ على صاحب لبن، فقلت: بكم هذا؟ فقال: هو لك بسدس، فقلت: لا، بثمن، فقال: هو لك، وكان يعرفك، اكشف عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموت، واعلم أنه من قرأ القرآن، ثم آثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين».

وفيه عن خلف بن تميم، قال: «مات أبي وعليه دَيْن، فأتيت حمزة الزيات- أحد القراء المشهورين- فسألته أن يكلم صاحب الدَّيْن أن يضع عن أبي من دَينْه شيئًا، فقال لي حمزة: ويحك! إنه يقرأ عليَّ القرآن، وأنا أكره أن أشرب من بيت من يقرأ عليَّ القرآن ماء».

وفي شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٢٠٠) عن اليزيدي، قال: «عبر حمزة الزيات على باب قوم بالبصرة، فاستسقى منهم، فلما خرج إليه الكوز؛ ردَّه، فقيل له في ذلك، فقال: أخشى أن يكون بعض صبيان هذه الدار قرأ عليَّ، فيكون ثوابي منه».

وفي مسائل عبدالله للإمام أحمد (١/ ٣٠٥) قال: «سألت أبي عن الأرغفة التي يأخذها المعلمون من الصبيان؟ قال: أكرهها؛ هذا قذر جدًا».

٢- والقول الثاني: هو الجواز مطلقًا، وهو مروي عن عطاء بن أبي رباح، والحسن البصري- في أحد قوليهما- وأبي قلابة والحكم بن عتيبة ومالك والشافعي وأبي ثور وابن المنذر.

واستدل هؤلاء بحديثين:

الأول: حديث ابن عباس م الذي رواه البخاري في قصة اللديغ الذي رقاه أبو سعيد الخدري ط وفي آخره، قال النبي ق : «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله».

قالوا: فإذا جاز أخذ الجعل على الرُّقية بالقرآن، جاز أخذ الأجر على تعليمه؛ لأنه في معناه، فعمموا الحكم على الرُّقية والتعليم.

والثاني: حديث سهل بن سعد م في الصحيحين في قصة الواهبة نفسها، وفيه أن رسول الله ق زوَّجها رجلًا بما معه من القرآن.

=



قالوا: فإذا جاز جعل تعليم القرآن عوضًا في باب النكاح وقام مقام المهر، جاز أخذ الأجرة عليه في الإجارة.

واستدلوا بآثار منها:

ما جاء في مسند ابن الجعد (١/ ١٧٠) عن شعبة، قال: «سألت معاوية بن قرة عن أجر المعلم، فقال: أرى له أجرًا».

قال شعبة: «وسألت الحكم بن عتيبة، فقال: لم أسمع أحدًا يكرهه. وقال: ما سمعت فقيهًا يكرهه». قال: «ولم ير ابن سيرين بأجر المعلم بأسًا».

وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور، والسنن الكبير للبيهقي عن عطاء وأبي قلابة: «أنهما كانا لا يريان بتعليم الغلمان بالأجر بأسًا».

وفي المصاحف لابن أبي داود عن عوف، قال: «كان الحسن لا يرى ببيع المصاحف، ولا بأخذ الأجر عليه، ولا بكسب المعلم بأسًا».

وفي المدونة الكبرى برواية سحنون (٣/ ٤٣١) قال: «قلت: أرأيت إن استأجرت رجلًا يُعلِّم لي ولدي القرآن يحذقهم القرآن، بكذا وكذا درهمًا؟ قال: قال مالك: لا بأس بذلك».

وعن عطاء بن أبي رباح أنه كان يُعَلِّم الكتاب على عهد معاوية بن أبي سفيان ﵁ ويشترط.

وعن ابن جريج، قال: «قلت لعطاء: أجر المعلم على تعليم الكتاب، أعلمت أحدًا كرهه؟ قال: لا».

وعن المثنى بن الصباح، قال: «سألت الحسن البصري عن معلم الكتاب الغلمان ويشترط عليهم؟ قال: لا بأس به».

وعن عبدالجبار بن عمر، قال: «كل من سألت من أهل المدينة، لا يرى بتعليم الغلمان بالأجر بأسًا».

وعن صفوان بن سليم: «أنه كان يُعلِّم الكتاب بالمدينة، ويعطونه على ذلك الأجر».

قال ابن وهب: «وسمعت مالكًا يقول: لا بأس بأخذ الأجر على تعليم الغلمان الكتاب والقرآن». قال: فقلت لمالك: «أرأيت إن اشترط مع ماله في ذلك من الأجر شيئًا معلومًا كل فطر وأضحى؟ فقال: لا بأس بذلك». اهـ

وقال مالك: «لم يبلغني أن أحدًا كره تعليم القرآن والكتابة بأجر».

=

وقال الشافعي في كتاب الأم (٢/ ١٢٨): «ولا بأس بالإجارة على الحج وعلى العمرة وعلى الخير كله، وهي على عمل الخير أجوز منها على ما ليس بخيرٍ ولا برٍّ من المباح، فإن قال قائل: ما الحجة في جواز الإجارة على تعليم القرآن والخير؟ قيل: أخبرنا مالك، عن أبي حازم بن دينار، عن سهل ابن سعد الساعدي: أن رسول الله ﷺ زوج رجلًا امرأة بسورة من القرآن. قال: والنكاح لا يجوز إلا بما له قيمة من الإجارات والأثمان». اهـ

أما الجواب على حديث أبي سعيد الخدري، وحديث سهل بن سعد ﭬ المتقدمين آنفًا:

فقد قال إسحاق الكوسج في مسائله (١٩٤٨): «قلت: أجر المعلم؟ قال أحمد بن حنبل: يتأولون فيه حديث الرُّقية، وزَوَّج النبي ﷺ على سورة من القرآن. وكره أن يقول فيه شيئًا.

قال إسحاق بن راهويه: لا خير فيه، لا خير في أجور المعلمين؛ لأن المفسر عن النبي ﷺ الكراهية، والرُّقية لا تشبه هذا، وكذلك التزويج على سورة من القرآن؛ يُؤدى كلٌ على جهته.

قلت: القسَّام أو الحاسب؛ يأخذ الأجر؟ قال أحمد: أجر- وفي لفظ: أصل- هذا كله واحد، مثل المعلم والقاضي، كان سفيان بن عيينة يكره هذا كله. قال إسحاق: هذا أهون من التعليم؛ لما لم تمضِ فيه سنة من النبي ﷺ بتحريمه». اهـ

وعلى هذا، فيكون معنى قوله: «إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله». يعني: إذا رقيتم به.

أما تعليمه، فهذا يحتاج دليلًا آخر؛ وهذا معنى قول إسحاق: «يُؤدى كلٌ على جهته».

هذا وقد حمل بعض من منع أخذ الأجر على تعليم القرآن الأجر في الحديث المذكور على الثواب.

وفي مسائل أبي داود للإمام أحمد (١/ ٢٦٤) قال أبو داود: «قلت لأحمد: حديث أبي سعيد، أليس فيه حجة؟ قال: ذاك في الرُّقية، وعن حديث سهل بن سعد: زَوَّج النبيُّ ﷺ على سورة. قال: إسناده صحيح، ولكن لم نر أحدًا يعمل به- يعني: في كسب المعلم-». اهـ

وقال الترمذي بعد حديث سهل بن سعد: «قال بعض أهل العلم: النكاح جائز، ويجعل لها صداق مثلها- أي: غير القرآن- وهو قول أهل الكوفة، وأحمد، وإسحاق».

وقال ابن قدامة في المغني (٦/ ١٥٩): «فأما الأخذ على الرقية، فإن أحمد اختار جوازه، وقال: لا بأس، وذكر حديث أبي سعيد، والفرق بينه وبين ما اختلف فيه: أن الرُّقية نوع مداواة، والمأخوذ عليها جُعْل، والمداواة يباح أخذ الأجر عليها، والجعالة أوسع من الإجارة، ولهذا تجوز مع جهالة =

العمل والمدة... وأما جعل التعليم- أي: تعليم القرآن- صداقًا، ففيه اختلاف، وليس في الخبر تصريح بأن التعليم صداق، إنما قال: زوجتكها على ما معك من القرآن. فيحتمل أنه زوَّجه إياها بغير صداق إكرامًا له، كما زوَّج أبا طلحة أم سليم على إسلامه... والفرق بين المهر والأجر: أن المهر ليس بعوض محض، وإنما وجب نِحْلة وَوَصْلةً، ولهذا جاز خلو العقد عن تسميته، وصح مع فساده بخلاف الأجر في غيره». اهـ

وقال الطحاوي في مختصر اختلاف العلماء: «فإن قيل: قال النبي ﷺ من حديث سهل بن سعد للرجل: قد زوجتكها بما معك من القرآن؟ قيل له: إنما معناه لأجل القرآن، والمهر غيره، كما تزوج أبو طلحة أم سليم على إسلامه». اهـ

ويحتمل أنه خاص بهذا الرجل وتلك المرأة ولا يجوز لغيرهما، ويدل لذلك ما أخرجه سعيد بن منصور عن أبي النعمان الأزدي ط: «أن النبي ق زوَّج رجلًا امرأة على سورة من القرآن، ثم قال: لا يكون لأحد بعدك مهرًا».

وقال الطحاوي في كتابه شرح معاني الآثار (٣/ ١٦): «قال الليث: لا يجوز هذا بعد رسول الله ق، أن يُزَوَّجَ بالقرآن». اهـ

وأما الجواب على الآثار التي استدل بها من يرى جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن:

فيقال: إن أكثرها إنما جاءت الرُّخصة فيها على تعليم الكتابة والحساب ونحوهما، وليست في القرآن، وأيضًا قد لا يكون المعلِّم من المسلمين، فقد كان مِن السَّلف مَن يرسل أولاده لغير المسلمين في وقت الحاجة؛ ليعلموهم الكتابة والحساب. ففي مصنف ابن أبي شيبة عن ابن سيرين، قال: «كان بالمدينة معلم عنده من أبناء أولئك الضخام، قال: فكانوا يعرفون حقَّه في النيروز والمهرجان».

وفي الفروع لابن مفلح (٨/ ٣٧٥) قال ابن هانئ: «رأيت أبا عبدالله أعطى ابنه درهمًا يوم النيروز، وقال: اذهب به إلى المعلِّم».

ومن المعلوم أن الذي يأخذ أجرة في عيد النيروز لا يكون مسلمًا- وغالبًا يكون مجوسيًّا- ومن ثَـمَّ لم تكن الإجارة على تعليم القرآن.

وأيضًا هي مُعَارضة بالأحاديث المستفيضة في كراهة هذا الأمر.

=



٣- والقول الثالث: جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن بغير شرط، وعدم جوازه لمن اشترط؛ وممن كره أجرة التعليم مع الشرط: الحسن وعطاء- في أحد قوليهما- وابن سيرين وطاوس والشعبي والنخعي وأحمد في رواية حكاها أبو الخطاب.

واستدل هؤلاء بما رواه النسائي في السنن الكبرى (٢٣٨٦) عن عبدالله بن السعدي أنه قدم على عمر بن الخطاب ط من الشام، فقال: «ألم أُخبر أنك تعمل على عمل من أعمال المسلمين فتُعطى عليه عُمالة فلا تقبلها؟ قال: أجل، إن لي أفراسًا وأعبُدًا، وأنا بخير، فأريد أن يكون عملي صدقة على المسلمين. فقال عمر: إني أردتُ الذي أردتَ، وكان النبي ق يعطيني المال، فأقول: أعطه من هو أحوج إليه مني، وأنه أعطاني مرة مالًا، فقلت: أعطه من هو أحوج إليه مني، فقال: ما آتاك الله من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف، فخذه فتموله أو تصدق به، وما لا، فلا تتبعه نفسك». اهـ

وإن كانت أعمال المسلمين على قسمين:

أحدهما: ما يختص فاعله أن يكون من أهل القُربة، أي: ما لا يفعله إلا مسلم؛ كتعليم القرآن، والإمامة، والأذان.

والثاني: ما لا يختص فاعله أن يكون من أهل القُربة، أي: ما يفعله المسلم وغيره؛ كمصالح المسلمين العامة، من فتح الطرق، وبناء السُّدود ونحوه، وقد يكون الذي بلغ عمر ط هو امتناع ابن السعدي عن أخذ العمالة على الثاني.

وأيضًا قد أرخص النبي ق لأبي بن كعب ط في أكل طعام الكفيف- الذي كان يعمله له- إذا كان طعامه وطعام أهله، من غير اشتراط منه- كما تقدَّم في الحديث.

وأما الآثار فمنها:

ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن طاوس، عن أبيه: «أنه كان لا يرى بأسًا أن يُعَلِّم المعلم، ولا يشارط، فإن أعطي شيئًا أخذه». وفي لفظ آخر عنه: «أنه كره أن يُعَلِّم بشرط».

وعن الشعبي، قال: «لا يشترط المعلم، وإن أعطي شيئًا فليقبله».

وعن عطاء: «أنه كان لا يرى بأسًا أن يأخذ المعلم ما أعطي من غير شرطه».

وعن إبراهيم، قال: «كان يُكره أن يشارط المعلم على تعليم القرآن».

وعن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه كره للمعلِّم أن يشارط.

=



وعن الحسن، قال: «لا بأس أن يأخذ على الكتابة أجرًا، وكره الشرط».

وعن عامر الشعبي، قال: «المعلِّم لا يشارط، فإن أُهدي له شيئًا، فليقبله».

وفي مصنف عبدالرزاق عن ابن طاوس عن أبيه: «أنه سئل عن مُعَلِّمٍ يأخذ الأجر، فقال: إذا لم يأخذ بشرط، فلا بأس به». قال معمر: وقال قتادة مثل ذلك.

وفي مسند ابن الجعد (١/ ١٧٠) قال شعبة: «قال جابر بن زيد: لا بأس به، ما لم يشترط».

وفي مسائل أبي داود (١/ ٢٦٤) قال: «قلت لأحمد: كسب المعلم؟ قال: من الناس من يتوقى الشرط، وإذا لم يشارط أهون. سمعته غير مرة يفتي نحو هذا فيه، وقال مرة: فيه اختلاف». اهـ

وفي أخذ الأجرة على أعمال القرب روايتان عن الإمام أحمد:

إحداهما: أنه لا يجوز، وهو المذهب وعليه جماهير الأصحاب.

والثانية: يجوز. وهذا إن كان بلا شرط، فأما ما كان بشرط، فظاهر كلام الإمام أحمد عدم جوازه.

قال ابن قدامة في المغني (٦/ ١٥٩): «فإن أُعطي المعلِّم شيئًا من غير شرط، فظاهر كلام أحمد جوازه، قال فيما نقل عنه أيوب بن إسحاق بن سافري: لا يطلب ولا يشارط، فإن أُعطي شيئًا أخذه. وقال في رواية أحمد بن سعيد: أكره أجر المعلم إذا شرط. وقال: إذا كان المعلم لا يشارط ولا يطلب من أحد شيئًا، إن أتاه شيء قبله؛ كأنه يراه أهون». اهـ

ولعلَّ القول الثالث بالتفصيل هو الراجح، والله أعلم.

اعتبارات مهمة:

الاعتبار الأول: أن أكثر الآثار المتقدم ذكرها آنفًا إنما هي في إعطاء فرد - وهو المتعلِّم - لفرد - وهو المعلِّم - أما إعطاء الإمام والأخذ من بيت المال مقابل القيام بفروض الكفايات وأعمال البر، فلا شيء فيها إن شاء الله، ففي كتاب الأموال لأبي عبيد (٥٥٤) قال: «باب: الفرض على تعلم القرآن والعلم. ثم روى عن أبي غيلان، قال: «بعث عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يزيد بن أبي مالك الدمشقي، والحارث بن يمجد الأشعري، يفقهان الناس في البدو، وأجرى عليهما رَزقًا، فأما يزيد فَقَبِل، وأما الحارث فأبى أن يقبل، فكُتب إلى عمر بن عبدالعزيز بذلك، فكتب عمر: إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأسًا، وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد». اهـ

=



ومن قبله عمر بن الخطاب ط، فقد كان يُعطي على تعليم القرآن والكتابة، كما في مصنف ابن أبي شيبة عن الوضين بن عطاء، قال: «كان بالمدينة ثلاثة مُعلِّمين يعلمون الصبيان، فكان عمر بن الخطاب يرزق كل واحد منهم خمسة عشر درهمًا كل شهر».

وهذا في تعليم الكتابة والحساب.

وفيه عن محمد بن فضيل، عن أبيه، قال: «كان عمر بن عبدالعزيز لا يفرض إلا لمن قرأ القرآن، قال: فكان أبي ممن قرأ القرآن، ففرض له».

وهذا في العطاء العام، لكنه يُشجع على تعلُّم القرآن.

وكذلك سعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر ن؛ كما في المدونة الكبرى (٣/ ٤٣١) عن ابن شهاب: «أن سعد بن أبي وقاص ط قَدِم برجل من العراق يعلِّم أبناءهم الكتاب بالمدينة، ويعطونه على ذلك الأجر».

ولهذا قال مالك في المدونة الكبرى: «لا بأس بأخذ الأجر على تعليم الغلمان الكتاب والقرآن».

وقال ابن قدامة في الشرح الكبير (٦/ ٦٦): «فأما الرَزق من بيت المال، فيجوز على ما يتعدى نفعه من هذه الأمور- كالأذان والإمامة والتعليم- لأن بيت المال لمصالح المسلمين، فإذا كان بذله لمن يتعدى نفعه إلى المسلمين محتاجًا إليه، كان من المصالح، وكان للآخذ له أخذه؛ لأنه من أهله وجرى مجرى الوقف على من يقوم بهذه المصالح، بخلاف الأجر». اهـ

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لآداب المشي إلى الصلاة (١/ ١٢٨): «أما ما يُعطى من بيت المال، فلا يدخل في هذا». اهـ

والسبب في ذلك، أن ما يعطيه الإمام هو من باب الإحسان والمسامحة، بخلاف الإجارة فإنها من باب المعاوضة المحضة، وأيضًا فبيت المال خاصٌ بمصالح المسلمين العامة.

الاعتبار الثاني: أن القاعدة عند أهل السُّنة والحديث هي: أن من أخذ أجرًا على أعمال القُرب والخير فهو إلى الذم والكراهة أقرب منه إلى المدح، وتقدم تفصيل ذلك وشروطه في الإمامة والأذان والقرآن، بل حتى في التحديث، قال الإمام أحمد: لا يُطلب العلم ممن يأخذ عليه أجرًا. وسُئل إسحاق بن راهويه عمن يُحدِّث بالأجر؟ قال: لا تكتب عنه.

وغاية الأمر الإباحة، ولا شك أن المتورع والمتعفف أفضل.

=



وفي أجرة الشفاعة: روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن سيرين، قال: «جاء عقبة بن مسعود إلى أهله فإذا هدية، فقال: ما هذا؟ قالوا: الذي شفعت له، فقال: أخرجوها! أتعجل أجر شفاعتي في الدنيا؟!».

الاعتبار الثالث: أن العبد بقدر ما يأخذ من أجر الدنيا، فإن ذلك يُنقص من أجره في الآخرة، حتى ولو كان هذا الأجر حلالًا طيبًا زُلالًا قد أذن الشرع له فيه؛ ففي مسند أحمد، وصحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم، إلا كانوا قد تعجلوا ثُلثي أجورهم، وما من غازية أو سرية تخفق- أي: لم تغنم- وتصاب إلا تمَّ أجورهم».

وفي لفظ قال: «ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة، إلا تعجلوا ثُلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تمَّ لهم أجرهم».

فلا أحلَّ من الغنائم، ومع ذلك فإن الذي يغنم في الغزو يرجع بأجر هو انقص من أجر من لم يغنم، فتكون الغنيمة في مقابلة هذا الجزء من أجر الغزو.

قال بعض العلماء: وذلك أن الله أعدَّ للمجاهدين ثلاث كرامات: دنيويتين وأخروية.

فالدنيويتان: السلامة والغنيمة. والأخروية: دخول الجنة. فإذا رجع سالمًا غانمًا، فقد حصل له ثلثا ما أعدَّ الله له، وبقي له الثلث، وإن رجع بلا غنيمة ولا سلامة؛ عوَّضه الله عن ذلك ثوابًا في مقابلة ما فاته.

وفي مسند أحمد، وصحيح البخاري واللفظ له عن أبي وائل قال: «عُدْنَا خبَّابًا ﭬ فقال: هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد وترك نمرة، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه! وإذا غطينا رجليه بدا رأسه! فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه، ونجعل على رجليه شيئًا من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يَهْدِبُها- يعني: يجنيها ويأكلها-».

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عمر ﭬ قال: «لا يصيب أحدٌ من الدنيا، إلا نقص من درجاته عند الله، وإن كان عليه كريمًا».

=





الاعتبار الرابع: قد قال الإمام أحمد فيما نقله عنه أبو طالب، قال: «التعليم- أي: بأجر- أحبُّ إليَّ مِن أن يتوكل لهؤلاء السلاطين، ومِن أن يتوكل لرجل من عامة الناس في ضيعة، ومِن أن يستدين ويتجر لعله لا يقدر على الوفاء، فيلقى الله بأمانات الناس، التعليم أحبُّ إليَّ». اهـ

ذكره عنه ابن قدامة في الشرح الكبير (٦/ ٦٣)، ثم قال: «وهذا يدلُّ على أن منعه منه في موضع للكراهة لا التحريم».

وفي مسائل صالح للإمام أحمد (٥٣٠) قال له إنسان: التعليم- بأجر- أحبُّ إليك أو المسألة؟ قال: «التعليم أحبُّ إليَّ من المسألة».

وفي الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٢٦١) قال: «سأل رجل الإمام أحمد، فقال: أربعة دراهم: درهم من تجارة، ودرهم من صلة الإخوان، ودرهم من أجر التعليم، ودرهم من غلة بغداد؟ فقال: أحبه إليَّ من تجارة بَزٍّ، وأكرهها عندي الذي من صلة الإخوان، وأما أجر التعليم فإن احتاج فليأخذه، وأما غلة بغداد فأنت تعرفها، فأي شيء تسألني عنها؟!». اهـ

والكلام في غلة بغداد والسواد؛ لأجل أن كثيرًا من أراضي العراق أوقفها عمر ﵁ ثم تملكها الناس زمان المهدي العباسي؛ فهي في حكم المغصوبة.

وفي أنساب الأشراف للبلاذري (١٠/ ٣٤٣) عن بكر بن عبدالله المزني، قال: «قال عمر بن الخطاب ﵁: مكسبة فيها بعض الدناءة، خير من مسألة الناس». قال عمر بن شَبَّة: «مثل بيع المصاحف، وتعليم الصبيان بكراء، وعسب الفحل، وما أشبه ذلك». اهـ



باب: ما يكره للقارئ من المباهاة بالقرآن والتعمق في إقامة حروفه وتعليمه غير أهله

٣٠١- حدثنا يزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن بيان بن بشر، عن حكيم بن جابر، قال:

قال حذيفة ط:

«إن أقرأ الناس للقرآن: منافق يقرؤه لا يترك منه واوًا ولا ألفًا؛ يلفته بلسانه كما تلفت البقرة الخَلا[(١)] بلسانها، لا يجاوز ترقوته»[(٢)].

---

(١) الخلا، أو الخلى: هو الرطب من الحشيش أو النبات، واحدته خلاة، وجمعه أخلاء.

(٢) هذا الأثر موقوفٌ لفظًا، مرفوعٌ حكمًا. ومعنى: «يلفته بلسانه». أي: يُرسله ولا يبالي كيف جاء، يُقال: الرَّاعِي يَلْفِتُ الماشية بالعصا؛ أي: يضربُها بها لا يبالي أيها أصاب. والمعنى أنه يقرؤه من غير رويّة ولا تبصّر وتعمّد للمأمور به، غير مبال بمتلوّه، كيف جاء، كما تفعل البقرة بالحشيش إذا أكلته. وأصل اللفت: لَيُّ الشيء عن الطريق المستقيم. انظر لسان العرب (٥/ ٤٠٥١).

والمعنى الثاني: أنه لا يترك منه حرفًا ولا حكمًا إلا أتى به، كما تفعل البقرة في أكلها؛ فإنها مشهورة بأنها لا تدع شيئًا، فهو يقيمه إقامة القِدح، لكن لا يجاوز ترقوته.

قال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٣٢٦): «فإن سأل سائل عن معنى هذا الحديث، وقال: لم خص القُرَّاء بالنفاق دون غيرهم؟ فالجواب عن ذلك: إن الرياء لا يكاد يوجد إلا في من نُسب إلى التقوى، ولأن العامة والسوقة قد جهلوه. والمتحلين بحلية القُرَّاء قد حذقوه، والرياء هو النفاق؛ لأن المنافق هو الذي يُسِرُّ خلاف ما يظهر، ويسر ضد ما يبطن، ويصف المحاسن بلسانه ويخالفها بفعله، ويقول ما يعرف، ويأتي ما ينكر، ويترصد الغفلات لانتهاز الهفوات». اهـ

=



وفي صفة النفاق للفريابي (١/ ٣٧) عن زياد بن حدير، قال: «قال عمر ط: إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاثة: منافق يقرأ القرآن لا يخطئ منه واوًا ولا ألفًا، يجادل الناس أنه أعلم منهم ليضلهم عن الهدى، وزلة عالم، وأئمة مضلون».

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير، قال: «اقرؤا القرآن قراءة صبيانية، ولا تنطعوا فيه». والمراد: كما تعلَّم الصبيان أول أمرهم، دون تكلف أو تنطع.

وقال ابن مسعود ط: «اقرءوه كما علمتم، وإياكم والتنطع والاختلاف».

وفي موطأ مالك (١/ ٢٢٤) أن عبدالله بن مسعود ط قال لإنسان: «إنك في زمان: قليلٌ قراؤه، كثيرٌ فقهاؤه، تُحفظ فيه حدود القرآن، وتُضيَّع حروفه، قليلٌ من يسأل، كثيرٌ من يعطي، يطيلون فيه الصلاة، ويقصرون فيه الخطبة، يُبَدُّون فيه أعمالهم قبل أهوائهم. وسيأتي زمان: كثيرٌ قراؤه، قليلٌ فقهاؤه، تُحفظ فيه حروف القرآن، وتُضيَّع حدوده، كثيرٌ من يسأل، قليلٌ من يعطي، يطيلون الخطبة، ويقصرون الصلاة، ويُبَدُّون فيه أهواءهم قبل أعمالهم». اهـ

ومعنى تضييع حروفه عند الأوائل: عدم التكلف في قراءته.

وصدق أبو عبدالرحمن ط، وكأنه يتكلم عن زماننا! فقد رأينا كثرة القراء، وقلة الفقهاء؛ قال الطرطوشي في الحوادث والبدع (١/ ٩٧): «ومما ابتدعه الناس في القرآن؛ الاقتصار على حفظ حروفه، دون التفقه فيه... ثم قال: وهذا هو حال المقرئين في هذه الأعصر؛ فإنك تجد أحدهم يروي القرآن بمئة رواية، ويثقف حروفه تثقيف القِدْح، وهو أجهل الجاهلين بأحكامه، فلو سألته عن حقيقة النية في الوضوء، ومحلها، وعزوبها، ورفضها، وتفريقها على أعضاء الوضوء؛ لم يحِرْ جوابًا، وهو يتلو عمره: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ». بل لو سألته عن أول درجة، فقلت له: أمرُ الله تعالى على الوجوب هو، أم على الندب والاستحباب؟ أم على الوقف، أم على الإباحة؟ فطلبته بفهم هذه الدقائق ووجوهها وترتيبها؛ لم يحِرْ جوابًا!». اهـ

ويا ليتهم قرؤوه قراءة سمحةً! ولكنهم تقعروا فيه وخلطوه بالحرام، كهؤلاء الذين يقرؤونه في الحفلات والمآتم، لا يطيب لأحدهم قراءة القرآن إلا وهو يشرب الدخان أو الحشيشة، فهؤلاء كما =



وحدثنا مروان بن معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر، عن حذيفة، مثل ذلك. ولم يذكره عن بيان.

٣٠٢ - حدثنا حجاج، عن هُشيم بن بُشير، عن إسماعيل بن أبي خالد، عمن حدثه عن ابن مسعود ط، أنه قال:

«أعربوا القرآن فإنه عربيٌّ، وسيأتي قوم يُثَقِّفُونه وليسوا بخياركم»(١).

٣٠٣ - حدثنا عبدالله بن صالح، عن عبدالرحمن بن شريح أبي شريح، أنه سمع أبا قَبيل المعافري، يقول: حدثني أبو مسكينة، قال:

قيل: جمعوا بين التعمق والتنطع في إبراز الكلام من تلك الأفواه المنتنة تكلفًا وابتداعًا، وبين سوء الأدب مع كلام الله تعالى.

وروى ابن الضُّريس في فضائل القرآن (١/ ٢٧) عن الحارث بن قيس قال: «كنت رجلًا في لساني لُكنة، وكنت أتعلم القرآن، فقيل لي: ألا تَعَلَّم العربية قبل أن تَعَلَّم القرآن! فذكرت ذلك لعبدالله بن مسعود، وقلت: إنهم يضحكون مني! ويقولون: تَعَلَّم العربية قبل أن تَعَلَّم القرآن، فقال: لا تفعل، فإنك في زمان تُحفظ فيه حدود القرآن، وإن بعدك زمانًا تُحفظ فيه الحروف وتُضيَّع فيه الحدود».

وفي حلية الأولياء (٥/ ٣٤٣) عن عبدالحميد بن لاحق، قال: «سمعت أبي يقول: قرأ رجل عند عمر بن عبدالعزيز سورة، وعنده رهط، فقال بعض القوم: لَحَن! فقال له عمر: أما كان فيما سمعت ما يشغلك عن اللحن؟».

(١) وهؤلاء القوم هم الذين عناهم النبي ق فيما رواه سعيد بن منصور في التفسير من سننه (١/ ١٥٢) عن جابر بن عبدالله م، قال: «خرج علينا رسول الله ق ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعجمي والأعرابي، فقال: اقرؤا وكلٌّ حَسنٌ، وسيأتي قوم يُقَوِّمونه كما يُقَوَّم القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه».



قال لي فَضالة بن عُبيد الأنصاري:

«خذ هذا المصحف، وأمسك عليَّ، ولا تـردن علـيَّ ألفًـا ولا واوًا، فإنه سيكون قوم يقرؤن القرآن لا يسقطون منه ألفًا ولا واوًا.

قال: ثم رفع فضالة يديه، فقال: «اللهم لا تجعلني منهم».

وحدثنا حجاج، عن ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن أبي مسكينة

عن فضالة بن عبيد، مثل ذلك إلا أنه قال:

«لا تأخذن عليَّ حرفًا إلا آية كاملة».

٣٠٤ – حدثنا معاذ، عن ابن عون

عن رجاء بن حيوة، قال:

قال الذي يُعلِّم ولد يزيد بن معاوية لمعاوية: قد تَعَلَّم من ولـد يزيـد كذا وكذا القرآن.

فقال معاوية ط: «إن أغرى الضلالة: الرجل يقرأ القـرآن لا يفقـه فيه، فيعلمه الصبي والمرأة والعبد، فيجادلون به أهل العلم».

٣٠٥ – حدثنا شجاع بن الوليد، عن عمرو بن قيس الملائي

عن الحسن، قال:

«تعلَّم هذا القرآن عبيد وصبيان لم يأتوه من قبل وجهه، لا يدرون ما تأويله، قال الله تعـالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]. ومـا



تدبر آياته إلا اتباعه بعلمه، وإن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه، وإن لم يكن يقرؤه، ثم يقول أحدكم: تعال يا فلان أقارئك! متى كانت القُّراء تفعل هذا؟ ما هؤلاء بالقراء ولا الحكماء ولا الحلماء، لا أكثر الله في الناس أمثالهم»(١).

---

(١) ليس المراد من كلام الحسن هو منع الصبيان والعبيد من حفظ القرآن وتعلمه مطلقًا، وإنما مراده كما قال: «لم يأتوه من قبل وجهه، لا يدرون ما تأويله».

وقد كان من السَّلف من يكره حفظ القرآن للصغير حتى يعقل، وهو مروي عن سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، ومالك بن أنس، ويقولون: كان أصحاب النبي ﷺ يبقون في السورة الطويلة يتعلمونها، ويتبينون ما فيها من الأحكام.

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن إبراهيم النخعي، قال: «كانوا يكرهون أن يُعلِّموا الغلام القرآن، حتى يعقل».

وفي البيان والتحصيل (١٨/ ١٥٢) عن مالك بن أنس، قال: «سمعت أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه قد قرأ القرآن رجال، فكتب إليه عمر: أن افرض لهم وأعطهم وزدهم. ثم كتب إليه أبو موسى: إنا لما فعلنا ذلك أسرع الناس في القراءة، حتى قرأ سبعمئة! فكتب إليه عمر: أن دع الناس لا تعطيهم شيئًا، فإني أخاف أن يقرأ الناس القرآن قبل أن يتفقهوا في الدين».

قال مالك: «وإنما قال ذلك؛ مخافة أن يتأولوه على غير تأويله».

وفي الجامع لابن أبي زيد (١/ ١٦٦) قال أشهب: «سئل مالك عن صبي ابن سبع سنين جمع القرآن؟ قال مالك: ما أرى هذا ينبغي».

قال الطرطوشي في الحوادث والبدع (١/ ٩٨): «وإنما وجه إنكاره؛ ما تقرر في الصحابة من كراهة التسرع في حفظ القرآن، دون التفقه فيه». اهـ

=





وفي المقابل جاءت آثار تحثُّ على حفظ الصبي للقرآن في الصِّغَر؛ لأن هذا أدعى لثبوته في الكِبَر، ولعلَّ المراد بالصغر ما بين سبع سنين إلى البلوغ.

وفي البيان والتحصيل (١٨/ ٥٧١) عن مالك بن أنس، قال: «إنما الناس في العلم أربعة:

رجلٌ عَلِم علمًا فعمل به وعلَّمه، فمثله في كتاب الله: «إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟»».

ورجلٌ عَلِم علمًا فعمل به ولم يعلِّمه، فمثله من كتاب الله: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ». الآية.

ورجلٌ عَلِم علمًا فعلَّمه وأمر به ولم يعمل به، فمثله في كتاب الله: «أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ».

ورجلٌ لم يعلم علمًا ولم يعمل به، فمثله في كتاب الله: «إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا».



باب: القارئ يصعق عند قراءة القرآن ومن كره ذلك وعابه

٣٠٦ – حدثنا سعيد بن عبدالرحمن الجمحي، قال:

سمعت أبا حازم، يقول:

مرَّ ابن عمر م برجل من أهل العراق ساقطًا، والناس حوله، فقال: «ما هذا؟» فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن أو سمع الله يُذكر خرَّ من خشية الله. فقال ابن عمر م: «والله إنا لنخشى الله وما نسقط»[١].

٣٠٧ – حدثنا كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن عبدالكريم الجزري

عن عكرمة، قال:

سئلت أسماء ك هل كان أحد من السَّلف يغشى عليه من الخوف؟ فقالت: «لا، ولكنهم كانوا يبكون»[٢].

---

(١) وفي تفسير البغوي (٥/ ٨) أن ابن عمر م قال: «إن الشيطان ليدخل في جوف أحدهم! والله ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ق».

(٢) أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم عن عبدالله بن عروة بن الزبير بلفظ أطول من ذلك، قال: «قلت لجدتي أسماء ك: كيف كان يصنع أصحاب رسول الله ق إذا قرؤا القرآن؟
=

قالت: كانوا كما نعتهم الله تعالى؛ تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم، قلت: فإن ناسًا ههنا إذا سمعوا ذلك؛ تأخذهم عليه غشية، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». اهـ

وههنا حديث يُعَدُّ من أصول الأحاديث التي قامت عليها السُّنة، وهو حديث العرباض بن سارية ط، وفيه قال: «وعظنا رسول الله ق موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب».

قال أبو بكر الآجري في الأربعين حديثًا (١/ ٩٧): «ميزوا هذا الكلام! فإنه لم يقل: صرخنا من موعظته! ولا طرقنا على رؤوسنا! ولا ضربنا على صدورنا! ولا زَفَنَّا ولا رقصنا- كما يفعله كثير من الجهال، يصرخون عند المواعظ ويزعقون، ويتناشون- وهذا كله من الشيطان يلعب بهم، وهذا كله بدعة وضلالة، ويقال لمن فعل هذا: اعلم أن النبي ق أصدق الناس موعظة، وأنصح الناس لأمته، وأرق الناس قلبًا، وأصحابه أرق الناس قلوبًا، وخير الناس ممن جاء بعدهم، لا يشك في ذلك عاقل، ما صرخوا عند موعظته ولا زعقوا ولا رقصوا ولا زفنوا، ولو كان هذا صحيحًا لكانوا أحق الناس به أن يفعلوه بين يدي رسول الله ق، ولكنه بدعة وباطل ومنكر، فتمسكوا رحمكم الله بسنته، وسنة الخلفاء من بعده الراشدين المهديين، وسائر الصحابة ن أجمعين». اهـ

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٣٠) عن خلف بن حوشب: «أن جوابًا التيمي كان يرتعد عند الذِّكر، فقال له إبراهيم النخعي: إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتدَّ بك، وإن كنت لا تملكه فقد خالفتَ من هو خير منك». اهـ

أي: ففعلك هذا نقصٌ لا كمال فيه، وهذا تفصيلٌ حَسَن.

وفي المعجم الكبير للطبراني، وحلية الأولياء عن عامر بن عبدالله بن الزبير، قال: «جئت أبي، فقال: أين كنت؟ فقلت: وجدت قومًا ما رأيت خيرًا منهم قط! يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ، فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله عَزَّوَجَلَّ، فقعدت معهم، فقال: لا تقعد معهم بعدها. قال: فرآني كأنه لم يأخذ ذلك فيَّ، فقال: رأيت رسول الله ق يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر وعمر م يتلوان القرآن، فلا يصيبهم هذا، أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر؟! قال: فرأيت أن ذلك كذلك، فتركتهم».

وفي رواية، قال: «بلغ عبدالله بن الزبير أن ابنه عامرًا صحب قومًا يتصعَّقون عند قراءة القرآن، فقال له: يا عامر! لأعرفن ما صحبت الذين يَصَّعَّقُون عند القرآن؛ لأُوسِعك جَلْدًا».



٣٠٨ – حدثنا محمد بن كثير، عن مخلد بن حسين

عن هشام بن حسان، قال:

قيل لعائشة ك: إن قومًا إذا سمعوا القرآن صعقوا! فقالت: «القرآن أكرم أن تنزف عنه عقول الرجال، ولكنه كما قال الله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٢٣]»(١).

٣٠٩ – حدثنا زيد بن الحباب، عن شبيب العبدي(٢)، عن قتادة

عن أنس بن مالك ط:

---

(١) وفي هذا إشارة عظيمة من عائشة ك أن ذهاب العقل ليس من القرآن، بل من الشيطان في الغالب، إلا من غُلب على نفسه؛ فهذا ضعيف، والصحابة ن أكمل منه.

وقد وصف الله تعالى حال المؤمنين عند الذكر بأوصاف منها:

١ – الوَجَل، كما في قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ»، الآية.

٢ – الخشوع، كما قال تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ»، الآية.

٣– الطمأنينة، كما في قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ».

٤ – وجمع الله بينهم، فقال: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ».

وفي حلية الأولياء (٣/ ٨٠) عن عمرو بن مالك، قال: «بينما نحن يومًا عند أبي الجوزاء يحدثنا، إذ خرَّ رجل فاضطرب، فوثب أبو الجوزاء فسعى قِبله، فقيل: يا أبا الجوزاء! إنه رجل به الموتة– أي: الصَّرَع– فقال: إنما كنت أُراه من هؤلاء القَفَّازين، ولو كان منهم؛ أمرت به، وأخرجته من المسجد، إنما ذكرهم الله، فقال: تفيض أعينهم، وقال: تقشعر جلودهم». اهـ

(٢) في بعض النسخ: «مسيب العنبري». والصحيح ما أثبتناه.



أنه سئل عن القوم يقرأ عليهم القرآن؛ فيصعقون؟
فقال: «ذلك فعل الخوارج»[(١)].

(١) ويبدو أن هذا الأمر كان فاشيًا في الخوارج، كما قال أبو حمزة بن عقبة، وهو يمدح أصحابه من الخوارج الشّراة، فقال: «كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفًا من النار، وإذا مروا بآية رحمة شهقوا شوقًا إلى الجنة». ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٣٦).
وروى ابن أبي الدنيا في كتابه الإخلاص (٤٠): «أن رجلًا تنفس عند عمر ط كأنه يتحازن؛ فلكزه عمر - أو قال: لكمه -».
وعن الحسن أنه حدَّث يومًا أو وعظ؛ فتنفس في مجلسه رجل، فقال الحسن: «إن كان لله فقد شهرت نفسك، وإن كان لغير الله هلكت».
ووعظ الحسن يومًا؛ فانتحب رجل، فقال الحسن: «ليسألنك الله يوم القيامة ما أردت بهذا؟». اهـ
وفي الإبانة الكبرى (٣/ ٢٠٠) عن قيس بن جبير، قال: «الصعقة عند القصص؛ من الشيطان».
وفي الزهد للإمام أحمد (١/ ٣٨٧) عن عبدالكريم بن رشيد، قال: «كنت في حلقة الحسن، فجعل رجلٌ يبكي وارتفع صوته، فقال الحسن: إن الشيطان لَيُبْكِي هذا الآن».
وفي السنة للالكائي (٢٣١٥) عن ابن عباس م أنه ذُكر عنده الخوارج، وما يلقون عند تلاوة القرآن، فقال: «إنهم ليسوا بأشد اجتهادًا من اليهود والنصارى، ثم هم يضلون».
وفي الزهد لابن المبارك (١٢٩) عن شعيب الجُبائي، قال: «إذا كَمُل فجور الإنسان، ملك عينيه، فمتى شاء أن يبكي بكى».
وقال ابن كثير في التفسير (٤/ ٥١٠): «قال عبدالرزاق: حدثنا معمر، قال: تلا قتادة: «تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ». قال: هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله بأنهم تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وإنما هو من الشيطان». اهـ



٣١٠ - حدثنا زيد- يعني: ابن الحباب-

عن عمران[(١)] بن عبدالعزيز، وجرير بن حازم:

أنهما سمعا محمد بن سيرين، وقد سئل عن الرجل يُقرأ عنده القرآن فيصعق، فقال: «ميعاد ما بيننا وبينه أن يُجلس على حائط، ثم يُقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن وقع فهو كما قال»[(٢)].



---

(١) في بعض النسخ: «حمران». والصواب ما أثبتناه، كما في حلية الأولياء، وتلبيس إبليس.

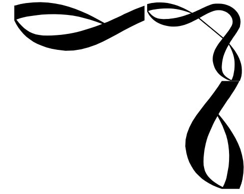
(٢) وإنما قال ابن سيرين ما قال؛ لعلمه بأن هذا تصنُّع وتكلف، وليس بحقٍّ من قلوبهم- كما فسره أحد رواة الأثر-.

وهذه طريقة نافعة ومفيدة في كشف حِيل المخادعين والكذّابين، كما قال الشافعي في القدرية: «ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خُصِموا، وإن جحدوه كفروا».

ولأن الدعاوى لا تقبل إلا ببينات.

تنبيه: بقي من آداب وأحكام قارئ القرآن بقيَّةٌ، وهي قرابة مئة أثر؛ من الأثر (٦٢٠) وحتى الأثر (٧١٨)، وأثبتناها مكانها هناك كما هي بالأصل؛ لمناسبتها لما قبلها.

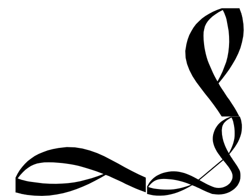


القسم الثالث:

جماع أبواب سور القرآن وآياته

وما فيها من الفضائل



جماع أبواب سور القرآن وآياته وما فيها من الفضائل

باب: ذكر: بسم الله الرحمن الرحيم(١) وفضلها وحديثها

٣١١ - حدثنا محمد بن يزيد الواسطي، عن المسعودي

عن الحارث العُكْلي، قال:

قال لي الشعبي: كيف كان كتاب رسول الله ﷺ إليكم؟

قال: قلت: باسمك اللهم. فقال: «ذاك الكتاب الأول؛ كَتَب النبي ﷺ: باسمك اللهم»؛ فجرت بذلك ما شاء الله أن تجري، ثم نزلت: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود:٤١]؛ فكتب: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾؛ فجرت بذلك ما

(١) قد فشا في زماننا تسمية: (بسم الله الرحمن الرحيم) بالبسملة، وهذه الكلمة لم تكن معروفة في لسان السلف، فلا يوجد في القرآن ولا في الأحاديث ولا في الآثار ما يسمى بالبسملة، بل المعروف عندهم قول: (بسم الله الرحمن الرحيم)، أو التسمية. ومن هذا الباب:

الحوقلة أو الحولقة، وهي اختصار: لا حول ولا قوة إلا بالله، والسبحلة: سبحان الله، والحمدلة: الحمد لله، والهيللة: لا إله إلا الله، والحسبلة: حسبي الله.

ولئن جاز هذا النحت في اللغة، فإن الأحاديث والآثار ليس فيها إطلاق مثل هذه الألفاظ. ومن نحتها هكذا، فإنه يخشى عليه حرمان أجر ذكرها، فمن قال: «سبحان الله» ليس كمن قال: «السبحنة».



شاء الله أن تجري، ثم نزلت: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء:١١٠]؛ فكتب: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، فجرت بذلك ما شاء الله أن تجري، ثم نزلت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠]».

قال أبو عبيد:

أُراه قال: «فكتب بذلك».

٣١٢ – حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبدالرحمن بن حرملة

عن سعيد بن المسيب:

أن كتاب النبي ﷺ لما أتى قيصر فقرأه، فقال: إن هذا الكتاب لم أره بعد سليمان بن داود عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٣١٣ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج

أن سليمان بن داود عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ لم يزد في كتابه على ما قص الله عنه: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ - أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٣٠-٣١].

٣١٤ – حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير[1]

عن كعب، قال:

---

(١) هو: مرثد بن عبدالله اليزني، أبو الخير المصري، ثقة فقيه، قال عنه يحيى بن معين: كان عند أهل مصر مثل علقمة عند أهل الكوفة، وكان رجل صدق.



إن أول ما أنزل الله مـن التـوراة: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ - قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾. ثم ذكر الآيات.

٣١٥ - حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو بن دينار

أن سعيد بن جبير، أخبره:

أنه في عهد النبي ﷺ كانوا لا يعرفون انقـضاء الـسورة حتـى تنـزل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. فـإذا نزلـت علمـوا أن قـد انقـضت الـسورة، ونزلت أخرى.

٣١٦ - حدثني حسان بن عبدالله، عن المفضل بن فضالة، عن أبي صخر حميد بن زياد

عن محمد بن كعب القرظي، قال:

«فاتحة الكتاب: سبع آيات بـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾».

قال: قال المفضل: وكان ابن شهاب يقول:

«من ترك: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. فقد ترك آية من كتاب الله»(١).

---

(١) كون الفاتحة سبع آيات، فهذا باتفاق القراء والمفسرين، ففي البخاري عن أبي سعيد بن المعلى ؓ: «أن رسول الله ﷺ قال: الحمد لله رب العالمين؛ هي السبع المثاني والقرآن العظيم».

واتفقوا كذلك على أن «بسم الله الرحمن الرحيم» بعض آية من سورة النمل، ولكن وقع الخلاف: هل هي آية من كل سورة؟ أو آية مستقلة تنزل للفصل بين السور، وهل هي آية من سورة الفاتحة أو ليست منها؟

=

والصحيح بلا شك أن «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من القرآن الكريم، ولكنها آية مستقلة لا تتبع السورة التي قبلها ولا التي بعدها، وإنما تنزل للفصل بين السور ما عدا سورة براءة، والدليل على أنها من القرآن أن الصحابة أدخلوها في المصحف، ولم يدخلوا فيه إلا ما هو قرآن. بل كان الصحابة في عهد رسول الله ﷺ لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل «بسم الله الرحمن الرحيم»، فإذا نزلت «بسم الله الرحمن الرحيم» علموا أن قد انقضت السورة، ونزلت الأخرى، وكذلك ما ذكره أبو عبيد هنا في هذا الباب من آثار عن السَّلف تدلُّ على أنها آية من كتاب الله.

والصحيح أيضًا أنها ليست آية من الفاتحة، بدليل ما رواه مالك وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، قال رسول الله ﷺ: اقرؤا، يقول العبد: « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ »، يقول الله تبارك وتعالى: حمدني عبدي، ويقول العبد: «ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ »، يقول الله: أثنى علي عبدي، ويقول العبد: « مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ »، يقول الله: مجدني عبدي، ويقول العبد: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ »، فهذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: « ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ - صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ »، فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل».

فهذه ثلاث آيات لله، ثم واحدة: نصفها لله ونصفها للعبد، وهي: «إياك نعبد وإياك نستعين»، ثم ثلاث آيات للعبد، ولم يذكر في الحديث: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ولو كانت آية من الفاتحة؛ لبدأ الله بها.

ولو كانت آية من الفاتحة لكان عدد الآيات إلى «وإياك نستعين» أربعًا ونصفًا لله، وبقي اثنتان ونصف للعبد، وهذا مخالف لقوله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدين نصفين».

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «قرأ رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب، ثم قال: قال ربكم: ابن آدم! أنزلت عليك سبع آيات: ثلاث لي وثلاث لك، وواحدة بيني وبينك».

وأما ما رواه ابن خزيمة في صحيحه، عن أم سلمة: «أن رسول الله ﷺ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة في الصلاة وعدَّها آية»، فهو من رواية عمر بن هارون البلخي، وفيه ضعف.

ومن جعلها آية لزمه أن يدمج آيتين، وهما: « صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ » لتصير سبع آيات، ومن لم يجعلها آية من الفاتحة جعل: «صراط الذين أنعمت عليهم» آية، =



و«غير المغضوب عليهم ولا الضالين» آية، وهو الصواب.

قال البغوي في التفسير (١/ ٥١): «واختلفوا في آية التسمية، فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور، والافتتاح بها للتيمن والتبرك. وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها من الفاتحة وليست من سائر السور وأنها كُتبت للفصل، وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة، وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي؛ لأنها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن». اهـ

والمذهب الأول الذي ذكره البغوي؛ هو مذهب مالك، وهو أنها ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها، إلا من سورة النمل، ولا يقرأ بها المصلي في المكتوبة ولا في غيرها، لا سرًّا ولا جهرًا، ويجوز أن يقرأها في النوافل. ونُقل هذا القول أيضًا عن الأوزاعي.

وذهب أحمد- في المشهور عنه- إلى أنها آية مستقلة، وليست من الفاتحة ولا من غيرها من السور إلا من سورة النمل، ولكن لابد من قراءتها ولا يتركها في الصلاة ولا في غيرها، ولا تبطل الصلاة بتركها.

وذهب إسحاق بن راهويه إلى أنها آية من الفاتحة وتجب قراءتها، وتبطل الصلاة بدونها.

ففي مسائل صالح للإمام أحمد (٥١٠) قال صالح: «وسمعته يقول: يقرأ الرجل بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة. قلت: الرجل يقرأ فاتحة الكتاب وهو في الصلاة، فإذا فرغ وافتتح سورة أخرى، يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: نعم، ولا يجهر بها؛ لأن ابن عمر ﭬ قرأها مرتين، حين ابتدأ الحمد، وسورة، وعدَّها ابن عباس ﭬ آية».

وفي مسائل الكوسج (٣٥٥١) قال: «قلت لإسحاق بن راهويه: رجل صلى الصلوات، ولم يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم مع الحمد؟ قال: يعيد الصلوات».

وقال الأصبهاني في سير السلف الصالحين (٣/ ١٠٧٩): «سئل إسحاق عن رجل ترك: بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة؟ فقال: من ترك «ب» أو «س» أو «م» من بسم الله الرحمن الرحيم؛ فصلاته فاسدة، لأن الحمد سبع آيات». اهـ

وقد صحَّ عن أبي هريرة ﭬ أنها آية من الفاتحة؛ كما رواه الدارقطني في سننه (١٠٣٥) موقوفًا على أبي هريرة ﭬ، قال: «إذا قرأتم الحمد لله؛ فاقرؤا: (بسم الله الرحمن الرحيم)؛ فإنها أم القرآن، وأم =

٣١٧ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ليث، عن مجاهد

عن ابن عباس م، قال:

«آية من كتاب الله؛ أغفلها الناس: @بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ !».

٣١٨ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لأبي: أأخبرك سعيد بن جبير

أن ابن عباس م، قال:

«@بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ! آية من القرآن؟».

قال: نعم.

٣١٩ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن نافع

عن ابن عمر م:

أنه كان لا يدع @بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ! حين يستفتح السُّورة بعدها.

الكتاب، والسبع المثاني، و(بسم الله الرحمن الرحيم) إحداها». اهـ

وهذا له حكم المرفوع؛ إذ لا مدخل للاجتهاد فيه. ومما يؤيد ذلك ما رواه عبدالرزاق في مصنفه، عن معمر، عن الزهري، أنه قال: «كان يفتتح بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، ويقول: آية من كتاب الله تعالى تركها الناس». اهـ

وهذا يدل على خطورة المسألة، وينبني عليها صحة الصلاة وبطلانها؛ لأن المصلي قد يبدأ في قراءة الفاتحة بالحمد لله رب العالمين، فإذا كانت التسمية منها– عند من يرى ذلك– فإن صلاته باطلة؛ لأنه لم يقرأ الفاتحة كاملة.

٣٢٠ – حدثنا معاذ

عن ابن عون، قال:

كان نافع يُعْظِم ترك قراءة: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ويقول فيه.

٣٢١ – حدثنا ابن أبي مريم

عن عبدالجبار بن عمر:

أنه سمع كتاب عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن تستفتحوا بـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وتستفتحوا بها في السورة الأخرى.

٣٢٢ – وحدثنا الأشجعي، عن سفيان، عن ليث، **عن مجاهد**، وجابرٌ، **عن الشعبي**:

أنهما كرها[1] أن يكتب الجنب: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٣٢٣ – حدثنا يزيد، عن المبارك بن فضالة

عن عبدالله بن مسلم بن يسار، عن أبيه:

أنه كان يكره أن يكتب: «بـــــم» حين يبدأ، فيُسقط السِّين.

٣٢٤ – حدثنا إسحاق الأزرق

عن ابن عون:

---

(١) أي: مجاهد، والشعبي.



أنه كتب لابن سيرين «بـــم»، فقال: «مه! اكتب سينًا، اتقوا أن يأثم أحدكم، وهو لا يشعر»(١).

٣٢٥ - حدثنا علي بن ثابت، وأبو النضر، ويحيى بن بكير، كلهم عن الليث بن سعد

عن عمران بن عون:

أن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضرب كاتبًا كتب: «الميم» قبل «السِّين».

وقال أحد هؤلاء الثلاثة في حديثه: قال: فقيل له: فيم ضربك أمير المؤمنين؟ فقال: في سِين!

قال أبو عبيد:

أما هذه الأحاديث التي ذكرناها في ترك قراءة: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فليس هو على الجهر بها، إنما غلظوا ترك قراءتها في الصلاة أو غير الصلاة. إلا أنه يسرها في الصلاة؛ وهذا عندنا هو السُّنة(٢).

---

(١) في بعض أنواع الخط تُكتب التسمية هكذا: «بـــم»، دون كتابة السين؛ فهذا الذي نهى عنه ابن سيرين، ومسلم بن يسار.

(٢) ذكر أبو عبيد في هذا الباب مسألتين:

المسألة الأولى: في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، وتقدَّم الكلام عنها في أول الباب.

المسألة الثانية: في الجهر والإسرار بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة، وقد اشتهر عن الشافعي الجهر بالتسمية في الصلاة، فتعصَّب الشافعية جدًا لنُصرة هذا القول، وبعضهم كالبيهقي =

حاول تقوية الأحاديث الضعيفة لأجل هذه المسألة، بل وأفردها جماعة منهم بالتأليف في رسائل مستقلة كالدارقطني، والخطيب وغيرهما. ومن غير الشافعية: ابن عبدالهادي، وابن عبدالبر.

وقد اختلف العلماء فيها على أقوال:

فذهب مالك في المشهور عنه إلى عدم قراءتها أصلًا، لا سرًّا ولا جهرًا؛ لأنه يرى أنها ليست آية من القرآن.

وذهب الليث بن سعد، والشافعي وأصحابه، وأبو ثور إلى أنها تبع للصلاة؛ فيسر بها في السرية، ويجهر بها في الجهرية.

وذهب أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ منهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن عباس وغيرهم، ومن بعدهم من التابعين، منهم بكر المزني والحسن وابن سيرين والشعبي وأبو إسحاق السبيعي وعمر بن عبدالعزيز- في رواية عنه- وقتادة وابن أبي ليلى وابن شبرمة، ثم من بعدهم سفيان الثوري وابن المبارك والأوزاعي وأحمد وإسحاق وأبو عبيد إلى عدم الجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة، وقالوا جميعًا: «يقولها في نفسه».

والذي لاشك فيه وهو السُّنة- كما قال أبو عبيد هنا- وهو مذهب كبار الصحابة ومن تبعهم: هو الإسرار بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة وعدم الجهر بها سواء في السرية أو الجهرية، وهذا القول حكاه ابن شاهين عن عامة أهل السنة، قال: «وهم السواد الأعظم».

والأدلة على ذلك كثيرة منها:

ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين».

وفي رواية، قال: «صليت مع أبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم».

ولمسلم قال: «صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول القراءة ولا في آخرها».

قال ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٢٤٩): «باب: ذكر الدليل على أن أنسًا إنما أراد بقوله: «لم أسمع أحدًا منهم يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم». أي: لم أسمع أحدًا منهم يقرأ جهرًا: بسم الله الرحمن =



الرحيم، وأنهم كانوا يُسِّرون بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، لا كما توهم مـن لم يـشتغل بطلـب العلم من مظانه، وطلب الرئاسة قبل تَعَلُّم العلم». اهـ

ومنها: حديث عبدالله بن مغفل، وهو شاهد لحـديث أنـس المتقـدم، وهـو مـن روايـة أبي نعامـة الحنفي، عن يزيد بن عبدالله بن مغفل، قال: «سمعني أبي وأنا في الصلاة أقـول: «بـسم الله الـرحمن الرحيم». فقال: أي بُنيَّ! محدث، إياك والحدث! قـال: ولم أر أحـدًا مـن أصـحاب النبـي ق كـان أبغض إليه الحدث في الإسلام- يعني: منه - قال: وقد صليت مع النبي ق ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان، فلم أسمع أحدًا منهم يقولها؛ إذا أنت صـليت فقـل: «الحمـد لله رب العـالمين». وهـذا الحديث رواه أحمد والترمذي، وقال: «حديث حـسن، والعمـل عليـه عنـد أكثـر أهـل العلـم مـن أصحاب النبي ق منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم، ومن بعدهم من التابعين، وبـه يقول سفيان الثوري، وابـن المبـارك، وأحمـد، وإسـحاق: لا يـرون أن يجهـر بــ «بـسم الله الـرحمن الرحيم»، قالوا: ويقولها في نفسه» اهـ

وفي رواية، قال يزيد بن عبدالله بن مغفل: «صلى بنا إمام، فجهر بــ «بـسم الله الـرحمن الـرحيم»، فقال له أبي: تأخر عن مصلانا، تجنَّب عنا هذا الحرف الذي أراك تجهر به؛ فإني صليت خلف النبـي ق وأبي بكر وعمر، فلم يجهروا بها. قال له رجل: وعثمان؟ فسكت».

وأما عليٌّ ط، فقد روى عبدالرزاق في مصنفه عن ثوير بن أبي فاختة، عن أبيه: «أن عليًّا كـان لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، كان يجهر بالحمد لله رب العالمين».

وأما ابن مسعود ط فقد روى ابن أبي شيبة عن زر، عن عبدالله: «أنه كان يفتتح القراءة بالحمـد لله رب العالمين». وفي الباب أحاديث أخر تركناها اختصارًا.

وفي المقابل، فإن جميع الروايات التي فيها الجهر بالتسمية في الصلاة لا تسلم من معـارض، حتـى نقل ابن رجب في شرح البخاري عن العقيلي أنه قال في كتابه: «لا يصح في الجهر بالبسملة حـديثٌ مُسند- يعني: مرفوعًا إلى النبي ق - وحكي مثله عن الدارقطني».

وأما الآثار في هذه المسألة فكثيرة جدًا، منها على سبيل المثال:

ما رواه ابن أبي شيبة بإسناد جيد، عن الأسود، قال: «صليت خلف عمر سبعين صلاة، فلم يجهر فيها بـ «بسم الله الرحمن الرحيم».

=

وكان أبو وائل، وعروة بن الزبير، والنخعي يقولون: «الجهر بها بدعة».

وكان ابن عباس م، وعكرمة، وقتادة، والحسن يقولون: «الجهر بها قراءة الأعراب».

وفي مسائل الكوسج (٢/ ٥٣٤) قال: «قلت: قول ابن عباس م: الجهر قراءة الأعراب؟ قال الإمام أحمد: كأنه يُجفيّهم بذلك؛ يعني: من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم. قال إسحاق: إنما معنى ذلك ما كان؛ يعني به: الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، يقول: الأعراب يُحَسِّنون ذلك، يعيرهم بفعل الأعراب. قلت: إذا تركوا الجهر بها؟ قال أحمد: يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة، ولا يجهر بها. قال إسحاق: كما قال، إذا لم يرد الجهر». اهـ

ومعنى: «كأنه يجفيّهم بذلك». أي: ينسبهم للجفاء وعمل الأعراب الذين يجهرون بها.

وروى عبدالرزاق في مصنفه عن أبي سفيان طريف، عن الحسن قال: «سألته عن بسم الله الرحمن الرحيم، أجهر بها؟ قال: السُّنة: الحمد لله رب العالمين، وإن كان الرأي، فالحمد لله أفضل من بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن إبراهيم، قال: «يخفي الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم، والاستعاذة، وآمين، وربنا لك الحمد».

ومن أفضل من تكلم عن هذه المسألة وبسطها وحررها- كعادته الجيدة في تحقيق المسائل- ابن رجب الحنبلي في شرحه على البخاري، فقد بسط القول فيها وردَّ على المخالفين في أكثر من ثلاثين صحيفة في المجلدة الرابعة من صفحة (٣٥٠) وحتى صفحة (٣٨٤).

ومما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤/ ٣٦٦): «فمن اتقى وأنصف؛ علم أن حديث أنس الصحيح الثابت لا يُدفع بمثل هذه المناكير والغرائب والشواذ، التي لم يرض بتخريجها أصحاب الصحاح، ولا أهل السُّنن مع تساهل بعضهم فيما يخرجه، ولا أهل المسانيد المشهورة مع تساهلهم فيما يخرجونه.

وإنما جُمعت هذه الطرق الكثيرة الغريبة والمنكرة لما اعتنى بهذه المسألة من اعتنى بها، ودخل في ذلك نوع من الهوى والتعصب، فإن أئمة الإسلام المجتمع عليهم إنما قصدوا اتباع ما ظهر لهم من الحق وسنة رسول الله ق، لم يكن لهم قصد في غير ذلك، ثم حدث بعدهم من كان قصده أن تكون كلمة فلان وفلان هي العليا، ولم يكن ذلك قصد أولئك المتقدمين، فجمعوا وكثَّروا الطرق =





والروايات الضعيفة والشاذة والمنكرة والغريبة، وعامتها موقوفات رَفَعَها من ليس بحافظ، أو من هو ضعيف لا يُحتج به، أو مرسلات وصلها من لا يحتج به.

والعجب ممن يعلل الأحاديث الصحيحة المخرجة في الصحيح بعلل لا تساوي شيئًا، إنما هي تعنت محض، ثم يحتج بمثل هذه الغرائب الشاذة المنكرة، ويزعم أنها صحيحة لا علة لها.

ثم قال: ولولا خشية الإطالة لذكرنا كل حديث احتجوا به، وبيان أنه لا حجة فيه على الجهر؛ فإنها دائرة بين أمرين: إما حديث صحيح غير صريح، أو حديث صريح غير صحيح». انتهى كلام ابن رجب.

واعلم أن إخفاء: «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة كان شعارًا لأهل السُّنة والجماعة في زمن من الأزمنة، بل كانوا يدخلونها في العقائد، ويعدونها من جملة مسائل أصول الدين التي يتميز بها أهل السُّنة عن غيرهم، مثل إشعار الهدي، والجهر بآمين، وإيقاع الطلاق إذا جرى بكلمة واحدة، والمسح على الخفين للمسافر ثلاثة أيام وللمقيم يوم وليلة، والقصر في السفر، وتقديم الإفطار وتأخير السحور، ووضع اليمين على الشِّمال في الصلاة، حتى قال سفيان الثوري لشعيب بن حرب: «لا ينفعك ما كتبت، حتى ترى أن إخفاء: «بسم الله الرحمن الرحيم» أفضل من الجهر بها».

وإنما أدخل أهل السُّنة هذه المسائل العملية في الاعتقاد؛ لأن أهل البدع يُزهِّدون فيها تعبدًا وديانة، مع صحة ما جاء فيها من أحاديث وآثار.



باب: فضل فاتحة الكتاب(١)

(١) فاتحة الكتاب هي سورة الفاتحة، وهي مكية في قول الأكثرين، ولها نيف وعشرون اسمًا، وذلك يدل على شرفها، فإن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وهي سبع آيات.

قال ابن عادل الحنبلي - وهو أشعري المعتقد - في اللباب (١/ ١٥٩): «من أسمائها:

الأول: فاتحة الكتاب؛ سميت بذلك؛ لأنه يفتتح بها في المصاحف والتعليم، والقراءة في الصلاة. وقيل: لأنها أول سورة نزلت من السماء.

الثاني: سورة الحمد؛ لأن أولها لفظ الحمد.

الثالث: أمُّ القرآن.

والرابع: السبع المثاني، سميت بذلك؛ قيل: لأنها مثنى نصفها ثناء العبد للرب، ونصفها عطاء الرب للعبد. وقيل: لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة. وقيل: لأنها مستثناة من سائر الكتب، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثل هذه السورة، فإنها السبع المثاني، والقرآن العظيم». وقيل: لأنها سبع آيات، كل آية تعدل قراءتها بسبع من القرآن، فمن قرأ الفاتحة؛ أعطاه الله تعالى ثواب من قرأ كل القرآن. وقيل: لأنها نزلت مرتين: مرة بمكة، ومرة بالمدينة. وقيل: لأن آياتها سبع، وأبواب النيران سبعة، فمن قرأها غلقت عنه أبواب النيران السبعة. وقيل: لأنها إذا قرئت في الصلاة تثنى بسورة أخرى. وقيل: سميت مثاني؛ لأنها أثنيةٌ على الله تعالى ومدائح له.

الخامس: الوافية؛ لأنها وافية بما في القرآن من المعاني، وكان سفيان بن عيينة يسميها بهذا الاسم. وقال الثعلبي: وتفسيرها أنها لا تقبل التنصيف، ألا ترى أن كل سورة من القرآن لو قرئ نصفها في ركعة، والنصف الثاني في ركعة أخرى لجاز؟ وهذا التنصيف غير جائز في هذه السورة.

السادس: الكافية؛ لأنها تكفي عن غيرها، وغيرها لا يكفي عنها.

السابع: الأساس؛ قيل: لأنها أول سورة من القرآن، فهي كالأساس، كما رواه الشعبي عن ابن عباس. ورُوي عن الشعبي أنه قال لرجل شكا خاصرته: «عليك بأساس القرآن: فاتحة الكتاب».

الثامن: الشفاء؛ كما في حديث أبي سعيد الخدري ﭬ.

=

٣٢٦ - حدثنا إسماعيل بن جعفر، قال: حدثنا العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه عبدالرحمن بن يعقوب

عن أبي هريرة ط، قال:

قال رسول الله ق وقرأ عليه أبيّ بن كعب ط أُمَّ القرآن، فقال: «والذي نفسي بيده، ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع من المثاني». أو قال: «السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أُعطيت»[(١)].

وحدثني نعيم، عن عبدالعزيز بن محمد، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ق مثل ذلك.

وحدثني ابن أبي مريم، وإسحاق بن عيسى، عن مالك بن أنس، عن العلاء بن عبدالرحمن، أن أبا سعيد مولى عامر بن كريز أخبره عن النبي ق وأبي بن كعب ط، مثل ذلك.

وحدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبدالله بن أبي بكر بن حزم، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن النبي ق مثل ذلك.

وحدثنا يزيد، عن محمد بن إسحاق، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن النبي ق، مثل ذلك.

التاسع: الصلاة؛ قال ق: يقول الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»، والمراد هذه السورة. ولها أسماء غير ذلك». انتهى باختصار.

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».



وحدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن محمد بن عجلان، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن النبي ﷺ، مثل ذلك أيضًا.

قال أبو عبيد: لم يسنده ابن جريج وابن إسحاق وابن عجلان، وأسنده إسماعيل بن جعفر وعبدالعزيز، وخالفهما مالك في الإسناد.

٣٢٧ - حدثنا يزيد، عن أبي نُصيرة مسلم بن عبيد

عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قرأ فاتحة الكتاب؛ فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»[١].

٣٢٨ - حدثنا يزيد، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«هي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم»[٢].

٣٢٩ - حدثنا الحسن بن يزيد، قال: سمعت السدي يحدث

عن عبد خير، قال:

---

(١) لم أجده بهذا السِّياق عند غير المصنِّف.
أما من حيث المعنى: فيشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدِّم.
(٢) رواه أحمد، والبخاري.
فائدة: ليس في القرآن سورة هي سبع آيات سوى الفاتحة، والماعون، ولا ثالث لهما.

سمعت عليًا ط يقول: في قوله: @وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي ! [الحجر:٨٧]؛ قال: «هي فاتحة الكتاب»(١).

٣٣٠ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن أبيه

عن سعيد بن جبير، قال:

سـألت ابـن عبـاس م عـن قولـه: @وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي ! [الحجر:٨٧]؛ قـال: «هـي أمُّ القـرآن(٢)، استثناها الله عَزَّوَجَلَّ لأمـة محمـد ق فدخرها لهم، حتى أخرجها لهم، ولم يعطها أحدًا قبل أمة محمد ق».

---

(١) ما قاله عليٌّ ط هنا هو المشهور من معنى الآية، وهو قول عمر وابن مسعود وأبي هريرة والحسن وأبي العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة. وذلك لحديث أبي هريرة ط أن النبي ق قال: «أم القرآن: هي السبع المثاني».

وقيل: السبع المثاني، هي السور السبع الطُّوَل؛ رُوي هذا عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد- في رواية عنهم-، وهي: «البقرة» و«آل عمران» و«النساء» و«المائدة» و«الأنعام» و«الأعراف» و«يونس أو التوبة». وسميت مثاني؛ لأن القصص والأحكام والوعد والوعيد تثنى فيها وتكرر.

وأنكر بعض العلماء هذا القول؛ لأن سورة الحِجر التي ذكرت فيها هذه الآية مكية، وقد نزلت قبل نزول السور السبع الطُّوال التي هي مدنية، فقد روى ابن جرير عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: «وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ» قال: «فاتحة الكتاب سبع آيات، قلت للربيع: إنهم يقولون: السبع الطول، فقال: لقد أنزلت هذه، وما أنزل من الطُّوَل شيء».

(٢) قال ابن عادل في اللباب (١/ ١٦٠) في تعليل هذه التسمية: «قيل: لأن أمَّ الشيء: أصله، ويقال لمكة: أم القرى؛ لأنها أصل البلاد، دحيت الأرض من تحتها. وقال أبو بكر بن دريد: الأمُّ في =

قال سعيد: ثم قرأها ابـن عبـاس م، وقـرأ فيهـا: @بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ! قال: فقلت لأبي: أفأخبرك سعيد أن ابـن عبـاس م قـال لـه: @بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ! إنها من القرآن؟ قال: نعم.

٣٣١ – حدثنا حسان بن عبدالله، عن المفضل بن فضالة، عن أبي صخر[(١)]

عن محمد بن كعب، في قوله:

@ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ! [الحجر:٨٧].

قال: «هي فاتحة الكتاب»[(٢)].

كلام العرب: الراية التي ينصبها العسكر؛ فسميت هذه السورة بأم القرآن؛ لأن مفزع أهـل الإيـمان إلى هذه السورة، كما أن مفزع العسكر إلى الراية، والعرب تسمى الأرض أُمًّا؛ لأن معاد الخلق إليهـا في حياتهم ومماتهم، ولأنه يقال: أَمَّ فلانٌ فلانًا، إذا قصده». اهـ

وقد روى ابن الضُّريس في فضائل القرآن (١/ ٨٠) عن أيوب: «أن محمدًا– يعني: ابـن سـيرين– كان يكره أن يقول: أم الكتاب، قال: ويقرأ قوله تعالى: «وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ». ولكن يقول: فاتحة الكتاب». اهـ

والصحيح جواز ذلك؛ لمجيئها هكذا في الأحاديث، كـما في حـديث أبي سـعيد الخـدري ط في رقية اللديغ، قال: «فرقاه رجل منهم بأم الكتاب».

(١) هو: حميد بن زياد بن أبي المخارق، أبو صخر الخراط. مترجم له في تهذيب الكمال (١٥٢٦).

(٢) وهذا من أعظم فضائل الفاتحة؛ فإن الله تعالى ذكرها بخصوص، ثم ذكر القرآن كله بعمـوم، وامتنَّ الله على نبيه ق بها، كما امتنَّ عليه بالقرآن كله.

=



٣٣٢ – حدثنا أبو اليمان، عن أبي بكر بن أبي مريم

عن مكحول، قال:

«أم القرآن: قراءة، ومسألة، ودعاء»[(١)].

٣٣٣ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن العلاء بن عبدالرحمن، أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن عبدالله بن زهرة، أخبره أنه سمع أبا هريرة ﷺ، يحدث عن النبي ﷺ.

وحدثنا ابن أبي مريم، وابن بكير، عن مالك بن أنس، عن العلاء بن عبدالرحمن، أنه سمع أبا السائب مولى هشام

وقال أبو عبيد في غريب الحديث (٣/ ١٤٥): «وجدت المثاني على ما جاء في الآثار وتأويل القرآن في ثلاثة أوجه: فهي في أحدها القرآن كله، منها قول الله عَزَّوَجَلَّ: «ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ». فوقع المعنى على القرآن كله.

وقال بعض الناس: بل فاتحة الكتاب هي السبع المثاني، واحتجّ بأنها تُثنى في الصلاة في كل ركعة.

وفي وجه آخر: أن المثاني ما كان دون المئين، وفوق المُفَصَّل من السور». اهـ

والوجه الرابع- في غير كلام أبي عبيد-: أنها السبع الطول.

وقد رجح أبو عبيد الوجه الأول، فقال: «أجود الوجوه من المثاني أنه القرآن كله».

ومنه قول صفية بنت عبدالمطلب ترثي رسول الله ﷺ بقولها:

فقد كان نورًا ساطعًا يهتدى به ... يخص بتنزيل المثاني المعظم

وهذا الوجه قد قال به طاوس، والضحاك، وأبو مالك.

(١) ولذا جاء عن بعض العلماء أنه كان يكررها بعد الصبح إلى طلوع الشمس، ويذكر هذا الأثر.



عن أبي هريرة ط عن النبي ق - دخل كلام بعضهم في بعض- قال:

«قال الله عَزَّوَجَلَّ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل؛ يقوم العبد فيقول: @ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ !، فيقول الله: حمدني عبدي، ويقول العبد: @ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ !، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: أثنى علي عبدي، ويقول العبد: @مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ !، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: مجدني عبدي، ويقول العبد: @إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ !، فيقول الله: هذه بيني وبين عبدي، أولها لي وآخرها لعبدي، وله ما سأل، ويقول العبد: @ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ! إلى آخرها، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»[(١)].

٣٣٤ - حدثنا هُشيم، أخبرنا أبو بشر[(٢)]، عن أبي المتوكل الناجي

عن أبي سعيد الخدري ط:

أن نفرًا من أصحاب النبي ق مروا بحي من أحياء العرب، فلدغ رجل منهم، فقالوا: هل فيكم من راق؟ فرقاه رجل منهم بأمِّ الكتاب[(٣)]، فأعطي قطيعًا من غنم، فأبى أن يقبله. فقدموا على النبي ق فذكروا

(١) رواه مالك، وأحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي.

(٢) هو: جعفر بن إياس، وهو ابن أبي وحشية اليشكري، أبو بشر الواسطي، بصري الأصل.

(٣) وفي الروايات الأخرى عند أحمد والترمذي: «أنه قرأها سبع مرات».



ذلك له، فقال: «من أخذ برقية باطل، لقد أخذت برقية حقٍّ؛ خذوا واضربوا لي معكم بسهم»[١].



(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم.
وسيكرر المصنف الأثر ذاته برقم (٧٠٩) فانظره هناك؛ ففيه فوائد.



باب: فضائل السَّبْع الطُّوَل[(١)]

٣٣٥ – حدثنا هشام بن إسماعيل الدمشقي، عن محمد بن شعيب، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أبي المليح

عن واثلة بن الأسقع ط، عن النبي ق قال:

«أعطيت السَّبْع الطُّوَل مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمُفَصَّل»[(٢)].

---

(١) قال الحريري في درة الغواص (١/ ١٤٦): «يقولون: السبع الطول بكسر الطاء، فيلحنون فيه؛ لأن الطول هو الحبل، ووجه الكلام أن يقال: السبع الطُّول، بضم الطاء، لأنها جمع الطولى، وكل ما كان على وزن فعلى التي هي مؤنث أفعل، جمع على فُعَل كما جاء في القرآن: «إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ»، وهي جمع كبرى». اهـ

وسميت السبع الطُّول؛ لطولها على سائر سور القرآن.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود الطيالسي في مسنديهما، وسعيد بن بشير متكلم في حفظه وضبطه، لاسيما فيما يرويه عن قتادة.

ويشهد له ما رواه الدارمي في سننه عن ابن مسعود ط قال: «السبع الطُّول مثل التوراة، والمئين مثل الإنجيل، والمثاني مثل الزبور، وسائر القرآن بعدُ فضلٌ».

وفي هذا الحديث دليل على أن تأليف القرآن عن رسول الله ق كان مؤلفًا من ذلك الوقت، وإنما جُمع في المصحف في وقت عثمان ط على ذلك التأليف.

وفيه أيضًا دليل على أن سورة الأنفال سورة مستقلة، وليست من التوبة.

وفيه أيضًا من العلم الدلالة على أن القرآن مقسم إلى أربعة أقسام، ولكل قسم منها اسم:

=

القسم الأول: السبع الطول: وهي من البقرة إلى الأعراف، والسابعة: يونس أو التوبة.

والقسم الثاني: المئون: وهي ما كان فيه مئة آية، أو قريب منها بزيادة أو نقصان.

والقسم الثالث: المثاني: وهي كل سورة دون المئين، وفوق المفصل، لأنها ثنت المئتين، أي كانت بعدها، كأن المئين لها أوائل، والمثاني ثواني.

وقال الفراء: «هي السورة التي آياتها أقل من مئة آية، لأنها تثني أكثر مما يثنى الطوال والمئون».

وقيل: لتثنية الأمثال فيها، والعِبَر والخبر؛ رواه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس م.

وروي عن سعيد بن جبير أنه كان يقول: «إنما سميت مثاني؛ لأنها ثنيت فيها الفرائض والحدود».

والقسم الرابع: المُفَصَّل: وهو السور القِصار. وسميت مفصلًا؛ لكثرة الفصول بينها ببسم الله الرحمن الرحيم. وقيل: لقلة المنسوخ منه.

ويسمى أيضًا بالمحكم، قال سعيد بن جبير: «إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم».

وقال خالد الحذاء: «كانوا يسمون المفصل: العربي».

والمفصل: من سورة (ق) إلى سورة (الناس)؛ حكاه عيسى بن عمر القارئ عن كثير من الصحابة، ويدلُّ عليه حديث أوس بن حذيفة ط المتقدِّم في وفد ثقيف، وقول الصحابة: إنهم يحزبون القرآن سبعة أحزاب؛ السابع منها: المفصل، وهو من (ق) إلى (الناس).

وللمفصل طوال وأوساط وقصار، فطواله إلى (عمَّ)، وأوساطه من (عمَّ) إلى (الضحى)، وقصاره من (الضحى) إلى (الناس).

قال أبو عبيدة:

حلفت بالسبع اللواتي طُوِّلَت … وبمئينَ بعدها قد أُمْئِيَت

وبمثانٍ ثُنِّيَت فكُرِّرت … وبالطواسين اللواتي ثُلِّثت

وبالحواميم اللواتي سُبِّعت … وبالمفصل اللواتي فُصِّلت



حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث بن سعد، قال:

حدثنا سعيد بن أبي هلال[(١)]، قال: بلغنا أن رسول الله ق قال: «أعطيت السَّبْع الطُّوَل مكان التوراة»، ثم ذكر مثل ذلك.

قال عبدالله: لم يحفظ الليث عن سعيد إلا ثلاثة أحاديث؛ هذا أحدها[(٢)].

٣٣٦ - حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبدالله بن حنطب، عن حبيب بن هند الأسلمي، عن عروة

عن عائشة ك، عن النبي ق قال:

«من أخذ السَّبْع فهو حَبْرٌ»[(٣)].

---

(١) هو: سعيد بن أبي هلال الليثي، أبو العلاء المصري مولى عروبة بن شييم الليثي، أصله من المدينة، ذكره الساجي في الضعفاء، وقال عنه الإمام أحمد: ما أدري أي شيء يخلط في الأحاديث، وقال أبو حاتم الرازي: لا بأس به. وقال أبو زرعة: صدوق. ووثقه ابن سعد، والعجلي، والدارقطني، وابن خزيمة، وابن عبدالبر، والخطيب.

(٢) كلام عبدالله بن صالح هنا محمولٌ على السَّماع المباشر، وإلا فالليث قد أكثر من الرواية عن سعيد بن أبي هلال، لكن بواسطة خالد بن يزيد المصري.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ومحمد بن نصر في مختصر قيام الليل، ولفظ أحمد: «من أخذ السبع الأُوَل من القرآن؛ فهو حبر».

ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده، ثم قال: «يعني: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس». اهـ

٣٣٧ – حدثنا هُشيم، قال: أخبرنا أبو بشر

عن سعيد بن جبير، في قوله:

@ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ![1] [الحجر:٨٧].

قال: «هي السبع الطُّوَل: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس»[2].

---

(١) وفي تسمية السَّبْع الطُّوَل بالمثاني قولان: الأول: لأن الحدود والفرائض والأمثال ثنِّيت فيها، كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس م في قوله: «سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي» قال: «السبع الطول. قلت: لم سميت: «ٱلْمَثَانِي»؟ قال: يتردد فيهن الخبر والأمثال والعِبر». اهـ

والثاني: لأن آياتها تجاوز المئة الأولى إلى المئة الثانية.

(٢) السبع الطول كما قال المؤلف هي: «البقرة» و«آل عمران» و«النساء» و«المائدة» و«الأنعام» و«الأعراف». وفي السابعة اختلاف بين العلماء:

قيل: سورة يونس؛ قاله سعيد بن جبير، ومجاهد؛ كما ذكره المؤلف.

وقيل: سورة براءة؛ قاله أبو مالك.

وقيل: الأنفال وبراءة جميعًا، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن سفيان، قال: «المثاني: البقرة وآل عمران والنِّساء والمائدة والأنعام، والأعراف. وبراءة والأنفال سورة واحدة».

وقال ابن قتيبة: «وكانوا يرون الأنفال وبراءة سورة واحدة، ولذلك لم يفصلوا بينهما».

وقيل: الكهف، كما أخرجه الحاكم، والبيهقي عن ابن عباس م في قوله: «سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي»، قال: «البقرة وآل عمران والنِّساء والمائدة والأنعام والأعراف والكهف». وقيل غير ذلك.

والأول أشهر، وبعضهم قال: إن يونس هي السابعة قبل نزول براءة، فلما نزلت سورة التوبة قبيل وفاته ق صارت هي السابعة، وسيأتي أثر عثمان ط برقم (٤٦٥) بأنه وضع الأنفال والتوبة معًا بين الأعراف ويونس.



قال: وقال مجاهد: «هي السبع الطُّوَل».

وحدثني أبو اليمان، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم، عن مكحول

عن عطية بن قيس، مثل قول سعيد بن جبير سواء إلا أنه قال: والتي يقال لها: يونس. قال: «وهي السابعة».

وحدثني هشام بن إسماعيل، عن محمد بن شعيب، قال: أخبرني أبو محمد القارئ شداد بن عبيدالله[1] في السبع الطُّوَل مثل ذلك.

قال: وأخبرني يحيى بن الحارث الذِّماري[2] في السبع الطُّوَل مثل ذلك. قال: وإن يونس تسمى السابعة.

قال: وقال يحيى: ليست تُعَدُّ الأنفال ولا براءة من السبع الطُّوَل.



(١) هو: شداد بن عبيدالله الخولاني، الدمشقي الضرير، أبو محمد ويقال: أبو هند، ويعرف بابن الأحنف. أرسل عن أبي الدرداء ﷺ، وروى عن أبي إدريس الخولاني، وأبي سلَّام ممطور. وعنه يحيى بن حمزة، ومحمد بن شعيب بن شابور، وآخرون. وكان صدوقًا. انظر تاريخ الإسلام (٢١١).

(٢) هو: أبو عمر الشامي الدمشقي، قارئ أهل الشام، وكان إمام جامع دمشق. روى عن سالم ابن عبدالله بن عمر، وسعيد بن المسيب، وعبدالله بن عامر اليحصبي، وقرأ عليه القرآن.

قال ابن سعد: كان عالمًا بالقراءة في دهره، يُقرأ عليه القرآن، وكان قليل الحديث. انظر: تهذيب الكمال (٦٨٠٣).



باب: فضل سورة البقرة وخواتيمها وآية الكرسي

٣٣٨ – حدثنا يحيى بن بكير، عن يعقوب بن عبدالرحمن القاري، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه

عن أبي هريرة ط، قال: قال رسول الله ق:

«صلوا في بيوتكم ولا تجعلوها قبورًا، وزينوا أصواتكم بالقرآن، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»(١).

٣٣٩ – حدثني ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد

عن أنس بن مالك ط، قال: قال رسول الله ق:

«إن الشيطان يخرج من البيت؛ إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه»(٢).

---

(١) رواه بهذا السياق أبو عوانة في مستخرجه، ورواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي دون قوله: «وزينوا القرآن بأصواتكم».

وفي هذا الحديث دليل على تسمية هذه السورة بسورة البقرة، وقد حُكي عن بعض أهل العلم أنه قال: يكره تسميتها بسورة البقرة، والأولى أن يقال: السورة التي يُذكر فيها البقرة، وكذا في سائر السور من أمثالها. والصحيح جواز تسميتها بهذا الاسم.

(٢) رواه الفريابي في فضائل القرآن.

٣٤٠ – حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص

عن عبدالله ط، قال:

«إن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة».

٣٤١ – وحدثني هشام بن إسماعيل، عن محمد بن شعيب، عن معاوية بن سلَّام، عن أخيه زيد بن سلَّام أنه سمع جده أبا سلَّام، يحدث

عن أبي أمامة الباهلي ط، عن النبي ق قال:

«اقرؤا البقرة؛ فإن أخذها بركة وتركها حسرة»(١).

٣٤٢ – حدثنا عباد بن عباد، عن جرير بن حازم

عن عمه جرير بن زيد:

أن أشياخ أهل المدينة حدثوه: أن رسول الله ق قيل له: ألم تر ثابت ابن قيس بن شماس، لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح؟ قال: «فلعله قرأ سورة البقرة». فسئل ثابت، فقال: قرأت سورة البقرة(٢).

٣٤٣ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن سعيد بن إياس الجريري، عن أبي السليل

عن عبدالله بن رباح، أن رسول الله ق قال لأُبَيٍّ بن كعب ط:

---

(١) رواه مطولًا: أحمد، ومسلم، والدارمي. وفي آخره: «ولا تستطيعها البطلة». يعني: السَّحَرة.
(٢) تقدَّم برقم: (٢٥).



«أبا المنذر! أي آية في القرآن أعظم؟». قال: الله ورسوله أعلم. قال: «أبا المنذر! أي آية في القرآن أعظم؟». فقال: الله ورسوله أعلم. قال: «أبا المنذر! أي آية في القرآن أعظم؟». فقال: @ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ! [البقرة:٢٥٥] قال: فضرب صدره، وقال: «لِيَهنِكَ العلم أبا المنذر! والذي نفسي بيده، إن لها للساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش»[1].

(١) رواه مسلم، وأحمد، واللفظ له. ومعنى: «ليهنك العلم»: أي هنيئًا لك العلم، فالعلم كل العلم، والفقه كل الفقه هو ما كان في كتاب الله، وما أعان عليه من السُّنة والآثار، لا في الآراء والأهواء والكلام.

وفي هذا الحديث دليلٌ على كون بعض القرآن أعظم من بعض من حيث المعنى، خلافًا للجهمية والأشعرية الذين يقولون: «إن كلام الله كله متماثل!».

وأخرج ابن الضُّريس في فضائله (١/ ٩١) عن الحسن: «أن رجلًا مات أخوه فرآه في المنام؛ فقال: أخي! أي الأعمال تجدون أفضل؟ قال: القرآن. قال: فأي القرآن؟ قال: آية الكرسي: « ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ». ثم قال: ترجون لنا شيئًا؟ قال: نعم؛ إنكم تعملون ولا تعلمون، وإنا نعلم ولا نعمل».

ومن فضائل آية الكرسي أنها حِرزٌ من الشيطان، كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ط قال: «وكلني رسول الله ق بحفظ زكاة رمضان... وفي آخره قال له الشيطان: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: « ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ » حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح».

وعن ابن مسعود ط قال: «خرج رجل من الإنس، فلقيه رجل من الجن؛ فقال: هل لك أن تصارعني؟ فإن صرعتني علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك؛ لم يدخله شيطان، فصارعه فصرعه الإنسي، فقال: تقرأ آية الكرسي؛ فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان؛ له خَبَجٌ كخبج =



٣٤٤ – حدثنا عمر بن عبدالرحمن، عن منصور بن المعتمر

عن الشعبي، قال:

التقى مسروق بن الأجدع وشُتَيْر بن شَكَل[١]، فقال شتير لمسروق: إما أن أُحَدِّثك عن عبدالله ط وتُصَدِّقني، وإما أن تحدِّثني وأُصَدِّقك.

الحمار. فقيل لابن مسعود: أهو عمر؟ قال: من عسى أن يكون إلا عمر!». الخبج: الضراط. رواه الدارمي.

وفي ترجمة يحيى بن معين في سير الذهبي (٢١/ ٩٨) قال عباس الدوري: «سمعت يحيى بن معين يقول: كنت إذا دخلت منزلي بالليل، قرأت آية الكرسي على داري وعيالي خمس مرات، فبينا أنا أقرأ، إذا شيء يكلمني: كم تقرأ هذا! كأن ليس إنسان يحسن يقرأ غيرك؟ فقلت: أرى هذا يسوءك؟ والله لأزيدنك؛ فصرت أقرؤها في الليلة خمسين، أو ستين مرة». اهـ

وفي هذه القصة أنَّ مِنْ الفقه العظيم تمييز صوت الشيطان عندما يوسوس لك، ثم الردّ عليه، والتفل عليه على يسارك، ثم إغاظته.

ومن فضائل آية الكرسي: أن من قرأها دُبُر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت، كما في الحديث الذي رواه النسائي في سننه الكبرى.

– وفي هذا السِّياق نُنبِّه على ما وقع من تحريف لهذه الآية في كتاب ذاك السُّيوطي الموسوم بالدُّر المنثور، فإن الكتاب وإن كان في التفسير بالمأثور لا غير، إلا أن السيوطي قد أبتْ عليه جهميته في هذا الموضع من الكتاب، فذكر تفسير السَّلف للكرسي: بأنه موضع القدميْن، وله أطيط كأطيط الرَّحل، ثم حَرَّفه؛ فقال: «قلت: هذا على سبيل الاستعارة». فليُحذر من هذا الموضع من تفسيره (٢/ ١٧).

(١) هو: شُتَير بن شَكَل بن حميد العبسي الكوفي، قيل: أدرك الجاهلية، وأبوه شكل بن حميد من أصحاب النبي ق، روى عنه شتير وعن غيره من الصحابة. وشُتَير من أصحاب علي وابن مسعود، روى عن حفصة، وروى عنه الشعبي، وأبو الضحى، وعبدالله بن قيس. توفي في حدود التسعين للهجرة زمن مصعب بن الزبير، روى له مسلم والأربعة، وهو ثقة قليل الحديث.



فقال مسروق: حدِّث به وأصدقك. فقال شتير: سمعت عبدالله ط يقول: «ما خلق الله من سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار أعظم من آية في سورة البقرة: @ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ !». ثم قرأها حتى أتمها.

فقال مسروق: صدقت[1].

---

(١) وفي تاريخ دمشق (٥٧/ ٤١٥) عن عاصم، قال: «جلس شتير بن شكل ومسروق في المسجد، فثاب إليهما ناس، فقال أحدهما للآخر: إن هؤلاء إنما ثابوا إلينا؛ ليسمعوا خيرًا ويتعلموا، فإما أن تُحَدِّث عن عبدالله وأصدقك، وإما أنا أُحَدِّث عنه وتصدقني، قال: فقال شتير: يا أبا عائشة! حَدِّث. فقال مسروق: سمعت عبدالله...». فذكر الحديث.

وهذا الأثر صحيح، وجاء من طرق متعددة عن ثلاثة من أوثق أصحاب ابن مسعود، وهم: شتير بن شكل، ومسروق بن الأجدع، وأبو الأحوص، فسند الأثر صحيحٌ موقوفًا، أما المرفوع منه؛ فلا يصح، ولمعناه توجيه كما سيأتي.

وروى الديلمي في الفردوس عن ابن مسعود ط قال: «قل هو الله أحد، وآية الكرسي أعظم من كل شيء دون الله عَزَّوَجَلَّ».

وذُكر مثله عن عليٍّ وأنس م.

وقوله: «ما خلق الله من سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار أعظم من آية الكرسي». وكذلك قوله في الأثر المتقدم: «إن لها للسانًا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش». قد استدلت به الجهمية على أن القرآن مخلوق، ولا دليل لهم في ذلك، فليس في هذا الحديث ولا في غيره إثبات خلق آية الكرسي، وإنما معناه: آية الكرسي أعظم من المخلوقات، لا أن آية الكرسي مخلوقة، فهي ليست سماءً ولا أرضًا، وإنما وقع الخلق على المخلوقات التي سماها، لا على الآية، فوجه المقارنة هنا ليس في الخلق، و إنما في العظمة، وهذا كثير على ألسنة الناس، كما يقولون في المرأة ذات الخلق والجمال: ما في الرجال رجل يشبهها. يعني: في تفضيلها على الرجال، لا أنها رجل.

=



ومما يدل على ذلك أنَّ عبدالله بن مسعود ط الذي قال هذا، هو الذي قال: «من حلف بالقرآن؛ فعليه بكل آية يمين، ومن كفر بحرف منه؛ فقد كفر به أجمع». فعُلِمَ بذلك أن القرآن كان عند ابن مسعود ط صفة لله لا مخلوقًا له، كخلق السماء والأرض؛ إذ الحلف بالمخلوق شرك.

وقال الترمذي في جامعه (٢٨٨٤): «حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة في تفسير حديث ابن مسعود: «ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي». قال سفيان: لأن آية الكرسي هي كلام الله، وكلام الله أعظم مِنْ خلقِ الله؛ من السماء والأرض». اهـ

وقال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٦/ ٢٠٩): «ومما غالط به الجهمي مَنْ لا يعلم: الحديث الذي روي عن ابن مسعود: «ما خلق الله من سماء ولا أرض ولا شيء أعظم من آية الكرسي»، فتأولوا هذا الحديث على من لا يعلم، وأخطأوا وغالطوا بالمتشابه من ألفاظ الحديث، كما غالطوا بالمتشابه من القرآن، فإذا تفهَّمه العاقل وجده واضحًا بينًا، فلو كانت آية الكرسي مخلوقة كخلق السماء والأرض والجنة والنار وسائر الأشياء؛ إذًا لكانت السماء أعظم منها، ولكانت الجنة أعظم منها، ولكانت النار أعظم منها، لقلة حروفها وخفتها على اللسان، وأن السماء والأرض والجنة والنار أطول وأعرض وأوسع وأثقل وأعظم في المنظر، ولا يبلغ ذلك كله مبلغ حرف واحد من كلام الله، وإنما أراد عبدالله بن مسعود ط أنه ليس في خلق الله كله ما يبلغ عِظَم كلام الله وإن خفَّ، ولا يكون شيء أعظم من كلام الله، ولو لم يعظم ذلك الشيء في أعين العباد، ألا ترى أنك تقول: ما خلق الله بالبصرة رجلًا أفضل من سفيان الثوري! وسفيان ليس من أهل البصرة، وإنما أردت: ليس بالبصرة مع عظمها وكثرة أهلها مثله ولا من يدانيه في فضله، وكقولك: «ما أظلَّت الخضراء، ولا أقلَّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر ط»، فلم تُرِد أنه أصدق من النبي ق ولا أصدق من أبي بكر وعمر وهم أفضل منه. ألم تسمع إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ: «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ »، فسمى الله نفسه في الأشياء، وليس هو من الأشياء المخلوقة، تعالى الله عُلُوًّا كبيرًا.

فكذلك قول عبدالله: «ما خلق الله من سماء ولا أرض ولا شيء أعظم من آية الكرسي»، لأن آية الكرسي من كلام الله، وهي آية من كتابه، فليس شيء من عظيم ما خلق يعدل بآية ولا بحرف من كلامه، ألا ترى أن الله قد عظَّم خلق السماوات والأرض وجعل ذلك أكبر من غيره من المخلوقات فقال: « لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ » ثم آية الكرسي مع خفتها وقلة حروفها أعظم من
=

ذلك كله، لأنها من كلام الله، وبكلام الله وأمره قامت السماوات والأرض وخلقت المخلوقات كلها.

واعلم أن الجهمي الخبيث يقول في الظاهر: أنا أقول: إن القرآن كلام الله، فإذا نصَّصته قال: إنما أعني كلام الله مثل ما أقول: بيت الله وأرض الله وعبدالله ومسجد الله! فمثَّل شيئًا لا يشبه ما مثَّله به، والتمثيل لا يكون إلا مثلًا بمثل، حذو النعل بالنعل، فإن زاد التمثيل عما مُثِّل به أو نقص بطل، ألا ترى أن البيت بني من الأرض، وفي الأرض، وبناه مخلوق، وهدم مرة بعد أخرى، وهو مما يُدخل فيه ويخرج منه، والمسجد مما يخرب ويبيد ويعفو أثره ويزول اسمه، وكذلك الأرض يمشى عليها وتحفر ويدفن فيها، وكذلك عبدالله نطفة، وجنين، ومولود، ورضيع، وفطيم، وصبي، وناشئ، وشاب، وكهل، وشيخ، وآكل، وشارب، وماش، ومتكلم، وحي، وميت، فهل في ذلك شيء يشبه القرآن؟!». انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي الإبانة الكبرى (٦/ ٢٥٢) عن بكر بن محمد بن الحكم عن أبيه عن أبي عبدالله -الإمام أحمد- قال: «سألته عما احتج به حين دخل على هؤلاء، فقال: احتجوا عليَّ بقول ابن مسعود: «ما خلق الله من سماء ولا أرض ولا كذا أعظم من آية الكرسي»، قال: فقلت لهم: إنه لم يجعل آية الكرسي مخلوقة، إنما هذا مَثَلٌ ضربه، أي: هي أعظم من أن تخلق، ولو كانت مخلوقة لكانت السماء أعظم منها، أي: فليست بمخلوقة». اهـ

وقال ابن تيمية في الفتاوى (٦/ ٤٩٤): «قوله: «ما خلق الله من سماء ولا أرض...»؛ هذا لا يُؤثر عن النبي ﷺ أصلًا، ولكن يؤثر عن ابن مسعود رضي الله عنه نفسه... ومعنى ذلك الأثر أنه ليس في الموجودات المخلوقة ما هو أفضل من آية الكرسي؛ لا أنها مخلوقة، كما يقال: الله أكبر من كل شيء! وإن كان ذلك الكبير مخلوقًا، والله تعالى ليس بمخلوق، وبذلك فسَّر الأئمة قول ابن مسعود... وروى الخلال عن أبي عبيد قال: وقد قال رجل: ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي، أفليس يدلك على أن هذا مخلوق؟! قال أبو عبيد: إنما قال: ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي، فأخبر أن السماء والأرض أعظم خلقه، وأخبر أن آية الكرسي التي هي من صفاته أعظم من هذا العظيم المخلوق. وروي عن أحمد بن القاسم، قال: قال أبو عبدالله: هذا الحديث: «ما خلق الله من سماء ولا أرض ولا كذا أعظم...»؛ فقلت لهم: إن الخلق ههنا وقع على السماء والأرض وهذه الأشياء، لا على القرآن؛ لأنه قال: «ما خلق الله من سماء ولا أرض»، فلم يذكر =



٣٤٥ – حدثني يحيى بن بكير، وأبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب

أن أبا الخير، حدثه:

أنه سمع سلمة بن قيصر[(١)]، وكان أول أمير كان على إيلياء يقول على منبرها: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور أعظم من ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾». حتى ختم الآية.

٣٤٦ – وحدثني هشام بن عمار، عن صدقة بن خالد، عن عثمان بن أبي العاتكة، عن علي ابن يزيد الألهاني، عن القاسم أبي عبدالرحمن، عن أبي أمامة

عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال:

«ما أرى رجلاً ولد في الإسلام، أو أدرك عقله الإسلام يبيت أبدًا حتى يقرأ هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ الآية، ولو تعلمون ما

خلق القرآن ههنا». اهـ

(١) هو: سلمة- ويقال: سلامة- ابن قيصر الحضرمي، لم أجد ترجمة وافية عنه، غير أنه سكن مصر، وحديثه عند أهلها، وقد اختلف في صحبته، فرجَّح صحبته ابن يونس المصري في تاريخ مصر، وكذلك الحسن بن سفيان، وأبو يعلى، والطبراني، وابن حبان، وابن منده، وأحمد بن صالح المصري، والبخاري في التاريخ الكبير، وقال: «سمع قول رسول الله ﷺ، حديثه من وجه لين».

وأنكر صحبته: أبو زرعة، وأبو حاتم الرازيَّيْن.

قال ابن أبي حاتم في المراسيل (٢٣٣)، والجرح والتعديل (١٣٠٥): «سمعت أبي يقول: سلامة بن قيصر الحضرمي الشامي، ليس حديثه بشيء لم يثبت من وجهٍ يَصِحُّ ذكرُ صحبته».

وإيلياء: هي: بيت المقدس، وبها مات سلمة بن قيصر.

هي، إنما أعطيها نبيكم ﷺ من كنز تحت العرش، ولم يعطها أحد قبل نبيكم ﷺ، وما بتُّ ليلة قط حتى أقرأها ثلاث مرات؛ أقرؤها في الركعتين بعد العشاء الآخرة، وفي وِتري، وحين آخذ مضجعي من فراشي».

قال أبو عبيد:

وِتْرٌ، وَوَتْرٌ، وأهل المدينة يفتحون الواو.

٣٤٧ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء، أنه سمع مغيثًا القاص الشامي، يخبر

عن كعب- الأحبار-:

أن محمدًا ﷺ أعطي أربع آيات لم يعطهن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أعطي آية لم يعطها محمد ﷺ.

قال: والآيات التي أعطيها محمد ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] حتى ختم البقرة. فتلك ثلاث آيات، وآية الكرسي حتى تنقضي.

قال: والآية التي أعطيها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللهم لا تولج الشيطان في قلوبنا وخلصنا منه، من أجل أن لك الملكوت والأَيْد والسلطان والملك والحمد والأرض والسماء، الدهر الداهر، أبدًا أبدًا، آمين آمين».

٣٤٨ – حدثنا عفان، عن حماد بن سلمة، قال: حدثنا الأشعث بن عبدالرحمن الجرمي، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني



عن النعمان بن بشير م، قال: قال رسول الله ق :

«**إن الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، فأنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة، فلا تقرآن في دار ثلاث ليال؛ فيقربها شيطان**»[1].

٣٤٩ – حدثنا ابن أبي مريم، وعمرو بن الربيع بن طارق، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير

عن عقبة بن عامر ط، قال: سمعت رسول الله ق يقول:

«**اقرؤا هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة؛ فإن ربي أعطانيهما من تحت العرش**»[2].

٣٥٠ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن زُبيد اليامي، عن مرة بن شراحيل

عن عبدالله بن مسعود ط، قال:

«**الآيات الأواخر من سورة البقرة؛ إنهن لمن كنز تحت العرش**».

---

(١) رواه أحمد، والترمذي.

وهاتان الآيتان تسمَّيان بآيتي الحقوق والجوائز، وقد اشتملت الآية الأولى على عشر حقوق، والآية الثانية على عشر جوائز لمن قام بتلك الحقوق.

(٢) رواه أحمد، ومحمد بن نصر في مختصر قيام الليل، وأبو يعلى في مسنده.

٣٥١ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح، أن أبا الزاهرية، حدَّثه

عن جبير بن نفير، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش فتعلموهما، وعلموهما نساءكم وأبناءكم، فإنهما صلاة وقرآن ودعاء»(١).

٣٥٢ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج

عن محمد بن المنكدر، قال: قال رسول الله ﷺ في أواخر سورة البقرة:

«إنهن قرآن، وإنهن دعاء، وإنهن يرضين الرحمن»(٢).

٣٥٣ – حدثنا ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي إسحاق

عن أبي ميسرة:

أن جبريل لقَّن رسولَ الله ﷺ عند خاتمة القرآن– أو قال: عند خاتمة البقرة–: آمين.

---

(١) رواه أبو داود في المراسيل، والدارمي في سننه مرسلًا، ووصله الحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان، عن جبير بن نفير، عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن الضُّريس في فضائل القرآن، وفيه زيادة: «وهن يدخلن الجنة».



٣٥٤ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق

عن رجل، قال:

كان معاذ بن جبل ط إذا ختم سورة البقرة: @فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ !. قال: آمين.

٣٥٥ – حدثنا يحيى بن صالح الحمصي، عن محمد بن عمر، قال: سمعت أبا المعلى، يحدث

عن جبير بن نفير:

أنه كان إذا قرأ خاتمة البقرة، يقول: آمين آمين. حتى يركع، ويقول وهو راكع حتى يسجد.

٣٥٦ – حدثنا هشيم، وأبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبدالرحمن بن يزيد

عن أبي مسعود الأنصاري ط، عن النبي ق قال:

«الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأهما في ليلته كَفَتَاه»[1].



(١) متفق عليه. ومعنى: «كفتاه». قيل: عن قيام الليل، وقيل: من الشيطان، وقيل: من الآفات، ويحتمل الجميع، وتركها بلا تأويل أو تفسير أبلغ.



باب: فضل سورة البقرة، وآل عمران، والنساء

٣٥٧ - حدثنا هشام بن إسماعيل، عن محمد بن شعيب، عن معاوية بن سلّام، عن أخيه زيد ابن سلام، أنه سمع جده أبا سلام، يقول:

سمعت أبا أمامة الباهلي ط، يقول: سمعت رسول الله ق يقول:

«اقرؤا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لصاحبه، اقرؤا الزهراوين[١] سورة البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غَيَايتان أو كأنهما غمامتان[٢] أو كأنهما فِرقان[٣] من طير صواف[٤] تُحاجَّان عن صاحبهما»[٥].

قال أبو عبيد: يعني: ثوابهما[٦].

---

(١) أي: النيّرتين، وسميتا بالزهراوين؛ لما فيهما من النور والهداية وعظيم الأجر.

(٢) قال أبو عبيد في غريب الحديث (١/ ٩٣): «قال الأصمعي: الغَيَايَةُ: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه، مثل السحابة والغبرة والظل ونحوه». اهـ

وقال الحربي في غريب الحديث (١/ ٢٢٤): «الغَيَاية: الظُّلمة». اهـ

والمراد من ذلك أن ثواب تلاوتهما يصير يوم القيامة هكذا.

(٣) أي: قطيعان وجماعتان.

(٤) أي: المُصْطَفَّة والمتضامَّة والمتصلة.

(٥) رواه أحمد، ومسلم.

(٦) ما قاله أبو عبيد هنا قد أجمع عليه العلماء، وكانوا يُبَوِّبون عليه في التصانيف، كما فعل ابن ماجه =



قال أبو الحسن(١):

تكلم أبو عبيد بهذا، والسَّيف يومئذ يقطر(٢).

في سننه، فقال: «باب: ثواب القرآن». وذكر حديث بريدة، قال: قال رسول الله ق: «يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب...». وتقدَّم التعليق عليه برقم (٤٦).

وكونهما تظلان صاحبهما يوم القيامة؛ فهذه قرينة على تفسيرها بمعنى الثواب، كما أن المؤمن في ظل صدقته يوم القيامة، أي: ثوابها. وكما جاء في الحديث: «إن المؤمن يرى عمله في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح».

قال إبراهيم الحربي في غريب الحديث (١/ ٢٢٤): «وقوله: «كأنهما غيايتان يظلان من كان يقرؤهما»؛ نسب الفعل إليهما، وإنما المعنى: لثوابٍ يفعله الله بمن يقرأ بهما، كقوله ق: «ظل المؤمن صدقته». يقول: «ثواب صدقته». اهـ

وقال الترمذي في جامعه (٢٨٨٣): «ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم: أنه يجيء ثواب قراءته؛ كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث، وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن.

وفي حديث النواس ط عن النبي ق - وهو حديث: يأتي القرآن وأهله الذين يعملون به في الدنيا؛ تقدمه سورة البقرة وآل عمران- ما يدل على ما فسروا، إذ قال النبي ق: «وأهله الذين يعملون به في الدنيا»، ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل». اهـ

(١) ذكر عبدالغني المقدسي هذا الأثر في كتابه: المصباح في عيون الصِّحاح برقم (١٦) عن أبي الحسن علي بن عبدالعزيز البغوي، قال: حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام، حدثني هشام بن إسماعيل... وذكره.

فيكون أبو الحسن المذكور في المتن هو أبو الحسن علي بن عبدالعزيز بن البغوي، عم أبي القاسم البغوي، وهو نزيل مكة صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، روى عنه غريب الحديث، وكتاب الحيض، وكتاب الطهور وغير ذلك، قال عنه الدارقطني في سؤالات أبي عبدالرحمن السلمي: «ثقة مأمون»، وقال ابن أبي حاتم: «كتب إلينا بحديث أبي عبيدة، وكان صدوقًا».

(٢) أي: يقطر من دماء العلماء الذين أبوا أن يقولوا: القرآن مخلوق.

=

٣٥٨ – حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة، عن عبدالملك بن عمير، قال:

قال حماد بن سلمة: أحسبه عن أبي منيب، عن عمه:

أن رجلاً قرأ البقرة وآل عمران، فلما قضى صلاته قال له كعب: «أقرأت البقرة وآل عمران؟». قال: نعم. قال: «فوالذي نفسي بيده إن فيهما اسم الله الذي إذا دعي به استجاب»[1]. قال: فأخبرني به.

قال: لا والله لا أخبرك، ولو أخبرتك لأوشكتَ أن تدعو بدعوة أهلك فيها أنا وأنت.

وهي الفتنة التي كانت في وقت الإمام أحمد، وأبي عبيد.

وأخرج أبو طاهر السِّلفي في الثالث والعشرين من المشيخة البغدادية، عن أبي شعيب الحرَّاني، قال: «كنا مع أبي عبيد القاسم بن سلام بباب المعتصم، وأحمد بن حنبل يُضرب، قال: فجعل أبو عبيد يقول: أيُضرب سيِّدُنا؟! لا صَبْر، أيُضرب سيِّدُنا؟! لا صَبْر».

قال أبو شعيب: فقلت أنا:

ضربوا ابن حنبل بالسِّياط بظُلمهم ... بغيًا فثبت بالثبات الأنورِ
قال الموفَّق حين مدَّد بينهم ... مدَّ الأديم على الصعيد القرقرِ
إني أموت ولا أبُوءُ بفجرةٍ ... تَصِلُ بَوائِقُها مَحَلَّ المُفتري

(١) وجاء هذا أيضًا عن عبدالله بن مسعود ط، كما في سنن الدارمي عن مسروق عن عبدالله قال: «قرأ رجل عند عبدالله البقرة وآل عمران، فقال: قرأت سورتين فيهما اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى». اهـ



٣٥٩ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح

عن سليم بن عامر:

أنه سمع أبا أمامة، يقول: «إن أخًا لكم أُري في المنام: أن الناس يسلكون في صدع جبل وعر طويل، وعلى رأس الجبل شجرتان خضراوان يهتفان: هل فيكم من يقرأ سورة البقرة؟ هل فيكم من يقرأ سورة آل عمران؟ فإذا قال الرجل: نعم، دنتا منه بأعذاقهما حتى يتعلق بهما فتخطرانه الجبل»[1].

---

(١) وفي التفسير من جامع ابن وهب (٣/ ٨) قال: «فتخطرا به إلى الجنة».

وروى الدارمي في سننه عن أبي السليل- ضريب بن نقير- قال: «أصاب رجل دمًا، قال: فأوى إلى وادي مَجَنَّة- وادٍ لا يمشي فيه أحد إلا أصابته حية- وعلى شفير الوادي راهبان، فلما أمسى، قال أحدهما لصاحبه: هلك والله الرجل! قال: فافتتح سورة آل عمران، فقالا: قرأ سورة طيبة؛ لعلَّه سينجو، قال: فأصبح سليمًا».

وروى أحمد ومسلم عن أنس بن مالك ط قال: «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران؛ جدَّ فينا». يعني: عظم.

وعليه؛ فمن قرأ هاتين السورتين وتعلَّم ما فيهما وأعطاهما وجهه؛ فإنه بإذن الله سيعظم أمره، ويصعد جبل العلم، ويتغلب على عقبات الشبهات والشهوات، فإن في هاتين السورتين ردًّا على جميع الطوائف المنحرفة والكافرة والملاحدة والزنادقة ومنكري البعث وأهل الكتاب وأهل الكلام وأهل البدع والآراء والأهواء، وفيهما الدعوة للتمسك بالكتاب والسُّنة واتباع سبيل المؤمنين.

وإذا كان البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة؛ لا يدخله الشيطان، فكذلك القلب الذي وعى هذه السورة فإن شياطين الجن والإنس من أهل البدع لا سبيل لهم عليه.

=



٣٦٠ - حدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح

عن أبي عمران:

أنه سمع أم الدرداء ﵂، تقول: «إن رجلاً ممن قد قرأ القرآن أغار على جار له فقتله، وإنه أُقِيد منه فقُتل، فما زال القرآن ينسل منه سورة سورة، حتى بقيت البقرة وآل عمران جمعة، ثم إن آل عمران انسلت منه، وأقامت البقرة جمعة، فقيل لها: ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد، قال: فخرجت كأنها السحابة العظيمة».

قال أبو عبيد:

أُراه يعني: أنهما كانتا معه في قبره تدفعان عنه وتؤنسانه، فكانتا من آخر ما بقي معه من القرآن.

٣٦١ - حدثني أبو مُسْهِر الغساني، عن سعيد بن عبدالعزيز التنوخي

أن يزيد بن الأسود الجُرَشي، كان يحدث:

أنه «من قرأ البقرة وآل عمران في يوم، برئ من النفاق حتى يمسي، ومن قرأهما في ليلة برئ من النفاق حتى يصبح».

قال: فكان يقرؤهما كل يوم وليلة سوى جزئه.

وقد روى الدارمي (٣٢٩٩) عن كعبٍ الأحبار، قال: «من قرأ البقرة وآل عمران؛ جاءتا يوم القيامة تقولان: ربنا لا سبيل عليه». اهـ



٣٦٢ – حدثنا يزيد، عن وقاء بن إياس

عن سعيد بن جبير، قال:

قال لي عمر بن الخطاب ط: «من قرأ البقرة وآل عمران والنساء في ليلة، كان- أو كتب- من القانتين».

٣٦٣ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن سليم بن حنظلة

عن عبدالله بن مسعود ط، قال:

«من قرأ سورة آل عمران فهو غني»[(١)].

٣٦٤ – حدثنا الأشجعي، عن مسعر بن كدام، قال: حدثنا جابر[(٢)]، **قبل أن يقع فيما وقع فيه**، عن الشعبي

(١) رواه الدارمي في سننه بلفظ: «من قرأ سورة آل عمران؛ فهو غني، والنساء مُحَبَّرة».
قال أبو محمد: «مُحَبَّرة: مُزَيَّنة».

ورواه محمد بن نصر في مختصر قيام الليل، وزاد فيه: «والأنعام من نواجب القرآن، أو نجائب القرآن».

(٢) هو: جابر بن يزيد الجعفي، أحد الكذَّابين المعروفين، متروك الحديث، كان شيعيًّا من السبئية الذين يؤمنون بالرَّجعة، قال أبو الأحوص: «كنت إذا مررت بجابر الجعفي؛ سألت ربي العافية». وقال الشافعي: «سمعت سفيان بن عيينة، يقول: سمعت من جابر الجعفي كلامًا فبادرت؛ خِفتُ أن يقع علينا السقف»، قال سفيان: «كان يؤمن بالرَّجعة». وقال إبراهيم الجوزجاني: «كذَّاب».

وقال الحميدي عن سفيان: «سمعت رجلًا سأل جابر الجعفي، عن قوله: «﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾»؟ قال: لم يجيء تأويلها بعدُ! قال سفيان: كذب، قلت: ما أراد بهذا؟ قال: الرافضة تقول: إن =



عن عبدالله ط قال:

«نعم كنز الصعلوك[١] سورة آل عمران يقوم بها الرجل من آخر الليل».

قال الأشجعي[٢]: يعني بقوله: «قبل أن يقع فيما وقع فيه»: ما كان من تغير عقله[٣].

عليًّا في السماء؛ لا يُخرج مع ولده، حتى ينادي من السماء: اخرجوا مع فلان، يقول جابر: هذا تأويل هذا!». وقال يحيى بن يعلى: سمعت زائدة يقول: «جابر الجعفي رافضي، يشتم أصحاب النبي ق».

ورواية مسعر هنا عنه كانت قبل أن يقع فيما وقع فيه، ويتورط في تلك العظائم.

ولمزيد من ترجمته انظر: الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازي (٢٠٤٣). والتاريخ الكبير للبخاري (٢٢٢٣). والضعفاء للعقيلي (٢٤٠). والكامل لابن عدي (٣٢٦).

(١) الصعلوك: الفقير الذي لا مال له.

(٢) هو عبيدالله بن عبدالرحمن الأشجعي، أبو عبدالرحمن الكوفي نزيل بغداد. قال إبراهيم بن إسماعيل بن البصير: «سمعت الأشجعي، يقول: سمعت من سفيان الثوري ثلاثين ألف حديث».

وقال محمد بن سعد: «روى كتب الثوري على وجهها، وروى عنه الجامع، وكان من أهل الكوفة، وقدم بغداد فلم يزل بها حتى مات». وقال أحمد بن سليمان الرهاوي: «سمعت قبيصة يقول لما مات سفيان: أرادوا الأشجعي على أن يقعد- يعني: مكان سفيان- فأبى، حتى كلموا زائدة؛ فقعد». وقال يحيى بن معين: ما كان بالكوفة أحد أعلم بسفيان من الأشجعي، كان أعلم به من عبدالرحمن بن مهدي».

(٣) ذكروا في ترجمة جابر الجعفي، أنه كان يهيج به في السَّنة مِرَّة- وهي خلط من أخلاط البدن، وهما مِرَّتان: الصفراء والسوداء- فيهذي ويخلط في الكلام، فلعل ما حُكي عنه كان في ذلك الوقت.



٣٦٥ – حدثنا خالد بن عمرو، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق

عن حارثة بن مُضرِّب، قال:

كتب إلينا عمر ط أن: «تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور»[١].



(١) هذه وصية أبي حفص ط، وحسبك به! وأحسبه أراد بذلك: تعلَّموها أنتم، وعلِّموها نساءكم؛ لاحتوائها على جملة كبيرة من الأحكام والآداب والأخلاق التي تهم المرأة المسلمة.

وأما بخصوص سورة النساء، فقد جاء في فضلها:

ما رواه أحمد عن ابن مسعود ط، قال: «دخل رسول الله ق المسجد، وهو بين أبي بكر وعمر، وإذا ابن مسعود يصلي، وإذا هو يقرأ النساء، فانتهى إلى رأس المئة– وهي قوله: «وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ»– فجعل ابن مسعود يدعو، وهو قائم يصلي، فقال النبي ق: اسأل تعطه، اسأل تعطه».

وقال عبدالله بن مسعود ط: «إن في النساء خمس آيات، ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها، ولقد علمت أن العلماء إذا مروا بها يعرفونها...». ثم ذكرهم، وستأتي في متن هذا الكتاب برقم: (٤٥٠).



باب: فضل المائدة، والأنعام

٣٦٦ - حدثنا عمرو بن طارق، عن يحيى بن أيوب، عن أبي صخر

عن محمد بن كعب القرظي، قال:

نزلت سورة المائدة[١] على رسول الله ق في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة، وهو على ناقته فانصدع كتفها، فنزل عنها رسول الله ق[٢].

٣٦٧ - حدثنا أبو اليمان، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب

عن عطية بن قيس، قال: قال رسول الله ق :

---

(١) هذا أشهر أسمائها، وتسمى أيضًا: سورة العقود؛ كما في أولها، وتسمى سورة الأحبار؛ وهي التي عناها جرير في ديوانه (١/ ٢٢٤) بقوله:

إن البَعِيثَ وعبدَ آل مُقَاعِسٍ ... لا يقرآنِ بسورة الأحبارِ

وفي كتاب المنتخب من كنايات الأدباء لأحمد الجرجاني (١/ ١٢١): «يقال: فلان لا يقرأ سورة الأحبار؛ أي: لا يفي بالعهد، وذلك أن الصحابة كانوا يسمون سورة المائدة سورة الأحبار». اهـ

وهي مدنية بالإجماع. والمدني: ما نزل بعد الهجرة بأي مكان

(٢) لم أجده بهذا السِّياق عن محمد بن كعب عند غير المؤلِّف. أما من حيث المعنى؛ فقد روى أحمد في مسنده عن أسماء بنت يزيد، قالت: «إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ق، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة».

وفي رواية عن عبدالله بن عمرو م، قال: «أنزلت على رسول الله ق سورة المائدة، وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها».

«المائدة من آخر القرآن تنزيلاً، فأحلوا حلالها وحرِّموا حرامها»[١].

٣٦٨ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية

عن جبير بن نفير، قال:

حججت، فدخلت على عائشة ﵂، فقالت لي: «يا جبير! هل تقرأ المائدة؟». قلت: نعم. قالت: «أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرِّموه»[٢].

٣٦٩ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق

عن أبي ميسرة، قال: «في المائدة إحدى عشرة فريضة».

٣٧٠ – حدثنا عبدالرحمن، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق

عن أبي ميسرة، قال:

«في المائدة ثماني عشرة فريضة، وليس فيها منسوخ»[٣].

---

(١) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ، عن ضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس معًا.

(٢) قول عائشة ﵂ عن المائدة: «إنها آخر سورة نزلت»؛ محلُّ خلافٍ بين الصحابة ﵃ في تعيين آخر ما نزل من القرآن على النبي ﷺ على الإطلاق، وسيأتي مزيد بيان لهذا عند الأثر: (٦٧٢).

(٣) جاء في بعض الألفاظ ما يُبيِّن أن هذه السُّورة قد احتوت على فرائض كثيرة لا توجد في غيرها من السور، وهذا يُنبئ بأنها أنزلت لاستكمال شرائع الإسلام، ولهذا أنزل الله فيها قوله تعالى:
=



ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا».

وذكر بعض المفسرين أن سورة المائدة بها تسع عشرة فريضة ليست في غيرها، وقد جاء بيان هـذه الفرائض في تفسير مجاهد (١/ ٣١٧) فقال: «قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ». وقوله: «وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ». وقوله: «وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ». وتمام الوضوء- أي: إتمام ما لم يُذكر في سورة النساء- إلى قوله: «فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا». وقوله: «وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا». وقوله: «مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ»، فهذه كلها محكمة لم ينسخ منها شيء». اهـ

ونزيد على كلام مجاهد: وقوله تعالى: «وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ». وليس في القرآن ذُكر للأذان للصلوات إلا في هذه السُّورة، وقوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ»، الآية، ولم تُذكر هذه الفرائض إلا في هذه السُّورة.

وأما قوله: «وليس فيها منسوخ». يعني: هذه الفرائض، وليست السورة أجمع، وإلا فقد وقع النسخ في المائدة في غير ما آية، تجدها في مظانها. وقد قيل: المنسوخ منها سبع آيات. وقيل: تسع آيات.

وهناك تشابه عجيب بين سورة البقرة والمائدة! فما أُجْمِل في البقرة فصَّلته المائدة، وبيَّن ذلك أحدُ المفسرين بقوله: «قد احتوت سورة المائدة على تمييز الحلال من الحرام في المأكولات، وحفظ شعائر الله في الحج والشهر الحرام، والنهي عن بعض المحرمات من عوائد الجاهلية مثل الأزلام، وفيها شرائع الوضوء، والغسل، والتيمم، والأمر بالعدل في الحُكم، والأمر بالصدق في الشهادة، وأحكام القصاص في الأنفس والأعضاء، وأحكام الحرابة، وتسلية الرسول ﷺ عن نفاق المنافقين، وتحريم الخمر والميسر، والأيمان وكفارتها، والحكم بين أهل الكتاب، وأصول المعاملة بين المسلمين، وبين أهل الكتاب، وبين المشركين والمنافقين، والخشية من ولايتهم أن تفضي إلى ارتداد المسلم عن دينه، وإبطال العقائد الضالة لأهل الكتابيْن، وذكر مساوئ من أعمال اليهود، وإنصاف النصارى فيما لهم من حسن الأدب وأنهم أرجى للإسلام، وذكر قضية التِّيه، وأحوال المنافقين، والأمر بتخلق =

٣٧١ - حدثنا إسحاق بن يوسف

عن ابن عون، قال:

سألت الحسن هل نسخ من المائدة شيء؟ فقال: «لا»(١).

٣٧٢-حدثنا أحمد بن يونس، عن زهير بن معاوية، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن عبدالله بن خليفة

عن عمر بن الخطاب ، قال:

«الأنعام من نواجب القرآن»(٢).

المسلمين بما يناقض أخلاق الضالين في تحريم ما أحلَّ لهم، والتنويه بالكعبة وفضائلها وبركاتها على الناس، وما تخلل ذلك أو تقدمه من العِبر، والتذكير للمسلمين بنعم الله تعالى، والتعريض بما وقع فيه أهل الكتاب من نبذ ما أمروا به والتهاون فيه، واستدعاؤهم للإيمان بالرسول الموعود به. وختمت بالتذكير بيوم القيامة، وشهادة الرسل على أممهم، وشهادة عيسى على النصارى، وتمجيد الله تعالى». اهـ

(١) هذا مذهب من يرى أن المائدة لم يُنسخ منها شيء البتة وأن جميعها محكم؛ لأنه لم ينزل بعدها شيء ينسخ ما فيها من الأحكام، كما في أثر عائشة. والصحيح أنها اشتملت على آيات منسوخة، وأن الناسخ لها هو في نفس السورة لم يخرج عنها، ما عدا بعض الآيات؛ فقد نسختها آية السَّيف التي في براءة، وليس نَسْخًا كاملًا، وإنما هو رفعٌ للحكم في حالٍ، ثم رجوعه إذا رجعت أسبابه؛ كالكفِّ عن المشركين وقت الضعف، وقتالهم حال القوة.

(٢) رويت: نواجب، ونجائب. والنجيب: هو الفاضل والنفيس من كل شيء.

ومعنى: «الأنعام من نواجب القرآن». أي: من أفاضل سُوَرِه. انظر: النهاية في غريب الحديث.

ومن أسباب وصفها بذلك- والله أعلم- اشتمالُها على أمرين لم يحصلا لغيرها من السور الطوال، وهما:

=

٣٧٣ - حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران

عن ابن عباس ﭫ، قال:

«نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة[(١)]، ونزل معها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح».

الأول: في إنزالها: فقد نزلت دفعة واحدة، وشيَّعها سبعون ألفًا من الملائكة- حاشا سورة الكهف، فقد شاركتها في هذا كما جاء في الأثر-.

الثاني: في محتواها: فإن فيها من المعاني ما لا يكاد يوجد في غيرها؛ فهي مشتملة على أدلة التوحيد والنبوة واليوم الآخر وإبطال حجج المشركين والمبتدعين قديمًا وحديثًا، وهي أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، ولأحوال النبي ﷺ وأصحابه أول البعثة، ففي البخاري عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﭫ، قال: «إذا سرَّك أن تعلم جهل العرب؛ فاقرأ ما فوق الثلاثين ومئة من سورة الأنعام: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾». اهـ

وفي مصنف ابن أبي شيبة، وسنن الدارمي، عن عبدالله بن رباح، قال: «سمعت كعبًا يقول: فاتحة التوراة: فاتحة سورة الأنعام، وخاتمتها: خاتمة سورة هود».

(١) هذا في الجملة، وإلا فهناك آيات قليلة منها روي أنها نزلت في المدينة؛ فقد روى أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ (١/ ٤١٥) عن أبي عمرو بن العلاء، قال: «سألت مجاهدًا عن تلخيص آي القرآن، المدني من المكي؟ فقال: سألت ابن عباس ﭫ عن ذلك، فقال: «سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة، فهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، فهي مدنية: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾». إلى تمام الآيات الثلاث.

وقال ابن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ: «استُثني منها تسعُ آيات، ولا يصح به نقل؛ خصوصًا وقد ورد أنها نزلت جملة». اهـ

=





والعلَّة في إنزالها جملة واحدة: أن هذه السورة أصل في محاجَّة المشركين ومنكري البعث والنشور والمبتدعين من القدرية والجبرية والمرجئة وغيرهم، حتى قال أحد كبار أئمة الشافعية: «في سورة الأنعام كل قواعد التوحيد».

وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة؛ لأنها في معنى واحد من الحجة، وبعضها آخذ برقاب بعض، وإن تصرَّف ذلك بوجوه كثيرة على حسب المردود عليه.

ولذا فالأظهر- والله أعلم- أنها نزلت جملة واحدة، لا يُستثنى من ذلك شيء.



باب: فضل سورة براءة[١]

٣٧٤ - حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن عبدالعزيز بن مسلم، عن حصين بن عبدالرحمن عن أبي عطية[٢]، قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب ط أن:

---

(١) وهي من أعظم سور القرآن الكريم؛ لأنها تخصَّصت في الردِّ على المنافقين، وتعرف في المصحف بسورة التوبة، وبهذا ترجم لها الترمذي في جامعه؛ وذلك لأن الله قد تاب فيها عن الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، ولها أسماءٌ عديدة منها:

- براءة؛ لأنها براءة من الكافرين والمنافقين، وبهذا ترجم لها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه.
- المقشقشة (أصلها من قشقشه: إذا أبرأه من المرض)؛ وسميت بذلك لأنها تخلص من آمن بها فيها من النِّفاق والشِّرك. ذكر هذا الاسم: أبو الشيخ، وابن مردويه عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر.
- المبعثِرة؛ لأنها كشفت عن سرائر الناس. ذكره: ابن المنذر، عن محمد بن إسحاق.
- البَحوث؛ لكثرة ما فيها من ذكر المنافقين، وشدة البحث عنهم، والكشف عن سرائرهم. ذكره: ابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه عن أبي راشد الحُبراني، عن المقداد بن الأسود.
- المثيرة؛ لأنها تثير النفاق وتبحث عنه، وتظهر عورات المنافقين وتثير مخازيهم ومثالبهم. ذكره: ابن المنذر، وأبو الشيخ، وابن أبي حاتم، والبغوي عن قتادة.
- المنقِّرة؛ لأنها تنقِّر عما في قلوب المشركين والمنافقين. ذكره: أبو الشيخ عن عبدالله بن عبيد بن عمير.
- العذاب؛ لأنها ما تركت أحدًا إلا نالت منه.
- الفاضحة؛ لكونها فاضحة للمنافقين؛ فقد أخرج أبو الشيخ عن عمر ط قال: «ما فُرغ من تنزيل براءة، حتى ظننا أنه لم يبق منَّا أحد إلا سينزل فيه، وكانت تسمى: الفاضحة».

(٢) هو: مالك بن عامر، أبو عطية الوادعي، الهمداني الكوفي، مشهور بكنيته، وروايته عن عمر ط إنما هي كتاب، كما قاله البخاري في تاريخه الكبير.



«تعلموا سورة التوبة، وعلموا نساءكم سورة النور»[(١)].

٣٧٥ - حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن عاصم ابن بهدلة، عن زر بن حبيش

عن حذيفة ط، قال: «يسمونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب. يعني: براءة»[(٢)].

٣٧٦ - حدثنا هشيم، عن أبي بشر

عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس م: سورة التوبة؟ قال: «تلك الفاضحة! ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم...[(٣)] حتى خشينا أن لا تدع أحدًا».

---

(١) وذلك- والله أعلم- لأن في التوبة: الحثّ على الجهاد، وفي النور: الحثّ على الحجاب.

وهذه الوصية قد تواترت عن عمر ط ومعها زيادات:

ففي التفسير من سنن سعيد بن منصور (١٠٠٣) عن أبي عطية الهمداني، قال: «كتب عمر بن الخطاب ط: تعلموا سورة براءة، وعلموا نساءكم سورة النور، وحلوهن الفضة».

وفي مصنف عبدالرزاق عن عمر، وكان يكتب إلى الآفاق: «لا تدخلن امرأة مسلمة الحمام إلا من سقم، وعلموا نساءكم سورة النور».

وفي شعب الإيمان عن المسور بن مخرمة ط أنه سمع عمر ط يقول: «تعلموا البقرة والنساء والمائدة والحج والنور، فإن فيهن الفرائض». وفي رواية، قال: «وعلموا نساءكم سورة النور».

(٢) قال حذيفة ط: «والله ما تركتْ أحدًا إلا نالتْ منه! ولا تقرءون منها مما كنَّا نقرأ إلا ربعها».

وعن ابن عباس م: «أن عمر ط قيل له: سورة التوبة، قال: هي إلى العذاب أقرب! ما أقلعت عن الناس، حتى ما كادت تدع منهم أحدًا». انظر: الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ١٢٠).

(٣) في سورة التوبة أربع آيات بدأت بقوله: «ومنهم»، وهي الآيات: (٤٩و٥٨و٦١و٧٥).



قال: قلت: فسورة الأنفال؟ قال: «نزلت في قتال بدر».

قلت: فسورة الحشر؟ قال: «نزلت في بني النضير».

٣٧٧ – حدثنا حجاج، عن حريز بن عثمان، عن عبدالرحمن بن ميسرة

عن أبي راشد الحُبْراني:

أنه وافى المقداد بن الأسود ط بحمص على تابوت من توابيت الصيارفة، قد فضل عنه عِظَمًا[1]، قال: فقلت: يا أبا الأسود! قد أعذر الله إليك، أو قال: قد عذرك الله. فقال: «أبت علينا سورة براءة @ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ! [التوبة:٤١]»[2].

(١) المعنى: أنه ط قد زاد على موضع جلوسه من التابوت بِعِظَمِه؛ حيث كان عظيم البطن، وقد تناهى في العِظَم والكِبَر، وعجز عن القتال.

(٢) وفي رواية ابن المبارك في الجهاد (١٠٣). وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٩٠) قال: «أبتْ علينا سورة البَحوث»، وفي رواية الحاكم قال: «ولا أجدني إلا خفيفًا».

قال أبو عثمان سعيد بن رحمة – الراوي عن ابن المبارك –: «البَحوث: بحثت المنافقين».

وقال ابن أبي عاصم: «يريد سورة براءة».

وروى أبو يعلى في مسنده، والحاكم وصححه عن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة براءة، فأتى على هذه الآية: «ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا» فقال: «ألا أرى ربي يستنفرني شابًا وشيخًا! جهزوني، فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ق حتى قبض، وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك، فقال: جهزوني، فجهزوه، فركب البحر، فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فلم يتغير». اهـ

=



وحدثنا أبو اليمان، عن حريز بن عثمان، عن عبدالرحمن بن بلال، عن أبي راشد الحبراني، عن المقداد، مثل ذلك.

٣٧٨ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب

عن ابن سيرين:

أن أبا أيوب الأنصاري، كان يقول: «قال الله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة:٤١]؛ فلا أجدني إلا خفيفًا أو ثقيلاً»[(١)].

وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي الضحى، وأبي مالك، قالا: «أول آية نزلت من براءة: «ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا»، الآية».

وفي تفسير البغوي (٣/ ٣٥) قال الزهري: «خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو، وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل! فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنني الحرب؛ كثَّرت السَّواد، وحفظت المتاع». اهـ

(١) رواه الحاكم في المستدرك بلفظ أطول من هذا عن محمد بن سيرين، قال: «شهد أبو أيوب مع رسول الله ﷺ بدرًا، ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا هو فيها، إلا عامًا واحدًا، فإنه استعمل على الجيش رجل شاب، فقعد ذلك العام، فجعل بعد ذلك يتلهف، ويقول: ما علي مَن استعمل، فمرض، وعلى الجيش يزيد بن معاوية، فدخل عليه يعوده، فقال: ما حاجتك؟ فقال: حاجتي إذا أنا متُّ فاركب، ثم اسع في أرض العدو ما وجدت مساغًا، فإذا لم تجد مساغًا، فادفني ثم ارجع».

فدفن تحت أسوار القسطنطينية.

قال: «وكان أبو أيوب يقول: قال الله عَزَّوَجَلَّ: «ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا»، فلا أجدني إلا خفيفًا أو ثقيلًا».

وفي رواية المصنف عند ابن أبي شيبة قال: «ما رأيت في هذه الآية من رخصة».



٣٧٩ – حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش

عن إبراهيم، قال:

خرج عبدالرحمن بن يزيد مرة، وهو يريد أن يُجَاعِل[(١)] في بعثٍ خرج عليه، ثم أصبح فتجهز، فقلت: ألم تكن أردت أن تجاعل؟ فقال: «بلى، ولكن قرأت البارحة سورة براءة، فسمعتها تحثُّ على الجهاد»[(٢)].



(١) هو ما يُجعل للغازي، وذلك إذا وجب على الإنسان غزو، فجعل مكانه رجلًا آخر بجُعْلٍ يشترطه، وقال ابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٥٢٤): «معنى الجعالة: أن يُضرب البعث على الرجل، فيجعل لمن يغزو عنه شيئًا ويقيم هو، أو يدفع المقيم إلى الغازي شيئًا فيقيم ويخرج هو». اهـ

(٢) جاء هذا الأثر مطولًا في ترجمة عبدالرحمن بن يزيد– وهو أخو الأسود بن يزيد– من تهذيب الكمال (٣٩٩٤) عن إبراهيم النخعي، قال: «خرج عليهم بعثٌ، فقال لي عبدالرحمن بن يزيد: اغد غدًا حتى نطلب رجلًا نجعل له، فإني قد ثقلت عن هذا البعث، قال: فغدوت عليه، فقال: اشتر لي فرسًا، وقال: ما أراني إلا نؤما هذا البعث، فقلت: ما بدا لك؟! فقال: إني قرأت سورة براءة فوجدتها تحثُّ على الجهاد، فخرج، فإنه ليسيرُ في بعض الطريق، ومعه أبو جحيفة، فمرض فتخلف عليه، وعلى السَّاقة رجلٌ من بني تميم غليظ، يقال له: أبو برذعة فلحقه، فقال: ما خلَّفك؟ قال: مرض هذا الرجل فتخلفت عليه، قال: فجلده خمسين سوطًا، فمات، فكانوا يرون أنه مات شهيدًا».



باب: فضائل سورة هود وبني إسرائيل[١] والكهف ومريم وطه

٣٨٠ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن يونس بن يزيد

عن ابن شهاب، قال:

قالوا يا رسول الله! إنا نرى في رأسك شيبًا، فقال: «كيف لا أشيب، وأنا أقرأ سورة هود، وإذا الشمس كورت؟»[٢].

---

(١) هي المعروفة في المصحف بسورة: الإسراء، وسميت بذلك لأن في أولها قصة الإسراء بالنبي ﷺ ولم يُذكر في غيرها من السُّور. وكانت تسمى في عُرف الصحابة: سورة بني إسرائيل، كما قالت عائشة ﵂: «كان النبي ﷺ لا ينام، حتى يقرأ الزمر، وبني إسرائيل». رواه الترمذي.

وبذلك ترجم لها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه، والترمذي في أبواب التفسير من جامعه.

وسميت بذلك؛ لأن الله قد قصّ فيها من أنباء بني إسرائيل ما لم يُذكر في غيرها.

وتسمى أيضًا سورة: (سبحان)؛ لافتتاحها بذلك.

(٢) رواه بهذا السياق البلاذري في أنساب الأشراف (٢/ ١٧) عن الزهري عن أبي سلمة عبدالله ابن عبدالرحمن بن عوف مرسلًا. وجاء مرفوعًا موصولًا عن ابن عباس ﵄، قال: قال أبو بكر ﵁: «يا رسول الله! قد شِبت؟ قال: شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت». رواه الترمذي، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

وقال أبو المظفر السمعاني في تفسيره (٢/ ٤٦٣): «قوله: «شيبتني هود»، فيه معنيان:

أحدهما: لكثرة ما ذكر الله تعالى في هذه السورة من إهلاك القرون الماضية والأمم السالفة.

=



٣٨١ - حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو هاشم، عن أبي مجلز، عن قيس بن عُبَاد

عن أبي سعيد الخدري ط، قال:

«من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بينه وبـين البيت العتيق»[١].

قال أبو عبيد:

كان شعبة فيما يروى عنه يزيد في هذا الحديث عن أبي هاشم بهـذا الإسناد قوله: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت...»[٢].

والثاني: لقوله تعـالى: « فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ - وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ». اهـ

(١) رواه الدارمي في سننه، والحاكم في المستدرك وصححه.

(٢) رواه بهذا الزيادة: النسائي في السنن الكبرى، والحاكم في المستدرك، وفيـه: «مـن قـرأ سـورة الكهف كما أنزلت، كانت له نورًا يوم القيامة من مقامه إلى مكة». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخرِّجاه، ورواه سفيان الثوري، عن أبي هاشم؛ فأوقفه». اهـ

ورواه البيهقي في السنن الكبير بلفظ: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتين». إسناده حسن.

وقال الشافعيُّ في الأم (١/ ٢٢٩): «وأُحِبُّ قراءة الكهف ليلة الجمعة ويومها؛ لما جاء فيها». اهـ

ونُقل عن الشافعي أنها نهارًا آكد، وآكده بعد الصبح؛ مسارعة في الخير.

وقال ابن قدامة في المغني (١/ ٨٣٩): «ولا بـأس بقـراءة القـرآن في الطريـق، قـال إسـحاق بـن إبراهيم: خرجت مع أبي عبدالله- الإمام أحمد- إلى الجامع؛ فسمعته يقرأ سورة الكهف». اهـ

أي: يوم الجمعة.

=



ومعنى هذا أن القراءة حاصلة سواء في ليلة الجمعة أو يومها، ويؤيد ذلك ما جاء في بعض ألفاظ الحديث: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أو ليلتها؛ وُقيَ فتنة الدجال».

ولأنها جاءت في الأحاديث مطلقة في يوم الجمعة.

ومن فضائلها: ما رواه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب، قال: «كان رجل- وهو أسيد بن حضير- يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوطة بشطنين، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فذكر له ذلك، فقال: تلك السكينة تنزلت للقرآن».

وفي رواية: «اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن- أو للقرآن- أو بالقرآن».

ومن فضائلها: ما رواه الحسن بن علي الجوهري في حديث أبي الفضل الزهري (١٢٧)، والضياء في المختارة (٤٢٩) من حديث عليٍّ مرفوعًا: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛ فهو معصومٌ إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون، فإن خرج الدجال، عُصم منه».

ومن فضائلها: أنها من السور التي نزلت جملة واحدة. فقد روى الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه، قال: «نزلت سورة الكهف جملة، معها سبعون ألفًا من الملائكة».

ومن فضائلها: ما رواه ابن مردويه، وأبو الشيخ في الثواب، عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: البيت الذي تقرأ فيه سورة الكهف؛ لا يدخله شيطان تلك الليلة».

فائدة:

عند التأمل في سورة الكهف، وما جاء في الترغيب في قراءتها؛ نجد أن سورة الكهف قد اشتملت على مثالٍ من أمثلة الفتن الأربع المحيطة بالعبد، والتي قلما يسلم منها أحد، ثم تعقبه بكيفية النجاة من هذه الفتنة، ففيها فتنة الشرك، المتمثلة في قصة فتية الكهف، والنجاة منه بالهجرة واعتزال دار الشِّرك والمشركين. وفيها فتنة المال المتمثلة في قصة صاحب الجنتين. وفيها فتنة العلم المتمثلة في قصة موسى والخضر عليهما السلام. وفيها فتنة السلطان المتمثلة في قصة ذي القرنين.

فمن نجا من هذه الفتن الأربع؛ نجَّاه الله بهذه السورة من الفتنة الكبرى ألا وهي فتنة المسيح الدجال؛ لأنه سيأتي بهذه الفتن الأربع ليفتن الناس بها.



قال: وقرأها أبو مجلز:

«وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا» قال: وهي قراءة أبي بن كعب ط[(١)].

قال أبو عبيد:

وسمعت في غير حديث شعبة: «وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين، وكان كافرًا»؛ فهذا تأويل قوله كما نزلت.

وفي أولها وآخرها الإشارة إلى القرآن الكريم، فقد ابتدأت بالقرآن وخُتمت بالقرآن، ففي أولها: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا» . وفي آخرها: «قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا» . وفي هذا أن العصمة من الفتن، تكون بهذا القرآن والتمسك به.

وفي ختام السورة: العصمة من الفتن جميعًا، سواء فتن الدنيا أو الآخرة، قال تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا» .

كما أن هذه السورة تقوي العزائم؛ ففيها عزيمة الفتية أصحاب الكهف، وعزيمة الرجل الصالح- الذي جادل صاحب الجنتين- على الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وعزيمة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على طلب العلم والرحلة فيه إلى مجمع البحرين، وعزيمة ذي القرنين في التمكين للتوحيد، والأخذ بالأسباب حتى بلغ مغرب الشمس ومطلعها، وفي السورة عجائب لا تنتهي.

(١) وروى البخاري ومسلم، عن سعيد بن جبير، أن ابن عباس م كان يقرأها: «وكان أَمَامَهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا». وكان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافرًا، وكان أبواه مؤمنين».

وفي التفسير لعبدالرزاق (١٦٩٩) قال قتادة: «وفي حرف ابن مسعود ط: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا، وأما الغلام فكان كافرًا».

وفي حرف أُبَيّ بن كعب ط: « وأما الغلام فكان كافرًا، وكان أبواه مؤمنين فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا».



٣٨٢ - وحدثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة

عن أم موسى، قالت:

كان الحسن أو الحسين بن علي ن يقرأ سورة الكهف كل ليلة، وكانت مكتوبة له في لوح، يدار بلوحه حيثما دار من نسائه في كل ليلة.

٣٨٣ - حدثنا حجاج، عن شعبة، عن قتادة، قال: سمعت سالم بن أبي الجعد، يحدث عن معدان

عن أبي الدرداء ط، قال: قال رسول الله ق:

«من قرأ العشر الأواخر من الكهف؛ عُصم من فتنة الدجال»(١).

---

(١) رواه بهذا اللفظ: النسائي في الكبرى، وأبو عوانة في المستخرج.

ورواه مسلم في صحيحه، عن أبي الدرداء بلفظ: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف؛ عُصم من الدجال». وفي رواية أخرى لمسلم، قال: «من آخر الكهف، عُصم من فتنة الدجال».

وأما الترمذي: فقد رواه عن أبي الدرداء ط أيضًا بلفظ: «من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف؛ عُصم من فتنة الدجال». وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

وهو كما قال، غير لفظة: «ثلاث» فإنها شاذة، والمحفوظ: عشر آيات، كما في جميع الروايات.

وأما الإمام أحمد: فقد رواه بالألفاظ الأربعة؛ فمرَّة يرويه بالعشر الأُوَل، ومرَّة يرويه بالعشر الأواخر، ومرَّة يرويه بالإطلاق هكذا: «من حفظ عشر آيات من سورة الكهف»، وكلهم عن أبي الدرداء ط. والمرة الرابعة جمع بينهما كما في حديث سهل بن معاذ، عن أبيه، عن رسول الله ق أنه قال: «من قرأ أول سورة الكهف وآخرها؛ كانت له نورًا من قدميه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نورًا من الأرض إلى السماء».

وهذه الروايات قد اختُلف فيها على قتادة؛ فهـمَّام يقول: (الأُوَل)، وشعبة يرويها (الأواخر)، وهذه الروايات على وجوها الستة صحيحة - عدا رواية الترمذي، ففيها شذوذ كما سبق- ومن ثَمَّ

=



اختلف العلماء في الترجيح بين هذه الروايات:

قال ابن القيم في جلاء الأفهام (١/ ٣٧٩): «ومن ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف؛ عصم من فتنة الدجال». رواه مسلم، واختلف فيه؛ فقال بعض الرواة: «من أول سورة الكهف»، وقال بعضهم: «من آخرها»، وكلاهما في الصحيح، لكن الترجيح لمن قال: «من أول سورة الكهف»؛ لأن في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان في قصة الدجال، قال: «فإذا رأيتموه؛ فاقرؤا عليه فواتح سورة الكهف». ولم يختلف في ذلك، وهذا يدلُّ على أن من روى العشر من أول السورة حَفِظَ الحديث، ومن روى: «من آخرها» لم يحفظه». اهـ

وعلَّق السندي في حاشيته على سنن ابن ماجه (١٢/ ٤٣٧) وذلك في قوله ﷺ: «فمن رآه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف». قال السندي: «أي: أوائلها، وقد جاء: من أواخرها؛ فالوجه الجمع بين الأول والآخر، والكلُّ أفضل». اهـ

أي: أن العصمة- إن شاء الله- حاصلةٌ لمن قرأ عشرًا من الكهف، سواء في أولها أو آخرها، أو أي عشرٍ كانت فيها؛ جمعًا بين الروايات.

وعند النظر نجد أن كلام ابن القيم صحيح من حيث الصنعة الحديثية، فإن أوثق أصحاب قتادة يروونه بالعشر الأُوَل، وكلام السندي وغيره ممن جمعوا بين الروايات صحيح من حيث المعنى، فإن في العشر آيات الأُوَل وكذلك الأواخر مناسبة لفتنة الدجال؛ وهذا من بركة القرآن.

فائدة: جاء في حديثٍ رواه أبو داود بسند صحيح، وأصله عند مسلم ما يُبيِّن المراد من الحفظ والعصمة المذكورين في الأحاديث، وهو قوله ﷺ: «فمن أدركه منكم- أي: الدجال- فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، فإنها جواركم من فتنته».

فائدة أخرى: ما الحكمة من كوننا أُمِرنا بالاستعاذة من الدَّجال في كل زمان، مع كونه سيخرج في آخر الزمان؟!

قال ابن تيمية في بغية المرتاد (٢/ ٣٢١): «ومعلوم أن موسى وعيسى هما الرسولان الكريمان صاحبا التوراة والإنجيل، وموسى أرسل إلى فرعون، وعلى يديه كان هلاكه. والدجال ينزل الله إليه عيسى ابن مريم فيقتله؛ فيقتل مسيحُ الهدى- الذي قيل: إنه الله- مسيحَ الضلالة الذي يزعم أنه الله، ولما كانت دعواه الربوبية ممتنعة في نفسها لم يكن ما معه من الخوارق حجة لصدقه، بل =



٣٨٤ – حدثنا يزيد، عن همام، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة

عن أبي الدرداء ط، عن النبي ق قال:

«من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، ثم أدرك الدجال لم يضره، ومن حفظ خواتيم سورة الكهف؛ كانت له نورًا يوم القيامة»[1].

٣٨٥ – حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي

عن عبدة بن أبي لبابة، قال:

سمعت زِر بن حُبيش، يقول: «من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل قامها».

قال: قال عبدة: فجربناه[2]، فوجدناه كذلك.

كانت محنة وفتنة؛ يضل الله بها من يشاء ويهدي من يشاء كالعجل وغيره، لكنه أعظم فتنة، وفتنته لا تختص بالموجودين في زمانه، بل حقيقة فتنته: الباطل المخالف للشريعة المقرون بالخوارق؛ فمن أقرَّ بما يخالف الشريعة لخارق؛ فقد أصابه نوع من هذه الفتنة، وهذا كثير في كل زمان ومكان، لكن هذا المعيَّن فتنة أعظم الفتن، فإذا عصم الله عبده منها سواء أدركه أو لم يدركه؛ كان معصومًا مما هو دون هذه الفتنة، فكثير يدَّعون أو يدعى لهم الإلهية بنوع من الخوارق دون هذه». اهـ

قلت: وهذا كلام جيد! ويدخل في هذا جميع الفتن العامة التي تفتن الناس، وأعظمها في عصرنا: فتنة الخوارج والمرجئة، بل هم أتباع المسيح الدَّجال على الحقيقة – كما في الحديث الذي رواه النسائي.

(١) رواه بهذا السِّياق الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٥).

(٢) وفي لفظ: «فامتحناه».

وقال ابن كثير(١):

وقد جربناه أيضًا في السرايا غير مرة، فأقوم في الساعة التي أريد. قال: وأبتدئ من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾، إلى آخرها [الكهف:١٠٧](٢).

(١) هو: محمد بن كثير بن أبي عطاء الثقفي المصيصي، المذكور في السند.

(٢) جاء هذا المعنى في حديثٍ مرفوعٍ، رواه الديلمي عن عبدالرحمن بن هشام المخزومي، قال: حدثنا أبي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﵂ مرفوعًا: «ألا أخبركم بسورة ملأت عظمتُها ما بين السماء والأرض، ولقارئها من الأجر مثل ذلك، ومن قرأها غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام؟ قالوا: بلى! قال: سورة الكهف».

وأورده السيوطي في الجامع من رواية ابن مردويه عنها بزيادة: «ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه؛ بعثه الله أي الليل شاء». اهـ

وهذا إسناد ضعيف؛ فإن هشامًا المخزومي -وهو هشام بن عبدالله بن عكرمة المخزومي- ضعيف الحديث، وقد قال فيه ابن حبان: «يروي عن هشام بن عروة ما لا أصل له من حديثه؛ كأنه هشام آخر! لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد». اهـ

وكذلك ابنه عبدالرحمن لم أجد له ترجمة.

وقال ابن الضُّريس في فضائل القرآن (١/ ٩٦): «أخبرنا يزيد بن عبدالعزيز الطيالسي، حدثنا إسماعيل ابن عياش، عن إسماعيل بن رافع، قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم بسورة ملأ عظمتها ما بين السماء والأرض، شيعها سبعون ألف ملك؛ سورة الكهف، من قرأها يوم الجمعة غفر الله له بها إلى الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام بعدها، وأعطي نورًا يبلغ إلى السماء، ووقي من فتنة الدجال، ومن قرأ الخمس آيات من خاتمتها حين يأخذ مضجعه من فراشه؛ حفظه وبعث من أي الليل شاء». اهـ

وهو مرسلٌ ضعيف؛ فإن إسماعيل بن رافع الأنصاري: ليس بشي، متروك الحديث -كما قال النسائي، والدارقطني وغيرهما. وقال فيه أبو حاتم: الضعيف، منكر الحديث.

=

٣٨٦ – حدثنا حجاج، عن المسعودي، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، قال:

قال عبدالله ط:

«إن بني إسرائيل والكهف ومريم وطه من تِلادي وهن من العِتاق الأُوَل».

قال أبو عبيد:

وكان شعبة يخالفه في الإسناد، يحدثه عن أبي إسحاق، عن عبدالرحمن بن يزيد، عن عبدالله[(١)].

قال ابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ٣٠٢): «... وجاء من حديث ابن عمر م بلفظ: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين». أخرجه ابن مردويه في تفسيره من طريق محمد بن خالد الختلي، وجاء ذكر مغفرة ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام من حديث عائشة ك ولفظه: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه؛ بعثه الله أي الليل شاء». أخرجه ابن مردويه في تفسيره بسندٍ ضعيفٍ». اهـ

وعلى هذا فالمرفوع في هذا الباب ضعيف لا يثبت، أما الآثار فهي صحيحة مقبولة، منها:

ما رواه أبو عبيد هنا عن زر بن حبيش، ووافقه الدارمي في سننه على ذلك سندًا ومتنًا.

ويشهد له ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٢٩٢)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٢٤٤): «أن الحسن بن علي م كان إذا أوى إلى فراشه بالليل أتى بلوح منقوش فيه سورة الكهف؛ فيقرؤها». اهـ

وقول عبدة، وابن كثير: «فجربناه، فوجدناه كذلك»، أمرٌ مجرَّبٌ ومشاهَد، حتى قال الألوسي في تفسيره روح المعاني (٨/ ١٩٠):«وقد جربتُ ذلك مرارًا؛ فليحفظ، والله تعالى الموفق». اهـ

(١) والصواب في الإسناد ما قاله شعبة، وقد خرَّج روايته البخاري في صحيحه (٤٧٠٨).



قال أبو عبيد:

قوله: «من تلادي»، يعني: من قديم ما أخذت من القرآن، وذلك أن هذه السور نزلت بمكة.

٣٨٧ - حدثنا أحمد بن يونس، عن فضيل بن عياض، عن هشام، عن عطاء العطار

عن شهر بن حوشب، قال:

«يُرفع القرآن عن أهل الجنة، إلا طه ويس»[1].

---

(١) جاء هذا المعنى في حديثٍ مرفوع؛ ذكره السيوطي في الدُّر المنثور، وعزاه لابن مردويه عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «كل قرآن يرفع عن أهل الجنة؛ فلا يقرءون منه شيئًا، إلا طه ويس؛ فإنهم يقرءون بهما في الجنة».

ورواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٠) عن شهر بن حوشب، قال: «ترفع قراءة القرآن عن أهل الجنة، غير طه ويس».

وتفسير ابن مردويه ليس بين أيدينا الآن، حتى نتمكن من نقد السند المرفوع، وشهر بن حوشب من التابعين، وفيه كلام معروف، لكن قد قال فيه أبو الحسن الفاسي: «لم أسمع لمُضعفه حجة». ووثقه الإمام أحمد وحسَّن حديثه. وكذلك البخاري حسَّن حديثه وقوَّى أمره. وكذلك يحيى بن معين وغيرهم. وما قاله شهرٌ هنا لا مجال فيه للرأي، ولم أجد مَن خالفه في هذا من أهل طبقته، وعليه فاحتمال التوقيف فيه قوي. وإنما الآفة من عطاء العطار، الراوي عن شهر بن حوشب، فلم يوثقه غير العجلي وباقي العلماء على أنه ضعيف ذاهب الحديث.

وروى أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ١٣٦) عن يحيى بن أبي كثير، قال: «بلغني أن القرآن يرفع يوم القيامة، غير سورة يوسف ومريم؛ يتكلم بها أهل الجنة». اهـ

=





ومما تجدر الإشارة إليه هنا، التنبيه على أن معنى (طه): «يا رجل»؛ كما فسَّره به عامة السلف، وهو مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعطاء، ومحمد بن كعب، وأبي مالك، وعطية العوفي، والحسن، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن أبزى.

وزاد بعضهم، فقال: «هو قَسَمٌ». وقيل: «اسم من أسماء الله تعالى».

قال الطبري في تفسيره (١٦/ ٧): «والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه: قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عكٍّ فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل. فإذا كان ذلك معروفًا فيهم على ما ذكرنا، فالواجب أن يوجه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة ن والتابعين». اهـ

وعليه؛ فهي ليست حروفًا معجمة لا معنى لها، كما هو مذهب المتأخرين، وليست من أسماء النبي ق كما هو مذهب عوام الناس.



باب: فضل سورة الحج[١]، وسورة النور

٣٨٨ – حدثنا هشيم، قال: أخبرنا منصور، عن ابن سيرين، عن ابن عمر

عن عمر ط أنه سجد في الحج سجدتين، وقال: «إن هـذه الـسورة فُضِّلت على السور بسجدتين»[٢].

٣٨٩ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن شيبان بن عبدالرحمن

عن نُبيه بن صؤاب[٣]، قال:

صليت مع عمر بن الخطاب ط بالجابية صلاة الصبح، فقرأ بسورة

---

(١) قال محمد بن يوسف الغزنوي المقرئ: «هذه السورة من أعاجيب السور: نزلت ليلًا ونهـارًا، سفرًا وحضرًا، مكيًّا ومدنيًّا، سلميًّا وحربيًّا، ناسخًا ومنسوخًا، محكمًا ومتشابهًا؛ مختلف العدد». نقله عنه صاحب الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١).

(٢) ذكر ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١١) بابًا سماه: «من قال: في الحج سـجدتان، وكـان يـسجد فيها مرتين»، منهم: أبو الدرداء، وابن عباس، وعلي، وعبدالله بن عمرو ن.

وفيه عن أبي العالية، قال: «في الحج سجدتان مباركتان طيبتان».

وروى الحاكم في المستدرك عن أبي موسى ط: «أنه سجد في سورة الحج سجدتين».

وفي فضائل القرآن للمستغفري (٢/ ٥٧٣) عن زر، قال: «سجد عمر وعثمان في الحج سجدتين».

(٣) هو: نبيه بن صؤاب المهري، روى له ابن سعد في الطبقات عـن يزيـد بـن أبي حبيـب، قـال: «حدثني من سمع نبيه بن صواب المهري، وكان من أصحاب النبي ق». وترجم لـه البخـاري في الكبير (٨/ ٢٠). وابن حبان في الثقات (٣/ ٩٥). وذكره الدارقطني في أسماء التابعين.



الحجِّ، فسجد فيها سجدتين، ثم قال:

«إن هذه السورة فُضِّلت على السور بسجدتين».

٣٩٠ – حدثنا مروان بن معاوية، عن عاصم بن سليمان، عن أبي العالية

عن ابن عباس ﭫ، قال: «إن هذه السورة فُضِّلت بسجدتين».

٣٩١ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن عامر بن جشيب

عن خالد بن معدان، قال: قال رسول الله ﷺ:

«فُضِّلت سورة الحج على غيرها بسجدتين»(١).

٣٩٢ – حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن أبي عشانة

عن عقبة بن عامر ﭬ، قال:

قلت: يا رسول الله! أفي الحج سجدتان؟

قال: «نعم، فمن لم يسجدهما، فلا يقرأهما»(٢).

(١) رواه أبو داود في المراسيل، وقال: «قد أُسند هذا، ولا يصح». بينما رواه في سننه عن عقبة بن عامر ﭬ، وسكت عنه، وما سكت عنه فهو صالح.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وقال: «هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي. واختلف أهل العلم في هذا: فروي عن عمر بن الخطاب، وابن عمر أنهما قالا: فُضلت سورة الحج بأن فيها =



سجدتين، وبه يقول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق. ورأى بعضهم فيها سجدة؛ وهو قول سفيان الثوري ومالك وأهل الكوفة». اهـ

وسبب تضعيف هذا الحديث أن مداره على ابن لهيعة المصري، وفي حفظه مقال، لكن قد روى عنه هذا الحديث عبدالله بن وهب في جامعه، وكذلك رواه عنه عبدالله بن يزيد المقرئ، كما في مسند أحمد، ومن المتقرر عند بعض أهل العلم أن رواية هذين عن ابن لهيعة مقبولة، وابن لهيعة إذا روى عنه متثبّت، وليس في حديثه ما ينكر؛ فحديثه حسن.

وعليه؛ فالحديث حسن بطرقه وشواهده، لاسيما والآثار عن الصحابة ﭫ والتابعين تدلُّ عليه.

قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢١١) بعدما ذكر كلام الترمذي المتقدم: «وفي هذا نظر؛ فإن ابن لهيعة قد صرَّح فيه بالسَّماع، وأكثر ما نقموا عليه تدليسه». اهـ

وقوله ﷺ: «فمن لم يسجدهما، فلا يقرأهما». لا يراد به ظاهره، إنما هو توبيخ وزجر، ونقل ابن عبدالبر عن الإمام أحمد، أي: لا يقرأهما إلا وهو طاهر- وسيأتي.

وليس معناه: وجوب السجدة، بل أجمع العلماء على أن سجود التلاوة على الاستحباب في الصلاة وخارجها.

وفي مسائل عبدالله للإمام أحمد (١/ ١٠٣) قال: «كل سجدة يقرؤها في صلاة تطوع أو فريضة، فهو أوكد أن يسجد في الصلاة. قلت: فإن قرأ ترى له أن يسجد؟ قال: كان ابن الزبير يقول: إن كان في صلاة ثم لم يسجد، يعني: لم يبال أن لا يسجد. قال: قلت: السجود تراه واجبًا؟ فقال أبي: ما كان في الصلاة، فأحب إليَّ أن يسجد؛ لأنه أوكد، وفي الحج سجدتان، ومن قرأها ولم يكن في صلاة فلم يسجد، فلا بأس إن شاء الله». اهـ

وكذلك قال في مسائل الكوسج، ووافقه عليها إسحاق بن راهويه (٢/ ٧٤١).

ونقل ابن عبدالبر في التمهيد (١٩/ ١٣٣) عن الأثرم أنه قال: «سمعت أحمد بن حنبل يُسأل: عن الرجل يقرأ السجدة في الصلاة، فلا يسجد؟ فقال: جائز أن لا يسجد، وإن كنا نستحب أن يسجد، فإن شاء سجد، واحتج بحديث عمر: «ليست علينا إلا أن نشاء». قيل له: فإن هؤلاء يشددون- يعني: أصحاب أبي حنيفة- فنفض يده، وأنكر ذلك». اهـ

وحدثنا ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن أبي مصعب مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر، عن النبي ق مثل ذلك.

٣٩٣ - حدثنا أبو معاوية، عن عاصم، عن أبي العالية

عن ابن عباس م، قال:

«قد كان قوم يركعون ويسجدون في الأخيرة كما أمروا».

٣٩٤ - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن نافع

عن ابن عمر م، قال:

«لو كنت تاركًا إحداهما؛ لتركت الأولى»[1].

---

(١) رواه عبدالرزاق في مصنفه عن نافع: «أن عمر، وابن عمر كانا يسجدان في الحج سجدتين». قال: «وقال ابن عمر: لو سجدت فيها واحدة، لكانت السجدة الآخرة أحبّ إليَّ». قال: «وقال ابن عمر: إن هذه السورة فُضلت بسجدتين». اهـ

وقول ابن عباس م: «قد كان قوم يركعون ويسجدون في الأخيرة كما أمروا»؛ لأن السجدة الأخيرة، هي قوله تعالى: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

ومن العلماء من يرى أنها سجدة واحدة وأنها الأولى، وهي قوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ». قال ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٢): «من قال: هي واحدة، وهي الأولى. ثم روى عن سعيد بن المسيب، والحسن، قالا: في الحج سجدة واحدة، الأولى منهما. وكذلك قال إبراهيم النخعي. وعن ابن عباس م وسعيد بن جبير، قالا: في الحج سجدة واحدة».

وعن أبي معن، قال: «قلت لجابر بن زيد: رجل سجد في الحج سجدتين؟ قال: لا يسجد إلا واحدة».

=

٣٩٥ - حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن عبدالعزيز بن مسلم، عن حصين

عن أبي عطية، قال:

كتب إلينا عمر ط أن: «علموا نساءكم سورة النور».

٣٩٦ - حدثنا عبدالرحمن، عن أبي عوانة، عن إبراهيم بن المهاجر، عن صفية بنت شيبة

عن عائشة ك:

أنها ذكرت نساء الأنصار[1]، ....

والصحيح بلا شك أن سورة الحج بها سجدتان ثابتتان، وهو المعمول به في المصاحف الآن، لما رواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم بإسناد حسن عن عمرو بن العاص ط قال: «أقرأني رسول الله ق خمس عشرة سجدة في القرآن، منها ثلاث في المفصل، وفي سورة الحج سجدتان».

ويكفي في ذلك ما رواه ابن أبي شيبة عن أبي إسحاق السبيعي التابعي الكبير، قال: «أدركت الناس منذ سبعين سنة يسجدون في الحج سجدتين».

وفي مسائل عبدالله للإمام أحمد (١/ ١٠٢) قال: «سألت أبي عن سجود التلاوة كم هو؟ قال: خمس عشرة، وفي الحج سجدتين، فتلك خمس عشرة». اهـ

ونقل ابن عبدالبر في الاستذكار (٢/ ٥٠٦) عن الأثرم، قال: «سمعت أحمد بن حنبل يُسأل: كم في الحج من سجدة؟ فقال: سجدتان. قيل له: حديث عقبة بن عامر ط، عن النبي ق: «في الحج سجدتان»؟ قال: نعم، رواه ابن لهيعة عن مشرح عن عقبة عن النبي ق: «في الحج سجدتان، ومن لم يسجدهما، فلا يقرأهما». يريد: فلا يقرأهما إلا وهو طاهر». اهـ

(١) رواه هكذا أحمد وأبو داود. وفي المصادر الأخرى التي ذكرت هذا الأثر أنها أثنت بهذا الثناء على نساء المهاجرات، فقالت: «يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل لمّا أنزل الله...».

=



وأثنت عليهن خيرًا[١]، وقالت لهن معروفًا، وقالت: «لما نزلت سورة النور[٢] عمدن إلى حجز أو حجوز مناطقهن[٣]؛ فشققنها فجعلن منها خُمُرًا».

٣٩٧ - حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش

عن أبي وائل، قال:

استعمل عليٌّ بن أبي طالب ط عبدَالله بن عباس م على الموسم، فخطب خطبة، لو سمعتها الدَّيْلم لأسلمت[٤]، ثم قرأ عليهم سورة النور.

ولا مانع أن تكون أثنت عليهن معًا بهذا الأمر، كما في مشكل الآثار للطحاوي (١١٢٩)، حيث قالت: «رحمة الله على نساء المهاجرات والأنصار...». ثم ذكرته.

أما بخصوص نساء الأنصار، فقد أثنت عليهن عائشة ك كما في صحيحي البخاري ومسلم بقولها: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين».

(١) وفي مشكل الآثار (١١٢٩) قالت: «ما كان أشد تفقههن في دينهن، وأحرصهن على آخرتهن».

(٢) تعني: قوله تعالى: «وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ». الآية.

(٣) هو: موضع شد الإزار. ومناطقهن: جمع نطاق، يقال: منطق ونطاق بمعنى واحد، كما يقال: مئزر وإزار، وهو أن تلبس المرأة ثوبها ثم تشد وسطها بشيء، وترفع وسط ثوبها، وترسله على الأسفل، لئلا تعثر في ذيلها. لسان العرب (١٠/ ٣٥٥).

(٤) الديلم: جيل من العجم، كانوا يسكنون نواحي أذربيجان. المعجم الوسيط (١/ ٢٩٤).

وفي تخصيص الديلم بالذكر هنا نكتة لطيفة، ذكرها الرافعي في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٣٠) فقال: «ذكر أصحاب التواريخ منهم (مؤلف كتاب البلدان: الكياشيرويه الديلمي، المعروف بابن =



٣٩٨ - حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن الأعمش

عن أبي وائل، قال:

قرأ ابن عباس سورة النـور[١]، وجعـل يفـسرها، فقـال رجـل: لـو سمعت الدَّيْلم[٢] هذا؛ لأسلمت.



الفقيه)، و(أبو الفرج الكاتب): «أن أحوال الديلم لم تزل مذبذبة، لم تكـن لهـم شريعـة محـصلة ولا طاعة مستقرة، وقد نقضوا وغدروا ورجعوا إلى الكفر غير مرة، وجيل الديلم مـشهورون بالقـسوة وغلظ الطبع والذهاب بالنفس، والتأني عن الطاعة والانقياد، وبهم يضرب المثل في ذلك... ثم ذكر شيئًا من أخبارهم». اهـ

(١) وفي تفسير الطبري (١/ ٧٥) بالسند المذكور أنه قـرأ سـورة البقـرة، فجعـل يفـسرها، فقـال رجل:... وذكره.

(٢) وفي تفسير الطبري (١/ ٧٤): «لو سمعها الترك والروم؛ لأسلموا».

قلت: وذلك ببركة دعاء النبي ﷺ له بالحكمة والفقه في الدين ومعرفة التأويل:

فقد روى البخاري في صحيحه (٣٧٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ضمني النبي ﷺ إلى صدره، وقال: اللهم علمه الحكمة».

وروى عبدالله بن أحمد في زوائد فضائل الصحابة (١٨٧٦) عن مجاهد، قـال: «كـان ابـن عبـاس رضي الله عنهما إذا فسر الشيء رأيت عليه نورًا».

وفيه (١٨٤١) عن ابن أبي مليكة، قال: «كان إذا أخذ ابـن عبـاس رضي الله عنهما في الحـلال والحـرام أخـذ الناس معه، وإذا أخذ في القرآن لم يتعلق الناس منه بشيء». اهـ



باب: فضل تنزيل السجدة[١]، ويس

٣٩٩ - حدثنا يزيد، عن حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود

عن المسيب بن رافع، قال: قال رسول الله ﷺ:

«تجيء «الٓمٓ - تَنزِيلُ» السجدة يوم القيامة لها جناحان تُظِلُّ صاحبها، تقول: لا سبيل عليك، لا سبيل عليك»[٢].

---

(١) وهي المعروفة في المصاحف بسورة السجدة. وهذا هو أشهر أسمائها، وتسمى أيضًا: «الم تنزيل»، و«الم تنزيل السجدة»، و«المنقسمة»، و«المنجية»، وكل هذا قد دلَّت عليه الآثار:

ففي مصنف عبدالرزاق عن عطاء: «أن رجلين فيما مضى كان يلزم أحدهما «تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ»، فجادلت عنه حتى نجا، وأما صاحب السجدة الصغرى؛ فانقسمت في قبره قسمين: قسم عند رأسه، وقسم عند رجليه حتى نجا، فسميت المنقسمة».

وفي سنن الدارمي عن خالد بن معدان، قال: «اقرؤا المنجية، وهي: «الٓمٓ - تَنزِيلُ»؛ فإنه بلغني أن رجلًا كان يقرؤها ما يقرأ شيئًا غيرها، وكان كثير الخطايا، فنشرت جناحها عليه، وقالت: ربِّ اغفر له! فإنه كان يكثر قراءتي، فشفَّعها الربُّ فيه، وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة، وارفعوا له درجة».

(٢) رواه ابن الضُّريس في فضائل القرآن، وزاد فيه: «ومدَّ حمادٌ يديه، وجعل يحركهما». وإسناده صحيح إلى المسيب بن رافع.

وتقدَّم التنبيه إلى أن النصوص التي فيها نسبة المجيء إلى القرآن أو بعض سوره، لا تدل على أنه مخلوق - كما فهمته الجهمية - ولكن المقصود: يجيء ثواب عمله؛ كما هو إجماع السَّلف.



٤٠٠ – حدثني علي بن معبد، عن عبيدالله بن عمرو، عن ليث بن أبي سليم، عن فلان

عن ابن عمر م:

أنه كان يقول في: «الٓمٓ - تَنزِيلُ» السجدة، و«تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ»، قال: «فيهما ستين درجة على غيرهما من سور القرآن»[١].

٤٠١ – حدثنا أبو النضر[٢]

عن أبي خيثمة[٣]، قال:

قلت لأبي الزبير[٤]: أسمعت جابر بن عبدالله م يذكر أن رسول الله ق كان لا ينام حتى يقرأ: «الٓمٓ - تَنزِيلُ» السجدة، و«تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ

---

(١) لم أجده بهذا السياق عن ابن عمر م، وكذلك الراوي عنه مجهول. بيد أن ابن الضُّريس قد رواه في فضائله (١/ ١٠٧) عن ليث بن أبي سليم، عن محمد بن جابر، عن جابر بن عبدالله م، قال: «كان رسول الله ق يقرأ: تنزيل السجدة وتبارك كل ليلة». قال: وحدثني طاوس: «أنهما كانا يفضلان كل سورة من القرآن ستين حسنة». ورجاله ثقات غير ليث بن أبي سليم، ففيه كلام مشهور.

وكذلك رواه الترمذي في سننه، عن ليث، عن طاوس، قال: «تفضلان على كل سورة في القرآن بسبعين حسنة». وقال الترمذي: «هذا حديث رواه غير واحد عن ليث بن أبي سليم مثل هذا».

(٢) هو: هاشم بن القاسم، أبو النضر الليثي البغدادي، تقدمت ترجمته.

(٣) هو: زهير بن معاوية، الثقة المأمون، صاحب السُّنة والاتباع.

(٤) هو: محمد بن مسلم بن تدرس القرشي، مولى حكيم بن حزام.



ﭐلۡمُلۡكُ»؟ فقال: ليس جابر حدثنيه، ولكن حدثنيه صفوان[١] أو ابن صفوان. شك أبو خيثمة[٢].

٤٠٢ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن المخول بن راشد، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس م، قال:

كان رسول الله ق يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: @الٓمٓ – تَنزِيلُ !، و@هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ ![٣].

٤٠٣ – حدثنا أحمد بن يونس، عن فضيل، عن هشام، عن عطاء العطار

عن شهر بن حوشب، قال:

«يرفع القرآن عن أهل الجنة، إلا طه ويس»[٤].

---

(١) هو: صفوان بن عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف، كانت تحته الدرداء بنت أبي الدرداء.

(٢) رواه أحمد، والدارمي، والترمذي، ثلاثتهم عن ليث، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: «كان رسول الله ق لا ينام حتى يقرأ...». وذكره.

أما رواية أبي النضر، عن أبي خيثمة المذكورة أعلاه؛ فقد رواها البيهقي في الدعوات الكبير.

وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣٠٩) عن حمدان بن علي الوراق، قال: «قلت لأبي عبدالله: حديث زهير عن أبي الزبير: «كان النبي ق لا ينام حتى يقرأ السجدة وتبارك»؟ قال: حسبك بزهير! إذا جاءك بالشيء، هو وقفه، وإنما ذاك ليث رواه». اهـ

(٣) رواه أحمد، ومسلم، وأصحاب السنن عن ابن عباس م. ورواه البخاري عن أبي هريرة ط.

(٤) تقدَّم التعليق عليه برقم: (٣٨٧).

٤٠٤ - وحُدثت[١] عن عبدالله بن المبارك، عن التيمي

عن أبي عثمان- وليس بالنهدي[٢]- عن أبيه، عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله ق: «اقرؤها على موتاكم».

يعني: (يس)[٣].

---

(١) رواه أحمد في مسنده بالسند ذاته، فقال: «حدثنا عارم، حدثنا عبدالله بن المبارك، حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان...». ومرَّة رواه عن علي بن إسحاق، وعتاب كلاهما عن ابن المبارك.

(٢) كل من ترجم له يقول: «ليس بالنهدي»، حتى لا يشتبه بأبي عثمان النهدي، الثقة الثبت المعروف، ولأن سليمان بن طرخان التيمي يروي عن أبي عثمان النهدي.

وأبو عثمان هذا قيل: اسمه سعد. قال علي ابن المديني: «لم يرو عنه غير التيمي، وهو إسناد مجهول». وقال أبو عبيد الآجري عن أبي داود: هو ابن عثمان السكني، وذكره البخاري في التاريخ الكبير، وقال: «ليس بالنهدي، يروي عن أبيه». وقال غيره: «لا يعرف هو ولا أبوه».

انظر: تهذيب الكمال (٧٥٠٦).

(٣) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي. ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده مباشرة عن ابن المبارك.

فائدة:

قوله: «اقرؤا على موتاكم يس». أي: من حضرته المنية، وهو في سياقة الموت عند الاحتضار، وليس من مات ودخل قبره، كما يفهمه العامة، ولذا نراهم يخالفون السُّنة بالذهاب إلى المقابر ومعهم المصاحف؛ ليقرؤا (يس) على موتاهم، واتخاذ المصاحف عند القبر بدعة.

وههنا أثرٌ حسنٌ، ذكره الإمام أحمد في المسند (٢٨/ ١٧١/ ١٦٩٦٩) قال: «حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثني المشيخة: أنهم حضروا غُضيف بن الحارث الثُّمالي حين اشتد سَوْقُه، فقال: هل منكم أحد يقرأ (يس)؟ قال: فقرأها صالح بن شريح السكوني، فلما بلغ أربعين منها قُبض، قال: فكان المشيخة يقولون: إذا قرئت عند الميت؛ خُفف عنه. بها قال صفوان، وقرأها عيسى بن المعتمر عند ابن معبد». اهـ

=



فهذا غضيف بن الحارث ط- وهو من أصحاب النبي ق - يأمر أصحابه أن يقرأوا عنده سورة (يس) وهو في سياقة الموت تخفيفًا عليه، وتبعه في ذلك علماء الشام ممن أدركوه، ولم يُعلم أن أحدًا خالفهم أو أنكر عليهم ذلك!

وفي المعرفة والتاريخ (١/ ١٧٩) قال عبدالرحمن بن مهدي: «لما كان اليوم الذي مات فيه سفيان الثوري، ذهبت لأخرج لصلاة العصر. فقال: تدعني على هذه الحال وتخرج؟! قال: فصليت عند رأسه، فقال لي: اقرأ عليَّ (يس)، فإنه يُقال: تخفف عن المريض. قال: فقرأت عليه، فما فرغت حتى طفئ- أي: مات-». اهـ

وقال ابن تيمية في الاختيارات (١/ ٤٤٧): «والقراءة على الميت بعد موته بدعة، بخلاف القراءة على المحتضر، فإنها تستحب بـ (يس)». اهـ

وقال ابن القيم في الروح (١/ ١١): «إن عمل الناس وعادتهم قديمًا وحديثًا، يقرءون (يس) عند المحتضر. وقال: لها خاصية عجيبة في قراءتها عند المحتضر». اهـ

هذا، وقد رُوي في فضل قراءة سورة (يس) العديد من الأحاديث والآثار، أحسنها:

ما رواه الدارمي في سننه عن ابن عباس م، قال: «من قرأ (يس) حين يصبح؛ أُعطيّ يُسر يومه حتى يمسي، ومن قرأها في صدر ليلة؛ أُعطيَ يُسر ليلته حتى يصبح».

وروى ابن الضُّريس في فضائل القرآن (١/ ١٠١) عن يحيى بن أبي كثير، قال: «من قرأ (يس) إذا أصبح؛ لم يزل في فرح حتى يمسي، ومن قرأها إذا أمسى؛ لم يزل في فرح حتى يصبح. قال: وأخبرنا من جرَّب ذلك، قال: هي قلب القرآن». اهـ

وروى ابن الضُّريس، عن جعفر، قال: «قرأ سعيد بن جبير على رجل مجنون سورة (يس) فبرئ».

وروى ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (١/ ٣١) عن معاوية بن نفيل العجلي، قال: «كنت عند عنبسة بن سعيد- قاضي الريّ- فدخل عليه ثعلبة بن سهيل، فقال له عنبسة: ما أعجب ما رأيت؟! قال: كنت أضع شرابًا في البيت، فإذا جاء السَّحر جئت فلم أجد منه شيئًا، فوضعت شرابًا وقرأت عليه (يس) فلما كان السَّحر جئته، فرأيته على حاله، وإذا الشيطان أعمى يدور حول البيت». اهـ

وفي شعب الإيمان عن أبي قلابة، قال: «من قرأ (يس)؛ غفر له، ومن قرأها وهو جائع شبع، ومن قرأها وهو ضال هُدي، ومن قرأها وله ضالة وجدها، ومن قرأها على طعام خاف قلته كفاه، ومن
=



قرأها عند ميت هون عليه، ومن قرأها عند امرأة يخشى عليها ولدها يسر عليها، ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن أحد عشر مرة، ولكل شيء قلب، وقلب القرآن يس».

ثم قال البيهقي: «هذا نُقل إلينا بهذا الإسناد من قول أبي قلابة، وكان من كبار التابعين، ولا يقوله إن صح ذلك عنه إلا بلاغًا». اهـ

وأما ما جاء في فضلها من الأحاديث المرفوعة، فلا يخلو من مقال.

وفي المنتخب من علل الخلال (١/ ٥٧) ذُكر للإمام أحمد حديث: «لكل شيء قلب، وقلب القرآن يس»؛ قال: «هذا كلام موضوع». اهـ

وبهذه المناسبة ننبه على خطأ فاحش وقع في تفسيرِ آيةٍ من سورة (يس)؛ فقد قال السعدي في تفسيره المسمى بتيسير الكريم الرحمن (ص٦٩٥/ نسخة الرسالة): «قال الله متوجعًا للعباد!: «يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ». أي: ما أعظم شقاءهم، وأطول عناءهم، وأشد جهلهم، حيث كانوا بهذه الصفة القبيحة، التي هي سبب لكل شقاء وعذاب ونكال». اهـ

ولا نعلم أحدًا من السَّلف نسب صفة التوجع لله عَزَّوَجَلَّ!

وأما تأويل الآية، فقد قال الطبري في تفسيره (٢٠/ ٥١١): «يقول تعالى ذكره: يا حسرةً من العباد على أنفسها وتندّمًا وتلهفًا في استهزائهم برسل الله. ثم قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، فعن قتادة في قوله: «يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ»، أي: يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضَيَّعت من أمر الله، وفرّطت في جنب الله. قال: وفي بعض القراءات: «يَاحَسْرَةَ العِبَادِ عَلى أَنْفُسِهَا». وعن مجاهد، في قوله: «يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ»، قال: كان حسرة عليهم استهزاؤهم بالرسل. وعن ابن عباس ﭬ، قوله: «يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ»، يقول: يا ويلًا للعباد. وكان بعض أهل العربية يقول: معنى ذلك: يا لها حسرةً على العباد». اهـ

وقال البغوي في تفسيره (٧/ ١٦): «قوله: «يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ»، قال عكرمة: يعني: يا حسرتهم على أنفسهم! والحسرة: شدة الندامة، وفيه قولان:

أحدهما: يقول الله تعالى: يا حسرة وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة، حين لم يؤمنوا بالرسل.

والآخر: أنه من قول الهالكين؛ قال أبو العالية: لما عاينوا العذاب، قالوا: يا حسرة، أي: ندامة على العباد، يعني: على الرسل الثلاثة- الذين أرسلوا لأصحاب القرية- حيث لم يؤمنوا بهم، فتمنوا =





الإيمان حين لم ينفعهم. قال الأزهري: الحسرة لا تُدعى، ودعاؤها تنبيه المخاطبين. وقيل: العرب تقول: يا حسرتي! ويا عجبًا! على طريق المبالغة، والنداء عندهم بمعنى التنبيه، فكأنه يقول: أيها العجب هذا وقتك؟ وأيتها الحسرة هذا أوانك؟ وحقيقة المعنى: أن هذا زمان الحسرة والتعجب. ثم بيَّن سبب الحسرة والندامة، فقال: «مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ». اهـ

- على أني رأيت نشرةً أخرى لتفسير السعدي، ذكرها بلفظ: «قال الله مترحمًا للعباد!».

وما ذكره السَّلف في تفسيرها هو المتعيّن، والأخذ به دون غيره هو الأولى.



باب: فضل آل حم[١]

٤٠٥ – حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الجراح بن الجراح

عن ابن عباس ﭭ، قال:

«إن لكل شيء لُبابًا، وإن لُباب القرآن: آل حم، أو قال: الحواميم»[٢].

---

(١) آل حم: سبع سور، وهن: غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف.

وقد عدّها بعضهم ثماني سور، على أن سورة الزمر واحدةٌ منهن، مع أنها لم تبدأ بـ (حم)، وإنما بدأت (بتنزيل الكتاب) كما بدأن، فكان ذلك قرينة على أنها واحدة منهن، ولكن الآثار على أنهن سبع سور.

وهذه السور بينها ارتباط عميق حتى كأنهن سورة واحدة في نظمها وفي مضمونها. فهي جميعها مكية النزول، وجاءت آياتها كلها في مواجهة المشركين والمبتدعين بشركهم وضلالهم وبدعهم، وتكذيبهم لرسول الله ﷺ، وشكهم في البعث، وفي لقاء ربهم؛ فوقفت لهم هذه السور بالمرصاد في كل طريق، ودخلت على شبهاتهم وحججهم من كل باب، فلم تدع خاطرة تدور في رؤوسهم إلا كشفت لهم عنها، وأرتهم تهافتها وضلالها، ثم نصبت لهم معالم الهدى، وأوضحت لهم منارات الطريق، ودعتهم إلى أخذ الصراط المستقيم الموصل إلى الله، وإلا فالنار موعدهم- وسيأتي وصف الصحابة لهن.

(٢) هذا أمرٌ نسبيٌّ؛ فعبدالله بن عباس ﭭ هنا جعل اللُّباب: الحواميم. وغيره من الصحابة يرى اللُّباب غيرها، فقد روى ابن أبي شيبة، والدارمي في سننه عن ابن مسعود ﭬ قال: «إن لكل شيء سنامًا، وإن سنام القرآن: سورة البقرة، وإن لكل شيء لُبابًا، وإن لباب القرآن: المُفَصَّل».

قال الدارمي: اللباب: الخالص». اهـ



٤٠٦ - حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق

عن المهلب بن أبي صُفْرة، قال:

حدثني من[١] سمع النبي ق يقول: «إن بُيِّتُّم الليلة؛ فقولوا: حم، لا ينصرون»[٢].

قال أبو عبيد:

هكذا يقول المُحَدِّثون بالنون، وإعرابها: لا ينصروا[٣].

---

(١) هو: البراء بن عازب م كما في الروايات الأخرى، عند الحاكم في المستدرك وغيره.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي. ورواه النسائي في سننه الكبرى (١٠٣٧٩) وفيه: «قال وهو يخاف أن تُبَيِّتَهُ الحرورية: «إن رسول الله ق حفر الخندق وهو يخاف أن يبيته أبو سفيان، فقال: إن بُيِّتم، فإن دعواكم: حم، لا يُنصرون».

وتبييت العدو: هو أن يُقصد في الليل من غير أن يعلم، فيؤخذ بغتة.

فائدة:

قال إبراهيم الحربي في غريب الحديث (١/ ١٤٩): «كان للنبي ق شعار في بعض مغازيه: يا منصور! أَمِتْ، وفي يوم آخر: يا كُلَّ خير، وكان شعاره يوم أحد: يا أصحاب سورة البقرة! وحم، لا ينصرون، وأَمِتْ أَمِتْ، وكان شعار أبي بكر وخالد بن الوليد: أَمِتْ أَمِتْ، وشعار مُصعب والمهلب: حم، لا ينصرون. وقال: وجعل النبي ق شعار المهاجرين: يا بني عبدالرحمن! وشعار الخزرج: يا بني عبدالله! وشعار الأوس: يا بني عبيدالله!». اهـ

(٣) قال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ٩٥): «فكأن المعنى: اللهم! لا يُنصرون؛ فيكون دعاء ويكون جزاء. والمُحَدِّثون يقولون بالنون، وأما في الإعراب فبغير نون: لا يُنصَروا. و(حم) اسم من أسماء الله تعالى». اهـ

=



٤٠٧ – حدثنا الأشجعي، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال:

قال عبدالله ط: «آل حم: دِيباج القرآن»[١].

٤٠٨ – حدثنا حجاج، عن المسعودي، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، قال:

قال عبدالله ط:

«إذا وقعت في آل حم؛ وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن»[٢].

وقال ابن كثير في التفسير (٧/ ١٢٧): «واختار أبو عبيد أن يروى: «فقولوا: حم؛ لا ينصروا». أي: إن قلتم ذلك؛ لا ينصروا، جعله جزاء لقوله: فقولوا». اهـ

وقال الخطابي في غريبه (١/ ٦٥٣): «يذهب كثير من الناس في معناه إلى أنه دعاء، وأرى أبا عبيد قد أشار إلى نحوٍ من هذا، وبلغني عن ابن كيسان أنه سأل عنه أبا العباس أحمد بن يحيى – ثعلب – فقال: هو إخبار معناه: والله لا ينصرون، ولو كان دعاء لكان مجزومًا. وقال أهل التفسير: حم: اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، فكأنه حلف باسم من أسماء الله، أنهم لا ينصرون».

(١) الدِّيباج: ضرب من الثياب المنقوش المزين، انظر المحكم لابن سيده (٧/ ٣٤٧).

والمراد بعبدالله هنا: عبدالله بن عباس م، وفي الأثر الذي بعده: عبدالله بن مسعود ط.

(٢) وأورد البغوي في تفسيره (٤/ ٣٠) عن عبدالله بن مسعود ط قال: «إن مثل القرآن، كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلًا، فمرَّ بأثر غيث، فبينا هو يسير فيه ويتعجب منه، إذ هبط على روضات دمثات، فقال: عجبت من الغيث الأول، فهذا أعجب وأعجب! فقيل له: إن مثل الغيث الأول، مثل عُظْم القرآن، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات، مثل (آل حم) في القرآن». اهـ

وقال أبو عبيد في الغريب (٤/ ٩٤) في شرحه لكلام ابن مسعود ط: «إنها البقاع التي تكون فيها صنوف النبات من رياحين البادية وغير ذلك، ويكون فيها أنواع النَّور والزهر، فشبه حسنهن بآل حم. وقوله: أتأنق فيهن، يعني: أتتبّع محاسنهن، ومنه قيل: منظر أَنِيق؛ إذا كان حسنًا معجبًا». اهـ

وفي لسان العرب: الدّمث: مكان لين ذو رمل.

=

٤٠٩ – حدثنا الأشجعي

عن مسعر بن كدام، عمن حدثه قال:

مَرَّ رجل بأبي الدرداء  وهو يبني مسجدًا له، فقال له: «أبني هذا المسجد لآل حم».

وقال مسعر: بلغني أنهن كن يسمين العرائس[(١)].

٤١٠ – حدثنا حجاج، عن أبي معشر

عن محمد بن قيس، قال:

«رأى رجل في المنام سبع نسوة حسان في مكان واحد، فقال: من أنتن بارك الله فيكن؟ فقلن: إننا لك إن شئت ذلك، نحن الحواميم، أو قال: آل حم»[(٢)].

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٤٦) عن محمد بن واسع، قال: «القرآن بستان العارفين، فأينما حلوا منه؛ حلوا في نزهة».

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، والدارمي في سننه، قالا: «حدثنا جعفر بن عون، عن مسعر، عن سعد بن إبراهيم، قال: كن الحواميم يُسمين: العرائس». وذكره كذلك محمد بن نصر في مختصر قيام الليل، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣١) ونسبه لسعد بن إبراهيم.

هذا وقد وجدت هذه التسمية منسوبة لعليٍّ ط في الأمالي الخميسية للشجري (٥٦٣).

(٢) وروى ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (١/ ٣٢٤) عن هرم بن حيان، قال: «قمت من الليل، فقرأت ثلاثًا من الحواميم، ثم غُلبت فنمت، فإذا أنا في منامي بجوار أربع، قد وقفن عليَّ =



٤١١ - حدثنا أبو نوح، عن مهدي بن ميمون

عن ابن سيرين:

أنه كان يكره أن يقول: الحواميم، ويقول: آل حم[١].

قال أبو عبيد:

آل حم؛ كما تقول: هؤلاء آل فلان، كأنك أضفتهم إليه[٢].



مزينات، فقلن: يا هرم بن حيان! ما كنت خليقًا أن تُفَرِّق بيننا وبين أخواتنا، قلت: ومن أنتن؟! قلن: نحن الأربع البواقي من الحواميم، اللواتي لم تقرأنا، قال: فاستيقظت فزعًا». اهـ

وفيه عن محمد بن كعب: «أن رجلًا رأى في المنام سبع جوار مزينات، فقال: ما أحسنكن! لمن أنتن؟ فقلن: إن شئت، فنحن لك؛ فاقرأنا، قلت: ومن أنتن؟! قلن: نحن الحواميم». اهـ

(١) ووجه الكراهة هنا أنها ليست من كلام العرب، قال الحريري في درة الغواص (١/ ١٥): «يقولون: قرأت الحواميم، والطواسين. والصواب: قرأت آل حم، وآل طس». اهـ

وقال ابن خالويه في كتاب (ليس): «الحواميم: ليس من كلام العرب، إنما هو من كلام الصبيان، تقول: تعلَّمنا الحواميم». اهـ

وقال أبو عبيدة: «الحواميم: سور في القرآن على غير قياس، والأولى أن تجمع على ذوات حم».

(٢) ذكره أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ٩٣) ونسبه للفراء، قال: «قال الفراء: قوله: (آل حم) إنما هو كقولك: آل فلان، وآل فلان؛ كأنه نسب السورة كلها إلى حم. قال الفراء: وأما قول العامة: الحواميم، فليس من كلام العرب». اهـ



باب: فضل سورة الواقعة، والمُسبِّحات[(١)]

٤١٢ - حدثنا جرير، عن منصور، عن هلال بن يساف

عن مسروق بن الأجدع، قال:

«من أراد أن يعلم نبأ الأولين، ونبأ الآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ الدنيا، ونبأ الآخرة؛ فليقرأ سورة الواقعة».

٤١٣ - حدثنا عمرو بن طارق، عن السَّري بن يحيى، عن أبي شجاع[(٢)]، عن أبي ظبية

عن عبدالله بن مسعود ط، قال:

«إني قد أمرت بناتي أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة، فإني سمعت رسول الله ق يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة؛ لم تصبه فاقة»[(٣)].

---

(١) المسبِّحات: سبع سور، وهي التي تُفتتح بـ (سَبَّح) أو (يُسَبِّح) أو (سبِّح)، وهن: الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى، ويمكن على هذا إلحاق سورة الإسراء بهن، باعتبار أنها بدأت بتسبيح الله في قوله: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا»، ويشهد لذلك أن النبي ق كان يقرأ سورة الإسراء قبل أن ينام، شأنها شأن المسبِّحات.

(٢) قال ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٨٧): «كذا قال، والصواب: عن شجاع، كما رواه عبدالله بن وهب، عن السري».

(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة، والبيهقي في شعب الإيمان.

=



٤١٤ – حدثنا حسان بن عبدالله، عن السري بن يحيى

عن سليمان التيمي، قال:

قالت عائشة ك للنساء: «لا تعجز إحداكن أن تقرأ سورة الواقعة».

٤١٥ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن بحير بن سعد الكلاعي

عن خالد بن معدان، قال:

كان رسول الله ق لا ينام حتى يقرأ المسبحات، ويقول:

«إن فيها آية كألف آية»(١).

وفي المنتخب من علل الخلال لابن قدامة (١/ ١١٦) قال أحمد: «هذا حديث منكر. وقال: السري بن يحيى: ثبت، ثقة ثقة، وشجاع الذي روى عنه السري: لا أعرفه، وأبو ظبية هذا لا أعرفه، والحديث منكر». اهـ

وقد ذكر ابن عبدالبر قصة هذا الأثر في التمهيد، ولم يتعقبها بشيء، فقال (٥/ ٢٦٩): «عن أبي ظبية أن عثمان بن عفان ط دخل على ابن مسعود ط في مرضه الذي قُبض فيه، فقال له عثمان: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أدعو لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا نأمر لك بعطائك؟ قال: حبسته عني في حياتي، فلا حاجة لي به عند موتي، قال له عثمان: لكن يكون لبناتك، قال: أتخشى على بناتي الفاقة! إني لأرجو أن لا تصيبهم فاقة أبدًا، إني قد أمرت بناتي بقراءة الواقعة كل ليلة، فإني سمعت رسول الله ق يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة؛ لم تصبه فاقة أبدًا»». اهـ

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والدارمي، والترمذي، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

=



٤١٦ – حدثنا ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن عبدالله بن هبيرة السبائي

عن أبي تميم، قال:

قال رسول الله ق: «إني نسيت أفضل المسبحات». فقال أبي بن كعب ط: فلعلها: @سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى! [الأعلى:١]. قال: «نعم»[(١)].



ورواه النسائي، وقال: «قال معاوية- أحد الرواة-: إن بعض أهل العلم كانوا يجعلون المسبِّحات ستًا: سورة الحديد والحشر والحواريين- أي: سورة الصف- وسورة الجمعة والتغابن، وسبح اسم ربك الأعلى». اهـ

وتقدم إلحاق سورة الإسراء بالمسبِّحات.

وقوله: «إن فيها آية كألف آية». وفي رواية: «إن فيهن آية هي أفضل من ألف آية».

قال ابن الضُّريس في فضائل القرآن (١/ ١٠٤): قال يحيى بن أبي كثير: «فنُراها الآية التي في آخر سورة الحشر». اهـ

وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٥): «الآية المشار إليها في الحديث هي- والله أعلم- قوله تعالى: «هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ». اهـ

- والأحسن أن تُترك دون التماس، حتى يجتهد القارئ في قراءة الجميع.

وروى ابن الضُّريس في فضائل القرآن (١/ ١٠٣) عن الحسن، قال: «من قرأ خواتيم الحشر حين يصبح، ثم مات من يومه خُتم له بطابع الشهداء، ومن قرأها حين يمسي، ثم مات من ليلته خُتم له بطابع الشهداء». وهذا الأثر في حكم المرسل.

(١) يشهد لذلك: كثرة قراءة النبي ق لها في كثير من المواضع؛ كالوتر والجمعة والعيدين وصلاة الظهر والعصر، وأيضًا قبل النوم؛ لأنها من المسبِّحات. حتى ذُكر عن النبي ق أنه كان يُحِبُّ هذه السورة.



باب: فضل: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾

٤١٧ - حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي سنان الشيباني، عن عمرو بن مرة، عن مرة بن شراحيل، وكان يسمى: مرة الطيب[(١)]

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال:

«إن الميت إذا مات أوقدت نيران حوله، فتأكل كل نار ما يليها إن لم يكن له عمل يحول بينه وبينها، وإن رجلاً مات لم يكن يقرأ من القرآن إلا سورة ثلاثين آية. فأتته[(٢)] من قبل رأسه، فقالت: إنه كان يقرأ بي. فأتته من قبل رجليه، فقالت: إنه كان يقوم بي. فأتته من قبل جوفه، فقالت: إنه كان وعاني؛ قال: فأنجته».

قال: فنظرت أنا ومسروق في المصحف، فلم نجد سورة ثلاثين آية إلا تبارك[(٣)].

---

(١) هو المعروف بمُرَّة الطيب، ومُرَّة الخير، لُقب بذلك؛ لعبادته.

(٢) أي: النيران.

وقوله: «فقالت...»، أي: تلك السورة.

(٣) بل هناك سورة تشاركها في نفس العدد، وهي سورة (السجدة) فهي ثلاثون آية مثل تبارك، وقد مرَّ بنا أن النبي ﷺ لم يكن ينام حتى يقرأ بهما جميعًا.



وحدثنا يزيد، عن شريك، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن عبدالله، نحو ذلك.

٤١٨ – حدثنا حجاج، عن شعبة، عن قتادة، قال: سمعت عباسًا الجشمي، يحدث

عن أبي هريرة ط، قال: قال رسول الله ق:

«إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: @تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ! [الملك:١]»[1].



(١) رواه أحمد، وأهل السنن. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

وفي هذا الحديث دليلٌ على أن: «بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ »، ليست آية من كل سورة، بل هي آية مستقلة؛ لأنها ثلاثون آية بدونها.

وروى النسائي واللفظ له، والحاكم، وقال: «صحيح الإسناد عن عبدالله بن مسعود ط». قال: «من قرأ: «تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ» كل ليلة منعه الله عَزَّوَجَلَّ بها من عذاب القبر».

قال: «وكنا في عهد رسول الله ق نسميها: (المانعة)، وإنها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ سورة من قرأ بها في ليلة؛ فقد أكثر وأطاب».



باب: فضل: @إِذَا زُلْزِلَتِ ! @وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ !

٤١٩ – حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن عياش بن عياش القِتْبَاني، عن عيسى بن هلال الصَّدَفي

عن عبدالله بن عمرو م، قال:

جاء رجل إلى النبي ق فقال: يا رسول الله! أقرئني شيئًا من القرآن. فقال له رسول الله ق: «أقرئك من ذوات @الٓر !؟» فقال: يا رسول الله! إني قد كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني. فقال له رسول الله ق: «اقرأ من المسبحات». فقال الرجل مثل مقالته الأولى، وقال: يا رسول الله! أقرئني سورة فاذة جامعة(١). قال: فقرأ: @إِذَا زُلْزِلَتِ ! [الزلزلة:١] **حتى فرغ من آخرها، فأدبر الرجل، وهو يقول: والذي بعثك بالحقِّ لا أزيد**

---

(١) هي: سورة الزلزلة، وقد قال الله تعالى في آخرها: «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ – وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ق قال: «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، ولرجل وِزر... فسئل عن الحمر الأهلية– أي: هل فيها زكاة؟– فقال: ما أنزل عليَّ فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ».

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣) عن كعب الأحبار، قال: «في القرآن فيما أنزل على محمد ق آيتان أحصتا ما في التوراة والإنجيل؛ ألا تجدون: «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ – وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ». قال جلساؤه: نعم، قال: فإنهما أحصتا ما في التوراة والإنجيل».

=



عليها أبدًا. ثلاثاً، فقال رسول الله ق: «أفلح الرويجل». مرتين[(١)].

٤٢٠ – حدثنا يزيد، عن يمان بن المغيرة، عن عطاء بن أبي رباح

عن ابن عباس م، عن النبي ق قال: «@إِذَا زُلْزِلَتِ !؛ تعدل نصف القرآن».

٤٢١ – حدثنا معاذ بن معاذ، عن هشام بن حسان

عن بكر بن عبدالله المزني، قال: «كانت @إِذَا زُلْزِلَتِ !؛ تعدل نصف القرآن».

٤٢٢ – وحدثنا يزيد، عن أبي نُصيرة مسلم بن عبيد

عن الحسن، قال: قال رسول الله ق:

«@إِذَا زُلْزِلَتِ ! تعدل نصف القرآن، @وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ! تعدل نصف القرآن».

وروى ابن أبي الدنيا في الرِّقة والبكاء، عن عبدالله بن عمرو م قال: أنزلت: «إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا» وأبو بكر قاعد يبكي، فقال له رسول الله ق: ما يبكيك يا أبا بكر؟! قال: يبكيني هذه السورة، فقال: لولا أنكم تخطئون وتذنبون، فيغفر لكم، لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون، فيغفر لهم».

وروى ابن المبارك في الزهد، وأحمد في المسند، وابن سعد في الطبقات عن صعصعة بن معاوية عمِّ الفرزدق أنه أتى النبي ق فقرأ عليه: «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ – وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ». فقال: حسبي، لا أبالي ألا أسمع غيرها».

(١) رواه أبو داود، والنسائي مختصرًا، ورواه أحمد مطولًا. وفي جميعها يأمره النبي ق أن يقرأ من ذوات (الر)، وذوات (حم)، والمسبِّحات، فيثقل عليه، فقرأ سورة الزلزلة.



باب: فضل: @قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ! [(١)]

٤٢٣ - حدثنا أبو النضر، عن زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق

عن فروة بن نوفل، عن أبيه ط، قال: أتيت رسول الله ق، فقال: «مجيءٌ ما جاء بك». قال: قلت: جئت لتعلمني كلمات أقولهن عند منامي. فقال: «اقرأ @قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ! [الكافرون:١] ثم نم على خاتمتها؛ فإنها براءة من الشِّرك»[(٢)].

---

(١) وهي التي تسمى في المصاحف سورة: «الكافرون». ولها أسماء أخرى تدل على فضلها فمنها:

- المقشقشة: لأنها تقشقش الشرك؛ أي تبرئ صاحبها منه.

- وتسمى: سورة الإخلاص والعبادة؛ لما فيها من نفي الشرك في العبادة.

- وتسمى: سورة الدِّين؛ لتضمنها التوحيد العملي، وأساسه البراءة من الشِّرك والمشركين ظاهرًا وباطنًا.

وقد افتتحها الله بقوله: «قُلۡ»، وذلك للاهتمام بها بعد القول، وأنه كلامٌ مقصودٌ يُراد إبلاغه إلى الناس بوجهٍ خاصٍ. والسور المفتتحة بـ «قُلۡ» خمس سور، وهي: سورة الجنّ، وسورة الكافرون، وسورة الإخلاص، والمعوّذتان، فالثلاث الأُوَل لقولٍ يبلّغه، والمعوّذتان لقول يقوله تعويذًا لنفسه.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي.

وروى سعيد بن منصور، عن عبدالرحمن بن نوفل الأشجعي، عن أبيه، قال: «قلت: يا رسول الله! إني حديث عهد بشرك، فمرني بأمر يبرئني من الشرك، قال: اقرأ: «قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ». قال: فما أخطأها أبي من يوم ولا ليلة، حتى فارق الدنيا».

=



٤٢٤ – حدثنا هشيم، ويزيد، كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد، عن هلال بن يساف

عن أبي مسعود الأنصاري ط، قال:

«من قرأ: @قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ! في ليلة فقد أكثر وأطاب»[1].

٤٢٥ – قال حدثنا يزيد، عن يمان بن المغيرة، عن عطاء

عن ابن عباس م، عن النبي ق قال:

«@قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ! تُعْدل بربع القرآن»[2].

٤٢٦ – حدثنا معاذ، عن هشام بن حسان

عن بكر بن عبدالله، قال:

«كانت: @قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ !، تُعدل بربع القرآن»[3].

وروى أحمد، والدارمي، عن مهاجر أبي الحسن، عن شيخ أدرك النبي ق قال: «خرجت مع النبي ق في سفر، فمرَّ برجل يقرأ: «قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ »، قال: أما هذا؛ فقد برئ من الشرك، قال: وإذا آخرٌ يقرأ: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ »، فقال النبي ق: بها وجبت له الجنة».

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وابن الضُّريس في الفضائل بلفظ: «فقد أكثر وأطيب».

(٢) رواه الترمذي، وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة». اهـ ويمان هذا ضعيف الحديث.

ورواه الحاكم في المستدرك من طريق أخرى عن ابن عمر، وفيه جعفر بن ميسرة، منكر الحديث.

(٣) وفيها أَمْرُ الله للعبد أن يُصرِّح للمشركين بتكفيرهم وندائهم باسم الكافرين، ثم إخبارهم أنه لا يعبد ما يعبدونَ ويبرأ منهم ومن معبوداتهم، ثم إخبارهم أنهم وإن عبدوا الله، فالله برئ منهم =

ومن عبادتهم؛ لما أشركوا معه غيره، ثم تكرار ذلك عليهم؛ ليشمل الماضي والحاضر والمستقبل، ثم إخبارهم بالفصل التام بين دين التوحيد الذي هو عليه، ودين الشِّرك الذي هم عليه، فهي سورة البراءة حقًّا، ومن لم يستطع الجهر بها وبمعناها؛ وجبت عليه الهجرة.

وفي هذه الآية فائدةٌ في باب الأمر والنهي؛ وهي أن الرجل إذا رأى منكرًا، أو سمع قولًا منكرًا، فأنكره، فلم يقبلوا منه؛ فإنه لا يجب عليه أكثر من ذلك، وإنما عليه أن يفارقهم وأن يحفظ مذهبه وطريقته، ويتركهم على مذهبهم وطريقتهم.

ومن عجائب آخر الزمان! أن الآية الآخيرة منها، وهي قوله تعالى: « لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ»، ومثلها قوله تعالى: «فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ »، قد استعملها الناس اليوم في إقرار دين المشركين، عكس مراد الله منها!

قال ابن القيم في بدائع الفوائد (١/ ١٤١): «وأما المسألة الحادية عشرة: وهي أن هذا الإخبار بأن لهم دينهم وله دينه، هل هو إقرارٌ فيكون منسوخًا أو مخصوصًا أو لا نسخ في الآية ولا تخصيص؟ فهذه مسألة شريفة من أهم المسائل المذكورة، وقد غلط في هذه السورة خلائق، وظنوا أنها منسوخة بآية السيف؛ لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم! وظن آخرون أنها مخصوصة بمن يقرون على دينهم وهم أهل الكتاب! وكلا القولين غلطٌ محض، فلا نسخ في هذه السورة ولا تخصيص، بل هي محكمةٌ، عمومها نصٌ محفوظٌ، وهي من السُّور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها؛ فإن أحكام التوحيد التي اتفقت عليه دعوة الرسل، يستحيل دخول النسخ فيها، وهذه السورة أخلصت التوحيد، ولهذا تسمى سورة الإخلاص.

ومنشأ الغلط: ظنهم أن الآية اقتضت إقرارهم على دينهم، ثم رأوا أن هذا الإقرار زال بالسيف، فقالوا: منسوخ. وقالت طائفة: زال عن بعض الكفار، وهم من لا كتاب لهم، فقالوا: هذا مخصوص! ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضت تقريرًا لهم، أو إقرارًا على دينهم أبدًا، بل لم يزل رسول الله ﷺ في أول الأمر وأشده عليه وعلى أصحابه أشد على الإنكار عليهم وعيب دينهم وتقبيحه والنهي عنه والتهديد والوعيد كل وقتٍ وفي كل نادٍ، وقد سألوه أن يكف عن ذكر آلهتهم وعيب دينهم ويتركونه وشأنه، فأبى إلا مُضيًّا على الإنكار عليهم وعيب دينهم، فكيف يقال: إن الآية اقتضت تقريره لهم! معاذ الله من هذا الزعم الباطل، وإنما الآية اقتضت البراءة المحضة- كما تقدم-
=





وأن ما هم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبدًا؛ فإنه دينٌ باطل، فهو مختص بكم لا نـشركُكم فيـه، ولا أنتم تشركوننا في ديننا الحق؛ فهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم، فـأين الإقـرار، حتى يُدعى النسخ أو التخصيص؟! أفترى إذا جوهدوا بالسيف، كما جوهدوا بالحجـة لا يـصح أن يقال: «لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ»؟! بل هذه آيةٌ قائمةٌ محكمةٌ ثابتةٌ بين المؤمنين والكافرين، إلى أن يظهر الله منهم عباده وبلاده، وكذلك حكم هذه البراءة بين أتباع الرسول ﷺ أهل سنته، وبـين أهـل البـدع المخالفين لما جاء به، الداعين إلى غير سنته، إذا قال لهم خلفاء الرسول ﷺ وورثته: لكم دينكم ولنا ديننا، لا يقتضي هذا إقرارهم على بدعتهم، بل يقولون لهم هذه؛ براءة منها- ومنهم- وهم مع هـذا منتصبون للردِّ عليهم ولجهادهم بحسب الإمكان». اهـ

فانظر! كيف ساوى ابن القيم في هذه الآية بين الكافرين وبين أهل البدع، في تحقيق البراءة التامـة منهم، وأنه لا سبيل للتقارب معهم، ما داموا على بدعتهم؛ قال تعالى: «فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ».

وفي ذم الكلام للهروي، عن عاصم بن عصمة، قال: «كنت عند أبي سليمان الجوزجـاني، فجـاءه كتاب أحمد بن حنبل؛ ذكر فيه: لو تركتَ رواية كتب أبي حنيفة؛ أتيناك فسمعنا كتب عبدالله- يعني: ابن المبارك». اهـ

باب: فضل: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

٤٢٧ - حدثنا يحيى بن بكير، عن مالك بن أنس، عن عبيدالله بن عبدالرحمن، عن عُبيد بن حُنين مولى آل زيد بن الخطاب، قال:

سمعت أبا هريرة رضي الله عنه، يقول:

أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص].

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت»، فسألته ماذا يا رسول الله؟ قال: «الجنة». قال أبو هريرة رضي الله عنه: فأردت أن أذهب إلى الرجل، فأبشره، ثم فَرِقتُ أن يفوتني الغداء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فآثرت الغداء معه، ثم ذهبت إلى الرجل، فوجدته قد ذهب[1].

---

(١) رواه مالك، وأحمد، والترمذي، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

وهذه السورة لها من الخصائص والفضائل ما لا يكاد يُحصى، كيف لا وهي صفة الرحمن، قال ابن رجب في التفسير من مجموع رسائله (٢/ ٦٥٤): «أما فضائلها فكثيرة جدًا؛ منها: أنها نِسبة الله عَزَّوَجَلَّ، ومنها: أنها صفة الرحمن، ومنها: أن حبَّها يوجب محبة الله، ومنها: أن حبَّها يوجب دخول الجنة، ومنها: أنها تعدل ثلث القرآن، ومنها: أن قراءتها تكفي من الشر وتمنعه، ومنها: أن الدعاء بها مستجاب». ثم ذكر من الأحاديث والآثار ما يدل على هذه الفضائل.

ومعنى: «نِسبة الله»، أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك؟ أي: بيِّنه لنا، ما هو؟ وما نَسَبُه؟ فنزلت هذه السورة.

=



٤٢٨ - حدثنا إسحاق بن عيسى، عن مالك بن أنس، عن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة، عن أبيه

عن أبي سعيد الخدري ط:

أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي جارًا يقوم الليل فما يقرأ إلا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾! كأنه يقللها. فقال رسول الله ق: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن»[1].

روى ابن أبي حاتم في التفسير، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن ابن عباس م: «أن اليهود جاءت إلى النبي ق، فيهم كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب؛ فقالوا: يا محمد! صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ - ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ - لَمْ يَلِدْ»؛ فيخرج منه الولد، «وَلَمْ يُولَدْ»، فيخرج من شيء، «وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ» - ولا شَبَهٌ -. فقال: هذه صفة ربي تبارك وتعالى، وتقدس عُلوًّا كبيرًا».

وروى أحمد، والترمذي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب ط: «أن المشركين قالوا للنبي ق: يا محمد! انسب لنا ربك، فأنزل الله: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ - ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ».

قال الربيع بن أنس: «فالصمد الذي «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ»؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيُورث، وإن الله تعالى لا يموت ولا يُورث، «وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ». قال: ولم يكن له شبيه ولا عِدْل، وليس كمثله شيء». اهـ

وقد جمع أبو محمد الحسن الخلال جزءًا في فضائلها سماه: «من فضائل سورة الإخلاص، وما لقارئها».

(١) رواه مالك، وأحمد، والبخاري.

وقال ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة (١/ ٨٤): «الرجل القارئ للسورة التي كان يتقالها هو: قتادة بن النعمان الظَفَري». اهـ

=



وما قاله ابن بشكوال قد جاء مصرحًا به في رواية أحمد في المسند، عن أبي سعيد الخدري ط قال: «بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ» فذكر ذلك للنبي ق ...». الحديث.

وقال إسحاق الكوسج في مسائله (٣٢٦٤): «قلت لأحمد: حديث النبي ق: «من قرأ: قل هو الله أحد؛ فكأنما قرأ ثلث القرآن؟!»، فلم يقم لي على أمرٍ بيِّنٍ.

قال إسحاق بن راهويه: إنما معنى ذلك أن جعل الله عَزَّوَجَلَّ لكلامه فضلًا على سائر الكلام، ثم فضَّل بعض كلامه على بعض، فجعل لبعضه ثوابًا أضعاف ما جعل لغيره من كلامه. فـ«قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ» إنما تعدل ثلث القرآن، أي: لتحريض النبي ق أمته على تعليمها وكثرة قراءتها، وليس معناه: أنه لو قرأ القرآن من أوله إلى آخره، أن قراءة ثلاث مرات: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ» تعدل ذلك! لا، ولو قرأ أكثر من مئتي مرة. وكذلك قراءة سائر السور فضّل بعضها على بعض، وجعل ثواب بعضها أكثر من ثواب بعض، ولكن فيما وصف رسول الله ق بيان أن كل قراءة قدر هذه السور التي فضلت وبُيِّنَ ثوابها، لا يعدلها شيء من القرآن إذا كان كقدره». اهـ

وفي هذه المسألة لم يُجِبْ الإمام أحمد لكونه- والله أعلم- لم يجد فيها سنة أو أثرًا في تفسيرها، فكره الكلام فيها بالرأي. وكلام إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد يكون صوابًا، وقد يكون اجتهد في المعنى وأخطأه.

ولهذا قال ابن عبدالبر في الاستذكار (٢/ ٥١٢): «إن السكوت في هذه المسألة، وما كان مثلها؛ أفضل من الكلام فيها وأسلم». اهـ

وهذا صحيح، لكن أيضًا لابد من اعتقاد أصل المسألة، وهو: تفاضل بعض السور على بعض، وبعض الآيات على بعض؛ كما قال إسحاق هنا، وهو قول أهل السُّنة والجماعة، وقد دلَّت الأدلة الكثيرة على ذلك، خلافًا للأشعرية والسالمية الذين يعتقدون أن كلام الله واحد لا تفاضل فيه، وأن التفاضل يتضمن النقص في المفضول منها!

وكون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ فهذا في الأجر والثواب والجزاء لا في الإجزاء، ويبقى من قرأ ثلث القرآن له أجر آخر زائد على ذلك، فلا يلزم من معادلة الشيء للشيء أن يكون قائمًا مقامه من كل وجه، مثال ذلك ما جاء في مسائل إسحاق الكوسج (١٥٠٣) قال: «قلت: من قال: عمرة في رمضان تعدل حجة، أثبت هو؟ قال أحمد بن حنبل: بلى، هو ثبت. قال إسحاق بن راهويه: ثبت كما قال، ومعناه: أن يكتب له كأجر حجة، ولا يلحق بالحاج أبدًا». اهـ

=



٤٢٩ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن أبي قيس، عن عمرو بن ميمون

عن أبي مسعود الأنصاري ط، عن النبي ق قال:

«أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ الله الواحد الصمد»[١].

وحدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن النبي ق مثل ذلك.

٤٣٠ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء، عن أبي إسحاق

عن أبي مسعود، أو ابن مسعود ط، عن النبي ق قال:

«أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قل هو الله أحد».

وحدثنا أبو النضر، عن شيبان، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود، مثل ذلك، ولم يرفعه.

٤٣١ – حدثنا حجاج، عن شعبة، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن الربيع بن خثيم، عن عمرو بن ميمون، عن امرأة

عن أبي أيوب الأنصاري ط، عن النبي ق قال:

والمعنى: أنه يكتب له أجر حجة، ولا يجزي ذلك عن حجة الإسلام.

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وقال: «وفي الباب عن أبي الدرداء، وأبي سعيد، وقتادة بن النعمان، وأبي هريرة، وأنس، وابن عمر، وأبي مسعود. ثم قال: هذا حديث حسن». اهـ

وأما قوله: «الله الواحد الصمد». هكذا، ولعله على التفسير والمعنى، لا على التلاوة.

وفي رواية أحمد في المسند، قال: «اقرأ: قل هو الله أحد». وقيل: هذه قراءة ابن مسعود ط.



«قل هو الله أحد: ثلث القرآن»[١].

وحدثنا يزيد، عن يمان بن المغيرة، عن عطاء، عن ابن عباس م، عن النبي ق مثل ذلك.

٤٣٢ – حدثنا هُشيم، قال: أخبرنا حُصين، عن هلال بن يساف، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى

عن أُبي بن كعب ط، أو رجل من الأنصار، عن النبي ق قال: «من قرأ: @قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ !؛ فكأنما قرأ ثلث القرآن»[٢].

وحدثنا يزيد، عن زكريا، عن الشعبي، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بن كعب ط، مثل ذلك ولم يرفعه.

٤٣٣ – حدثنا أبو أيوب الدمشقي، عن محمد بن نمران، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة

عن أبي الدرداء ط، قال:

جزَّأ رسول الله ق القرآن ثلاثة أجزاء، فقال: «@قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ! جزء منها»[٣].

---

(١) رواه الدارمي، والترمذي، عن عمرو بن ميمون، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن امرأة أبي أيوب، عن أبي أيوب ط. وقال: «هذا حديث حسن».

(٢) رواه أحمد، والنسائي.

(٣) رواه أحمد، ومسلم، والدارمي بلفظ: «إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء».



٤٣٤ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، وقد أسنده بإسناد لا أحفظه[(١)]

عن الربيع بن خثيم، قال:

«سورة يراها الناس قصيرة، وأراها طويلة، وثناء بَحْتٌ[(٢)] لا يخلطه شيء، «الله الواحد الصمد»، إلى آخرها».

---

(١) في فضائل القرآن لابن الضُّريس (١/ ١١٤) قال: «أخبرنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى– المنذر بن يعلى الثوري– عن الربيع بن خثيم قال:...». وذكره.

(٢) هذه الكلمة مشكلة في الأصل، وما أثبتناه هو أقرب شيء لرسم المخطوط.

وفي بعض النسخ المنشورة من هذا الكتاب هكذا: «ربنا يحب ألا يخالطه شيء»، أو «ربنا يحث ألا يخالطه شيء».

وعند البحث عن هذا الأثر في مظانه وجدته عند أبي نعيم في الحلية (٢/ ١٠٧) عن سعيد بن مسروق، عن منذر الثوري، قال: «قال الربيع: سورة يراها الناس قصيرة، وأنا أراها طويلة عظيمة، الله تعالى منحنا، ليس لها خليط، فأيكم قرأها فلا يجمعن إليها شيئًا استقلالًا، وليعلم أنها مجزئة». يعني: سورة الإخلاص.

ورواه ابن الضُّريس في الفضائل (١/ ١١٤) عن الربيع بن خثيم، قال: «سورة من كتاب الله، يراها الناس قصيرة، وأراها عظيمة طويلة، بَحْتًا لله بَحْتًا، ليس لها خلط، فأيكم قرأها فلا يجمعن إليها شيئًا استقلالًا لها؛ فإنها مجزئة».

والبَحْتُ: هو الخالص الذي لا يخالطه شيء.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٧٧) بلفظ: «سورة من كتاب الله، يراها الناس قصيرة، وأراها عظيمة طويلة، يحب الله مُحبّها، ليس لها خلط، فأيكم قرأها فلا يجمعن إليها شيئًا استقلالًا بها؛ فإنها تجزئه». وعزاه لابن الضُّريس في فضائل القرآن.



٤٣٥ – حدثنا علي بن عابس، عن العلاء بن المسيب، عن أبيه

عن ابن مسعود **ط**، قال:

«إذا ابتدأت بسورة فأردت أن تحول منها إلى غيرها فَتَحَوَّل، إلا @قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ !، فلا تَحَوَّل منها حتى تختمها».





باب: فضل المعوذتين وما جاء فيهما

٤٣٦ – حدثنا سعيد بن أبي مريم، عن محمد بن جعفر بن أبي كثير، عن زيد بن أسلم

عن معاذ بن عبدالله بن خبيب، عن أبيه ط، قال:

كنت مع رسول الله ق في طريق مكة، ومعه أصحابه، فوقعت علينا ضبابة من الليل، حتى سترت بعض القوم عن بعض، فلما أصبحنا قال رسول الله ق: «قل يا ابن خبيب»، فقلت: ما أقول يا رسول الله؟ فقال: @قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ! [الفلق:١] فقرأها، وقرأتها، ثم قال: @قُلۡ ! فقلت: ما أقول؟ فقال: @قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ! [الناس:١] وقرأها، وقرأتها حتى فرغ منها، ثم قال: «ما استعاذ، أو استعان أحد بمثل هاتين السورتين قط»[1].

---

(١) رواه البغوي في معجم الصحابة، قال: «حدثنا أبو موسى هارون بن عبدالله البزاز، حدثنا محمد بن الحسن المخزومي، حدثني محمد بن جعفر الأنصاري، عن زيد بن أسلم، عن معاذ بن عبدالله ابن خبيب الجهني، عن أبيه قال:...». وذكره. ثم قال: «ولا أعلم بهذا الإسناد غير هذا الحديث».

فالذي يظهر – والله أعلم – أنه قد لُفِقَ هذا الحديث من مجموع حديثين، وهما:

=

٤٣٧ - حدثنا أبو النضر، عن شيبان، عن يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم

عن ابن عابس[(١)] الجهني ط، قال:

قال لي رسول الله ق: «يا ابن عابس! ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟». قلت: بلى يا رسول الله! قال: «@قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ! و@قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ !»[(٢)].

الأول: ما رواه أحمد، وأبو داود عن معاذ بن عبدالله بن خبيب، عن أبيه، قال: «أصابنا طش وظلمة، فانتظرنا رسول الله ق ليصلي لنا، فخرج، فأخذ بيدي، فقال: قل، فسكت، قال: قل، قلت: ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح ثلاثًا؛ تكفيك كل يوم».

وأما آخر الحديث، وهو قوله: «ما استعاذ، أو استعان أحد بمثل هاتين السورتين قط». فقد رواه ابن أبي شيبة، والدارمي، والنسائي، عن عقبة بن عامر ط. وسياقه شبيه بسياق حديث عبدالله ابن خبيب، غير أنه قال: «يا عقبة قل، بدلًا من قل يا ابن خبيب».

(١) جاء في بعض النسخ المنشورة: ابن عائش؛ وهو خطأ، وما أثبتناه هو الصحيح، وهو الموافق لما في المخطوط، وهو عقبة بن عامر الجهني ط، كما في مسند أحمد، وسنن النسائي، وتاريخ المدينة لابن شبة. وفي العلل لابن أبي حاتم (١٧١٨) قال: «سألت أبي عن حديث: «يا ابن عابس! ألا أخبرك...». قال أبي: يقال: إن ابن عابس، هو عقبة بن عامر بن عابس».

وفي مسند أحمد (١٧٢٩٦) قال عبدالله بن أحمد: «هو عقبة بن عامر بن عابس، ويقال: ابن عبس الجهني». اهـ

وهذا هو الصحيح، وقد ذكر هذا الحديث القاسم بن قطلوبغا الحنفي في مسند عقبة بن عامر، عن عقبة بن عامر الجهني ط. ومن ذكره بابن عائش، فقد تابع فيه ابن سعد في الطبقات، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وهو تصحيف.

(٢) رواه أحمد في المسند. ورواه النسائي في السنن، عن يحيى بن أبي كثير، أنه سمع محمد بن إبراهيم
=



٤٣٨ - حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران

عن عقبة بن عامر الجهني ط، قال:

اتبعت رسـول الله ق وهـو راكـب، فوضـعت يـدي علـى قدمـه، فقلت: أقرئني من سورة هود، أو من سورة يوسف.

فقال: «لن تقرأ شيئًا أبلغ عند الله من: @قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ !»[1].

٤٣٩ - حدثنا أبو إسماعيل المؤدب، ويزيد، كلاهما، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس ابن أبي حازم

عن عقبة بن عامر ط، قال: قال رسول الله ق:

«أنزلت عليَّ آيات لم تنزل عليَّ مثلهن قط: المعوذتان»[2].

أن أبا عبدالله المدني أخبره أن ابن عامر الجهني ط أخبره، قال رسول الله ق: «يا ابن عامر! ألا أخبرك...». وذكره.

(١) رواه أحمد، والنسائي، وفي رواية: «قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ »، «قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ».

ورواه الطبراني في الكبير، وابن حبان في صحيحه، وزادا: «فإن استطعت أن لا تفوتك في صلاة؛ فافعل». اهـ

(٢) رواه أحمد، ومسلم، والدارمي، والترمذي، بلفظ: «لم يُر مثلهن».

وفي مسند الطيالسي: «لم يُر أعظم منهن».

وفي مستخرج أبي نعيم: «أنزلت علي آيات معجبات، لم يُر مثلهن».



٤٤٠ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن عاصم، عن زر بن حبيش

عن أُبَيّ بن كعب ط، قال:

سألت رسول الله ق عن المعوذتين، فقال: «قيل لي؛ فقلت».

قال أُبي ط: قال لنا رسول الله ق فنحن نقول[1].

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي، وأحمد، والبخاري، والنسائي. وفي المسند للشاشي (١٤٦٩) قال: «أشهد أني سمعت رسول الله ق يقول: جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: قل أعوذ برب الفلق، فقلتها، وقل أعوذ برب الناس، فقلتها. فأنا أقول ما قال رسول الله ق».

وسؤال زرٍ هذا له سبب، ذكره أحمد في مسنده: فعن زر، قال: «قلت لأُبيّ: إن عبدالله– ابن مسعود– يقول في المعوذتين، فقال: سألنا رسول الله ق عنهما، فقال: قيل لي، فقلت. فأنا أقول كما قال».

وكان ابن مسعود ط يقول في المعوذتين: إنهما ليستا من كتاب الله. ويقول: لا تلحقوا بالقرآن ما ليس منه، قال أحمد في المسند (٢١١٨٩): «حدثنا سفيان بن عيينة، عن عبدة، وعاصم، عن زر، قال: قلت لأُبيّ ط: إن أخاك يحكهما من المصحف– أي: المعوذتين– فلم يُنْكِر.

قيل لسفيان: ابن مسعود؟ قال: نعم، وليسا في مصحف ابن مسعود؛ كان يرى رسول الله ق يعوذ بهما الحسن والحسين، ولم يسمعه يقرأهما في شيء من صلاته، فظن أنهما عوذتان، وأصرَّ على ظنه، وتحقق الباقون كونهما من القرآن؛ فأودعوهما إياه». اهـ

وقال البزار في مسنده (١٥٨٦): «لم يتابع عبدالله أحدٌ من الصحابة، وقد صح عن النبي ق أنه قرأ بهما في الصلاة، وأُثبتتا في المصحف». اهـ

فما فعله ابن مسعود ط فعله لظنه أنهما ليستا من القرآن، لأنه لم يسمع النبي ق يقرأهما في صلاته، وجميع الصحابة ن على خلاف هذا، وقد ثبت عنه ق أنه قرأ بهما في الصلاة، وأثبتتا في مصحف عثمان، وأجمع الناس على أنهما سورتان من القرآن.

=



وحدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن الزبير بن عدي، عن أبي رزين، عن زر ابن حبيش، عن أبي بن كعب ط، عن النبي ق مثل ذلك.

٤٤١ – حدثنا يزيد، عن حجاج بن أرطاة، عن عون بن عبدالله

عن أسماء بنت أبي بكر م قالت:

«من صلى الجمعة ثم قرأ بعدها: @قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ !، والمعوذتين؛ حُفظ، أو كُفي من مجلسه ذلك إلى مثله»(١).

وقد ادعى ابن حزم والباقلاني وتبعهما النووي أن هذا منكرٌ وكَذِبٌ على ابن مسعود ط. والصحيح ثبوت ذلك عنه، كما في الروايات الصحيحة، وعذره في ذلك ما ذكرناه آنفًا.

وقد ثبت أن النبي ق قرأ المعوذتين في الصلاة، كما قال ق لعقبة بن عامر ط: «فإن استطعت ألا تفوتك قراءتهما في صلاة، فافعل». أخرجه الطبراني، وابن حبان.

وروى ابن الضُّريس (١/ ٣٠٢) عن حنظلة، قال: «قلت لعكرمة: إني ربما قرأت في المغرب: «قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ »، و«قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ »، وإن ناسًا يعيبون ذلك عليَّ! فقال: سبحان الله! اقرأهما؛ فإنهما من القرآن. ثم قال: حدثني ابن عباس م: أن رسول الله ق خرج، فصلى ركعتين، فقرأ فيهما بفاتحة الكتاب، ولم يزد عليهما».

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وفيه زيادة: «قرأهما سبع مرات في مجلسه».

ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥١٢) بلفظ: «من قرأ يوم الجمعة بفاتحة الكتاب، و«قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ »، و«قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ »، و«قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ »، سبع مرات؛ حفظ ما بينه وبين الجمعة الأخرى». قال حميد بن زنجويه، عن جعفر: بعد الجمعة. وروي في ذلك عن الزهري، دون الفاتحة، وقال: حين يسلم الإمام قبل أن يتكلم سبعًا سبعًا». اهـ

=



٤٤٢ - حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن الكرماني محمد بن المهاجر

عن ابن شهاب، قال:

«من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين بعد صلاة الجمعة حين يسلم الإمام قبل أن يتكلم، سبعًا سبعًا، كان ضامنًا».

قال أبو عبيد: أُراه قال: على الله، هو وماله وولده من الجمعة إلى الجمعة.



وهذا الخبر وإن كان فيه الحجاج بن أرطأة، وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس، إلا أن مثل هذا يُمشى، ويُعمل به في فضائل الأعمال، لاسيما وإسناده لا يحوي كذابًا أو وضاعًا، ولا يعارض أصلًا معمولًا به، وليس في متنه ما يُستنكر، كذلك يسنده الأثر الذي بعده.

ومما يدلُّ على عمل السَّلف بهذا الأثر في هذا الباب؛ ما ذكره الأصبهاني في كتابه: سير السَّلف الصالحين (٤/ ١٢٤٠) في محنة عبدالرحمن بن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال عليُّ بن إبراهيم: «كنا جماعة يومًا في مسجد عبدالرحمن بن أبي حاتم عنده، فتذاكروا شدة محنته، فقال بعضهم: يوم كذا، وقال بعضهم: وقت كذا. فقال عبدالرحمن: كنت يوم الجمعة في مسجد الجامع، إذ جاءني إنسان، فقال لي: خذ حذرك! فإنهم قد جلسوا لك في ثلاثة مواضع، فأخذوا عليك الطريق؛ يريدون نفسك. قال علي بن إبراهيم: والجامع ناءٍ عن البلد منقطع عنه، وكان عبدالرحمن قد اتخذ لنفسه فرسًا أيام الزعفراني وأصحابه، يكون أسرع لنجاته، قال عبدالرحمن: ففكرت في نفسي أي طريق آخذ؟ وكان ثلاثة طرق، فاستخرت الله، وذكرت خبرًا يرويه الحسن يرفعه: أنَّ من قرأ يوم الجمعة بعد الصلاة، إذا سلم، وهو ثانٍ إحدى رجليه قبل أن يعطفهما، أو قبل أن يتكلم: قل هو الله أحد سبعًا، وقل أعوذ برب الفلق سبعًا، وقل أعوذ برب الناس سبعًا؛ حفظه الله إلى مثلها. ثم خرجت، وركبت الطريق... وذكر محنته- التي قال هو فيها: هي أعجب من محنة أحمد بن حنبل!». اهـ



باب: فضل آيات القرآن

٤٤٣ - حدثنا هشيم، قال: أخبرنا العوام بن حوشب، عمن حدثه

عن ابن عباس م، في قوله:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

قال: «هي الثلاث الآيات في سورة الأنعام: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [الأنعام:١٥١] إلى ثلاث آيات، والتي في بني إسرائيل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣] إلى آخر الآيات»[(١)].

---

(١) اختيار ابن عباس م لهذه الآيات منطبق تمامًا مع تعريفه للمحكم، حيث أخرج الطبري، وابن أبي حاتم بسندٍ حسن، عن ابن عباس م، أنه قال: «المحكمات: ناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما يؤمن به ويعمل به. والمتشابهات: منسوخه، ومقدمه، ومؤخره، وأمثاله، وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به».

وعن قتادة قال: «المحكمات: الناسخ الذي يُعمل به، ما أحلَّ الله فيه حلاله، وحرَّم فيه حرامه. وأما المتشابهات: فالمنسوخ الذي لا يعمل به، ويؤمن به».

وهذه الآيات ليست حصرية، بل هذا مثال للمحكم، وإلا فالأصل في آيات القرآن أنها محكمة.

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد (١/ ٨): «المسألة التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السَّلف. وفيها عشر مسائل، أولها: النهي عن الشرك.
=



٤٤٤ - حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب

عن أبي الخير:

أن أبا الدرداء ط، كان يقرئ في مسجد حمص، وفيهم كعب الأحبار، فمروا بقول الله عَزَّوَجَلَّ: @قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ! [الأنعام:١٥١] قال كعب: «ردها عليَّ». فردَّها عليه، فقال كعب: «صدق الله ورسوله، والذي بعث بالحق محمدًا ق ما أنزل الله قبلها في التوراة إلا: @بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ - قُلْ تَعَالَوْا !».

٤٤٥ - حدثنا المبارك بن سعيد، عن أبيه سعيد بن مسروق[(١)]

عن منذر الثوري، قال:

قال لي الربيع بن خثيم: «أيسرك أن تلقى صحيفة من محمد ق عليها خاتمه؟ قلت: نعم- وأنا أرى أنه سيطرفني[(٢)]- قال: فما زادني

ثم قال: المسألة العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: «لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا»، وختمها بقوله: «وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا»، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: «ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ».

(١) هو: والد سفيان الثوري الإمام، والمبارك بن سعيد أخو سفيان، وكان أعمى.

(٢) أطرف الرجل: أعطاه ما لم يعطه أحدًا قبله. وأطرفت فلانًا شيئًا. أي: أعطيته شيئًا لم يملك مثله، فأعجبه. لسان العرب (٩/ ٢١٤).



علـى هـؤلاء الآيـات مـن آخـر سـورة الأنعـام: @قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ! [الأنعام:١٥١] إلى آخر الآيات»[١].

٤٤٦ – حدثنا يزيد، ومحمد بن جعفر، كلاهما، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبدالله ابن سَلِمَة

عن صفوان بن عسال، قال:

قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي ق؛ فقال صاحبه: لا تقل: نبي، فإنه لو سمعك كان له أربع أعين[٢]. قال: فأتيا رسول الله ق فسألاه عن تسع آيات بينات[٣]؛ فقال: «لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تزنوا،

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٦/ ١٨٦) بلفظ آخر عن مزاحم بن زفر، وكان من قوم ربيع بن خثيم، قال: «قال رجل للربيع بن خثيم: أوصني. قال: ائتني بصحيفة. قال: فكتب فيها: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ»، إلى أن بلغ: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ». قال: إنما أتيتك لتوصيني. قال: عليك بهؤلاء».

وروى ابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن مسعود ط قال: «من سره أن ينظر إلى وصيّة رسول الله ق التي عليها خاتَمه؛ فليقرأ قوله تعالى: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ»، إلى قوله: «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».

ورواه الترمذي عنه بلفظ: «من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد ق فليقرأ...». الحديث؛ قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب».

وقوله: «التي عليها خاتمه». أي: كأنها كُتبت وخُتم عليها، فلم تُغيّر ولم تُبدّل.

(٢) كناية عن الفرح والسرور.

(٣) وهي قوله تعالى: « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ ».

ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان فيقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنة- قال: أو قال[١]-: ولا تولوا يوم الزحف، وعليكم خاصة يهود أن لا تعدوا في السبت». قال: فقبلا يديه ورجليه؛ وقالا: نشهد أنك نبي. قال: «فما يمنعكما أن تتبعاني؟». فقالا: إن داود النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا ألا يزال من ذريته نبي، وإنا نخاف إن تابعناك أن تقتلنا يهود[٢].

٤٤٧ - حدثنا عمر بن عبدالرحمن، عن منصور بن المعتمر

عن الشَّعبي، قال:

التقى مسروق بن الأجدع، وشُتير بن شَكَل، فقال شتير لمسروق: إما أن تحدث عن عبدالله ط وأصدقك، وإما أن أحدثك وتُصدقني. فقال مسروق: حَدِّث وأُصدقك.

---

(١) الذي شكَّ هو شعبة؛ فلم يدر: هل من التسع آيات: التولي يوم الزحف، أو قذف المحصنة.

(٢) رواه أحمد في المسند إلى قوله: «فقالا: نشهد إنك رسول الله». ورواه بتمامه أبو داود الطيالسي في مسنده، والنسائي في السنن، وقال: هذا حديث منكر. وحكي عن شعبة، قال: «سألت عمرو بن مرة عن عبدالله بن سلمة- بكسر اللام- فقال: تعرف، وتنكر». قال النسائي: وعبدالله بن سلمة الأفطس؛ متروك الحديث.

وأما الترمذي؛ فقد رواه في كتاب الاستئذان عن رسول الله ق، باب: «ما جاء في قُبْلة اليد والرجل»، وقال: «حسن صحيح».

فقال شتير: سمعت عبدالله ط يقول: «ما خلق الله من سماء ولا أرض، ولا جنة ولا نار، أعظم من آية في سورة البقرة الله لا إله إلا هو الحي القيوم»، ثم قرأها حتى أتمها، قال مسروق: صدقت. قال: وسمعت عبدالله ط يقول: «ما في القرآن أجمع لخير ولا لشر من آية في سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]» قال: صدقت. قال: وسمعت عبدالله ط يقول: «ما في القرآن آية أعظم فرجًا من آية في سورة الغُرَف: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]» قال: صدقت. قال: وسمعت عبدالله ط يقول: «ما في القرآن آية أكثر تفويضًا من آية في سورة النِّساء القُصْرى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق:٣]» قال: صدقت(١).

---

(١) تقدَّم مختصرًا برقم: (٣٤٤).

وسورة (الغُرَف)، هي سورة (الزمر)، وسميت سورة الزمر لوقوع هذا اللفظ فيها دون غيرها من سور القرآن. ووجه تسميتها سورة (الغُرَف) أنه ذكر فيها لفظ الغرف- هكذا دون لفظ الغرفات- وذلك في قوله تعالى: «لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ».

وذُكر عن وهب بن منبه أنه قال: «من أحبَّ أن يعرف قضاء الله عَزَّوَجَلَّ في خلقه؛ فليقرأ سورة الغُرَف».

وسورة (النساء القُصْرى)، هي سورة (الطلاق). ووصفها ابن مسعود ط بالقُصْرى؛ احترازًا عن السورة الطويلة المشهورة باسم سورة النِّساء، التي هي السورة الرابعة في المصحف.

=



٤٤٨ - حدثنا عبدالله بن صالح، عن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر، وصفوان بن سليم، قالا:

التقى ابن عباس وعبدالله بن عمرو ن، فقال ابن عباس م: «أي آية في كتاب الله أرجى؟» فقال عبدالله بن عمرو م: «قول الله: @قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ! [الزمر:٥٣] الآية». فقال ابن عباس م: «لكن قول الله: @وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي! [البقرة:٢٦٠] قال: قال ابن عباس م: «فرضي منه بقوله: بلى». قال: «فهذا لما يعترض في الصدر مما يوسوس به الشيطان»[1].

والقُصْرى: من القِصَر الذي هو ضد الطول.

(١) كان السَّلف يبحثون عن أرجى آية في القرآن، لما في ذلك من تسلية المؤمن، وفتح باب للرجاء في عفو الله وكرمه، وهم مع ذلك أيضًا يبحثون عن أخوف آية؛ حتى يمشي المؤمن في طريقه إلى الله بين الخوف والرجاء.

- **فمن باب الرجاء:**

كان عبدالله بن عمرو م يرى أن قوله: «قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ»، هي أرجى آية في كتاب الله.

وروى ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله، وابن جرير في تفسيره عن ابن سيرين، قال: «قال علي ط: أي آية في القرآن أوسع؟ فجعلوا يذكرون آيات من القرآن: «وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا». ونحوها، فقال عليٌّ: ما في القرآن آية أوسع من: «قُلْ يَٰعِبَادِيَ

=

ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ». وكذلك قال ابن مسعود ط، ودلالة الآية على ذلك ظاهرة جدًا.

وروى ابن المنذر في تفسيره عن ابن مسعود ط، أنه ذُكر عنده بنو إسرائيل وما فضّلهم الله به، فقال: «كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنبًا، أصبح وقد كتبت كفّارته على أسكفَّةِ بابه، وجُعلت كفارة ذنوبكم، قولًا تقولونه، تستغفرون الله فيغفر لكم، والذي نفسي به، لقد أعطانا الله آية لهي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها: « وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ»».

وأما ابن عباس م فكان يرى أن أرجى آية: قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي». ودلالة الآية على ذلك - والله أعلم - أن العبد إذا وجد في صدره وساوس وشكوكًا، فسئل هل أنت مؤمن؟ فقال: نعم، أو قيل له: أولم تؤمن؟ قال: بلى؛ أن ذلك كافٍ في ذهاب وساوسه وشكوكه، وأنه لم يكفر بذلك. ويشبه ذلك ما رواه أحمد، ومسلم واللفظ له، عن أبي هريرة ط قال: «جاء ناس من أصحاب النبي ق فسألوه: إنا نجد في أنفسنا، ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: وقد وجدتموه؟! قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان».

وأيضًا فيه أن الإيمان كافٍ، لا يحتاج معه إلى تنقير، أو بحث.

وذكر أبو جعفر النحاس في كتابه: إعراب القرآن (٤/ ١٦): «أن ابن عباس م كان يقول: أرجى آية في القرآن: «وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ»». اهـ

ودلالتها على المقصود: أنه لم يقل: على إحسانهم، وإنما قال: على ظلمهم.

وروى الترمذي عن ثوير عن أبيه عن علي ط قال: «ما في القرآن أحبّ إليّ من هذه الآية: « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا»». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وثوير: كان ابن مهدي يغمزه قليلًا». اهـ

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن الحجاج بن أبي زينب، قال: «سمعت أبا عثمان النهدي، يقول: ما في القرآن آية أرجى عندي من هذه الآية: « وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»».

ودلالة الآية على ذلك: هو فتح باب التوبة في قوله تعالى: «عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

=

و(عسى) من الله واجبة مع خَلْطهم.

وروى مسلم في صحيحه عن حِبَّان بن موسى، قال: «قال عبدالله بن المبارك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، قال: هذه أرجى آية في كتاب الله. قال: فقال أبو بكر ط: والله إني لأحب أن يغفر الله لي؛ فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبدًا».

ودلالة الآية على ذلك: أن مسطحًا قد وقع في أمر شنيع بشع، ومع ذلك رغَّب الله سبحانه في العفو عنه، فصارت من أرجى الآيات، من حيث لطف الله بالقذفة العصاة، فكيف بغيرهم. وأيضًا أن من غفر للناس؛ غفر الله له.

وروى البيهقي في أحكام القرآن (١/ ٣٩)، والهروي في مناقب الشافعي، واللفظ له عن ابن عبدالحكم، قال: «سألت الشافعيّ: أي آية أرجى؟ قال: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ - أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾. وسألتُه عن أرجى حديث للمؤمن؟ قال: إذا كان يوم القيامة، يدفع لكل مسلم رجلٌ من الكفار؛ فِدَاؤه». اهـ

ومراد الشافعي من الآية أن اقتحام العقبة شديد، وقد عظَّمها الله، فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾، ثم بيَّن أن مَنْ أعطى هؤلاء فقد اقتحمها بفضل الله. وهناك أقوال أخرى كثيرة في أرجى الآيات.

- وأما أشد آية في كتاب الله:

فقد روى إسحاق بن راهويه في مسنده، بإسناد صحيح عن محمد ابن المنتشر، قال: «قال رجل لعمر بن الخطاب: إني لأعرف أشد آية في كتاب الله، فأهوى عمر، فضربه بالدِّرّة، فقال: مالكَ نَقَّبْت عنها حتى علمتَها، فانصرف، حتى إذا كان الغد، قال له عمر: الآية التي ذكرت أمس؟ قال: وهل تركتني أخبرك عنها؟ فقال له عمر: ما نمت البارحة، فقال: يا أمير المؤمنين! قال الله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾. فما منّا أحد يعمل سوءًا إلا جوزي به. فقال عمر: لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب، حتى أنزل الله بعد ذلك ورخّص: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾».

- وأما أخوف آية على العلماء:

فقد قال البخاري في صحيحه: «قال سفيان: ما في القرآن آية أشد عليَّ من قوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾». اهـ

=

وروى ابن المبارك في الزهد، عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى: «لَوْلَا يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ». قال: «والله ما في القرآن آية أخوف عندي منها».

وقال الطبري في تفسيره: «وكان العلماء يقولون: ما في القرآن آية أشد توبيخًا للعلماء من هذه الآية، ولا أخوفَ عليهم منها. ثم روى عن الضحاك بن مزاحم، قال: ما في القرآن آية، أخوف عندي منها: أنَّا لا ننهى. وكذلك قال ابن عباس م». اهـ

- وأما أشد آية على الكفار:

فقد روى ابن أبي حاتم عن الحسن، قال: «سألت أبا بَرْزَة الأسلمي ط عن أشدّ آية في كتاب الله على أهل النار، قال: «فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا».

- وأما أشد آية على المؤمن:

فقد روى ابن المقرئ في معجمه، والفريابي في صفة النفاق عن ابن سيرين، قال: «لم يكن عندهم شيء أخوف من هذه الآية: «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ». اهـ

- وأشد آية على أهل الأهواء:

قال ابن زيد في النوادر والزيادات (١٤/ ٥٥٣): «قال مالك: أشدُّ آية على أهل الأهواء؛ قوله تعالى: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ». وتأوَلها على أهل الأهواء. وروى ابن حبيب عن أسد عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن أبا أمامة الباهلي ط تأولها في الخوارج». اهـ

- وأشد آية على من جادل في الله:

ما روى ابن أبي حاتم، عن أبي العالية، قال: «آيتان في كتاب الله ما أشدهما على مَن يجادل في الله: «مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ». وقوله: «وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ». اهـ

- وأشد آية على القدرية:

ما ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (١/ ٨٠) عن عمرو بن عون القيسي، قال: «سمعت سعيد بن أبي عروبة- وكان من القدرية- يقول: ما في القرآن آية هي أشد عليَّ من قول موسى
=

٤٤٩ – حدثنا هشام بن إسماعيل الدمشقي، عن محمد بن شعيب، عن محمد بن عبدالله الشعيثي

عن أبي الفرات مولى صفية أم المؤمنين ك:

أن عبدالله بن مسعود ط قال: «في القرآن آيتان ما قرأهما عبد مسلم عند ذنب إلا غفر له». قال: فسمع بذلك رجلان من أهل البصرة، فأتياه، فقال: ائتيا أبي بن كعب ط فإني لم أسمع من رسول الله ق فيهما شيئًا إلا وقد سمعه أبي بن كعب، فأتيا أبي بن كعب فقال لهما: «اقرأا القرآن فإنكما ستجدانهما». فقرأ حتى بلغا آل عمران: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٣٥] إلى آخر الآية. وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠]؛ فقالا: قد وجدناهما. فقال أبي ط: «أين؟» فقالا: في آل عمران، والنساء. فقال: «هما، هما»(١).

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ». فقلت له: فالقرآن يشتد عليك! والله لا أكلمك كلمة أبدًا، فما كلمته حتى مات». اهـ

(١) رواه سعيد بن منصور في التفسير من سننه، والطبراني من وجه آخر عن إبراهيم، قال: «قال عبدالله: إن في القرآن لآيتين، ما أذنب عبد ذنبًا، ثم تلاهما واستغفر الله، إلا غفر له، فسألوه عنهما، فلم يخبرهم، فقال علقمة والأسود- أحدهما لصاحبه-: قم بنا، فقاما إلى المنزل، فأخذا المصحف، فتصفحا البقرة، فقالا: ما رأيناهما، ثم أخذا في النساء، حتى انتهيا إلى هذه الآية: «وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا»، فقالا: هذه واحدة، ثم تصفحا آل عمران، حتى انتهينا إلى قوله: «وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ
=

٤٥٠ – حدثنا حسان بن عبدالله، عن سفيان بن عيينة، عن مسعر بن كدام، عن معن بن عبدالرحمن، عن أبيه، قال:

قال عبدالله بن مسعود ط:

«إن في النساء خمس آيات، ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها، ولقد علمت أن العلماء إذا مروا بها يعرفونها؛ قوله: @إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ! [النساء:٣١]، وقوله: @إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ! [النساء:٤٠]، وقوله: @إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ! [النساء:٤٨]، وقوله: @وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ! [النساء:٦٤]، وقوله: @وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ! [النساء:١١٠]. قال: قال عبدالله ط: ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها»(١).

ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »، فقالا: هذه أخرى، ثم أطبقا المصحف، ثم أتيا عبدالله، فقالا: هما هاتان الآيتان؟ فقال عبدالله: نعم». اهـ

فانظر – رعاك الله – إلى حرص السَّلف على العلم، وإقبالهم واجتهادهم رحمهم الله تعالى.

(١) أما حبر الأمة ابن عباس م، فقد روى ابن جرير في تفسيره (٦/ ٦٦١) عنه قال: «ثمان آيات نزلت في سورة النساء، هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت، أولاهن: « يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ »، والثانية: «وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا»، والثالثة: « يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا »، ثم ذكر مثل قول ابن مسعود سواء بسواء، وزاد فيه: ثم أقبل يفسرها». اهـ



٤٥١ – حدثني حسان بن عبدالله، عن يعقوب بن عبدالرحمن القاري، عـن عمـرو بـن أبـي عمرو مولى المطلب

عن المطلب بن عبدالله بن حنطب:

أن رسول الله ق قرأ في مجلس- ومعـه أعرابـي جـالس-: @فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ - وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ! [الزلزلة:٧] فقال الأعرابي: يا رسول الله! أمثقال ذرة؟ قـال: «نعـم». فقـال الأعرابي: واسوأتاه؛ مرارًا، ثم قام وهـو يقولهـا، فقـال رسـول الله ق: «لقد دخل قلبَ الأعرابي الإيمانُ»[1].

٤٥٢ – حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن عبدالله بن هبيرة

عن حنش الصنعاني:

أن رجلاً مصابًا مُرَّ به على عبدالله بن مسعود ط، فقـرأ في أذنـه: @أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ! [المؤمنون:١١٥] حتـى ختـم

---

(١) لم أجده بهذا السِّياق عند غير المؤلف، وذكره السيوطي في الـدر المنثـور، وعـزاه لـسعيد بـن منصور، ولم أجده في المنشور منه، والمطلب بن حنطب: ثقة، كثير الإرسال.

وله شاهد رواه ابن المبارك في الزهد، وأحمد في المسند، وابن سعد في الطبقات، عن صعـصعة بـن معاوية عمِّ الفرزدق أنه أتى النبـي ق فقـرأ عليـه: «فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ - وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ» فقال: «حسبي، لا أبالي ألا أسمع غيرها».

وفي رواية لعبدالرزاق في التفسير، قال: «أما الرجل؛ فقد آمن». وفي رواية: «دعه؛ فقد فَقُهَ».



الآية، فبرأ. فقال رسول الله ق: «ماذا قرأت في أذنـه؟» فـأخبره، فقـال رسول الله ق: «والذي نفسي بيده، لو أن رجلاً قرأ بها على جبل؛ لزال»[1]

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، وأبو يعلى في مسنده، ومن طريقـه ابـن الـسُّنِّي في عمـل اليـوم والليلة، وفيه: «لو أن رجلًا مُوقِنًا قرأ بها على جبل؛ لزال».

وقال عبدالله بن أحمد في الجامع في العلل ومعرفة الرجال (٢٤١٠): «حدثت أبي بحديثٍ: حدثنا خالد بن إبراهيم أبو محمد المؤذن، قال: حدثنا سلام بن رزين قاضي أنطاكية، قال: حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن عبدالله بن مسعود ط، قال: بينما أنا والنبي ق في بعض طرقـات المدينـة، إذا أنـا برجل قد صُرع، فدنوت، فقرأت في أذنيه، فاستوى جالـسًا...الحـديث. فقـال الإمـام أحمـد: هـذا الحديث موضوع، هذا حديث الكذَّابين، منكر الإسناد». اهـ

أي: أنكر إسناده ذلك.

قال ابن عرّاق في تنزيه الشريعة (١/ ٢٩٤): «تُعقب بأن له طريقًا آخر؛ أخرجـه أبـو يعـلى بـسندٍ رجاله رجال الصحيح، سوى ابن لهيعة وحنش الصنعاني، وحديثهما حسن». اهـ

وقول أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا موضوع، هذا حديث الكذابين»؛ لأن في إسناده سلام بن رزين قاضي أنطاكية، وهو متهم بالكذب وحديثه باطل، والحديث معروف من حديث عبـدالله بـن لهيعـة، رواه عن عبدالله بن هبيرة، عن حنش الصنعاني، عن عبدالله بن مسعود ط.

أما إسناد أبي عبيد هنا، فليس فيه كذَّاب ولا متهم بالوضع. بل كل رواته ثقات ما عدا ابن لهيعة، ومِن أثبت الروايات عنه: رواية عبدالله بن وهب، وقـد رواه عنـه بإسـناده إلى حـنش مرسـلًا، كـما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره.

وروى ابن السني في عمل اليوم والليلة (١/ ٧١) عن محمد بن إبراهيم التيمي، عـن أبيـه، قـال: «وجهنا رسول الله ق في سرية، فأمرنـا أن نقـرأ إذا أمـسينا وإذا أصـبحنا: « أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ »؛ فغنمنا وسلمنا». اهـ



٤٥٣ – حدثنا يوسف بن عطية، عن المعلى بن زياد، قال:

قال عامر بن عبد قيس:

«أربع آيات من كتاب الله، إذا قرأتهن ما أبالي ما أصبح عليه وما أمسي[(١)]: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢]، وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧]، و﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧]، وقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]».



(١) وفي تاريخ دمشق (٢٦/ ٣٥) قال: «ما أبالي ما فاتني من الدنيا بعدهن».

وفي رواية قال: «اكتفيت بهن من جميع الخلائق». اهـ

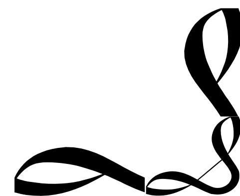
وسبحان الله! فإن هذه الآيات الأربع من أجمع الآيات التي تجلب محبة الله في قلب العبد؛ ولهذا روى ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء (١/ ٣٠) عن عامر بن عبد قيس، أنه كان يقول: «أحببتُ الله عَزَّوَجَلَّ حبًّا؛ سهَّل عليَّ كل مصيبة، ورضَّاني في كل قضية؛ فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت».

وكان من دعائه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إلهي! خلقتني ولم تؤامرني، وتميتني ولا تعلمني، وخلقت معي عدوًا وجعلته يجري مني مجرى الدم، وجعلته يراني ولا أراه، ثم قلت لي: استمسك! إلهي! كيف أستمسك إن لم تمسكني؟! إلهي! في الدنيا: الهموم والأحزان، وفي الآخرة: العقاب والحساب، فأين الراحة والفرج؟!». اهـ





القسم الرابع:
جماع أحاديث القرآن وإثباته في كتابه وتأليفه وإقامة حروفه



هذا جماع أحاديث القرآن وإثباته في كتابه وتأليفه وإقامة حروفه

باب: تأليف القرآن وجمعه ومواضع حروفه وسوره

٤٥٤ – حدثنا مروان بن معاوية، عن عوف بن أبي جميلة، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس

عن عثمان بن عفان ط قال:

كان رسول الله ق إذا نزلت عليه سورة، دعا بعض من يكتب، فقال: «ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه: كذا وكذا»[١].

٤٥٥ – حدثنا المطلب بن زياد، عن السدي

عن عبد خير، قال:

«أول من جمع القرآن بين اللوحين أبو بكر ط»[٢].

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي في حوار طويل بين عثمان بن عفان، وعبدالله بن عباس ن، وسيأتي برقم: (٤٦٥). وجميع المصادر تذكره بلفظ: «ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها: كذا وكذا».

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة، وابن أبي شيبة في مصنفه عن عبد خير، قال: «قال علي: إن أعظم الناس أجرًا في المصاحف: أبو بكر الصديق، كان أول من جمع بين اللوحين».

=



وحدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن السدي، عن عبد خير

عن علي ط، قال:

«رحم الله أبا بكر، كان أول من جمع القرآن»[(١)].

٤٥٦ – حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري

عن عُبيد بن السَّبَّاق:

أن زيد بن ثابت ط، حدَّثه قال: أرسل إليَّ أبو بكر ط مقتل أهل اليمامة، فإذا عنده عمر، فقال أبو بكر ط: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحَرَّ[(٢)] بقُرَّاء القرآن يوم اليمامة، وإني أخشى أن يسْتَحِرَّ القتل بالقراء في المواطن كلها، فيذهب بقرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

وفي معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٣٢) قال: «ومما تفرد به أبو بكر ط من المناقب: أنه أول من جمع القرآن، وتنزه عن الشراب المسكر في الجاهلية قبل الإسلام، وأول من تقيأ تنظفًا وتحرجًا عن المشتبهات». اهـ

وأما عمر ط فهو الذي أشار على أبي بكر ط بجمعه؛ كما في الأثر التالي، وروى ابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٧) عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب: «أن عمر ط لما جمع القرآن، كان لا يقبل من أحدٍ شيئًا حتى يشهد شاهدان».

(١) وقع هذا الأثر في المخطوط الأصل قبل الأثر رقم (٤٥٩). وأتينا به هنا لمناسبته لما قبله.

(٢) أي: كثر واشتد، ويُنسب المكروه إلى الحَرِّ، والمحبوب إلى البَرْدِ، ومنه المثل: «ولِّ حارَّها من تولَّى قارَّها». شرح السنة (٤/ ٥١٥). ومنه برد اليقين.

قال: فقلت له: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ق؟ قال لي: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري له، ورأيت فيه الذي رأى عمر.

قال: قال زيد: وقال أبو بكر ط: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ق فتتبع القرآن؛ فاجمعه.

قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ من ذلك. فقلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله؟

فقال أبو بكر ط: هو والله خير؛ فلم يزل يراجعني في ذلك أبو بكر وعمر م حتى شرح الله صدري للذي شرح صدورهما. فتتبعت القرآن أجمعه من الرِّقاع والعُسُب واللِخاف[1]، ومن صدور الرجال، فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت[2]: @لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ![التوبة:١٢٨]. إلى آخره حتى ختم السورة.

---

(١) قال أبو عبيد في غريبه (٤/ ١٥٦): «قال الأصمعي: اللِخاف واحدتها: لَخْفة، وهي حجارة بيض رِقاق. والعُسُب واحدها: عسيب، وهو سعف النخل، وأهل الحجاز يسمونه: الجريد أيضًا». اهـ

وفي صحيح البخاري، قال محمد بن عبيدالله- شيخ البخاري-: «اللخاف يعني: الخَزَف». اهـ

(٢) قوله هنا: «فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت». وفي الحديث الآخر- وسيأتي قريبًا- قال: «فقدت آية من سورة الأحزاب؛ فوجدتها مع خزيمة أو أبي خزيمة». فالصحيح أن الصحابي المذكور في الحديث الأول، غير المذكور في الحديث الثاني، وهما قضيتان، فأما المذكور في الحديث الأول، فهو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمر بن مالك بن النجار =



قال عبدالرحمن: فحدثني رجل عن إبراهيم بن سعد في هذا الحديث قال: فكانت الصحف عند أبي بكر ط حتى مات، ثم كانت عند عمر ط حتى مات، ثم كانت عند حفصة ك.[1]

٤٥٧ - قال عبدالرحمن: فحدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري

عن أنس بن مالك ط:

أن حذيفة بن اليمان م، كان يغازي أهل الشام مع أهل العراق في فتح أرمينية وأذربيجان، فأفزعه اختلافهم في القرآن[2]، فقال لعثمان

الخزرجي الأنصاري ط، شهد بدرًا وما بعدها، وتوفي في خلافة عثمان، وهو الذي وُجدت عنده آخر سورة التوبة، وليس هو خزيمة بن ثابت، كذا ذكره ابن عبدالبر. ويدلُّ لذلك أن البخاري روى هذا الحديث، وفيه: «قال زيد: وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري».

وأما المذكور في الحديث الثاني؛ فهو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الأوسي الأنصاري ط، يعرف بذي الشهادتين شهد بدرًا وما بعدها، وقتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب ط. وهو الذي وُجدت عنده آية الأحزاب- وستأتي بعد قليل-.

والمراد- والله أعلم- وُجدت عندهما الآيتان مكتوبتان- وذلك أضبط- أما الحفظ، فكثير من الصحابة ن كانوا يحفظون سورة التوبة، وسورة الأحزاب كاملة.

(١) رواه أحمد، والبخاري، والنسائي، والترمذي، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) تعددت وقائع الاختلاف في قراءة القرآن مما استدعى جمع القرآن على قراءة واحدة؛ فمن ذلك: ما رواه أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف (١/ ٧٠) عن أبي الشعثاء، قال: «كنا جلوسًا في المسجد، وعبدالله يقرأ، فجاء حذيفة، فقال: قراءة ابن أم عبد! وقراءة أبي موسى الأشعري! والله إن بقيت حتى آتي أمير المؤمنين- يعني: عثمان- لآمرنه بجعلها قراءة واحدة».

=



ط: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان ط إلى حفصة ك أن: «أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها عليك».

وفي رواية، قال: «يقول أهل الكوفة: قراءة عبدالله! ويقول أهل البصرة: قراءة أبي موسى! والله لئن قدمت على أمير المؤمنين؛ لآمرنه أن يغرقها». أي: المصاحف المنتشرة، ويجمعهم على مصحف واحد.

وروى ابن أبي داود، عن أيوب، عن أبي قلابة قال: «لما كان في خلافة عثمان جعل المعلِّمُ يُعلِّم قراءة الرجل، والمعلِّم يُعلِّم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون، فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلِّمين، قال أيوب: لا أعلمه إلا قال، حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيبًا، فقال: أنتم عندي تختلفون فيه، فتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافًا وأشد لحنًا، اجتمعوا يا أصحاب محمد! واكتبوا للناس إمامًا».

وعن عمرو بن الحارث: «أن بكيرًا حدَّثه أن ناسًا كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية، فإذا قرأها، قال: فإني أكفر بهذه! ففشا ذلك في الناس واختلفوا في القرآن، فكلّم عثمان بن عفان في ذلك، فأمر بجمع المصاحف وأحرقها، ثم بثها في الأجناد، يعني التي كتب».

وعن مصعب بن سعد، قال: «قام عثمان فخطب الناس، فقال: أيها الناس! عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة، وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون: قراءة أُبيّ! وقراءة عبدالله! يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك، فأعزم على كل رجل منكم، من كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به».

وعن ابن سيرين، قال: «كان الرجل يقرأ، حتى يقول الرجل لصاحبه: كفرتُ بما تقول! فرُفع ذلك إلى عثمان بن عفان؛ فتعاظم ذلك في نفسه». اهـ

لأجل ذلك استشار عثمانُ أصحابَ النبي ق في إعادة نسخ القرآن في مصحف واحد جامع، وقال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف؛ فقال الصحابة جميعًا: نِعْمَ ما رأيت!



فأرسلت حفصة ك بالصحف إلى عثمان ط، فأرسـل عثمـان إلى زيد بن ثابت، وإلى عبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص[١]، وعبدالرحمن ابن الحارث بن هشام ن، فأمرهم أن ينسخوا الصحف في المصاحف.

ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة: «ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فـاكتبوه بلسان قريش، فإنـه نـزل بلـسانهم»[٢]. قـال: ففعلـوا حتـى إذا نـسخوا الصحف في المصاحف، بعث عثمان ط في كل أفق بمصحف مـن تلـك المصاحف التي نسخوها، ثم أمر بما سوى ذلك من القرآن، كل صـحيفة أو مصحف أن تخرق أو تحرق[٣].

٤٥٨ — قال: وقال ابن شهاب: فأخبرني خارجة بن زيد

عن أبيه زيد بن ثابت ط، قال:

«فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ق يقرؤها: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ

---

(١) وكان أشبه الناس لهجة برسول الله ق .

(٢) في رواية الترمذي، قال الزهري: «فاختلفوا يومئذ في التـابوت والتـابوه، فقـال القرشـيون: التابوت، وقال زيد: التابوه؛ فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقـال: اكتبـوه التـابوت؛ فإنـه نـزل بلـسان قريش». اهـ

(٣) رواه الترمذي، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

وهكذا يُفعل بالمصاحف المتشققة الآن؛ تُحرق وتُدفن في مكان طاهر، ولا يخلط معها شيء.



﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣] قال: فالتمستها فوجدتها مع خزيمة، أو أبي خزيمة، فألحقتها في سورتها»[(١)].

٤٥٩ — قال: وقال ابن شهاب: وأخبرني عبيدالله بن عبدالله بن عتبة

أن عبدالله بن مسعود ﵁:

كره أن يُولَّى زيد بن ثابت ﵁ نسخ المصاحف؛ فقال: «يا معشر المسلمين! أأعزل عن نسخ كتاب الله، ويتولاه رجل، والله لقد أسلمت، وإنه لفي صلب رجل كافر؟» يعني: زيدًا.

قال: وقال ابن مسعود ﵁: «يا أهل العراق! أو يا أهل الكوفة! اكتموا المصاحف التي عندكم وغُلُّوها، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٦١]؛ فالقوا اللهَ بالمصاحف[(٢)].

(١) قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٣): «وأما ما رواه الزهري، عن خارجة، عن أبيه في شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إياها في سورتها، فذِكْره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر، وإنما هذا كان حال جمع الصديق الصحف، كما جاء مصرحًا به في غير هذه الرواية عن الزهري، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت، والدليل على ذلك أنه قال: «فألحقناها في سورتها من المصحف»، وليست هذه الآية ملحقة في الحاشية في المصاحف العثمانية». اهـ

(٢) رواه الترمذي في سننه، وابن شبة في تاريخ المدينة.

وقوله: (فالقوا الله بالمصاحف). أي: غلوها واكتموها، حتى تلقوا ربكم بها؛ مصداقًا للآية.

=



وقد عقد أبو بكر بن أبي داود في كتابه المصاحف (١/ ٧٠) بابًا في كراهية عبدالله بن مسعود جمع المصاحف في مصحف واحد، وسبب ذلك هو ما رواه خمير بن مالك، قال: «قال عبدالله: لقد قرأت من فِي رسول الله ﷺ سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت ذو ذؤابتين، يلعب مع الصبيان».

وفي رواية، قال: «أفأترك ما أخذتُ من رسول الله ﷺ؟!».

وفي رواية، قال: «فكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد، ولقد قرأت من فيّ رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، ولزيدٌ ذؤابتان يلعب بين الصبيان».

وفي رواية، قال: «والله ما نزل من القرآن إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، ما أحد أعلم بكتاب الله مني- وما أنا بخيركم- ولو أعلم رجلًا في مكانٍ تبلغه الإبل، أعلم بكتاب الله مني؛ لأتيته». قال أبو وائل: فلما نزل عن المنبر، جلست في الحِلق، فما أحد ينكر ما قال، ولا يعيب عليه شيئًا مما قال، ولا ردَّه».

وهذه الأحاديث أصلها مخرج في مسند أحمد، والصحيحين.

قال ابن أبي داود: «عبدالله بن مسعود بدري، وذاك- أي: زيد بن ثابت- ليس هو ببدري، وإنما ولّوه؛ لأنه كاتب رسول الله ﷺ». اهـ

وفي مسند أحمد عن ابن مسعود، قال: «أخذت من فيَّ رسول الله ﷺ سبعين سورة، لا ينازعني فيها أحد».

وفي الجامع في تفسير القرآن (٣/ ٣٠) لابن وهب، قيل لعبدالله بن مسعود: «ما يمنعك أن تقرأ على قراءة فلان- يعني: زيد-؟ فقال: لقد قرأت على رسول الله ﷺ سبعين سورة، فقال لي: لقد أحسنت. وإن الذي تسألوني أن أقرأ على قراءته، كان في صلب رجل كافر». أي: لم يولد بعد.

فعلى ضوء ما سبق يتبين لنا: أن كراهية عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لذلك، لم تكن خروجًا عن كلمة المسلمين وجماعتهم، أو قدحًا في أمانة زيد بن ثابت، ولكن لاستعظامه ترك ما أقرأه النبي ﷺ من فِيهِ لقراءة غيره، ثم إنه بحمد الله قد رجع إلى ما اتفق عليه الصحابة رضي الله عنهم وشرح الله صدره بذلك.

وقد عقد أبو بكر بن أبي داود بابًا آخر بعد كراهيته لذلك؛ سماه: «باب رضاء عبدالله بن مسعود بجمع عثمان رضي الله عنه المصاحف»، ثم ساق بسنده إلى فلفلة الجعفي، قال: «فزعتُ فيمن فزع إلى عبدالله في المصاحف، فدخلنا عليه، فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين، ولكنا جئنا حين راعنا هذا =



قال: قال ابن شهاب: فبلغني أنه كَره ذلك من قول ابن مسعود ط رجال من أفاضل أصحاب رسول الله قَ.(١)

وحدثنا أبو اليمان، عن شعيب بن أبي حمزة، عن ابن شهاب، عن ابن السباق، أن زيد بن ثابت ط، قال: أرسل إليَّ أبو بكر ط مقتل اليمامة، ثم ذكر مثل حديث إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن ابن السباق عن زيد. ومثل حديثه عن ابن شهاب عن أنس عن حذيفة في مقالته لعثمان. ومثل حديثه عن خارجة بن زيد في الآية في الأحزاب، ولم يذكر ما سوى ذلك من حديث إبراهيم بن سعد.

الخبر، فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب، على سبعة أحرف أو حروف، وإن الكتاب قبلكم كان ينزل أو نزل من باب واحد، على حرف واحد، معناهما واحد». اهـ

لكن قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٢): «وهذا الذي استدل به أبو بكر على رجوع ابن مسعود ط فيه نظر، من جهة أنه لا يظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه، والله أعلم».

وقال في موضع آخر (١/ ٢٨): «وإنما رُوي عن عبدالله بن مسعود شيء من التغضب، بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف، وأمر أصحابه بغلِّ مصاحفهم لما أمر عثمان بحرقها، ماعدا المصحف الإمام، ثم رجع ابن مسعود إلى الوِفاق، حتى قال علي بن أبي طالب ط: لو لم يفعل ذلك عثمان، لفعلته أنا. فاتفق الأئمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ن على أن ذلك من مصالح الدين، وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ق: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي». اهـ

وعُذر عثمان ط في ذلك أنه فعله بالمدينة، وعبدالله كان بالكوفة وما كان له أن يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر ليكتب معهم، وقدَّم عثمان بن عفان زيدَ بن ثابت لأشياء لم تجتمع لغيره، منها: أنه كان يكتب الوحي لرسول الله ق، ومنها: أنه كان يحفظ القرآن في عهد رسول الله ق، ومنها: أن قراءته كانت على آخر عرضة عرضها النبي ق على جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومنها: أنه هو الذي جمع الصُحُف باختيار الشيخين- كما تقدَّم-. ورضي الله عن الصحابة أجمعين.

(١) روى أبو بكر بن أبي داود في المصاحف (١/ ٨١) عن علقمة، قال: «قدمت الشام، فلقيت أبا الدرداء، فقال: كنا نعد عبدالله حنَّانًا، فما باله يواثب الأمراء؟!». رضي الله عن الصحابة أجمعين.



٤٦٠ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني ابن السباق، عن زيد بن ثابت، ثم ذكر مثل حديث أبي اليمان عن ابن شهاب، عن ابن السباق، عن زيد، ومثل حديثه عن أنس، ولم يذكر ما سوى ذلك

إلا أنه قال في آخره:

فلما كان مروان أمير المدينة أرسل إلى حفصة ك يسألها الصحف ليمزقها، وخشي أن يخالف الكتاب بعضه بعضًا، فمنعته إياها.

قال: قال ابن شهاب:

فحدثني سالم بن عبدالله، أنه لما توفيت حفصة ك أرسل مروان إلى عبدالله بن عمر م ساعة رجعوا من جنازة حفصة بعزيمة ليرسلنها، فأرسل بها عبدالله بن عمر م إلى مروان فمزقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك خلاف لما نسخ عثمان ط[1].

---

(١) وفي تاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ١٠٠٣) عن خارجة بن زيد، قال: «لما ماتت حفصة؛ أرسل مروان إلى عبدالله بن عمر م بعزيمة، فأعطاه إياها، فغسلها غسلًا». اهـ

قال أبو بكر بن أبي داود في المصاحف (١/ ١٠٣): «قال مروان: إنما فعلت هذا؛ لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف، فخشيت إن طال بالناس زمان؛ أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول: إنه قد كان شيء منها لم يكتب». اهـ

وهذا فقه من مروان وورع، وتوفيق الله لهذه الأمة.



قال أبو عبيد:

لم يسمع في شيء من الحديث: «أن مروان هو الذي مزق الصحف إلا في هذا الحديث»[١].

٤٦١ - حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن أبي إسحاق

عن مصعب بن سعد، قال:

«أدركت الناس حين شقق عثمان ط المصاحف فأعجبهم ذلك، أو قال: لم يعب ذلك أحد»[٢].

---

(١) وفي رواية ابن شبة في تاريخ المدينة (١٧٣٢) قال: «فغسلها غسلًا».
وفي رواية ابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٦٩) قال: «فأخذها؛ فحرَّقها».
والجمع بين هذه الروايات أنه صنع بالصحف جميع ذلك، فيحتمل أنه غسلها أولًا حتى زال المداد، ثم مزَّقها، ثم حرقها، والله أعلم.

(٢) وهذا من أكبر فضائل الخليفة الراشد عثمان بن عفان، ط، فقد جمع الناس على قراءة واحدة؛ لئلا يختلفوا في القرآن، ووافقه على ذلك جميع الصحابة ن.
لذلك عقد أبو بكر بن أبي داود في المصاحف (١/ ٦٦) بابًا سماه: «باب اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف»، ثم ساق بسنده إلى غنيم بن قيس المازني، قال: «لو لم يكتب عثمان المصحف؛ لطفق الناس يقرءون الشِّعر».
وقال أبو مجلز - لاحق بن حميد، وهو من جلَّة تابعي البصرة -: «لولا أن عثمان كتب القرآن؛ لألفيت الناس يقرؤن الشِّعر».
وقال عبدالرحمن بن مهدي: «خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا لعمر: صبره نفسه حتى قتل مظلومًا، وجمعه الناس على المصحف». اهـ

=



٤٦٢ – حدثنا عبدالرحمن، عن شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن رجل، عن سويد بن غَفَلَة، قال:

قال علي ط:

«لو وليتُ لفعلتُ في المصاحف الذي فعل عثمان ط»[١].

وقال أبو عمرو الداني في كتابه المقنع (١/ ٨) عن هشام بن عروة عن أبيه: «أن أبـا بكـر: أول مـن جمع القرآن في المصاحف، وعثمان: الذي جمع المصاحف على مصحف واحد». اهـ

ولهذا قال حماد بن سلمة: «كان عثمان في المصحف، كأبي بكر في الرِّدة».

وروى أبو بكر النجاد بإسناده عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: «لما نسخ عثمان بن عفـان الصحف في المصحف جاءه أبو هريرة، فقال: أصبت ووفقت؛ أشهد لسمعت رسول الله ق، يقول: إن أشد أمتي لي حبًّا؛ قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، يعملون بما في الورق المعلق. فقلت: أي ورق؟! حتى رأيت المصاحف. فأعجب ذلك عثمان، وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقـال لأبي هريرة: إنك والله ما علمتُ لتحتسب علينا حديث رسـول الله ق». أي: لتحتسب في حفـظ حديث رسول الله ق لأمته، رضي الله عنهم جميعًا.

انظر المسائل التي حلف عليها أحمد بن حنبل (١/ ١١٤).

(١) أي: من حَرْقِ المصاحف، وجمع الناس على المصحف الإمام الذي فعله عثمان ط.

وروى ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ١٦٦) عن سويد بن غَفَلَة، قال: «سمعتُ عليًّا ط يقـول: الله الله! أيها الناس، وإياكم والغُلُو في عثمان! وقولكم: حَـرَّاق المصاحف– وفي روايـة الآجـري في الشريعة: خَرَّاق– فوالله ما حرَّقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ق؛ جَمَعَنا، فقال: مـا تقولـون في القراءة؛ يَلْقَى الرجلُ الرجلَ، فيقول: قراءتي خير مـن قراءتـك! ويلْقَـى الرجـلُ الرجـلَ، فيقـول: قراءتي أفضل من قراءتك! وهذا شبِيهٌ بالكفر– وفي رواية ابن أبي داود، قال: وهـذا يكـاد أن يكـون كفرًا– قال: فقلنا: فالرأي، رأيك يا أمير المؤمنين! قـال: فـإني أرى أن أجمـع النـاس عـلى مـصحف واحد، لا يختلفون بعدي، فإنكم إن اختلفتم اليوم، كان الناس بعدكم أشد اختلافًا، قلنا: فـالرأي، =



٤٦٣ - حدثنا معاذ، عن ابن عون، عن عمر بن قيس

عن عمرو بن شرحبيل أبي ميسرة، قال:

أتى عليَّ رجلٌ وأنا أصلي، فقال: «ثكلتك أمك! ألا أراك تصلي وقد أُمر بكتاب الله أن يُمَزّق؟». قال: فتجوزت في صلاتي، وكنت لا أحبس، فدخلت الدار فلم أحبس، ورقيتُ فلم أحبس[1]، فإذا أنا

رأيك يا أمير المؤمنين! فبعث إلى زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، فقال: ليكتب أحدكما، ويُمْلِ الآخر، فإن اختلفتما؛ فارفعاه إليَّ... قال عليٌّ: والله لو وليت الذي ولي؛ لصنعت مثل الذي صنع». اهـ

وفي هذه القصة فائدة: وهي أن كل ما يفتح باب الاختلاف المذموم بين المسلمين المؤدي للكفر من الكتب؛ فحقُّه التحريق والتمزيق، وأعظم ذلك كتب أهل البدع والأهواء.

قال ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٥٠١) في معرض ذكره فوائد قصة كعب بن مالك ط قال: «وقوله: «فتيممت بالصحيفة التنور»، فيه المبادرة إلى إتلاف ما يُخشى منه الفساد والمضرة في الدين، وأن الحازم لا ينتظر به ولا يؤخره، وهذا كالعصير إذا تخمَّر، وكالكتاب الذي يُخشى منه الضرر والشر، فالحزم المبادرة إلى إتلافه وإعدامه». اهـ

وقال الخلال في السُّنة (٨٢٠): «أخبرنا عبدالله بن أحمد، قال: سمعت أبي يقول: سلَّام بن أبي مُطيع من الثقات من أصحاب أيوب، وكان رجلًا صالحًا، حدثنا عنه عبدالرحمن بن مهدي. ثم قال أبي: كان أبو عوانة وضع كتابًا فيه معايب أصحاب النبي ق وفيه بلايا، فجاء إليه سلَّام بن أبي مُطيع، فقال: يا أبا عوانة! أعطني ذلك الكتاب، فأعطاه، فأخذه سلَّام فأحرقه».

وأخبرنا أبو بكر المروذي، قال: «قلت لأبي عبدالله: استعرت من صاحب حديث كتابًا- يعني فيه الأحاديث الرديئة- ترى أن أحرقه، أو أخرقه؟ قال: نعم، لقد استعار سلَّام بن أبي مُطيع من أبي عوانة كتابًا- فيه هذه الأحاديث- فأحرق سلام الكتاب، قلت: فأحرقه؟ قال: نعم». اهـ

(١) معنى: «فلم أحبس»، أي: فلم أُطِقِ الصبر، وفي قول ذاك الرجل له ما قال وهو يصلي؛ ما يدلك على مسارعة الناس للفتنة- إلا من رحم الله.

=

بالأشعري وإذا حذيفة وابن مسعود ن يتقاولان، وحذيفة يقـول لابـن مسعود م: «ادفع إلـيهم المـصحف». فقـال: «والله لا أدفعـه». فقـال: «ادفعه إليهم، فإنهم لا يألون أمة محمد إلا خيرًا». فقال: «والله لا أدفعـه إليهم؛ أقرأني رسول الله ق بضعًا وسبعين سورة وأدفعـه إلـيهم؟ والله لا أدفعه إليهم».

٤٦٤ – حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن بكير بن عبدالله بن الأشج، عن بسر بن سعيد

عن محمد بن أُبي بن كعب:

أن ناسًا من أهل العراق قدموا إليـه، فقـالوا: إنـا قـدمنا إليـك مـن العراق، فأخرج إلينا مصحف أُبي؟ فقـال محمـد: «قـد قبـضه عثمـان». فقالوا: سبحان الله! أخرجه إلينا. فقال: «قد قبضه عثمان ط».

٤٦٥ – حدثنا مروان بن معاوية، عن عوف بن أبي جميلة، عن يزيد الفارسي

عن ابن عباس م، قال:

قلت لعثمان: «ما حملكـم علـى أن عمـدتم إلى الأنفـال، وهـي مـن المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا سـطر بـسم الله الرحمن الرحيم، ووضـعتموها في الـسبع الطُّـوَل؟ مـا حملكـم علـى

أو يكون معنى قوله: «فلم أحبس»، أي: لا أمنع ولا أُحجب من الدخول على ابن مـسعود ط؛ لذا قال: «فدخلت الدار فلم أحبس، ورقيتُ فلم أحبس».

ذلك؟ فقال عثمان: «إن رسول الله ق كان مما يأتي عليه الزمان، وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا نزلت عليه سورة يدعو بعض من يكتب فيقول: «ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه: كذا وكذا»، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننتها منها، وقُبض رسول الله ق، ولم يبين لنا أمرها. قال: فلذلك قرنت بينهما، ولم أجعل بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطُّوَل»[(١)].

٤٦٦ – حدثني هشام بن إسماعيل، عن محمد بن شعيب بن شابور

قال أبو عبيد:

لا أدري إلى من أسنده «أن الأنفال وبراءة جمعتا؛ لأن فيهما ذكر القتال». قال: يقول: «فهما جميعًا سورة واحدة».

٤٦٧ – حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن عبدالله بن المبارك، قال: حدثني أبو وائل شيخ من أهل اليمن

عن هانئ البربري مولى عثمان ط قال:

---

(١) فهنا أقرَّ عثمان ط ابن عباس م على قوله: «إن الأنفال من المثاني وبراءة من المئين»، واعتذر له وبيَّن أنه أدخلها وسط السبع الطُّوَل وقرن بينها لعِلَّة، ثم يبقى احتمال، هل عدَّهما من السبع الطُّوَل، أو بقيت يونس هي السابعة على اختلافٍ – كما تقدَّم –؟ والله أعلم.



كنت عند عثمان ط، وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أُبي بن كعب ط، فيها: «لم يتسن»، وفيها: «لا تبديل للخلق»، وفيها: «فأمهل الكافرين».

قال: فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين، وكتب: «لِخَلْقِ ٱللَّهِ »، ومحا: «فأمهل»، وكتب: «فَمَهِّلِ»، وكتب: «لَمۡ يَتَسَنَّهۡ »[1] ألحق فيها الهاء».

٤٦٨ – حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن أبي الجراح، عن سليمان بن عمير

عن هانئ مولى عثمان ط قال:

كنت الرسول بين عثمان، وزيد بن ثابت م، فقال زيد: سله عن قوله: «لم يتسن» أو «لم يتسنه؟». فقال عثمان ط: «اجعلوا فيها الهاء».

٤٦٩ – حدثنا حجاج، عن هارون بن موسى، قال: أخبرني الزبير بن الخِرِّيت

عن عكرمة، قال:

---

(١) قوله تعالى: «لَمۡ يَتَسَنَّهۡ »، فيها قراءتان: «لَمۡ يَتَسَنَّهۡ » بالهاء الساكنة، و«لم يتسنَّ» بحذفها عند الوصل؛ فالقراءتان تختلفان في حال الوصل، لا في حال الوقف؛ في حال الوقف: بالهاء الساكنة على القراءتين: «لم يتسنَّه»؛ وفي حال الوصل: بحذف الهاء في قراءة سبعية، وهي قراءة حمزة والكسائيّ: «لم يتسنَّ وانظر». والباقون بإثباتها.

قال ابن جرير في تفسيره (٥/ ٤٦١): «والصواب من القراءة عندي في ذلك إثبات: «الهاء» في الوصل والوقف، لأنها مثبتة في مصحف المسلمين، ولإثباتها وجه صحيح في كلتا الحالتين في ذلك. ومعنى قوله: «لَمۡ يَتَسَنَّهۡ »، لم يأت عليه السنون؛ فيتغير». اهـ



لما كُتبت المصاحف عُرضت على عثمان ﵁، فوجد فيها حروفًا من اللحن، فقال: «لا تغيروها فإن العرب ستغيرها، أو قال: ستعربها بألسنتها، لو كان الكاتب من ثقيف، والمملي من هذيل؛ لم توجد فيه هذه الحروف»(١).

---

(١) اتخذ أعداء الإسلام هذا الأثر سبيلًا للطعن والتشكيك في القرآن الكريم، فقالوا: «هذا عثمان بن عفان، يجد لحنًا في القرآن، ويقول: لا تغيروها!».

والجواب: أن عثمان ﵁ قد ضرب أروع الأمثلة في دقته وكمال ضبطه وتحريه في كتابة المصحف، ومن قرأ ما ذكره أبو عبيد هنا من آثاره؛ عرف ذلك.

قال ابن الأنباري في كتابه: الرد على من خالف مصحف عثمان: «الأحاديث المروية عن عثمان في ذلك لا تقوم بها حجة؛ لأنها منقطعة غير متصلة، وما يشهد عقلٌ بأن عثمان وهو إمام الأمة الذي هو إمام الناس في وقته وقدوتهم، يجمعهم على المصحف الذي هو الإمام فيتبين فيه خللًا، ويشاهد في خطه زللًا فلا يصلحه! كلا والله، ما يتوهم عليه هذا ذو إنصاف وتمييز، ولا يعتقد أنه أخَّر الخطأ في الكتاب ليصلحه من بعده، وسبيل الجائين من بعده: البناء على رسمه، والوقوف عند حكمه.

ومن زعم أن عثمان أراد بقوله: «أرى فيه لحنًا..»: أرى في خطه لحنًا، إذا أقمناه بألسنتنا كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف؛ من جهة تحريف الألفاظ وإفساد الإعراب؛ فقد أبطل ولم يصب، لأن الخط منبئ عن النطق، فمن لحن في كَتْبه، فهو لاحن في نطقه. ولم يكن عثمان ليؤخر فسادًا في هجاء ألفاظ القرآن من جهة كَتبٍ ولا نطق، ومعلوم أنه كان مواصلًا لدرس القرآن، متقنًا لألفاظه، موافقًا على ما رُسم في المصاحف المنفذة إلى الأمصار والنواحي». اهـ

وقال أبو عمرو الداني في كتابه: المقنع في رسم مصاحف الأمصار (١/ ١١٩): «فإن قال قائل: فما تقول في الخبر الذي رويتموه عن يحيى بن يعمر وعكرمة مولى ابن عباس عن عثمان ﵁: أن المصاحف لما نسخت، عُرضت عليه، فوجد فيها حروفًا من اللحن، فقال: اتركوها، فإن العرب ستقيمها أو ستعربها بلسانها، إذ ظاهره يدل على خطأ في الرسم؟

=



قلت: هذا الخبر عندنا لا يقوم بمثله حجة، ولا يصح به دليل من جهتين: إحداهما: أنه مع تخليطٍ في إسناده، واضطرابٍ في ألفاظه؛ مرسل، لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئًا ولا رأياه، وأيضًا؛ فإن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان؛ لما فيه من الطعن عليه مع محله من الدين ومكانه من الإسلام وشدة اجتهاده في بذل النصيحة واهتمامه بما فيه الصلاح للأمة، فغير ممكن أن يتولى لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الأتقياء الأبرار؛ نظرًا لهم؛ ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم، ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحنًا وخطأً يتولى تغييره من يأتي بعده ممن لا شك أنه لا يدرك مداه ولا يبلغ غايته ولا غاية من شاهده، هذا ما لا يجوز لقائل أن يقوله، ولا يحلُّ لأحد أن يعتقده.

فإن قال: فما وجه ذلك عندك لو صح عن عثمان ﷺ؟ قلت: وجهه أن يكون عثمان ﷺ أراد باللحن المذكور فيه: التلاوة دون الرسم، إذ كان كثير منه لو تُلي على حال رسمه؛ لانقلب بذلك معنى التلاوة وتغيرت ألفاظها، ألا ترى قوله: «أولأ اذبحنه» و«لا أوضعوا» و«من نباءي المرسلين» و«سأوريكم» و«الربوا» وشبهه مما زيدت الألف والياء والواو في رسمه، لو تلاه تالٍ لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته في الخط؛ لصير الإيجاب نفيًا، ولزاد في اللفظ ما ليس فيه ولا من أصله، فأتى من اللحن بما لا خفاء به على من سمعه مع كون رسم ذلك كذلك جائزًا مستعملًا، فأعلم عثمان ﷺ إذ وقف على ذلك: أن من فاته تمييز ذلك وعزبت معرفته عنه ممن يأتي بعده، سيأخذ ذلك عن العرب إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم، فيعرِّفونه بحقيقة تلاوته، ويدلونه على صواب رسمه، فهذا وجهه عندي. والله أعلم.

فإن قيل: فما معنى قول عثمان ﷺ في آخر هذا الخبر: «لو كان الكاتب من ثقيف، والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف»؟ قلت: معناه، أي: لم توجد فيه مرسومة بتلك الصور المبنية على المعاني دون الألفاظ المخالفة لذلك، إذ كانت قريش- ومن ولي نسخ المصاحف من غيرها- قد استعملوا ذلك في كثير من الكتابة، وسلكوا فيها تلك الطريقة، ولم تكن ثقيف وهذيل مع فصاحتهما يستعملان ذلك، فلو أنهما وليتا من أمر المصاحف ما وليه من تقدّم من المهاجرين والأنصار، لرسمتا جميع تلك الحروف على حال استقرارها في اللفظ ووجودها في المنطق دون المعاني والوجوه، إذ ذلك هو المعهود عندهما والذي جرى عليه استعمالها؛ هذا تأويل قول عثمان عندي، لو ثبت وجاء مجيء الحجة». اهـ

=

وقال ابن تيمية في الفتاوى (١٨/ ٢٥٠): «قلت: ومما يبيِّن كذب ذلك: أن عثمان لو قُدر ذلك فيه، فإنما رأى ذلك في نسخة واحدة، فأما أن تكون جميع المصاحف اتفقت على الغلط، وعثمان قد رآه في جميعها وسكت؛ فهذا ممتنع عادة وشرعًا من الذين كتبوا، ومن عثمان، ثم من المسلمين الذين وصلت إليهم المصاحف ورأوا ما فيها، وهم يحفظون القرآن، ويعلمون أن فيه لحنًا لا يجوز في اللغة، فضلًا عن التلاوة، وكلهم يُقِرُّ هذا المنكر لا يغيره أحد، فهذا مما يُعلم بطلانه عادة، ويعلم من دين القوم الذين لا يجتمعون على ضلالة، بل يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر أن يدَعوا في كتاب الله منكرًا لا يغيره أحد منهم، مع أنهم لا غرض لأحد منهم في ذلك، ولو قيل لعثمان: مر الكاتب أن يغيره؛ لكان تغييره من أسهل الأشياء عليه، فهذا ونحوه مما يوجب القطع بخطأ من زعم أن في المصحف لحنًا أو غلطًا». اهـ

وقال: «فكيف يُدعى عليه أنه رأى فسادًا فأمضاه؟ وهو يُوقف على ما يُكْتَب، ويَرفع الخلاف الواقع من الناسخين فيه؛ فيحكم بالحق ويلزمهم إثبات الصواب وتخليده». اهـ

وقال في الفتاوى (١٥/ ٢٥٢): «هذا خبر باطل لا يصح من وجوه: أحدها: أن الصحابة ن كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات، فكيف يقرون اللحن في القرآن، مع أنه لا كلفة عليهم في إزالته. والثاني: أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح في الكلام، فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف؟! والثالث: أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها، غير مستقيم؛ لأن المصحف الكريم يقف عليه العربي والعجمي. والرابع: أنه قد ثبت في الصحيح أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب: «التابوت» بالهاء على لغة الأنصار، فمنعوه من ذلك، ورفعوه إلى عثمان ط وأمرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش، ولما بلغ عمر ط أن ابن مسعود قرأ: «عتى حين» على لغة هذيل، أنكر ذلك عليه؛ وقال: أقرئ الناس بلغة قريش، فإن الله تعالى إنما أنزله بلغتهم، ولم ينزله بلغة هذيل». اهـ

وكثير من العلماء يرون أن المقصود بقوله: «فوجد فيها حروفًا من اللحن»: أي: كتابةً ورسمًا ولغةً، كما في كتابة (الصلاة، والزكاة، والحياة، والربا) بالواو في موضع الألف، وعند القراءة فإنها تقرأ بالألف، وليس المقصود باللحن هنا الخطأ، ولهذا أورد أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف =

٤٧٠ – حدثنا أبو معاوية

عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

سألت عائشة ك عن لحن القرآن: عن قوله: @قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ! [طه:٦٣]- بتشديد إنَّ على قراءتهم- وعن قوله: @وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ! [النساء:١٦٢]، وعن قوله: @إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ! [المائدة:٦٩]. فقالت: «يا ابن أختي، هذا عمل الكُتَّاب أخطئوا في الكتاب»(١).

(١/ ١٢٠) بابًا سماه: «اختلاف ألحان العرب في المصاحف. قال: والألحان: اللغات، وقال عمر بن الخطاب ط: إنا لنرغب عن كثير من لحن أُبيّ. يعني: لغة أُبيّ».

وقال ابن أبي داود: «قوله: «ستقيمه العرب بألسنتها». هذا عندي يعني: بلغتها، وإلا لو كان فيه لحن لا يجوز في كلام العرب جميعًا؛ لما استجاز أن يبعث به إلى قوم يقرءونه». اهـ

ومن المعلوم أن المصحف الإمام ما رسموه هكذا إلا اتباعًا لأشهر القراءات المسموعة في زمن النبي ق، وأصحابه القراء، وحِفظ القرآن في الصدور أقدم من كتابته في المصاحف، وما كتب في أصول المصاحف إلا من حِفظ القراء، مع ما كتبه كُتاب الوحي. فبعد ذلك كله يستحيل إثبات الخطأ في كتاب الله تعالى، ويدلُّ على أنه لا يجوز تغيير الرسم الإملائي العثماني المثبَت في المصاحف أبدًا، ولو تغير اصطلاح الناس في الرسم- كما في زماننا- فيبقى المصحف على ما كتبه عثمان ط، والآيات تقيمها العرب بألسنتها، والقراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول.

(١) قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٣٩٧): «لو كان ذلك خطأ من الكاتب؛ لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه، وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أُبيّ في ذلك ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ.

مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط، لم يكن الذين أُخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله

=

ق يُعلِّمون من علَّموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بألسنتهم، ولقنوه الأمة تعليمًا على وجه الصواب. وفي نقل المسلمين جميعًا ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسومًا أدلُّ الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صنع في ذلك للكاتب». اهـ

وقال أبو عمرو الداني في المقنع في رسم مصاحف الأمصار (١/ ١٢١): «فإن قيل: فما تأويل الخبر الذي رويتموه أيضًا عن هشام بن عروة عن أبيه أنه سأل عائشة ك عن لحن القرآن: عن قوله: «إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ»... قلتُ: تأويله ظاهر؛ وذلك أن عروة لم يسأل عائشة فيه عن حروف الرسم التي تزاد فيها لمعنى وتنقص منها لآخر تأكيدًا للبيان وطلبًا للخفّة، وإنما سألها فيه عن حروف من القراءة المختلفة الألفاظ المحتملة الوجوه على اختلاف اللغات التي أذن الله عَزَّوَجَلَّ لنبيّه ق ولأُمّته في القراءة بها واللزوم على ما شاءت منها، تيسيرًا لها وتوسعة عليها، وما هذا سبيله وتلك حاله، فعن اللحن والخطأ والوهم والزلل بمعزل، لفشّوه في اللغة ووضوحه في قياس العربية، وإذا كان الأمر في ذلك كذلك، فليس ما قصدته فيه بداخل في معنى المرسوم ولا هو من سببه في شيء، وإنما سمى عروة ذلك لحنًا، وأطلقت عائشة على مرسومه كذلك الخطأ على جهة الاتّساع في الإخبار وطريق المجاز في العبارة، إذ كان ذلك مخالفًا لمذهبها وخارجًا عن اختيارهما، وكان الأوجه والأولى عندهما الأكثر والأفشى لديها، لا على وجه الحقيقة والتحصيل والقطع لما بيّناه قبل من جواز ذلك وفشوه في اللغة واستعمال مثله في قياس العربية، مع انعقاد الإجماع على تلاوته كذلك دون ما ذهبا إليه، إلا ما كان من شذوذ أبي عمرو بن العلاء في «إن هذين» خاصّة هذا الذي يُحمل عليه هذا الخبر، ويتأوّل فيه دون أن يُقطع به على أن أم المؤمنين ك - مع عظيم محلّها وجليل قدرها واتّساع علمها ومعرفتها بلغة قومها- لحّنت الصحابة وخطّأت الكتبة، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللغة موضعهم الذي لا يجهل ولا ينكر هذا ما لا يسوغ ولا يجوز، وقد تأوّل بعض علمائنا قول أمّ المؤمنين: أخطأوا في الكتاب، أي: أخطأوا في اختيار الأولى من الأحرف السبعة بجمع الناس عليه، وتأوّل اللحن أنه القراءة واللغة، كقول عمر ط في أُبي: إنا لندع بعض لحنه، أي: قراءته ولغته؛ فهذا بيّنٌ». اهـ

وقال ابن تيمية في الفتاوى: (١٥/ ٢٥٢): «وهذا الكلام ممتنع لوجوه: منها: تعدد المصاحف واجتماع جماعة على كل مصحف، ثم وصول كل مصحف إلى بلد كبير فيه كثير من الصحابة ن =



والتابعين يقرؤن القرآن، ويعتبرون ذلك بحفظهم، والإنسان إذا نسخ مصحفًا غلط في بعضه؛ عرف غلطه بمخالفة حفظة القرآن وسائر المصاحف، فلو قُدر أنه كتب كاتب مصحفًا، ثم نسخ سائر الناس منه من غير اعتبار للأول والثاني، أمكن وقوع الغلط في هذا، وهنا كل مصحف إنما كتبه جماعة، ووقف عليه خلق عظيم ممن يحصل التواتر بأقل منهم، ولو قدر أن الصحيفة كان فيها لحن، فقد كتب منها جماعة لا يكتبون إلا بلسان قريش، ولو كان لحنًا، لامتنعوا أن يكتبوه إلا بلسان قريش، فكيف يتفقون كلهم على أن يكتبوا: «إِنَّ هَٰذَٰنِ»؟ وهم يعلمون أن ذلك لحن لا يجوز في شيء من لغاتهم، كما زعم بعضهم؟!... ومن زعم أن الكاتب غلط، فهو الغالط غلطًا منكرًا، فإن المصحف منقول بالتواتر، وقد كُتبت عدة مصاحف، وكلها مكتوبة بالألف، فكيف يتصور في هذا غلط. وأيضًا: فإن القراء إنما قرأوا بما سمعوه من غيرهم، والمسلمون كانوا يقرءون سورة «طه» على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وهي من أول ما نزل من القرآن، وهي مكية باتفاق الناس. فالصحابة ﭫ لابد أنهم قرأوا هذا الحرف، ومن الممتنع أن يكونوا كلهم قرأوه بالياء كأبي عمرو، فإنه لو كان كذلك، لم يقرأها أحد إلا بالياء، فعلم أنهم أو غالبهم كانوا يقرءونها بالألف، كما قرأها الجمهور... فهذا مما يعلم به قطعًا أن عامة الصحابة إنما قرءوها بالألف كما قرأ الجمهور، وكما هو مكتوب، وحينئذ فقد عُلم أن الصحابة إنما قرأوا كما علَّمهم الرسول ﷺ، وكما هو لغة العرب، ثم لغة قريش، فعلم أن هذه اللغة الفصيحة المعروفة عندهم في الأسماء المبهمة تقول: إن هذان، ومررت بهذان، تقولها في الرفع والنصب والخفض بالألف...إلى آخر ما قال». اهـ

والآيات الثلاث المذكورة هنا لها وجه سائغ في اللغة على النحو التالي:

- فأما قوله تعالى: «إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ»؛ فالكلام فيها يتلخص في أمور هي:

١- أكثر القراءات المتواترة بتشديد نون (إن) ما عدا ابن كثير وحفصًا عن عاصم؛ فإنهما قرءاها بسكون النون، وهذه القراءة لا إشكال فيها، ويكون (ساحران) خبر مرفوع.

٢- جميع القراء قرأوها بإثبات الألف في اسم الإشارة (هذان) ما عدا أبا عمرو بن العلاء، فقد خالف الرسم، وقال: «إني لأستحي أن أقرأ: «إِنَّ هـذانِ»، والقرآن أفصح اللّغات». فقرأها (إنَّ هذين)، وفعل أبي عمرو شاذٌ- كما سيأتي.

٣- للمفسرين في توجيه القراءة الأولى- أي: بتشديد النون- أقوال كثيرة، أشهرها ما يلي:

=

أن تكون (إنَّ) حرف جواب، بمعنى: (نعم أو أجل)، وهو استعمال سائغ من استعمالات (إنَّ)، كما في قول ابن الزبير لأعرابي، قد استجداه فلم يعطه، فقال الأعرابي: «لعن الله ناقةً حملتني إليك»، فقال ابن الزبير: «إنَّ، وراكبها». أي: نعم وراكبها.

وهذا القول ذكره الزجاج في تفسيره، وقال: «عرضته على عالمينا وشيخينا وأستاذينا محمد بن يزيد- يعني: المبرد- وإسماعيل بن إسحاق بن حماد؛ فقبلاه وذكرا أنه أجود ما سمعاه في هذا».

وعلى هذا، تكون (هذان) مبتدأ، و(ساحران) خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: لهما ساحران.

ومنها ما قاله أبو المظفر السمعاني في تفسيره (٣/ ٣٣٨) حيث قال: «وأما وجه قوله: «إن هذان» فله وجوه في العربية: أما القدماء من النحويين، فإنهم قالوا: هو على تقدير: إنه هذان، فحذف الهاء، ومثله كثير في العربية. والوجه الثاني: أن هذا لغة كنانة وخثعم وزُبيد، وقال الكسائي: لغة بلحارث ابن كعب من كنانة- كذا قال، والصواب: من مذحج- الذين يجعلون علامة إعراب المثنى الألف في أحوال الإعراب كلها- فيقولون: جاء الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان».

ثم قال: وأما الوجه الثالث، هو أصح الوجوه- فإن القرآن لا يحمل على اللغة البعيدة- وهو أن معنى قوله: «إنَّ هذان» أي: نعم هذان». اهـ

والعجب من بعض النحاة أنهم يثبتون لغة ببيت أو عبارة قد تكون لمجهول، ولا يثبتونها بالقراءة المتواترة من أئمة السَّلف.

- وأما قوله: «وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ» فقد قرأها الجمهور بالياء على النصب هكذا، على معنى المدح، كأنه قال: «وأخص المقيمين الصلاة». وهذا المعنى له نظائر كثيرة في القرآن، منها قوله: «وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ». فهنا نصب (الصابرين) وهو معطوف على مرفوعات. ونصب (المقيمين) قد ثبت في المصحف الإمام، وقرأه المسلمون هكذا في الأقطار دون نكير، فدلَّ على أن لها وجهًا سائغًا في لغة العرب، فيجوز في بعض المعطوفات النصب على وجه المدح والتعظيم.

=

٤٧١ – حدثنا حجاج

عن هارون[(١)]، قال:

«في قراءة أبي بن كعب ط مكان قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون».

وفي الكتاب لسيبويه (١/ ٢٤٨) بابًا سماه: «باب ما يُنتصب في التعظيم والمدح، وإن شئت جعلته صفة؛ فجرى على الأول، وإن شئت قطعته؛ فابتدأته». اهـ

وذكر الطبري في تفسيره وجهًا آخر، فقال (٩/ ٣٩٧): «وأولى الأقوال عندي بالصواب، أن يكون «المقيمين» في موضع خفض، نسقًا- أي: عطفًا- على «ما»، التي في قوله: «بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك». وأن يوجه معنى «المقيمين الصلاة» إلى الملائكة. فيكون تأويل الكلام: «والمؤمنون منهم يؤمنون بما أنزل إليك» يا محمد، من الكتاب «وبما أنزل من قبلك» من كتبي، وبالملائكة الذين يقيمون الصلاة، ثم يرجع إلى صفة «الراسخين في العلم»، فيقول: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بالكتب والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر». اهـ

وما ذكره ابن جرير بعيد، والأول أولى.

– وأما قوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ»؛ فقد قال البغوي في تفسيره (٣/ ٨١): «قال سيبويه: فيه تقديم وتأخير، تقديره: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله إلى آخر الآية، والصابئون كذلك. وقال أبو عبيدة: من شأن العرب، إذا طال الكلام أن يغيروا الإعراب والنسق». اهـ

والقول الأول: هو قول سيبويه في الكتاب (٢/ ١٥٥)، وعزاه الزجاج في معاني القرآن (٢/ ١٩٣) إلى سيبويه والخليل وإلى جميع البصريين.

ويراجع في ذلك ما كتبه ابن قتيبة بشأن هذه الكلمات في تأويل مشكل القرآن (١/ ٣٦-٤٢).

(١) هو: هارون بن موسى الأزدي العتكي، مولاهم أبو عبدالله، ويقال: أبو موسى النحوي البصري الأعور صاحب القراءة، ثقة في الحديث إلا أنه رمي بالقدر. انظر: تهذيب الكمال (٦٥٣٠).

قال أبو عبيد:

ويروى عن حماد بن سلمة، عن الزبير أبي عبدالسلام، قال: قلت لأبان بن عثمان: ما شأنها كُتبت: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ﴾. قال: إن الكاتب لما كتب قال: ما أكتب؟ فقيل له: اكتب: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.[1]

---

(١) قال أبو عمرو الداني في كتابه: جامع البيان في القراءات السبع (١/ ٥١): «أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية. بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت لا يردّها قياس عربية، ولا فشوّ لغة، لأن القراءة سنّة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها». اهـ

ولذا كان جواب أبان بن عثمان هنا موفقًا، وهو الحق الواجب المصير إليه.

وفي جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي (٢/ ٥٧٧): «قال بعض أصحاب سليم بن عيسى - المقرئ صاحب حمزة الزيات وأخص تلامذته -: قلت لسليم - في حرف من القرآن -: من أي وجه كان كذا وكذا؟ فرفع كمَّه، وضربني به وغضب، وقال: اتق الله! لا تأخذن في شيء من هذا، إنما نقرأ القرآن على الثقات من الرجال، الذين قرءوا على الثقات».

وقال الكسائي: «لو قرأتُ على قياس العربية لقرأت: (كُبره) برفع الكاف - في قوله: «وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ» - لأنه أراد: عُظْمه، ولكني قرأتُ على الأثر».

وقال يحيى بن آدم: «حدثنا أبو بكر بن عياش بحروف عاصم في القراءة، وقال: سألته عنها حرفًا حرفًا، فحدّثني بها، ثم قال: أقرأنيها عاصم، كما حدثتك بها حرفًا حرفًا، تعلّمتها منه تعلمًا، اختلف إليه نحوًا من ثلاث سنين، كل غداة؛ في البرد والأمطار، حتى إني أستحي من أهل مسجد بني كاهل يروني في الصيف والشتاء، وأعملتُ نفسي فيها سنة بعد سنة، فلمّا قرأت عليه، قال لي: احمد الله، فإنك قد جئت وما تحسن شيئًا، قال: تعلّمتُ القراءة من عاصم، كما يتعلّم الغلام في الكتّاب، ما أُحسن غير قراءته».

=





وقال أبو بكر بن عياش: «قال عاصم: ما أقرأني أحد حرفًا إلا أبو عبدالرحمن السُّلمي، وكان أبو عبدالرحمن قد قرأ على علي بن أبي طالب ط». اهـ

وقال البغوي في التفسير (٤/ ٥١٢): «اتباع من قبلنا في الحروف وفي القراءة؛ سنة متبعة لا يجوز فيها مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءة التي هي مشهورة، وإن كان غير ذلك سائغًا في اللغة، أجمعت الصحابة ن والتابعون فمن بعدهم على هذا، أن القراءة سنة، فليس لأحد أن يقرأ حرفًا إلا بأثر صحيح عن رسول الله ق موافق لخط المصحف أخذه لفظًا وتلقينًا». اهـ



باب: الرواية في الحروف التي خولف بها الخط في القرآن (١)

(١) هذه الحروف كان يقرأ بها بعض الصحابة ن قبل جمع عثمان بن عفان ط للمصحف، أما بعد جمع المصحف والإجماع عليه، فلا يقرأ أحد إلا بما وافق الخط، وبعض الاختلافات في الحروف فيه فوائد- سيذكرها أبو عبيد- في هذا الباب.

وأخرج ابن النجار في تاريخ بغداد من طريق الضحاك، عن ابن عباس م، ونقله صاحب الدر المنثور (١٥/ ٤٦٧): «أنه كان يقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت إلا ثمانية عشر حرفًا أخذها من قراءة عبدالله بن مسعود ط، وقال ابن عباس م: ما يسرني أني تركت هذه الحروف، ولو ملئت لي الدنيا ذهبة حمراء:

منها حرف في البقرة: (من بقلها وقثائها وثومها، بالثاء).

وفي الأعراف: (فلنسألن الذين أُرسل إليهم قبلك من رسلنا ولنسألن المرسلين).

وفي براءة: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

وفي إبراهيم: (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال).

وفي الأنبياء: (وكنا لحكمهم شاهدين. وفيها: وهم من كل جدث ينسلون).

وفي الحج: (يأتون من كل فج سحيق).

وفي الشعراء: (فعلتها إذًا وأنا من الجاهلين).

وفي النمل: (أعبد ربَّ هذه البلدة التي حرمها).

وفي الصافات: (فلما سلَّما وتله للجبين).

وفي الفتح: (وتعزروه وتوقروه وتسبحوه- بالتاء).

وفي النجم: (ولقد جاء من ربكم الهدى. وفيها: إن تتبعون إلا الظن).

وفي الحديد: (لكي يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء).

وفي (ن)- القلم-: (لولا أن تداركته نعمة من ربه- على التأنيث).

وفي (إذا الشمس كورت): (وإذا الموءودة سألت بأي ذنب قتلت. وفيها: وما هو على الغيب بظنين).

وفي الليل: (والذكر والأنثى. قال: هو قَسَمٌ فلا تقطعوه». اهـ

=



٤٧٢ – حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود

عن عمر بن الخطاب ط:

أنه كان يقرأ: «غير المغضوب عليهم وغير الضالين»(١).

انظر: الدر المنثور في تفسير سورة الليل.

هذا، وقد ذكر ابن أبي داود في كتابه المصاحف حروفًا أخرى، غير التي ذكرها أبو عبيد، فليتأملها هناك من شاء.

(١) المتواتر المشهور: «غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ».

قال ابن كثير في التفسير (١/ ٥٥): «وكذلك حكي عن أبي بن كعب أنه قرأها كذلك- غير المغضوب عليهم وغير الضالين- وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التفسير، فيدلُّ على ما قلناه من أنه إنما جيء بها لتأكيد النفي، لئلا يتوهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم». اهـ

وما سيذكره أبو عبيد هنا في هذا الباب هو من قبيل القراءات الشاذة، والتي أجمع العلماء على عدم جواز الصلاة بها، ولو جحدها جاحد لم يكن كافرًا، وغاية ما فيها أن يكون القصد منها تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها، أما الحروف التي كتبها عثمان ط بموافقة الصحابة له، فهذه هي المتعبد بها في الصلاة، ولو أنكر أحد بعضها لكان كافرًا، حكمه حكم المرتد، يستتاب، فإن تاب، وإلا ضربت عنقه.

قال ابن أبي داود في كتاب المصاحف (١/ ١٦٦): «لا نرى أن نقرأ القرآن إلا بمصحف عثمان الذي اجتمع عليه أصحاب النبي ق، فإن قرأ إنسان بخلافه في الصلاة؛ أمرته بالإعادة». اهـ

وقال ابن عبدالبر في التمهيد (٨/ ٢٩٢): «وإنما لم تجز القراءة به في الصلاة؛ لأن ما عدا مصحف عثمان، فلا يقطع عليه، وإنما يجري مجرى السنن التي نقلها الآحاد، لكن لا يُقْدِم أحد على القطع في ردِّه، وقد روى عيسى عن ابن القاسم في المصاحف على قراءة ابن مسعود، قال: أرى أن يمنع الإمام من بيعه، ويضرب من قرأ به، ويمنع ذلك. وقد قال مالك: من قرأ في صلاته بقراءة ابن

=

٤٧٣ – حدثنا عبدالرحمن بن مهدي

عن محمد بن عقبة اليشكري، عن أبيه، قال:

سمعت عبدالله بن الزبير، يقرأ: «صراط من أنعمت عليهم»[١].

٤٧٤ – حدثنا هشيم، ويحيى بن سعيد، كلاهما، عن عبدالملك بن أبي سليمان، عن عطاء

عن ابن عباس م:

أنه كان يقرأ: «إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما»[٢].

مسعود أو غيره من الصحابة ن مما يخالف المصحف؛ لم يُصَلّ وراءه. وعلماء المسلمين مجمعون على ذلك إلا قوم شذوا، لا يعرج عليهم منهم». اهـ

والمراد بمصحف عثمان: المصحف الإمام الذي وُضع في مسجد رسول الله ق فيما بعد عند اسطوانة التوبة، أو أحد المصاحف الأئمة التي وجّهها إلى أمصار الإسلام، ولو وجد بين بعضها اختلاف، مثل زيادة الواو أو الفاء أو التاء، فهذا يسير نادر لا يضر – وسيأتي لذلك بابٌ خاص.

هذا وقد اتفق علماء القراءات والفقهاء على أن كل قراءة وافقت وجهًا في العربية، ووافقت خط المصحف – أي مصحف عثمان – وصح سند راويها؛ فهي قراءة صحيحة متواترة. وإذا اختل شرط من هذه الشروط الثلاثة، فإنها تعتبر قراءة شاذة، وتأخذ حكم الحديث الصحيح، إن صح سندها.

وأما فائدة هذه الحروف الشاذة؛ فسيأتي كلام أبي عبيد فيها في آخر الباب التالي.

(١) المتواتر المشهور: «صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ». «الفاتحة:٧». ولعلَّه قرأها في غير الصلاة – وهكذا باقي الآثار – على أنها أحد الأحرف السبعة، قبل أن يجتمع الناس على مصحف عثمان ط.

(٢) المتواتر المشهور: «إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا».

وروى مالك في الموطأ، عن عروة بن الزبير، قال: «قلت لعائشة ك – وأنا يومئذ حديث السِّن:

=



٤٧٥ - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب

عن عكرمة: أنه كان يقرأ: «وعلى الذين يُطَوَّقونه»[١].

وقال: «يكلفونه ولا يطيقونه».

٤٧٦ - حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن منصور

عن مجاهد، قال: كان ابن عباس م يقرؤها: «يُطَوَّقونه»[٢].

وقال: «الشيخ الكبير يطعم عنه نصف صاع».

أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، فما على الرجل شيء أن لا يطّوف بهما، فقالت عائشة: كلا! لو كان كما تقول، لكانت: «فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما»، إنما نزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة الطاغية، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ق عن ذلك، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾، الآية». اهـ

قال البخاري في صحيحه: زاد سفيان، وأبو معاوية، عن هشام بن عروة: «ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته، لم يطف بين الصفا والمروة». اهـ

والفرق بين قول القائل: «لا جناح عليك أن تفعل»، وقوله: «لا جناح عليك أن لا تفعل». أن الأول: إباحة الفعل، والثاني: إباحة ترك الفعل، وليس المراد من الآية إباحة ترك الطواف، وإنما إباحة الطواف لمن كان قد تحرّج منه في الجاهلية، أو لمن كان يطوف في الجاهلية قاصدًا الأصنام.

(١) المتواتر المشهور: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾. «البقرة:١٨٤».

(٢) وروى البخاري عن عطاء أنه سمع ابن عباس، يقرأ: «وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين». قال ابن عباس م: «ليست منسوخة، هو للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكينًا».



٤٧٧ – حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم

عن علقمة، قال:

هي قراءة عبدالله ط: «وأتموا الحج والعمرة إلى البيت»[(١)].

قال: «لا يجاوز بالعمرة البيت».

٤٧٨ – حدثنا هشيم، أخبرنا حجاج، عن عطاء

عن ابن عباس م: أنه كان يقرأ:

«ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج»[(٢)].

حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن أيوب

عن عكرمة:

أنه كان يقرؤها كذلك: «في مواسم الحج».

---

(١) المتواتر المشهور: «وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ». «البقرة: ١٩٦».

وثمة اختلاف آخر في قراءة هذه الآية؛ نتج عنه اختلافٌ في حكم العمرة أهي على الوجوب أم على الاستحباب؛ فقد قال الطبري في تفسيره (٣٢٠٣): «حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: حدثني سعيد بن أبي بردة: أن الشعبي وأبا بردة تذاكرَا العمرة، فقال الشعبي: هي تطوَّع، وقرأ: (وأتموا الحجَّ والعمرةُ لله). وقال أبو بردة: هي واجبة، وقرأ: (وأتِمّوا الحجَّ والعمرةَ لله)».

(٢) المتواتر المشهور: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ». «البقرة: ١٩٨».



٤٧٩ – حدثنا حجاج

عن ابن جريج، قال:

هي في مصحف ابن مسعود ط: «ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى الله»[(١)].

٤٨٠ – حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار

عن ابن عباس م، أنه كان يقرؤها:

«للذين يُقْسِمُون من نسائهم تربص أربعة أشهر»[(٢)].

٤٨١ – وحدثنا هشيم، عن سفيان بن حسين، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس

عن أُبَيٍّ بن كعب ط، أنه قرأها:

«فإن فاءوا فيهن[(٣)] فإن الله غفور رحيم».

---

(١) المتواتر المشهور: «وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ». «البقرة: ٢٠٣».

(٢) وهي قوله تعالى: «لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖ».

وكان ابن عباس م يقول: «الإيلاء القَسَم، والقَسَم الإيلاء».

(٣) أي: في الأربعة أشهر.

والمتواتر المشهور: «فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ». «البقرة:٢٢٦».



٤٨٢ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال

عن ابن أسلم:

أن عمرو بن رافع، قال: أمرتني حفصة ك فكتبت لها مصحفًا، فقالت: إذا بلغت آية الصلاة فأخبرني، فلما بلغت: @حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ! [البقرة:٢٣٨]، قالت: «وصلاة العصر»، أشهد أني سمعتها من رسول الله ق.

وحدثني يحيى بن بكير، عن مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عمرو بن رافع، قال: كنت أكتب مصحفًا لحفصة. ثم ذكر مثل حديث الليث سواء إلا أنه لم يرفعه مالك.

وحدثنا هشيم، أخبرنا أبو بشر، عن رجل، عن سالم بن عبدالله، عن حفصة ك، مثل ذلك، غير مرفوع أيضًا، إلا أنه قال: قالت: «صلاة العصر» بغير واو.

وحدثنا مروان بن شجاع، عن خصيف، عن زياد بن أبي مريم

عن عائشة ك، أنها أمرت الذي يكتب مصحفها بمثل ما أمرت به حفصة ك غير مرفوع أيضًا، وليس فيها واو.

٤٨٣ – حدثنا ابن أبي زائدة، عن أبيه، عن إسرائيل، عن عبدالملك بن عمير، عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى

عن أبي بن كعب ط:

أنه كان يقرؤوها كذلك: «حافظوا على الصلوات، والصلاة الوسطى صلاة العصر».



٤٨٤ - حدثنا ابن أبي زائدة، عن أبيه، عن أبي إسحاق

عن رزين بن عبيد: أنه سمع ابن عباس م، يقرؤوها كذلك: «والصلاة الوسطى صلاة العصر».

٤٨٥ - حدثنا يزيد، عن عبدالملك، عن عطاء

عن عبيد بن عمير: أنه كان يقرؤوها بالواو: «وصلاة العصر»[(١)].

قال أبو عبيد:

من قرأها بغير واو؛ فقد تبين أنه جعلها العصر نفسها، وتصديقه حديث النبي ق:

٤٨٦ - حدثني ابن أبي زائدة، عن الأعمش، عن مسلم بن صُبيح، عن شُتير بن شَكَل

عن علي ط قال:

لما كان يوم الأحزاب شغلوا النبي ق عن صلاة العصر، فصلاها بين صلاتي العشاء، فقال رسول الله ق: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارًا»[(٢)].

---

(١) وروى الطبري في تفسيره (٥/ ٢١٣) عن عطاء، قال: «كان عبيد بن عمير يقرأ: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين».

(٢) متفق عليه.

=



وحدثنا ابن أبي زائدة ويزيد، كلاهما، عن هشام، عن ابن سيرين، عن عَبيدة، عن علي ط، عن النبي ق مثل ذلك.

قال أبو عبيد:

ومن قرأها: «وصلاة العصر»؛ جعل الوسطى غير العصر(١)، وفي ذلك أيضًا أحاديث تصدقه، ليس هذا موضعها(٢).

وفي رواية عند أحمد في المسند عن عليٍّ ط، قال: «كنا نراها الفجر، فقال رسول الله ق: هي صلاة العصر، يعني: صلاة الوسطى».

(١) من قرأها: «وصلاة العصر»، جعل الوسطى هي صلاة الظهر؛ ووجه الاستدلال أن صلاة العصر عُطفت على الصلاة الوسطى، والمعطوف عليه في العادة يكون قبل المعطوف، والذي قبل العصر هي صلاة الظهر.

(٢) اختلف أهل العلم في تعيين الصلاة الوسطى اختلافًا كبيرًا، حتى روى ابن جرير في تفسيره عن شعبة، قال: «سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيِّب، قال: كان أصحاب رسول الله ق فيه هكذا- يعني: مختلفين في الصلاة الوسطى- وشبَّك بين أصابعه».

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٦٥٣): «لم يزل التنازع فيها موجودًا من زمن الصحابة وإلى الآن». اهـ

وهذا الاختلاف- والله أعلم- منشأه المراد بوصف (الوسطى)؛ فيحتمل أن يكون المراد بالوسطى: العدد. أو يكون المراد بالوسطى: الفضيلة كما في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. أو الوسطى في الزمن كالظهر، أو الوسطى في المقدار كالمغرب؛ فإنه ثلاثٌ بين اثنتين وأربع، أو الوسطى في الصفة كالصبح؛ فإنه بين الظلام والضياء. وإليك بيان أقوال السلف في ذلك:

الأول: أنها صلاة الصبح؛ وهو قول عمر وابن عمر وعلي وابن عباس وجابر وأبي أمامة، وطاوس وعطاء وعكرمة ومجاهد.

فقد روى الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس، قال: «الصلاة الوسطى: صلاة الفجر».

=

وروى عن جابر بن عبدالله قال: «الصلاة الوسطى: صلاة الصبح».

قال مالك في الموطأ (٣٤٩): «قول علي وابن عباس أحبّ ما سمعت إليَّ في ذلك».

قال الطبري في التفسير (٥/ ٢١٩): «وعلة من قال هذه المقالة: أن الله تعالى ذِكره، قال: «حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ »، بمعنى: وقوموا لله فيها قانتين. قال: فلا صلاة مكتوبة من الصلوات الخمس فيها قنوت سوى صلاة الصبح، فعلم بذلك أنها هي دون غيرها». اهـ

الثاني: أنها صلاة الظهر؛ يروى عن ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وأسامة بن زيد.

فقد روى ابن جرير في تفسيره (٥/ ٢٠٦) عن زيد بن ثابت قال: «كان رسول الله ق يصلي الظهر بالهاجرة، ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب النبي ق منها، قال: فنزلت: «حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ». وقال: «إن قبلها صلاتين، وبعدها صلاتين».

وروى ابن جرير في تفسيره عن سعيد بن المسيب: «أنه كان قاعدًا هو وعروة وإبراهيم بن طلحة، فقال له سعيد: سمعت أبا سعيد ط يقول: إن صلاة الظهر هي الصلاة الوسطى. فمرَّ علينا ابن عمر، فقال عروة: أرسلوا إليه فاسألوه، فسأله الغلام فقال: هي الظهر. فشككنا في قول الغلام، فقمنا إليه جميعًا فسألناه، فقال: هي الظهر».

الثالث: أنها صلاة العصر؛ يروى عن علي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعائشة وحفصة ن، والحسن وسعيد بن جبير والنخعي وقتادة والضحاك، ودليلهم ما ذكره أبو عبيد هنا، وما رواه الترمذي في سننه عن سمرة بن جندب عن النبي ق أنه قال: «صلاة الوسطى: صلاة العصر». قال أبو عيسى: «حديث سمرة في صلاة الوسطى؛ حديث حسن صحيح. وهو قول أكثر العلماء من أصحاب النبي ق وغيرهم». اهـ

وقالوا: صلاة العصر قبلها صلاتان من النهار، وبعدها صلاتان من الليل.

الرابع: أنها صلاة المغرب؛ يروى- بإسناد فيه مقال- عن قبيصة بن ذؤيب، رواه عنه ابن جرير في تفسيره، قال: «الصلاة الوسطى: صلاة المغرب، ألا ترى أنها ليست بأقلها ولا أكثرها، ولا تقصر في السفر، وأن رسول الله ق لم يؤخرها عن وقتها ولم يعجلها؟». اهـ

وبعد عرض هذه الأقوال وما احتج به أصحابها، فإننا نقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا بالمحافظة على الصلاة الوسطى، ولم يبينها لنا حتى نجتهد في طلبها، وذلك بالمحافظة على جميع الصلوات، كما أخفى

=



٤٨٧ – حدثنا أبو اليمان، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، عن ابنٍ لعبدالله بن مسعود

عن ابن مسعود ط:

أنه كان يقرأ: «الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسِّ يوم القيامة»(١).

سبحانه وتعالى ليلة القدر، وساعة الإجابة في يوم الجمعة، واسمه الأعظم لهذه العِلَّة.

روى ابن جرير في تفسيره (٤/ ٣٧١) عن هشام بن سعد قال: «كنا عند نافع، ومعنا رجاء بن حيوة، فقال لنا رجاء: سلوا نافعًا عن الصلاة الوسطى؛ فسألناه، فقال: قد سأل عنها عبدَالله بن عمر رجلٌ، فقال: هي فيهن، فحافظوا عليهن كلهن».

وعن نسير بن ذعلوق أبي طعمة، قال: «سألت الربيع بن خثيم عن الصلاة الوسطى، قال: أرأيت إن علمتها كنت محافظًا عليها ومضيعًا سائرهن؟ قلت: لا! فقال: فإنك إن حافظت عليهن، فقد حافظت عليها». اهـ

وأخرج عبد بن حميد، عن محمد بن سيرين، قال: «سأل رجلٌ زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى؟ قال: حافظ على الصلوات تدركها». اهـ

وهنالك أقوال أخرى استغنيت عن ذكرها بما ذكرته لعدم الدليل عليها.

وأصح ما في هذا الخلاف هو ما أيده الأثر؛ وذلك قولان: صلاة الصبح، وصلاة العصر؛ وقد رجَّح الأكثرون أنها صلاة العصر، كما قال الترمذي، والله أعلم.

(١) المتواتر المشهور: «ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ». «البقرة:٢٧٥». دون قوله: «يوم القيامة».

والمقصود: حين يقوم من قبره؛ كما في تفسير ابن جرير (٣/ ١٠٢) عن ابن عباس م.

٤٨٨ - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن جريج، عن أبيه

عن ابن عباس : أنه كان يقرأ:

«ولم تجدوا كِتَابًا»(١).

وحدثنا حجاج، عن هارون، عن حنظلة السدوسي، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس، مثل ذلك: «كتابًا».

وحدثنا حجاج، عن هارون، عن الزبير بن خريت، عن عكرمة، أنه قرأها كذلك أيضًا: «ولم تجدوا كتابًا».

وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن أبي نجيح

عن مجاهد:

أنه قرأها مثل ذلك: «ولم تجدوا كِتَابًا».

وقال: قد يوجد الكاتب، ولا توجد الصحيفة.

---

(١) المتواتر المشهور: «وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا».

وروى الطبري في تفسيره، عن ابن عباس ﭬ قال: «فإن لم تجدوا كِتَابًا». يعني بالكتاب: الكاتب والصحيفة والدواة والقلم». وقال: «ربما وجد الرجل الصحيفة، ولم يجد كاتبًا».

وفي نسخة: (كُتَّابًا) بضم الكاف: جمع كاتب، وبكليهما قرأ ابن عباس ﭬ، يدلُّ لذلك ما أخرجه ابن الأنباري عن ابن عباس ﭬ أنه كان يقرأ: (ولم تجدوا كُتَّابًا) بضم الكاف، وتشديد التاء. انظر: الدُّر المنثور عند تفسير سورة البقرة آية (٢٨٣). وكذلك ذكرها ابن عطية في تفسيره (١/ ٣٨٥).

وهذا المعنى؛ إذا كان لكل نازلةٍ كاتبٌ.

٤٨٩ - حدثنا أبو مُسهر الدمشقي، عن سعيد بن عبدالعزيز التنوخي

عن يزيد بن أبي مالك، قال:

«هو إبراهام وإبراهيم، مثل يعقوب وإسرائيل».

قال: وكان سعيد بن عبدالعزيز يشتد في ترك ذلك.

قال أبو مُسْهِر:

وكان عبدالله بن عامر اليحصبي(١)، وعطية بن قيس(٢) يشتدان في ذلك أيضًا.

---

(١) إمام أهل الشام في القراءة، وكان رئيس أهل المسجد زمن الوليد بن عبدالملك وبعده، وهو قليل الحديث. واليحصبي نسبة إلى يحصب من اليمن. روى له أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه.

(٢) هو: عطية بن قيس الكلابي، ويقال: الكلاعي أبو يحيى. من التابعين وكان لأبيه صحبة. قال عبدالواحد بن قيس السلمي: كان الناس يصلحون مصاحفهم على قراءة عطية بن قيس، وهم جلوس على درج الكنيسة من مسجد دمشق قبل أن يهدم. وقال المفضل بن غسان: من علمائنا من قال: إن عطية بن قيس وعبدالله بن عامر اليحصبي كانا عالمي جند دمشق، يقرئان الناس القرآن. وقال يعقوب بن سفيان: سألت عبدالرحمن بن إبراهيم عن عطية بن قيس؟ قال: كان أسنهم، يعني: أسن أقرانه، وكان غزا مع أبي أيوب الأنصاري، وكان هو وإسماعيل بن عبيدالله قارئي الجند. وقال سعيد بن عبدالعزيز: لم يكن أحد من الناس يطمع أن يفتح في مجلس عطية بن قيس شيئًا من ذكر الدنيا. وقال أبو مسهر: كان مولد عطية بن قيس في حياة رسول الله ﷺ في سنة سبع، وغزا في خلافة معاوية، وتوفي سنة عشر ومئة.



قال أبو عبيد:

يعني: ألا يقرأ «إبراهام» في موضعه، يقول: سُمي باسمين، كما سُمي يعقوب وإسرائيل[1].

قال أبو عبيد:

وتتبعت اسمه في المصاحف؛ فوجدته كُتب في البقرة خاصة: «إبراهم» بغير ياء[2].

---

(١) أي: كما ذُكر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن باسمين، تارة بـ (يعقوب)، وتارة بـ (إسرائيل)، فكذلك (إبراهيم).

قال يحيى بن سعيد الأنصاري: «اقرأ: إبراهام وإبراهيم؛ فإن الله تبارك وتعالى أنزلها كما أنزل: يعقوب وإسرائيل، وعيسى والمسيح، ومحمدًا وأحمد».

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل في العلل (٥٧٨٣): «وجدت في كتاب أبي بخط يده، قال: سمعنا أن ستة من الأنبياء لهم في القرآن اسمين: محمد وأحمد، إبراهيم وإبراهام، ويعقوب إسرائيل، ويونس ذو النون، وإلياس إلياسين، وعيسى المسيح». اهـ

(٢) جمهور القراء على قراءة (إبراهيم) بالياء.

قال أبو شامة في إبراز المعاني من حرز الأماني (١/ ٣٤٤): «حكى أبو علي الأهوازي عن الفراء في (إبراهيم) ست لغات: بالياء والألف والواو: إبراهيم إبراهام إبراهوم، وبحذف كل واحد من هذه الحروف الثلاثة، وإبقاء الحركة التي قبلها: (إبراهِم، وإبراهَم، وإبراهُم). وكان الأخفش يقرأ مواضع (إبراهام) بالألف، ومواضع (إبراهيم) بالياء، ثم ترك القراءة بالألف... وقال أبو الحسن السلمي: كان أهل الشام يقرءون (إبراهام) بألف في مواضع دون مواضع، ثم تركوا القراءة بالألف، وقرءوا جميع القرآن بالياء، قال أبو علي: وهي لغة أهل الشام قديمًا، كان قائلهم إذا لفظ (إبراهيم) في القرآن وغيره، قال: (إبراهام) بألف، قال أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي: دخلت =



٤٩٠ - حدثنا حجاج، عن هارون بن موسى، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب، عن أبيه

عن عمر ط:

أنه صلى العشاء الآخرة، فاستفتح آل عمران، فقرأ: «الم الله لا إله إلا هو الحي القيَّام».

بعض قرى الشام، فرأيت بعضهم يقول لبعض: يا إبراهام! فاعتبرت ذلك، فوجدتهم ما يعرفون غيره، وروى أبو زرعة الدمشقي، عن يحيى بن راشد، قال: صليت خلف ابن الزبير صلاة الفجر، فقرأ: «صحف إبراهام وموسى»، قال أبو زرعة: وسمعت عبدالله بن ذكوان بحضرة المشايخ وتلك الطبقة العالية، قال: سمعت أبا خليد القارئ، يقول: في القرآن ستة وثلاثون موضعًا إبراهام، قال أبو خليد: فذكرت ذلك لمالك بن أنس، فقال: عندنا مصحف قديم، فنظر فيه، ثم أعلمني أنه وجدها فيه كذلك، وقال أبو بكر بن مهران: روي عن مالك بن أنس أنه قيل له: إن أهل الشام يقرءون: إبراهام، فقال: أهل دمشق بأكل البطيخ أبصر منهم بالقراءة، فقيل: إنهم يدَّعون قراءة عثمان ط، فقال مالك: ها مصحف عثمان عندي، ثم دعا به، فإذا فيه كما قرأ أهل دمشق، قال أبو بكر: وكذلك رأيت أنا في مصاحفهم، وكذلك هو إلى وقتنا هذا، قال: وفي سائر المصاحف: «إبراهيم» مكتوب بالياء في جميع القرآن، إلا في البقرة فإن فيها بغير ياء، وقال مكي: الألف لغة شامية قليلة، قال أبو الحسن محمد بن الفيض: سمعت أبي يقول: صلى بنا عبدالله ابن كثير القارئ الطويل، فقرأ: «وإذ قال إبراهام لأبيه»، فبعث إليه نصر بن حمزة -وكان الوالي بدمشق إذ ذاك- فخفقه بالدِّرة خفقات، ونحَّاه عن الصلاة.

قلت: ويحتمل أنه فعل به ذلك؛ لكون هذا الموضع ليس من المواضع المذكورة، المعدودة ثلاثة وثلاثون، أو لأنه لما ترك أهل الشام ذلك، استغرب منه ما قرأ وخاف من تجرؤ الناس على قراءة ما ليس بمشهور في الصلاة، فأدبه على ذلك، والله أعلم». اهـ



قال هارون:

هي في مصحف عبدالله مكتوبة: «الحي القيِّم»[١].

٤٩١ – حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم

عن علقمة:

أنه قرأها: «الحي القيام». قال: قلت: أأنت سمعتها منه؟ قال: «لا أدري»[٢].

٤٩٢ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج

عن عطاء، قال:

سمعت ابن عباس م، يقرأ: @فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ ! [آل عمران:٩٧]، ثم قال: «لا، فيه آية بينة مقام إبراهيم»؛ وهو هذا الذي في المسجد.

٤٩٣ – حدثنا حجاج، عن هارون، عن وضاح، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس م: أنه قرأ: «فيه آية بينة».

٤٩٤ – حدثنا هشيم، أخبرنا يعلى بن عطاء

عن القاسم بن ربيعة بن قانف الثقفي، قال:

(١) المتواتر المشهور: «ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ». «آل عمران:٢».

(٢) لا خلاف بين أهل اللغة في أن (القيوم) أبلغ وأشهر عند العرب، وأصح بناءً من غيرها.



سمعت سعد بن أبي وقاص ط، يقرأ: «وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت من أمه»(١).

٤٩٥ - حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي هلال

عن ابن عباس م:

أنه قرأ: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل فآتوهن أجورهن»(٢).

---

(١) المتواتر المشهور: «وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ». دون زيادة: «من أمه».

قال ابن القيم في زاد المعاد (٥/ ٥٧٤): «احتج به مالك والصحابة ن قبله في فرض الواحد من ولد الأم أنه السدس، بقراءة أُبيّ: «وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس»، فالناس كلهم احتجوا بهذه القراءة، ولا مستند للإجماع سواها». اهـ

(٢) كان هذا الحرف يُقرأ به في أول الإسلام، ثم نسخ لفظًا وحكمًا، وصارت متعةُ النساء إلى أجلٍ محرمةً إلى قيام الساعة. وما أفتى به ابن عباس م من إباحة المتعة؛ فهذا كان في أول أمره، ثم رجع عنه ووافق إجماع الصحابة ن على ذلك بعد أن قال له سعيد بن جبير: هل ترى ما صنعتَ، وبم أفتيت؟ سارت بفتياك الركبان، وقالت فيه الشعر! قال: ما قالوا؟! قال: قالوا:

أقول للشيخ لما طال مجبسه ... يا صاحِ هل لك في فتيا ابن عباسِ
وهل لك في رخصة الأطراف آنسةٍ ... تكون مثواك حتى مصدر الناسِ

قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! والله ما بهذا أفتيت، ولا هذا أردت، ولا أحللت منها إلا ما أحلَّ الله من الميتة والدم ولحم الخنزير». انتهى من تفسير ابن المنذر.

وفي مستخرج أبي عوانة (٣/ ٢٢) عن يونس بن يزيد الأيلي، قال: «قال ابن شهاب: سمعت الربيع بن سبرة يحدث عمر بن عبدالعزيز، وأنا جالس، أنه قال: ما مات ابن عباس، حتى رجع عن هذه الفتيا». اهـ

=



وروى عنه أنه قال عند موته: «اللهم إني أتوب إليك من قولي في المتعة والصَّرف».

قال ابن المنذر في الإشراف (٥/ ٧١): «ثبت أن رسول الله ق نهى عن نكاح المتعة، ودلَّ قوله: «ألا وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة» على أن النسخ لا يجوز أن يقع عليه. وقد روينا أخبارًا عن الأوائل بإباحة ذلك، وليس لها معنى ولا فيها فائدة مع سنة رسول الله ق . وممن نهى عن المتعة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وقال القاسم بن محمد: تحريمها في القرآن: « وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ - إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ -فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ».

وروي عن ابن مسعود أنه قال: نسختها آية الطلاق والعِدَّة والميراث- إذ المتعة ليس فيها شيء من ذلك-. وروي عن عليٍّ ط أنه قال ذلك. وقال ابن عمر: ما أعلمه إلا السِّفاح. وقال ابن الزبير: المتعة: الزنا الصريح، ولا أعلم أحدًا يعمل بها إلا رجمته. وقال الحسن البصري: ما كانت المتعة إلا ثلاثة أيام، حتى حرَّمها الله تعالى ورسوله ق . وممن أبطل نكاح المتعة: مالك والثوري والشافعي وإسحاق وأبو ثور وأصحاب الرأي، ولا أعلم أحدًا يجيز اليوم نكاح المتعة إلا بعض الرافضة، ولا معنى لقول القائل به يخالف الكتاب والسُّنة». اهـ

وفي قوله تعالى: «فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ». قال ابن منظور في لسان العرب (٨/ ٣٢٩): «فإن الزّجاج ذكر أن هذه الآية غلط فيها قومٌ غلطًا عظيمًا لجهلهم باللغة، وذلك أنهم ذهبوا إلى قوله: «فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ» من المتعة التي قد أجمع أهل العلم أنها حرام، وإنما معنى: «فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ»؛ فما نكحتم منهن على الشريطة التي جرى في الآية أنه الإحصان، «أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ » أي: عاقدين التزويج. أي: فما استمتعتم به منهن على عقد التزويج، الذي جرى ذكره «فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً » أي: مهورهن، فإن استمتع بالدخول بها آتى المهر تامًّا، وإن استمتع بعقد النكاح آتى نصف المهر... قال: ومن زعم أن قوله: «فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ» التي هي الشرط في التمتع الذي يفعله الرافضة، فقد أخطأ خطأ عظيمًا؛ لأن الآية واضحة بيِّنة. قال: فإن احتج محتج من الروافض بما يروى عن ابن عباس، أنه كان يراها حلالًا، وأنه كان يقرؤها: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى»، فالثابت عندنا أن ابن عباس كان يراها حلالًا، ثم لما وقف على نهي النبي ق رجع عن إحلالها؛ قال عطاء: سمعت ابن عباس، يقول: ما كانت المتعة إلا رحمة، رحم الله بها أمة محمد ق ، فلولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزنا أحد إلا شفى. قال عطاء:

=



٤٩٦ - حدثنا إسماعيل بن عياش

عن عبدالوهاب بن مجاهد، عن أبيه، قال:

في قراءة أبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود م: «ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك»[(١)].

٤٩٧ - حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني هشام بن عروة، عن أبيه

عن عائشة ك، أنها كانت تقرأ:

«إن يدعون من دونه إلا أوثاناً»[(٢)].

فهي التي في سورة النساء: «فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ». إلى كذا وكذا من الأجل، على كذا وكذا شيئًا مسمى، فإن بدا لهما أن يتراضيا بعد الأجل وإن تفرقا، فهم وليس بنكاح. قال الأزهري: وهذا حديث صحيح، وهو الذي يبين أن ابن عباس صح له نهيُ النبي ق عن المتعة الشرطية، وأنه رجع عن إحلالها إلى تحريمها. وقوله: «إلا شفى» أي: إلا أن يشفي، أي يشرف على الزنا ولا يواقعه- وتحتمل: إلا شقي-... قال: وإنما بينت هذا البيان لئلا يغر بعض الرافضة غِرًّا من المسلمين؛ فيحلُّ له ما حرَّمه الله عَزَّوَجَلَّ على لسان رسوله فإن النهي عن المتعة الشرطية صح من جهات، لو لم يكن فيه غير ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ط، ونهيه ابن عباس م عنها لكان كافيًا، وهي المتعة كانت يُنتفع بها إلى أمدٍ معلوم، وقد كان مباحًا في أول الإسلام ثم حُرِّم، وهو الآن جائز عند الشيعة». اهـ

(١) المتواتر: «مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ». دون: «وأنا كتبتها عليك».

وهذه القراءة قد استدل بها أهل السنة والجماعة على بطلان مذهب القدرية، وقذفوا بها في نحورهم؛ كما هو صنيع الآجري في الشريعة (١/ ٢٣٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٤/ ٢٠٥).

(٢) المتواتر المشهور: «إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا».

=



٤٩٨ – حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة

عن الحكم، قال: في قراءة عبدالله ط: «بل يداه بُسطان»[(١)].

٤٩٩ – وحدثت عن معاوية بن هشام، عن نصير الطائي، قال: حدثني الصلت

عن حامية بن رئاب، قال:

سألت سلمان ط عن هذه الآية: @ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ! [المائدة:٨٢] فقال: دع القسيسين في الصوامع والخِرَب، أقرأنيها رسول الله ق: «ذلك بأن منهم صديقين ورهباناً».

٥٠٠ – حدثنا هشيم، عن مغيرة

عن إبراهيم: في قراءة عبدالله ط: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات»[(٢)].

قال الطبري في تفسيره (٩/ ٢١٠): «وأولى التأويلات تأويل من قال: عنى بذلك الآلهة التي كان مشركو العرب يعبدونها من دون الله، ويسمونها بالإناث من الأسماء، كاللات والعزى ونائلة ومناة، وما أشبه ذلك». اهـ

(١) بسطان: تقرأ بالضم وبالكسر. القاموس المحيط (١/ ٨٥١).

قال أبو بكر الأنباري: معنى «بُسطان»: مبسوطتان. والمتواتر المشهور: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ».

(٢) المتواتر المشهور: «فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ». «المائدة:٨٩». دون زيادة: «متتابعات».

وفي هذه القراءة حجة لمن اشترط التتابع في صيام كفارة اليمين؛ قال إسحاق الكوسج في مسائله (١٧٥٣): «قلت: صيام ثلاثة أيام متتابعة؟ قال أحمد بن حنبل: نعم، متتابعة في كفارة اليمين في قراءة أُبَيّ وابن مسعود م. قال إسحاق بن راهويه: كما قال». اهـ

=

٥٠١ - حدثنا نعيم، عن بقية، عن أبي بكر بن أبي مريم

عن أبي الزاهرية:

أن عثمان ﷺ كتب في آخر المائدة: «لله ملك السماوات والأرض والله سميع بصير»[١].

وكتب: «وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا».

٥٠٢ - حدثنا حجاج، عن ابن جريج

عن هارون، قال:

في قراءة ابن مسعود ﷺ: «يقضي بالحق وهو خير الفاصلين»[٢].

وروى سعيد بن منصور في سننه (٨٠٥) عن حجَّاج، قال: «سألت عطاء عن الصيام في كفارة اليمين، قال: إن شاء فرَّق، قلت: فإنها في قراءة عبدالله: متتابعة! قال: إذًا ننقاد لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ».

وعن طاوس، قال: «إن شاء فَرَّق، فقال له مجاهد: في قراءة عبدالله: متتابعة. قال طاوس: فهي متتابعة». اهـ

وهذان أثران عزيزان في الاحتجاج بالقراءة الشاذة عند التابعين، والرجوع إليها في الفتوى والتفسير.

(١) والمتواتر المشهور: «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». «المائدة: ١٢٠».

والحرف المذكور أعلاه كان في المصحف الشخصي لعثمان ﷺ، أما المصحف الإمام فكما تقدَّم.

(٢) المتواتر المشهور: «إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ». «الأنعام: ٥٧».

قال البغوي في تفسيره (٣/ ١٤٩) في قوله تعالى: «إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ». قال: «قرأ أهل الحجاز وعاصم (يقص) بضم القاف والصاد مشددًا، أي: يقول الحق، لأنه في جميع المصاحف بغير ياء، ولأنه قال: الحق، ولم يقل: بالحق، وقرأ الآخرون (يقضي) بسكون القاف والضاد مكسورة، من =

٥٠٣ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عبدالله بن كثير

عن مجاهد: في قراءة ابن مسعود ط:

«يدعونه إلى الهدى بَيِّنًا»(١).

٥٠٤ – حدثنا حجاج

عن هارون، قال: وحُدِّثنا في قراءة أبي بن كعب ط:

«وحشرنا عليهم كل شيء قبيلاً»(٢)؛ التي في الأنعام.

قضيت، أي: يحكم بالحق، بدليل أنه قال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾، والفصل يكون في القضاء، وإنما حذفوا الياء؛ لاستثقال الألف واللام، كقوله تعالى: ﴿صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ونحوها، ولم يقل: بالحق؛ لأن الحق صفة المصدر، كأنه قال: يقضي القضاء الحق». اهـ

وفي جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي (٢/ ٥٧٧) قال الأصمعي: «سمعت نافعًا يقرأ ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾. فقلت له: إن أبا عمرو يقرأ (يقض الحق)، وقال: القضاء مع الفصل، فقال نافع: يا أهل العراق، تقيسون في القرآن؟!».

لأن القراءة لا تؤخذ على قياس العربية، وإنما تؤخذ بالرواية.

(١) المتواتر المشهور: ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾. «الأنعام:٧١».

وروى ابن جرير في تفسيره عن مجاهد، قال: «في قراءة ابن مسعود ط: (يدعونه إلى الهدى بيِّنًا)، قال: الهدى: الطريق، أنه بيِّنٌ». اهـ

(٢) المتواتر المشهور: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾. «الأنعام:١١١».

ومعنى «قبيلًا»: جماعة جماعة، قال الزجاج: «ويجوز أن يكون قبلًا جمع: قبيل، ومعناه: الكفيل؛ ليكون المعنى: لو حشرنا عليهم كل شيء، فتكفل لهم بصحة ما يقول؛ ما كانوا ليؤمنوا».



٥٠٥ - حدثنا حجاج

عن هارون، قال: في حرف ابن مسعود ط:

«ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على الذين أحسنوا»(١).

٥٠٦ - حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب

عن لهيعة بن عقبة، قال:

سمعت أبان بن عثمان، يقرأ يوم الجمعة على المنبر سورة الأنعام، ويقول: «من الضأن اثنان»(٢).

٥٠٧ - حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عبدالله بن كثير

عن مجاهد، قال: في قراءة ابن مسعود ط:

«حتى يلج الجَمَلُ الأصفر(٣) في سم الخياط».

---

(١) المتواتر المشهور: «ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ». «الأنعام:١٥٤».

وأما معنى القراءة المذكورة؛ فقد قال ابن عطية في تفسيره (٢/ ٣٦٤): «وكأن الكلام: وآتينا موسى الكتاب تفضلًا على المحسنين من أهل ملته، وإتمامًا للنعمة عندهم، وهذا تأويل مجاهد». اهـ

(٢) أي: على الابتداء والخبر المقدَّم. كأنه قال: «اثنان من الضأن».

والمتواتر المشهور: «ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ».

(٣) المتواتر المشهور: «حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ». والجمل: هو الحيوان المعروف، ولعلَّ الوارد عن ابن مسعود ط إنما هو تفسير أراد به أنه على ظاهره، لا كما سيأتي عن ابن عباس م.



٥٠٨ - حدثنا حجاج، عن هارون، عن الزبير بن خِرِّيت

عن عكرمة، عن ابن عباس م، أنه كان يقرأ:

«حتى يلج الجُمَّلُ في سمِّ الخياط».

قال: «القَلْسُ من قُلُوس البحر»(١).

قال: وكان يقرأ: «ويذرك وإلاهتك»(٢).

قال هارون: وفي حرف أبي بن كعب ط في مصحفه:

«وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك»(٣).

---

(١) والقلس: الحبل الغليظ من حبال السفينة؛ فهذه قراءة ابن عباس وتفسيره. وقال عكرمة: هو الحبل الذي يصعد به إلى النخل. انظر تفسير الطبري (١٠/ ١٩٢).

(٢) المتواتر المشهور: «وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ». ومعنى «وإلاهتك»: عبادتك، أي: يتركك وعبادة الناس لك؛ لأنه كان يُعبد من دون الله، كما قال هو: «مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى». وقال: «أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ».

(٣) قال ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٣٩). «وأما قوله: «وَءَالِهَتَكَ»، فإن قرأة الأمصار على فتح الألف منها ومدها، بمعنى: وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التي تعبدها، وقد ذُكر عن ابن عباس أنه قال: كان له بقرة يعبدها. قال السدي: وآلهته فيما زعم ابن عباس: كانت البقر، كانوا إذا رأوا بقرة حسناء؛ أمرهم أن يعبدوها، فلذلك أخرج لهم عجلًا وبقرة. وقال الحسن: كان لفرعون جمانة معلقة في نحره، يعبدها ويسجد لها- (وقيل: كان يعبد الشمس)-. وقال: بلغني أن فرعون كان يعبد إلهًا في السِّر، وقرأ: «وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ».

=

٥٠٩ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عبدالله بن كثير

عن ابن عباس ﭭ:

أنه كان يقرأ: «إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح، وإن تنتهوا فهو خير لكم، وإن تعودوا نعد، ولن تغني عنكم فئتكم من الله شيئًا»(١).

٥١٠ – حدثنا ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن عمرو المعافري

عن أبي سفيان الكلاعي:

أن مسلمة بن مخلد الأنصاري، قال لهم ذات يوم: أخبروني بآيتين من القرآن لم تكتبا في المصحف، فلم يخبروه، وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك. فقال مسلمة: «إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون، والذين آووهم ونصروهم

قال ابن جرير: وقد رُوي عن ابن عباس ومجاهد أنهما كانا يقرآنها: (ويذرك وإلاهتك) بكسر الألف، بمعنى: ويذرك وعبادتك، فعن ابن عباس أنه قرأ: (ويذرك وإلاهتك) قال: وعبادتك، ويقول: إنه كان يُعبد ولا يَعبد.

ثم قال: والقراءة التي لا نرى القراءة بغيرها، هي القراءة التي عليها قرأة الأمصار، لإجماع الحجة من القرأة عليها». انتهى باختصار من تفسير الطبري.

(١) المتواتر المشهور: « إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا ». «الأنفال:١٩». دون زيادة: «من الله».



وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك ما تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون»(١).

٥١١ - حدثنا حجاج، عن هارون، قال:

أخبرني حبيب بن الشهيد، وعمرو بن عامر الأنصاري:

أن عمر بن الخطاب ط، قرأ: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصارُ الذين اتبعوهم بإحسان» فرفع «الأنصار»، ولم يلحق الواو في «الذين»، فقال له زيد بن ثابت: «والذين اتبعوهم بإحسان»، فقال عمر: «الذين اتبعوهم بإحسان»، فقال زيد: أمير المؤمنين أعلم، فقال عمر

---

(١) المتواتر المشهور: « إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ » «الأنفال:٧٢».

وهذا الخبر فيه علل:

الأولى: فيه عبدالله ابن لهيعة، وقد عنعنه.

الثانية: فيه أبو سفيان الكلاعي، ولم أجد له ترجمة البتة.

الثالثة: فيه مسلمة بن مخلد الأنصاري؛ مختلف في صحبته، أثبتها له البخاري، ونفاها أحمد بن حنبل، وأبو حاتم الرازي، وابن أبي حاتم.

الرابعة: أن هذه الآيات لا تجري على قواعد العربية، كما في قوله: «ألا أبشروا أنتم المفلحون». و«ألا» دائمًا تأتي بعد إتمام الكلام السابق معنىً و إعرابًا، لتفيد إخبارًا أو تنبيهًا أو تقريعًا.

فإن صحَّ هذا الخبر؛ فالمراد أنها مما نُسخ، لا أنها تُركت؛ كما جاء أن سورة الأحزاب كانت بقدر سورة البقرة.



ط: ائتوني بأُبَيٍّ بـن كعـب، فـسأله عـن ذلـك، فقـال أُبـي: «والـذين اتبعوهم بإحسان»، فقال عمر: فنعم إذاً. فتابع أُبيًّا[1].

٥١٢ – حدثنا يحيى بن سعيد

عن إسماعيل بن أبي خالد، قال:

سمعت أبا سلمة بن عبدالرحمن يقـرأ هـذه الآيـة: «إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ» إلى قوله: «كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ». وما أهلكناها إلا بذنوب أهلـها، قـال: هكـذا قرأها أبي بن كعب ط.

(١) روى ابن جرير في تفسيره (١٤/ ٤٣٨) عن محمد بن كعـب القرظـي، قـال: «مـرَّ عمـر بـن الخطاب ط برجل يقرأ: «وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ»، حتـى بلغ: «رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ»، قال: وأخذ عمر بيده، فقال: من أقرأك هذا؟! قال: أبي بن كعب، فقال: لا تفارقني، حتى أذهب بك إليه، فلما جاءه، قال عمر: أنت أقرأت هـذا هـذه الآيـة هكـذا؟ قال: نعم! قال: أنت سمعتها من رسول الله ق؟ قال: نعم! قال: لقد كنت أظن أنَّا رُفِعنا رفعـة لا يبلغها أحد بعدنا! فقال أُبي: بلى، تصديق هـذه الآيـة – أي: (والـذين اتبعـوهم بإحسان) – في أول سورة الجمعـة: «وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ»، وفي الحـشر: «وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ»، وفي الأنفـال: «وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ»، إلى آخر الآية». اهـ



٥١٣ - حدثنا حجاج

عن هارون[١]: في حرف أبي بن كعب ط: «مـا أتيـتم بـه سـحرٌ». وفي حرف ابن مسعود ط: «ما جئتم به سحرٌ»[٢].

٥١٤ - حدثنا حجاج، عن ابن جريج

عن محمد بن عباد بن جعفر، قال:

سمعت ابن عباس م، يقرأ: «ألا إنهم يثنوني صدورهم»[٣].

٥١٥ - حدثنا حجاج، عن هارون، عن يزيد بن حازم

عن مجاهد: أنه قرأ: «لقد كان في يوسف وإخوته آية للسائلين».

قال: قال هارون: وفي حرف أبي بن كعـب ط: «عـبرة للـسائلين» تصديق لقول مجاهد، أو قال: لقراءة مجاهد[٤].

٥١٦ - حدثنا يزيد، عن جرير بن حازم، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة

عن ابن عباس م: أنه كان يقرأ: «أفلم يَتَبَيَّن الذين آمنوا»[٥].

---

(١) هو: هارون بن موسى الأعور، تقدمت ترجمته تحت الأثر رقم: (٤٧٠).

(٢) المتواتر المشهور: «مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ». «يونس:٨١».

(٣) المتواتر المشهور: «أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ». «هود:٥».

(٤) المتواتر المشهور: «لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ». «يوسف:٧».

(٥) المتواتر المشهور: «أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ». «الرعد:٣١».

٥١٧ – حدثنا ابن أبي مريم، عن نافع بن عمر الجمحي

عن ابن أبي مليكة، قال: إنما هي: «أفلم يتبيَّن».

٥١٨ – حدثنا حجاج

عن هارون، قال: وفي قراءة أبي بن كعب ط: «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه يقرؤه يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا»(١).

٥١٩ – حدثنا حجاج، عن شعبة، عن الحكم

عن مجاهد، قال:

كنت لا أدري ما الزخرف؟ حتى وجدت في قراءة عبدالله ط «أو يكون لك بيت من ذهب»(٢).

٥٢٠ – حدثنا حجاج، عن هارون، عن حنظلة السدوسي، عن شهر بن حوشب

عن ابن عباس م، أنه قرأ:

«فسأل موسى فرعون أن أرسل معي بني إسرائيل»(٣).

---

(١) المتواتر: « وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ». «الإسراء:١٣».

(٢) المتواتر المشهور: «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ». «الإسراء:٩٣».

(٣) المتواتر المشهور: « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ». «الإسراء:١٠١».

=



قال أبو عبيد:

يعني في قوله: «فَسْـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ». [الإسراء:١٠١].

٥٢١ - حدثنا نعيم، عن بقية، عن أبي بكر بن أبي مريم

عن أبي الزاهرية، قال:

كتب عثمان ط: «وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا»[1].

قال أبو عبيد: وكذلك يحدث هذا الحرف عن شعبة، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد عن أبي سعيد الخدري ط.

٥٢٢ - حدثنا حجاج

عن هارون، قال:

في حرف عبدالله ط: «لو شئت لاتخذت عليه أجرًا».

قال: وفي حرف أبي بن كعب ط: «لأوتيت عليه أجرًا»[2].

ويبدو من الأثر أن ابن عباس م كان يقرؤها هكذا: (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسأل موسى فرعون أن أرسل معي بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مثبورًا).

فجعل قوله: (فسأل موسى فرعون) في موضع قوله: «فَسْـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ».

(١) المتواتر المشهور: «وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا». «الكهف:٧٩».

(٢) المتواتر المشهور: «لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا». «الكهف:٧٧».



٥٢٣ – حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم

عن علقمة: أنه قرأها: «فخاطبها مَن تحتها»[(١)].

٥٢٤ – حدثنا عباد بن العوام

عن سليمان التيمي، قال: سمعت أنس بن مالك ﵁، يقرأ: «إني نذرت للرحمن صومًا وصمتًا»[(٢)].

٥٢٥ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار

عن عكرمة:

أن عمر بن الخطاب ﵁ كان يقرؤها: «وإن كاد مكرهم». بالدال[(٣)].

٥٢٦ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، وإسرائيل، عن أبي إسحاق، قال: قال سفيان: عن عبدالرحمن بن أذنان، قال: وقال إسرائيل:

عن عبدالله بن دانيل: أن عليًا ﵁، كان يقرؤها: «وإن كاد مكرهم».

---

(١) المتواتر المشهور: «فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ». قرئت بفتح الميم وكسرها؛ قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٥): «وتقرأ: «مِن تَحۡتِهَآ»، وهى أكثر بالكسر في القراءة، ومن قرأ: «مَن تَحْتَهَا» عَنَى: عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. ويكون المعنى في مناداة عيسى لها، أن يبين الله لها الآية في عيسى، وأنه أعلمها أن الله عَزَّوَجَلَّ سيجعل لها في النخلة آية. ومن قرأ «مِن تَحۡتِهَآ» عَنَى به: المَلَكَ». اهـ

(٢) المتواتر المشهور: «إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا». «مريم:٢٦».

(٣) المتواتر المشهور: «وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ». «إبراهيم:٤٦».



٥٢٧ - حدثنا عبدالرحمن، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق

عن أصحاب عبدالله ط: أنه كان يقرؤها: «وإن كاد مكرهم».

٥٢٨ - حدثنا حجاج

عن هارون، قال: قراءة أبي بن كعب ط: «فإذا أردنا أن نهلك قرية بعثنا أكابر مجرميها فمكروا فيها فحق عليها القول»[١].

قال: وفي قراءته: «كل ذلك كان سيئاته عند ربك»[٢].

٥٢٩ - حدثنا يزيد، عن جرير بن حازم، عن الزبير بن خريت، عن عكرمة.

قال أبو عبيد:

لا أدري أهو عن ابن عباس م أم لا؟ أنه كان يقرأ: «ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء وذكرى»[٣]. ويقول: حولوا الواو إلى موضعها[٤]: «والذين يحملون العرش ومن حوله».

---

(١) المتواتر المشهور: « وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ». «الإسراء:١٦».

(٢) المتواتر المشهور: « كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ». «الإسراء:٣٨».

(٣) المتواتر المشهور: « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ». [الأنبياء:٤٨].

(٤) معنى: «حولوا الواو إلى موضعها». أي: انزعوا هذه الواو، واجعلوها في قوله: « ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ». «غافر:٧».

وذلك لأن الآية التي قبلها: « وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ - ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ». لذلك قال ما قال.

٥٣٠ - حدثنا حجاج

عن هارون، قال:

وفي مصحف أبي بن كعب ط: «قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون: لله، لله»، كلهن بغير ألف[١].

٥٣١ - حدثنا حجاج

عن هارون، قال: حدثني عاصم الجحدري، قال:

كانت في الإمام- مصحف عثمان ط الذي كتبه للناس-: «لله، لله»، كلهن بغير ألف.

فقال: قال عاصم: وأول من ألحق هاتين الألفين في المصحف: نصر ابن عاصم الليثي[٢].

---

(١) المتواتر المشهور: « قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ - سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ - قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ - سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ - قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ - سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ». «المؤمنون:٨٤-٨٩».

(٢) هو: نصر بن عاصم الليثي البصري صاحب العربية، يقال: إنه أول من وضع العربية؛ حكاه أبو داود السجستاني، وغيره. وحدَّث عن مالك بن الحويرث، وأبي بكرة الثقفي م، وغيرهما. روى عنه حميد بن هلال، وقتادة، والزهري، وعمرو بن دينار، ومالك بن دينار. ووثقه النسائي. وقال أبو داود: كان من الخوارج- وقيل: ثم تركهم-. وقال الداني: قرأ القرآن على أبي الأسود. وقرأ عليه عبدالله بن أبي إسحاق، وأبو عمرو بن العلاء. وقال عمرو بن دينار: جلست أنا =



قال أبو عبيد:

وقرأت أنا في مصحف بالثغر قديم، بُعث به إليهم، فيما أخبروني به قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز، فإذا كلهن: «لله، لله» بغير ألف(١).

٥٣٢ - حدثنا كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان

عن ميمون بن مهران، قال:

والزهري إلى نصر بن عاصم، فلما قمت من عنده، قال: إن هذا ليُقَلِّع العربية تقليعًا. وقال عنه ياقوت: كان فقيهًا عالمًا بالعربية، من قدماء التابعين. انظر: تاريخ الإسلام (٢/ ١٠١٣)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٨١).

(١) قال أبو عمرو الداني في كتابه: المقنع في رسم مصاحف الأمصار (١/ ١٠٩): «وهذه الأخبار عندنا لا تصح؛ لضعف نقلتها، واضطرابها، وخروجها عن العادة؛ إذ غير جائز أن يُقْدِم نصر وعبيدالله بن زياد- هذا الإقدام- من الزيادة في المصاحف، مع علمهما بأن الأمة لا تسوّغ لهما ذلك، بل تنكره وترده وتحذر منه ولا تعمل عليه، وإذا كان ذلك؛ بَطَلَ إضافة زيادة هاتين الألفين إليهما، وصحَّ أن إثباتهما من قبل عثمان والجماعة رضوان الله عليهم، على حسب ما نزل به من عند الله تعالى، وما أقرأه رسول الله ﷺ، واجتمعت المصاحف على أن الحرف الأول: سيقولون لله، بغير ألف قبل اللام». اهـ

وقال السمرقندي في تفسيره (٢/ ٤٨٧): «فأما من قرأ «الله» فهو ظاهر؛ لأنه جواب السائل عما يسأل، ومن قرأ «لله» فله مخرج في العربية سهل، وهو ما حكى الكسائي عن العرب، أنه يقال للرجل: من ربُّ هذه الدار؟ فيقول: لفلان، يعني: هي لفلان، والمعنى في ذلك أنه إذا قيل: من صاحب هذه الدار؟ فكأنه يقول: لمن هذه الدار، وإذا قال المجيب: هي لفلان، أو قال: فلان؛ فهو جائز». اهـ

وقرأ أبو عمرو في الموضعين الأخيرين بحذف لام الجر، والباقون بإثباتها، ولا خلاف بينهم في الموضع الأول أنه بلام الجر.



في قراءة ابن مسعود ط: «فاذكروا اسم الله عليها صوافِن»[(١)].

وحدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان

عن ابن عباس م؛ مثل ذلك: «صوافِن».

وحدثنا حجاج، عن هارون، عن صخر بن جويرية، عن نافع

عن ابن عمر م، مثل ذلك «صوافِن». وقال: «قيامًا»[(٢)].

٥٣٣ - حدثنا نعيم، عن عبدالعزيز بن محمد، عن ثور بن زيد، عن عكرمة

عن ابن عباس م:

أن عمر ط، سأله عن قول الله لأزواج النبي ق:

@وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ! [الأحزاب:٣٣]. هل كانت جاهلية غير واحدة؟ فقال ابن عباس م: «يا أمير المؤمنين! أوما سمعت أُولى إلا لها

---

(١) وقرأ أبو موسى الأشعري ط، والحسن، ومجاهد، وزيد بن أسلم: «صَوَافِي»- جمع صافية- أي: خالصة لوجه الله تعالى. وقال عبدالرحمن بن زيد: «صوافي»: ليس فيها شرك كشرك الجاهلية لأصنامهم.

والمتواتر المشهور: «فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ». «الحج:٣٦». ومعنى: «صوافِن- بالنون جمع صَافِنَة» أي: معقولةً يدها اليسرى؛ قيامًا على ثلاث قوائم، مثل: (الصَّافِنات الجياد).

وعن مجاهد، قال: من قرأها (صوافن)، قال: معقولة. ومن قرأها: (صواف)، قال: تُصَفُّ بين يديه.

(٢) أي قرأها هكذا: (صوافن قيامًا).

آخرة؟»[١]. فقال: «هات من كتاب الله ما يصدق ذلك». فقال ابن عباس م: إن الله يقول: «جاهدوا في الله حقَّ جهاده كما جاهدتم أول مرة».

٥٣٤ — حدثنا هُشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس م، أنه كان يقرؤها:

«حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا».

وقال: «وتستأنسوا» وَهْمٌ من الكُتَّاب[٢].

---

(١) المتواتر المشهور: «وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ». «الحج:٧٨».

ومراد ابن عباس م: ستكون جاهليات بعد الجاهلية الأولى، وقد كان.

(٢) المتواتر المشهور: «حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا». «النور:٢٧».

وتقدَّم الكلام على الإدعاء بأن الكاتب قد أخطأ أو وَهِم، وقال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٨): «هذا غريب جدًا عن ابن عباس». اهـ

ويشهد لغرابة هذه الرواية أمور، منها:

الأول: لأنه مخالف لإجماع الصحابة ن على إثباتها في المصحف الإمام، وقراءة الناس لها.

الثاني: ورد عن ابن عباس أنه فسر «تَسۡتَأۡنِسُواْ»، مما يدل على قراءته بها، فقد أخرج ابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف عن ابن عباس م في قوله: «حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ» قال: «حتى تستأذنوا». وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس، قال: «الاستئناس: الاستئذان» فتفسيره إقرار منه لأصالتها، ويناقض الرواية المزعومة التي توهم تخطئته لمن قرأ: «تَسۡتَأۡنِسُواْ».

الثالث: أن «تَسۡتَأۡنِسُواْ» متمكنة في المعنى، بيِّنة الوجه في كلام العرب؛ فلا غرابة فيها. وفي الصحيحين أن عمر بن الخطاب ط قال للنبي ق: «أستأنس يا رسول الله؟ قال: نعم».



٥٣٥ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج

عن مجاهد:

أنه(١) كان يقرؤها: «مثل نور المؤمن كمشكاة فيها مصباح»(٢).

٥٣٦ – حدثنا خالد بن عمرو، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس

عن أبي العالية، قال: هي في قراءة أُبَيٍّ بن كعب ط:

«مثل نور من آمن به»، أو قال: «مثل من آمن به»(٣).

---

(١) أي: عبدالله بن عباس م، يدلُّ لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: «مَثَلُ نُورِهِۦ»، قال: هي خطأ من الكاتب؛ هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة! قال: مثل نور المؤمن كمشكاة فيها مصباح».

وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن ابن عباس في قوله: «مَثَلُ نُورِهِۦ» يقول: مثل نور من آمن بالله. «كَمِشْكَوٰةٍ» قال: وهي النقرة يعني الكوة.

(٢) المتواتر المشهور: «مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ». «النور:٣٥».

والقراءة المذكورة في المتن المراد منها تفسير الضمير في القراءة المعروفة، وهي: «مَثَلُ نُورِهِۦ».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن ابن عباس في قوله: «ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ»، قال: هادي أهل السموات والأرض. «مَثَلُ نُورِهِۦ»، مثل هداه في قلب المؤمن. «كَمِشْكَوٰةٍ»، موضع الفتيلة، كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار؛ ازداد ضوءًا على ضوئه، كذلك يكون قلب المؤمن؛ يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا أتاه العلم ازداد هدى على هدى، ونورًا على نور.

(٣) وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن أُبي ابن كعب في قوله: «ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ»، قال: هو المؤمن الذي =

٥٣٧ - حدثنا يزيد، عن جرير بن حازم، عن الزبير بن خريت، عن عكرمة

عن ابن عباس :

أنه كان يقرأ: «فليس عليهن جناح أن يضعن من ثيابهن غير متبرجات»[١]، ويقول: «هو الجلباب».

٥٣٨ - حدثنا ابن بكير، وأبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير

عن عقبة بن عامر ط، قال:

رأيت رسول الله ق وهو يقرأ الآية في خاتمة النور، وهو جاعل أصابعه بين عينيه، يقول: «بكل شيء بصير»[٢].

جعل الإيمان والقرآن في صدره؛ فضرب الله مثله، فقال: «ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ»، فبدأ بنور نفسه، ثم ذكر نور المؤمن، فقال: مثل نور من آمن به».

فكان أُبَي بن كعب يقرؤها: (مثل نور من آمن به). قال: «فهو المؤمن؛ جعل الإيمان والقرآن في صدره. «كَمِشْكَوٰةٍ»، قال: فصدر المؤمن المشكاة. «فِيهَا مِصْبَاحٌ»، والمصباح: النور؛ وهو القرآن والإيمان الذي جعل في صدره. «فِي زُجَاجَةٍ»، والزجاجة: قلبه». انظر: الدُّر المنثور (٦/ ١٩٧).

(١) المتواتر المشهور: «فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ». «النور: ٦٠».

(٢) رواه الطبراني في الكبير، والروياني في مسنده، وفيه ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ، ومما يدل على ذلك أن ابن بطة قد روى هذا الحديث في الإبانة الكبرى (١٢٢٣) عن عقبة بن عامر ط، قال: «رأيت رسول الله يقرأ الآية في خاتمة الملك، وهو جاعل أصابعه تحت عينيه، يقول: «إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ».

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره دون ذكر السورة، وهذا هو الصحيح.

=



٥٣٩ - حدثنا يحيى بن سعيد، عن الأعمش، عن أبي سفيان

عن جابر ط:

«ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم»(١).

قال: كذلك قرأها.

ولو قلنا بصحة الحديث المذكور في المتن، فإن القراءة المذكورة قراءة شاذة، وإلا فالمتواتر المشهور في خاتمة سورة النور: «وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ».

والعلَّة من جعل النبي ق أصابعه بين- وفي رواية: تحت- عينيه، هي تحقيق الصفة، وأن الله يُبصر حقيقة، لا كما تعتقده الجهمية والمعتزلة والأشعرية.

وهذا شبيه بما رواه أبو داود في سننه، عن أبي يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة ط، قال: سمعت أبا هريرة ط، يقرأ هذه الآية: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا» إلى قوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا» قال: رأيت رسول الله ق يضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة ط: رأيت رسول الله ق يقرؤها ويضع إصبعيه».

قال ابن يونس: قال المقرئ: يعني: «إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا»، يعني: أن لله سمعًا وبصرًا.

قال أبو داود: وهذا ردٌّ على الجهمية». اهـ

(١) المتواتر المشهور: «وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ». «النور:٣٣».

وقوله: «لهن» يُرجِّح القول بأن المغفرة عائدة إلى الفتيات المُكْرَهات دون المُكْرِهين.

قال أبو عبيد في غريب الحديث (١/ ٤٣٤): «فالمغفرة لهن، لا للموالي. قال: وحدثني إسحاق الأزرق، عن عوف، عن الحسن في هذه الآية، قال: لهن والله، لهن والله، لهن والله». اهـ



٥٤٠ - حدثنا حجاج

عن ابن جريج، قال:

في قراءة ابن مسعود ط: «فعلتها إذاً وأنا من الجاهلين»[(١)].

٥٤١ - حدثنا مروان بن معاوية، عن العلاء بن عبدالكريم

عن مجاهد، قال:

في قراءة ابن مسعود ط: «قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أنظر في كتاب ربي وآتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك»[(٢)].

٥٤٢ - حدثنا أبو النضر، وحجاج، عن شعبة

عن أبي جمرة، قال:

قال لي ابن عباس م في هذه الآية: @ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ! [النمل:٦٦]، قال: «بلى؛ آدارك علمهم في الآخرة؟!»، أي: لم يدرك.

(١) المتواتر المشهور: «قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ». «الشعراء:٢٠».

قال الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٧٤): «والضالّين والجاهلين يكونان بمعنى واحد؛ لأنك تقول: جهلت الطريق، وضللته». اهـ

(٢) المتواتر المشهور: « قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ». «النمل:٤٠».

وقد استدل أهل السُّنة والجماعة بهذه الزيادة على إثبات كرامات الأولياء والصالحين، كما هو صنيع اللالكائي في السُّنة (٢٣٤٠). وذلك لأن هذا الرجل من الإنس، لا من الجنِّ.



قال أبو عبيد:

يعني: أنه قرأها بالاستفهام[(١)].

٥٤٣ - حدثنا حجاج

عن هارون، قال: في حرف أبي بن كعب ط:

«أم تدارك علمهم في الآخرة».

٥٤٤ - حدثنا حجاج

عن هارون، قال: في حرف أبي بن كعب ط:

«أخرجنا لهم دابة من الأرض تنبئهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون»[(٢)].

٥٤٥ - حدثنا حجاج

عن هارون، قال:

في حرف ابن مسعود ط: «وأن اتلُ القرآن»، على الأمر.

---

(١) المتواتر المشهور: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾. «النمل:٦٦».
وقال الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٩٤): «وبلغني عن ابن عبّاس أنه قرأ (بلى آدّارك) يستفهم ويشدّد الدال ويجعل في (بلى) ياء، وهو وجه جيد؛ لأنه أشبه بالاستهزاء بأهل الجحد، كقولك للرجل تكذّبه: بلى لعمري! لقد أدركت السَّلف، فأنت تروي ما لا نروي؛ وأنت تكذِّبه». اهـ

(٢) المتواتر المشهور: «أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ». «النمل:٨٢».

وفي حرف أبي بن كعب ط: «واتل عليهم القرآن»[١].

٥٤٦ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج

عن عكرمة، قال: في القراءة الأولى:

«فلما خرَّ تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب»[٢].

٥٤٧ – حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح

عن أبي هريرة ط:

أنه قرأها: «فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قُرَّات أعين»[٣].

٥٤٨ – حدثنا حجاج

عن هارون، قال: في حرف أبي بن كعب ط:

«يا حسرة العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون»[٤].

(١) المتواتر المشهور: «وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ – وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ». «النمل:٩١-٩٢».

(٢) المتواتر المشهور: «فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ». «سبأ:١٤».

(٣) المتواتر المشهور: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ». «السجدة:١٧».

(٤) المتواتر المشهور: «يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ». «يس:٣٠».
وتقدَّم التعليق على معناها برقم: (٤٠٤).



٥٤٩ – حدثنا مروان بن معاوية، عن محمد بن أبي حسان، عن عمرو بن دينار

عن ابن عباس م، أنه كان يقرأ:

«والشمس تجري لا مستقر لها»(١).

٥٥٠ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب

عن ابن سيرين، قال:

في قراءة ابن مسعود ط: «إن كانت إلا زَقْيَة واحدة»(٢).

وفي قراءتنا: ﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾. [يس:٢٩].

٥٥١ – حدثنا حجاج

عن هارون، قال: في حرف أبي بن كعب ط:

«فمنها رَكُوبتُهم ومنها يأكلون»(٣).

---

(١) المتواتر المشهور: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾. «يس:٣٨».

ومعنى القراءة المذكورة: أي: لا قرار لها ولا سكون، بل هي سائرة ليلًا ونهارًا، لا تفتر ولا تقف. كما قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ ﴾.

أي: لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة.

(٢) الزقية: الصيحة، من زَقَا الطائر؛ إذا صاح.

(٣) المتواتر المشهور: «فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ». «يس:٧٢».



وحدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن هشام بن عروة، عن أبيه

عن عائشة ك:

أنه كان في مصحفها: «فمنها رَكُوبتُهم» مثل ذلك.

٥٥٢ - حدثنا حجاج

عن ابن جريج، قال:

في قراءة ابن مسعود ط:

«ثم إن منقلبهم لإلى الجحيم»[١].

٥٥٣ - حدثنا محمد بن كثير، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن شهر بن حوشب

عن أسماء بنت يزيد:

أن رسول الله ق قرأ: «إنه عَمِلَ غيرَ صالح»[٢].

وفي حديث غير ابن كثير بهذا الإسناد، قالت: لقد سمعته يقرأ: «إن الله يغفر الذنوب جميعًا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم»[٣].

---

(١) المتواتر المشهور: «ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ». «الصافات:٦٨».

(٢) المتواتر المشهور: «إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ». «هود:٤٦».

(٣) المتواتر المشهور: «إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ». «الزمر:٥٣».



٥٥٤ – حدثنا حجاج

عن هارون، قال:

في قراءة ابن مسعود ط: «على قلب كل متكبر جبار»(١).

٥٥٥ – حدثنا حجاج

عن هارون، قال: في قراءة أبي بن كعب ط:

«وجعلوا الملائكة عند الرحمن إناثاً»(٢).

ليس فيه: «ٱلَّذِينَ هُمْ ».

(١) المتواتر المشهور: «عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ». «غافر:٣٥».

(٢) وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن سعيد بن جبير، قال: «كنت أقرأ هذا الحرف: (الذين هم عند الرحمن إناثًا) فسألت ابن عباس م، فقال: (عباد الرحمن)، قلت: فإنها في مصحفي: (عند الرحمن)، فقال: امحها، واكتبها: (عباد الرحمن)، بالألف والباء».

وقال: «أتاني رجل اليوم- وددت أنه لم يأتني- فقال: كيف تقرأ هذا الحرف: « وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا »، قال: إن أناسًا يقرؤن: (الذين هم عند الرحمن)، فسكت عنه، فقلت: اذهب إلى أهلك».

وأخرج عبد بن حميد، عن الحسن: أنه قرأها: (الذين هم عند الرحمن)، بالنون.

وعن مروان، أنه قرأها: (وجعلوا الملائكة عند الرحمن إناثًا)، ليس فيه: (الذين هم).

والمتواتر المشهور: « وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ». «الزخرف:١٩».

٥٥٦ – حدثنا نعيم بن حماد، عن عبدالعزيز بن محمد، عن محمد بن عجلان

عن عون بن عبدالله بن عتبة:

أن ابن مسعود ، أقرأ رجلاً: @إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ - طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ! [الدخان:٤٣] فقال الرجل: طعام اليتيم! فردَّدها عليه، فلم يستقم به لسانه؛ فقال: «أتستطيع أن تقول: طعام الفاجر؟». قال: نعم. قال: «فافعل»(١).

(١) وهذا يدل على أن الإثم يكون بمعنى الفجور.

وقد استدل أبو حنيفة بهذا الأثر - وبما ذُكر عن أنس بن مالك أنه قرأ: «وأصوب قيلًا، فقيل: له: يا أبا حمزة! إنما هي (وأقوم)، فقال: إن أقوم وأصوب وأهيأ، واحد» - على أن قراءة القرآن بالمعنى جائزة، ومن ثَمَّ جوَّز الصلاة بقراءة القرآن بالترجمة الفارسية! وليس في هذا دليلٌ على ما قال؛ لأن ابن مسعود ط أراد إفهامه المعنى، وكان لغرض تقريب الكلمة للمتعلم، وتمهيدًا له للرجوع إلى الصواب. ويحتمل أن يكون ابن مسعود قد سمع القراءتين من النبي ق، فلما تعذر نطق الرجل بواحدة، صرفه إلى الأخرى، فالقرآن كان على سبعة أحرف، كلها مثل: هَلُمَّ، وتعال، وأَقْبِل.

قال ابن الأنباري: «ذهب بعض الزائغين إلى أن من قال: إن من قرأ بحرفٍ يوافق معنى حرفٍ من القرآن، فهو مصيب؛ إذا لم يخالف ولم يأت بغير ما أراد الله! واحتجوا بقول أنس هذا، وهذا قول لا يعرج عليه، ولا يلتفت إلى قائله، لأنه لو قرئ بألفاظ القرآن إذا قاربت معانيها واشتملت على غايتها؛ لجاز أن يقرأ في موضع «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (الشكر للباري ملك المخلوقين)، ويتسع الأمر في هذا، حتى يبطل لفظ جميع القرآن، ويكون التالي له مفتريًا على الله تعالى، كاذبًا على رسوله ق، ولا حجة لهم في قول ابن مسعود: «نزل القرآن على سبعة أحرف، إنما هو كقول أحدكم: هلم، وتعال، وأقبل»؛ لأن هذا الحديث يوجب أن القراءات المنقولة بالأسانيد الصحاح عن النبي ق إذا اختلفت ألفاظها، واتفقت معانيها، كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في: هلم، وتعال، وأقبل، فأما ما لم يقرأ به النبي ق وأصحابه وتابعوهم، فإن من أورد حرفًا منه في القرآن =



٥٥٧ - حدثنا حجاج

عن ابن جريج، قال: في قراءة ابن مسعود ط:

«وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نحيا ونموت»[(١)].

٥٥٨ - حدثنا حجاج

عن هارون: قال: في قراءة ابن مسعود ط:

«ويعزروه ويوقروه ويسبحوا الله بكرة وأصيلاً»[(٢)].

بهت ومال وخرج عن مذهب الصواب، وحديثهم الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة؛ لا يصححه أهل العلم». نقله عنه ابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٤٦٣).

وأما ما رواه ابن وهب في تفسير القرآن من جامعه (٣/ ٥٥) قال: «حدثني مالك بن أنس، قال: «أقرأ ابن مسعود ط رجلًا: «إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ -طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ»، فجعل يقول: طعام اليتيم، فقال له عبدالله: طعام الفاجر». قلت لمالك: أترى أن تقرأ كذلك؟ قال: نعم، أرى ذلك واسعًا». اهـ

فقول مالك هنا: «أرى ذلك واسعًا»، أي: في التفسير، وليس في القراءة في الصلاة، ومما يدل على ذلك أن البصريين رووا عنه أنه قال: لا يقرأ في الصلاة بما يروى عن ابن مسعود. وقال ابن شعبان: لم يختلف قول مالك أنه لا يصلى بقراءة ابن مسعود؛ فإنه من صلى بها أعاد صلاته؛ لأنه كان يقرأ بالتفسير.

قال ابن عبدالبر في التمهيد (٨/ ٢٩٢): «معناه عندي: أن يقرأ به في غير الصلاة، وإنما ذكرنا ذلك عن مالك تفسيرًا لمعنى الحديث... وقد قال مالك: من قرأ في صلاته بقراءة ابن مسعود أو غيره من الصحابة ن مما يخالف المصحف؛ لم يصل وراءه. وعلماء المسلمين مجمعون على ذلك إلا قوم شذوا، لا يعرج عليهم». اهـ

(١) المتواتر المشهور: «وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا». «الجاثية: ٢٤».

(٢) المتواتر المشهور: «وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا». «الفتح: ٩».



قال أبو عبيد:

وبعض أهل اليمن يقرأ هذا الحرف: «وتعززوه»[١] كلتاهما بزاي.

٥٥٩ – حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن القاسم بن محمد

عن عائشة ﵂، قالت:

لما حضرت أبا بكر ﵁ الوفاة قلت:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر: «بل وجاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه تحيد»[٢].

قال أبو عبيد: هكذا أحسبه قرأها؛ قدَّم «الحق» وأخَّر «الموت».

قال أبو عبيد:

وفي غير هذا الحديث أن عائشة ﵂ تمثلت ببيت حاتم طيئ: «إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر»[٣].

---

(١) أي: تنصروه، وتُعِزُّوا دينه.

(٢) المتواتر المشهور: «وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ». «ق:١٩».

(٣) أول البيت:

أَمَاويَّ ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر



٥٦٠ - حدثنا أبو الأسود

عن ابن لهيعة، قال:

سمعت أبا طُعْمة، يقرأ: «على رَفَارِفٍ خُضْرٍ وَعَبَاقِرِيٍّ حسان»(١).

قال: وكان أبو طعمة من قراء أهل المدينة(٢).

قال أبو عبيد:

وهذا الحرف يروى مرفوعًا، يحدثونه عن الأرطباني(٣)، عن عاصم الجَحْدري، عن أبي بكرة، عن النبي ﷺ.

---

(١) المتواتر المشهور: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾. «الرحمن:٧٦».

وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٥٥) عن سعيد بن جبير، قال: «الرفرف: رياض الجنة، والعبقري: عتاق الزرابيّ».

(٢) أبو طُعْمة هذا، لا يعرف له اسم. وفي مسند أحمد عن ابن لهيعة، قال: «حدثنا أبو طعمة، ثم قال ابن لهيعة: لا أعرف أيش اسمه». اهـ

وقال في تاريخ دمشق (٦٦/ ٣٨٤): «أبو طعمة، هلال مولى عمر بن عبدالعزيز، سمع عبدالله بن عمر بن الخطاب، روى عنه عبدالله وعبدالرحمن ابنا يزيد بن جابر، وعبدالله بن لهيعة، وعبدالله بن عيسى بن أبي ليلى، وعبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز. أصله من الشام، وسكن مصر، وكان يقص بها، ورماه مكحول بالكذب». وانظر: الجرح والتعديل (١٨٩٩)، وتقريب التهذيب (٨١٨٦).

وقيل: لم يثبت اتهام مكحول له بالكذب.

(٣) هو: عبدالله بن حفص الأرطباني البصري، أبو حفص. قال عنه أحمد في بحر الدم (٥١٩): «ما أرى به بأسًا». وفي تهذيب الكمال (٣٢٢٩) قال أبو بكر بن أبي خيثمة: «حدثنا حسين بن محمد المروذي، قال: حدثنا الأرطباني، عن عاصم الجحدري، عن أبي بكرة، قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ: =



والمحدثون يحدثونه بالإجراء[1]، ولا أدري أمحفوظ هو أم لا؟ إلا أنه في العربية على ترك الإجراء[2].

«على رفارف خضر وعباقري حسان»، قال أبو بكر: لما رجعت من عند حسين بن محمد، رأى أبي هذا الحديث في كتابي، فجعل يقول: أيش الأرطباني، أيش الأرطباني، أحد يسمع حديث الأرطباني؟!». وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وروى له الترمذي». اهـ

(١) أي: بالتنوين، هكذا: (رفارفٍ).

(٢) قال الدوري في جزء قراءات النبي ﷺ (١/ ١٥٧): «حدثني حسين بن محمد أبو أحمد المروذي، حدثنا الأرطباني- وهو عبدالله بن حفص، ابن عم عبدالله بن عون- عن عاصم الجحدري، عن أبي بكرة أن النبي ﷺ قرأ: «متكئين على رَفَارِفٍ خضرٍ وعَبَاقِرِيٍّ حسان- مُنَوَّنٌ-».

قال أبو عمر الدوري: «فقلت له: يا أبا أحمد! إنما هي: (متكئين على رَفَارِفَ خُضرٍ وعباقري حسان)، قال: صدقت، هكذا يقول النحويون، ولكن سمعت أنا هكذا»». اهـ

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٧٧): «والقراء في جميع الأمصار على قراءة ذلك «عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ» بغير ألف في كلا الحرفين. وذكر عن النبي ﷺ خبرٌ غير محفوظ، ولا صحيح السند (عَلَى رَفَارِفٍ خُضْرٍ وَعَبَاقِرِيٍّ) بالألف والإجراء. وذُكر عن زهير الفُرْقُبي أنه كان يقرأ: (عَلَى رَفَارِفَ خُضْرٍ)، بالألف وترك الإجراء، (وَعَبَاقِرِيٍّ حِسَانٍ) بالألف أيضًا، وبغير إجراء. وأما الرفارف في هذه القراءة، فإنها قد تحتمل وجه الصواب. وأما العباقري، فإنه لا وجه له في الصواب عند أهل العربية؛ لأن ألف الجماع لا يكون بعدها أربعة أحرف، ولا ثلاثة صحاح». اهـ

وكلمة: «الإجراء» هي من ألفاظ النحويين، ويقصدون بها: تصريف الاسم.

و«ترك الإجراء». أي: منعه من الصرف، كما في كلمة مساجد.



٥٦١ – حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس م:

أنه كان يقرأ: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»[1].

٥٦٢ – حدثنا هشيم، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم

عن خرشة بن الحُرّ:

أن عمر بن الخطاب ط، رأى معه لوحًا مكتوبًا فيه: @إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ! [الجمعة:٩]؛ فقال: من أقرأك أو من أَمْلَ عليك هذا؟ فقال: أُبَيٌّ بن كعب ط. فقال: إن أُبيًّا كان أقرأنا للمنسوخ. اقرأها: «فامضوا إلى ذكر الله».

(١) المتواتر المشهور: « وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ». «الواقعة:٨٢».

قال ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٣٦٨): «وقوله: « وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ» يقول: وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم: التكذيب، وذلك كقول القائل الآخر: جعلت إحساني إليك، إساءة منك إليَّ! بمعنى: جعلت شكر إحساني، أو ثواب إحساني إليك إساءة منك إليَّ، وقد ذُكر عن الهيثم بن عدي: أن من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان: بمعنى ما شكر. وعن ابن عباس أنه قال: «ما مطر الناس ليلة قط، إلا أصبح بعض الناس مشركين، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا. ويقول: شكركم على ما أنزلت عليكم من الغيث والرحمة، تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ قال: فكان ذلك منهم كفرًا بما أنعم عليهم. وكان عليٌّ يقرأها: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»، ويقول: «جعلتم رزق الله بنوء النجم، وكان رزقهم في أنفسهم بالأنواء؛ إذا نزل عليهم المطر، قالوا: رزقنا بنوء كذا وكذا، وإذا أمسك عنهم كذبوا، فذلك تكذيبهم». اهـ



٥٦٣ – حدثنا هشيم، عن مغيرة

عن إبراهيم، قال:

قرأها عبدالله ط: «فامضوا إلى ذكر الله»(١).

قال: وقال: لو كانت: «فاسعوا» لسعيت؛ حتى يسقط ردائي!(٢).

٥٦٤ – حدثنا عبدالرحمن بن مهدي

عن عَبَّاد بن راشد، قال:

سمعت الحسن، يقول: @فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ !؛ أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد أمروا أن يأتوا الصلاة، وعليهم السكينة والوقار، ولكنه السعي بالنية، والإخلاص لله(٣).

---

(١) يعني قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ». «الجمعة:٩».

(٢) ليس المقصود بالسعي هنا الإسراع في المشي، ولكنه يحمل على أربعة معانٍ:

الأول: بمعنى الاهتمام بها والعمل لها، والتهيؤ من أجلها، كقوله تعالى: «وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ»، وهو قول مجاهد، ومحمد بن كعب.

الثاني: بمعنى القصد والنية على إتيانها بالخشوع، كما هو تفسير الحسن البصري- وهو في المتن-.

الثالث: بمعنى المشي إليها مشيًا معتادًا مع السكينة والوقار، كما في قوله تعالى: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ». وهو قول قتادة، وبه قال الشافعي في تفسيره واستدل بقول النبي ق: «إذا خرجت إلى الجمعة؛ فامشِ على هِينَتِكَ».

الرابع: بمعنى السعي على الأقدام، دون الركوب، كما في قول النبي ق: «ومشى ولم يركب».

(٣) وفي رواية: «ولكن بالقلوب والنية والخشوع».

٥٦٥ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن عبدالرحمن بن أيمن

عن ابن عمر م، عن النبي ق أنه قرأها:

«يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قُبُلِ عدتهن»[1].

---

(١) المتواتر المشهور: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ». «الطلاق:١».

ومعنى: «لِقُبُلِ عدتهن» أي: وهن مستقبلات العدة، وهذه القراءة تُرجِّح قول من قال: إن المقصود بالأقراء: الحِيَضْ؛ لأن هذه اللفظة تقتضي أن يكون زمن الطلاق قبل زمن العدة، وأن زمن العدة يعقب زمن الطلاق، وهذا لا يكون إلا بالحِيَضْ. وأما الشافعي فقد استدل بها على أن المراد بالأقراء الأطهار.

وفيها أيضًا دليلٌ على أن الطلاق السُّني، هو أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه؛ قال ابن مسعود: «فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» أي: طاهرات من غير جماع. وهذا في حق المرأة التي تلزمها العدة بالأقراء.

وفيها دليلٌ على أن طلاق الثلاث يقع ثلاثًا؛ تَبين به المرأة بينونة كبرى، وقد احتج عبدالله بن عباس م على تحريم «طلاق الثلاث بكلام واحد» بهذه الآية؛ قال مجاهد: «كنت عند ابن عباس، فجاء رجل فقال: إنه طلق امرأته ثلاثًا، قال: فسكتَ، حتى ظننتُ أنه رادّها إليه! ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الحموقة، ثم يقول: يا ابن عباس، يا ابن عباس! وإن الله قال: «وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا»، وإنك لم تتق الله، فما أجد لك مخرجًا؛ عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، وإن الله عَزَّوَجَلَّ قال: «يا أيها النبيُّ إِذا طلَّقتُم النِّساء فطَلِّقُوهُنَّ في قُبُلِ عِدتهنَّ». رواه أبو داود في سننه.

وفي السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٣٣١) عن مجاهد، عن ابن عباس: «أنه سئل عن رجل طلَّق امرأته مئة تطليقة! قال: عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، لم تتق الله فيجعل لك مخرجًا، ثم قرأ: «يا أيها النبِيُّ إِذا طلَّقتُم النِّساء فطَلِّقُوهُنَّ في قُبُلِ عِدتهنَّ». اهـ

وعلى هذا جماهير العلماء من الصحابة ن والتابعين ،وأهل القضاء والفتوى من بعدهم، ولم يخالف في ذلك إلا من شذ.

=



٥٦٦ - حدثنا إسحاق بن عيسى، عن مالك بن أنس، عن عبدالله بن دينار

عن ابن عمر م: أنه قرأها: «فطلقوهن لقبل عدتهن».

وعلى سبيل الاستطراد والفائدة: نذكر ما أفتى به أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في هذه المسألة، كما في مسائل إسحاق الكوسج (٤/ ١١٧٠) قال: «قلت: حديث طاوس، عن ابن عباس: كان الطلاق على عهد النبي ق الثلاثة تردّ إلى واحدة؟ قال أحمد: كل أصحاب ابن عباس م رووا خلاف ما قال طاوس؛ روى سعيد بن جبير، ومجاهد، ونافع عن ابن عباس م خلاف ذلك، دليله أن ابن عباس م سئل: إني طلقت امرأتي كذا وكذا؛ فقال: بانت منك امرأتك. وفاطمة بنت قيس طُلقت ثلاثًا على ما روى الشعبي. وما روى ابن عمر م عن النبي ق في الرجل يطلق امرأته ثلاثًا، قال: «حتى تذوق من عسيلته». قلت لأحمد: فيه متعلقٌ- أي: حديث: كان الطلاق على عهد النبي ق الثلاثة تردّ إلى واحدة-؟ قال: لا، لم يروه إلا طاوس.

قال إسحاق بن راهويه: حديث ابن عباس م عن النبي ق في الطلاق؛ لم يروِ أحد من أصحابه عنه خلاف روايته؛ إنما رووا عنه قوله، ولم يفسروا أمدخولة أو غير مدخولة، فإذا وضعت رواية طاوس على غير المدخولة؛ لم يكن خلافًا لروايته. وأما حديث فاطمة، فليس فيه بيان أنه طلق ثلاثًا بكلمة، ولا في رواية ابن عمر م حتى تذوق العسيلة، لأن الطلاق كان ثلاثًا، وإنما نضع حديث طاوس على غير المدخولة؛ لما حكى عكرمة عن ابن عباس التمييز بينهما، وما روى عمرو عن جابر وعطاء في غير المدخولة: الثلاث واحدة». اهـ

فهنا صرَّح الإمام أحمد بأن الحديث المروي عن ابن عباس م في جعل الثلاث واحدة شاذ- وإن كان في صحيح مسلم- خالف فيه طاوس جميع أصحاب ابن عباس. ثم استدل الإمام أحمد على ذلك بثلاثة أدلة ذكرها في السؤال. ثم سأله إسحاق الكوسج: هل يستدل برواية طاوس عن ابن عباس في جعل الثلاث واحدة؟ فأبى ذلك؛ لانفراد طاوس عن أصحاب ابن عباس.

ثم أجاب إسحاق بن راهويه عن الحديث بأن جعل الثلاث واحدة في حق غير المدخول بها؛ فإنها تبين بواحدة؛ لأنها لا عدة عليها، أما المدخول بها؛ فالثلاث تقع ثلاثًا.



٥٦٧ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن عبدالله بن كثير، عن مجاهد

عن ابن عباس ﭭ: أنه كان يقرأ: «فطلقوهن لقبل عدتهن».

٥٦٨ – حدثنا حجاج

عن ابن جريج، قال:

سمعت مجاهدًا، يقرؤها: «فطلقوهن لقبل عدتهن».

قال حجاج: لم يسمع ابن جريج من مجاهد غير هذا الحرف[١].

٥٦٩ – حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم

عن عبدالله ﭬ: أنه قرأ: «ليزهقونك»[٢].

---

(١) وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٢٤٥) عن عمرو بن علي، قال: «سمعت يحيى، يقول: كان ابن جريج لا يُصحَّحُ أنه سمع من الزهري شيئًا. قال: فجهدت به في حديثٍ: أن ناسًا من اليهود غزوا مع رسول الله ﷺ؛ فأسهم لهم، فلم يصحح أنه سمع من الزهري، ولم يسمع ابن جريج من مجاهد إلا حديثًا واحدًا: «فطلقوهن في قبل عدتهن»، ولم يسمع ابن جريج من ابن طاوس- هكذا في الأصل، والصواب: طاوس- إلا حديثًا في مُحْرِمٍ أصاب ذرات، قال: فيها قبضات من طعام». اهـ

والأثر الذي سمعه ابن جريج من طاوس؛ أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٨٤٣٠) عن ابن جريج، قال: «سمعت طاوسًا، وسأله رجل، فقال: إني احتككت وأنا مُحْرِم؛ فقتلت ذرات؟ فقال: «تصدق بقبضات». والذرات: هي النمل الأحمر الصغير.

(٢) المتواتر المشهور: «لَيُزْلِقُونَكَ». «القلم:٥١». ومعنى: «ليزهقونك». أي: ليهلكونك، من الزَهْق: وهو القتل والإهلاك، وذلك من شدّة تحديقهم، ونظرهم إليك.



٥٧٠ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء

عن عبدالله ط: أنه قرأ: «يا أيها الكفار ما سلككم في سقر».

قال أبو عبيد:

وهذا الحرف عن عمر ط: «يا أيها المرء ما سلكك في سقر». يحدثونه عن جابر بن أبي صغيرة، عن عمرو بن دينار، عن ابن الزبير، قال: أقرأنيها عمر ط فلم أنسها بعد.

٥٧١ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي

عن علقمة، قال:

لقيت أبا الدرداء ط فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق. قال: أتقرأ على قراءة عبدالله؟ قلت: نعم، قال: فاقرأ: «وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ»، فقرأت: «والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى، والذكر والأنثى».

قال: فضحك، وقال: هكذا سمعت رسول الله ق يقرؤها.

وحدثنا هشيم عن مغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله، وعن أبي الدرداء، عن النبي ق مثل ذلك.

وزاد فيه: قال أبو الدرداء ط:

يا ابن أخي! فما زال بي هؤلاء، حتى كادوا يَرُدُّوني.

وحدثنا يزيد، عن شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله، وعن أبي الدرداء، عن النبي ق مثل ذلك؛ إلا أنه قال في أول الحديث:

قال لي أبو الدرداء ط:

أليس منكم صاحب السِّر، والذي أُجير من الشيطان، وصاحب الوساد أو السِّواد- شك يزيد-؟ قال: صاحب السِّر: حذيفة، والذي أُجير من الشيطان: عَمَّار، وصاحب الوساد أو السِّواد[1]: ابن مسعود.

ثم قال: كيف سمعت ابن مسعود ط يقرأ: @وَٱلَّيۡلِ !.[2]

---

(١) السِّواد- بكسر السين: السِّرار والنجوى والمسارَّة، تقول: ساودته مساودة وسِوادًا، فكأنه من إدناء سوادك من سواده، وهو الشخص، وقد روى أحمد في مسنده عن ابن مسعود ط أن النبي ق قال له: «قد أذنت لك أن ترفع الحجاب، وتسمع سِوَادي- أي: سِراري- حتى أنهاك».

(٢) والحديث له قصة رواها أحمد والبخاري ومسلم عن إبراهيم، قال: «ذهب علقمة إلى الشأم، فلما دخل المسجد، قال: اللهم! يسر لي جليسًا صالحًا، فجلس إلى أبي الدرداء، فقال أبو الدرداء ط: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أليس فيكم أو منكم صاحب السِّر، الذي لا يعلمه غيره- يعني: حذيفة- قال: قلت: بلى، قال: أليس فيكم أو منكم الذي أجاره الله على لسان نبيه ق - يعني: من الشيطان، يعني: عمارًا- قلت: بلى، قال: أليس فيكم أو منكم صاحب السِّواك أو السِّرار- وفي رواية: صاحب النعلين والوساد والمطهرة-؟ قال: بلى، قال: كيف كان عبدالله يقرأ « وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ - وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ »؟ قلت: «والذكر والأنثى»، قال: ما زال بي هؤلاء، حتى كادوا يستنزلونني عن شيء؛ سمعته من رسول الله ق ». اهـ

والقراءة المتواترة: «وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ» لكنها لم تبلغهما؛ فاقتصرا على ما سمعاه.

=

٥٧٢ – حدثنا عبدالرحمن بن مهدي

عن خالد بن أبي عثمان الأموي، قال:

سمعت سعيد بن جبير، يقرأ: «كالصوف المنفوش»[(١)].

٥٧٣ – حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو ذي مر

عن علي ط، أنه قرأ:

«والعصر، ونوائب الدهر، لقد خلقنا الإنسان لخسر، وإنه فيه إلى آخر الدهر»[(٢)].

٥٧٤ – حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن ليث بن أبي سليم، عن شهر بن حوشب

عن أسماء بنت يزيد، قالت: سمعت رسول ق يقرأ:

ولُقِّب ابن مسعود ط بصاحب السرار- أي: من السِّر- لأن النبي ق كان لا يحجبه إذا استأذن عليه، ولا يخفي عنه سره.

ولُقِّب ط بصاحب النعلين والوساد والمطهرة؛ لأنه كان يحمل نعليّ رسول الله ق، ويتعاهد وسادته وإناءه الذي يوضع فيه الماء؛ ليتطهر به في السفر.

ولُقِّب حذيفة ط بصاحب السِّر؛ لأن النبي ق كان قد أعلمه أسماء المنافقين وأحوالهم وأطلعه على بعض ما يجري لهذه الأمة من الفتن، وجعل ذلك سرًّا بينه وبينه.

وأما عمار ط؛ فقد دعا له النبي ق بأن يُجيره الله من الشيطان.

(١) المتواتر المشهور: «وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ». «القارعة:٥».

(٢) المتواتر المشهور: «وَٱلۡعَصۡرِ -إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ». «العصر:١-٢».



«ويل أمكم قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف»[١].

٥٧٥ – حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن أبي نوفل بن أبي عقرب

عن ابن عباس ﭬ: أنه قرأ: «إذا جاء فتح الله والنصر»[٢].

٥٧٦ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب

عن ابن سيرين، قال:

كتب أُبي بن كعب ﭬ في مصحفه: فاتحة الكتاب، والمعوذتين، واللهم إنا نستعينك، واللهم إياك نعبد[٣]. وتركهن ابن مسعود ﭬ. وكتب عثمان ﭬ منهن فاتحة الكتاب والمعوذتين.

---

(١) المتواتر المشهور: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ – إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾. «قريش:١-٢».

(٢) المتواتر المشهور: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾. «النصر:١».

(٣) قوله: «اللهم إنا نستعينك»: هي التي كانت تعرف بسورة (الحَفْد)، وسيأتي نصها.

وأما قوله: «اللهم إياك نعبد»: فهي التي كانت تعرف بسورة (الخَلْع)، وسيأتي نصها.

ومن المعلوم المقطوع به؛ أن عدد سور القرآن مئة وأربع عشرة سورة بالإجماع، أو مئة وثلاث عشرة، عند من يجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة.

فأما ابن مسعود ﭬ فكان في مصحفه: مئة واثنتا عشرة سورة، لأنه لم يكتب المعوذتين، وكان يقول: إنهما تعوذ أمر الله رسوله أن يتعوذ بهما، وليستا من كتاب الله.

وأما أُبيّ بن كعب ﭬ فكان في مصحفه: مئة وست عشرة سورة، لأنه كتب في آخره سورتيّ الحفد والخلع، وأثبت فاتحة الكتاب، والمعوّذتين.

=



وأما عثمان بن عفان ط فقد جمع المسلمين على المصحف الإمام، وأثبت فيه مئة وأربع عشرة سورة، بإثبات الفاتحة والمعوذتين، وحذف سورتي الحفد والخلع.

قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (١/ ٤٣): «وأما نقصان مصحف عبدالله بحذفه (أمّ الكتاب) و(المعوّذتين)، وزيادة أُبيّ بسورتي القنوت، فإنا لا نقول: إن عبدالله وأُبيًّا أصابا وأخطأ المهاجرون والأنصار، ولكن عبدالله ذهب- فيما يرى أهل النظر- إلى أن (المعوذتين) كانتا كالعُوذة والرُّقية وغيرها، وكان يرى رسول الله ق يعوّذ بهما الحسن والحسين وغيرهما، كما كان يعوّذهما بـ (أعوذ بكلمات الله التّامة) وغير ذلك، فظنّ أنهما ليستا من القرآن، وأقام على ظنّه ومخالفة الصحابة جميعًا، كما أقام على التّطبيق- في الركوع-... وإلى نحو هذا ذهب أُبيٌّ ط في دعاء القنوت، لأنه رأى رسول الله ق يدعو به في الصلاة دعاء دائمًا، فظن أنه من القرآن، وأقام على ظنه، ومخالفة الصحابة ن.

وأما فاتحة الكتاب: فإني أشك فيما روي عن عبدالله من تركه إثباتها في مصحفه، فإن كان هذا محفوظًا فليس يجوز لمسلم أن يظنّ به الجهل بأنها من القرآن، وكيف يظنّ به ذلك وهو من أشد الصحابة ن عناية بالقرآن، وأحد الستة الذين انتهى إليهم العلم؟! والنبي ق يقول: «من أحبّ أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل؛ فليقرأه قراءة ابن أمّ عبد». وعمر يقول فيه: «كُنَيْفٌ مليء علمًا». وهو مع هذا متقدّم الإسلام بدريّ، لم يزل يسمع رسول الله ق يؤمّ بها، وقال: «لا صلاة إلا بسورة الحمد». وهي السبع المثاني، وأم الكتاب- أي: أعظمه- وأقدم ما نزل منه، كما سميت مكة: أم القرى؛ لأنها أقدمها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ». ولكنه ذهب- فيما يظنّ أهل النظر- إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان، ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد؛ لقصرها ولأنها تثنى في كل صلاة وكل ركعة، ولأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلّمها وحفظها، كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه، إذ كانت لا صلاة إلا بها. فلما أمن عليها العلَّة التي من أجلها كُتب المصحف؛ ترك كتابتها، وهو يعلم أنها من القرآن». اهـ

وأغلب الظن أن يكون ابن مسعود ط قد رجع عن ذلك، وأثبت المعوذتين في آخر أمره؛ لأنه قد صحت عنه قراءةُ عاصم، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود، وفيها أم القرآن والمعوذتان. =

٥٧٧ - حدثنا يزيد، عن سليمان التيمي

عن عَزرة[١]، قال:

قرأتُ في مصحف أبي بن كعب ط هاتين السورتين: «اللهم نستعينك»[٢]، و«اللهم إياك نعبد»[٣].

فالمعوذتان قرأ بهما عاصم في قراءته الصحيحة التي يرويها عن زر بن حبيش، وأبي عبدالرحمن السُّلمي، وأبي عمرو الشيباني، وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبدالله بن مسعود ط، وقرأ السُّلمي وزِر أيضًا على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب م، وقرأ السُّلمي أيضًا على أُبي بن كعب وزيد بن ثابت م، وقرأ عثمانٌ وعليٌّ وابنُ مسعودٍ وزيدٌ وأُبيٌّ على رسول الله ق.

وكذلك رُويت قراءة المعوذتين عن ابن مسعود في قراءة حمزة والكسائي، فقد قرآها عنه من طريق علقمة والأسود وابن وهب ومسروق وعاصم بن ضمرة والحارث، وهؤلاء جميعًا قرءوا على ابن مسعود ط.

(١) عزرة- بفتح العين. وهو عزرة بن عبدالرحمن بن زرارة الخزاعي، يروي عنه سليمان التيمي.

(٢) وهي التي تسمى سورة الخَلْع، ونصها: «اللهم! إنا نستعينك، ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك، ونؤمن بك، ونخلع ونترك من يفجرك». رواها عبدالرزاق في مصنفه عن عمر ط.

وفي رواية عن علي ط: «اللهم! إنا نستعينك، ونستهديك، ونثني عليك الخير كله، ونشكرك ولا نكفرك، ونؤمن بك، ونخلع ونترك من يفجرك».

وفي المراسيل لأبي داود، وسنن البيهقي: «اللهم! إنا نستعينك، ونستغفرك، ونؤمن بك، ونخضع لك، ونخلع ونترك من يكفرك».

وفي المدونة الكبرى لمالك بن أنس: «اللهم! إنا نستعينك، ونستغفرك، ونؤمن بك، ونخنع لك، ونخلع ونترك من يكفرك».

(٣) الأولى: سورة الخلع، إلى قوله: «ونخلع ونترك من يكفرك».

=



٥٧٨ - حدثنا كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان

عن ميمون بن مهران، قال:

قرأت في مصحف أُبيّ بن كعب: «اللهم نستعينك ونستغفرك»، إلى قوله: «بالكافرين مُلْحِق»(١).

والثانية: سورة الحفد، ونصها: «اللهم! إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخاف- وفي رواية: ونخشى- عذابك، إن عذابك- وفي رواية: الجِدَّ- بالكفَّارين- وفي رواية: بالكفار، وفي رواية: بالكافرين- مُلْحِق». رواها عبدالرزاق وابن أبي شيبة في مصنفيهما عن عمر وعلي ، وفيها زيادة دعاء.

ومعنى: نحفد. أي: نسارع في طاعتك ومراضيك. وأصل الحَفْد: العمل والخدمة.

ومعنى: نخنع لك. أي: نخضع ونذل لك.

ومعنى: من يفجرك. أي: من يعصيك ومن يخالفك.

ومعنى: ملحق. أي: واقع لا محالة بهم.

وكان السَّلف رحمهم الله يستحبون الدعاء بهاتين السورتين في قنوت الوتر. وكان منهم من يزيد على ذلك، ومنهم من يقتصر عليهن.

(١) وكان عمر ربما زاد على ذلك: «اللهم! عذب كفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك». مصنف ابن أبي شيبة.

وفي ختام هذا الباب يحسن بنا أن نذكر ما قاله ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (١/ ٣١) حيث قال: «قد تدبّرت وجوه الخلاف في القراءات، فوجدتها سبعة أوجه:

أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغيّر معناها؛ نحو قوله تعالى: «هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ» و«أَطْهَرَ لكم». وقوله: «وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ»، و«هل يُجَازى إلّا الكفور»، وقوله: «وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ»، و«بالبَخَل»، وقوله: «فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ»، و«مَيْسُرَة».

=





والوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: «رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا»، و«ربُّنا بَاعَدَ بين أسفارنا». وقوله: «إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ»، و«تَلِقُونَه»- من الولق، وهو الكذب-. وقوله: «وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ»، و«بعد أَمَهٍ».

والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله: «وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا»، و«نُنْشِرُها»، ونحو قوله: «حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ»، و«فُرِّغ».

والوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب، ولا يغيّر معناها، نحو قوله: «إن كانت إلّا زقية» و(صَيْحَةً». و«كالصّوف المنفوش» و«كَالْعِهْنِ».

والوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله: «وطلع منضود» في موضع: «وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ».

والوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله: «وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ»، وفي موضع آخر: «وجاءت سكرة الحقّ بالموت».

والوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: «وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡ»، «وما عملت أيديهم»، ونحو قوله: «إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ» و«إن الله الغني الحميد».

وقرأ بعض السَّلف: «إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أنثى»، و«إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخْفِيها من نفسي فكيف أظهركم عليها». اهـ



باب: ما رفع من القرآن بعد نزوله ولم يُثْبَتْ في المصاحف

٥٧٩ - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن نافع

عن ابن عمر ط، قال:

«لا يقولن أحدكم: قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر منه»[(١)].

٥٨٠ - حدثني ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير

عن عائشة ك، قالت:

«كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبي ق مئتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن»[(٢)].

---

(١) رواه سعيد بن منصور في التفسير.

ومعنى: «قد ذهب منه قرآن كثير». أي: نسخت تلاوته.

(٢) لم أجده عند غير المصنف بهذا السياق، والأثر معنعن، وفيه ابن لهيعة.

قال البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٥٥): «رُوِّينا عن عَبِيدة السلماني، أنه قال: القراءة التي عُرِضَت على رسول الله ق في العام الذي قبض فيه؛ هذه القراءة التي يقرؤها الناس اليوم».

=

٥٨١ - حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن المبارك بن فضالة، عن عاصم بن أبي النجود

عن زر بن حبيش، قال:

قال لي أبي بن كعب ط: يا زر، كَأَيِّنْ تعد؟ أو قال: كَأَيِّنْ تقرأ سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وسبعين آية، أو ثلاثاً وسبعين آية. فقال: «إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم».

قلت: وما آية الرجم؟! قال: «إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم»[١].

وقال البغوي في شرح السُّنة (٤/ ٥١١): «جمع الله سبحانه وتعالى الأمة بحسن اختيار الصحابة ن على مصحف واحد، هو آخر العرضات من رسول الله ق، كان أبو بكر الصديق أمر بكِتْبَتِه جمعًا بعد ما كان مُفرقًا في الرقاع بمشورة الصحابة ن، حين استحرَّ القتل بقراء القرآن يوم اليمامة، فخافوا ذهاب كثير من القرآن بذهاب حملته، فأمر بجمعه في مصحف واحد؛ ليكون أصلًا للمسلمين، فيرجعون إليه ويعتمدون عليه، فأمر عثمان ط بنسخه في المصاحف، وجمع القوم عليه، وأمر بتحريق ما سواه، قطعًا لمواد الخلاف، فكان ما يخالف الخط المتفق عليه في حكم المنسوخ والمرفوع، كسائر ما نسخ ورفع منه بإتفاق الصحابة ن.

والمكتوب بين اللوحين هو المحفوظ من الله عَزَّوَجَلَّ للعباد، وهو الإمام للأمة، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج من رسم الكتابة والسواد». اهـ

(١) رواه النسائي في سننه، وأبو داود الطيالسي في مسنده، وفيه قال: «فَرُفِع فيما رُفِع».

والمقصود بالشيخ والشيخة: من زنا بعد إحصان.

وآية الرجم كانت مكتوبة، فنسخت تلاوتها وبقي حكمها معمولًا به.



٥٨٢ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن مروان بن عثمان

عن أبي أمامة بن سهل(١):

أن خالته(٢)، قالت: لقد أقرأنا رسول الله ق آية الرجم: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة»(٣).

٥٨٣ – حدثنا هشيم، قال: سمعت الزهري، يقول: حدثنا عبيدالله بن عبدالله بن عتبة

عن ابن عباس م، قال:

خطب عمر ط فقال: «ألا إن ناسًا يقولون: ما بال الرجم، وإنما في كتاب الله الجلد؟ وقد رجم رسول الله ق ورجمنا معه. والله لولا أن يقول قائلون: زاد عمر في كتاب الله لأثبتُّها كما أنزلت»(٤).

---

(١) هو: أسعد بن سهل بن حنيف بن واهب الأسدي الأنصاري، أبو أمامة، معروف بكنيته، وليس هو أبا أمامة الباهلي ط صاحب رسول الله ق، روى عن أبيه وعن عمر وعثمان. وروى عنه الزهري وابنه محمد، ويحيى بن سعيد الأنصاري. قال ابن أبي حاتم: «سمعت أبي يقول ذلك، وقيل له: ثقة هو؟ قال: لا يُسأل عن مثله، هو أجلُّ من ذلك». انظر: الجرح والتعديل (١٣٠٦).

وقال الدارقطني: «أبو أمامة بن سهل بن حنيف؛ أدرك النبي ق».

(٢) هي: فارعة بنت أسعد بن زرارة، مشهورة بالعجماء الأنصارية، من الصحابِيَّات، وهي عمَّة عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة، صاحبة عائشة ك. معرفة الصحابة لأبي نعيم (٧٧٧٦).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، والطبراني في الكبير.

(٤) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود.

=



٥٨٤ – حدثنا هشيم، قال: حدثنا علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس

عن عمر ط، قال:

«لقد هممت أن أكتب في ناحية المصحف: شهد عمر بن الخطاب، وعبدالرحمن بن عوف؛ أن رسول الله ق قد رجم ورجمنا»[١].

٥٨٥ – حدثنا عبدالغفار بن داود، عن ابن لهيعة، عن عمرو بن دينار

عن بجالة:

أن عمر بن الخطاب ط، مرَّ برجل يقرأ في المصحف: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، وهو أبوهم». فقال عمر ط: «لا تفارقني حتى نأتي أبي بن كعب». فأتيا أبي بن كعب ط فقال: «يا أبي! ألا تسمع كيف يقرأ هذا هذه الآية؟» فقال أبي: «كانت فيما

وفي هذا دليلٌ على عِظَمِ التغيير في المصحف، ولو بحقٍّ؛ سدًّا للذريعة.

(١) رواه أحمد، وزاد فيه: «ألا وإنه سيكون من بعدكم قوم يكذبون بالرجم، وبالدجال، وبالشفاعة، وبعذاب القبر، وبقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا».

وصدق عمر ط المحدَّث المُلهم، فهو كما قال ابن مسعود ط: «ما رأيت عمر بن الخطاب ط إلا ويخيل إليَّ أن بين عينيه ملكًا يسدده». وقال عبدالله بن عمر م: «كان عمر يقول القول، فننتظر متى يقع».

وما أخبر به أبو حفص ط قد وقع تمامًا كما أخبر، فكل هذه العقائد المذكورة قد كذَّبت بها المدرسة العقلانية، والتي يتزعمها المعتزلة في الماضي والحاضر، ولكلٍّ بدعةٍ وارث.



أُسقط». قال عمر ط: «فأين كنتُ عنها؟ ثم قال: شغلني عنها ما لم يَشغلك».

٥٨٦ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار

عن أبي واقد الليثي ط، قال:

كان رسول الله ق إذا أوحي إليه أتيناه، فعلمنا مما أوحي إليه، قال: فجئته ذات يوم، فقال: إن الله يقول: «إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو أن لابن آدم واديًا من ذهب لأحب أن يكون له الثاني، ولو كان له الثاني لأحب أن يكون له الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب»[1].

٥٨٧ – حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي حرب بن أبي الأسود

عن أبي موسى الأشعري ط، قال:

نزلت سورة نحو براءة، ثم رفعت، وحفظ منها: «إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم. ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثاً. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب»[2].

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أحمد مختصرًا. ورواه عفان بن مسلم في أحاديثه.



٥٨٨ - حدثنا أبو نعيم، عن يوسف بن صهيب، عن حبيب بن يسار

عن زيد بن أرقم ط، قال:

كنا نقرأ على عهد رسول الله ق : «لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضة لابتغى الثالث. ولا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب»[1].

٥٨٩ - حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير:

أنه سمع جابر بن عبدالله م يقول:

كنا نقرأ: «لو أن لابن آدم ملء واد مالاً، لأحب إليه مثله. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب»[2].

وحدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء، قال: سمعت ابن عباس م، يقول: سمعت رسول الله ق يقول مثل ذلك. قال: قال ابن عباس: فلا أدري أمن القرآن هو أم لا؟

---

(١) رواه أحمد. وفي البخاري عن أبي بن كعب ط قال: «كنا نرى هذا من القرآن، حتى نزلت: «أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ»». اهـ

وفي مسند أحمد عنه، قال: «إن رسول الله ق قال: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال: فقرأ: «لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ»، قال: فقرأ فيها: ولو أن ابن آدم سأل واديًا من مال فأعطيه؛ لسأل ثانيًا، ولو سأل ثانيًا فأعطيه؛ لسأل ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، وإن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية، غير المشركة، ولا اليهودية، ولا النصرانية، ومن يفعل خيرًا، فلن يُكْفَره».

(٢) رواه أحمد.

٥٩٠ - حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني ابن أبي حميد

عن حُميدة بنت أبي يونس[١]، قالت:

قرأت على أبي، وهو ابن ثمانين سنة، في مصحف عائشة ك: «إن الله وملائكته يصلون على النبي. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا وعلى الذين يَصِلُون الصفوف الأولى».

قالت: قبل أن يغير عثمان المصاحف.

قال: قال ابن جريج: وأخبرني ابن أبي حميد، عن عبدالرحمن بن هرمز وغيره مثل ذلك في مصحف عائشة ك.

٥٩١ - حدثنا حجاج، عن شعبة، عن الحكم بن عتيبة، عن عدي بن عدي، قال:

قال عمر ط:

كنا نقرأ: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم».

ثم قال لزيد بن ثابت: «أكذاك يا زيد؟». قال: «نعم»[٢].

---

(١) قال أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٥/ ١٧٣): «حميدة ابنة أبي يونس، مولاة عائشة ك: لا أدري من هي، ولا ما شأنها؟ ولم أجد لها ذكرًا في كل المصادر التي بين يدي، ولا في كتاب الثقات لابن حبان، فأمرها مشكل حقًّا. وسيأتي خبران عن أبي يونس مولى عائشة، وهذا تابعي معروف، كما سيأتي، فلعلَّ هذه ابنته». اهـ

(٢) رواه عبدالرزاق في مصنفه، وفيه قصة. ورواه أحمد، والبخاري دون الزيادة الأخيرة.

٥٩٢ – حدثنا ابن أبي مريم، عن نافع بن عمر الجمحي، قال: حدثني ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة ط، قال:

قال عمر لعبدالرحمن بن عوف م: ألم نجد فيما أنزل علينا أن: «جاهدوا كما جاهدتم أول مرة»؟ فإنا لا نجدها.

فقال: أُسقطت فيما أسقط من القرآن[1].

قال أبو عبيد:

هذه الحروف التي ذكرناها في هذين البابين من الزوائد لم يروها العلماء، ولا احتملوها على أنها مثل الذي بين اللوحين من القرآن، ولا أنهم كانوا يقرءون بها في الصلاة، ولم يجعلوا من جحدها كافرًا؛ إنما يُقرأ في الصلاة، ويحكم بالكفر على الجاحد لهذا الذي بين اللوحين خاصة؛ وهو ما ثبت في الإمام الذي نسخه عثمان ط بإجماع من المهاجرين والأنصار، وإسقاطٍ لما سواه، ثم أطبقت عليه الأمة، فلم يُختلف في شيء منه، يعرفه جاهلهم كما يعرفه عالمهم، وتوارثه القرون بعضها عن بعض، وتتعلمه الولدان في المكتب.

---

(١) رواه أحمد بن عيسى (ت٢٨٠) في مسند عبدالرحمن بن عوف ط، وفيه قال: «نخشى أن يرجع الناس كفارًا، قال: ما شاء الله، قال: لئن رجع الناس كفارًا؛ ليكونن أمراؤهم بنو فلان، ووزراؤهم بنو فلان».

وكانت هذه إحدى مناقب عثمان ط العظام. وقد كان بعض أهل الزيغ طعن فيه، ثم تبين للناس ضلالهم في ذلك[(١)].

٥٩٣ – حُدثت عن يزيد بن زريع، عن عمران بن حُدير، قال:

قال أبو مجلز:

ألا تعجب من حُمْقِهم! كان مما عابوا على عثمان ط تمزيقه المصاحف، ثم قبلوا ما نَسَخ.

قال أبو عبيد:

يقول: إنه كان مأموناً على ما أسقط، كما هو مأمون على ما نسخ.

وقال علي ط:

لو وليت المصاحف لصنعت فيها الذي صنع عثمان ط.

وقال مصعب بن سعد:

أدركت الناس حين فعل عثمان ط ما فعل، فما رأيت أحدًا أنكر ذلك- يعني: من المهاجرين والأنصار وأهل العلم[(٢)].

---

(١) تقدَّم البحث في ذلك، في الأثر رقم: (٤٦٨).

(٢) وفي تاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ١٠٠٤) عن مصعب بن سعد، قال: «سمعت رجالًا من أصحاب النبي ق يقولون: لقد أحسن». اهـ

وقد ذكرنا هذين الحديثين في غير هذا الموضع. والذي ألَّفه عثمان ط هو الذي بين ظهري المسلمين اليوم، وهو الذي يُحكم على من أنكر منه شيئًا مثلما يُحكم على المرتد من الاستتابة، فإن أبى؛ فالقتل.

فأما ما جاء من هذه الحروف التي لم يؤخذ علمها إلا بالإسناد والروايات التي يعرفها الخاصة من العلماء دون عوام الناس، فإنما أراد أهل العلم منها أن يستشهدوا بها على تأويل ما بين اللوحين، وتكون دلائل على معرفة معانيه وعلم وجوهه(١):

وذلك كقراءة حفصة وعائشة: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر».

وكقراءة ابن مسعود ط: «والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم».

ومثل قراءة أبي بن كعب ط: «للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر، فإن فاءوا فيهن...».

---

(١) هذه فائدة الحروف التي تخالف رسم المصحف، تنزيلًا لها منزلة خبر الآحاد. وليس كما يشاع الآن أن تطرح تمامًا، فلا يؤخذ بها في تقييد مطلق، أو تخصيص عام، أو تفسير مشكل أو غير ذلك.

قال ابن عبدالبر في الاستذكار(٣/ ٣٥٠): «يجوز الاحتجاج من القراءات بما ليس في مصحف عثمان، إذا لم يكن في مصحف عثمان ما يدفعها، وهذا جائز عند جمهور العلماء، وهو عندهم يجري مجرى خبر الواحد في الاحتجاج به؛ للعمل بما يقتضيه معناه». اهـ

قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٨٦): «وهذه إذا لم يثبت كونها قرآنًا متواترًا، فلا أقل أن يكون خبر واحد أو تفسيرًا من الصحابة ن، وهو في حكم المرفوع». اهـ



وكقراءة سعد ط: «فإن كان له أخ أو أخت من أمه».

وكما قرأ ابن عباس م: «لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج».

وكذلك قراءة جابر ط: «فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم».

فهذه الحروف وأشباه لها كثيرة قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك، فكيف إذا روي عن لُباب[1] أصحاب محمد ق، ثم صار في نفس القراءة؟ فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى، وأدنى ما يستنبط من علم هذه الحروف معرفة صحة التأويل. على أنها من العلم الذي لا تعرف العامة فضله؛ إنما يعرف ذلك العلماء.

وكذلك يُعتبر بها وجه القراءة، كقراءة من قرأ: «يقض الحق»[2]، فلما وجدتَها في قراءة عبدالله ط: «يقضي بالحق»؛ علمتَ أَنت أنما هي «يقض الحق»، فقرأتها أنت على ما في المصحف، واعتبرت صحتها بتلك القراءة.

وكذلك قراءة من قرأ: «أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ». [النمل:٨٢].

---

(١) أي: علماؤهم وسادتهم.

(٢) المتواتر المشهور: «يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ». «الأنعام:٥٧».



لما وجدتها في قراءة أُبيٍّ ط: «تنبئهم»؛ علمت أن وجه القراءة: «تكلمهم»(١).

في أشياء من هذه كثيرة، لو تُدُبِّرَتْ؛ وُجِدَ فيها عِلْمٌ واسعٌ لمن فهمه(٢).

---

(١) قال ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٤٩٩): «اختلفت القراء في قراءة قوله: «تُكَلِّمُهُمْ»، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار: «تُكَلِّمُهُمْ» بضم التاء وتشديد اللام، بمعنى: تخبرهم وتحدثهم، وقرأه أبو زرعة بن عمرو: «تَكْلِمهم» بفتح التاء وتخفيف اللام، بمعنى: تسمهم.

والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك: ما عليه قراء الأمصار. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. فعن ابن عباس، في قوله: «أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ» قال: تحدثهم». اهـ

(٢) ومن هذا العلم: الجمع بين حُكمين مختلفين، كما في قوله تعالى: «فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ»، حيث قرئ «يَطْهُرْنَ». بطريقتين: الأولى: تسكين الطاء، والثانية: بتشديدها، ومجموع القراءتين يفيد أن الحائض لا يجوز أن يقربها زوجها، إلا إذا طهرت بأمرين معًا: الأول: انقطاع الدم، وذلك بالقراءة الأولى. الثاني: الاغتسال، وذلك بالقراءة الثانية.

ومنه أيضًا: الدلالة على حكمين في حالين مختلفين، كما في قوله تعالى: «فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ». فمن قرأ: «وَأَرْجُلَكُمْ» بالنصب عطفًا على «وُجُوهَكُمْ» قال بوجوب غسل الرجلين، لعطفها على مغسول وهي الوجوه. ومن قرأها «وأرجلِكم» بالجر عطفًا على «بِرُءُوسِكُمْ» قال بالمسح على الخفين، لعطفها على ممسوح وهو الرؤوس.

ومنه أيضًا: بيان حكم شرعي مجمع عليه، مثل قراءة سعد بن أبي وقاص ط: «وله أخ أو أخت من أم»، فإن هذه القراءة بيَّنت أن المراد بالإخوة هنا الإخوة لأم، وهذا حكم مجمع عليه بين الفقهاء.

=





ومنه أيضًا: ترجيحُ حكمٍ اخُتلف فيه؛ كقراءة: «أو تحرير رقبة مؤمنة»، بزيادة «مؤمنـة» في كفـارة اليمين، فكانت هذه الزيادةٌ في بعض الروايات دليلًا لاشتراط الإيمان في الرقبة المعتَقـة، كـما ذهـب إليه الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومنه أيضًا: دفعُ توهمٍ ليس مرادًا للشرع، كما في قوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ».

فعلى قراءة: «فامضوا إلى ذكر الله»، اندفع توهم وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة المفهوم من القراءة الأولى، وأوضحت القراءة الثانية أن المراد هو المشي والذهاب.



حروف القرآن التي اختلفت فيها مصاحف أهل الحجاز وأهل العراق، وهي اثنا عشر حرفًا(١)

(١) هذا الاختلاف نشأ في أثناء نسخ مصاحف الأمصار من المصحف الإمام الذي كتبه عثمان ط؛ وسبب ذلك أن كل كلمة فيها قراءتان أو أكثر، فإنها قد رسمت في كل مصحف على حسب قراءة القطر الذي أرسل إليه.

وهو اختلاف يسير جدًا في الرسم- سيأتي بيانه- متمثل في زيادة حرف أو إنقاص آخر؛ كالواو، والفاء، والألف، واللام، وما أشبه ذلك.

وهي غير مختلفة المعنى، فبأيتها قرأ القارئ فهو مصيب، والكل صحيح.

قال أبو عمرو الداني في كتابه: المقنع في رسم مصاحف الأمصار (١/ ١١٨): «فإن سأل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف؛ قلت: السبب في ذلك عندنا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ط لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصحّ ولا يثبت؛ نظرًا للأُمة واحتياطًا على أهل الملة، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عَزَّوَجَلَّ كذلك منزلة، ومن رسول الله ق مسموعة، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير ممكن إلا بإعادة الكلمة مرتّين، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به، ففرَّقها في المصاحف لذلك، فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها؛ لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عَزَّوَجَلَّ، وعلى ما سُمعت من رسول الله ق، فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار». اهـ

وقال في كتابه المحكم في نقط المصاحف (١/ ١٩٦): «وليس شيء من الرسم، ولا من النقط اصطلح عليه السلف إلا وقد حاولوا به وجهًا من الصحة والصواب، وقصدوا به طريقًا من اللغة والقياس، لموقعهم من العلم، ومكانهم من الفصاحة، علم ذلك من علمه، وجهله من جهله». اهـ



٥٩٤ - حدثنا إسماعيل بن جعفر المديني[(١)]:

أن أهل الحجاز، وأهل العراق اختلفت مصاحفهم في هذه الحروف:

١- قال: كتب أهل المدينة في سورة البقرة: «وأوصى بها إبراهيم بنيه» بالألف، وكتب أهل العراق: «ووصى». بغير ألف[(٢)].

٢- وفي آل عمران، كتب أهل المدينة: «سارعوا إلى مغفرة من ربكم» بغير واو، وأهل العراق: «وسارعوا» بالواو.

٣- وفي المائدة؛ أهل المدينة: «يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم» بغير واو[(٣)]، وأهل العراق: «ويقول» بالواو.

٤- وفيها أيضًا؛ أهل المدينة: «يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه» بدالين، وأهل العراق: «من يرتد» بدال واحدة[(٤)].

---

(١) هو: ابن أبي كثير، قارئ أهل المدينة.

(٢) قال ابن جرير في تفسيره (٣/ ٩٦): «قرأ جماعة من القراء: «وأوصى بها إبراهيم»، بمعنى: عهد. وأما من قرأ: «ووصى» مشددة، فإنه يعني بذلك أنه عهد إليهم عهدًا بعد عهد، وأوصى وصية بعد وصية». اهـ

(٣) قال ابن جرير في تفسيره (١٠/ ٤٠٧): «وتأويل الكلام على هذه القراءة: فيصبح المنافقون إذا أتى الله بالفتح أو أمر من عنده، على ما أسروا في أنفسهم نادمين، يقول المؤمنون تعجبًا منهم ومن نفاقهم وكذبهم واجترائهم على الله في أيمانهم الكاذبة بالله: أهؤلاء الذين أقسموا لنا بالله إنهم لمعنا، وهم كاذبون في أيمانهم لنا؟!». اهـ

(٤) هما لغتان فصيحتان مشهورتان في كلام العرب.

=



٥- وفي سورة براءة؛ أهل المدينة: «الذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا» بغير واو، وأهل العراق: «والذين اتخذوا» بالواو.

٦- وفي الكهف؛ أهل المدينة: «لأجدن خيرًا منهما منقلبًا» على اثنتين[1]، وأهل العراق: «خيرًا منها منقلبًا» على واحدة.

٧- وفي الشعراء؛ أهل المدينة: «فتوكل على العزيز الرحيم» بالفاء، وأهل العراق: «وتوكل» بالواو[2].

٨- وفي المؤمن[3]؛ أهل المدينة: «وأن يُظْهِر في الأرض الفساد» بغير ألف، وأهل العراق: «أو أن» بألف[4].

وفي المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني (١/ ١٠٧) قال: «قال أبو عبيد: وكذا رأيتها في الإمام بدالين، وفي سائر المصاحف: «يرتد» بدال واحدة». اهـ

(١) أي: على الجنتين.

(٢) الواو: عطف جملة على جملة، والفاء: على أنه كالجزاء لما قبله. والوجهان حسنان.

(٣) هي: سورة غافر.

(٤) في هذه الآية أربع قراءات:

الأولى: لنافع وأبي عمرو وأبي جعفر: «وأن يُظْهِر في الأرض الفسادَ» بغير ألف قبل واو العطف، و«يُظهِر» بضم الياء وكسر الهاء، و«الفساد» بالنصب على أنه مفعول به.

الثانية: لابن كثير وابن عامر: «وأن يَظْهَر في الأرض الفسادُ» بالواو، وفتح الياء والهاء، ورفع «الفساد» على أنه فاعل.

الثالثة: لحفص ويعقوب: «أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ» بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو، وضم الياء وكسر الهاء. ونصب «الفساد».

=



٩- وفي عسق[١]؛ أهل المدينة: «بما كسبت أيديكم» بغير فاء. وأهـل العراق: «فبما كسبت» بالفاء[٢].

١٠- وفي الزخرف؛ أهل المدينة: «تـشتهيه الأنفـس» بالهـاء، وأهـل العراق: «تشتهي الأنفس» بغير هاء[٣].

١١- وفي الحديد؛ أهل المدينة: «إن الله الغني الحميـد» بغـير «هـو»، وأهل العراق: «هو الغني الحميد»[٤].

الرابعة: لشعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر: «أو أن يَظْهَـرَ في الأرض الفـسادُ» بزيـادة همـزة قبل الواو، وفتح الياء والهاء، ورفع «الفساد».

وقد رسمت «وأن» بدون همزة قبل الواو في مصاحف أهل المدينة ومكة والبصرة والشام، حسب قراءة أهل هذه الأمصار، كما رسمت في بقية المصاحف «أو أن» بهمزة قبل الواو.

وقد اتحدت المصاحف في رسم كلمتي: «يظهر» و«الفساد» فهما من القسم الذي يمكـن أن يقـرأ بعدة أوجه، والرسم يحتمل ذلك. انظر: رسم المصحف وضبطه لشعبان بن محمد (١/ ٣٢).

(١) هي: سورة الشورى.

(٢) قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٩٩): «وهو- أي: الثاني- في العربية أجود؛ لأن الفاء مجازاة جواب الشرط، والمعنى: ما تصبكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم». اهـ

فأما من قرأ: (بما كسبت أيديكم) على اعتبار أن (ما) بمعنى الذي؛ فيكون معناه: والذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم.

(٣) قرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بهاءٍ بعد الياء؛ يعـود عـلى (مـا) الموصـولة. والبـاقون بحذفها؛ لأنه مفعول وعائده جائز الحذف، كقولهم: «أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا». أي: بعثه الله.

(٤) قال الأزهري في معاني القراءات (٣/ ٥٧): «من قرأ: (فإنَّ الله هو) فـ(هـو) عـماد، ويـسميه البصريون: فَصْلًا، ومعناه: إن الله هو الغني دون الخلائق؛ لأن كل غني إنما يُغنِيه الله، وكل غني من =



١٢- وفي الشمس وضحاها؛ أهل المدينة: «فلا يخاف عقباها» بالفاء، وأهل العراق: «ولا يخاف عقباها» بالواو[1].



الخلق فقير إلى رحمة الله. ومن قرأ: (إن الله الغني الحميد) فمعناه: إن الله الغني الذي لا يفتقر إلى أحد».

(١) قال الفراء في معاني القرآن (٣/ ٢٧٠): «الواو في التفسير أجود؛ لأنه جاء: عَقَرَها، ولم يخف عاقبة عقرها، فالواو ههنا أجود- أي: كذلك الله سواها عليهم، ولم يخف عاقبة ذلك- ويقال: فلا يخاف عقباها. أي: لا يخاف الله أن ترجع وتُعْقِب بعد إهلاكه، فالفاء بهذا المعنى أجود من الواو، وكلٌّ صواب». اهـ

تنبيه:

القراءة المشهورة عندنا؛ هي قراءة حفص عن عاصم، وقد وافقت مصحف العراق في الاثني عشر موضعًا إلا في الموضع العاشر: (تشتهيه الأنفس)، فقد وافقت مصحف الحجاز (الإمام).



باب: وهذه الحروف التي اختلفت فيها مصاحف أهل الشام وأهل العراق وقد وافقت أهل الحجاز في بعضٍ وفارقت بعضًا

٥٩٥ - حدثنا هشام بن عمار، عن أيوب بن تميم، عن يحيى بن الحارث الذماري، عن عبدالله بن عامر اليحصبي، قال هشام: وحدثناه سويد بن عبدالعزيز، أيضًا، عن الحسن بن عمران، عن عطية بن قيس، عن أم الدرداء

عن أبي الدرداء ط:

أن هذه الحروف في مصاحف الشام.

وقد دخل حديث أحدهما في حديث الآخر، وهي ثمانية وعشرون حرفًا في مصاحف أهل الشام:

١- في سورة البقرة: «قالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه». بغير واو[1].

٢- وفي سورة آل عمران: «سارعوا إلى مغفرة من ربكم». بغير واو.

---

(١) وحجتهم أن هذه قصة مستأنفة غير متعلقة بما قبلها، كما في قوله: « وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ». وقرأ الباقون: «وقالوا» بالواو؛ لأنه مثبتة في مصاحفهم، وهي عطف جملة على جملة.



٣- وفيها أيضًا: «جاءوا بالبينات وبالزبر وبالكتاب». كلهن بالباء[(١)].

٤- وفي النساء: «ما فعلوه إلا قليلاً منهم». بالنصب.

٥- وفي المائدة: «يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا». بغير واو.

٦- وفيها أيضًا: «يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم». بدالين.

٧- وفي الأنعام: «ولدارُ الآخرةِ خيرٌ». بلام واحدة[(٢)].

---

(١) المثبت في المخطوط الأصل: آية فاطر: «جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ». وأثبتنا نحن آية (آل عمران)؛ لأن هذا هو الصحيح، وهو الموافق للمتن، حيث يتفق مع قول المؤلف: وفيها أيضًا- أي: سورة آل عمران.

(٢) قرأ الجمهور: «وَلَلدَّارُ» بلامَيْن، الأولى: لام الابتداء، والثانية: للتعريف، وقرءوا «ٱلْأَخِرَةُ» رفعًا على أنها صفةٌ للدار، و«خَيْرٌ» خبرها. وقرأ ابن عامر: «وَلَدَارُ» بلام واحدة هي لام الابتداء، و«ٱلْأَخِرَةِ» جرٌّ بالإضافة. وفي هذه القراءة تأويلان:

أحدُهما: قول البصريين؛ وهو أنه من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، والتقدير: ولدارُ الساعة الآخرة، أو ولدارُ الحياة الآخرة، يدلُّ عليه قوله تعالى: «وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ». ومثله: مسجد الجامع، وصلاة الأولى، ومكان الغربي، والتقدير: مسجد المكان الجامع، وصلاة الساعة الأولى، ومكان الجانب الغربي.

والثاني: وهو قول الكوفيين: أنه إذا اختلف لفظ الموصوف وصفته؛ جاز إضافته إليها، قال الفراء: هي إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: بارحة الأولى، ويوم الخميس، وحق اليقين، وإنما يجوز عند اختلاف اللفظين. وقراءة ابن عامر موافقةٌ لمصحفه؛ فإنها رُسِمَتْ في مصاحف الشاميين بلامٍ =



٨- وفيها أيضًا: «وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم[(١)]»، بنصب الأولاد، وخفض الشركاء، ويتأولونه: «قتلُ شركائِهم أولادَهم»[(٢)].

واحدة، واختارها بعضهم لموافقتها لما أُجْمِع عليه في يوسف: «وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ»، وفي مصاحف الناسِ بلامَيْن. انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لابن عبدالدايم (٤/ ٦٠٠).

(١) الذي نقرأ به في مصاحفنا: «وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ». [الأنعام:١٣٧].

(٢) قرأ ابن عامر (زُيِّن) بضم الزاي، على ما لم يسم فاعله، و(قتلُ) بالرفع على أنه مفعول لم يسم فاعله، و(أولادَهم) بالنصب، و(شركائِهم) بالخفض على إضافة القتل إليهم؛ لأنهم الفاعلون، فأضاف الفعل إلى فاعله. وقرأ الباقون بفتح الزاي على ما يسمى فاعله، ونصبوا (قتل) بـ(زين) وخفضوا (الأولاد) لإضافة (قتل) إليهم، ورفعوا الشركاء. انظر: الكشف لمكي بن أبي طالب (١/ ٤٥٣)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٢٦٣).

وعلى قراءة ابن عامر يكون المعنى: أن مُزِّينًا زَيَّنَ لكثير من المشركين أن يقتل شركاؤهم أولادهم.

وإسناد القتل إلى الشركاء: إما لأن الشركاء هم سبب قتل الأولاد، وذلك تقربًا للأصنام.

وإما لأن الذين شرَّعوا لهم القتل هم القائمون بديانة الشرك؛ كعمرو بن لحي ومن بعده.

فإذا كان المراد بالقتل الوأد، فالشركاء سبب ذلك باعتباره قربانًا للأصنام، وإن لم يكن قربانًا لهم؛ فالشركاء سبب السبب، لأنه من شرائع الشرك.

وليس في هذه القراءة، أو في هذا المعنى ما يستنكر شرعًا أو لغة، وكونه فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، فهذا له وجه سائغ في اللغة؛ لأن المفعول ليس أجنبيًّا عن المضاف والمضاف إليه، كما قال تعالى: «يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ -رِجَالٌ» أي: يُسَبِّحه رجال. وقول النبي ﷺ في أبي بكر ﷺ: «هل أنتم تاركو لي صاحبي؟». وقوله في خالد بن الوليد: «هل أنتم تاركو لي أمرائي؟».

=



٩- وفي الأعراف: «قليلاً ما تتذكرون». بتاءين.

١٠- وفيها أيضًا: «الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا لنهتدي». بغير واو[1].

ومن هنا يتبين خطأ ابن جرير الطبري، إذ قال في تفسيره: «والقراءة التي لا أستجيز غيرها: « وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ » بفتح الزاي من (زيَّن)، ونصب (قتل) بوقوع زيَّن عليه، وخفض (أولادهم) بإضافة القتل إليهم، ورفع (الشركاء) بفعلهم». اهـ

والصحيح أن هذه القراءة كُتبت ونُسخت من المصحف الإمام، وهي قراءة سبعية صحيحة متواترة، فلا ينبغي التثريبُ على من قرأ بها، بل في بعض المصاحف كُتبت هكذا: (شركائهم) بالياء، وفي المسألة كلام كثير لأهل العلم، يُطلب من مظانه.

وهذه من الأشياء التي أخذت على تفسير الطبري؛ أنه يرد بعض القراءات المتواترة، ولا يستجيز القراءة بها.

وأما على قراءتنا، فيكون المعنى: أن الشركاء من الشياطين، أو من سدنة الأصنام زينوا للمشركين قتل أولادهم بالوأد للبنات أو بالنحر للذكور، كما في قصة ذبح عبدالله بن عبدالمطلب.

وقال مجاهد: «شركاؤهم»: شياطينهم، يأمرونهم أن يئدوا أولادهم؛ خشية العيلة.

وقال السُّدي: أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات.

(١) وجه سقوط الواو: أن الكلام متصل ومرتبط بما قبله ومفسر له؛ كأنهم قالوا: لولا أن هدانا الله، ما كنا لنهتدي.

قال أبو منصور الأزهري في معاني القراءات (١/ ١٠٧): «إخراج الواو وإدخالها، لا يغير المعنى في مثل هذا الموضع، والمعنى: أنهم قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا، من غير أن كنا نهتدي لما هدانا له. ومن حذف الواو أراد: يا رب! ما كنا لنهتدي لهذا، لولا هدَى الله إيانا». اهـ



١١- وفيها أيضًا: في قصة صالح: «قال الملأ الذين استكبروا». بغير واو.

١٢- وفيها أيضًا: في قصة شعيب: «وقال الملأ». بالواو.

١٣- وفيها أيضًا: «وإذا أنجاكم من آل فرعون». بغير نون[1].

١٤- وفي براءة: «الذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا». بغير واو.

١٥- وفي يونس: «هو الذي ينشركم في البر والبحر». بالنون والشين[2].

١٦- وفيها: «إن الذين حقت عليهم كلمات ربك». على الجماع[3].

١٧- وفي بني إسرائيل: «قال سبحان ربي هل كنت» بالألف على الخبر[4].

١٨- وفي الكهف: «خيرًا منهما منقلبًا». على اثنتين.

---

(١) بغير نون ولا ياء، وفي مصاحفنا بإثبات النون والياء، قال تعالى في سورة الأعراف: « وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ».

(٢) بالنون والشين من النشر، والباقون بالسين والياء من التسيير.

(٣) أي: بصيغة الجمع، والمقصود بالكلمات هنا: هي قوله تعالى: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ »، كما في سورتي هود، والسجدة.

(٤) يعني: قوله: «قال» بالألف على الخبر؛ أي: على الإخبار. وفي باقي المصاحف: «قل» على الأمر.

١٩- وفي سورة المؤمنين: «سيقولون لله لله لله». ثلاثتهن بغير ألف.

٢٠- وفي الشعراء: «فتوكل على العزيز الرحيم». بالفاء[١].

٢١- وفي النمل: «إننا لمخرجون». على نونين بغير استفهام[٢].

٢٢- وفي المؤمن: «كانوا هم أشد منكم قوة». بالكاف[٣].

٢٣- وفيها أيضًا: «وأن يظهر في الأرض الفساد». بغير ألف.

٢٤- وفي عسق: «ما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم». بغير فاء.

٢٥- وفي الرحمن: «والحبَّ ذا العصفِ والريحانَ». بالنصب[٤].

٢٦- وفيها أيضًا: «تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام». بالرفع[٥].

---

(١) بالفاء على أنه كالجزاء لما قبله، وفي مصاحفنا بالواو على أنه عطف جملة على جملة.

(٢) بنونيْن على الخبر، والباقون بواحدة على الاستفهام.

(٣) قال أبو منصور الأزهري في معاني القراءات (٢/ ٣٤٤): «من قرأ: «مِنكُمْ» فهو خطاب لهذه الأمة، ومن قرأ: «مِنْهُمْ» فهو إخبار عنهم». اهـ

(٤) بفتح الباء، والذال بعدها ألف، والنون من «الريحان» كلها عطفًا على الأرض، والمعنى: وخلق الحبَّ ذا العصف، وخلق الريحان.

(٥) قرأ ابن عامر: «تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام» بالواو؛ نعتًا للاسم، وقرأ الباقون: «ذي الجلال» بالياء نعتًا للربِّ.



٢٧- وفي الحديد: «إن الله الغني الحميد». بغير: «هو».

٢٨- وفي الشمس وضحاها: «فلا يخاف عقباها». بالفاء[١].

قال أبو عبيد:

قد ذكرنا ما خالفت فيه مصاحف أهل الحجاز وأهل الشام، مصاحف أهل العراق.

فأما العراق نفسها فلم تختلف مصاحفها فيما بينها؛ إلا في خمسة أحرف بين مصاحف الكوفة والبصرة:

١- كتب الكوفيون في سورة الأنعام: «لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ». بغير تاء[٢].

(١) قال أبو عمرو الداني في المكتفى في الوقف والابتدا (١/ ٢٣٥): «من قرأ: «فلا يخاف» بالفاء، ابتدأ بقوله: «فلا يخاف»؛ لأن الكلام قد تمَّ دون ذلك ثم استأنف، قال: «فلا يخاف عقباها» أي: فلا يخاف الله تعالى تبعة ما أنزل بهم من العذاب. ومن قرأ: «ولا يخاف» بالواو لم يبتدئ بذلك؛ لأن الكلام متعلق بما قبله، وذلك أن الواو في موضع الحال على أحد تقديرين: إما أن يكون من الله تعالى، بمعنى: فسواها غير خائف أن يتعقب عليه في ذلك. وإما أن يكون الحال من «الأشقى»، بمعنى: إذ انبعث أشقاها غير خائف العاقبة على ذلك، أي: لهذه الحال». اهـ

والمعنى: أن من قرأها بالفاء؛ فالفعل لله، ومن قرأه بالواو؛ فالفعل للعاقر.

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي: «لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ» بغير تاء على لفظ الخبر عن غائب، بمعنى: لئن أنجانا الله، وحجتهم: أنها في مصاحفهم بغير تاء، وقرأ الباقون: «لئن أنجيتنا» بالتاء على =



٢- وفي سورة الأنبياء: « قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ ». بالألف على الخبر[١].

٣- وفي سورة المؤمنين: «قل كم لبثتم في الأرض». على الأمر بغير ألف.

٤- وكذلك التي تليها: «قل إن لبثتم إلا قليلاً». مثل الأولى.

٥- وفي الأحقاف: «ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا»[٢].

١- وكتبها البصريون: «لئن أنجيتنا». بالتاء.

٢- وكتبوا: «قل ربي يعلم القول». على الأمر، بغير ألف.

٣- وكتبوا: «قال كم لبثتم في الأرض». بالألف على الخبر.

الخطاب لله، أي: لئن أنجيتنا يا ربنا! وحجتهم: أنها جاءت هكذا في سورة يونس، وهذه قراءة مجمع عليه؛ فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه. انظر: حجة القراءات لابن زنجلة (١/ ٢٥٥).

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص: « قَالَ رَبِّي» على الخبر عن النبي ﷺ أنه قال للكفار مجيبًا عن قيلهم قبلها: «هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ». وقرأ الباقون: «قل ربي» على الأمر، وحجتهم في ذلك: أن الله تعالى أمر النبي ﷺ أن يقول للكفار مجيبًا لهم عن قولهم: «هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ»: ربي يعلم قولكم، وقول كل قائل قولًا في السموات والأرض، وهو السميع لجميع ذلك، والعليم بخلقه». انظر: حجة القراءات لابن زنجلة (١/ ٤٦٥).

(٢) على هذه القراءة تكون: «إِحْسَٰنًا» منصوبة بفعل مقدر، أي: وصيناه أن يحسن إليهما إحسانًا. وقيل: بل هو منصوب على المفعول له، أي وصينا بهما، إحسانًا منا إليهما. وحجة من قرأ: «إِحْسَٰنًا»: قوله تعالى في سورة الإسراء: «وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ». ومعناه: أمر بأن يوصل إليهما إحسانًا. وحجة من قرأها «حُسْنًا»: قوله تعالى في سورة العنكبوت: « وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ». والمعنى واحد.



٤- وكذلك التي تليها: «قال إن لبثتم». مثل الأولى.

٥- وكتبوا: «بوالديه حُسنًا». بغير ألف.

قال أبو عبيد:

هذه الحروف التي اختلفت في مصاحف الأمصار، ليست كتلك الزوائد التي ذكرناها في البابين الأولين؛ لأن هذه مثبتة بين اللوحين، وهي كلها منسوخة من الإمام الذي كتبه عثمان ط ثم بعث إلى كل أفق مما نَسَخَ بمصحف، ومع هذا فإنها لم تختلف في كلمة تامة، ولا في شطرها. إنما كان اختلافها في الحرف الواحد من حروف المعجم، كالواو والفاء والألف، وما أشبه ذلك. إلا الحرف الذي في الحديد وحده، قوله: «فإن الله الغني الحميد»، فإن أهل العراق زادوا على ذينك المِصْرَيْن: «هو».

وأما سائرها فعلى ما أعلمتك؛ ليس لأحد إنكار شيء منها ولا جحده. وهي كلها عندنا كلام الله، والصلاة بها تامة؛ إذ كانت هذه حالها.





باب: لغات القرآن وأي العرب نزل القرآن بلغته

٥٩٦ – حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عبدالرحمن بن عبدٍ القاري

عن عمر بن الخطاب ط، قال:

سمعت هشام بن حكيم بن حزام م يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وقد كان رسول الله ق أقرأنيها، قال: فأخذت بثوبه، فذهبت به إلى رسول الله ق فأخبرته، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتني، فقال: «اقرأ»؛ فقرأ القراءة التي سمعتُ منه، فقال النبي ق: «هكذا أنزلت»، ثم قال لي: «اقرأ»؛ فقرأت، فقال: «هكذا أنزلت؛ إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فاقرؤا منه ما تيسر»[1].

وحدثنا أبو اليمان، عن شعيب بن أبي حمزة، عن ابن شهاب، عن عروة، عن المسور بن مخرمة، وعبدالرحمن بن عبدٍ القاري، عن عمر: أنه سمع هشام بن حكيم، يقرأ سورة الفرقان، ثم ذكر عن النبي ق مثل ذلك.

---

(١) رواه مالك في الموطأ، وأحمد في المسند، والبخاري، ومسلم.

وحدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن عُقيل، ويونس، عن ابن شهاب، عن عروة، عن المسور، وعبدالرحمن بن عبد، عن عمر، وهشام بن حكيم، عن النبي ﷺ مثل ذلك.

إلا أنه زاد في حديث عُقيل، قال:

قال ابن شهاب- في الأحرف السبعة-: هي في الأمر الواحد الذي لا اختلاف فيه[١].

٥٩٧ – حدثنا يزيد، ويحيى بن سعيد، كلاهما، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك

عن أُبَي بن كعب رضي الله عنه، قال:

ما حكَّ في صدري شيء منذ أسلمت، إلا أني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي، فقلت: أقرأنيها رسول الله ﷺ. وقال: أقرأنيها رسول الله ﷺ؛ فأتينا النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله! أقرأتني كذا وكذا، قال: «نعم». وقال الآخر: ألم تقرئني كذا وكذا؟ قال: «نعم».

فقال: «إن جبريل وميكائيل أتياني؛ فقعد جبريل عن يميني، وقعد ميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، كل حرفٍ شافٍ كافٍ»[٢].

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود عنه بلفظ: «ليس تختلف في حلال ولا حرام».

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، وفي آخره زيادة: «ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة، نحو قولك: تعال وأقبل، وأسرع واعجل».

=



وفي رواية: «إن قلت: غفورًا رحيمًا، أو قلت: سميعًا عليمًا، أو عليمًا سميعًا؛ فالله كذلك».

وروى أحمد في مسنده عن أُبَي بن كعبٍ ط، قال: «قرأت آية، وقرأ ابن مسعود خلافها، فأتيت النبي ق فقلت: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟ قال: بلى! فقال ابن مسعود ط: ألم تقرئنيها كذا وكذا؟ فقال: بلى! كلاكما مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ، قال: فقلت له: ما كلانا مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ، فضرب صدري، فقال: يا أُبَيّ ابن كعب، إني أُقرئت القرآن، فقلت: على حرفين، فقال: على حرفين، أو ثلاثة...». الحديث.

وفي لفظ آخر عند أحمد، قال: «سمعت رجلًا يقرأ، فقلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله ق، فقلت: انطلق إليه، فأتيت النبي ق، فقلت: استقرئ هذا، فقال: اقرأ، فقرأ، فقال: أحسنت! فقلت له: أولم تقرئني كذا وكذا؟ قال: بلى! وأنت قد أحسنت! فقلت بيدي: قد أحسنت مرتين، قال: فضرب النبي ق بيده في صدري، ثم قال: اللهم أذهب عن أُبَيٍّ الشَّك؛ فَفِضْتُ عَرَقًا، وامتلأ جوفي فرقًا، فقال رسول الله ق: يا أُبَي! إن ملكيْن أتياني، فقال أحدهما: اقرأ على حرف، فقال الآخر: زده، فقلت: زدني، قال: اقرأ على حرفين...». الحديث.

وفي لفظ أخر، قال: «كنت في المسجد، فدخل رجل، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فقمنا جميعًا، فدخلنا على رسول الله ق، فقلت: يا رسول الله! إن هذا قرأ قراءة أنكرتُها عليه، ثم دخل هذا، فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فقال لهما النبي ق: اقرآ، فقرآ، قال: أصبتما! فلما قال لهما النبي ق الذي قال؛ كَبُرَ عليَّ، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى الذي غشيني؛ ضرب في صدري، فَفِضْتُ عَرَقًا، وكأنما أنظر إلى الله فرقًا، فقال: يا أُبَي! إن ربي أرسل إليَّ: أن اقرأ القرآن على حرف...». الحديث.

وقال ابن جرير في تفسيره (١/ ٦٧): «وأما معنى قول النبي ق إذ ذكر نزول القرآن على سبعة أحرف: «إن كلها شافٍ كافٍ»، فإنه كما قال جل ثناؤه في صفة القرآن: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ »؛ جعله الله للمؤمنين شفاء، يستشفون بمواعظه من الأدواء العارضة لصدورهم من وساوس الشيطان وخطراته، فيكفيهم ويغنيهم عن كل ما عداه من المواعظ ببيان آياته». اهـ



وحدثنا يزيد، عن العوام بن حوشب، عن أبي إسحاق السبيعي، عن سليمان بن صُرَد، عن أُبَيِّ ابن كعب ط، أنه أتى النبي ق برجلين قد اختلفا في القراءة، ثم ذكر مثل ذلك.

وحدثنا حجاج، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن شقير العبدي، عن سليمان بن صُرَد، عن أُبَيِّ بن كعب ط، عن النبي ق مثل ذلك أو نحوه.

وحدثنا حجاج، عن شعبة، عن الحكم، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أُبَيِّ بن كعب ط، عن النبي ق مثل ذلك أيضًا.

٥٩٨ – حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن يزيد بن خُصيفة، عن مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي، وقال غيره: عن بُسر بن سعيد

عن أبي جهيم الأنصاري ط:

أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله ق؛ فمشيا جميعًا حتى أتيا رسول الله ق فذكر أبو جهيم أن رسول الله ق قال: «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فلا تماروا فيه، فإنَّ مراءً فيه كفر»[1].

---

(١) رواه أحمد في مسنده.

وأبو جهيم الأنصاري: هو الحارث بن الصِّمَّة أبو جهيم الأنصاري، ابن أخت أُبيّ بن كعب، له صحبة ط.



٥٩٩ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبـراهيم، عـن بسر بن سعيد

عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص ط:

أن رجلاً قرأ آية من القرآن، فقال له عمرو بن العاص ط: إنما هي كذا وكذا بغير ما قرأ الرجل، فقال الرجل: هكذا أقرأنيها رسول الله ق فخرجا إلى رسول الله ق حتى أتياه، فذكرا ذلك لـه، فقـال رسـول الله ق: «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا في القرآن، فإنَّ مراءً فيه كفر»(١).

---

(١) رواه أحمد. وقال ابن كثير: «هذا حديث جيد».

وأبو قيس: هو عبدالرحمن بن ثابت المصري، أحد فقهاء الموالي.

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عبدالله بن عمرو م، قال: قـال رسـول الله ق: «دعـوا المـراء في القرآن؛ فإن الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا في القرآن، فإن مراءً في القرآن كفر».

وعن ابن عباس م، قال: «لا تضربوا القرآن بعضه ببعض؛ فإن ذلك يوقع الشك في القلوب».

قال أبو عبيد في غريب الحديث (٢/ ١١): «وجه الحديث عندنا ليس على الاختلاف في التأويـل، ولكنه عندنا على الاختلاف في اللفظ، على أن يقرأ الرجل القراءة على حرف؛ فيقول له الآخر: ليس هكذا، ولكنه كذا على خلافه، وقد أنزلهما الله جميعًا؛ يُعلم ذلك في حديث النبـي ق أنـه قـال: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف، كل حرف منها كاف شاف»، ومنه حديث ابن مسعود ط: «إيـاكم والاختلاف والتنطع؛ فإنما هو كقول أحدكم: هَلُمَّ وتعال». فإذا جحد هذان الـرجلان كـل واحـد منهما ما قرأ صاحبه، لم يُؤمَن أن يكون ذلك قد أخرجه إلى الكفر لهذا المعنـى، ومنـه حـديث عمـر، قال: «اقرؤا القرآن ما اتفقتم، فإذا اختلفتم؛ فقوموا عنه». ومنه حديث أبي العالية الرياحي: أنه كان

=

٦٠٠ – حدثنا أبو النضر، عن شيبان، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش

عن حذيفة بن اليمان م، عن النبي ق قال:

«لقيت جبريل عند أحجار المراء، فقلت: يا جبريل! إني أُرسلت إلى أُمَّةٍ أُمِّيَّة؛ الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابًا قط، فقال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف»(١).

٦٠١ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن عبيدالله بن عبدالله

عن ابن عباس م، عن النبي ق قال: «أقرأني جبريل على حرف، فراجعته فلم أزل أستزيده، حتى انتهى إلى سبعة أحرف»(٢).

إذا قرأ عنده إنسان، لم يقل: ليس هكذا، ولكن يقول: «أما أنا؛ فأقرأ هكذا». قال شعيب: فذكرت ذلك لإبراهيم، فقال: «أرى صاحبك قد سمع أنه من كفر بحرف؛ فقد كفر به كله». اهـ

وقال ابن الأثير في الغريب: «والتنكير في المراء إيذانًا بأن شيئًا منه كفر فضلًا عما زاد عليه، وقيل: إنما جاء هذا في الجدال والمراء في الآيات التي فيها ذكر القدر ونحوه من المعاني، على مذهب أهل الكلام وأصحاب الأهواء والآراء، دون ما تضمنته من الأحكام وأبواب الحلال والحرام، فإن ذلك قد جرى بين الصحابة ن فمن بعدهم من العلماء، وذلك فيما يكون الغرض منه والباعث عليه: ظهور الحق ليتبع، دون الغلبة والتعجيز». اهـ

(١) رواه أحمد في مسنده، قال: «وقال ابن مهدي: إن من أمتك الضعيف، فمن قرأ على حرف، فلا يتحول منه إلى غيره رغبة عنه».

وفي غريب الحديث للحربي (١/ ١٠٤) عن إبراهيم بن مهاجر، قال: «سألت مجاهدًا عن أحجار المراء؟ فقال: قباء». اهـ

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم.

قال أبو عبيد:

قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة[١] إلا حديثًا واحدًا يُروى عن سمرة ط:

٦٠٢ - حدثني عفان، عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن

عن سمرة بن جندب ط، عن النبي ق أنه قال:

«نزل القرآن على ثلاثة أحرف»[٢].

(١) وصدق أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؛ فقد رُويت هذه الأحاديث عن عمر بن الخطاب، وهشام بن حكيم بن حزام، وعبدالرحمن بن عوف، وأبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وعبدالله بن عباس، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وأبي بكرة، وعمرو بن العاص، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، وسمرة بن جندب، وعمر بن أبي سلمة، وأبي جهيم، وأبي طلحة الأنصاري، وأم أيوب الأنصارية ن، وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده الكبير أن عثمان بن عفان ط قال يومًا وهو على المنبر: «أذكّر الله رجلًا سمع النبي ق قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما قام، فقاموا حتى لم يحصوا؛ فشهدوا أن رسول الله ق قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف؛ كلها شاف كاف. فقال عثمان ط: وأنا أشهد معهم».

(٢) رواه أحمد في مسنده، وابن أبي شيبة في مصنفه، والحاكم في مستدركه. وقد اختلف في لفظه على حماد بن سلمة، فقد قال أحمد في مسنده: حدثنا بهز، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة، أن رسول الله ق قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف»، وهو الصواب الذي تشهد له الأحاديث، وهو المحفوظ كما قال أبو عبيد.

وأما سماع الحسن من سمرة، فقد اختلف فيه المُحَدِّثون، والصحيح أنه لم يسمع منه سوى حديث العقيقة، وما سوى ذلك مما لم يصرح بسماعه منه؛ فهو مرسل، منه الضعيف ومنه الصحيح.

=



قال أبو عبيد:

ولا نرى المحفوظ إلا السبعة، لأنها المشهورة. وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، هذا شيء غير موجود[(١)]، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة، والثاني: بلغة أخرى سوى الأولى، والثالث: بلغة أخرى سواهما، كذلك إلى السبعة. وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظًا فيها من بعض، وذلك يُبَيَّن في أحاديث تترى[(٢)]:

وقال أبو شامة في المرشد الوجيز (١/ ٨٨): «يجوز أن يكون معناه: أن بعضه أنزل على ثلاثة أحرف كـ«جَذْوَةٍ» و«ٱلرَّهْبِ» و«ٱلصَّدَفَيْنِ»، يقرأ كل واحد على ثلاثة أوجه- بالضم والكسر والفتح- في هذه القراءات المشهورة، أو أراد: أنزل ابتداء على ثلاثة، ثم زيد إلى سبعة، والله أعلم». اهـ

(١) قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (١/ ٣٠): «وليس يوجد في كتاب الله حرف قُرِئ على سبعة أوجه يصح، فيما أعلم». اهـ

(٢) لا يزال حديث النبي ﷺ: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف» محل إشكال بين العلماء في معناه، وما المراد منه؟ حتى قال ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر: «ولا زلت استشكل هذا الحديث، وأفكر فيه، وأمعن النظر منذ نيف وثلاثين سنة». اهـ

وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على أقوال كثيرة، حتى أوصلها ابن حبان إلى خمسة وثلاثين قولًا. وقال المنذري: أكثرها غير مختار!

ولعلَّ أصوبها وأعلاها طبقة ما قاله أبو عبيد القاسم بن سلام هنا، وكرره مرة أخرى في نهاية هذا الباب، ثم كرره وأكده في كتابه الآخر: غريب الحديث (٣/ ١٥٩) فقال: «قوله: سبعة أحرف: يعني: سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا لم =



يُسمع به قط، ولكن يقول: هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات ومعانيها مع هذا كله واحد، ومما يبين ذلك قول ابن مسعود: «إني قد سمعت القَرَأة، فوجدتهم متقاربين؛ فاقرؤا كما عُلِّمتم، إنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال». وكذلك قال ابن سيرين: «إنما هو كقولك: هلم وتعال وأقبل»، ثم فسره ابن سيرين، فقال في قراءة ابن مسعود: «إن كانت إلا زقية واحدة». وفي قراءتنا: «إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً»، والمعنى فيهما واحد، وعلى هذا سائر اللغات.

وقد روي في حديث خلاف هذا؛ قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف: حلال، وحرام، وأمر، ونهي، وخبر ما كان قبلكم، وخبر ما هو كائن بعدكم، وضرب الأمثال».

قال أبو عبيد: ولسنا ندري ما وجه هذا الحديث؛ لأنه شاذ غير مسند، والأحاديث المسندة المثبتة ترده... والاختلاف إنما هو في اللفظ والمعنى واحد، ولو كان الاختلاف في الحلال والحرام لما جاز أن يقال في شيء هو حرام: هكذا نزل! ثم يقول آخر في ذلك بعينه إنه حلال، فيقول: هكذا نزل! وكذلك الأمر والنهي، وكذلك الأخبار؛ لا يجوز أن يقال في خبر قد مضى: إنه كان كذا وكذا، فيقول: هكذا نزل، ثم يقول الآخر بخلاف ذلك الخبر، فيقول: هكذا نزل! وكذلك الخبر المستأنف، كخبر القيامة والجنة والنار، ومن توهم أن في هذا شيئًا من الاختلاف؛ فقد زعم أن القرآن يكذب بعضه بعضًا ويتناقض، وليس يكون المعنى في السبعة الأحرف إلا على اللغات لا غير بمعنى واحد، لا يختلف فيه في حلال ولا حرام ولا خبر ولا غير ذلك.

ثم قال أبو عبيد: إلا أنه في بعض الحديث: نزل القرآن على خمسة، وليس فيه ذكر أحرف، فهذا قول قد يحتمل المعنى الآخر». اهـ

وقال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٩): «وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم، فقالوا: السبعة الأحرف: وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج. وقال آخرون: هي سبع لغات في الكلمة. وقال قوم: حلال، وحرام، وأمر، ونهي، وخبر ما كان قبل، وخبر ما هو كائن بعد، وأمثال. وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل، وإنما تأويل قوله ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف»: على سبعة أوجه من اللغات متفرّقة في القرآن، يدلّك على ذلك قول رسول الله ﷺ: «فاقرؤا كيف شئتم». اهـ

=

وقال ابن منظور في لسان العرب (٩/ ٤١) مقرِّرًا كلام أبي عبيد السابق: «قال ابن الأثير: وفيه أقوال غير ذلك، هذا أحسنها. والحرف في الأصل: الطرف والجانب، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء. وروى الأزهري عن أبي العباس أنه سئل عن قوله: «نزل القرآن على سبعة أحرف»؟ فقال: ما هي إلا لغات. قال الأزهري: فأبو العباس النحوي، وهو واحد عصره قد ارتضى ما ذهب إليه أبو عبيد واستصوبه، قال: وهذه السبعة أحرف التي معناها اللغات غير خارجة من الذي كتب في مصاحف المسلمين، التي اجتمع عليها السلف المرضيون والخلف المتبعون، فمن قرأ بحرف ولا يخالف المصحف بزيادة أو نقصان أو تقديم مؤخر أو تأخير مقدم، وقد قرأ به إمام من أئمة القراء المشتهرين في الأمصار؛ فقد قرأ بحرف من الحروف السبعة، التي نزل القرآن بها، ومن قرأ بحرف شاذ يخالف المصحف، وخالف في ذلك جمهور القراء المعروفين؛ فهو غير مصيب، وهذا مذهب أهل العلم الذين هم القدوة، ومذهب الراسخين في علم القرآن قديمًا وحديثًا، وإلى هذا أومأ أبو العباس النحوي، وأبو بكر ابن الأنباري في كتاب له أَلَّفه في اتباع ما في المصحف الإمام، ووافقه على ذلك أبو بكر بن مجاهد مقرئ أهل العراق، وغيره من الأثبات المتقنين، قال: ولا يجوز عندي غير ما قالوا، والله تعالى يوفقنا للاتباع ويجنبنا الابتداع». اهـ

ويراجع في ذلك أيضًا ما كتبه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٤٦-٦٧)، وقد قرر ما قاله أبو عبيد.

تنبيه مهم: ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث! وهذا خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، فإن هذه القراءات السبع هي في الحقيقة راجعة إلى حرف واحد من السبعة أحرف، وهو الذي جمع عثمان  المصحف عليه؛ ذكره ابن النحاس وغيره.

وقد لام العلماءُ ابنَ مجاهد عندما أَلَّف كتابه السبعة، ورتبه على سبعة قراء من نافع إلى الكسائي.

قال أبو العباس بن عمار المقرئ: «لقد فعل مُسَبِّعَ هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قلَّ نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذ اقتصر، نقص على السبعة أو زاد؛ ليزيل الشبهة». انظر: الإتقان (١/ ١٣٨).

وعليه؛ فإن القراءات السبع هي حرف واحد فقط من الأحرف السبعة، وأما الأحرف الستة الباقية، فقد اندثرت ولم يبق منها شيء، والناس الآن يقرءون على حرف واحد، سواء قرءوا بقراءة =



٦٠٣ - حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب

عن أنس بن مالك ط:

أن عثمان ط، قال للرهط القرشيين الثلاثة حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف: ما اختلفتم فيه أنتم وزيد بن ثابت؛ فاكتبوه بلسان قريش، فإنه نزل بلسانهم[1].

٦٠٤ - قال أبو عبيد:

وكذلك يُحَدِّثون عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عمن سمع ابن عباس م، يقول: «نزل القرآن بلغة الكعبَيْن؛ كعب قريش، وكعب خزاعة». قيل له: وكيف ذاك؟ قال: «لأن الدار واحدة».

قال أبو عبيد:

يعني: أن خزاعة جيران قريش فأخذوا لغتهم.

نافع أو ابن كثير، أو قرءوا بقراءة أبي عمرو، أو ابن عامر، أو قرءوا بقراءة حمزة أو الكسائي أو عاصم، فهؤلاء كلهم على حرفٍ واحدٍ من الأحرف السبعة.

(١) ولذلك ترجم البخاري لحديث عثمان ط السابق بقوله: «باب: نزل القرآن بلسان قريش والعرب، وقول الله تعالى: «قُرْءَانًا عَرَبِيًّا» وقوله: «بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ». ثم ذكر حديث عثمان ط.

قال ابن عبدالبر في التمهيد (٨/ ٢٨٠): «قول من قال: «إن القرآن نزل بلغة قريش»، معناه عندي: في الأغلب- والله أعلم- لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات؛ من تحقيق الهمزات ونحوها، وقريش لا تهمز». اهـ

٦٠٥ - وأما الكلبي، فإنه يُروى عنه، عن أبي صالح

عن ابن عباس ، قال:

نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجُز من هوازن[(١)].

قال أبو عبيد:

والعجُز: هم سعد بن بكر[(٢)]، وجُشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف. وهذه القبائل التي يقال لها عليا هوازن. وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم، فهذه عليا هوازن، وأما سفلى تميم؛ فبنو دارم[(٣)].

---

(١) قال ابن جرير في تفسيره (١/ ٦٥): «فإن قال لنا قائل: فهل لك من علم بالألسن السبعة التي نزل بها القرآن؟ وأي الألسن هي من ألسن العرب؟ قلنا: أما الألسن الستة التي قد نزلت القراءة بها، فلا حاجة بنا إلى معرفتها؛ لأنا لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها مع الأسباب التي قدَّمنا ذكرها. وقد قيل: إن خمسة منها لعجز هوازن، واثنين منها لقريش وخزاعة؛ روي جميع ذلك عن ابن عباس، وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله؛ وذلك أن الذي رَوى عنه: «أن خمسة منها من لسان العجز من هوازن» الكلبي عن أبي صالح، وأن الذي رَوى عنه أن اللسانيْن الآخريْن: لسان قريش وخزاعة؛ قتادة، وقتادة لم يلقه ولم يسمع منه». اهـ

(٢) هم الذين كان النبي ﷺ مُسترضعًا فيهم.

(٣) وهذه هي أفصح لغات العرب؛ قريش، وخزاعة، وهذيل، وكنانة، وأسد، وضبة، وهوازن، وتميم، وكانوا على قرب من مكة، يكثرون التردد إليها، ومن بعدهم قيس وما حولها من التي في وسط الجزيرة.

=



وهذه القبائل كلها كانت تسكن في بوادي نجد والحجاز وتهامة. ولم تـزل هـوازن وتمـيم وأسـد متميزة بخلوص المنطق وفصاحة اللغة إلى آخر القرن الرابع للهجرة، فهـذا أبـو منـصور الأزهـريّ صاحب كتاب تهذيب اللغة، يقول في مقدمة كتابه: «كنت امتُحنت بالإسار سنةَ عارضتِ القرامطةُ الحاجَّ بالهبير، وكان القومُ الذين وقعتُ في سهمهم عربًا عامتهم من هـوازن، واخـتلط بهـم أصرامٌ مـن تميم وأسد بالهبير، نشأوا في الباديـة يتتبعـون مـساقط الغيـث أيـامَ النُّجَـع، ويرجعـون إلى أعـداد الميـاه، ويرعون النَّعمَ ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوهـا، ولا يكـاد يقع في منطقهم لحنٌ أو خطأ فاحش، فبقيت في إسارهم دهرًا طويلًا. وكنا نتشتَّى الـدَّهناء، ونتربـع الصُّمَّان ونتقيَّظ السِّتارَين، واستفدت من مخاطبـاتهم ومحـاورة بعـضهم بعـضًا ألفاظًـا جمّـة ونـوادر كثيرة». اهـ

وفي هذا دليل على أن القرآن لم ينزل بلغة قريش فقط - وإن كان هذا هو الأغلب -.

قال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ٢٤٢): «قد سمعت أبا عبيدة، يقول: من زعم أن في القـرآن ألسنا سوى العربية، فقد أعظم على الله القول، واحتج بقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾. وقد روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم في أحرف كثيرة أنها من غير لسان العـرب، مثـل: «سِـجّيل»، و«المشكاة»، و«اليمّ»، و«الطور»، و«أباريق»، و«إستبرق»، وغير ذلك؛ فهؤلاء أعلـم بالتأويـل مـن أبي عبيدة، ولكنهم ذهبوا إلى مذهبٍ، وذهب هذا إلى غيره، وكلاهما مصيب إن شاء الله، وذلـك أن أصل هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثـم لفظـت بـه العـرب بألسنتها فعرّبته؛ فصار عربيًّا بتعريبها إياه، فهي عربية في هذه الحال، عجمية الأصـل، فهـذا القـول يصدق الفريقين جميعًا».

قال أبو عبيد: «ومنه قولهم للحروف: (بَرَقٌ)، وإنما هو بالفارسية: (بَرَهْ)، وكـذلك: (يلمـق) إنـما هو بالفارسية: (يَلْمَهْ) يعني: القَباء، و(الإسْتَبْرَق) مثله إنما هو (إِسْتَبَره)، يعني: الغليظ من الديباج؛ وهكذا تفسيره في القرآن». اهـ

وقال ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة: «قال أبو عبيد: زعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء، وأنه كله بلسان عربي، يتأولون قوله جـلَّ ثنـاؤه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾، وقوله ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾.

=

٦٠٦ – حدثنا يزيد، عن جرير بن حازم، عن عبدالملك بن عمير، عن عبدالله بن معقل، قال:

قال عمر ط:

لا يُمْلِيَنَّ في مصاحفنا؛ إلا غلمان قريش وثقيف.

قال أبو عبيد:

وكان أبو عوانة يحدث بهذا الحديث عن عبدالملك بن عمير، عن جابر بن سمرة ط، عن عمر ط.

قال أبو عبيد: والصواب من ذلك عندي مذهبٌ فيه تصديق القولين جميعًا، وذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية – كما قال الفقهاء – إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها؛ فصارت عربية. ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال: عجمية فهو صادق.

قال أبو عبيد: وإنما فسرنا هذا؛ لئلا يقدم أحد على الفقهاء، فينسبهم إلى الجهل، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله جلَّ ثناؤه بغير ما أرداه الله، وهم كانوا أعلم بالتأويل، وأشد تعظيمًا للقرآن.

قال ابن فارس: فالقول إذن ما قاله أبو عبيد، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره.

فإن قال قائل: فما تأويل قول أبي عبيد، فقد أعظم وأكبر؟ قيل له: تأويله أنه أتى بأمر عظيم وكبير، وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء، لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه أتي بلغات لا يعرفونها! وفي ذلك ما فيه، وإذا كان كذا، فلا وجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية؛ لأن الفارسية ترجمة غير معجزة، وإنما أمرَّ الله جل ثناؤه بقراءة القرآن العربي المعجز. ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسية، لكانت كتب التفسير والمصنفات في معاني القرآن باللفظ العربي أولى بجواز الصلاة بها، وهذا لا يقوله أحد». اهـ

٦٠٧ – حدثنا حجاج، عن هارون بن موسى، قال: أخبرني الزبير بن خرِّيت

عن عكرمة، قال:

لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان ﵁، فوجد فيها حروفًا من اللحن، قال: لا تغيروها فإن العرب ستغيرها، أو قال: ستعربها بألسنتها، لو كان الكاتب من ثقيف، والمملي من هذيل لم يوجد فيها هذه الحروف[1].

---

(١) تقدَّم التعليق عليه برقم: (٤٦٩).

وثقيف اشتهروا بجودة الكتابة، وهُذَيْل اشتهروا بالفصاحة، ولذلك فأشعار الهذليين تعتبر من أهم مصادر اللغة العربية- كما هو معلوم- وقد مكث الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنوات عديدة مع هذه القبيلة؛ يَحِلُّ معهم ويرتحل معهم؛ يستقي منهم الفصاحة، حتى أصبح مضرب المثل، وقد أخرج الخطيب البغدادي، عن ابن عبدالحكم، قال: «كان أصحابُ الأدب يأتون الشافعي فيقرؤن عليه الشِّعر، فيفسِّره لهم، وكان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هُذَيل بإعرابها وغريبها ومعانيها». اهـ

وهذيل أقرب القبائل لقريش نسبًا ودارًا ولسانًا إلى عهدنا الحاضر.

وفي الاستيعاب لابن عبدالبر (٤/ ٢١٥) قال محمد بن سلام: «قال أبو عمرو: سئل حسان بن ثابت ﵁: مَنْ أشعر الناس؟ فقال: حيًّا أم رجلًا؟ قالوا: بل حيًّا، قال: هذيل أشعر الناس حيًّا».

ولما كان للمرضعة أثرٌ كبيرٌ على الرضيع في خَلْقه وخُلُقه ولسانه، قال عبدالرزاق في مصنفه (١٣٩٨٨): «أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني ابن نوفل بن أنس أن أمه أرضعت أم سلمة بنت حمزة ابن عبدالله بن الزبير، قالت: فجاءت بها إلى أسماء بنت أبي بكر ﵄ فقالت: ممن أنتِ يا بنية؟ قالت: من هذيل، قالت: إن أبا بكر ﵁ قال: إن خير مراضع أثقلن رقاب الإبل؛ نِساءُ هذيل». اهـ



٦٠٨ - حدثنا هشيم، عن العوام

عن إبراهيم التيمي، قال:

كان عبدالله بن مسعود ط يحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مُضَر [(١)].

---

(١) إن صحَّ هذا الخبر، فإنه يحمل على المشهور من لغة مُضر، كقريش وهـذيل وهـوازن وكنانـة ونحوهم، وليس جميعها؛ لأن في لغة مُضر حروفًا شاذة، لا يختارها أهل العلم ولا يجيـزون القـراءة بها.

قال ابن عبدالبر في التمهيد (٨/ ٢٧٧): «وقد رُوي عن ابن مـسعود: «أنـه كـان يحـب أن يكـون الذين يكتبون المصاحف من مضر»، وأنكر آخرون أن تكون كلها في مُضر، وقالوا: في مضر شـواذ، لا يجوز أن يقرأ القرآن عليها مثل: كشكشة قيس، وعنعنة تميم؛ فأما كشكشة قيس: فـإنهم يجعلـون كاف المؤنث شِينًا، فيقولون في «قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا »: (قد جعل ربش تحتش سريًّـا)- وهـي لغـة قبيلة (يام) في عهدنا الحاضر، وأما عنعنة تميم: فيقولون في (أنْ): (عنْ)، فيقولون: (عـسى الله عـن يأتي بالفتح)، وبعضهم يبدل السين تاءً، فيقول في (النـاس): (النـات)، وفي (أكيـاس): (أكيـات)، وهذه لغات يُرغب بالقرآن عنها، ولا يحفظ عن السَّلف شيء منها». اهـ

وقال الفرَّاء: «كانت العرب تحضر الموسم في كل عام، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به،؛ فصاروا أفصح العـرب، وخلـت لغـتهم مـن مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ». اهـ

وهذا كان كالمقدمة والتهيئة؛ لأن الرسول ق سيختاره الله منهم.

وقال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى (الألفاظ والحروف): «كانت قـريش أجـود العـرب انتقاء للأفصح، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعًا، وأبينها إبانـة عـما في الـنفس، والذين عنهم نقلت العربية، وبهم اقتُدي، وعنهم أُخذ اللسان من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم =

٦٠٩ - حدثنا هشيم، عن منصور

عن الحسن، قال[(١)]:

كنا لا ندري ما الأرائك؟ حتى لقينا رجلاً من أهل اليمن؛ فأخبرنا أن الأريكة عندهم: الحَجَلة فيها السرير[(٢)].

وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف، ثم هُذَيْل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.

وبالجملة: فإنه لم يؤخذ عن حَضَري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم؛ فإنه لم يؤخذ لا من لخم، ولا من جُذام؛ لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسّان وإياد؛ لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية، ولا من تغلب؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر بن وائل؛ لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس، وأزد عمان؛ لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن؛ لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة، وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف؛ لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب، وقد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم.

والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء، وأثبتها في كتاب فصيَّرها علمًا وصناعة؛ هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب». اهـ

(١) هذه أمثلة لما وقع في القرآن من كلمات بغير لغة الحجاز.

(٢) الأرائك: جمع أريكة، والأريكة: اسم يشمل السرير والحجلة جميعًا، فإذا كان السرير في الحجلة، سمي الجميع: أريكة. وروى البيهقي في كتابه البعث والنشور (ص١٩٩) عن ابن عباس ﵄ قال: «لا تكون أريكة، حتى يكون السرير في الحجلة، فإن كان سرير دون حجلة، لا يكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم يكن أريكة، فإذا اجتمعا كانت أريكة». اهـ

وهذه من الكلمات الدالة على شيء مركب من شيئين، مثل المائدة فهي اسم للخوان الذي عليه طعام.

=



٦١٠ - حدثنا مروان بن معاوية، عن نعيم بن أبي بسطام، عن أبيه

عن الضحاك بن مزاحم: في قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة:١٥].

قال: ستوره، أهل اليمن يسمون السِّتر: المِعذار[١].

٦١١ - حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة

عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم:٦١].

قال: الغناء. قال: وهي يمانية؛ اسمُدي لنا: تغني لنا[٢].

٦١٢ - حدثنا هشيم، عن حصين بن عبدالرحمن، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة

عن ابن عباس رضي الله عنهما:

أنه كان يُسأل عن القرآن، فينشد فيه الشِّعر[٣].

والحَجَلة في لغة العرب كالقبة؛ وهو موضع يزين بالثياب والستور للعروس.

(١) معناه أن الإنسان على نفسه من نفسه بصيرة، وإن أرخى الستور وأغلق الأبواب؛ يريد أن يُخفي عمله، فنفسه شاهدة عليه. وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل الإنسان على نفسه من نفسه بصيرة، ولو تجرد من ثيابه؛ كما رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الشاعر:

ولكنها ضنت بمنزل ساعة ... علينا وأطت فوقها بالمعاذر

(٢) وروى ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٥٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «سَٰمِدُونَ» قال: «هو الغناء؛ كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا، وهي لغة أهل اليمن، قال اليماني: اسمُد، أي: تغن لنا».

(٣) رواه سعيد بن منصور في التفسير من سننه، عن عبيدالله بن عبدالله، قال: «رأيت ابن عباس =



قال أبو عبيد:

يعني: أنه كان يستشهد به على التفسير(١).

ﭬ يُسأل عن عربية القرآن؛ فينشد الشِّعر».

وروى ابن سعد في الطبقات عن يوسف بن مهران، وسعيد بن جبير أنهما قالا: «كنا نسمع ابن عباس كثيرًا يُسأل عن القرآن، فيقول: هو كذا وكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا؟».

وقال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلسًا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام والعربية والأنساب والشِّعر.

وقال عطاء: كان ناسٌ يأتون ابن عباس في الشِّعر والأنساب، وناسٌ يأتونه لأيام العرب ووقائعهم، وناسٌ يأتونه للفقه والعلم، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاؤون.

وكان كثيرًا ما يجعل أيامه يومًا للفقه، ويومًا للتأويل، ويومًا للمغازي، ويومًا للشِّعر، ويومًا لوقائع العرب.

وكان آيةً في الحفظ، أنشده عمر بن أبي ربيعة قصيدته التي مطلعها: «أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنت غَادٍ فَمُبْكِرُ»؛ فحفظها في مرة واحدة، وهي ثمانون بيتًا، وكان إذا سمع النوادب سدَّ أذنيه بأصابعه، مخافة أن يحفظ أقوالهن.

وأما بخصوص الشِّعر، فقد روى الطبري في تهذيب الآثار (٩٤٢) عن ابن عباس ﭬ، أنه قال: «الشِّعر ديوان العرب، هو أول علم العرب، عليكم بشِعر الجاهلية، وشِعر الحجاز».

وروى الحاكم في المستدرك، والبيهقي في السنن عن ابن عباس، قال: «إذا خفي عليكم شيء من القرآن، فابتغوه من الشعر؛ فإنه ديوان العرب».

وفي رواية قال: «إذا قرأ أحدكم شيئًا من القرآن، فلم يدر ما تفسيره؟ فليلتمسه في الشعر؛ فإنه ديوان العرب».

(١) لعلَّ أبا عبيد يقصد المسائل التي كانت بين ابن عباس ﭬ ونافع بن الأزرق، حينما قال الأخير لنجدة الحروري: «قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه؛ فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله، فتفسرها لنا وتأتينا بمصادِقِه من كلام العرب، =

٦١٣ - حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، أو مجاهد

عن ابن عباس : في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق:١٧].

قال: ما جمع(١).

وأنشد: قد اتسقن لو يجدن سائقًا(٢).

فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربيٍّ مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فما سأله ابن الأزرق عن شيء إلا وأتى له بما يشهد لمعناه من الشِّعر».

وهي أسئلة مشهورة أخرج الأئمة أفرادًا منها بأسانيد مختلفة إلى ابن عباس؛ فقد ذكر أبو بكر ابن الأنباري في كتابه: (الوقف والابتداء) منها قطعة.

وذكر الطبراني في معجمه الكبير منها قطعة.

وذكر صاحب الإتقان في علوم القرآن منها قطعة. وأخيرًا جُمعت في جزء مستقل، ورُتبت على حروف المعجم، فبلغت مئتين وخمسين سؤالًا.

(١) قال ضابئ بن الحارث البرجمي:

فإني وإياكم وشوقًا إليكم ... كقابضِ ماءٍ لم تسقه أنامله

أي: لم يجمع في يده من ذلك شيئًا، كما أنه ليس في يد القابض على الماء شيء.

ومعنى الآية: وما آوى فيه من دابة؛ قال ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٣١٨): «والليل وما جمع مما سكن وهدأ فيه من ذي روح كان يطير، أو يدب نهارًا، ومنه: الوسْق، وهو الطعام المجتمع الكثير مما يُكال أو يوزن». اهـ

(٢) هذا عجز بيت قاله ابن صرمة الأنصاري- وقيل: طرفة بن العبد- يقول في أوله:

إن لنا قلائصًا نقانقا ... مستوسقاتٍ لو يجدن سائقا



٦١٤ - حدثنا هشيم، أخبرنا حصين، عن عكرمة

عن ابن عباس ﭭ: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات:١٤].

قال: الأرض.

قال: وقال ابن عباس ﭭ: قال أمية بن أبي الصلت: عندهم لحم بحر، ولحم ساهرة(١).

(١) هكذا في الأصل، والبيت ليس هكذا في المصادر، وهو من قصيدة لأُمية بن أبي الصلت الثقفي، يذكر فيها أوصاف الجنة وأحوال يوم القيامة، فقال في ديوانه (١/ ٤٧٥):

وفيها لحم ساهرة وبحر ... وما فاهوا به لهم مقيم

ولا لغو ولا تأثيم فيها ... ولا غول ولا فيها مليم

وفي معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٣٢) عن ابن عباس أنه قال: «الساهرة: الأرض، وأنشد:

ففيها لحم ساهرة وبحر ... وما فاهوا به لهم مقيم

قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣١٤): «قوله: «فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ»، قال ابن عباس ﭭ: «الساهرة: الأرض كلها»، وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبو صالح، وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد: «الساهرة: وجه الأرض»، وقال مجاهد: «كانوا بأسفلها، فأخرجوا إلى أعلاها، قال: والساهرة المكان المستوي»، وقال الثوري: «الساهرة: أرض الشام»، وقال عثمان بن أبي العاتكة: «الساهرة: أرض بيت المقدس»، وقال وهب بن منبه: «الساهرة: جبل إلى جانب بيت المقدس»، وقال قتادة أيضًا: «الساهرة: جهنم»، وهذه أقوال كلها غريبة، والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى». اهـ

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩١١٩) عن سهل بن سعد الساعدي ﭬ: «فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ» قال: «أرض بيضاء عفراء، كالخبزة من النقي». اهـ

والنقي: لُباب البُر.

=

٦١٥ – حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد

عن ابن عباس ، قال:

كنت لا أدري ما: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها[1].

٦١٦ –حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن زيد بن معاوية العبسي

عن علقمة: في قوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ [المطففين:٢٦].

قال: ليس بخاتم يختم، ولكنْ ختامه خِلْطُه، ألم تر إلى المرأة من نسائكم تقول للطيب: خلطه مسك، خلطه كذا وكذا.

وقال الفرّاء في معاني القرآن (٣/ ٢٣٢): «سمّيت بهذا الاسم، لأن فيها الحيوان: نومهم، وسهرهم».

(١) هذا هو المعنى الأول لكلمة: «فاطر».

والمعنى الثاني: أن فطر بمعنى شقَّ، والفطر: الشق عن الشيء وإخراج ما فيه، يقال: فطر نابُ الناقة؛ إذا شقَّ الفم وطلع، وتُسمى الناقة حينئذ: «فاطر»، وفطر دُمَّلَه؛ إذا شق الجلد وأخرجه. وعلى هذا يكون معنى: «فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ» أي: شقَّ السموات لما ينزل منها وما يعرج فيها، وشقَّ الأرض لما يلج فيها وما يخرج منها.

وفيها معان أخرى، فقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره، عن ابن عباس في قوله: «فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ»، قال: «بديع السماوات والأرض».

وعن الضحاك، قال: «كل شيء في القرآن: «فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ» فهو خالق السماوات والأرض».



قال أبو عبيد:

وأحسب يحيى أسند الحديث إلى عبدالله ط [(١)].

٦١٧ - حدثنا يزيد، عن سفيان بن حسين

عن الحسن: في قوله تعالى: @قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ! [مريم:٢٤].

قال: كان والله سريًّا- يعني: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ -[(٢)]. قال: فقال له خالد ابن صفوان: يا أبا سعيد! إن العرب تسمى الجدول: السَّريّ، فقال: صدقت[(٣)].

---

(١) نعم، قد أسند يحيى بن سعيد الحديث إلى عبدالله بن مسعود ط؛ فقد قال الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٩٧): «حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد وعبدالرحمن، قالا: حدثنا سفيان، عن أشعث بن سليم، عن يزيد بن معاوية، عن علقمة، عن عبدالله: «خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ»، قال: أما إنه ليس بالخاتم الذي يختم، أما سمعتم المرأة من نسائكم تقول: طيب كذا وكذا، خلطه مسك». اهـ

(٢) وفي تفسير البغوي (٥/ ٢٢٦) قال الحسن: «وكان والله عبدًا سريًّا، يعني: رفيعًا». اهـ

(٣) جمهور المفسرين واللغويون على أن السَّريّ: النهر الصغير بالسريانية. وفي لفظ آخر قالوا: السَّريّ: الجدول، وهو نهر صغير أخرجه الله لمريم لتشرب منه، وكان قد انقطع الماء عنه، فأرسل الله الماء فيه لمريم، وليس المراد أنه تحتها وهي قاعدة عليه، بل أراد بين يديها.

وممن قال بهذا: البراء بن عازب، وابن عباس، وعمرو بن ميمون الأودي، ومجاهد، وابن جريج، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، ورواه عبدالرزاق عن معمر في تفسيره، ووهب بن منبه، والسُّدي. انظر تفسير الطبري (١٨/ ١٧٦).

ولعلَّ هذا النهر هو المقصود بقوله تعالى: «وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ».

وفي مسائل ابن الأزرق لابن عباس م قال: «أخبرني عن قوله تعالى: «سَرِيًّا»؟ قال: النهر الصغير. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

=



قال أبو عبيد:

فهذه الأحاديث التي فيها ذكر القبائل، والاحتجاج بكلام العرب، بيَّن لك معنى السبعة الأحرف؛ أنها إنما هي اللغات.

وقد حمل بعض الناس معناها على الحديث الآخر: نزل القرآن في سبع؛ حلال وحرام، ومحكم، ومتشابه، وخبر ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وضرب الأمثال.

سهل الخليقة ماجد ذو نائل   مثل السريّ تمده الأنهار

وقيل: المراد بالسَّريّ: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنه كان سريًّا من الرجال؛ قاله الحسن، وعكرمة، وابن زيد، ولكن عُدَّ هذا التفسير شذوذًا؛ ولهذا استغرب خالد بن صفوان هذا التفسير من الحسن.

وقال ابن الأنباري: «وقد رجع الحسن عن هذا القول إلى القول الأول، ولو كان وصفًا لعيسى، كان «غلامًا سريًّا» أو «سريًّا من الغلمان»، وقلَّما تقول العرب: رأيت عندك نبيلًا، حتى يقولوا: رجلًا نبيلًا».

وقال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٥): «رُوي عن الحسنِ، أنه قال: يعني: عيسى، وقال: كان والله سَرِيًّا من الرجال، فعرف الحسنُ أن من العرب من يسمي النهر سريًّا؛ فرجع إلى هذا القول. ولا اختلاف بين أهل اللغة أن السَّريَّ: النهر بمنزلة الجدول». اهـ

ورجَّح الطبري القول الأول، فقال: «وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب؛ قول من قال: عني به الجدول، وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذي جعله عندها، وقال لها: «وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا -فَكُلِى» من هذا الرطب «وَٱشْرَبِى» من هذا الماء «وَقَرِّى عَيْنًا» بولدك. و«السَّريّ» معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير، وقد رُويت أحاديث مرفوعة في ذلك؛ لا يصح منها شيء، وإن كان هو الأقرب إلى الصواب من قول من قال: إن المراد بالسَّري: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإن كان من معاني السَّريّ: الرفيع مكانة». اهـ



قال أبو عبيد:

وقد عرفتُ هذا الحديث، سمعت حجَّاجًا يحدثه عن الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب، عن سلمة بن أبي سلمة، عن أبيه، يرفعه. وليس هذا من ذلك في شيء، إنما هذا «القرآن نزل في سبع»، ومعناه سبع خصال، أو سبع خلال، وتلك الأحاديث إنما هي «نزل القرآن على سبعة أحرف». والأحرف لا معنى لها إلا اللغات، مع أن تأويل كل حديث منها بَيِّنٌ في الحديث نفسه؛ ألا ترى أن عمر ط قال: سمعت هشام بن حكيم م يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأ؟ فكذلك حديث أُبَيّ بن كعب ط حين اختلف هو وغيره في القراءة، ومنه اختلاف عبدالله ط مع غيره، ومثله حديث عمرو بن العاص ط. أفلست ترى اختلافهم إنما كان في الوجوه والحروف التي تَفَرَّقُ فيها الألفاظ، فأما التأويل فلم يختلفوا فيه، ويبينه حديث عبدالله ط:

٦١٨ - حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال:

قال عبدالله ط:

إني قد سمعت القَرَأَة[1] فوجدتهم متقاربين، فاقرؤا كما علمتم؛ فإنما هو كقول أحدكم: هَلُمَّ، وتعال.

---

(١) هكذا في الأصل: «القَرَأَة»، جمع: قارئ، مثل: كاتب، وكَتَبَة. وهي كلمة صحيحة، يقال: رجل قارئ من قوم قُراء وقَرَأَة وقَارئين. انظر لسان العرب (١/ ١٢٩).

=



٦١٩ - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب

عن ابن سيرين، قال:

إنما هو كقول أحدكم: هلمَّ، وتعال، وأَقْبل(١).

وهذا الأثر رُوي بالكلمات الثلاث: «القَرَأة والقِراءة والقُراء»:

فالأولى: رواها أبو عبيد، والطبري في تفسيره.

والثانية والثالثة: رواهما الطبراني في معجمه الكبير.

ورُوي بلفظ رابع كما في مصنف ابن أبي شيبة، قال: «إني سمعت أُولي القراءة فوجدتهم متقاربين، فاقرءوه كما علمتم، وإياكم والتنطع والاختلاف».

وقال ابن جرير في تفسيره (١/ ٥٠): «فقد أوضح نصُّ هذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة، إنما هو اختلاف ألفاظ، كقولك: «هلمَّ وتعال» باتفاق المعاني، لا باختلاف معانٍ موجبةٍ اختلافَ أحكام، وبمثل الذي قلنا في ذلك صحت الأخبارُ عن جماعة من السَّلف والخلف». اهـ

(١) وفي لفظ آخر رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٣١١٨) قال: «على نحو: هلم وتعال، وأقبل واذهب، وأسرع وعجِّل»، وفي غيره: «وأنظِر وأَخِّر، ونحو ذلك».

وروى محمد بن نصر في مختصر قيام الليل (١/ ٤٠)، والطبري في تفسيره (١٣/ ٧٧) عن الأعمش، قال: «قرأ أنس هذه الآية: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَصْوَبُ قِيلا»، فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة! إنما هي «وَأَقْوَمُ»؛ فقال: أقوم وأصوب وأهيأ، واحد».

وقال ابن عبدالبر في التمهيد (٨/ ٢٩١): «وروى ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أُبي بن كعب أنه كان يقرأ: «لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا»: (للذين آمنوا أمهلونا)، (للذين آمنوا أخرونا)، (للذين آمنوا ارقبونا). وبهذا الإسناد عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ: «كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ»: (مروا فيه)، (سعوا فيه). كل هذه الأحرف كان يقرءها أُبي بن كعب، فهذا معنى الحروف المراد بهذا الحديث- والله أعلم- إلا أن مصحف عثمان الذي بأيدي الناس اليوم؛ هو منها حرف واحد، وعلى هذا أهل العلم». اهـ



قال: وقال ابن سيرين:

وهو في قراءة عبدالله ط: «إن كانت إلا زقية واحدة».

وفي قراءتنا: «إن كانت إلا صيحة واحدة».

قال أبو عبيد:

وكل هذا يوضح لك معنى السبعة الأحرف[1].



(١) راجع ما قاله أبو عبيد، وما كتبناه من تعليق حول هذه المسألة عقب الأثر رقم: (٦٠١).



باب: إعراب القرآن وما يستحب للقارئ من ذلك وما يؤمر به

٦٢٠ - حدثنا عباد بن العوام، عن عبدالله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، أو جده- هكذا قال عباد-

عن أبي هريرة ط، قال: قال رسول الله ق:

«أعربوا القرآن»[(١)].

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وأبو يعلى في مسنده، ولفظه: «أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه».
ومداره على عبدالله بن سعيد المقبري، وهو ضعيفٌ ذاهب الحديث. وفيه علل أخرى، كما في العلل للدارقطني (١٠/ ٣٦٦)، ومعناه صحيح تشهد له الآثار.
والإعراب لغة: الإبانة والإفصاح، قال الجوهري: «أعربَ كلامه: إذا لم يلحن في الإعراب، وأعربَ بحجته؛ أي: أفصح بها». اهـ
وعلى هذا؛ فليس المقصود بإعراب القرآن الإعراب المصطلح عليه عند النحاة؛ لأنه اصطلاح حادث، ولم تكن في ألسنة القوم عُجمة، فيحتاجون إلى تعلُّمه. وإنما المراد: ضبط الحروف ومعرفة الوقوف، وما ينبني على ذلك من معرفة معاني ألفاظه، وما تدل عليه علمًا وعملًا واعتقادًا؛ وقد أخرج السِّلَفي في الطُّيوريات من حديث ابن عمر م مرفوعًا: «أعربوا القرآن؛ يدلكم على تأويله».
قال الحسن البصري: «ما أنزل الله آية، إلا وهو يحبُّ أن تعلم فيم أنزلت وما أراد بها». والله تعالى أنزل القرآن بأفصح لغات العرب وأعربها وأبينها، فقال: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»، وقال: «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ».
=



٦٢١ - حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن عقبة الأسدي، عن أبي العلاء

عن عبدالله بن مسعود ط، قال:

أعربوا القرآن؛ فإنه عربي[١].

٦٢٢ - حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث بن سعد، قال:

حدثني أبو الأزهر:

أن أبا بكر الصديق ط قال: لأن أُعرب آية من القرآن أحبُّ إليَّ من أن أحفظ آية[٢].

قال أبو بكر ابن الأنباري في الوقف والابتداء (١/ ١٤): «وجاء عن الرسول ق وعن أصحابه وتابعيهم من تفضيل إعراب القرآن والحض على تعليمه، وذم اللحن وكراهيته، ما وجب به على قُراء القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه». اهـ

وقال ابن عطية في تفسيره (١/ ٤٠): «إعراب القرآن أصل في الشريعة؛ لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع». اهـ

(١) ساق المؤلف هذا الأثر قبل ذلك برقم: (٣٠٢) عن حجاج بن محمد المصيصي، ولكنَّه هنا ذكره من طريق عبدالرحمن بن مهدي، وفيه التصريح بالواسطة بين عقبة الأسدي، وابن مسعود. وفيه زيادة قال: «وسيأتي قوم يُثَقِّفونه، وليسوا بخياركم».

قال البيهقي في شعب الإيمان في معنى: «يثقفونه»: «يعني: يسردونه». اهـ

(٢) رواه ابن وهب في تفسيره (٣/ ٤٣) عن الليث بن سعد، ثم قال ابن وهب: «وقال لي الليث: سألت ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن تعلم النحو لإعراب القرآن؟ فقال لي ربيعة: وددت أني أحسنه».

وذلك لأن ربيعة كان من أبناء سبايا الأمم، وكان مشهورًا باللحن.

=

٦٢٣ - حدثنا عباد بن عباد، عن واصل مولى أبي عيينة قال:

قال عمر بن الخطاب ط:

تعلموا إعراب القرآن؛ كما تعلمون حفظه(١).

قال ابن وهب: وحدثني الليث أن أبا زهير- شيخًا من قريش- حدثه قال: بلغني أن عبدالله بن عمر، قال لنافع- في رجل كان يقرأ قريبًا منه يرفع صوته-: إن هذا يقرأ وقد آذاني باللحن، فاذهب إليه فانهه، فإن أبى، فآذِني عليه». اهـ

وفي لفظ قال له: «إما أن تنحى عنا، وإما أن نتنحى عنك»؛ فكأن ابن عمر م رأى أن الإمساك عن القراءة واللحن خير من القراءة والحفظ مع اللحن، وهو معنى كلام أبي بكر ط المتقدم آنفًا.

وفي أخبار النحويين لعبدالواحد بن أبي هاشم (١/ ٣٥) عن الشعبي، قال: «قال أبو بكر الصديق ط: لأن أقرأ وأُسْقِط أحبُّ إليَّ من أن أقرأ وألحن». اهـ

وفيه أن أبا بكر وعمر م قالا: «لحفظ بعض إعراب القرآن، أحبُّ إلينا من حفظ بعض حروفه».

وفي المصنف لابن أبي شيبة عن ابن بريدة، عن رجل من أصحاب النبي ق قال: «لأن أقرأ آية بإعراب أحبُّ إليَّ من أن أقرأ كذا وكذا آية بغير إعراب».

وفي رواية ابن الأنباري، قال: «لو أني أعلم إذا سافرت أربعين ليلة أعربت آية من كتاب الله؛ لفعلت».

وفيه عن مجاهد، قال:«لأن أخطئ بالآية أحبُّ إليَّ من أن ألحن في كتاب الله تعالى».

ومما سبق من الآثار يتبين لنا أن إعراب القرآن أفضل من حفظ حروفه مع اللحن.

(١) وكذلك قال أبو ذر ط: «تعلموا العربية في القرآن، كما تتعلمون حفظه». رواه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء (١/ ٢٣).

وفي الجامع في التفسير لابن وهب (٣/ ٤١) عن سليمان بن يسار «أن عمر بن الخطاب ط خرج من خوخته، فأتى على قوم يقرءون، فلما رأوا عمر أنصتوا، فقال: كنتم تراجعون؟ قالوا: كنا يُقرئ بعضنا بعضًا، فقال: فاقرؤا ولا تلحنوا».

=



وحدثنا حجاج، عن حماد بن زيد، عن واصل مولى أبي عيينة، عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن أبي بن كعب، أنه قال مثل ذلك.

٦٢٤ – حدثنا أبو معاوية، عن عاصم بن سليمان، عن مورق العجلي، قال:

قال عمر بن الخطاب ط:

تعلموا اللَّحْن(١) والفرائض والسنن؛ كما تَعَلَّمون القرآن(٢).

وفيه أن عقبة بن عامر بينا يقرئ رجلًا يومًا هذه الآية: «ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ – قَيِّمٗا»، فقال الرجل: (ولم يجعل له عوج قيم)، فقال عقبة: قل: (عوجًا قيمًا)، فقال: (عوج قيم)، فردَّد عليه مرارًا، ثم قال له عقبة: قل ذلك؛ فإنه من تمامها».

(١) قوله: «تعلموا اللَّحْن»: هذا من ألفاظ الأضداد، والأضداد في اللغة: هو ما يفيد المعنى وضده، ويعرف المراد من السياق، والمرد به ههنا: تعلموا الخطأ في الكلام؛ لتحترزوا منه، لأنه إذا علم الخطأ فقد علم الصواب. أو يكون المراد تعلموا لغة العرب بإعرابها واعرفوا معانيها.

وكلمة: «اللَّحن» تطلق على معانٍ شتى، قال أبو عبيد في غريبه (٢/ ٢٣٢): «واللَّحْن في أشياء سوى هذا: منه الخطأ في الكلام، وهو بجزم الحاء، يقال: قد لحن الرجل لحْنًا؛ ومنه قول عمر بن الخطاب: «تعلموا اللَّحْن والفرائض والسنن، كما تعلمون القرآن». ومن اللَّحْن: الترجع في القراءة بالألحان؛ ومنه حديث أبي العالية: «كنت أطوف مع ابن عباس، وهو يعلمني لحن الكلام»، وإنما سماه لحنًا؛ لأنه إذا بصّره الصواب، فقد بصّره اللَّحْن. ومن اللَّحْن أيضًا: قوله تعالى: «وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ»، فكان تأويله– والله أعلم– في فحواه وفي معناه». اهـ

والفرق بين اللحن والخطأ: أن اللحن في القول فقط، والخطأ في القول والعمل.

ويراجع كتاب الملاحن لابن دريد؛ فإنه نفيس.

(٢) وفي مصنف ابن أبي شيبة زيادة، قال: «فإنه من دينكم».



٦٢٥ - حدثنا نعيم بن حماد، عن بقية بن الوليد، عن الوليد بن محمد بن زيد، قال:

سمعت أبا جعفر، يقول:

قال رسول الله ﷺ: «أعربوا الكلام؛ كي تعربوا القرآن».

ثم قال أبو جعفر:

لولا القرآن وإعرابه، ما باليت أني لا أعرف منه شيئًا(١).

(١) هذا الحديث غير مشهورٍ في كتب الحديث، ولم أجده مُخَرَّجًا عند أحدٍ بهذا السِّياق، إلا ما كان من أبي عبيد هنا، ومن طريقه أبو بكر الأنباري في الوقف والابتداء، والمرهبي في فضل العلم.

ونعيم بن حماد: صدوق يخطئ كثيرًا. وبقية بن الوليد: صدوق كثير التدليس، وقد عنعنه. والوليد بن محمد بن زيد: عزيز الترجمة، فلم أهتد إليه، ولم أعثر على ترجمة وافية عنهما؛ فلعلَّه من شيوخ بقية المجهولين.

وأبو جعفر: لا أدري من هو؟ أهو أبو جعفر الأنصاري؛ الذي قال: رأيتُ أبا بكر الصديق رضي الله عنه ورأسه ولحيته كأنهما جمر الغضا. أم هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الملقب بـ(الباقر)؟ على أني لم أجد في تلاميذ الباقر مَنْ اسمه: الوليد بن محمد بن زيد.

وعليه؛ فالحديث معضلٌ ولا يصح مرفوعًا، أما معناه؛ فصحيح تشهد له الآثار الأخرى.

قال ابن النحاس في كتابه القطع والائتناف: «وقد تأوَّل بعض العلماء حديث جرير رضي الله عنه: «بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم»؛ أنه ينبغي أن ينصح مُعلِّم القرآن، فيقف الذي يعلمه على ما يحتاج إليه من القطع، وما ينبغي أن يستأنف به». اهـ

ويدخل في هذا إعراب القرآن، وتعلُّم اللَّحْن وتعليمه الناس، فإن هذا من النصيحة لكتاب الله، كما قال ﷺ: «الدين النصيحة: لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم». رواه أحمد، ومسلم.



٦٢٦ - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم

عن أبي رجاء محمد بن سيف، قال:

قلت للحسن: ما تقول فيمن يتعلم العربيـة، أمـا يُخـاف أن يكـون يزيد في الهجاء؟

فقال: ليس به بأس؛ قال عمر بن الخطـاب ط: علـيكم بالتفقـه في الدين، والتفهم في العربية، وحسن العَبَارة[١].

(١) وفي لفظ آخر؛ رواه سعيد بن منصور في التفسير، والبيهقي في الشعب، عن عبيدالله بن عبيد الكلاعي، قال: «كان عمر ط يقول: «أعربوا القرآن، فإنـه عـربي، وتفقهـوا في الـسُّنة، وأحـسنوا عبارة الرؤيا، فإذا قص أحدكم على أخيه، فليقل: اللهم إن كان خيرًا فلنا، وإن كان شرًّا فعلى عدونا».

وروى أبو بكر ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء، عن مجاهد قال: «قال عمر بن الخطـاب ط: تعلموا العربية؛ فإنها تثبت العقل، وتزيد في المروءة».

وفيه عن قتادة، قال: «قال أبو الأسود: إني لأجد للحن غَمَرًا كغمـر اللحـم». والغمـر: زهومـة اللحم، وأثره في اليد.

وقال ابن شبرمة: «ما لبس الرجال لبسًا أزين مـن العربيـة، ولا لبـست النـساء لبـسًا أزيـن مـن الشحم».

وقال المدائني أبو الحسن: «كان يقال: إذا أردت أن تَعْظُم في عين مـن كنـت في عينـه صـغيرًا، أو يصغر في عينك من كان عندك كبيرًا؛ فتعلم العربية». اهـ

وعن محمد بن عبدالله ابن أخي ابن شهاب، قال: «سمعت عمي ابن شهاب، وهو يقـول: مـا أحـدث الناس مروءة أعجب إليَّ من تعلم الفصاحة».



٦٢٧ – حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، وحجاج، كلاهما، عن حماد بن زيد

عن يحيى بن عتيق، قال:

قلت للحسن: يا أبا سعيد! الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حُسْن المنطق، ويقيم بها قراءته؟ فقال: حسن يا ابن أخي! فتعلمها، فإن الرجل ليقرأ الآية فيعيا بوجهها(١)، فيهلك فيها(٢).

---

(١) قوله: «فيعيا بوجهها» أي: يجهل وجهها، من العي وهو الجهل والعجز، والمعنى: أنه يعجز عن فهم المراد منها، فيحملها على غير وجهها.

(٢) وفي الجامع في التفسير لابن وهب (٣/ ٤٤) عن عبيدة بن زيد النميري، قال: «سمعت الحسن، يقول: أهلكتهم العُجمة؛ يتأولون القرآن على غير تأويله». اهـ

وفي تاريخ الطبري (٢/ ٥٩١): «أن عثمان بن عفان كتب إلى العامة: أما بعد؛ فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع؛ فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن؛ فإن رسول الله ﷺ قال- فيما يروى عنه-: «الكفر في العجمة، فإذا استعجم عليهم أمر؛ تكلَّفوا وابتدعوا»». اهـ

وفي تاريخ دمشق (٥٥/ ٣٥٢) عن ابن مهدي قال: «سمعت مالك بن أنس، يقول: قرأت على الزهري سبعين حديثًا، فلحنتُ في حديث؛ فحرَّك دابته، وقال: أفٍّ أفٍّ، ذهب فهم الناس». اهـ

فإذا كان هذا في الحديث، فكيف بكلام الله؟!

وروى البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٥٥١) عن سالم بن قتيبة، قال: «كنت عند هشام بن هبيرة، فجرى ذكر العربية، فقال هشام: والله ما استوى رجلان قط، دينهما واحد، وحسبهما واحد، ومروءتهما واحدة، أحدهما يلحن والآخر لا يلحن، وأفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن. قال: قلت: =



أصلح الله الأمير، هذا في الدنيا أفضل لفصاحته وعربيته، ففضله في الآخرة لماذا؟ قال: لأنه يقيم كتاب الله على ما أنزل الله، وهذا يُدْخِل في كتاب الله ما ليس فيه ويُخْرِج ما هو فيه». اهـ

وفي الوقف والابتداء لابن الأنباري عن حريث بن السائب، قال: «قال البَتِّي- هو عثمان البَتِّي صاحب الرأي والإرجاء- للحسن: يا أبو سعيد! فقال الحسن: أَكَسْبُ الدوانيق شَغَلَك أن تقول: يا أبا سعيد؟! قال: ثم جعل يفهمه فلا يفهم، ويفهمه فلا يفهم! فقال: يا عبدالله! خذ بيد هذا العِلْج، فأفهمه عني؛ فإنه يمنعه عِيُّه أن يفهم ما أقول». اهـ

ومن تدبر منشأ البدع؛ وجدها خرجت من هؤلاء، وقد وقع هذا بعينه قديمًا وحديثًا، فمن أسباب ضلال المعتزلة والقدرية والرافضية والجهمية والأشعرية والخوارج والمرجئة ونحوهم؛ العجمة في اللسان، أو العجمة في الفهم، أو هما معًا- فيمن افترضنا حُسْن نيته منهم، وإلا فكثيرٌ منهم زنادقة؛ هَمُّهم إفساد الدين-:

ففي مشكل الآثار للطحاوي (١٠/ ٢٤٣) قال: «سمعت بكار بن قتيبة يذكر، عن الأصمعي، قال: كنا عند أبي عمرو بن العلاء، فأتاه عمرو بن عبيد، فقال له: يا أبا عمرو! أيجوز أن يعد الله عَزَّوَجَلَّ على عملٍ ثوابًا ثم لا ينجزه؟ قال أبو عمرو: لا. قال: فكذلك إذا أوعد على عملٍ عقابًا، فلا يجوز أن لا ينجزه! فقال له أبو عمرو: من قِبل العجمة أُتيتَ، إن العرب كانت إذا وعدت فَشَرَفُها أن تفي، وإذا أوعدت فشَرَفُها أن لا تفي». اهـ

وفي الكامل لابن عدي (٥/ ٩٩) قال: «من العجمة أتيت؛ الوعد غير الإيعاد، ثم أنشد أبو عمرو:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... سأخلف إيعادي وأنجز موعدي

وفي الحجة في بيان المحجة (٢/ ٧٣) قال: «من العجمة أتيت يا أبا عثمان! إن الوعد غير الوعيد؛ إن العرب لا تعد عارًا ولا خلفًا أن تعد شرًّا ثم لا تفعله؛ ترى ذلك كرمًا وفضلًا، وإنما الخلف أن تعد خيرًا ثم لا تفعله».

وفي تفسير البغوي (٢/ ٢٦٧) أن الآية التي تأولها عمرو بن عبيد على غير تأويلها هي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

وقال البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٧٥): «المقروء هو كلام الربِّ الذي قال لموسى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾، إلا المعتزلة فإنهم ادعوا أن فعل الله مخلوق، وأنَّ أفعال العباد غير مخلوقة؛

=



وهذا خلاف علم المسلمين إلا من تعلَّق من البصريين بكلام سِنْسَوَيْه، كان مجوسيًّا فادعى الإسلام، فقال الحسن: أهلكتهم العجمة». اهـ

والروافض المشركون طعنوا في الصحابة ن وكفَّروهم؛ ومن أسباب ذلك العُجمة في فهم حديث الحوض، وهو قوله ق كما رواه مسلم: «إني فرطكم على الحوض من مرَّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا لمن غيَّر بعدي». فقالوا: هذا دليل على القول بردة الصحابة إلا القليل منهم. وقد اتفق علماء أهل السُّنة والجماعة على أن الصحابة غير معنيين بهذه الأحاديث؛ لأنهم لم يغيروا ولم يحدثوا بعده، وأنها منصرفة إلى قوم آخرين ارتدوا بعد النبي ق ؛ كالذين ارتدوا من الأعراب على عهد الصديق، أو غيرهم ممن جاءوا بعدهم، وعلى رأسهم الروافض أنفسهم؛ فقد ارتدوا عن الدين وبدَّلوا وحرَّفوا.

والجهمية والأشعرية نفوا الصفات وحرَّفوا معناها؛ ومن أسباب ذلك العُجمة في اللسان والفهم، حيث اعتقدوا أن إثبات صفات الله على الوجه اللائق به يقتضي تشبيهًا وتجسيمًا. ومن الوقائع المشهورة في ذلك احتجاج الجهمية على نفي علو الله تعالى على عرشه واستوائه عليه ببيتٍ ينسبونه لشاعر نصراني! وباحتجاجهم على خلق القرآن، وأن الله لا يتكلم بحرف ولا بصوت ببيت آخر للأخطل النصراني! فأخذوا دينهم من أشعار النصارى المولَّدة! وتركوا الكتاب والسُّنة والأثر.

وأما عن الخوارج؛ فقد روى أحمد ومسلم عن علي ط قال: «أيها الناس! إني سمعت رسول الله ق يقول: يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن، يحسبون أنه لهم وهو عليهم». ومن أسباب ذلك العُجمة التي كانت في أفهامهم، ومن ذلك قولهم: كيف يُحكِّم الرجال، والله يقول: «إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ»؟ ففي ظنهم أن الرجال لا يُحَكَّمون بهذه الآية.

ومن ذلك أيضًا: أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في المشركين، فجعلوها في المؤمنين.

وأما أهل الرأي؛ فحَدِّثْ ولا حرج، فمذهبهم كله قائم على العجمة، ومن ذلك ما جاء في كتاب الضعفاء وأجوبة الرازي على سؤالات البرذعي (١/ ٣٣٥) قال: «قلت: بشر بن يحيى بن حسان؟ قال: خراساني من أصحاب الرأي، كان لا يقبل العلم، وكان أعلى أصحاب الرأي بخراسان؛ فقدم =



علينا فكتبنا عنه، وكان يناظر فاحتجوا عليه بطاوس رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقال بالفارسية: يحتجون علينا بالطيور! قال أبو زرعة: كان جاهلًا، بلغني أنه ناظر إسحاق بن راهويه في القُرعة- وذلك لأن إمامه وإمام أهل الرأي جميعًا كان يقول: القرعة قمار- فاحتج عليه إسحاق بتلك الأخبار الصحاح؛ فأفحمه، فانصرف، ففتش كتبه، فوجد في كتبه حديث النبي ﷺ نهى عن القزع- فظنها القرعة- فقال لأصحابه: قد وجدت حديثًا أكسر به ظهره، فأتى إسحاق فأخبره، فقال إسحاق: إنما هذا القزع! أن يُحلق بعضُ رأس الصبي ويترك بعض». اهـ

ومن الأمثلة على ذلك ما وقع لحامل لواء الإرجاء والدفاع عن المشركين في عصرنا- الألباني- حيث قرأ قوله تعالى على لسان عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ»، فجعلها: «ومُصَدِّقًا» بدلًا عن: «وَمُبَشِّرًۢا»، ثم بنى على تحريفه لهذه الآية مذهبه في التجهم والإرجاء، وأن الإيمان هو التصديق لا غير، حتى قال: «أنا لا أعلم في حدود ما علمت- وفوق كل ذي علم عليم- أن العلماء يُفرِّقون بين الإيمان والتصديق، والنصوص التي تمر بنا وقد ننساها، وذكرنا إحداها آنفًا هي ترادف الإيمان تمامًا، قال تعالى: ومُصَدِّقًا برسول- هكذا قرأها- ثم فسَّرها، فقال: أي: ومؤمنًا، فأنت إذا أردت أن تقول: مصدقًا لا تعني مؤمنًا، أنت بحاجة إلى نصوص من الكتاب والسُّنة، أو على الأقل إلى نصوص من أقوال أئمة السَّلف الذين نحن نقتدي بهم». موسوعة الألباني في العقيدة (٤/ ١٧٣).

فإذا عرفت هذا، فلا تتعجب مما رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٩) عن الفريابي، قال: «سمعت سفيان الثوري، يقول: ليس أحد أبعد من كتاب الله من المرجئة».

وكل هؤلاء يصدق عليهم قول ابن مسعود رضي الله عنه: «ستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله؛ وقد نبذوه وراء ظهورهم، عليكم بالعلم وإياكم والبدع والتعمق، عليكم بالعتيق».

وروى الدارمي في مقدمة سننه عن عروة بن الزبير أنه قال: «ما زال أمر بني إسرائيل معتدلًا، ليس فيه شيء حتى نشأ فيهم المولَّدون؛ أبناء سبايا الأمم، أبناء النِّساء التي سبت بنو إسرائيل من غيرهم، فقالوا فيهم بالرأي؛ فأضلوهم».

ومن أجل ذلك ألَّف العلماء كتب تأويل مشكل القرآن والأحاديث والآثار وكذلك الغريب؛ لئلا تتسرب إلى الناس العجمة في الفهم، فيَضلوا ويُضلوا.



٦٢٨ - حدثني أبو اليمان، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم

عن مكحول:

أنه سئل عن قراءة القرآن بالعربية؛ فقال: حسن ما لم تبغِ فيها[1].

٦٢٩ - حدثنا يوسف بن الغرق، عن محمد بن عبدالعزيز، عن ابن شهاب، عن خارجة

عن زيد بن ثابت، قال: نزل القرآن بالتفخيم[2].

---

(١) عبارة مكحولٍ هذه فيها إشكال، ولعلَّه سئل عن تعلم النحو، وليس عن قراءة القرآن بالعربية، فإن قراءة القرآن بالعربية حَسَنٌ مطلقًا، كما في الآثار السابقة. وفي تاريخ أبي زرعة الدمشقي عن شعيب ابن أبي حمزة، قال: «كان الزهري، وأبو الزناد يقرآن القرآن، ويحسنانه بالعربية».

أما تعلُّم النحو فيصدق عليه ما قاله مكحول: حسن ما لم تبغ فيه؛ لأن من توغَّل فيه وعَرَف شواذ اللغة وغرائبها؛ استطالت نفسه على الناس، وفي الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٨) قال الشعبي: «النحو في العلم؛ كالملح في الطعام لا يستغنى عنه».

لكن إن زاد الملح عن الحدِّ المطلوب أفسد الطعام؛ وهذا معنى كلام مكحول.

وقد عقد الخطيب البغدادي في كتابه: اقتضاء العلم العمل بابًا سماه: «باب: من كره تعلم النحو لما يكسب من الخيلاء والزهو». وافتتح الباب بقول القاسم بن مخيمرة: «تعلم النحو أوله شُغْلٌ، وآخره بغيٌ».

(٢) قد رُوي هذا في حديثٍ مرفوعٍ أخرجه الحاكم والبيهقي عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل القرآن بالتفخيم؛ كهيئته «عُذْرًا أَوْ نُذْرًا»، «ٱلصَّدَفَيْنِ»، «أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ» وأشباه هذا في القرآن».

ولو صح الحديث؛ فإن المرفوع منه فقط قوله: «أنزل القرآن بالتفخيم»، والباقي مدرجٌ من كلام أحد الرواة، وهو عمار بن عبدالملك؛ كما بيَّن ذلك ابن الأنباري في كتابه الوقف والابتداء.

ومعنى قوله: «نزل القرآن بالتفخيم»، أي: لا يُقرأ على الإمالة الشديدة التي لا تعرفها العرب من كلامها، والإمالة الشديدة هي أن تقترب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء من غير قلبٍ =



خالصٍ لها، ولا إشباع مبالغ فيها؛ ولذا كره جماعة كثيرة من السَّلف قراءة حمزة، لما فيها من فرط المدِّ والإدغام والإمالة الشديدة والسكت على الساكن قبل الهمز وعدم تفخيم الآيات؛ ففي الجامع في العلل للإمام أحمد (٢/ ١٢٧) قال عبدالله: «سألت أبي: أي القراءة أحبُّ إليك؟ قال: قراءة المدينة، فإن لم تكن، فقراءة عاصم. قال: وأكره من قراءة حمزة: الكسر الشديد والإضجاع». اهـ

وفي طبقات الحنابلة (١/ ٧٤) قال أبو الحارث: «ذُكر لأبي عبدالله قراءةُ حمزة؟ فقال: أنا أكرهها. قيل له: وما تكرهه منها؟ قال: هذا الإدغام والإضجاع الشديد؛ مثل: جاب وطاب وحاق».

وقال حرب: «قلت لأحمد: الإدغام؟ فكرهه». وقال حرب: «سألت أحمد عن قراءة حمزة؟ فقال: لا تعجبني، وكرهها كراهية شديدة، والكسائي». وقال حرب: «سمعت أحمد يكره الإمالة مثل: «وَٱلضُّحَىٰ»، «وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا» وقال: أكره الخفض الشديد والإدغام». اهـ

وكذلك كان أبو بكر بن عياش، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والشافعي، ويزيد بن هارون، وعبدالرحمن بن مهدي، كانوا يكرهون قراءة حمزة كراهية شديدة، ولهم فيها كلام شديد؛ حتى رُوي عن سفيان بن عيينة أنه قال: «لو صليت خلف إنسان يقرأ قراءة حمزة؛ لأعدت صلاتي». وقال أبو بكر بن عياش: «قراءة حمزة بدعة».

وقال ابن مهدي: «لو كان لي سلطان على من يقرأ قراءة حمزة؛ لأوجعت ظهره وبطنه». اهـ

انظر: سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود (١/ ٣٠٧)، والشرح الكبير لابن قدامة (١/ ٥٣٥).

هذا، وقد ذكر الذهبي في معرفة القراء، وسير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام، وميزان الاعتدال، وكذلك السَّخاوي في كتابه: جمال القراء (١/ ٥٩٦) ما يدل على أن حمزة كان بعيدًا مما حكوه عنه.

وقال ابن مفلح في الفروع (٢/ ١٨٤): «وعن أحمد ما يدل على أنه رجع عن الكراهة». اهـ

وكل ما سبق من الآثار إنما هو في الإمالة الشديدة التي لا تعرفها العرب من كلامها، أما الإمالة اليسيرة فيما يحسن إمالته، والتي هي من اختيار بعض القراء، لاسيما التي أخذوها عن الصحابة ﭫ؛ فهذا لا بأس به.

وقيل: معنى: «نزل القرآن بالتفخيم»: أن يقرأه على قراءة الرجال، ولا يُخْضِع الصوت فيه ككلام النساء؛ ويشبه هذا ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن مسعود، قال: «القرآن ذَكَرٌ؛ فذَكِّرُوه».

=



٦٣٠ – حدثني هوذة بن خليفة، عن عوف بن أبي جميلة

عن خُليد العَصَري، قال:

لما ورد علينا سلمان[١] أتيناه نستقرئه القرآن؛ فقال: إن القرآن عربي فاستقرئوه رجلاً عربيًا. قال: فكان زيد بن صوحان يقرئنا، ويأخذ عليه سلمان، فإذا أخطأ غَيَّر عليه، وإذا أصاب قال: نعم ايم الإله[٢].

وقيل: إن المراد بالتفخيم: تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر، في المواضع المختلف فيها، دون إسكانها؛ لأنه أشبع لها وأفخم.

قال أبو عمرو الداني: «وكذا جاء مفسرًا عن ابن عباس؛ فعن الزهري قال: قال ابن عباس: «نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم؛ نحو قوله: «الجُمُعة» وأشباه ذلك من التثقيل». وقال محمد بن مقاتل– أحد رواة هذا الحديث– : «سمعت عمار بن عبدالملك، يقول: «عُذُرًا أو نُذُرًا» و«ٱلصَّدَفَيْنِ» يعني: بتحريك الأوسط في ذلك».

ثم قال أبو عمرو: «ويؤيده قول أبي عبيدة: أهل الحجاز يفخمون الكلام كلّه إلا حرفًا واحدًا: (عَشْرة) فإنهم يجزمونه، قال: وأهل نجد يتركون التفخيم في الكلام إلا هذا الحرف، فإنهم يقولون: عَشِرة بالكسر. قال أبو عمرو الداني: فهذا الوجه أولى في تفسير الخبر». انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٢٢)، وجمال القراء وكمال الإقراء (١/ ٦٠٨).

هذا وقد ذُكِرتْ أقوالٌ أخرى في المراد بالتفخيم، ولعلَّ ما ذكرناه أولى وأرجح.

(١) يعني: في البصرة، أما خُليد فلم يلق سلمان ط كما في المراسيل لابن أبي حاتم (١/ ٥٥) في ترجمة خُليد، قال: «ذكره أبي عن إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين وسألته، قلت: خُلَيد العصري لقي سلمان؟ قال: لا. قلت: إنه يقول: لما ورد علينا– أي: بلدنا! قال: يعني: البصرة». اهـ

(٢) وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور (٤٠) عن جرير، عن إدريس بن جويرية الأعمى– وكان من خيار الناس– قال: قيل للحسن: إن لنا إمامًا يلحن، قال: أخِّروه». اهـ

=



وهذا يدل على تشديد السَّلف في أمر اللَّحْن، وأنه ليس بالأمر الهيِّن؛ حتى كان من العلماء من يفني عمره في تعلمه، كما في التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٨٢) عن الحرِّ بن عبدالرحمن القاري، قال: «طلبت إعراب القرآن خمسًا وأربعين سنة، أو أربعين سنة». اهـ

ويتجلى هذا الحرص والتشديد في الأمور الآتية:

١- كان من السَّلف من يضرب ولده على اللحن؛ كما روى ابن وهب في الجامع في التفسير (٣/ ٤٠) عن نافع: «أن ابن عمر كان يسمع بعض ولده يلحن؛ فيضربه». اهـ

وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف في كتاب الأدب، باب: من كان يُعلمُهم ويضربهم على اللحن (٨/ ٤١٥). وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: الضرب على اللحن، (١/ ٣٨٤)، وأخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٩) وفيه زيادة: «ولا يضربهم على الخطأ». أي: في الآية.

وفي الجامع لأخلاق الراوي عن عمرو بن دينار: أن ابن عمر وابن عباس كانا يضربان أولادهما على اللحن.

وعن أبي إسحاق الطلحي: أن علي بن أبي طالب كان يضرب الحسن والحسين على اللحن.

وكذلك صنع أحمد بن حنبل بولده.

وروى ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء (١/ ٥١) عن أبي عكرمة قال: «كان عمر **ط** إذا سمع رجلاً يُخطئ فتح عليه، وإذا أصابه لحن ضربه بالدِّرَّة».

ومن طرائف هذا الباب: ما ذكره الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي والسامع عن مسعدة، قال: «كنا عند أبي أسامة، فقال: حدثنا عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، أنه كان يضرب بنيه على اللَّحْن، قال: فقلت: يا أبا أسامة! إنْ أخذنا بهذا الحديث، لم تزايل الدِّرة استك!». اهـ

٢- كانوا يعدون اللحن ذنبًا يستحق الاستغفار، كما روى ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء (١/ ٣٢) عن الخليل بن أحمد، قال: «لحن أيوب السختياني في حرف؛ فقال: أستغفر الله». وذكره ياقوت في معجم الأدباء (١/ ٧٩) وزاد في آخره: «يعني: أنه عدَّ اللحن ذنبًا».

٣- كانوا يجعلون اللحن بمثابة الكذب على الله تعالى؛ فعن الحسن البصري أنه كان يعثر لسانه بشيء من اللحن، فيقول: أستغفر الله، فقيل له فيه؛ فقال: «من أخطأ فيها؛ فقد كذب على العرب، ومن كذب؛ فقد عمل سوءًا، والله تعالى يقول: « وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ

=

ٱللَّهَ غَـفُورًا رَّحِيمًا ». ذكره ياقوت في معجم الأدباء (١/ ٦٨).

وفي فضائل القرآن للمستغفري (١/ ١٨٩) قال أبو بكر : «لأن أخطئ في القرآن أحبُّ إلي من اللحن؛ لأني إذا أخطأت تعلمت، وإذا لحنت افتريت».

وعند ابن أبي شيبة عن أمِّ الدرداء، قالت: «إني لأحبُّ أن أقرأه كما أُنزل- يعني: إعراب القرآن».

٤- كانوا يعدون من مناقب العالم أنه لا يلحن، كما روى عبدالواحد بن أبي هاشم في كتابه: أخبار النحويين (١/ ٥٠) عن أبي مُسهر قال: «كان الأوزاعي لا يلحن». فَعَدَّ ذلك منقبةً له.

وكما في ترجمة خالد بن الحارث، وبشر بن المفضل؛ فإنهما كانا لا يلحنان البتة.

٥- كانوا يَعدون من فقه الرجل ألا يلحن، كما في مصنف ابن أبي شيبة عن أبي جعفر، قال: «من فقه الرجل؛ عِرْفَانُه اللحن».

٦- كانوا يعدون اللحن أشد من الخطأ في الرمي، كما روى ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء عن مصعب بن سعد، قال: «مرَّ عمر بن الخطاب ط بقومٍ يرمون نبلًا، فعاب عليهم رميهم؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنَّا قومٌ متعلِّمين! فقال: لحنكم أشد عليَّ من سوء رميكم، سمعت رسول الله ق: رحم الله امرءًا أصلح من لسانه». اهـ

٧- كانوا يعزلون مَن يلحن مِن عمله، كما روى ابن الأنباري عن سليمان بن حرب، قال: «حدثنا أبو هلال قال: حدثني رجل من باهلة أن كاتب أبي موسى كتب إلى عمر؛ فكتب: من أبو موسى! فكتب إليه عمر: إذا أتاك كتابي هذا؛ فاجلده سوطًا واعزله عن عملك».

٨- كانوا لا يُحَدِّثون من لا علم له بالعربية، كما روى ابن الأنباري عن الزهري قال: «أتاه رجل يسأله أن يحدثه فقال: ممن أنت؟ قال: من عاملة، قال: لا أحدثك، قال: ولمه؟! قال: لأنكم لا علم لكم بالعربية، أو قال بالكلام، قال: إني لأعرف منها شيئًا، قال له الزهري: ما معنى قول الشاعر:

صريع مُدامٍ يرفع الشَّرْبُ رأسَهُ ... فيحيا وقد ماتت عظام ومِفْصَلُ

ما يعني بالمفصل؟ قال: اللسان؛ قال: اغد عليَّ لأحدثك». اهـ

٩- كانوا يعدون اللَّحن نذالة لا تليق بالشريف من الناس، فقد روى ابن الأنباري عن إسحاق ابن أبي إسرائيل، قال: «سمع أبو عمرو بن العلاء رجلًا يلحن؛ فقال: ألا أراك نذلًا بعدُ».

وقال الفراء: «أخبرني الكسائي عن أبي الدينار، قال: تعلَّم العربية؛ فإنها هي المروءة الظاهرة، وهي

=

ترتب الوضيع مراتب الأشراف». ومعنى: (ترتب). أي: تُنْزِلَه.

وقال مسلمة بن عبدالملك: «مروءتان ظاهرتان: الرياش والفصاحة». والرياش: نظافة الثياب.

١٠- كانوا يسقطون حرمة وهيبة من يلحن في كلامه، ففي إيضاح الوقف والابتداء، عن العتبي عن أبيه، قال: «استأذن رجل من جند الشَّام- له فيهم قدر- على عبدالملك بن مروان، وهو يلعب بالشطرنج؛ فقال: يا غلام! غطها بِسِبْنِيَّة- ثوب أبيض- فهذا شيخ له جلالة، ثم أذن له، فلما كلَّمه، وجده يلحن؛ فقال: يا غلام أكشفها، ليس للاحن حرمة!».

= فإذا كان هذا التشديد في شأن اللَّحن فيما يخص كلام الناس فيما بينهم، فإنه في كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسوله ﷺ أشد وأشد، ويكون المنع منه أوكد وآكد، ومما يدل على ذلك ما ثبت في مسند أحمد، وصحيح مسلم واللفظ له عن عدى بن حاتم، أن رجلًا خطب عند النبي ﷺ، فقال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى؛ فقال رسول الله ﷺ: بئس الخطيب أنت! قل: ومن يعص الله ورسوله- أي: فقد غوى-». اهـ

فإذا كان هذا فقط في تعليم الأدب في المنطق، وكراهية الجمع بين اسم الله تعالى واسم غيره بضمير واحد، فكيف بمن يلحن اللحن الشديد فيما يبلغه عن ربه عَزَّوَجَلَّ أو رسوله ﷺ من العقائد والشرائع والأحكام؟

ففي تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٢) قال إبراهيم الحربي: «كان أبو حنيفة طلب النحو في أول أمره، فذهب يقيس فلم يحسن، وأراد أن يكون فيه أستاذًا؛ فقال: قلب وقلوب، وكلب وكلوب! فقيل له: كلب وكلاب؛ فتركه ووقع في الفقه، فكان يقيس ولم يكن له علم بالنحو، فسأله رجل بمكة، فقال له: رجل شجَّ رجلًا بحجر؟ فقال: هذا خطأ! ليس عليه شيء، لو أنه حتى يرميه بأبا قبيس؛ لم يكن عليه شيء!». اهـ

وخطأ أبي حنيفة في حكم المسألة أشد علينا من خطأه في اللحن.

روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٣/ ٤٣٩) عن خالد بن يزيد بن أبي مالك قال: «أحلَّ أبو حنيفة الزنى، وأحلَّ الربا، وأهدر الدماء! فسأله رجل: ما تفسير هذا؟! فقال: أما تحليل الربا؛ فقال: درهم وجوزة بدرهمين نسيئة لا بأس به! وأما الدماء؛ فقال: لو أن رجلًا ضرب رجلًا بحجرٍ عظيمٍ فقتله، كان على العاقلة ديته! ثم تكلَّم في شيء من النحو فلم يحسنه، ثم قال: لو ضربه بأبا =



قبيس كان على العاقلة! قال: وأما تحليل الزنى، فقال: لو أن رجلًا وامرأة أصيبا في بيتٍ وهما معروفا الأبوين، فقالت المرأة: هو زوجي، وقال هو: هي امرأتي؛ لم أعرض لهما! قال أبو الحسن النجاد: وفي هذا إبطال الشرائع والأحكام». اهـ

ومع ما قيل في تشديد السَّلف في أمر اللحن، إلا أنه لا ينبغي للعبد أن يصرف همه وهمته ووقته في تعلم العربية والنحو والمنطق؛ فإن هذا يشغله عما هو أهم منه، يكفيه إصلاح غلط لسانه ومعرفة النطق الصحيح دون لحن.

قال ابن رجب الحنبلي في رسالته القيمة فضل علم السلف على الخلف (١/ ٣): «وكذلك التوسع في علم العربية لغة ونحوًا هو مما يشغل عن العلم الأهم، والوقوف معه يُحْرِم علمًا نافعًا، وقد كره القاسم بن مخيمرة علم النحو، وقال: أوله شغل وآخره بغي. وأراد به التوسع فيه؛ ولذلك كره أحمد التوسع في معرفة اللغة وغريبها، وأنكر على أبي عبيد- القاسم بن سلام صاحب كتابنا هذا- توسعه في ذلك، وقال: هو يشغل عما هو أهم منه. ولهذا يقال: إن العربية في الكلام كالملح في الطعام؛ يعني: أنه يؤخذ منها ما يصلح الكلام، كما يؤخذ من الملح ما يصلح الطعام، وما زاد على ذلك فإنه يفسده». اهـ

ووقوع اللحن أحيانًا من الإنسان لا يعيبه؛ فإن هذا أمرًا لا يسلم منه أحد، قال سفيان الثوري: «ليس يكاد يفلت من الغلط أحد».

وفي الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (١/ ١٨٧) عن أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي- صاحب السنن- قال: «لا يُعاب اللحن على المحدثين، وقد كان إسماعيل بن أبي خالد يلحن، وسفيان، ومالك بن أنس، وغيرهم من المحدثين».

وعن عبدالله ابن الإمام أحمد، قال: «كان إذا مرَّ بأبي لحن فاحش غيَّره، وإذا كان لحنًا سهلًا تركه، وقال: كذا قال الشيخ».

وعن أبي حاتم الرازي، قال: سمعت سعيد بن عفير، يقول: قال مالك بن أنس: «كل حديث للنبي ﷺ يؤدى على لفظه وعلى ما روي، وما كان عن غيره، فلا بأس إذا أصاب المعنى».

وقد ذكر المبرَّد في كتاب: اللّحنَةَ عن محمد بن القاسم عن الأصمعي، قال: «دخلت المدينة على مالك بن أنس فما هِبْتُ أحدًا هيبتي له، فتكلّم فَلَحَنَ، فقال: مُطِرْنا البارَحةَ مَطَرًا أي مَطَرًا، فَخَفَّ

=





في عيني. فقلت: يا أبا عبدالله! قد بَلَغْتَ من العلم هذا المبلغ فلو أصلحتَ من لسانك. فقال: فكيف لو رأيتم ربيعة؟ كُنّا نقول له: كيف أصبحت؟ فيقول: بخيرًا بخيرًا!». اهـ

وقال ابن الفرضي في ترجمة ابن وضاح- صاحب كتاب البدع-: «له خطأ كثير محفوظ عنه، ويغلط ويصحف، ولا علم له بالعربية». يعني: ابن وضاح، وهو إمام أهل الأندلس في عصره.

ويخشى على من يُبالغ في تعلم النحو والعربية أن يكون اهتمامهم بالنحو واشتغالهم به على حساب العلم النافع والعمل الصالح وعما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم.

روى الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (١/ ٩١) عن مالك بن دينار، قال: «تلقى الرجل وما يلحن حرفًا، وعمله لحن كله».

وقال إبراهيم بن أدهم: «أعربنا في الكلام فما نلحن، ولحنا في الأعمال فما نعرب».

وقال بعض الزهاد:

لم نؤت من جهلٍ ولكننا ... نستر وجه العلم بالجهل
نكره أن نلحن في قولنا ... ولا نبالي اللحن في الفعل

وعن علي بن نصر، عن أبيه، قال: «رأيت الخليل بن أحمد في النوم، فقلت في منامي: لا أرى أحدًا أعقل من الخليل، فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: أرأيت ما كنا فيه! فإنه لم يكن شيء أفضل من: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

وقال: «رأيت الخليل بن أحمد في المنام فقلت له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي، قلت: بم نجوت؟ قال: بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قلت: كيف وجدت علمك- أعني العروض، والأدب، والشعر؟ قال: وجدته هباءً منثورًا».

وعن ابن أبي أويس- هو ابن أخت الإمام مالك- قال: «حضر رجل من الأشراف عليه ثوب حرير، قال: فتكلم مالك بكلام لحن فيه، قال: فقال الشريف: ما كان لأبوي هذا درهمان ينفقان عليه ويعلمانه النحو؟ قال: فسمع مالك كلام الشريف، فقال: لأن تعرف ما يحل لك لبسه مما يحرم عليك خير لك من (ضرب عبدُالله زيدًا)، (وضرب زيدٌ عبدَالله)». اهـ



باب: المراء في القرآن والاختلاف في وجوهه وما في ذلك من التغليظ والكراهة

٦٣١ – حدثنا حجاج، عن شعبة، عن عبدالملك بن ميسرة الزراد، عن النَّزَّال بن سبرة

عن ابن مسعود ط، قال:

سمعت رجلاً يقرأ آية، وسمعت من رسول الله ق خلافها، فأتيت رسول الله ق فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الغضب، ثم قال: «كلاكما محسن، إن من قبلكم اختلفوا؛ فأهلكهم ذلك».

قال: قال شعبة: وحدثني عنه مسعر، ورفعه إلى عبدالله ط عن النبي ق أنه قال: «فلا تختلفوا فيه».

قال: وأكثر علمي أني قد سمعته منه، ولكني أشك فيه[1].

حدثنا أبو النضر، عن شيبان، عن عاصم، عن زر بن حبيش

عن عبدالله ط في هذا الحديث، قال:

فأتيت رسول الله ق وعنده رجل أسمر، له كذا وكذا- يعني عليًا ط- قال: فذكرت ذلك للنبي ق. فقال عليٌّ ط- ولا أدري أشيء

(١) رواه أحمد، والبخاري. والرجل هو: أُبَي بن كعب ط.

أسره إليه رسول الله ق أم أسمعه، أم علم الذي في نفسه، فتكلم بـه؟- قال: إن رسول الله ق يأمركم أن يقرأ كل رجل ما عُلِّم[(١)].

٦٣٢ - حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن الزهري

عن عبدالله بن عمرو بن العاص م، قال:

صلينا مع رسول الله ق الغداة، فتنحى ناس من أصحابه في بعـض حجر أزواجه يقرءون القرآن، فتنازعوا في شيء منه[(٢)]، وأنا منتبذ عنهم، فخرج عليهم رسول الله ق مغضبًا، فقـال: «إن القـرآن يـصدق بعـضه بعضًا، فلا تكذبوا بعضه ببعض؛ ما علمتم منه فاقبلوه، وما لم تعلموا منه فكلوه إلى عالمه»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والآجري في الشريعة، وابن بطة في الإبانة الكبرى.

قال ابن بطة في الإبانة الكبرى بعد هذا الحديث: «فهذا بيان المـراء في القـرآن؛ الـذي يخـاف عـلى صاحبه الكفر، وقد كفي المسلمون بحمد الله المراء في هذا الوجه بإجماعهم على المصحف الذي مـن خالفه ندَّ وشرد وشذَّ، فلم يلتفت إليه، ولم يعبأ الله بشذوذه، وقد بقي المراء الذي يحـذره المؤمنـون، ويتوقاه العاقلون؛ وهو المراء الذي بين أصـحاب الأهـواء وأهـل المـذاهب والبـدع، وهـم الـذين يخوضون في آيات الله ويتبعون المتشابه منه؛ ابتغـاء الفتنـة وابتغـاء تأويلـه- الـذي لا يعلمـه إلا الله والراسخون في العلم- يتأولونه بأهوائهم، ويفسرونه بأهوائهم، ويحملونه على مـا تحملـه عقـولهم؛ فيضلون بذلك، ويُضلون من اتبعهم عليه». اهـ

(٢) وفي رواية أحمد: أنهم كانوا يتنازعون في القدر، هذا ينزع آية، وهذا ينزع آية.

(٣) رواه أحمد في مسنده، والبخاري في خلق أفعال العباد. وفي لفظ: «ما علمتم منه؛ فقولوا به».



قال: قال عبدالله بن عمرو م فما اغتبطت نفسي بشيء اغتبـاطي بانتباذي عنهم، إذ لم تصبني عُتبى رسول الله ق[(١)].

وحدثني أبو اليمان، عن شعيب بن أبي حمزة، عن ابن شهاب، قال: حدثني عمرو بن شعيب بـن محمد بن عبدالله بن عمرو، أن عبدالله بن عمرو م، قال: صليت مع رسول الله ق فجلست ناحيـة، ثم ذكر مثل حديث ابن كثير عن الأوزاعي.

وحدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب، عمن لا نتهم، عن عبدالله بن عمرو م، عن النبي ق مثل ذلك.

وحدثني ابن أبي عدي، عن حسين المعلم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن عبدالله ابن عمرو م، عن النبي ق مثل ذلك.

٦٣٣ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن يزيـد بـن الهـاد، عـن محمـد بـن إبـراهيم التيمي، عن بُسر بن سعيد

عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص:

أن عمرو بن العاص ط أتى رسول الله ق ورجل، قد اختلفـا في آية، فقال له رسول الله ق:

---

(١) فانظر كيف كان الصحابة ن يعدون الفرار من مجالس المراء واللغو واللغط والجـدال مـن أشد الغبطة، فإذا عرفت هذا؛ ارتعت لما تراه اليوم من حرص الناس – لاسـيما القُـراء مـنهم – عـلى حضور هذه المجالس بدعوى المناظرة، وإفحام الخصم، والردِّ عـلى المخـالفين، والله المـستعان عـلى تغيُّر الزمان.



«لا تماروا في القرآن، فإن مراء فيه كفر»(١).

٦٣٤ – حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن يزيد بن خصيفة، عن مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي، أو بسر بن سعيد

عن أبي جهيم الأنصاري ط، قال:

قال رسول الله ق: «لا تماروا في القرآن، فإن مراء فيه كفر»(٢).

٦٣٥ – حدثنا يزيد، عن زكريا بن أبي زائدة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبي سلمة

عن أبي هريرة ط، قال:

قال رسول الله ق: «مراء في القرآن كفر»(٣).

(١) تقدَّم تخريجه والتعليق عليه في الحديث ذي الرقم: (٥٩٩).

(٢) تقدَّم برقم: (٥٩٨).

(٣) رواه أحمد، ومن طريقه أبو داود، ورُوي بلفظ: «جدال»، و«مراء».

وقال البغوي في شرح السُّنة (١/ ٢٦١): «اختلفوا في تأويله، فقيل: معنى المراء: الشك، كقوله سبحانه وتعالى: «فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ»، أي: في شك، وقيل: المراء: هو الجدال المشكك؛ وذلك أنه إذا جادل فيه، أداه إلى أن يرتاب في الآي المتشابهة منه، فيؤديه ذلك إلى الجحود، فسماه كفرًا باسم ما يُخشى من عاقبته إلا من عصمه الله. وتأوله بعضهم على المراء في قراءته، وهو أن ينكر بعض القراءات المروية، وقد أنزل الله القرآن على سبعة أحرف، فتوعدهم بالكفر؛ لينتهوا عن المراء فيها، والتكذيب بها، إذ كلها قرآن منزل يجب الإيمان به. وقيل: إنما جاء هذا في الجدال بالقرآن من الآي التي فيها ذكر القدر والوعيد، وما كان في معناهما على مذهب أهل الكلام والجدل». اهـ



٦٣٦ – حدثنا مالك بن إسماعيل، عن أبي قدامة، قال: حدثنا أبو عمران الجَوني

عن جندَب بن عبدالله البجلي ط، قال:

قال رسول الله ق: «اقرؤا القرآن ما اتفقتم عليه». أو قال: «ما اتفقت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه؛ فقوموا عنه»[1].

وحدثنا حجاج، عن حماد بن زيد، عن أبي عمران الجوني، عن جندب بن عبدالله ط، قال: قال: ولا أعلمه إلا رفعه أنه قال مثل ذلك.

وحدثنا حجاج، عن شعبة، عن أبي عمران الجوني، قال: سمعت جندب بن عبدالله ط، يقول ذلك، ولم يذكر الرفع.

وحدثنا محمد بن كثير، عن عبدالله بن شوذب، عن أبي عمران الجوني، قال: كنا نأتي جندب بن عبدالله ط، فيقول لنا ذلك أيضًا ولم يرفعه.

وحدثنا معاذ بن معاذ، عن ابن عون، عن أبي عمران الجوني، عن عبدالله بن الصامت، أن عمر ابن الخطاب ط قال ذلك. ولم يذكره ابن عون عن جندب ط.

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم.
ورواه أبو يعلى في مسنده، وفيه زيادة؛ قال جندب: «وكنت على عهد رسول الله ق غلامًا حزوّرًا». الحزوّر: القوي الشديد.
ومعنى: «فقوموا عنه». أي: انتهوا عن الكلام فيه وتفرقوا؛ لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشَّرِّ.

٦٣٧ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم

عن شعيب بن الحَبْحَاب، قال:

كان أبو العالية الرياحي إذا قرأ عنده رجل لم يقل: ليس كما تقرأ، ويقول: أما أنا؛ فأقرأ كذا وكذا[١].

قال شعيب: فذكرت ذلك لإبراهيم؛ فقال: أرى صاحبك قد سمع أنه من كفر بحرف منه؛ فقد كفر به كله[٢].

٦٣٨ – حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبدالملك، عن عطاء

عن ابن عباس م، قال:

لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؛ فإن ذلك يوقع الشَّك في قلوبكم[٣].

---

(١) وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور (٥/ ١١٥) عن شعيب بن الحبحاب، عن أبي العالية، قال شعيب: «قرأ رجل عنده هذه الآية: «يوم تأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسٌ إيمانها»، فلم يغيِّر– وكان لا يغيِّر على أحدٍ قراءةً يقرؤها– ثم قال هو: «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا»، فذكرتُ هذا الحديث لإبراهيم، فقال: أحسب صاحبكم قد بلغه أمرٌ أو سمع، أنَّ من كفر بحرف منه؛ فقد كفر به كله».

(٢) قائل هذه العبارة هو ابن مسعود ط، كما رواه عبدالرزاق في مصنفه عن إبراهيم، عنه ط قال: «من كفر بحرف من القرآن؛ فقد كفر به أجمع، ومن حلف بالقرآن؛ فعليه بكل آية منه يمين».

(٣) هذا ملمح عظيم ينبغي للعبد الوقوف عنده طويلًا بتأملٍ وتدبر، فإنَّ تغيير الثوابت وضرب =

الأصول وزعزعة الاعتقاد يورث الشَّك في قلوب العامة، ويحملهم على الكفر بالله، فإنَّ العامة إذا كانت تعظم الشعائر؛ فدعهم وشأنهم- لاسيما وهم يفعلونها على أصل صحيح- ولا يجوز الإقدام على تشكيكهم فيها، كهذا المثال الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؛ فإن ذلك يوقع الشَّك في قلوبكم»، فإن هذا الضرب والتراجع والتنازع في كتاب الله يؤدي إلى نزع هيبته من قلوب الناس، ومِن ثَمَّ يتجرؤن على كتاب الله، ويَدَّعون فيه الاختلاف والتناقض، بل نفعل كما قال النبي ﷺ: «انظروا الذي أمرتم به؛ فاعملوا به، والذي نهيتم عنه؛ فانتهوا». وفي رواية قال: «وما تشابه؛ فآمنوا به».

ومن ذلك ما يفعله بعض أئمة المساجد- هداهم الله- حيث يقرؤن على الناس في الصلاة بقراءة مختلفة عن قراءتهم التي يقرؤن بها، كمن يقرأ في الصلاة برواية ورش عند قوم يقرؤن برواية حفص! فيرده العامة ظنًّا منهم أنه قد أخطأ؛ فيحدث ذلك بلبلة وتشويشًا في الصلاة، وهذا كله لا يجوز.

وقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بيانًا بذلك في الفتوى رقم (١٨٦٨٩)، فقالت: «ليس لإمام المسجد أو القارئ أن يقرأ القرآن الكريم في الصلاة وفي مجامع الناس إلا بالقراءة المعروفة المشهورة في البلد الذي هو فيه، وسواء كانت قراءة أهل ذلك البلد لحفص أو ورش أو قالون أو غيرها من القراءات المتواترة، وذلك دفعًا للتشويش وإثارة البلبلة عند العامة، أما إذا قرأ الإنسان لنفسه أو في حلقات التعليم ونحوها بقراءة أخرى لأجل التعليم، فهذا حسن وفيه الكفاية في تعلم هذا العلم وتعليمه». اهـ

وقد كان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أكثر الناس عملًا بهذا الأصل، وكان كلما رأى أمرًا جديدًا حادثًا يشوش على العامة؛ يقول قولته الشهيرة: «أحدثت في مسجدنا أو في بلدنا شيئًا، ما كنا نعرفه».

ومن ذلك أيضًا التشكيك في الصلاة، كمن يدعي أن صلاة الفجر الآن تصلى قبل وقتها الصحيح بنحوٍ من نصف ساعة أو يزيد، فيؤدي ذلك إلى الوسوسة في أمر الصلاة، ومن ثَمَّ التهاون فيها، ثم تركها بالكلية! وقد حدث ذلك لبعض الناس، ولهذا عشرات الأمثلة لمن تأمله.

٦٣٩ - حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال:

قال عبدالله ط:

ليس الخطأ: أن يدخل بعض السورة في الأخرى، ولا أن يختم الآية بحكيم عليم، أو عليم حكيم، أو غفور رحيم. ولكن الخطأ: أن يجعل فيه ما ليس منه، أو أن يختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة.

قال أبو عبيد:

أرى عبدالله ط إنما أراد بهذا: أنه إذا سمع السامع من يقرأ هذه الحروف من نعت الله عَزَّوَجَلَّ لم يجز له أن يقول: أخطأت، لأنها كلها من نعوت الله، ولكن يقول: هو كذا وكذا، على ما قال أبو العالية.

وليس وجهه أن يضع كل حرف من هذا في موضع الآخر، وهو عامد لذلك. فإذا سمع رجلاً ختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة، فهناك يجوز له أن يقول: أخطأت. لأنه خلاف الحكاية عن الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهذا عندنا مذهب عبدالله ط في الخطأ[1].

---

(١) ما قاله ابن مسعود ط، وأقره عليه أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد كان رخصةً في أول الإسلام، أَمَا وقد كُتب المصحف الإمام واجتمع عليه الناس؛ فلا يجوز لأحد أن يضع: (حكيم عليم) موضع (عليم حكيم)، ولا (رحيم غفور) موضع (غفور رحيم)، ومن فعل ذلك الآن عامدًا، يقال له: أخطأت، كمن ختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة؛ لأنه خالف رسم المصحف وخالف إجماع الصحابة ن.

=



باب: عرض القراء للقرآن وما يستحب لهم من أخذه عن أهل القراءة، واتباع السلف فيها والتمسك بما تعلمه به منها

٦٤٠ - حدثنا ابن أبي عدي، عن داود بن أبي هند

عن الشعبي:

أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان يعارض النبي ﷺ بما أنزل عليه في سائر السنة في شهر رمضان[(١)].

قال البيهقي في السنن الصغير (١/ ٥٦٨): «يحتمل أنه إنما جاز قراءة بعضها بدل بعض؛ لأن كل ذلك مُنَزل، فإذا أبدل بعضها ببعض؛ فكأنه قرأ من ههنا ومن ههنا، وكل قرآن، وأطلق لكاتب الوحي كتابة ما شاء من ذلك؛ لأن النبي ﷺ كان يُعرض عليه القرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قُبض فيه عرض عليه مرتين، فكان الاعتبار بما تقع عليه القراءة عند إكمال الدين وتناهي الفرائض، فكان لا يبالي بما يكتب قبل العرض من اسم من أسماء الله مكان اسم، فلما استقرت القراءة على ما اجتمعت عليه الصحابة وأثبتوه في المصاحف على اللغات التي قرءوه عليها، صار ذلك إمامًا يقتدى به، لا يجوز مفارقته بالقصد إلا أن يزل الحفظ فيبدل اسمًا باسم من غير قصد، فلا يَحْرَج من ذلك إن شاء الله». اهـ

(١) هذه المعارضة لم تكن قاصرة على الحفظ فقط، بل كانت لتصحيح القراءة، ومعرفة الكيفية التي تتلى بها حروف القرآن وتؤدى بها على أكمل وجه وأحسنه، وليكون ذلك سنة في حق الأمة للقراءة على الشيوخ، ولهذا قال تعالى: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ - فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ - ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ». ففي هذه الآيات دليل على أن الله تعالى قد تكفل لنبيه ﷺ أن يجمع القرآن في صدره، كما في قوله: =

٦٤١ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب

عن ابن سيرين، قال:

نُبئت أن القرآن كان يعرض على رسول الله ﷺ كل عام مرة في شهر رمضان، فلما كان العام الذي توفي فيه عرض عليه مرتين.

قال ابن سيرين: فيرون، أو فيرجون أن تكون قراءتنا[(١)] هذه أحدث القراءتين عهدًا بالعرضة الأخيرة[(٢)].

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾، وأنَّ عليه أيضًا بيان القراءة وكيفيتها وصفة أدائها، كما في قوله: ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾، ثم أمره باتباع ذلك كله، فقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾. أي: فاتبع قراءته. وقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾.

(١) يعني: التي نقرأ بها الآن في مصاحفنا، والتي جمعها وكتبها زيد بن ثابت بأمر من عثمان ﷺ.

(٢) وفي مسند أحمد عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: «أي القراءتين كانت أخيرًا: قراءة عبدالله، أو قراءة زيد؟ قلنا: قراءة زيد، قال: لا، إلا إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل كل عام مرة، فلما كان في العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين، وكانت آخر القراءة: قراءة عبدالله».

وفي رواية أخرى في المسند، قال ابن عباس ﷺ: «أي القراءتين تعدون أول؟ قالوا: قراءة عبدالله، قال: لا، بل هي الآخرة، كان يُعرضُ القرآنُ على رسول الله ﷺ في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه، عُرِض عليه مرتين، فشهده عبدالله، فعلم ما نسخ منه وما بُدِّل».

وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور (١/ ٢٤٦) عن ابن سيرين، قال: «نُبِّئت أن ابن مسعود كان يقول: لو أعلم أحدًا تبلغنيه الإبل أحدث عهدًا بالعرضة الآخرة مني؛ لأتيته، أو: لتكلفت أن آتيه».

ولكن الصحيح أن قراءة زيد هي آخر ما عرض على النبي ﷺ، ولهذا اعتمدها الصحابة ﷺ في كتابة المصحف الإمام، وأما ابن مسعود ﷺ فلم يختلف العلماء في أنه لم يكن على عهد النبي ﷺ قد جمع القرآن كله. بل قال: «إني جمعت منه على عهد النبي ﷺ بضعًا وسبعين سورة»، وقال: «تلقيت من فيِّ رسول الله ﷺ سبعين سورة».

=

٦٤٢ – حدثنا حجاج، عن شعبة، قال: سمعت قتادة، يحدث

عن أنس بن مالك ط:

أن رسول الله ق قال لأبي بن كعب ط: «إني أمرت أن أقرأ عليك» أو قال: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: @لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ! [البينة:١] فقال: أوسمَّاني؟ قال: «نعم». قال: فبكى[(١)].

فالذي يظهر أن قراءة ابن مسعود ط لم تكن عرضة كاملة، وقد جاءت عنه حروف تخالف رسم المصحف، ولهذا تُركت قراءة ابن مسعود اليوم، ومنع مالك بن أنس وغيره أن يقرأ بها.

وقد روى أبو عمرو الداني في كتابه التحديد (١/ ٨٣)، وابن عبدالبر في التمهيد (٨/ ٢٧٨) أن عمر بن الخطاب ط سمع رجلًا يقرأ في سورة يوسف: (ليسجننه عتى حين)، فقال له عمر: «من أقرأكها؟! قال: أقرأنيها ابن مسعود، فقال له عمر ط: «حَتَّىٰ حِينٖ »، وكتب إلى ابن مسعود ط: سلام عليك، أما بعد: فإن الله أنزل هذا القرآن، فجعله قرآنًا عربيًّا مبينًا، وأنزله بلغة هذا الحي من قريش، فإذا جاءك كتابي هذا؛ فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسَّلام». اهـ

وأما زيد بن ثابت ط فقد خصَّه أبو بكر الصديق ط بجمع القرآن في السَّعف والجريد، ولم يخالفه فيه أحد من الصحابة ن.

ثم خصَّه عمر ط بجمعه في الصحيفة، ولم يخالفه أحد من الصحابة ن.

ثم خصَّه عثمان ط بجمع المصحف مع غيره، ولم يخالفه فيه أحد من الصحابة ن، مع كونه كان يكتب الوحي لرسول الله ق؛ ولهذا قال الشعبي: «غلب زيد بن ثابت الناس بالقرآن والفرائض».

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي.

٦٤٣ – حدثنا يحيى بن سعيد، عن الأجلح بن عبدالله، عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبـزى، عن أبيه

عن أبي بن كعب، أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله أمرني أن أعرض القرآن عليك»؛ فقال: أسمَّاني لك ربك؟ قال: «نعم». فقال أبي: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون». هكذا القراءة بالتاء[1].

قال أبو عبيد:

معنى هذا الحديث عندنا أن رسول الله ﷺ إنما أراد بـذلك العـرض على أُبي رضي الله عنه أن يتعلم منـه القـراءة، ويـستثبت فيهـا، وليكـون عـرض القرآن سنة، وليس هذا على أن يستذكر النبي ﷺ منه شيئًا بذلك العرض[2].

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود. وكان ابن عامر يقرأها هكذا: (خير مما تجمعون) بالتـاء، أي: تجمعـون أنتم من أعراض الدنيا، وقرأ الباقون: (فليفرحـوا)، و(يجمعـون) باليـاء عـلى معنـى الغائـب، أي: ليفرح المؤمنون بفضل الله وبرحمته، فإن هذا خير مما يجمعه الكافرون في الدنيا.

وحديث أبي بن كعب هذا أصل في أخذ القرآن مشافهة من أفواه المقرئين، وقد قرأ النبي ﷺ على أُبيٍّ، ليعلمه طريقة التلاوة وترتيلها، وعلى أي صفة تكون قراءة القرآن.

(٢) وقال أبو عمرو الداني في التحديد (١/ ٨١) موضِّحًا الحكمة من قـراءة رسـول الله ﷺ عـلى أبي: «في هذا الحديث أيضًا أصلٌ كبيرٌ في وجوب معرفة تجويد الألفاظ وكيفية النطق بالحروف، على هيئتها وصيغتها، وأن ذلك لازم لكل قراء القرآن أن يطلبوه ويتعلموه، وواجب على جميع المتـصدرين أن يأخذوه ويعلموه؛ اقتداء برسول الله ﷺ فيما أمر به، واتباعًا له على ما أكده بفعله؛ ليكون سنة يتبعها
=



٦٤٤ – حدثني هشام بن عمار، قال: حدثني أبو الضحاك عراك بن خالد بن صالح بن صبيح المري، قال:

سمعت يحيى بن الحارث الذِّماري[١]، يقول:

كنت ختمت القرآن على عبدالله بن عامر اليحصبي[٢]، وقرأه عبدالله بن عامر على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وقرأه المغيرة على عثمان بن عفان ط ليس بينه وبينه أحد.

٦٤٥ – حدثنا حجاج، عن هارون

عن عاصم ابن بهدلة:

أنه قرأ القرآن على أبي عبدالرحمن السُّلمي، وزر بن حُبيش. قال: وقرأ أبو عبدالرحمن على عليٍّ ط، وقرأ زر على عبدالله ط.

٦٤٦ – حدثنا أبو نعيم، عن شبل بن عباد، عن ابن أبي نجيح

عن مجاهد، قال:

عرضت القرآن على ابن عباس م ثلاث مرات[٣].

القراء، ويقتدي بها العلماء». اهـ

(١) تقدَّمت ترجمته في الأثر رقم: (٣٣٦).

(٢) تقدَّمت ترجمته في الأثر رقم: (٤٨٨).

(٣) مجاهد بن جبر، أبو الحجّاج القرشي المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد =



٦٤٧ - حدثنا حجاج، عن هارون

عن عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي:

أنه أخذ القراءة عن يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم الليثي.

سنة (٢١) في خلافة عمر بن الخطاب ط، وتوفي سنة (١٠٣)، وهو أحد أئمة التابعين والمفسّرين والمقرئين، ومن خاصة أصحاب ابن عباس م، اشتهر بقوة الحفظ، حتى قال فيه ابن عمر م، وهو آخذ بركابه: «وددت أن ابني سالمًا وغلامي يحفظان حفظك!».

وفي سنن الدارمي (٣/ ٣٣٨) عن مجاهد، قال: «لقد عرضت القرآن على ابن عباس م ثلاث عرضات؛ أقف عند كل آية، أسأله فيم أنزلت؟ وفيم كانت؟».

وروى الطبري في تفسيره (١/ ٩٠) عن ابن أبي مُليكة، قال: «رأيت مجاهدًا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحُه، فيقول له ابن عباس: اكتب. قال: حتى سأله عن التفسير كلِّه».

وعن أبان بن صالح، عن مجاهد، قال: «عرضتُ المصحفَ على ابن عباس ثلاث عَرْضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها».

بل روى ابن سعد في الطبقات (٥/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٣١٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٨٠) عن مجاهد، قال: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة».

ولا تعارض بين الرِّوايتين، فالأولى: لضبط الحروف ومعرفة الوقوف، والثانية: للعلم والتفسير وأسباب النزول؛ ولأجل ذلك كان أكثر الأئمة يعتمدون على تفسير مجاهد؛ كالثوري، والشافعي، وأحمد، والبخاري.

وروى ابن جرير في تفسيره (١/ ٩١) عن أبي بكر الحنفي، قال: «سمعت سفيان الثوري، يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد؛ فحسبُكَ به».

وكان أكثر الذي ينقله الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتبه، إنما هو عن ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وكذلك البخاري في صحيحه يعتمد على تفسير مجاهد.

وأما الإمام أحمد؛ فكان هو وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره.



٦٤٨ - حدثنا إسماعيل بن جعفر:

أنه قرأ القرآن على عيسى بن وردان الحذاء.

قال: وقرأت القرآن أيضًا على سليمان بن مسلم بن جماز، وقرأ سليمان على أبي جعفر يزيد بن القعقاع مولى عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة.

قال: قال سليمان: وأخبرني أبو جعفر أنه كان يمسك المصحف على عبدالله بن عياش، وعنه أخذ القراءة.

قال سليمان: وأخبرني أبو جعفر أنه كان يقرئ القرآن في مسجد رسول الله ﷺ قبل الحرة، وكانت الحرة سنة ثلاث وستين.

قال إسماعيل: وقرأت القرآن على شَيْبة بن نِصاح مولى أم سلمة. قال: وكان إمام أهل المدينة في القراءة. قال: وكان قديمًا.

قال إسماعيل: أخبرني سليمان بن مسلم أن شيبة أخبره أنه أُتي به أم سلمة ؓ، وهو صغير، فمسحت رأسه، وبركت عليه.

قال إسماعيل: ثم هلك شيبة، فتُركتْ قراءته، وقرأت بقراءة نافع ابن عبدالرحمن بن أبي نعيم[1].

(١) جميع الأسماء التي ذُكرت آنفًا هي لأئمة القُراء في ذاك العصر، وليس لهم تراجم مفصَّلة في =

٦٤٩ - قال أبو عبيد: حدثني عدة من أهل العلم دخل حديث بعضهم في بعض

عن أبي عمرو بن العلاء:

أنه قرأ القرآن على مجاهد، وسعيد بن جبير.

وعن سفيان بن عيينة، عن حميد الأعرج؛ أنه قال:

إنما أقرأ القرآن على قراءة مجاهد.

وعن الأعمش؛ أنه قرأ على يحيى بن وثاب.

وعن حمزة الزيات:

أنه قرأ على حمران بن أعين، وكانت هذه الحروف التي يرويها عن الأعمش إنما أخذها عن الأعمش أخذًا، ولم يبلغنا أنه قرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره.

وعن أبي بكر بن عياش؛ أنه قرأ على عاصم ابن بهدلة[1].

كتب التراجم، ومن أراد بنفسه الوقوف على شيء من أخبارهم، فليراجع: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام، ومعرفة القراء الكبار، وغاية النّهاية في طبقات القرّاء.

(١) من المعلوم أن طرق أخذ العلم - وخاصة قراءة القرآن - كثيرة، ولكن العرض على الشيوخ هو المقدَّم عند القراء؛ لأن فيه تمام الضبط والإتقان، وبتقديم العرض على السماع أخذ بعض العلماء والمحدِّثين؛ قال مالك بن أنس لأحد طلابه: «قراءتك عليَّ أصح من قراءتي عليك».

وقال شعبة: «القراءة عندي أثبت من السماع».

=



قال أبو عبيد:

وإنما نرى القراء عرضوا القراءة على أهل المعرفة بها، ثم تمسكوا بما علموا منها مخافة أن يزيغوا عما بين اللوحين بزيادة أو نقصان، ولهذا تركوا سائر القراءات التي تخالف الكتاب، ولم يلتفتوا إلى مذاهب العربية فيها إذا خالف ذلك خط المصحف، وإن كانت العربية فيها أظهر بياناً من الخط، ورأوا تتبع حروف المصاحف، وحفظها عندهم كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها، وقد وجدنا هذا المعنى في حديث مرفوع وغير مرفوع(١):

وفي المحدِّث الفاصل (١/ ٩٦) قال موسى بن داود: «القراءة أثبت من الحديث؛ وذلك أنك إذا قرأت عليَّ، شغلت نفسي بالإنصات لك، وإذا حدثتك، غفلت عنك».

وأما السُّنة فجاءت بالأمرين معًا، فقد قرأ النبي ﷺ على أبي بن كعب، وأمر ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه.

(١) بل هذا المعنى موجود ابتداءً في القرآن، قبل الأحاديث والآثار:

قال تعالى: «وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ - قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ».

وقال تعالى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ - لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ - ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ - فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ».

وقال تعالى: « وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ - إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ - عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ». وقد قرأ النبي ﷺ القرآن على أمته، كما قرأه عليه جبريل الأمين. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم».

وقال أبو عمرو الداني في كتابه جامع البيان في القراءات السبع (١/ ٥١): «أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية. بل على الأثبت في الأثر، =



والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت لا يردّها قياس عربية، ولا فشوّ لغة؛ لأن القراءة سنّة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها». اهـ

وعليه؛ فلا يجوز قراءة الآيات بالاجتهاد قياسًا على آيات أخرى؛ قال الشاطبي في حرز الأماني المعروف بمتن الشاطبية- البيت رقم (٣٥٤)-:

وَمَا لِقِيَاسٍ فِي الْقِرَاءة مَدْخَلٌ فَدُونَكَ مَا فِيهِ الرِّضَا مُتَكَفِّلَا

وقال ابن مجاهد: «ولم أرَ أحدًا ممن أدركت من القراء وأهل العلم باللغة وأئمة العربية يرخِّصون لأحد في أن يقرأ بحرف لم يقرأ به أحد من الأئمة الماضين، وإن كان جائزًا في العربية؛ بل رأيتهم يشددون في ذلك، وينهون عنه، ويروون الكراهة له عمن تقدَّم من مشايخهم؛ لئلا يجسر على القول في القرآن بالرأي أهلُ الزيغ، وينسبون مَن فعله إلى البدعة والخروج عن الجماعة، ومفارقة أهل القبلة، ومخالفة الأمة». اهـ

وقال أبو عمرو الداني في كتابه: التحديد في الإتقان والتجويد (١/ ٩٣): «جاء رجل إلى نافع، فقال: تأخذ عليَّ الحدر؟ فقال نافع: ما الحدر؟ ما أعرفها! أسمعنا، قال: فقرأ الرجل، فقال نافع: الحدر- أو قال: حَدْرُنَا-: أن لا نسقط الإعراب، ولا ننفي الحروف، ولا نخفف مشددًا، ولا نشدد مخففًا، ولا نقصر ممدودًا، ولا نمد مقصورًا، قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله ﷺ؛ سهل جزل، لا نمضغ ولا نلوك، ننبر ولا نبتهر، نسهل ولا نشدد، نقرأ على أفصح اللغات وأمضاها، ولا نلتفت إلى أقاويل الشعراء وأصحاب اللغات، أصاغر عن أكابر، مليّ عن وفيّ، ديننا دين العجائز، وقراءتنا قراءة المشايخ، نسمع في القرآن، ولا نستعمل فيه الرأي، ثم تلا نافع: « قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا »».

قال الداني مُعقِّبًا على هذه الرواية: «وهذا كلام من أيّد ووفّق ونُصر وفُهّم وجُعل إمامًا عالمًا وعلمًا، يُقْتفى أثره ويُتّبع سننه». اهـ

وما قيل في الحرف، يقال في الرسم؛ فإن الرسم العثماني- بنوعيه: القياسي والاصطلاحي- سنة توقيفية كذلك، أخذها الآخر عن الأول، ولما كتب عثمان المصاحف، ووجهها إلى الأمصار، حملهم على ما فيها، وأمرهم بترك ما خالفها، فقرأ أهل كل بلد في مصحفهم بما يوافق خط المصحف الذي =



٦٥٠ – حدثنا أبو النضر، عن شيبان، عن عاصم، عن زر، عن عبدالله ط

عن علي ط قال:

إن رسول الله ق يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما عُلِّم[1].

أرسل إليهم، وتركوا من قراءتهم التي كانوا عليها ما يخالف خط المصحف، وأجمع العلماء والقراء على ترك كل قراءة تخالف رسم المصحف الإمام.

وروى أبو عمرو الداني في كتابه: المقنع في رسم مصاحف الأمصار (١/ ١٩) عن أشهب، قال: «سئل مالك، فقيل له: أرأيت من استكتب مصحفًا اليوم، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكَتْبة الأولى».

قال أبو عمرو: «ولا مخالف له في ذلك من علماء الآمة».

وقال أيضًا: «سئل مالك عن الحروف تكون في القرآن، مثل الواو والألف، أترى أن تُغَيَّر من المصحف إذا وُجدت فيه كذلك؟ قال: لا».

قال أبو عمرو: «يعني: الواو والألف الزائدتين في الرسم، المعدومتين في اللفظ، نحو الواو في «أولئك» و«أولي» و«أولات» و«سأُوريكم» و«الربوا» وشبهه». اهـ

ونقل عن الإمام أحمد أنه يُحرِّم مخالفة مصحف الإمام في واوٍ أو ألفٍ أو ياء، أو غير ذلك.

وأكثر رسم المصحف قياسي؛ أي: أنه موافق لقواعد العربية، وللخط الإملائي، إلا أنه قد خرجت أشياء عنها؛ يجب علينا فيها اتباع مرسومها، مثل: «مُسْلِمَٰتٍ» بحذف الألف، و«يَسْتَوُۥنَ» بحذف الواو، ومثل «ٱلَّيْلِ» بحذف اللام، و«بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ، أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ» بزيادة الألف، ومثل: «ٱلصَّلَوٰةَ، ٱلزَّكَوٰةِ، ٱلْحَيَوٰةِ» بإبدال الألف واوًا، ومثل: «شَجَرَتَ، قُرَّتُ، ٱمْرَأَتَ» برسم هاء التأنيث تاءً مفتوحة كما في لغة طيئ؛ حيث كان الوقف عندهم بالتاء. ولم يكن ذلك من الصحابة ن عشوائيًّا، بل عن أمر مقصود عندهم؛ من ذلك: الدلالة على القراءات المختلفة والمتنوعة في الكلمة بحسب كل بلد أرسلت إليه نسخة من المصحف، كما سبق بيانه.

(١) تقدَّم برقم: (٦٣١).



٦٥١ - حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي وائل

عن عبدالله ط، قال:

إني قد سمعت القَرَأَة، فوجدتهم متقاربين، فاقرؤا كما علمتم، وإياكم والاختلاف والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هَلُمَّ، وتعال(١).

٦٥٢ - حدثنا ابن أبي مريم، وحجاج، عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران

عن عروة بن الزبير، قال:

إن قراءة القرآن سنة من السنن؛ فاقرءوه كما أُقرئتموه(٢).

---

(١) تقدَّم برقم: (٦١٨).

(٢) وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور، والمعجم الكبير عن ابن مسعود ط أنه كان يقرئ رجلًا، فقرأ الرجل: «إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ» مرسلة؛ فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله ق! فقال: وكيف أقرأكها؟ قال: أقرأنيها: «إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ» فمدَّها.

وفي الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٩٧) عن أبي علي الشقيقي، قال: «قلت لابن المبارك: إن الكسائي قد وضع كتابًا في إعراب القرآن، مثل (الحمدُ لله، والحمدَ لله، والحمدِ لله) فمن رفع حجته كذا، ومن نصب حجته كذا، ومن خفض حجته كذا، فكيف ترى في ذلك؟ فقال ابن المبارك: إن كانت هذه القراءة قرأ بها قوم من السَّلف من القُراء، فالتمس الكسائي المخرج لقراءتهم؛ فلا بأس به، وإن كانت قراءة لم يقرأ بها أحد من السَّلف من القراء، فاحتملها على الخروج على النحو؛ فأكرهه، قال أبو علي: ثم قدمت بعد ذلك بغداد والكسائي حيّ، فلقيت بها رجلًا من أهل نيسابور، يقال له: (مت) أخو حفص بن عبدالرحمن، وكان من أعلم الناس بالنحو والعربية، فأخبرته بقول ابن المبارك، فقال: أحسن أبو عبدالرحمن، وأعجبه قوله! ولكن أُخبرُك أن الكسائي، يقول: إن هذه الوجوه كلها؛ قراءة القُراء من السَّلف». اهـ

=



٦٥٣ - حدثنا حجاج، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، قال: قال لي خارجة بن زيد قال لي زيد بن ثابت ط: القراءة سنة[١].

وفي كتاب السَّبعة في القراءات لابن مجاهد (١/ ٤٨) قال الأصمعي: «قلت لأبي عمرو بن العلاء: «وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ» في موضع، «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ» في موضع، أيعرف هذا؟ فقال: ما يعرف إلا أن يُسمع من المشايخ الأولين». اهـ

(١) قال البغوي في شرح السُّنة (٤/ ٥١٢): «أراد به- والله أعلم- أن اتباع من قبلنا في الحروف وفي القراءة؛ سنة متبعة، لا يجوز فيها مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءة التي هي مشهورة، وإن كان غير ذلك سائغًا في اللغة، فقد أجمعت الصحابة ن والتابعون فمن بعدهم على هذا؛ أن القراءة سنة، فليس لأحد أن يقرأ حرفًا إلا بأثر صحيح عن رسول الله ق، موافق خط المصحف أخذه لفظًا وتلقينًا». اهـ

وقال البيهقي في معرفة السنن والآثار (٣/ ٣٢٩): «أراد قراءة القرآن على الحروف التي أثبتت في المصحف، الذي هو إمام؛ سنة متبعة، لا يجوز مخالفتها، وإن كان غيرها سائغًا في اللغة». اهـ

وهذا الأثر رواه الطبراني في المعجم الكبير، وقال: «زاد ابن أبي مريم- أحد الرواة-: يعني: ألا تخالف الناس برأيك في الاتباع». اهـ

وقال سيبويه في الكتاب (١/ ١٤٨): «إن القراءة لا تُخالف؛ لأنها السُّنَّة». اهـ

وقال أبو علي النحوي في الحجة (١/ ٢٩): «وليس كل ما جاز في قياس العربية تسوغ التلاوة به، حتى ينضم إلى ذلك الأثر المستفيض بقراءة السَّلف له وأخذهم به؛ لأن القراءة سنة».

وفي الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٩٦) عن شعيب بن دينار، قال: «سمعت محمد بن المنكدر، يقول: قراءة القرآن سنة؛ يأخذها الآخر عن الأول».

وفيه عن عليّ بن قطرب، عن أبيه، أنه قال: «القراءة سنة متبعة، لا تقرأ إلا بما أُثر عن العلماء، ولا تقرأ بما يجوز في العربية دون الأثر». اهـ

وروى البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٧) عن الشافعي محمد بن إدريس، قال: «حدثنا إسماعيل بن قسطنطين، قال: قرأت على شِبلٍ، وأخبر الشِّبلُ أنه قرأ على عبدالله بن كثير، وأخبر =

قال أبو عبيد:

فقول زيد ط هذا يبين لك ما قلنا؛ لأنه الذي ولي نسخ المصاحف التي أجمع عليها المهاجرون والأنصار، فرأى اتباعها سنة واجبة. ومنه قول ابن عباس م أيضًا:

٦٥٤ – حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عكرمة

عن ابن عباس م، قال: كل السُّنة قد عَلِمتُ، غير أني لا أدري أكان رسول الله ق يقرأ في الظهر والعصر أم لا؟[1] ولا أدري كيف يقرأ هذا الحرف: «وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا» أو قال: «عسِيًّا»؟[2]

عبدالله بن كثير أنه قرأ على مجاهد، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس، وأخبر ابن عباس م أنه قرأ على أُبَيٍّ ط، قال ابن عباس: وقرأ أُبَيٌّ على رسول الله ق». اهـ

(١) الصحيح بلا شك أن النبي ق كان يقرأ في الظهر والعصر، وقد ثبت ذلك من طرق كثيرة، منها: حديث أبي قتادة «أن النبي ق كان يقرأ في الظهر في الأوليين بأمِّ الكتاب وسورتين، وفي الركعتين الأخريين بأمِّ الكتاب، ويسمعنا الآية أحيانًا، ويطول في الركعة الأولى ما لا يطيل في الركعة الثانية، وهكذا في العصر، وهكذا في الصبح». متفق عليه.

وعن أبي معمر، قال: «قلنا لخباب: أكان رسول الله ق يقرأ في الظهر والعصر؟ قال: نعم، قلنا: بم كنتم تعرفون ذلك؟ قال: باضطراب لحيته». رواه البخاري.

وأما بخصوص ابن عباس م فقد رجع عن هذا، وروى عن النبي ق أنه كان يقرأ فيهما، كما في مصنف ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عنه، قال: «كان رسول الله ق يقرأ في الظهر والعصر».

(٢) وقوله «عسِيًّا»، قال في الصِّحاح: «عسى الشيخ، يعسو عسيًّا: ولى وكبر، مثل عتى».

=



قال أبو عبيد:

فرأى ابن عباس ﭬ أن السُّنة قد لزمت الناس في تتبع الحـروف في القراءة، حتى ميز فيها ما بين السين والتاء من «العـتي، والعـسي»، علـى أن المعنى فيهما واحد، فأشفق أن تكون إحـدى القـراءتين خارجـة مـن السُّنة.

فكيف يجوز لأحد أن يتسهل فيما وراء ذلك مما يخـالف الخـط، وإن كان ظاهر العربية على غير ذلك؟[1]



وعتى وعسى بمعنى واحد، واللغتان معروفتان: بالتاء وبالسين، يقال للعود اليابس: عودٌ عـاتٍ وعاسٍ، إذا نحل ويبس، وكل مُتَنَاهٍ إلى غايته في كِبر أو فساد أو كفر، فهو عاتٍ وعاسٍ.

والقراء الأربعة عشر قرءوا: «عِتِيًّا» بالتاء، غير أن حمزة والكسائي والأعمش وحفص يكسرون العين، وبقية القُراء يضمونها، أما (عسيًّا) فلا تجوز في القراءة؛ لأنها تخالف رسم المصحف.

(١) قال الزَّجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٨): «الأجود: اتباع القُراء ولزوم الرواية، فـإن القراءة سنة، وكلما كثرت الرواية في الحرف وكثرت به القراءة؛ فهو المتبع، ومـا جـاز في العربيـة ولم يقرأ به قارئ، فلا تَقْرأَنَّ به؛ فإن القراءة به بدعة، وكل مـا قَلَّـتْ فيـه الروايـة، وضـعُفَ عنـد أهـل العربية؛ فهو داخل في الشذوذ، ولا ينبغي أن تقرأ به». اهـ



باب: منازل القرآن بمكة والمدينة وذكر أوائله وأواخره

٦٥٥ – حدثنا محمد بن كثير، عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن

عن جابر بن عبدالله م، قال:

سمعت رسول الله ق يحدث عن فترة الوحي، فقال: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعبًا، فأتيت خديجة، قلت: زملوني زملوني، قال: فزملوني، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: @يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ - قُمۡ فَأَنذِرۡ! [المدثر:١](١).

٦٥٦ – حدثنا خالد بن عمرو، عن هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير

عن عبدالله بن إبراهيم

أن جابر بن عبدالله م أخبره أن أول شيء نزل من القرآن: @يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم.

وهذا اللفظ يقتضي أن الوحي قد نزل قبل هذا، لقوله: «فإذا الملك الذي جاءني بحراء»، وهو جبريل حين أتاه بقوله تعالى: «ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ - خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ - ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ - ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ - عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ»، كما في حديث عائشة في الصحيحين، ثم حصل بعد ذلك فترة للوحي، ثم نزل الملك بعدها.

ٱلۡمُدَّثِّرُ – قُمۡ فَأَنذِرۡ ! [المدثر:١-٢](١).

٦٥٧ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال:

قال ابن عباس م:

@ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ! [العلق:١]: هو أول شيء نزل على محمد ق(٢).

٦٥٨ – حدثنا يحيى بن بكير، عن الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال:

أخبرني محمد بن عباد بن جعفر المخزومي:

أنه سمع بعض علمائهم يقول: كان أول شيء أنزل من القرآن: @ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ! [العلق:١].

---

(١) الصحيح والذي عليه أكثر العلماء أن سورة العلق هي أول ما نزل من القرآن على الإطلاق، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله: «عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ»، ثم أنزل الله آخرها بعد ذلك.

ووجه الجمع بين حديث جابر، وحديث عائشة م: أن أول شيء نزل من القرآن على الإطلاق: الخمس آيات الأولى من سورة العلق، وأن أول شيء نزل بعد فترة الوحي: سورة المدثر، ثم بعد ذلك حميَ الوحي وتتابع، كما في الحديث.

أو يقال: هي مخصوصة بالأمر بالإنذار عن الشِّرك، لا أن المراد أنها أولية مطلقة، كما قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته ثلاثة الأصول: «نُبئ باقرأ، وأُرسل بالمدثر»

أما قوله هنا: «أول شيء نزل من القرآن». يعني به: بعد فترة الوحي.

(٢) المقصود: الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، كما سبق.



٦٥٩ – حدثنا نعيم، عن عبدالعزيز بن محمد، عن عبدالواحد بن أبي عون، عن ابن شهاب، قال:

أخبرني محمد بن عباد بن جعفر:

عن بعض علمائهم؛ أن أول ما أنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١] إلى قوله ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:٥]. قالوا: هذا صدرها الذي أنزل عليه يوم حراء، ثم أنزل الله آخرها بعد ذلك.

٦٦٠ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح

عن مجاهد:

إن أول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]، و﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم:١].

٦٦١ – حدثنا ابن كثير، عن معمر

عن الزهري، قال:

أول آية أنزلت في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ﴾ [الحج:٣٩] ثم ذكر القتال في آي كثير[1].

---

(١) والذي أخبر الزهري بهذا هو عروة، عن عائشة؛ كما صرَّح بذلك في رواية أخرى، رواها النسائي في السنن الكبرى.

وفي مسند أحمد، وسنن الترمذي عن ابن عباس، قال: «لما أُخرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم! إنا لله وإنا إليه راجعون؛ ليهلكن، فنزلت: «﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ

=



٦٦٢ - حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال:

أخبرني يوسف بن ماهك، قال:

إني لعند عائشة أم المؤمنين ڤ إذ جاء أعرابي[(١)]، فقال: يا أم المؤمنين! أريني مصحفك. فقالت: لم؟ قال: لعلي أؤلف القرآن عليه، فإنا نقرؤه غير مؤلف[(٢)]. قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل؟ إنما أنزل أول ما

عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ »، قال: فعرف أنه سيكون قتال». قال ابن عباس: «هي أول آية نزلت في القتال». وكذلك قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة.

والقول الثاني: أن أول آية نزلت في الإذن بالقتال، هي: « وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ».

فقد أخرج ابن أبي حاتم، عن أبي العالية، قال: «هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله، ويكف عمن كفَّ عنه، حتى نزلت سورة براءة».

وكذلك قال الربيع بن أنس.

(١) جاء في صحيح البخاري: أن هذا الأعرابي عراقي، وأنه سألها سؤالًا قبل هذا، فقال: «أي الكفن خير؟ قالت: ويحك! وما يضرك؟ قال: يا أمّ المؤمنين! أريني مصحفك...». الحديث.

(٢) أي: غير مرتب السور، والتأليف: هو الترتيب. والظاهر أن هذا كان قبل أن يبعث عثمان بن عفان ڤ إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم، وقبل الإلزام به، ولهذا قالت عائشة ڤ: «وما يضرك أيه قرأت قبل».

ولهذا نقول: الأصل قراءة السُّور على الترتيب المشهور اليوم، كما روى ابن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ١٠١٦) عن عبدالله بن وهب، قال: «أخبرني سليمان بن بلال، قال: سمعت ربيعة، يسأل: لم قُدمت البقرة، وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة، وإنما نزلتا بالمدينة؟! فقال: قدمتا وأُلِّف القرآن على علم ممن ألفه به، ومن كان معه فيه، واجتماعهم على علمهم بذلك، فهذا مما يُنتهى إليه ولا يسأل عنه». اهـ

وقال ابن وهب: «سمعت مالكًا، يقول: إنما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ».

=



نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار[1]، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر؛ لقالوا: لا ندع الخمر، ولو نزل لا تزنوا؛ لقالوا: لا ندع الزنا.

ولقد نزل على محمد ق - وإني لجارية بمكة ألعب- @وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ! [القمر:٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء؛ إلا وأنا عنده.

قال: فأخرجت المصحف، فأمليت عليه أنا السور.

لكن لو قدَّم بعض السُّور على بعض أحيانًا؛ فلا بأس، كما دلَّ عليه حديث حذيفة وابن مسعود، وهو في الصحيح أن النبي ق قرأ في قيام الليل بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.

وروى البخاري في صحيحه تعليقًا عن الأحنف أنه قرأ في الأولى: بالكهف، وفي الثانية: بيوسف أو يونس، وذَكر أنه صلى مع عمر بن الخطاب ط الصبح بهما.

ومما يدلُّ على ذلك أيضًا أن ترتيب السور فيه ما هو راجع إلى اجتهاد عثمان ط، وذلك ظاهر في سؤال ابن عباس له في ترك التسمية في أول براءة، وذكره الأنفال في الطُّول.

وفي المستدرك على مجموع الفتاوى، قال ابن تيمية (٣/ ٨٢): «تجوز قراءة هذه قبل هذه، وكذا في الكتابة، ولهذا تنوعت مصاحف الصحابة ن في كتابتها، لكن لَـمَّا اتفقوا على المصحف في زمن عثمان ط، صار هذا مما سَنَّه الخلفاء الراشدون، وقد دلَّ الحديث على أن لهم سنة يجب اتباعها».

(١) المقصود- والله أعلم- إما سورة: اقرأ، أو سورة: المدثر، وكلا السورتين اشتملتا على ذكر الجنة والنار.

وفي هذا دليل على أن التوحيد وما فيه من الوعد والوعيد، هو أول ما نزل من القرآن، قبل الحلال والحرام.



٦٦٣ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح

عن علي بن أبي طلحة، قال:

نزلت بالمدينة: سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والحج، والنور، والأحزاب، والذين كفروا[(١)]، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والحواريون- يريد: الصف- والتغابن، ويا أيها النبي إذا طلقتم، ويا أيها النبي لم تحرم، والفجر، والليل، وإنا أنزلناه في ليلة القدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله. وسائر ذلك بمكة[(٢)].

---

(١) سورة: «الذين كفروا»؛ هي سورة محمد ﷺ.

(٢) وهذا إسناد صحيح، وأغلب مرويات علي بن أبي طلحة في التفسير إنما هي عن ابن عباس، وهو وإن كان لم يلق ابن عباس، إلا أنه صدوق في نفسه، وقد أخذها عن ثقات أصحابه مثل مجاهد وعكرمة، وهذه الرواية قد جاءت عنه من خمس طرق.

قال أبو عمرو الداني في البيان في عد آي القرآن (١/ ١٣٥) بعد ذكره لهذه الرواية: «ولم يذكر عليُّ ابن أبي طلحة في المدني: الحجرات، والجمعة، والمنافقين؛ وهن ثلاثتهن مدنيات بإجماع». اهـ

وبذلك يكون جزء المجادلة كله مدنيًّا، وتكون السبع الطوال كلها مدنية إلا الأنعام والأعراف.

وروى ابن الضُّريس في فضائل القرآن (١/ ٢١) عن ابن عباس، قال: «أول ما نزل من القرآن بمكة، وما أنزل منه بالمدينة الأول فالأول، فكانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما يشاء، وكان أول ما أنزل من القرآن: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، ثم (ن والقلم)، ثم (يا أيها المزمل)، ثم (يا أيها المدثر)، ثم (الفاتحة)، ثم (تبت يدا أبي لهب)، ثم (إذا الشمس كورت)، ثم (سبح اسم ربك الأعلى)، ثم (والليل إذا يغشى)، ثم (والفجر وليال عشر)، ثم (والضحى)، ثم (ألم نشرح)، ثم (والعصر)، ثم (والعاديات)، ثم (إنا أعطيناك الكوثر)، ثم (ألهاكم التكاثر)، ثم =



(أرأيت الذي يكذب)، ثم (قل يا أيها الكافرون)، ثم (ألم تر كيف فعل ربك)، ثم (أعوذ برب الفلق)، ثم (أعوذ برب الناس)، ثم (قل هو الله أحد)، ثم (والنجم إذا هوى)، ثم (عبس وتولى)، ثم (إنا أنزلناه في ليلة القدر)، ثم (والشمس وضحاها)، ثم (والسماء ذات البروج)، ثم (والتين والزيتون)، ثم (لإيلاف قريش)، ثم (القارعة)، ثم (لا أقسم بيوم القيامة)، ثم (ويل لكل همزة)، ثم (والمرسلات)، ثم (ق والقرآن)، ثم (لا أقسم بهذا البلد)، ثم (والسماء والطارق)، ثم (اقتربت الساعة)، ثم (ص والقرآن)، ثم (الأعراف)، ثم (قل أوحي)، ثم (يس والقرآن)، ثم (الفرقان)، ثم (الملائكة)، ثم (كهيعص)، ثم (طه)، ثم (الواقعة)، ثم (طسم الشعراء)، ثم (طس النمل)، ثم (القصص)، ثم (بني إسرائيل)، ثم (يونس)، ثم (هود)، ثم (يوسف)، ثم (الحجر)، ثم (الأنعام)، ثم (الصافات)، ثم (لقمان)، ثم (سبأ)، ثم (الزمر)، ثم (حم المؤمن)، ثم (حم السجدة)، ثم (حم عسق)، ثم (الزخرف)، ثم (الدخان)، ثم (الجاثية)، ثم (الأحقاف)، ثم (الذاريات)، ثم (هل أتاك حديث الغاشية)، ثم (الكهف)، ثم (النحل)، ثم (إنا أرسلنا نوحًا)، ثم (إبراهيم)، ثم (الأنبياء)، ثم (المؤمنون)، ثم (تنزيل السجدة)، ثم (الطور)، ثم (تبارك الملك)، ثم (الحاقة)، ثم (سأل سائل) ثم (عم يتساءلون)، ثم (النازعات)، ثم (إذا السماء انفطرت)، ثم (إذا السماء انشقت)، ثم (الروم)، ثم (العنكبوت)، ثم (ويل للمطففين)؛ فهذا ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ بمكة، وهي ست وثمانون سورة.

ثم أنزل بالمدينة سورة (البقرة)، ثم (الأنفال)، ثم (آل عمران)، ثم (الأحزاب)، ثم (الممتحنة)، ثم (النساء)، ثم (إذا زلزلت)، ثم (الحديد)، ثم سورة (محمد)، ثم (الرعد)، ثم سورة (الرحمن)، ثم (هل أتى على الإنسان)، ثم (يا أيها النبي إذا طلقتم)، ثم (لم يكن)، ثم (الحشر)، ثم (إذا جاء نصر الله)، ثم (النور)، ثم (الحج)، ثم (المنافقون)، ثم (المجادلة)، ثم (الحجرات)، ثم (لم تحرم)، ثم (الجمعة)، ثم (التغابن)، ثم (الحواريون)، ثم (الفتح)، ثم (المائدة)، ثم (التوبة)». اهـ

وقال أبو الحسن بن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ: «فالسور المدنية باتفاق عشرون سورة، وهن: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، المنافقون، الجمعة، الطلاق، التحريم، النصر. والسور المختلف فيها اثنتا عشرة سورة، وهي: الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الفلق، الناس. وما عدا ذلك فهو مكي». اهـ

=



وقد اختلف العادون اختلافًا كبيرًا في معرفة السور المكية والمدنية:

ففي أثر علي بن أبي طلحة المتقدم، تكون السور المدنية (٢٥) سورة، والسور المكية (٨٩).

وعلى رواية ابن عباس التي رواها ابن الضُّريس، تكون السور المدنية (٢٨) سورة، والمكية (٨٦).

وفي رواية البيهقي التي رواها في دلائل النبوة (٧/ ١٤٣) بإسناد صحيح عن عكرمة، والحسن، تكون السور المدنية (٢٩) سورة، والمكية (٨٥) سورة، وقد سردها كاملة.

وروى ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٧١) عن ابن عباس، قال: «سألت أبي بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة؟ فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة، وسائرها بمكة».

فهذا أكثر ما وجد عن السَّلف في تحديد المكي والمدني، والله أعلم بالصواب، والجزم بشيء من ذلك يحتاج إلى دليل سالم من المعارض.

واعلم أن الحُكم على السورة بأنها مكية أو مدنية، قد يكون حُكمًا على جميع آياتها، وقد يكون حُكمًا باعتبار الأغلب، فيقال مثلًا: سورة كذا مكية، ماعدا كذا وكذا من الآيات فهي مدنية، كما في سورة الرعد والعنكبوت، أو العكس، فيقال: سورة كذا مدنية، ماعدا كذا وكذا من الآيات فهي مكية.

قال ابن الحصار – فيما نقله عنه صاحب الإتقان (١/ ٣٨)–: «وكل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة، إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل». اهـ

ومن فوائد معرفة المكي والمدني:

١ – العلم بالمتقدِّم والمتأخِّر، وذلك لمعرفة الناسخ والمنسوخ، فالمدنيُّ ينسخ المدنيَّ الذي نزل قبله، وينسخ المكيَّ أيضًا، ولا يجوز أن ينسخ المكيُّ المدنيَّ، وكذلك معرفة المطلق والمقيد، والعام والمخصص، والمجمل والمبين، وغير ذلك من علوم القرآن.

٢– استخراج العبر من سيرة الرسول ﷺ، ومعرفة أحواله بمكة ومواقفه مع المشركين، وكذلك أحواله بالمدينة ومواقفه مع أهل الكتاب والمنافقين.

٣– الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم؛ إذ أن معرفة مكان نزول الآية مما يُعِين على فهم المراد من الآية، ومعرفة معانيها، ومعرفة الأحوال والملابسات التي احتفت بنزولها.

٤– معرفة تدرج الشرع، وما فيه من رحمة الله بالعباد؛ كما قالت عائشة رضي الله عنها: «لو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر؛ لقالوا: لا ندع الخمر! ولو نزل: لا تزنوا؛ لقالوا: لا ندع الزنا!».



٦٦٤ – حدثنا حجاج، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران

عن ابن عباس م، قال:

نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً[١] جملة، ونزل معها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح.

---

(١) اعتنى العلماء بالبحث عن أسباب نزول الآيات، ومعرفة المتقدِّم والمتأخِّر والمكي والمدني، بل واعتنوا أيضًا بمعرفة أوقات وأزمنة وأحوال النزول، وكان علي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس من أعلم الناس بذلك، حتى قال علي ط: «سلوني عن كتاب الله؛ فإنه ليس من آية إلا وقد عرفتُ بليلٍ نزلت أم بنهار، في سهلٍ أم في جبل». رواه ابن سعد؛ فمن ذلك:

١ – معرفة الحضريّ والسفريّ: والمراد بالحضريِّ: ما نزل على الرسول ق في الحضر؛ أي حال الإقامة لا السفر، وهو أكثر القرآن. والمراد بالسفري: ما نزل عليه في حال السفر، وهو الأقل.

والحضري أو السفري قد يكون مكيًّا، وقد يكون مدنيًّا.

– ومن السفري: قوله تعالى في سورة المائدة في التيمم: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ» إلى آخر الآية، فإنها نزلت بالبيداء أمام ذي الحليفة من طريق مكة، وقيل: نزلت بمكان، يقال له: (ذات الجيش) قرب المدينة عند رجوع النبي ق من غزوة الحديبية.

ومنه قوله: «ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ» في سورة المائدة، فقد نزلت عشية عرفة يوم الجمعة في حجة الوداع في السنة العاشرة.

ومنه قوله: «إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ»، فإنها نزلت بالجُحفة في سفر الهجرة؛ كما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٣٠٢٦) عن الضحاك، قال: «لما خرج النبي ق من مكة، فبلغ الجُحفة، اشتاق إلى مكة، فأنزل الله تعالى عليه القرآن: «لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ». أي: إلى مكة».

ومنه سورة الفتح، فإنها نزلت كلها بين مكة والمدينة في شأن صلح الحديبية.

– أما الحضريّ فكثير، وغالب آيات القرآن نزلت في الحضر.

٢– ومن ذلك معرفة النهاريّ والليليّ والفِراشيّ:

=



والمراد بالنهاريّ: ما نزل على الرسول ﷺ نهارًا. والمراد بالليلي: ما نزل عليه ليلًا. والمراد بالفراشي: ما نزل عليه وهو على فراش نومه.

وهذا النوع أعمُّ مما قبله، لأن النهاريَّ قد يكون حضريًّا، وقد يكون سفريًّا، وقد يكون مكيًّا، وقد يكون مدنيًّا، وكذلك الليليّ والفراشيّ. والنهاري أكثر القرآن؛ كما قال ابن حبيب.

– ومن أمثلة الليلي: آية تحويل القبلة، وهي قوله: « قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ »، وقد كان ﷺ يصلي شطر بيت المقدس ومكث على ذلك سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن يصلي شطر المسجد الحرام؛ فنزلت هذه الآية بالمدنية ليلًا؛ كما رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر، قال: «بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت؛ فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة...». الحديث.

ومنه سورة الأنعام، فإنها نزلت بمكة ليلًا جملة، حولها سبعون ألف ملك؛ يجأرون بالتسبيح.

ومنه سورة مريم، كما روى الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في معرفة الصحابة عن أبي مريم الغساني، قال: «أتيت رسول الله ﷺ؛ فقلت: وُلِدت لي الليلة جارية، فقال ﷺ: والليلة أنزلت علي سورة مريم؛ سمها مريم، فكانت تُسمى مريم».

ومنه قوله تعالى: « إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ »؛ فإنها نزلت على النبي ﷺ ليلًا؛ كما أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ.

ومنه المعوذتان والمنافقون.

– ومن الفراشي آية: «وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ»، فقد كانوا يحرسون النبي ﷺ بالليل، فلما نزلت عليه هذه الآية؛ قال لهم: «انصرفوا؛ فقد عصمني الله».

ومنه آية الثلاثة الذين خلفوا؛ ففي الصحيح أنها نزلت، وقد بقي من الليل ثلثه.

وفي الكبير للطبراني عن أمِّ سلمة، قالت: «قال لي رسول الله ﷺ: يا أم سلمة! لا تؤذيني في عائشة؛ فإن الوحي لم ينزل عليَّ ومعي أحد من نسائي إلا عائشة، فإن الوحي نزل عليَّ وهي معي في لحافي».

٣- ومن ذلك معرفة الصيفي والشتائي:

والمراد بالصيفي: ما نزل على الرسول ﷺ صيفًا، والمراد بالشتائي: ما نزل عليه شتاءً.

=



- ومن أمثلة الصيفي: آية الكلالة في قوله: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ» إلى آخر السورة. فإنها نزلت في الصَّيْف في حجة الوداع؛ كما رواه مسلم عن عمر ط، وفيه قال النبي ق: «يا عمر! ألا تكفيك آية الصيف، التي في آخر سورة النساء».

وكل ما نزل في حجة الوداع أو غزوة تبوك؛ فإنه من الصيفي، كأول المائدة، وقوله تعالى: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا»، وقوله تعالى في سورة البقرة: «وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ»، وآية الدَّيْن التي في البقرة، وكذلك سورة النصر.

ومثل قوله: «لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ» الآية، ومثل قوله: «وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ».

- ومن أمثلة الشتائي: قوله تعالى في سورة النور: «إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ» إلى آخر عشر آيات، وهي التي تسمى: (آيات البراءة) التي نزلت في شأن تبرئة أم المؤمنين عائشة ك، كما رواه البخاري ومسلم عنها، وفيه: «أنها نزلت في يوم شاتٍ».

٤- ومن ذلك معرفة السمائي والجبلي والأرضي.

- والمراد بالسمائي: ما أُوحي إلى النبي ق وهو في السماء، ومن ذلك: أنه حينما أسري بالنبي ق وانتهى إلى سدرة المنتهى؛ أعطي خواتيم سورة البقرة، ومنه قوله تعالى: «وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ».

- والمراد بالجبلي: ما نزل على النبي ق على رؤوس الجبال والغيران، وهو أقل القرآن؛ ومن ذلك قوله تعالى: «ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ»؛ فإنه نزلت بغار حراء في الجبل.

ومن ذلك: ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس، قال: «لما نزلت: «وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين»، خرج رسول الله ق، حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه! فقالوا: من هذا؟! فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلًا تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد! قال أبو لهب: تبًا لك! ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام؛ فنزلت: «تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ».

ومنه ما رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٨٨) أن خاتمة سورة النحل من قوله: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ» إلى آخر السورة؛ نزلت بأُحد، والنبي ق واقف على حمزة، حين استشهد.

=



٦٦٥ – حدثنا حجاج، عن المسعودي، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، قال:

قال عبدالله ط:

إن بني إسرائيل(١)، والكهف، ومريم، وطه: من تلادي، ومن العتيق الأول.

– والمراد بالأرضي: ما نزل على النبي ق في الأرض والسَّهل وهو أكثر القرآن، وهذا النوع أعـمُّ الأنواع على الإطلاق، وقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن أيوب، أنه قال: «سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن؛ فقال: نزلت في سفح ذلك الجبل، وأشار إلى سلع».

٥– ومن ذلك معرفة ما نزل مفرَّقًا، وما نزل جملة واحدة:

فأما ما نزل مفرَّقًا، فأكثر القرآن؛ لأن غالب القرآن نزل كـذلك، ومـن ذلـك: سـورة اقـرأ؛ فقـد نـزل صدرها إلى قوله: «عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»، والمدثر نزل صـدرها إلى: «وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ»، والـضحى نـزل صـدرها إلى: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ»، ثم نزلت أواخرها بعد هذا. وفي الـسور الطِّـوال: نـزل صـدر آل عمران إلى بضع وثمانين آية، بسبب وفد نجران لما قدموا على النبي ق . وكذلك صدر براءة.

ومن أمثلة ما نزل جملة واحدة: سورة الأنعام، كما رواه أبو عبيد عـن ابـن عبـاس، ومـن أمثلتـه: الفاتحة، والإخلاص، والكوثر، وتبت، ولم يكن، والنصر، والمعوذتان، والمرسلات، والصف.

وهناك العديد من العلوم والمعارف التـي تتعلـق بـالنزول وأسـبابه وأحوالـه وأوقاتـه وأماكنـه، وبعض ذلك له فائدة كما تقدَّم، وبعضه إنما هو تكلفٌ وزيادة؛ جـاءت عنـد المتـأخرين لـيس تحتهـا عمل ولا زيادة فهم.

فائدة: قال أبو القاسم المقري في الناسخ والمنسوخ (١/ ١٢٦): «سورة الحـج: نزلـت في مـواطن مختلفة، وهي من أعاجيب سور القرآن؛ لأنها نزلـت لـيلًا ونهـارًا، وفيهـا مكـيٌّ ومـدنيٌّ، وسـفريٌّ وحضريٌّ، وحربيٌّ وسلميٌّ، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه». اهـ

(١) سورة: «بني إسرائيل»؛ هي سورة الإسراء– كما تقدَّم.

قال أبو عبيد:

قوله: «من تلادي»، يقول: من أول ما أخذت من القرآن؛ شبهه بتلاد المال القديم[١]، ومعناه: أن ذلك كان بمكة.

٦٦٦ – حدثنا أبو معاوية

عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

ما كان من حدٍّ أو فريضة؛ فإنه أنزل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والعذاب؛ فإنه أنزل بمكة[٢].

(١) قال أبو عبيد في غريبه (٤/ ٣١٠): «قال الأصمعي وغيره: التلاد: كل مال قديم؛ يرثه الرجل عن آبائه، أو مال استخرجه؛ كالدابة ينتجها أو الرقيق يولدون في ملكه، وما أشبه ذلك.

قال أبو عبيد: والتالد في لغتهم: قديم المال والمتاع، والطارف: حديثه وجديده». اهـ

(٢) وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن هشام، عن أبيه، قال: «إني لأعلم ما نزل من القرآن بمكة، وما أنزل بالمدينة؛ فأما ما نزل بمكة: فضرب الأمثال وذكر القرون، وأما ما نزل بالمدينة: فالفرائض والحدود والجهاد».

وفي لفظ آخر، قال: «ما كان من حجٍّ، أو فريضة؛ فإنه نزل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والقرون والعذاب؛ فإنه أنزل بمكة».

ولهذا قسَّم العلماء القرآن من حيث النزول مكانًا وزمانًا إلى مكيٍّ ومدنيٍّ:

والمراد بالمكي: ما نزل قبل الهجرة، وهو أكثر القرآن.

والمدني: ما نزل بعد الهجرة، سواء نزل بمكة أم بالمدينة أم في سفر من الأسفار.



٦٦٧ - حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا من سمع الأعمش، يحدث عن إبراهيم

عن علقمة، قال:

كل شيء من القرآن: @يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ !؛ فإنه أنزل بالمدينة، وما كان: @يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ !؛ فإنه أنزل بمكة[1].

---

(١) وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عبدالرحمن بن يزيد، عن عبدالله، قال: «قرأنا المفصل حججًا، ونحن بمكة، ليس فيها: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ »».

وفيه عن الضحاك، قال: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ » في المدينة.

وهذه القاعدة ليست على إطلاقها؛ فإن السور التي فيها: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ» يحتمل أن تكون من هذا أو من هذا، والغالب أنها مكية. وقد تكون مدنية؛ كما قال تعالى في سورة البقرة: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ »، وقوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ».

ولمعرفة المكيِّ والمدنيِّ سبيلان:

١- سماعي منصوص عليه: وهو ما صح به الأثر عن الصحابة ﭫ والتابعين.

٢- وقياسي غير منصوص عليه: وهذا محل اجتهادٍ ونظرٍ وبحثٍ وتدبرٍ وتتبعٍ واستقراءٍ، وهذا الأمر يستلزم معرفة خصائص المكي والمدني وضوابطهما، ومن ذلك:

أولًا: كل سورة فيها: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ» أو « يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ »، فهي مكية؛ لأن هذا الخطاب يشمل المؤمن والكافر، ومكة في ذاك الوقت كانت دار شرك؛ فناسبها هذا الخطاب.

ثانيًا: كل سورة فيها سجدة تلاوة؛ فهي مكية.

ثالثًا: كل سورة فيها قصة آدم وإبليس؛ فهي مكية، سوى سورة البقرة.

رابعًا: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة الهالكة؛ فهي مكية، سوى سورة البقرة.

خامسًا: كل سورة فيها لفظ: « كَلَّآ »- وهي كلمة ردع وزجر- فهي مكية؛ لأن المكي من خصائصه القوة والشدة في العبارة لمواجهة الجبابرة من المشركين والمعاندين.

=



٦٦٨ - حدثنا علي بن معبد، عن أبي المليح

عن ميمون بن مهران، قال:

ما كان في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أو ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾؛ فإنه مكي.

وما كان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؛ فإنه مدني.

سادسًا: كل سورة تفتتح بالحروف المقطعة؛ فهي مكية، سوى البقرة وآل عمران والرعد.

سابعًا: الغالب في المكي الدعوة إلى التوحيد، وإنكار الشرك، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية، والكلام عن الرسالة والبعث والنشور والقيامة والجنة والنار.

ثامنًا: الغالب في المكي شدة الأسلوب وقوة الخطاب مع قِصَر الفواصل؛ ليكون أوقع وأبلغ في الحجة.

- أما المدني فضابطه:

أولًا: كل سورة فيها ذكر المنافقين؛ فهي مدنية، سوى العنكبوت فإنها مكية؛ لأن النفاق وُجِدَ في المدينة، أما مكة فلم يكن فيها إلا إسلام وكفر.

ثانيًا: كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب؛ فهي مدنية؛ لأن أهل الكتاب إنما وجدوا في المدينة.

ثالثًا: كل سورة فيها فريضة أو حَدٌّ؛ فهي مدنية؛ لأن شرائع الإسلام كانت في المدينة.

رابعًا: الغالب في المدني التفصيل في الأحكام والعبادات والمعاملات والحدود والمواريث ونحو ذلك.

خامسًا: الغالب في المدني الاهتمام بدعوة أهل الكتاب إلى الإسلام.

سادسًا: فيه ذكر الجهاد وبيان مقاصده وأحكامه، وأنواعه، وفضله، وجميع تفصيلاته.

سابعًا: فيه الاهتمام بفضح المنافقين وكشف أستارهم، كما في سورة التوبة والمنافقون.

ثامنًا: فيه الاهتمام بفضح علماء السوء وما شابههم من الأحزاب الضالة.

تاسعًا: طول المقاطع والآيات، لحاجة المؤمنين إلى تفصيل الأحكام وبيانها.

فهذا ملخص لضوابط المكي والمدني، وهي أغلبية وليست مطردة، والأمر كما قال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٨): «أجمعوا على سور أنها من المكي وأُخر أنها من المدني، واختلفوا في أُخر، وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط؛ في تقييدها عسر ونظر... والحق في ذلك ما دلَّ عليه الدليل الصحيح، والله أعلم».

٦٦٩ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح

عن مجاهد، قال:

نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة[1].

٦٧٠ – حدثنا يزيد، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة

عن ابن عباس م، قال:

أُنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، وقرأ: @وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ! [الإسراء:١٠٦][2].

---

(١) اختلف العلماء في الفاتحة أهي مكية أم مدنية؟ فقال ابن عباس، وقتادة، وأبو العالية وغيرهم: «هي مكية». وقال أبو هريرة، ومجاهد، وعطاء بن يسار، والزهري وغيرهم: «هي مدنية». وقيل: «نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة»؛ حكاه السمرقندي في تفسيره، ولم يعزه لأحد، ولا دليل عليه.

ولولا صحة أثر مجاهد الذي ذكره أبو عبيد هنا؛ لقلنا بخطأ قوله، وعليه فيحتمل – والله أعلم – أن تكون الفاتحة قد نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة؛ مبالغة في تشريفها.

ولكن القول الأول أصح – وعليه الأكثر وحكاه بعضهم إجماعًا، واعتبروا قول مجاهد شذوذًا – قال تعالى: « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ »، وحيث إن سورة الحِجْر مكية بالإجماع، فتكون الفاتحة مكية، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، ولم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة أبدًا بغير الفاتحة.

(٢) اختلف العلماء في كم نزل القرآن على الرسول ق على أقوال:

=



القول الأول: أنها ثماني عشرة سنة؛ رُوي هذا عن الحسن البصري، رواه عنه ابن الـضُّريس في فـضائله (١/ ٧٤) وابن جرير في تفسيره (١٧/ ٥٧٦) واللفظ له عن أبي رجاء؛ قال: «قال الحسن: لقـد ذكـر لنـا أنه كان بين أوله وآخره: ثماني عشرة سنة، قال: فسألته يومًا على سخطة، فقلـت: يـا أبـا سـعيد! «وقرآنًـا فرَّقناه»، فثقلها أبو رجاء، فقال الحسن: ليس فرَّقناه، ولكن فرَقنـاه- فقـرأ الحـسن مخففـة- قلـت: مـن يحدثك هذا يا أبا سعيد! أصحاب محمد؟ قال: فمن يحدثنيه؟! قال: أنزل عليه بمكة قبـل أن يهـاجر إلى المدينة ثماني سنين، وبالمدينة عشر سنين». اهـ

وهذا قول شاذ، ينبني عليه أن النبي ﷺ توفي عن ثمان وخمسين سنة! وهذا لم يقل به أحـد، ولهـذا قال ابن عطية في تفسيره (٣/ ٤٩١): «هذا قول مختل؛ لا يصح عن الحسن، والله أعلم».

القول الثاني: أنها عشرون سنة: استدل هؤلاء بما رواه البخاري في صحيحه، عن يحيـى، عـن أبي سلمة، قال: «أخبرتني عائشة وابن عباس؛ قالا: لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرًا». وهو قول عكرمة، والشعبي، وقتادة.

قال ابن كثير في مقدمة تفسيره (١/ ١٨): «أما إقامته بالمدينة عشرًا؛ فهذا ما لا خلاف فيـه، وأمـا إقامته بمكة بعد النبوة؛ فالمشهور ثلاث عشرة سنة؛ لأنه ﷺ أوحي إليه وهـو ابـن أربعـين سـنة، وتـوفي وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة على الصحيح، ويحتمل أنه حذف ما زاد عـلى العـشرة اختـصارًا في الكـلام؛ لأن العرب كثيرًا ما يحذفون الكسور في كلامهم، أو أنهما إنما اعتبرا قـرن جبريـل بـه ﷺ؛ فإنـه قـد روى أحمد أنه قرن به ﷺ ميكائيل في ابتداء الأمر؛ يلقي إليه الكلمة والشيء، ثم قرن به جبريل». اهـ

وقد يكون إنما حسبوا- في مكة- مدة رسالته لا ابتداء نبوته؛ فإنه مكث ثـلاث سـنين، ثـم أُنـزل عليه قوله تعالى: «فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ».

القول الثالث: أنها ثلاثٌ وعشرون سنة؛ وهو قول جمهور العلماء، وهو الـصحيح؛ وذلـك أن الـوحي بدأ وهو ابن أربعين سنة، وتمَّ بموته وهو ابنُ ثلاثٍ وستين.

وأما يوم ابتداء إنزال القرآن على النبي ﷺ فهو يوم الاثنين نهارًا مـن شـهر رمـضان؛ لمـا ثبـت في صحيح مسلم من حديث أبي قتادة الأنصاري عن النبي ﷺ حين سئل عن يوم الاثنين، فقال: «ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت- أو أنزل عليَّ فيه». وفي رواية، قال: «فيه ولدتُ، وفيه أنزل عليَّ». اهـ

=



واختلف العلماء في طريقة إنزال القرآن على النبي ق، فمنهم من قال: «إن للقرآن نزولًا واحدًا؛ هو النزول المباشر من الله تعالى على رسوله ق بحسب الحوادث والوقائع».

ومنهم من قال: إن للقرآن نزولين: نزولُ جُملةٍ؛ من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وكان ذلك في ليلة القدر، وهي الليلة المباركة من شهر رمضان.

ونزولُ تنجيمٍ على الرسول ق في نحو ثلاث وعشرين سنة، وهي مدة الرسالة؛ وهذا القول هو مذهب جمهور العلماء، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير وغيرهما، ثم بعد ذلك نزل به جبرائيل على الرسول ق منجمًا - أي: مفرقًا - ينزل الأول فالأول، بعضه في إثر بعض، ينزل أحيانًا ابتداء بغير سبب، وهو أكثر القرآن الكريم، وأحيانًا إذا أراد الله أن يحدث شيئًا أحدثه بالوحي، بحسب الوقائع والحوادث، قال تعالى: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا»، وهذا هو الذي دلَّت عليه الأخبار الصحيحة، وقد ورد عن ابن عباس بطرق متعددة، وحكمه حكم المرفوع إلى النبي ق؛ لأنه لا مجال فيه للرأي.

وروى الطبري في تفسيره عن ابن عباس م قال: «ليلة القدر هي الليلة المباركة وهي من رمضان؛ نزل القرآن جملة واحدة من الزبر - اللوح المحفوظ - إلى البيت المعمور، وهو مواقع النجوم في السماء الدنيا، حيث وقع القرآن، ثم نزل على محمد ق بعد ذلك في الأمر والنهي وفي الحروب؛ رسلًا رسلًا».

وعنه قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء جملة واحدة، ثم فُرِّق في السنين بعد، وتلا هذه الآية: «فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ»؛ قال: نزل مُفرَّقًا». والمُنَجَّم عند العرب: المُقَسَّط.

وقال قتادة في قوله: «وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا». قال: «لم ينزل في ليلة ولا ليلتين، ولا شهر ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، ولكن كان بين أوله وآخره: عشرون سنة، وما شاء الله من ذلك». انظر تفسير الطبري (٣/ ٤٤٧ و١٧/ ٥٧٦)، والتوحيد لابن منده (١/ ٣١٥).

ومن الحِكَم في إنزاله مُنجَّمًا ما يلي:

١ - تثبيت فؤاد النبي ق؛ قال تعالى: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا».

٢ - تسلية النبي ق بتتابع نزول الوحي عليه؛ حتى لا يجد اليأس إلى نفسه سبيلًا، قال أبو شامة في المرشد الوجيز (١/ ٢٨): «فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة؛ كان أقوى للقلب وأشد

=



عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك عليه، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز؛ فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان؛ لكثرة نزول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه فيه». اهـ

٣- تيسير حفظه وفهمه والعمل به؛ فإن الشيء الذي يؤخذ بالتدرج يسهل أخذه وفهمه والعمل به ويبعد نسيانه، بخلاف الذي يؤخذ جملة واحدة؛ فإنه يصعب في الأخذ والعمل؛ قال ابن مسعود: «كان الرجل مِنَّا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن».

وقال أبو العالية: «تعلموا القرآن؛ خمس آيات خمس آيات، فإن رسول الله ﷺ كان يأخذه خمسًا خمسًا». وقال أبو عبدالرحمن السُّلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها، حتى يعملوا بما فيها، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا». انظر مصنف عبدالرزاق (٣/ ٣٨٠)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٠).

وهذه من أعظم فوائد تنجيم القرآن، فإنَّ المُنْبَتَّ لا ظهرًا أبقى ولا أرضًا قطع، ولو نزل القرآن جملة واحدة؛ لانفض عنه الناس وما أطاقوا العمل به، وقد أشار الإمام أحمد إلى هذا المعنى حين روى في كتابه الزهد (١/ ٤١٣) عن عبد ربه بن هلال، قال: «قال عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز لأبيه، وقد دخل في القائلة: يا أبتِ على ما تقيل؟! وقد تداركت عليك المظالم، لعلَّ الموت يدركك في منامك وأنت لم تقض دأب نفسك مما ورد عليك، قال: فشدَّد عليه، قال: فلما كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك، قال عمر: يا بني! إن نفسي مطيتي، وإن لم أرفق بها لم تُبلغني، يا بني! لو شاء الله أن ينزل القران جملة واحدة؛ لفعل، ولكنه نزَّل الآية بعد الآية، حتى اسْتُكْثِرَ الإيمان في قلوبهم، يا بني! إني لم أجد الحَقْحَقْة تَرِدُ إلى خير». اهـ

والحَقْحَقْة: هي الإتعاب في السَّير، قال أبو عبيد في الغريب (٤/ ٣٨٨): «شرُّ السَّير: الحَقْحَقْة؛ وهو أن يُلِحَّ في شدة السَّير، حتى تقوم عليه راحلته أو تعطب، فيبقى منقطعًا به». اهـ

٤- مسايرة الحوادث؛ فكانت تحدث حوادث لم يكن لها حُكْمٌ معروف فيما سبق، فيحتاج المسلمون إلى معرفة ذلك؛ فتنزل الآية من الله تعالى للفصل في تلك الحوادث؛ ومن ذلك حادثة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، فنزلت فيها سورة المجادلة. وكذلك حادثة الإفك.

=



قال: ولا أدري كيف قرأ يزيد في حديثه: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ مشددة أم لا؟ إلا أنه لا ينبغي أن تكون على هذا التفسير إلا بالتشديد: «فرَّقناه»[1].

٥- التدرج في التشريع: حيث إنه لا يمكن أن ينزل الناسخ والمنسوخ في وقتٍ واحد، بل ينزل المنسوخ، فيُعمل به مُدَّةً حتى إذا استقرت الأمور وقوي الإسلام في قلوب أتباعه؛ أنزل الله الناسخ له، كما في تحريم الخمر والميسر.

٦- الإجابة على أسئلة السائلين الذين كانوا يسألون النبي ﷺ أسئلة، فينزل القرآن بإجابتها.

(١) قراءة الجمهور لها بالتخفيف، وقرأ بتشديدها: أُبي بن كعب، وابن مسعود، وعلي، وابن عباس، وأبو رجاء وغيرهم؛ قال ابن جرير في تفسيره (١٧/ ٥٧٣): «اختلفت القُراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار: «فَرَقْنَٰهُ» بتخفيف الراء، من فرَقناه، بمعنى: أحكمناه وفصَّلناه وبيَّناه، وذُكر عن ابن عباس أنه كان يقرءها بتشديد الراء: «فرَّقناه» بمعنى: نزَّلناه شيئًا بعد شيء، آية بعد آية، وقصة بعد قصة. وأولى القراءتين بالصواب عندنا، القراءة الأولى؛ لأنها القراءة التي عليها الحجة مجمعة، ولا يجوز خلافها فيما كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن، فإذا كان ذلك أولى القراءتين بالصواب، فتأويل الكلام: وما أرسلناك إلا مبشِّرًا ونذيرًا، وفصَّلناه قرآنًا، وبيَّناه وأحكمناه، لتقرأه على الناس على مُكث. وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل، قال جماعة من أهل التأويل. وعن أبي ابن كعب أنه قرأ: «وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ» مخففًا: يعني بيَّناه. وعن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: «وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ»، قال: فصلناه. وعن الحسن أنه قرأ: «وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ» خففها: فرَّق الله به بين الحق والباطل.

وأما الذين قرءوا القراءة الأخرى، فإنهم تأولوا ما قد ذَكَرْتُ من التأويل؛ فعن أبي العالية، قال: كان ابن عباس يقرءها: «وقرآنًا فرَّقناه» مثقلة، يقول: أنزل آية آية». اهـ

والحقيقة أنه لا فرق بين القراءتين، وأنهما بمعنى واحد، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، يقول سيبويه: «فعَّل وأفعل يتعاقبان».

وقوله: «لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ» أي: لتقرأه على الناس على تؤدة؛ فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك. وروى ابن جرير في تفسيره عن عبيد المكتب، قال: «قلت لمجاهد: رجل قرأ البقرة وآل عمران، وآخر قرأ البقرة، وركوعهما وسجودهما واحد، أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ =



٦٧١ - حدثنا ابن أبي عدي

عن داود بن أبي هند، قال:

قلت للشعبي: قوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]. **أَمَا نزل عليه القرآن في سائر السنة، إلا في شهر رمضان؟ قال: بلى، ولكن جبريل كان يعارض محمدًا ﷺ بما ينزل في سائر السنة في شهر رمضان**(١).

البقرة، وقرأ: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾. وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾ يقول: على تأييد. وعن مجاهد، في قوله: ﴿عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾ قال: على ترتيل. وقال ابن زيد في قوله: ﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾ قال: التفسير الذي قال الله ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾: تفسيره». اهـ

وهذه الآية من الأدلة التي استدلَّ بها أهل السُّنة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ ووجه الشاهد منها: قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾؛ ففيه إضافة إنزال القرآن إلى الله تعالى. والمنزل المضاف إلى الله نوعان: أعيان قائمة بذاتها- كالمطر، والحديد، والأنعام- ومعانٍ ليست أعيانًا- كالقرآن-.

فإضافة الأعيان القائمة بذاتها إلى الله إضافة تشريف وتكريم، أما المعاني التي ليست أعيانًا قائمة بذاتها، فإضافتها إلى الله؛ من باب إضافة الصفة إلى الموصوف؛ قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾. وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

قال ابن تيمية في الفتاوى (١٢/ ٢٤٦): «النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة أنواع: نزول مقيد بأنه منه، ونزول مقيد بأنه من السماء، ونزول غير مقيد لا بهذا ولا بهذا. فالأول لم يرد إلا في القرآن.

ثم قال: والتنزيل بمعنى المنزل؛ تسمية للمفعول باسم المصدر، وهو كثير؛ لهذا قال السَّلف: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، منه بدأ. قال أحمد وغيره: وإليه يعود- أي: هو المتكلم به». اهـ

(١) ورد عن الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة عدة روايات:

=

الأولى وهي المشهورة عنه: أن القرآن كان ينزل مباشرة على الرسول ﷺ بحسب الوقائع، وأنه ابتدأ إنزاله في ليلة القدر، كما روى الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٥٨) عن داود بن أبي هند، عن الشعبي أنه قال في قوله: «إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ»، قال: «نزل أول القرآن في ليلة القدر».

الرواية الثانية: موافقة ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير فيما ذهبا إليه من إنه نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا؛ ويؤيد هذا ما أخرجه الطبري في تفسيره عن الشعبي في قوله: «إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ»، قال: «بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا».

الرواية الثالثة: هي التي ذكرها أبو عبيد هنا عنه بإسناد صحيح، فالشعبي نزَّل معارضة جبريل للنبي ﷺ في رمضان من كل سنة، منزلة إنزاله فيه.

ولكن الصحيح أن القرآن نزل في رمضان وفي غيره، وأنه نزل جملةً واحدة ونزل مُفرَّقًا، وأن المراد بنزوله في ليلة القدر هو نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وأن المراد بنزوله مُفرَّقًا هو نزوله من بيت العزة من السماء الدنيا على النبي ﷺ بحسب الوقائع والحوادث وغير ذلك، فإذا انضم إلى ذلك أن جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان ينزل على النبي ﷺ في شهر رمضان من كل عام؛ فيعارضه القرآن بما نزل في أثناء السَّنة؛ كان ذلك من أحسن الأقوال.

وفي مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر (١/ ٢٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسأله عطية بن الأسود قال: «إنه وقع في قلبي الشك! قول الله: «شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ»، وقوله: «إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ»، وقوله: «إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ»، وقد أُنزل في رمضان وشوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم وشهري ربيع!! فقال: إن الله أنزل القرآن في رمضان في ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلًا في الشهور والأيام».

وفي رواية قال: «نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا؛ فنجَّمته السفرة على جبريل عشرين سنة، ونجَّمه جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على محمد ﷺ عشرين سنة، وهو قوله: «فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ»، يعني: نجوم القرآن».



٦٧٢ - حدثني نعيم، عن بقية، عن عتبة بن أبي حكيم، قال: حدثنا شيخ منا عن واثلة بن الأسقع ط، عن النبي ق قال:

«نزلت صحف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أول ليلة من شهر رمضان، ونزلت التوراة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ست من شهر رمضان، ونزل الزبور على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في اثنتي عشرة من شهر رمضان، ونزل الإنجيل على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ثماني عشرة من شهر رمضان، وأنزل الله الفرقان على محمد ق في أربع وعشرين من شهر رمضان»[1].

---

(١) هذا الحديث يدل على أن الكُتب السابقة نزلت جملة على الأنبياء في شهر رمضان- وذلك لشرفه على باقي شهور السَّنة- بيد أن القرآن الذي نزل على نبينا ق قد خصَّه الله بأمر زائد على ذلك، فإنَّ إنزاله جملة واحدة إلى بيت العزة كان في رمضان، وأول إنزال له على النبي ق كان في رمضان، وأنَّ مدارسة جبريل إياه للنبي ق كان في رمضان من كل عام.

قال أبو شامة في المرشد الوجيز (١/ ٢٤): «قوله تعالى: «أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ» فيه إشارة إلى كل ذلك، وهو كونه أنزل جملة إلى السماء الدنيا، وأول نزوله إلى الأرض، وعرضه وإحكامه في شهر رمضان، فقويت ملابسة شهر رمضان للقرآن، إنزالًا جملة وتفصيلًا، وعرضًا وإحكامًا، فلم يكن شيء من الأزمان تحقق له من الظرفية للقرآن ما تحقق لشهر رمضان، فلمجموع هذه المعاني، قيل: «أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ». اهـ

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٥١): «المراد من معارضته له بالقرآن كل سَنة: مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى؛ ليبقي ما بقي ويذهب ما نسخ؛ توكيدًا أو استثباتًا وحفظًا؛ ولهذا عرضه في السَّنة الأخيرة من عمره ق على جبريل مرتين، وعارضه به جبريل كذلك؛ ولهذا فهم ق اقتراب أجله، وعثمان ط جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة، وخُصَّ بذلك رمضان من بين =

٦٧٣ – حدثنا مروان بن معاوية، عن عوف بن أبي جميلة، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس م عن عثمان ط، قال:

كانت براءة من آخر القرآن نزولاً(١).

الشهور؛ لأن ابتداء الإيحاء كان فيه؛ ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه، ومن ثَم اجتهاد الأئمة فيه في تلاوة القرآن». اهـ

ومما يدلُّ على تفضيل القرآن على سائر الكتب المتقدمة، وأنه نزل مُفرَّقًا بينما نزلت الكتب الأخرى جملة واحدة، قوله في سورة آل عمران: «نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ »، فإنه قال في شأن القرآن: « نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ» بالتشديد. وقال في شأن التوراة والإنجيل: «وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ »، وهذا يدلُّ على أن القرآن نزل مُنجمًا شيئًا بعد شيء، وأن الكتابيْن نزلا جملة واحدة، ولهذا قال الكفار: «لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً »، أي: كما كانت الكتب السابقة تنزل على أنبيائهم.

قال ابن كثير في فضائل القرآن (١/ ١٥٧) مُنوِّهًا بفضل هذه الأمة: «وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم؛ القرآن الذي شرَّفه الله تعالى على كل كتاب أنزله، وجعله مهيمنًا عليه، وناسخًا له وخاتمًا له؛ لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة، وهذا القرآن نزل منجمًا بحسب الوقائع؛ لشدة الاعتناء به، وبمن أنزل عليه، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة». اهـ

(١) هذا اللفظ أصوب من الجزم بأن آية كذا أو سورة كذا آخر ما نزل، وذلك لأنه ليس في الجزم بشيء من ذلك شيء مرفوع إلى النبي ق.

ومن جزم بشيء من الآيات أو السور أنه آخر ما نزل على الإطلاق؛ فإنما قاله باجتهاده، ومن المعلوم عند العلماء أنه قد يستمر نزول سورة ما، فتنزل في أثناء مدة نزولها سورٌ أخرى، وسيأتي بيان ما قيل في ذلك.

وهذا الحديث رواه أبو داود، والترمذي، وفيه قال عثمان ط لابن عباس م: «كانت الأنفال من أوائل ما أُنزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها؛ فظننت أنها منها». اهـ



٦٧٤ - حدثنا خالد بن عمرو، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق

عن البراء بن عازب م، قال:

آخر آية أنزلت: @يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ ![النساء:١٧٦].

٦٧٥ - حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن عاصم الأحول، عن الشعبي

عن ابن عباس م، قال:

آخر ما أنزل الله على نبيه ق: آية الربا، وإنا لنأمر بالشيء، لا ندري لعلَّ به بأسًا، وننهى عن الشيء، لا ندري لعلَّ ليس به بأس(١).

(١) وبمثل هذا يُرَدُّ على من أكل ربا الفضل ونسبها إلى ابن عباس م! فإن ابن عباس م قد رجع عن هذه الفتوى التي قالها باجتهاده، وقد خَفيت حِكمةُ تحريمه عليه وعلى معاوية م وغيرهما، فلم يروا به بأسًا، حتى أخبرهم الصحابة ن كعبادة بن الصامت وأبي سعيد وغيرهما بتحريم النبي ق لربا الفضل، فلا يتمسكنَّ مُتمسِّكٌ بهذا، خاصة وقد قال ابن عباس: «وإنا لنأمر بالشيء، لا ندري لعلَّ به بأسًا».

وروى الطبري في تفسيره (٦/ ٣٨) عن سعيد بن المسيب: «أن عمر بن الخطاب ط قال: كان آخر ما نزل من القرآن: آية الربا، وإن نبي الله ق قُبض قبل أن يفسِّرها، فدعوا الربا والريبة».

وعن الشعبي: أن عمر ط قام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإنه والله ما أدري لعلَّنا نأمركم بأمر لا يصلح لكم، وما أدري لعلنا ننهاكم عن أمر يصلح لكم، وإنه كان من آخر القرآن تنزيلًا: آيات الربا، فتوفي رسول الله ق قبل أن يبينه لنا، فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم».



٦٧٦ – حدثنا عبدالله بن صالح، وابن بكير، عن الليث، عن عُقيل

عن ابن شهاب، قال:

آخر القرآن عهدًا بالعرش: آية الربا، وآية الدَّيْن(١).

٦٧٧ – حدثنا خالد بن عمرو، عن مالك بن مغول

عن عطاء بن أبي رباح، قال:

آخر آية أنزلت من القرآن: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١].

٦٧٨ – حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال:

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

آخر آية أنزلت من القرآن: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١] قال: زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بعدها سبع ليال(٢)، وبدئ يوم السبت، ومات يوم الاثنين(٣).

---

(١) فيه إثبات العرش، وصفة العلو لله، وأنه يتكلم بما شاء، متى شاء.

(٢) وقيل: تسعَ ليال، وقيل: واحدًا وعشرين يومًا، وقيل: واحدًا وثلاثين يومًا.

(٣) اختلف الصحابة رضي الله عنهم والتابعون من بعدهم في تعيين آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق، وأقوالهم كالتالي:

القول الأول: أن آخر ما نزل: سورة المائدة، رواه أحمد والنسائي، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لجبير ابن نفير: «هل تقرأ المائدة؟ قال: نعم. قالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال؛ =

فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرِّموه». وروي مثله عن عبدالله بن عمرو م، وحسَّنه الترمذي.

الثاني: أن آخر آية نزلت على النبي ق: قوله تعالى في سورة البقرة: «وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ»؛ ذكره البخاري في صحيحه عن ابن عباس معلقًا، ورواه النسائي عنه موصولًا في سننه. وفي رواية: أن جبريل قال: «يا محمد! ضعها على رأس ثمانين ومئتين من البقرة».

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، قال: «آخر ما نزل من القرآن كله: «وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ» الآية، وعاش النبي ق بعد نزولها تسع ليال، ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول».

وهو قول أبي سعيد الخدري، والسُّدي، والضحاك، وابن جريج، وأكثر العلماء على هذا.

الثالث: أن آخر ما نزل: قوله تعالى في سورة البقرة: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ»؛ أخرجه البخاري عن ابن عباس، والطبري عن عمر، والبيهقي عن ابن عمر.

الرابع: أن آخر ما نزل: آية الدَّين في سورة البقرة أيضًا؛ فقد أخرج ابن جرير عن ابن المسيب: أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدًا بالعرش آية الدَّين، وهو قول ابن شهاب كما ذكره أبو عبيد.

الخامس: أن آخر ما نزل: قوله تعالى في سورة آل عمران: «فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ» الآية؛ فقد أخرج ابن مردويه عن أم سلمة أنها قالت: «آخر آية نزلت هذه الآية: «فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم» إلى آخرها».

السادس: أن آخر ما نزل: قوله تعالى: «وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا»؛ وذلك لما رواه البخاري وغيره عن ابن عباس، قال: «هذه الآية: «وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ»؛ هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء».

ولعلَّه أراد أنه لم ينزل بعدها آيةٌ تنسخها أو تُغيِّر حكمها، بل هي مثبتة محكمة، لا أنها آخر ما نزل على الإطلاق.

السابع: أن آخر ما نزل: قوله تعالى في خاتمة سورة النساء: «يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ» الآية؛ ودليله ما رواه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب أنه قال: «آخر آية نزلت: «يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ»، وآخر سورة نزلت: براءة».

=





الثامن: أن آخر ما نزل: قوله تعالى في خاتمة سورة براءة: «لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ» إلى آخر السورة؛ وذلك لما رواه ابن أبي داود في المصاحف، والحاكم في المستدرك عن أُبي بن كعب.

التاسع: أن آخر ما نزل: قوله تعالى في خاتمة سورة الكهف: «فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا»؛ وذلك لما أخرجه ابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان.

العاشر: أن آخر ما نزل هو سورة: «إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ»؛ رواه مسلم عن ابن عباس.

والأحسن في هذا كله أن يقال: سورة كذا، أو آية كذا مِن آخر ما نزل من القرآن، كما قال عثمان ط: «كانت براءة من آخر القرآن نزولًا»، والتعيين في مثل هذا متعذرٌ؛ لأن كل واحد منهم يذكر آخر ما سمع من النبي ق.

وأصح ما يجاب به عن هذه الأقوال؛ أنها أواخر نسبية: فسورة المائدة آخر ما نزل في الحلال والحرام، وآية الكلالة آخر ما نزل في المواريث... وهكذا.

على أنه قد ذَكر غيرُ واحد من المحققين أن قوله تعالى في سورة البقرة: «وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»؛ هي آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق.

تنبيه على خطأ شائع: وهو الإدعاء بأن آية: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» هي آخر ما نزل؛ قالوا: لأنها منبئة بكمال الدين وتمام النعمة، ولأن إكمال الدين لا يكون إلا بإتمام الأحكام والشرائع، ولا يكون هذا إلا بتمام نزول القرآن.

والصحيح خلاف ذلك، فإن هذه الآية نزلت في يوم عرفة في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، وتوفي رسول الله ق بعد ذلك ببضع وثمانين ليلة، وقد صح الخبر أن قوله تعالى: «وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»؛ هو آخر ما نزل، وقد عاش النبي ق بعد نزولها تسع ليال، ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول.

وأما تأويل إكمال الدين وإتمام النعمة؛ فكما قال ابن جرير في تفسيره (٩/ ٥٢٠): «الأولى أن يتأوّل على أنه أكمل لهم دينهم؛ بإقرارهم بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه، حتى حجه المسلمون لا يخالطهم المشركون». اهـ

باب: ذكر قراء القرآن ومن كانت القراءة تؤخذ عنه من الصحابة والتابعين بعدهم

٦٧٩ - حدثنا ابن دكين، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة

عن عمر ط، قال:

سمرنا ليلة عند أبي بكر ط في بعض ما يكون من حاجة رسول الله ق فخرجنا، ورسول الله ق يمشي بيني وبين أبي بكر ط، فلما انتهينا إلى المسجد، إذا رجل يقرأ، فقام يستمع، فقلت: يا رسول الله! أعتمت، فغمزني بيده، فسكت. فقرأ، وركع، وسجد، وجلس يدعو ويستغفر. فقال رسول الله ق: «سل تعطه» ثم قال: «من سره أن يقرأ القرآن رطبًا كما أنزل؛ فليقرأه كما قرأه ابن أم عبد». قال: فعلمت أنا وصاحبي أنه عبدالله ط. قال: فلما أصبحت غدوت عليه لأبشره، فقال: قد سبقك أبو بكر ط. قال: وما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه[1].

---

(١) رواه أحمد مطولًا، وفي تتبعِ ألفاظه فوائد:

الأولى: أن هذا الحديث له قصة:

وهي أن قيس بن مروان أتى عمر ط فقال: «جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة، وتركت بها رجلًا يُملي المصاحف عن ظهر قلبه! فغضب وانتفخ، حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرحل! فقال: =



وحدثنا عفان، عن عبدالواحد بن زياد، عن الحسن بن عبيدالله النخعي، عن إبراهيم، عن علقمة، عن قرثع، عن قيس أو ابن قيس رجل من جُعفي، عن عمر، عن النبي ﷺ مثل ذلك.

٦٨٠ – حدثنا مصعب بن المقدام، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة

عن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«من أحبَّ أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل؛ فليقرأ قراءة ابن أمِّ عبد»(١).

ومن هو ويحك؟ قال: عبدالله بن مسعود، فما زال يطفأ ويسرى عنه الغضب، حتى عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما أعلمه بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه، وسأحدثك عن ذلك، كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر...». وذكر الحديث.

الفائدة الثانية: أن السُّورة التي كان يقرأ بها هي سورة النساء، كما رواه أحمد، قال: «فافتتح النساء فسحلها– وفي رواية: أنه انتهى إلى رأس المئة– فقال النبي ﷺ: «من أحبَّ أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل؛ فليقرأه على قراءة ابن أمِّ عبد».

ومعنى: فسحلها: أي: قرأها كلها قراءة متتابعة متصلة.

وفي هذا فضيلة هذه السورة، كما تقدم.

الفائدة الثالثة: قال: «فجعل النبي ﷺ يقول: سل تعطه، سل تعطه، سل تعطه، فقال فيما سأل: اللهم! إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد». اهـ

وهذا من جوامع الدعاء.

(١) رواه أحمد، وأبو يعلى. وجاء بلفظ: «غضًّا»، وبلفظ: «رطبًا». وبلفظ: «حقًّا».

أما الجمع بين لفظتي: «غضًّا طريًّا»؛ فقد جاءت في رواية ضعيفة عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ رواها الخطيب في تاريخ بغداد وخطَّأها، وإنما المحفوظ عن عمر رضي الله عنه قوله: «غضًّا»، دون قوله: «طريًّا».

وقال البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣٦١): «غضًّا: يعني: حرفًا حرفًا مبيَّنة». اهـ



وحدثنا يزيد، عن هشام، عن ابن سيرين، أن رسول الله ﷺ قال: مثل ذلك.

٦٨١ - حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن مسروق

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:

«خذوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة»[1].

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم. وفي أوله قال مسروق: «ذُكر عبدالله بن مسعود عند عبدالله بن عمر، فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه؛ سمعت النبي ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة...»، وذكره.

وهؤلاء الأربعة: اثنان من المهاجرين، وهما: عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة.

واثنان من الأنصار، وهما: معاذ بن جبل، وأبي بن كعب رضي الله عنهم وعن صحابة النبي ﷺ أجمعين.

ويكفي عبدالله بن مسعود مدحًا وشرفًا في هذا الحديث أن النبي ﷺ بدأ به قبل غيره؛ فرضي الله عنه، وقاتل الله الحجَّاج الذي اتفق السَّلفُ على لعنه، ومنهم من كفَّره بسبب ما ارتكبه من عظائم، ومنها ما جاء في تاريخ الإسلام (٦/ ٣٢٠) أنه قال: «يا عجبًا من عبد هُذيل- يقصد: عبدالله بن مسعود رضي الله عنه- يزعم أنه يقرأ قرآنًا من عند الله، ما هو إلا رجز من رجز الأعراب، والله لو أدركت عبد هُذيل؛ لضربت عنقه! ولأحكنَّها من المصحف ولو بضلع خنزير. وقال الصلت بن دينار: سمعت الحجَّاج، يقول: ابن مسعود رأس المنافقين، لو أدركته؛ لأسقيت الأرض من دمه». اهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٥٣١): «ابن مسعود رضي الله عنه في العلم من طبقة عمر، وعلي، وأُبي، ومعاذ، وهو من الطبقة الأولى من علماء الصحابة، فمن قدح فيه أو قال: هو ضعيف الرواية؛ فهو من جنس الرافضة الذين يقدحون في أبي بكر وعمر وعثمان، وذلك يدل على إفراط جهله بالصحابة، أو زندقته ونفاقه». اهـ

وقوله: «خذوا القرآن من أربعة». أي: تعلموا القرآن من هؤلاء الأربعة، كما في الرواية الأخرى: «استقرئوا القرآن من أربعة». ولا يلزم من ذلك نفي الأخذ عن غيرهم من أصحاب النبي ﷺ وإنما =



خصَّهم النبي ق بهذه الفضيلة؛ لأنهم اشتهروا بحفظ القرآن والتصدي لتعليمه، وإلا فإن عليًّا وأبا موسى الأشعري كانا يقرآن الناس القرآن، بل إن الذين قتلوا في يوم بئر معونة، كان يقال لهم: القراء، وكانوا سبعين رجلًا؛ أرسلهم النبي ق يُعَلِّمون الناس القرآن.

وهؤلاء الأربعة لم يجمعوا القرآن حفظًا، فمنهم من بقي عليه شيء، كابن مسعود، فإنه سئل عن (طسم، سورة القصص)، فقال للسائل: «لا أحفظها، سل خبَّابًا عنها».

وكذلك سالم مولى أبي حذيفة؛ فقد بقي عليه شيء لم يجمعه، كما قال الشعبي.

أما من جمع القرآن حفظًا في عهد النبي ق ، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس ط قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ق أربعة، كلهم من الأنصار: معاذ بن جبل، وأُبَي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال قتادة: قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي».

وفي رواية، قال: «مات النبي ق ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد ابن ثابت، وأبو زيد. قال أنس: ونحن ورثناه».

والمراد بذلك من الأنصار، وإلا فقد حفظه على عهده ق من غير الأنصار: عثمان بن عفان، وكذلك عبدالله بن عمرو بن العاص ن فقد قال: «جمعتُ القرآن؛ فقرأت به كل ليلة، فبلغ ذلك رسول الله ق ...». الحديث.

وإن كان المراد هنا: «جمعت ما نزل منه»؛ لأنه نزل بعد هذه القصة سور وآيات.

وقد أورد البخاري في صحيحه بثلاث روايات سبعةً من الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ق ، وهم: عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد قيس بن السكن، وأبو الدرداء. لكن منهم من وصلت قراءته إلينا، ومنهم من لم تصل.

أما أبو بكر ط؛ فقد قال ابن سيرين: «مات أبو بكر، ولم يجمع القرآن». رواه ابن سعد في الطبقات.

وأما عمر ط؛ فقد قال ابن سيرين: «قتل عمر، ولم يجمع القرآن». رواه ابن سعد في الطبقات، وقال روح بن عبدالمؤمن: «يعني: أنه لم يحفظه».

وقال الشعبي: «مات أبو بكر وعمر وعلي، ولم يجمعوا القرآن». رواه ابن أبي شيبة.

=

٦٨٢ - حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن خالد الحذاء

عن أبي قلابة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«أرحم أمتي بأمتي: أبو بكر، وأشدهم في دين الله: عمر، وأصدقهم حياءً: عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام: معاذ بن جبل، وأقرؤهم للقرآن: أُبَي بن كعب، وأفرضهم: زيد بن ثابت. وإن لكل أمة أمينًا، وأمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح»[1].

وحدثنا خالد بن عمرو، عن سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ مثل ذلك.

٦٨٣ - حدثنا يزيد، عن أبي نُصيرة مسلم بن عُبيد

عن الحسن، قال: قال النبي ﷺ:

«عليٌّ: أقضى أمتي، وأبيٌّ: أقرؤهم، وأبو عبيدة: آمنهم- أو قال-: أمينهم»[2].

وإن كان قد روى أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٦٧) عن عبد خيرٍ، عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «لما قُبض رسول الله ﷺ أقسمت أو حلفت أن لا أضع ردائي عن ظهري، حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي عن ظهري حتى جمعت القرآن».

وعبدُ خيرٍ هو مولى علي رضي الله عنه، لكن الشعبي أوثق في معرفة كبار الصحابة رضي الله عنهم وأحوالهم.

(١) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

(٢) لم أجده عند غير المؤلف، وهو من مراسيل الحسن وإسناده عنه صحيح، وأبو نصيرة مسلم =

٦٨٤ – حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا حبيب بن الشهيد، قال: حدثني ابن أبي مليكة، قال:

سمعت ابن عباس م يقول:

قال عمر ط: أقضانا: عليٌّ، وأقرؤنا: أُبَيٌّ[1].

٦٨٥ – حدثنا الأنصاري، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة

عن أنس بن مالك ط، قال:

جمع القرآن على عهد رسول الله ق أربعة: معاذ بن جبل، وزيد بن

ابن عُبيد، قد وثقه الإمام أحمد وغيره. وصحَّ هذا عن عمر ط؛ كما في الأثر التالي.

(١) رواه ابن سعد في الطبقات، وابن شبة في تاريخ المدينة.

فأما بخصوص عليٍّ ط: فقد روى أحمد وأبو داود والنسائي واللفظ له، عن عليٍّ ط قال: «بعثني رسول الله ق إلى اليمن وأنا شابٌّ حديث السِّن، فقلت: يا رسول الله! إنك بعثتني إلى قوم يكون بينهم أحداث، وأنا حديث السِّن، وليس لي علم بالقضاء، فقال ق: إن الله سيهدي قلبك ويُثبِّت لسانك، قال عليٌّ ط: فما شككتُ في قضاءٍ بين اثنين بعده».

وروى ابن سعد في الطبقات (٢٤٠٧) عن سماك بن حرب، قال: «سمعت عكرمة، يحدث عن ابن عباس، قال: إذا حدثنا ثقة عن عليٍّ ط بفتيا لا نعدوها».

وقال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٨/ ٣٠١): «فقضايا علي ط وأحكامه سنة واجبة، وفروض لازمة، مشاكِلةٌ لأحكام كتاب الله وسنة رسول الله ق؛ لأنه ط عليهما ورد، وعنهما صدر، وقال النبي ق: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ»، وهو أحد الخلفاء الراشدين، وسنته كسنتهم». اهـ

وأما بخصوص أُبيٍّ ط: فقد روى أحمد في مسنده عن ابن عباس، أن أُبيًّا قال لعمر: «يا أمير المؤمنين! إني تلقّيت القرآن ممن تلقّاه- وقال عفان: ممن يتلقاه- من جبريل وهو رطب».

ثابت، وأبو زيد[١]، وأبي بن كعب[٢].

٦٨٦ – حدثنا إسحاق الأزرق، عن سفيان الثوري، عن منصور

عن إبراهيم، قال:

كان الذين يُقرئون الناس القرآن، ويعلمونهم[٣] من أصحاب عبدالله ط ستة: علقمة، والأسود، ومسروق، وعَبيدة، وعمرو بن شُرَحْبيل، والحارث بن قيس رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

---

(١) اسمه: قيس بن السَّكن، قال أنس ط: «وكان رجلًا منا من بني عدي بن النجار، أحد عمومتي، ومات ولم يدع عقبًا، ونحن ورثناه».

وقال إسماعيل بن محمد الأصبهاني في سير السَّلف الصالحين (٢/ ٦٣٥): «ذكر قيس بن السكن الأنصاري ط، كنيته أبو زيد، أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ق، شهد بدرًا، وقُتل يوم جسر أبي عُبيدة، ويوم الجسر على رأس خمس عشرة. وقال أنس ط: افتخر الحيَّان من الأنصار الأوس والخزرج، فقال الأوس: منَّا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب، ومنَّا من اهتز لموته عرش الرحمن سعد بن معاذ، ومنَّا من حمته الدبر عاصم بن ثابت، ومنَّا من أُجيزت شهادته بشهادة الرجلين خزيمة بن ثابت، وقال الخزرجيون: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم: زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل ن». اهـ

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم.

وروى ابن سعد في الطبقات عن ابن سيرين، قال: «قبض رسول الله ق ولم يجمع القرآن من أصحابه غير أربعة نفر كلهم من الأنصار، والخامس يختلف فيه، والنفر الذين جمعوه من الأنصار: زيد بن ثابت، وأبو زيد، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، والذي يختلف فيه: تميم الداري».

(٣) وفي رواية: «ويعلمونهم السُّنة»؛ رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١/ ١٥٥). وفي رواية: «ويصدر الناس عن رأيهم»؛ ذكرها المزي في تهذيب الكمال في ترجمة علقمة.



٦٨٧ – حدثنا عباد بن عباد، قال: حدثنا يونس بن عبيد

عن الحسن، قال:

كان عامر بن عبد قيس يصلي الصبح في المسجد، ثم يقوم في ناحية منه؛ فيقول: مَنْ أُقْرِئ؟ فيأتيه ناس فيقرئهم القرآن حتى تطلع الشمس، وتُمْكِن الصلاة، فيقوم فيصلي حتى يصلي الظهر، ثم يصلي حتى تصلى العصر، ثم يقوم إلى مجلسه من المسجد؛ فيقول: مَنْ أُقْرِئ؟ فيأتيه ناس فيقرئهم القرآن حتى يقوم لصلاة المغرب، ثم يصلي حتى تصلى العشاء، ثم ينصرف إلى منزله، فيأخذ أحد رغيفيه من سلته، فيأكله ويشرب عليه، ثم يضع رأسه، فينام نومة خفيفة، ثم يقوم لصلاته، فإذا كان من السحر أخذ رغيفه الآخر، فأكل وشرب، ثم خرج إلى المسجد(١).

---

(١) وفي الزهد لأحمد (١/ ١٧٩) عن العلاء بن سالم، قال: «حدثني من صحب عامر بن عبد قيس أربعة أشهر، قال: فما رأيته نام بليلٍ ولا نهار– أي: كبير نوم– حتى فارقته، وكان له رغيفين قد جعل عليهما ودكًا فيتسحر بواحد ويفطر بآخر، وكان إذا أصبح علَّمنا القرآن، حتى إذا أمكنته الصلاة، قام فصلى، فلا يزال يصلي حتى العصر، قال: ثم يعلِّمنا القرآن، فإذا صلى المغرب، قال: فهي ليلته حتى يصبح». اهـ

وذلك لأن عامرًا ممن تلقن القرآن من أبي موسى ط وأصحابه، حين قدم البصرة وعلَّم أهلها القرآن، والذي يفسر لك هذه الهِمَّة العالية؛ ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع (١/ ٨٢) عن الحسن، قال: «قال عامر بن عبد قيس: وجدتُ عيش الناس في أربع: اللِّباس، والنِّساء، والنَّوم، والطَّعام. قال: فأما اللباس، فما أبالي ما واريت به عورتي وألقيته على كتفي: صوف أو غيره، وأما

=

النساء، فما أبالي امرأة رأيت أم جدارًا، وأما النوم والطعام فقد غلباني، إلا أني أصيب منهما؛ وايم الله لئن بقيت لأضرن بهما جهدي. قال الحسن: فأضر بهما والله جهده حتى مات». اهـ

وقد والله أضرَّ بهما، وصدق فيه قول القائل: (عامر بن عبد قيس المُضِرُّ بلذيذ العيش)؛ لأنه علم أنَّ من أراد الآخرة؛ أضرَّ بدنياه لا محالة- دون أن يخرج عن هدي النبي ﷺ وأصحابه-.

وهو الذي قيل له: «إن الجنة تُدرك بدون ما تصنع، وإن النَّار تُتقى بدون ما تصنع! فيقول: لا، حتى لا ألوم نفسي».

وفي الزهد للإمام أحمد (١/ ١٧٨) عن عامر بن عبد قيس أنه كان يقول: «لو جاءني اليقين وأنا حي في الدنيا بأني من أهل النار ما طابت نفسي عن نفسي بهلا كما أبدًا لعبدت الله عز وجل عبادة واجتهدت اجتهادًا أكون قد هلكت بعد اجتهاد مني، فيكون أعذر لنفسي عندي».

وذُكِرَ عنه أن رجلًا قال له: «قف أكلمك! فقال له عامر: أمسك الشمس». أي إن استطعت أن تمسك الوقت فلا يمر؛ فسأقف.

وروى أحمد في الزهد (١/ ١٨٤) أنه كانت ابنة عمٍّ لعامر- يقال لها: عُبيْدة- ترى ما يصنع بنفسه، فتعالج له الثريد، فتأتيه به، فيخرج إلى أيتام الحيّ، فيدعوهم، فتقول: إنما عملتها لك بيدي لتأكلها! فيقول: «أليس إنما أردتِ أن تنفعيني؟». قال: وكان يقول لها: «يا عُبيدة! تعزِّي بالقرآن عن الدنيا، فإنه من لم يتعزَّ بالقرآن عن الدنيا؛ تقطعت نفسه على الدنيا حسرات».

وفيه: «أن عامرًا أتى امرأة من بلعنبر يعزيها على أخٍ لها، كان آخر من بقي من أهلها، فقال لها: تعزِّي بالقرآن، فإنه من لم يتعز بالقرآن؛ تقطعت نفسه على الدنيا».

وروى أحمد في الزهد (١/ ١٧٩) عن عون، عن محمد، قال: «قيل عند عبدالله بن عامر أن عامر ابن عبد قيس العنبري لا يأكل اللحم، ولا يأكل السَّمن، ولا يقرب النِّساء، ولا يمس جلده جلد أحدٍ، ولا يقرب المساجد، ويزعم أنه خير من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ! فدخل معقل بن يسار على عبدالله ابن عامر، وقد تحدثوا عنده بهذا، وكان معقل خليلًا لعامر بن عبد قيس، فقال عبدالله بن عامر لمعقل بن يسار: ألا ترى ما يقول هؤلاء لخليلك؟! قال: وما يقولون؟! قال: يقولون كذا، ويقولون كذا- للذي قالوا- فما كلمهم معقل حتى خرج، فركب دابته، فأتى عامرًا وهو في داره، فإذا هو قاعد في مسجده وعليه برنس، فجاء فجلس إليه، فقال له معقل: أتيتك من عند هؤلاء، وإنهم =



حدثوني عنك حديثًا- قال: حسبت أنه قال: فأفزعني- فقال عامر: وما حدثوك؟ قال: يزعمون أنك تفعل كذا، وتفعل كذا- للذي ذكروا- قال: فما كلمه عامر بكلمة، حتى أخرج يده من برنسه فقبض على يده، ثم قال: أما قولهم: لا يأكل اللحم؛ فإنهم يشترون العلج من السبي الذي لا يفقه الإسلام فيذبح، وأنا إذا اشتهيت اللحم أرسلنا إلى شاة فذبحناها. وأما قولهم: لا يأكل السمن؛ فاني آكل السمن الذي يجيء من أرض العرب، وأما الذي يجيء من أرض العجم فإني لا أدري ما يخالطه؛ فذلك الذي يحملني على تركه. وأما قولهم: لا يقرب النِّساء؛ فوالله ما بي إليهن من نشاط، وما عندي مال، فبأي شيء أغر امرأة مسلمة جيء بها إليَّ. وأما قولهم: لا يقرب المساجد؛ فإني في مسجدي هذا، فإذا كان يوم الجمعة ذهبت فصليت في جماعة المسلمين، ثم رجعت إلى مسجدي هذا. وأما قولهم: يزعم أنه خير من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فاني لا أشعر أن أحدًا يتجرأ أن يقول هذا».

وفي لفظ آخر عند أحمد في الزهد (١/ ١٨٤) عن شيخ قد سماه، وكان قد أدرك ذكر سبب تسيير عامر بن عبدالله- وجهالة الشيخ هنا لا تضر؛ إذ أن تسيير عامر من البصرة كان أمرًا متواترًا- قال: «مرَّ برجل من أعوان السلطان وهو يجر ذِميًّا، والذميُّ يستغيث به، قال: فأقبل على الذمي، وقال: أديت جزيتك؟ قال: نعم. وأقبل عليه، وقال: ما تريد منه؟ قال: أريد منه أن يكسح دار الأمير، قال: فأقبل على الذمي، وقال: تطيب نفسك له بهذا؟ قال: يشغلني عن صنعتي، قال: دعه، قال: لا أدعه، فقال له: دعه، قال: لا أدعه، قال: فوضع كساءه، ثم قال: لا تخفر ذمة محمد ﷺ وأنا حي، قال: ثم خلَّصه منه، قال: فترقى ذلك حتى كان سبب تسييره، فجاء أميرُ البصرة ابنَ عامر، قال: فقيل له: الأمير بالباب، قال: فأذن له- وإنه لنائم على برذعته- قال: فقال: هذا كتاب أمير المؤمنين جاء إليك أنك لا تأكل اللحم، ولا تتزوج النساء، ولا تأكل السمن، وتطعن على الأئمة! قال: أما قولك: لا آكل اللحم؛ فاني مررت بقصاب يقول: النَّفاق النَّفاق- أي: أدركوا اللحم قبل أن ينفد- حتى ذبح، وقد أكره الذبيحة التي لا يذكر اسم الله عليها، فإذا اشتهينا اللحم؛ ذبحنا الشاة قد ربيناها، فأكلنا لحمها. وأما قولك: لا آكل السمن؛ فاني كنت أراهم في مغازينا يقطعون إلية الشاة ثم يسلونها مع السمن، وتلك ميتة، وقد آكل ما جاء من باديتنا هذه. وأما قولك: أني أطعن على الأئمة؛ فمعاذ الله أن أطعن على إمام. وأما قولك: أني لا أتزوج النساء؛ فلقد خطبت إلى ربي عز
=



وجل قبل أن تلدك أمك. قال: فقال له حمران: لا أكثر الله في المسلمين- يعني: مثلك- فقال: لكن أكثر الله في المسلمين مثلك؛ لابد للمسلمين من مهات».

وفي تاريخ بغداد للخطيب (٧/ ٥٥٣) قال المروذي: «لما قيل لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: مات بشر بن الحارث! قال: مات رحمه الله، وما له نظير في هذه الأمة إلا عامر بن عبد قيس؛ فإن عامرًا مات ولم يترك شيئًا، وهذا قد مات ولم يترك شيئًا، ثم قال: لو تزوج كان قد تم أمره».

وفي الزهد لأحمد، عن الحسن، قال: «سمعهم عامر بن عبد قيس، وما يذكرون من ذِكر الضيعة في الصلاة، فقال: تجدونه؟! قالوا: نعم، قال: والله لئن تختلف الأسنة في جوفي أحب إليَّ أن يكون هذا في صلاتي».

وعن أبي العلاء أن رجلًا قال لعامر بن عبد قيس: «استغفر لي، استغفر لي، قال: إنك لتسأل من قد عجز عن نفسه، ولكن أطع الله، ثم ادعه يستجب لك».

وعن يزيد- يعني: ابن عبدالله بن الشخير- قال: «كنا نأتي عامر بن عبدالله، وهو يصلي في مسجده، فإذا رآنا؛ تجوز في صلاته، ثم انصرف، فقال لنا: ما تريدون؟! وكان يكره أن يرونه يصلي.

وعن ثابت أن عامر بن عبد قيس، قال لابنيّ عم له: «فوضا أمركما إلى الله عز وجل تستريحا».

قال عبدالله: قال أبي: «فبلغني أن عامر بن عبد قيس كان إذا أصبح، قال: اللهم إن هؤلاء يغدون ويروحون، ولكلٍ حاجة، وإن حاجة عامر أن تغفر له».

وعن ابن شوذب، قال: «قال عامر: ما آسى على شيء فارقته بالعراق إلا على ظمأ الهواجر، ومجالسه أقوام يتحرون الحديث».

وعن جارية بن قدامة، قال: «قدمت الشام فانتهيت إلى عامر بن عبد قيس وهو قاعد في المسجد، قال: فقعدت إليه ومعه جليس لا أعرفه، قال: فقلت له: وددت أني لقيت كعبًا! قال: لأي شيء؟ قال: لشيء بلغني عنه أنه قال: لا يأتي أحد هذا المسجد- يعني: بيت المقدس- لا يريد إلا الصلاة فيه؛ رجع كيوم ولدته أمه من الذنوب، قال: فقال عامر: الرجل جليسك- يعني: كعبًا- قال: فقال كعب: ما الليل بليل ولا النهار بنهار، وإنه لم يكن ذاك كذلك، ولعمرة أفضل من تقديستين، وحجة أفضل من عمرتين، وما من عبدٍ يقوم من الليل، فيتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين، ويستغفر الله إلا غفر له».

=



وفي الزهد لابن المبارك، عن قتادة، قال: «كان عامر بن عبد قيس سأل ربه تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء وله بخار، قال: وسأل ربه عز وجل أن ينزع شهوة النساء من قلبه، فكان لا يبالي أذكرًا لقي أم أنثى، وسأل ربه عز وجل أن يمنع قلبه من الشيطان، وهو في الصلاة فلم يقدر عليه».

وعن قتادة، قال: «قال عامر بن عبد قيس: آية في كتاب الله أحب إليَّ من الدنيا جميعًا أن أُعطاها، وأن يجعلني الله من المتقين». يعني قوله تعالى: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ».

وفي الجهاد لابن المبارك (١/ ١٥٥) قال: «كان عامر بن عبد قيس إذا خرج للغزو يقف يتوسم المجاهدين، فإذا رأى رفقة توافقه، قال لهم: يا هؤلاء! إني أريد أن أصحبكم للجهاد، وأن أجاهد معكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خصال! فيقولون: ما هي؟ فيقول:

الأولى: أن أكون خادمكم، لا ينازعني أحد منكم في الخدمة!

والثانية: أن أكون مؤذنًا لكم، لا ينازعني أحد منكم في الأذان!

والثالثة: أن أنفق عليكم بقدر طاقتي! فإذا قالوا: نعم، انضم إليهم، فإن نازعه أحد منهم شيئًا من ذلك؛ رحل عنهم إلى غيرهم».

وفي المنامات لابن أبي الدنيا، عن عبدالملك بن يعلى الليثي، قال: «رأيت عامر بن عبد قيس في النوم، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: ما أريد به وجه الله».

وفي ذم الدنيا لابن أبي الدنيا، قال عامر بن عبد قيس: «الدنيا والدة الموت، وَنَاقِضَةٌ لِلْمُبْرَمِ، وَمُرْتَجِعَةٌ لِلْعَطِيَّةِ، وكل من فيها يجري على ما لا يدري، وكل مستقر فيها غير راض بها، وذلك شهيد على أنها ليست بدار قرار».

وفي الزهد لهنَّاد، عن عامر بن عبد قيس أنه كان يقول: «ما رأيت مثل الجنة نام طالبها! ولا رأيت مثل النار نام هاربها! قال: وكان إذا جاء الليل، قال: أذهب حرُّ النار النوم، فما ينام حتى يصبح. فإذا جاء النهار، قال: أذهب حرُّ النار النوم، فما ينام حتى يمسي، فإذا جاء الليل، قال: من خاف أدلج، بعد الصباح يحمد القوم السري».

وروى أبو نعيم في الحلية، عن علقمة بن مرثد، قال: «انتهى الزهد إلى ثمانية: عامر بن عبدالله بن عبد قيس، وأويس القرني، وهرم بن حيان، والربيع بن خثيم، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن =





يزيد، وأبو مسلم الخولاني، والحسن بن أبي الحسن. فأما عامر بن عبدالله فكان يقول: في الدنيا: الغموم والأحزان، وفي الآخرة: النار والحساب، فأين الراحة والفرح؟!».

وعن ميمون بن مهران: «أن عامر بن عبد قيس، بعث إليه أمير البصرة، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن أسألك ما لك لا تزوج النساء؟ قال: «ما تركتهن وإني لدائب في الخطبة». قال: وما لك لا تأكل الجبن؟ قال: «أنا بأرض فيها مجوس، فإن شهد شاهدان من المسلمين أن ليس فيه ميتة؛ أكلته». قال: وما يمنعك أن تأتي الأمراء؟ قال: «إن لدى أبوابكم طلاب الحاجات؛ فادعوهم واقضوا حوائجهم، ودعوا من لا حاجة له إليكم».

وعن الحسن، عن عامر بن عبد قيس، قال: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فعرضتان حساب ومعاذير، والعرضة الثالثة تطاير الكتب؛ فآخذ بيمينه وآخذ بشماله».

وفي مختصر قيام الليل للمروزي، قال: «كتب معاوية إلى عامل البصرة أن يزوج عامر بن عبد قيس من صالح نساء قومه ويصدقها من بيت المال، فلم يدعه حتى زوجه، فجهزه ثم ذهب بعامر حتى أدخل عليها. فقام إلى مصلاه، لا يلتفت إليها حتى إذ رأى تباشير الصبح، قال: يا هذه! ضعي خمارك؛ فلما وضعت خمارها، قال: اعتدي. ثم قال: أتدرين لم أمرتك أن تضعي خمارك؟ لئلا يؤخذ منك شيء أعطيت».

وفي تاريخ الطبري (٤/ ٤٧٤) لما سار عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام، كان معاوية يسأله أن يرفع إليه حوائجه؛ فيأبى، فلما أكثر عليه، قال: «حاجتي أن ترد عليَّ من حرِّ البصرة؛ لعلَّ الصوم أن يشتد عليَّ شيئًا، فإنه يخف عليَّ في بلادكم».

ومن قصصه في العفاف والثبات أمام مطامع المال، وأداء الأمانات إلى أهلها، ما جاء في تاريخ الطبري (٤/ ٣٢٠): «أن المسلمين لما هبطوا المدائن وجمعوا الغنائم، أقبل رجل بحُقٍّ معه، فدفعه إلى خازن الأموال، فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه، قالوا: هل أخذت منه شيئًا؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأنًا، فقالوا من أنت؟ قال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا أخبر غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه، فاتبعه رجل حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس». اهـ



باب: تأول القرآن بالرأي وما في ذلك من الكراهة والتغليظ

٦٨٨ – حدثنا محمد بن يزيد، عن العوام بن حوشب

عن إبراهيم التيمي:

أن أبا بكر الصديق ط سئل عن قوله: @وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ! [عبس:٣١]. فقال: أي سماء تظلني، أو أي أرض تقلني؛ إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟[1]

---

(١) كان أبو بكر الصديق ط أعلم الصحابة على الإطلاق، ومع ذلك كان أبعد الناس عن الرأي والتكلف والقول على الله بلا علم، فقد روى ابن سعد في الطبقات الكبرى عن محمد بن سيرين، قال: «لم يكن أحد بعد النبي ق أهيب لما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر، وإن أبا بكر نزلت به قضية لم يجد لها في كتاب الله أصلًا ولا في السنة أثرًا؛ فقال: أجتهد رأيي؛ فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني، وأستغفر الله».

وصدق الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال في مسائل الجاهلية: «قاعدة الضلال: القول على الله بلا علم». اهـ

لكن لو قيل: كيف يتحرج أبو بكر ط من القول بالرأي في الأَبِّ، بينما لم يتحرج في الكلالة وقال فيها برأيه؟

فيقال: إن الجهل بكيفية الأَبِّ لا يؤثر في فهم المعنى العام للآية، وليس تحته كبير عمل.

=



٦٨٩ - حدثنا يزيد، عن حميد

عن أنس ط:

أن عمر بن الخطـاب ط، قـرأ علـى المنـبر: @وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ! [عبس:٣١]؛ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأَبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه؛ فقـال: إن هذا لهو التكلف يا عمر!(١)

والأمر الثاني: أن أبا بكر ط كان خليفة المسلمين وهو إمـام النـاس، والكلالـة تحتـاج إلى بيـان واجتهاد، ولابد له من ذلك.

(١) لأن عمر ط أراد استكشاف علم كيفيـة الأبِّ، ومعرفـة شـكله وجنـسه وعينـه ومـن أي شجرة هو، فقال ذلك تأديبًا لنفسه، وإلا فهو يعلم أنه مـن نبـات الأرض، ممـا يأكلـه الـدواب ولا يأكله الناس. وفي مستدرك الحاكم عن ابن شهاب، أن أنس بن مالك ط أخبره أنه سمع عمر بـن الخطاب ط يقول: «فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا - وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا - وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا - وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا - وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا» قال: فكل هذا قد عرفناه فما الأبُّ؟ ثم نفض عصا كانت في يده، فقال: هذا لعمر الله التكلف؛ اتبعوا ما تبين لكم مـن هذا الكتاب». وفي رواية قال: «قرأ عمر ط: «وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا»، فقال بعضهم: هكذا، وقال بعـضهم: هكذا؛ فقال عمر: دعونا من هذا، آمنا به كل من عند ربنا». وفي ذم الكلام وأهله للهروي (٥٣٠): «أنه وضع يده على رأسه، ثم قال: هذا التكلف يا ابن أمِّ عمر! ما عليك أن لا تدري ما الأبُّ؟»».

وقصة عمر ط مع صَبيغ بـن عِـسْل معلومـة؛ وذلـك لمـا سـأل عـن معنـى: «وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا» - والمقصود بها الريح - لكنَّ صبيغًا أراد أبعد من ذلك، ففهم عمر مقصده، ولهذا قال له: «تسأل عـن محدثة»، وجعل يضربه على ظهره حتى أدماه، فتركه حتى برئ، ثم دعا به فضربه حتى أدماه، وتركـه حتى برئ، ثم دعا به، فلما همَّ أن يضربه، قال له: «يا أمير المؤمنين! إن كنت تريد أن تقتلني؛ فاقتلني قتلًا جميلًا، وإن كنت تريد أن تداويني، فقد والله برئت».

وفيما تقدَّم من كلام الشيخين - أبي بكر وعمر م - فائدتان:

=



٦٩٠ - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب

عن ابن أبي مليكة، قال:

سأل رجلٌ ابنَ عباس ﭭ عن يوم كان مقداره ألف سنة؟ فقال ابن عباس ﭭ: فما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال الرجل: إنما سألتك لتحدثني. فقال ابن عباس ﭭ: هما يومان ذكرهما الله في كتابه، الله أعلم بهما. فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم(١).

الأولى: عدم الإقدام على تفسير كلام الله بلا علم، والتشديد في ذلك؛ لأن التفسير بالرأي متوعدٌ عليه، وقد كان الأصمعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يحفظ ستة عشر ألف قصيدة من قصائد العرب التي هي ديوان العرب، فيُسئل عن السقب في قول النبي ﷺ: «الجار أحق بسقبه»، فيقول: «أنا لا أفسر كلام رسول الله ﷺ، ولكن العرب تزعم أن السقب: اللزيق». وكان الإمام أحمد يُسئل عن معنى الكلمة في حديث الرسول ﷺ وهو يروي الحديث من وجوه وألفاظ مختلفة؛ فيتوقف.

الثاني: عدم التكلف في معرفة تفاصيل الأشياء.

وبهذا ينقطع الطريق أمام المتعمقين والمتنطعين الذين يتقفرون تفاصيل الأشياء، مما لم يوثر علمه عن السَّلف، ولا تأثير له في العمل، وقد قال عبدالله بن مسعود: «تعلَّموا قبل ذهاب العلم، فإن من ورائكم قومًا يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فتعلَّموا قبل ذهاب العلم، وإياكم والتبدع، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمق، وعليكم بأمركم العتيق».

(١) وفي هذا ردٌّ على من ينسب لابن عباس ﭭ التفسير بالرأي والتوسع في ذلك؛ وقد وروى ابن جرير في تفسيره بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة: «أن ابن عباس سئل عن آية، لو سُئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها».

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٢٠) عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر ﭭ: «أن رجلًا أتاه يسأله عن قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا»، قال: اذهب إلى

=



ذلك الشيخ فاسأله، ثم تعال؛ فأخبرني ما قال، فذهب إلى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: «كانت السماوات رتقًا لا تمطر، وكانت الأرض رتقًا لا تنبت، فَفَتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات»، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال: إن ابن عباس قد أوتي علمًا؛ صدق هكذا كانتا، ثم قال ابن عمر: قد كنت أقول: ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتي علمًا». اهـ

تأمل قول ابن عمر ﭬ فإنه قال: «علمًا»، ولم يقل: «رأيًا».

وفيه أيضًا ردٌّ على من زعم أن كثيرًا من تفاسير ابن عباس أخذها عن أهل الكتاب، وابن كثير في تفسيره كثيرًا ما يصف تفاسير ابن عباس بالإسرائيليات! ومن المعلوم المقطوع به أن ابن عباس ﭬ لا يقول في كتاب الله بالرأي ولا بالهوى، وأنه كان من أبعد الناس عن الأخذ عن بني إسرائيل! كيف يكون ذلك وهو القائل- كما في صحيح البخاري-: «يا معشر المسلمين! كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله؛ تقرءونه لم يُشب؟ وقد حدَّثكم الله أن أهل الكتاب بدلَّوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب؛ فقالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا! أفلا ينهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ لا والله، ما رأينا منهم رجلًا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم». اهـ

وما قاله ابن عباس ﭬ في تفسير آيات الله؛ فهو إما شيء سمعه من النبي ﷺ وإما شيء أخذه من الصحابة الذين أخذوا من النبي ﷺ - وإن كان أخذ من كعب الأحبار أو غيره، فهو بالشروط التي علمهم إياها رسول الله ﷺ -.

قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٤٤٨): «وأيضًا فَعِلْمُ ذلك لا يؤخذ بالرأي، وإنما يقال توقيفًا، ولا يجوز أن يكون مستند ابن عباس ﭬ أخبار أهل الكتاب؛ الذي هو أحد الناهين لنا عن سؤالهم، ومع نهي النبي ﷺ عن تصديقهم، أو تكذيبهم، فعُلم أن ابن عباس إنما قاله توقيفًا من النبي ﷺ، وفي البخاري عن أبي هريرة ﭬ قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: «ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا». الآية.

فمعلوم مع هذا أن ابن عباس لا يكون مستندًا فيما يذكره من صفات الرب أنه يأخذ عن أهل الكتاب، فلم يبق إلا أن يكون أخذ من الصحابة الذين أخذوا من النبي ﷺ». اهـ



٦٩١ – حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة

عن عمرو بن مرة، قال:

قال رجل لسعيد بن جبير: أما رأيت ابن عباس م حين سئل عن هذه الآية: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ [النساء:٢٤]. **فلم يقل فيها شيئًا، فقال سعيد: كان لا يعلمها**[١].

٦٩٢ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث، عن يحيى بن سعيد

عن سعيد بن المسيِّب:

أنه كان إذا سئل عن شيء من القرآن، قال: أنا لا أقول في القرآن شيئًا[٢].

---

(١) وأما سعيد بن جبير؛ فقد كان يتورّع أيضًا عن القول في التفسير برأيه. وقد ذكر ابن خلّكان في وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١): «أن رجلًا سأل سعيدًا أن يكتب له تفسير القرآن، فغضب؛ وقال: لأن يسقط شِقِّي أحبّ إليّ من ذلك».

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/ ١٣٧) عن مالك، عن يحيى بن سعيد، قال: «سئل سعيد بن المسيب عن آية من كتاب الله؛ فقال سعيد: لا أقول في القرآن شيئًا. قال مالك: وبلغني عن القاسم مثل ذلك». اهـ

وعِلَل توقف السَّلف عن التفسير كثيرة جدًا، ومن أهمها:

١ – خشية القول على الله بغير علم، وتفسير كلامه بغير مراده.

=



٦٩٣ – حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة

عن عمرو بن مُرَّة، قال:

٢- أن تفسير كلام الخالق يُحَجِّرُ واسعًا، وهل يطيق المخلوق أن يحصي معاني كـلام الخـالق، فـإذا كُتب التفسير؛ ظن الجاهل أنه لا معنى للآية سوى هـذا، فلـو تـرك كـلام الخـالق، وبُـيِّن متـشابهه فحسب، لكان أقرب لمراد الله- كما فعل الصحابة ن.

٣- أن الرأي في الدين مذموم، فكيف بالرأي في كلام الله؟!

٤- أن أكثر القرآن تعرفه العرب من كلامها، قال تعالى: « هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ »، وبذا فسرها ابن عباس م- كما تقدَّم.

وما اشتبه على العبد سأل عنه الراسخين في العلم، ولا حاجة للتدوين.

٥- أن التفسير أصبح صنعة من لا صنعة له، فكلٌّ من عنده خطرات أو آراء أو وساوس كتبها في التفسير وأظهرها للناس.

٦- لما كُتبت التفاسير ظهرت المفاسد التي خافها السَّلف جلية، فكلُّ مُفَسِّرٍ يعطف الآية ويلويها لتوافق هواه ومذهبه، ومنهم من يكثر الحشو والكلام الإنشائي الغث الذي يصدُّ عن كلام الخالق، ومنهم من يستعرض بتدوين جميع العلوم في التفسير، حتى قيل عن تفسير الرازي: (فيـه كـل شيء إلا التفسير)، ومنهم من فُتن بما يسمى بـ(الإعجـاز العلمـي)، فكـل المخترعـات الحديثـة يلـوي الآيات ليقول: هي في القرآن، ومنهم...ومنهم...ومنهم.

فرحم الله السَّلف! كانوا والله هم أسلم وأعلم وأحكم، وبمراد الله أعرف.

وأحسن التفاسير الآن؛ ما جمع كلام الصحابة والسَّلف دون أن ينبس من عنده ببنت شفة.

وهذا يختلف عن القوم الذين اجتمعوا في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بيـنهم، فإنَّ هذا من التعاون والبحث عن سبيل العمل بالقرآن، إذا لم يخرجوا عن فهم السَّلف.



سأل رجل سعيد بن المسيِّب عن آية مـن القـرآن، فقـال: لا تـسألني عن القرآن، وسل عنـه مـن يـزعم أنـه لا يخفـى عليـه منـه شـيء- يعـني: عكرمة[1].

٦٩٤ - حدثنا ابن أبي عدي، عن سلمة بن علقمة، وابن عون

عن ابن سيرين، قال:

(١) وروى ابن جرير في تفسيره، عن يزيد بن أبي يزيد، قال: «كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن؛ سكت، كأن لم يسمع».

وكان سعيد بن المسيب لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن.

وقوله: «سل عنه من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء»؛ فيه التغليظ والإنكار على من يزعم ذلك، أو يُكثِر من الكلام في التفسير بحيث يُفهم منه ذلك.

وهذا يشبه ما تقدَّم من النهي عن استعمال ألفاظ التزكية فيما يتعلق بالقرآن مثل: «فلان جمع القرآن»، أو «فلان قرأ القرآن كله»، أو «فلان أحكم القرآن». وانظر التعليق على الأثر: (١٣٣).

وأما عكرمة، فقد كان حقًّا من أعلم الناس بكتاب الله؛ ولهذا روى أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٣٢٦) عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: سمعت الشعبي، يقول: «ما بقي أحد أعلم بكتاب الله تعالى من عكرمة».

وقال عكرمة عن نفسه: «كان ابن عباس يجعل في رجلي الكَبْل، ويعلمني القرآن والسنن».

وروى أبو نعيم، عن سلام بن مسكين، قال: سمعت قتادة، يقول: «أعلمهم بالتفسير عكرمة».

وروى أبو نعيم، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: «اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبدًا، عطاء، وطاوس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، فأقبل مجاهد، وسعيد بن جبير يلقيان على عكرمة التفسير، فلم يسألاه عن آية إلا فسَّرها لهما، فلما نفد ما عندهما، جعل عكرمة يقول: أنزلت آية كذا في كذا، وأنزلت آية كذا في كذا. قال: ثم دخلوا الحمام ليلًا». اهـ



سألت عبيدة[1] عن شيء من القرآن؛ فقال: اتق الله، وعليك بالسداد، فقد ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن.

٦٩٥ – حدثنا هُشيم، قال: أخبرنا عمر بن أبي زائدة، عن الشعبي[2]

عن مسروق، قال:

---

(١) هو عَبيدة السلماني. وقوله: «اتق الله، وعليك بالسداد». أي: عدم الخوض في تفسير ما أشكل من القرآن، لاسيما أسباب النزول؛ فإنه لا يجوز الكلام في أسباب نزول الآيات، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب.

(٢) وكان الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أشد الناس ورعًا في التفسير، بل وفي الرأي عمومًا:

فقد روى يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ، وابن جرير في تفسيره عن عبدالله بن أبي السفر، قال: «قال الشعبي: والله ما من آية إلا قد سألتُ عنها، ولكنها الرواية عن الله». أي: شديدة.

وعن الشعبي، قال: «ثلاث لا أقول فيهن، حتى أموت: القرآن، والروح، والرأي».

وعن صالح بن مسلم، قال: «مرَّ الشعبي على السُّدي وهو يفسر، فقال: لأن يضرب على استك بالطبل، خير لك من مجلسك هذا».

وروى يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (١/ ٣٤٣) عن ابن أبي خالد، قال: «رأيت الشعبي مَرَّ بأبي صالح – أو أتى أبا صالح – فأخذ أذنه فعركها، ثم قال: يا مخبثان! تفسر القرآن، وأنت لا تقرأه».

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن الشعبي، قال: «أدركت أصحاب عبدالله، وأصحاب عليٍّ، وليس هم لشيء من العلم أكره منهم لتفسير القرآن».

وقال الشعبي: «كتب رجلٌ مصحفًا، وكتب عند كل آية تفسيرها؛ فدعا به عمر فقرضه بالمقراضين».

وروى ابن سعد في الطبقات (٩٠٢٩) عن محمد بن جُحَادة: «أن عامرًا الشعبي سئل عن شيء، فلم يكن عنده فيه شيء؛ فقيل له: قل برأيك! قال: وما تصنع برأيي! بُلْ على رأيي!».

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٢١) عن الشعبي، أنه قال: «إن الذي يفسر القرآن برأيه؛ إنما يرويه عن ربه». وقال: «من كذب على القرآن؛ فقد كذب على الله». اهـ



اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله عَزَّوَجَلَّ[١].

٦٩٦ - حدثنا معاذ، عن ابن عون، عن عبدالله بن مسلم بن يسار

عن أبيه مسلم، قال:

إذا حدَّثت عن الله حديثًا؛ فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده.

٦٩٧ - حدثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة

عن إبراهيم، قال:

كان أصحابنا يتقون التفسير، ويهابونه[٢].

٦٩٨ - حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث

عن هشام بن عروة، قال:

ما سمعت أبي يتأول آية من كتاب الله قط[١].

---

(١) لأجل ذلك كان مسروق يهاب التفسير بالرأي، وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرحل الليالي الطوال في طلب التفسير بالأثر من أهل العلم من الصحابة وكبار التابعين، ولا يتكلم فيه برأيه؛ فقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٩٥) عن الشعبي، قال: «خرج مسروق إلى البصرة إلى رجل يسأله عن آية، فلم يجد عنده فيها علمًا؛ فأخبره عن رجل من أهل الشام، فقدم علينا ههنا، ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل في طلبها». اهـ

ونحن اليوم قد صرنا أزهد الناس في طلب التفسير بالأثر، مع سهولة الوصول إليه!

(٢) وروى ابن جرير في تفسيره عن عبيدالله بن عمر، قال: «لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليغلِّظون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبدالله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع».



(١) أي: برأيه، وإلا فقد فسَّر عروة بن الزبير عددًا من الآيات كما هو مبسوط في كتب التفسير، لكن جاءت كلها بالأثر، وأسوته في ذلك أمُّ المؤمنين عائشة ك، فقد ذكر الدارقطني في علله (١٤٢) عن هشام بن عروة، عن أبيه: «أن عائشة ك لم تكن تُفسِّر شيئًا من القرآن، إلا شيئًا سمعته من رسول الله ق».

وروى يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (١/ ١٢٥) عن هشام بن عروة، قال: «ما سمعت أبي يقول في شيء قطُّ برأيه. قال: وربما سُئل عن الشيء من ذلك؛ فيقول: هذا من خاص السُّلطان. قال: وقال أبي: ما حَدَّثتَ- وقال زيد: ما أَخبرتَ- أحدًا بشيء من العلم قط لا يبلغه عقله، إلا كان ذلك ضلالة عليه».

الله أكبر! في هذا الأثر العظيم فائدة عظيمة، وهي أن أمور العامة يُرجع فيها إلى السُّلطان، ولا يتكلم فيها أحد برأيه. وفي عهد الخلافة الراشدة كان السُّلطان هو العالم والإمام، وبعد ذلك يرد الأمر له وهو يستعين بأهل العلم.

وكل ما تقدَّم من آثار في هذا الباب؛ فإنه محمول على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، وخوفًا من الرأي المذموم، والقول فيه من غير تثبت، وعدم إصابتهم مراد الله من الآية. فأما من تكلَّم بما يعلم من ذلك بسُنة ماضية أو بلغة صحيحة؛ فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وأما ما جهلوه فقد وكلوه إلى عالمه سبحانه وتعالى، وقد قال الله تعالى: «لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ». وقال تعالى: «وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ».

وروى الترمذي في جامعه عن جندب بن عبدالله، قال: قال رسول الله ق: «من قال في القرآن برأيه فأصاب؛ فقد أخطأ». قال الترمذي: «هذا حديث غريب، وقد تكلَّم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم. وهكذا رُوي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ق وغيرهم أنهم شدَّدوا في أن يفسر القرآن بغير علم. وأما الذي رُوي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن، أو فسّروه بغير علم أو من قِبل أنفسهم. وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا، أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم». ثم روى عن قتادة أنه قال: «ما في القرآن آية إلا وقد سمعتُ فيها شيئًا». اهـ

=





ومع هذا كان السَّلفُ يفضلون تفسير مجاهد على تفسير قتادة.

فائدة: ذُكر عن النبي ﷺ أنه ما كان يُفسِّر شيئًا من القرآن إلا آيًا تُعد، علمهن إياه جبريل؛ وهذا يدلُّ على أن القرآن لا يعلو عن أفهام العامة، ولا يقصر عن مطالب الخاصة، وأن أكثر القرآن تعرفه العرب من لغتها ولا تحتاج فيه إلى تفسير، وهي التي قال الله عنها: «هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ». وقد قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: «تفسير لا يُعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعلمه إلا العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله، من ادعى علمه؛ فهو كاذب». رواه الطبري في تفسيره.

قال فيصل آل مبارك في كتابه: توفيق الرحمن في دروس القرآن (١/ ٥٨): «تجادل رجلان فيما يفعله الجهال عند القبور من دعاء الموتى، وطلب الحاجات منهم، فقال أحدهما: هذا شرك؛ لأن الله تعالى يقول: « وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا » فقال الآخر: ما يجوز لمثلي ومثلك أن يفسر القرآن! فسكت الرجل، وكان حليمًا وهو في بيت الآخر، فخرجت عليهم جاريةٌ جميلةٌ؛ فقال: يا فلان! من هذه؟ قال: بنتي! فقال: لو تزوجتها؛ فضحك به، وقال: أتزوج بنتي؟! فقال الرجل: هل في ذلك بأس؟ فقال: ما تسمع قول الله تعالى: « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ » فقال: إنك تقول: ما يجوز لمثلي ومثلك أن يُفسر القرآن!

والمقصود: أن من كان لسانه عربيًّا، وفطرته مستقيمة، يعرف معنى القرآن بمجرد سماعه وكثيرًا ما يسألني الأعراب، وغيرهم عن مسائل غامضة في الأيتام، فأتلوا عليهم قول الله تعالى: «وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ »؛ فيعرفون الجواب بمجرد التلاوة، ويقنعون، فإذا انضم إلى العربية والفطرة السليمة: معرفة سيرة النبي ﷺ كان ذلك نورًا على نور، والله الهادي والموافق للصواب». اهـ



باب: كتمان قراءة القرآن - وما يكره من ذكر ذلك - وستره وعدم نشره

٦٩٩ - حدثنا أحمد بن عثمان، عن عبدالله بن المبارك، عن الجريري

عن أبي العلاء، عن رجل، قال:

أتيت تميمًا الداريّ فحدثنا ساعة، حتى استأنست إليه، فقلت: كم جزءًا تقرأ القرآن؟ فغضب، وقال: لعلَّك من الذين يقرأ أحدهم القرآن في ليلة، ثم يصبح فيقول: قرأت القرآن الليلة، فوالذي نفسي بيده لأن أصلي أربع ركعات نافلة أحبّ إليَّ من أن أقرأ القرآن في ليلة ثم أصبح فأقول: قرأت القرآن الليلة[1].

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١/ ٤٧١) وفيه زيادة: «قال: فلما أغضبني، قلت: والله إنكم معشر صحابة رسول الله ﷺ من بقي منكم لجديرون أن تسكتوا فلا تُعَلِّموا، وتُعَنِّفوا من سألكم، فلما رآني قد غضبت؛ لان، وقال: ألا أحدثك يا ابن أخي؟ قلت: بلى والله، ما جئتك إلا لتحدثني، قال: أرأيتَ إن كنتُ أنا مؤمنًا قويًّا، وأنت مؤمن ضعيف، فتحمل قوتي على ضعفك، فلا تستطيع فَتَنْبَتَّ، أو رأيتَ إن كنتَ مؤمنًا قويًّا، وأنا مؤمن ضعيف؛ أتيتك بنشاطي حتى أحمل قوتك على ضعفي، فلا أستطيع فَأَنْبَتُّ، ولكن خذ من نفسك لدينك، ومن دينك لنفسك؛ حتى يستقيم بك الأمر على عبادة تُطيقها». اهـ



٧٠٠ - حدثنا هُشيم، أخبرنا منصور

عن الحسن:

أن رجلاً قال: قرأت البارحة كذا وكذا، فذكر ذلك للنبي ق فقال: «حظه من صلاته؛ كلامه»[(١)].

وحدثنا هشيم، أخبرنا يونس

عن الحسن:

أن ابن مسعود ط قيل له في رجلٍ مثل ذلك، فقال: حظّه من قراءته؛

(١) لم أجده بهذا اللفظ عند غير المؤلف، وفيه إرسال. والأشبه فيه أنه من كلام ابن مسعود ط كما في الأثر الذي بعده. ومما صحَّ في الباب عن أبي هريرة ط، قال: قال رسول الله ق: «رُبَّ صائم حظه من صيامه؛ الجوع والعطش، ورُبَّ قائم حظه من قيامه؛ السهر».

وهذا عام في جميع العبادات التي لا يراد بها وجه الله؛ كالغزو والجهاد والحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة القرآن...

وفي الزهد لابن المبارك (١/ ٤٥) عن الحسن، قال: «إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فَقُهَ الفقهَ الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزَّوْرُ- أي: الضيوف- وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سرٍّ فيكون علانية أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، ذلك أن الله تعالى يقول: «ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً»، وذلك أن الله تعالى ذكر عبدًا صالحًا، ورضي قوله، فقال: «إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا»».

وفيه (١/ ٥٠) عن محمد بن زياد، قال: «رأيت أبا أمامة ط أتى على رجل في المسجد، وهو ساجد يبكي في سجوده، ويدعو ربه، فقال أبو أمامة ط: «أنت، أنت، لو كان هذا في بيتك». اهـ



كلامه. أو قال: ذلك حظه من قراءته.

٧٠١ - حدثنا الأشجعي، عن سفيان بن سعيد- هو: الثوري-

عن سُرِّيَّة الربيع بن خُثَيْم، قالت:

كان عمل الربيع سرًّا كله، حتى إن كان الرجل ليدخل عليه، وهو يقرأ في المصحف؛ فيغطيه(١).

٧٠٢ - حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن عبدالله بن الربيع بن خثيم

عن بكر بن ماعز، قال:

خرجت على فرس، وهو يقرأ- يعني: الربيع بن خُثَيْم- فلما سمع الصوت، وعرف الدابة أمسك عن القراءة، فذهبت إلى مكان آخر، تحولت رجاء أن أسمع، فلم أسمع شيئًا.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وفيه زيادة: «قال: لا يرى هذا أني أقرأ فيه كل ساعة!».

وهكذا قال إبراهيم النخعي، كما في الأثر التالي. وكان الإمام أحمد يقرأ القرآن كثيرًا، ولا يُدرى متى يختم.

وفي الأنساب للسمعاني (١/ ١٠١) قال: «حكى أبو جعفر عبدالله بن إسماعيل بن بويه الهاشمي، يقول: رأيت أبا بكر الآدمي في النوم بعد موته بمُديدة، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه، وقاسيت شدائد وأمورًا صعبة، فقلت له: فتلك الليالي، والمواقف، والقرآن؟ قال: ما كان شيء أضر عليَّ منها؛ لأنها كانت للدنيا، فقلت له: فإلى أي شيء انتهى أمرك؟ قال: قال لي الله تعالى: آليت على نفسي أن لا أعذب أبناء الثمانين».

أي: من الموحِّدين، والأمر كله لله؛ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، سبحانه وتعالى.



٧٠٣ – حدثنا وكيع، عن الأعمش

عن إبراهيم:

أنه كان يقرأ في المصحف، فاستأذن عليه إنسان، فغطاه، وقال: لا يرى هذا أني أقرأ في المصاحف كل ساعة[(١)].

٧٠٤ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن عبيدالله بن أبي جعفر

عن عاصم بن أبي بكر بن عبدالعزيز بن مروان، قال:

وفدت إلى سليمان بن عبدالملك، ومعنا عمر بن عبدالعزيز، فنزلت على ابنه عبدالملك بن عمر، وهو عزب، فكنت معه في بيت، فصلينا العشاء، وأوى كل رجل منا إلى فراشه، ثم قام عبدالملك إلى المصباح فأطفأه، وأنا أنظر إليه، ثم قام يصلي حتى ذهب بي النوم، فاستيقظت، وإذا هو في هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧]**؛ فبكى، ثم رجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل ذلك، حتى قلت: سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك**

---

(١) وكذلك كان شيخه علقمة بن قيس النخعي، صاحب ابن مسعود رضي الله عنه؛ فقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٩٩) عن المسيب بن رافع، قال: «قيل لعلقمة: لو جلست؛ فأقرأت القرآن وحدثتهم، قال: أكره أن يُوطأ عقبي، وأن يقال: هذا علقمة!».
وكان يكون في بيته؛ يعلف غنمه ويفت لهن. قال: فكان معه شيء يقرع بينهن إذا تناطحن.



قلت: لا إله إلا الله، والحمد لله، كالمستيقظ من النوم؛ لأقطع ذلك عنه، فلما سمعني، سكت(١) فلم أسمع له حِسًا(٢).



(١) وفي رواية قال: «ألبد»، ذكرها ابن الجوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الأمم.
وهذا من شدة حرصه على إخفاء بكائه رحمة الله عليه.

(٢) أين هذا الهديُّ والسَّمتُ الذي أصبح غريبًا في هذا الزمن، من قوم لعب الشيطان بهم؟ حتى إن منهم من يقرأ القرآن في منارة المسجد بالليل بالأصوات العالية الصاخبة؛ فيجمعون بين أذية الناس في منعهم من النوم وبين الرياء. وذُكر عن أحدهم أنه كان إذا صلى بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة؛ قرأ الفاتحة ثم قرأ المعوذتين ودعا بدعاء الختمة؛ ليعلم الناس أنه قد ختم القرآن.

وقد روى ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص عن محمد بن واسع، قال: «لقد أدركت رجالًا؛ كان الرجل يكون رأسه ورأس امرأته على وساد واحد، قد بلَّ ما تحت خده من دموعه، لا تشعر به امرأته، والله لقد أدركت رجالًا؛ كان أحدهم يقوم في الصف، فتسيل دموعه على خده، لا يشعر به الذي إلى جنبه». اهـ

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١١٥) عن محمد بن خالد الضَّبِّي، قال: «لم يكن يُدْرى كيف يقرأ خيثمة القرآن حتى مرض، فجاءته امرأته، فجلست بين يديه، فبكت، فقال لها: ما يبكيك؟ الموت لابد منه! فقالت له المرأة: الرجال بعدك عليَّ حرام. فقال لها خيثمة: ما كل هذا أردتُ منك، إنما كنت أخاف رجلًا واحدًا، وهو أخي محمد بن عبدالرحمن، وهو رجل فاسق يتناول الشراب، فكرهت أن يَشرب في بيتي الشَّراب بعد إذ القرآن يُتلى فيه كل ثلاث». اهـ



باب: الاسترقاء بالقرآن وما يكتب منه ويتعلق للاستشفاء به

٧٠٥ - حدثنا هُشيم، أخبرنا مغيرة

عن إبراهيم، قال:

كانوا[١] يكرهون التمائم[٢] كلها من القرآن وغيره.

---

(١) يعني: أصحاب عبدالله بن مسعود ط؛ كعلقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد النخعي، ومسروق بن الأجدع الهمداني، وعَبيدة السلماني، والحارث بن قيس الجعفي، وعمرو بن شرحبيل الهمداني، ونحو هؤلاء. وهم الذين قال فيهم إبراهيم النخعي: «انتهى علم أهل الكوفة إلى ستة من أصحاب عبدالله بن مسعود، فهم الذين كانوا يفتون الناس ويعلمونهم ويفتونهم...». ثم ذكرهم.

ومن أكابرهم أيضًا: أبو وائل شقيق بن سلمة، والربيع بن خثيم، وسويد بن غفلة وغيرهم.

وفي المعرفة والتاريخ (١/ ٣١٦) قال الشعبي: «ما رأيت قومًا قط أكثر علـمًا ولا أعظم حلـمًا ولا أعف عن الدنيا من أصحاب عبدالله، لولا ما سبقهم أصحاب محمد ق ما قدمنا عليهم أحدًا».

وقال سعيد بن جبير: «كان أصحاب عبدالله شيوخ هذه الأمة». وفي لفظ: «سُرُج».

وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى عن علي ط، قال: «أصحاب عبدالله بن مسعود ط سُرُج هذه القرية- يعني: الكوفة».

قالها عليٌّ ط بعدما انتقل للعراق بعد وفاة عبدالله بن مسعود ط.

(٢) قال الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوحيد: «التمائم: شيء يعلق على الأولاد؛ يتقون به العين، لكن إذا كان المعلَّق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه؛ منهم ابن مسعود ط». اهـ



قال: وسألت إبراهيم؛ فقلت: أعلق في عضدي هذه الآية: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩] من حُمَّى كانت بي، فكره ذلك(١).

(١) اختلف العلماء في حكم تعليق التمائم من القرآن، على قولين:

الأول: جواز ذلك، لعموم قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ولم يذكر الوسيلة التي نتوصل بها إلى الاستشفاء بالقرآن؛ فدلَّ على أن كل وسيلة يتوصل بها إلى ذلك، فهي جائزة. وممن رُوى عنه الرخصة في ذلك: عائشة، وعبدالله بن عمرو، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، ويحيى بن سعيد، ومالك بن أنس، ورواية عن أحمد.

وروى أحمد في مسنده عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: «كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون»، قال: فكان عبدالله بن عمرو: «يعلِّمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها؛ كتبها له فعلَّقها في عنقه».

وفي شرح السُّنة للبغوي (١٢/ ١٥٨) قال عطاء: «لا يُعَدُّ من التمائم ما يُكتب من القرآن. وسئل سعيد بن المسيب عن الصحف الصغار يُكتب فيها القرآن، فيعلَّق على النِّساء والصبيان؟ فقال: لا بأس بذلك، إذا جعل في كير من ورق، أو حديد، أو يخرز عليه». أي: يُحرز ويُصان.

وفي الآداب الشرعية (٢/ ٤٤٤) قال أبو داود- وهو في مسائله للإمام أحمد-: «رأيت على ابنٍ لأبي عبدالله وهو صغير تميمةً في رقبته في أديم. قال الخلال: قد كتب هو من الحمى بعد نزول البلاء. وقال الميموني: سمعت من سأل أبا عبدالله عن التمائم تعلق بعد نزول البلاء؟ قال: أرجو أن لا يكون به بأس». اهـ

بل وفعله الإمام أحمد بنفسه؛ كما في مسائل عبدالله (١/ ٤٤٧) قال: «رأيت أبي يكتب التعاويذ للذي يُفَزَّع وللحُمَّى، لأهله وقراباته، ويكتب للمرأة إذا عسر عليها الولادة في جام أو شيء لطيف، ويكتب حديث ابن عباس، إلا أنه كان يفعل ذلك عند وقوع البلاء، ولم أره يفعل هذا قبل وقوع البلاء، ورأيته يُعوذ في الماء ويشربه المريض ويصب على رأسه منه». اهـ

=

القول الثاني: المنع من ذلك وهم جمهور السَّلف، وعلى رأسهم حذيفة بن اليمان، وعقبة بن عامر، وابن عباس، وعبدالله بن مسعود وأصحابه، ورواية أخرى عن أحمد:

فقد روى ابن أبي شيبة عن حذيفة ط: «أنه دخل على رجل يعوده، فوجد في عضده خيطًا، فقال: ما هذا؟! قال: خيط رقي لي فيه؛ فقطعه، ثم قال: «لو متَّ ما صليت عليك».

لكن هذا محمول على الرقى من غير القرآن؛ لأنه قال: «لا تزيدك إلا وهنًا».

وفيه عن إبراهيم، عن عبدالله: «أنه كره تعليق شيء من القرآن».

وفيه عن عقبة بن عامر، قال: «موضع التميمة من الإنسان والطفل؛ شرك».

وهذا في تمائم العرب من غير القرآن.

وروى وكيع عن ابن عباس، قال: «اتفل بالمعوذتين، ولا تُعلِّق».

وفي الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٤٣٣) قال صالح لأبيه: «هل تعلق شيئًا من القرآن؟ قال: التعليق كله مكروه، كان ابن مسعود يشدد فيه. وقال الإمام أحمد: التعليق كله يكره، والرقى ما كان من القرآن، فلا بأس به». اهـ

وقال حرب الكرماني في مسائله عن أحمد (٢/ ٨١٨): «قلت لأحمد: فتعليق التعاويذ فيه القرآن أو غيره- أي: الأدعية والأذكار-؟ قال: كان ابن مسعود يكرهه كراهية شديدة جدًا». اهـ

والصواب: المنع من ذلك؛ لأمور منها:

١- عموم النهي الوارد في التمائم، دون تخصيص نوع منها؛ فقد جاء المنع من تعليق التمائم دون تفصيل، كما في حديث ابن مسعود ط قال: سمعت رسول الله ق يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». ولو كان تعليق التمائم مشروعًا؛ لبيَّنه رسول الله ق كما بيَّن الرقية وأذن فيها بقوله: «لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك».

٢- أن القول بتعليق التمائم متردد بين النهي والإباحة. وما كان كذلك؛ فالأولى اجتنابه درءًا للمفاسد، واتقاء للشبهات. وبعض المباحات تُترك في أشياء كثيرة لأجل خوف الوقوع في المفسدة، فكيف إذا كان للمسألة تَعلُّقٌ بالشِّرك والميل للأسباب.

٣- أن تعليق تمائم القرآن وسيلة مفضية إلى الشرك؛ وذلك باتخاذ تمائم الشرك على أنها تمائم مشروعة.

=



٤- أن تعليقها يؤدي إلى حمل القرآن ممن لا يفقه معناه ولا يعرف منزلته، فلا يوقره، وقد يُعرِّض آيات القرآن للامتهان، وقد تبقى عليه وهو جنب، كما أنها قد تُعلَّق على الأطفال مع تلبسهم بالنجاسة، وهذا هو ملحظ إبراهيم النخعي لما كرهها.

٥- أن غالب من يتعاطاها- خاصة في العصور المتأخرة- ترويجًا واستعمالًا؛ لا يُعرفون بصحة الاعتقاد، ولا بصلاح العمل.

قال الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في ردِّه على سليمان بن سحيم- قاضي الرياض-: «وأنت تكتب الحُجُب وتأخذ عليها شرطًا، حتى إنك كتبت لامرأة حجابًا لعلَّها تحبل، وشَرَطَتْ لك أحمرين، وطالبتها تريد الأحمرين، فكيف تقول: إني أعرف التوحيد، وأنت تفعل هذه الأفاعيل؟ وإن أنكرت، فالناس يشهدون عليك بهذا». اهـ

٦- أن تمائم القرآن قد صارت نوعًا من أنواع الاتجار بكتاب الله؛ والقول بجوازها يفتح الباب أمام الدجالين والمشعوذين؛ لعمل التمائم الشركية والاتجار بها بدعوى أنها من القرآن.

٧- أن القول بجواز تعليق التمائم المختلف فيها؛ يقضي على سنة الرُّقية المتفق عليها.

٨- أن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة به على المريض؛ فلا تتجاوزه.

٩- أن هذا الأمر يفضي إلى ترك التعبد بتلاوة القرآن؛ فيقول: ما دامت آية الكرسي أو المعوذات على صدري، فلن أقرأها، فيستغني بها.

<u>تنبيهان مهمان:</u>

١- موضع الخلاف السابق؛ محله بعد نزول البلاء، أما من وضع التمائم قبل نزول البلاء أو لدفع العين قبل أن يصاب؛ فهذا محرم بالاتفاق، وفيه تسخط واعتراض على قدر الله، ولم يصح عن أحد من الصحابة القول بإباحة التميمة من القرآن قبل نزول البلاء؛ قال ابن بطة في الإبانة الصغرى (٥١٧): «ومن البدع: تعليق التمائم والتعاويذ من غير حاجةٍ أو علةٍ تحدث بصاحبها».

وقد روى هنَّاد في الزهد (٤٤١) بسند صحيح عن عائشة ﵂، قالت: «إنما التمائم ما عُلِّق قبل البلاء، فما عُلِّق بعد البلاء فليس من التمائم».

وروى البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٥٠) عن عائشة، قالت: «ليس التميمة ما يُعلَّق بعد البلاء، إنما التميمة ما يعلق قبل البلاء؛ ليُدفع به المقادير».

=



٧٠٦ - حدثنا هشيم

أخبرنا ابن عون، قال:

سألت إبراهيم عن رجل كان بالكوفة يكتب من الفَزَع آيات، فيسقي المريض، فكره ذلك.

قال أبو عبيد:

وأحسبه ذكر عن ابن سيرين مثله.

وفي الآداب الشرعية (٢/ ٤٤٤) قال الخلال: «الكراهة من تعليق ذلك قبل وقوع البلاء، وهو الذي عليه العمل». اهـ

وقال إسحاق الكوسج في مسائله (٢/ ٧٥٥): «قلت: من يعلق شيئًا من القرآن؟ قال أحمد بن حنبل: التعليق كلها مكروه. قال إسحاق بن راهويه: كما قال، إلا أن يكون بعد وقوع البلاء». اهـ

وقال إسحاق الكوسج في مسائله (٢/ ٦٠٥): «قلت: ما يكره من المعاليق؟ قال أحمد: كل شيء يعلق فهو مكروه. وقال: من يعلق تميمة؛ وُكِل إليها. قال إسحاق بن راهويه: كما قال، إلا أن يفعله بعد نزول البلاء، فهو حينئذ مباح له؛ لما قالت عائشة ﵂ ذلك». اهـ

وروى سعيد بن منصور في التفسير من سننه عن إبراهيم: «أن رجلًا كان يكتب القرآن فيسقيه، فقال إبراهيم: إني أرى سيصيبه بلاء».

٢- أن هذه المسألة لا ينبغي فيها نصب الخلاف المفضي إلى الفرقة بين الإخوان، لأن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وأكثر أهل العلم على أن التمائم من القرآن ليست شركًا، وإنما اختلفوا هل يباح أو يمنع؟ وقد ذكر العلماء أن إنكار المنكر -الذي هو خلاف الأولى، وتحتمله الأدلة- إذا كان يحصل بسببه افتراق، لم يجز إنكاره. لاسيما وقد سهَّل فيها بعض السَّلف؛ قال حرب الكرماني في مسائله عن أحمد (٢/ ٨١٨): «ذكر أحمد عن عائشة وغيرها أنهم سهَّلوا في ذلك، ولم يشدد فيه أحمد». اهـ



٧٠٧ – حدثنا عبدالرحمن، عن عثمان بن وكيع، عن يونس بن عبيد

عن الحسن:

أنه كان يكره أن يُغسل القرآن، ويُسقاه المريض، أو يتعلق القرآن.

وحدثنا يزيد، عن هشام

عن الحسن، نحو ذلك؛ وقال: أجعلتم كتاب الله رقى؟[1]

---

(١) أجمع السَّلف على الاستشفاء بالقرآن، لكن اختلفوا في طريقة الاستشفاء والوسيلة المستخدمة في ذلك، ولهم في ذلك طرق، منها ما هو متفق عليه، ومنها ما هو مختلف فيه:

فمن المتفق عليه:

١ – الاستعاذة به، كما في حديث ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ، كان يُعَوِّذُ حَسَنًا وَحُسَيْنًا، يقول: أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، وكان يقول: كان إبراهيم أبي يعوذ بهما إسماعيل، وإسحاق». رواه أحمد. ثم عوذهما بعدُ بالمعوذتين.

وروى الطبراني في الكبير عن السائب بن يزيد، قال: «عوّذني رسول الله ﷺ بفاتحة الكتاب تَفلًا».

٢ – قراءة شيء من القرآن، ثم النفثُ في اليدين ومسح الجسد بهما؛ فقد روى مسلم عن عائشة ▲ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحدٌ من أهله؛ نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه، جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه؛ لأنها كانت أعظم بركة من يدي». اهـ

وفي مسائل الكوسج (٢/ ٥٩٦) قال: «قلت: يكره التفل في الرقية؟ قال أحمد: أليس يقال: إذا رقى نفخ ولم يتفل؟! قال إسحاق: كما قال». اهـ

ومن ذلك قراءة شيء من القرآن، ثم النفث في سائل كالزيت والماء ونحوهما، وشربه والتمسح به – وقد تقدَّم.

ومن المختلف فيه:

١ – كتابة شيء من القرآن، وتعليقه على بدن المريض بعد نزول البلاء، وقد سبق تفصيل ذلك.

=



٢- كتابة شيء من القرآن في إناء ثم يغسل بالماء، فيشربه المريض؛ وقد ذهب جماعة من السَّلف إلى كتابة الآيات من القرآن للمعيون في الماء ثم يشربها.

وروى معمر بن راشد في جامعه (٢٠١٧٠) عن أيوب، قال: «رأيت أبا قلابة كتب كتابًا من القرآن، ثم غسله بماء، وسقاه رجلًا كان به وجع- يعني: الجنون».

وذكر ابن أبي شيبة في مصنفه بابًا في الرخصة في القرآن يكتب لمن يسقاه، ثم روى عن ابن عباس، قال: «إذا عسر على المرأة ولدُها؛ فيكتب هاتين الآيتين والكلمات في صحفة، ثم تغسل فتسقى منها: «بسم الله، لا إله إلا هو الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع، ورب العرش العظيم»، وقوله: «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا»، وقوله: «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ».

وعن عائشة ڤ: «أنها كانت لا ترى بأسًا أن يُعَوَّذ في الماء، ثم يصب على المريض».

ثم ذكر ابن أبي شيبة بعد ذلك بابًا في من كره ذلك.

وفي مسائل أحمد لأبي داود (١/ ٣٤٩) قال: «سمعت أحمد: سئل عن الرجل يكتب القرآن في شيء، ثم يغسله ويشربه؟ قال: أرجو أن لا يكون به بأس». اهـ

تنبيه مهم:

١- يلجأ بعض الناس إلى كتابة شيء من القرآن في ورقة يسمونها (بخور) ثم يحرقونها بالنار ويعطاها المريض ليستنشق دخانها، وهذه الطريقة قبيحة جدًا يظهر منها سوء الأدب مع كلام الله، ولم يفعلها أحد من السَّلف، حتى الذين يُرخِّصون في تعليقه أو كتابته في الماء.

ومن ذلك أيضًا وضع المصحف تحت الوسادة، حيث يضع المريض رأسه عليه؛ طلبًا للبركة وطردًا للشياطين بزعمه. ومنهم من يعلقه في السيارة طلبًا للوقاية من الحوادث، أو يضعه فيها دائمًا؛ وكل هذا لا يجوز.

٢- لا يوجد دليل على جواز الاغتسال بماءٍ كُتب فيه قرآن؛ قال أبو داود في مسائله (١/ ٣٤٩): «سمعت أحمد، قيل له: يكتب القرآن في شيء، ثم يغسله فيغتسل به؟ قال: لم أسمع فيه بشيء». اهـ



قال أبو عبيد:

هـذا مـذهب الكراهـة فيـه. وقـد جـاءت أحاديـث بالرُّخـصة في الاستشفاء بالقرآن، والتماس بركته؛ هي أعلى من هذه الأحاديث[(١)]:

٧٠٨ – حدثنا عبدالرحمن، عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن عروة

عن عائشة ك:

أن رسول الله ق كان إذا مرض؛ يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث[(٢)].

٧٠٩ – حدثنا هُشيم، أخبرنا أبو بشر، عن أبي المتوكل الناجي

عن أبي سعيد الخدري ط:

أن نفرًا من أصحاب النبي ق مرّوا بحيٍّ مـن أحيـاء العـرب، فلُـدغ رجل منهم، فقالوا: هل فيكم من راق؟ فرقاه رجل منهم بـأم الكتـاب، فأعطي قطيعًا من غـنم، فـأبى أن يقبلـه، فقـدموا علـى رسـول الله ق فذكروا ذلك له، فقال: «من أخذ برقية باطل، لقـد أخـذت برقيـة حـق، خذوا واضربوا لي معكم بسهم»[(٣)].

---

(١) قد أجاد أبو عبيد التعقب، وسيذكر هو وسنذكر نحن من الآحاديث والآثار ما يدلُّ لذلك. غير أن سُقيا المريض من أثر تغسيل القرآن يختلف عن الاسترقاء بالقرآن.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم.

=



٧١٠ - حدثنا مروان بن معاوية، ويزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد

عن قيس بن أبي حازم، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:

يا رسول الله! إني رقيت فلانًا، كانت به ريح فبرأ، والله إن رقيته إلا بالقرآن، فأمر لي بقطيع من الغنم، أفآخذه؟ فقال رسول الله ﷺ: «من أخذ برقية باطل، لقد أخذت برقية حقٍّ»(١).

وروى أحمد، وأبو داود واللفظ له، عن خارجة بن الصلت، عن عمه: «أنه أتى رسول الله ﷺ فأسلم، ثم أقبل راجعًا من عنده، فمرَّ على قوم وعندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: إنا حُدثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير؛ فهل عندك شيء تداويه؟ قال: فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ؛ فأعطوني مئة شاة! فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: هل إلا هذا- أو هل قلت غير هذا؟- قلت: لا، قال: خذها، فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق».

وفي رواية قال: «فرقاه بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية، كلما ختمها جمع بزاقه، ثم تفل؛ فكأنما أُنْشِط من عقال؛ فأعطوه شيئًا، فأتى النبي ﷺ ...». ثم ذكره.

وقال ابن القيم في الجواب الكافي (١/ ٣): «فقد أثر هنا الدواء في هذا الداء وأزاله، حتى كأنه لم يكن، وهو أسهل دواء وأيسره، ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة؛ لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء، ومكثتُ بمكة مدة تعتريني أدواء، ولا أجد طبيبًا ولا دواء، فكنتُ أعالجُ نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا، فكان كثير منهم يبرأ سريعًا». اهـ

وقد كانت عائشة ﵂ كثيرة التداوي بالقرآن؛ قال مالك في العتبية: «بلغني أنها كانت ترى البَثْرة الصغيرة في يدها؛ فتلح عليها بالتعويذ، فيقال لها: إنها صغيرة! فتقول: إن الله عز وجل يُعَظِّم ما يشاء من صغير، ويُصَغِّر ما يشاء من عظيم». اهـ

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وفيه قال: «وكان به جنون».

=

٧١١ - حدثنا يحيى بن سعيد، ويزيد، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عمرة

عن عائشة ك: أن أبا بكر ط، دخل عليها، وعندها يهودي يرقيها، فقال: «ارقها بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

وروى أحمد في مسنده، والطبراني في الكبير عن يعلى بن مرة، أن امرأة جاءت إلى النبي ق معها صبي لها به لمم، فقال النبي ق: «اخرج عدو الله، أنا رسول الله!» قال: فبرأ؛ فأهدت إليه كبشين، وشيئًا من أقط، وشيئًا من سمن، قال: فقال رسول الله ق: «خذ الأقط والسَّمن وأحد الكبشين، وردَّ عليها الآخر».

(١) هكذا في الأصل، ولعلَّ الصواب ما رواه مالك في الموطأ، والبيهقي في السنن الكبرى عن عمرة بنت عبدالرحمن، أن أبا بكر الصديق ط دخل على عائشة ك وهي تشتكي، ويهودية ترقيها، فقال أبو بكر: «ارقيها بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ».

والظاهر أنه أراد التوراة، فهو كتاب مِلَّتِها، وقد يكون المعنى: ارقيها بما يوافق كتاب الله، بأن يكون خاليًا من الشِّركيات.

وفي هذا الأثر فوائد:

الأولى: فيه إباحة الرقى بكتاب الله، أو ما كان في معناه من ذكر الله أو بصفة من صفاته.

الثانية: فيه إباحة المُعَالجَة والتطبب والرقى إذا كانت بأمرٍ مشروع.

الثالثة: فيه أن طلب الرقية من الكافر لا تعني تزكية باطنه، أو الرضى بما هو عليه من دينٍ باطل؛ لأن حقيقة الرقية تعويذٌ يكون سببًا في رفع علة أو وقاية من شرٍّ، فهو نوع من الاستشفاء، والتداوي، فإذا أصاب موضع المرض؛ حصل الشفاء بإذن الله، يدلُّ لهذا ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر، عن رسول الله ق أنه قال: «لكل داء دواءٌ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ».

فالشفاء من الله، لا من الدواء ولا من الطبيب ولا من الراقي، قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ».

=



نعم، صلاح الراقي له أثرٌ في نجاح الرقية، لكن ليس هنـاك ارتبـاطٌ لازمٌ بـين عقيـدة الراقـي أو المرقي وبين استفادته من الرقية. وقد كانت العرب في جاهليتهم يستشفون عن طريـق الرقيـة، بـل كان فيهم من يُعرف بذلك، فقد روى مسلم في صحيحه، عـن ابـن عبـاس م: «أن ضِـمادًا- هـو ضماد بن ثعلبة الأزدي- قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقى من هذه الريح، فسمع سـفهاء أهل مكة يقولون: إن محمدًا مجنون! فقال: لو أني رأيت هذا الرجل، لعلَّ الله يشفيه على يدي. قـال: فلقيته. فقال: يا محمد! إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لـك؟ فقـال رسول الله ق: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ...». الحديث.

الرابعة: فيه جواز رقية الكافر للمسلم بـشرط أن تكـون بكـلام الله تعـالى، أو بأسـمائه وصـفاته، وتكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره، فإذا خلت رقية الكافر من هـذه الـشروط فـلا يجوز ذلك؛ وقد روى أحمد وأبو داود عن زينب امرأة ابن مسعود ط قالت: «كان عبدالله إذا جـاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق، كراهية أن يَهْجُمَ منَّا على شيء يكرهه. قالـت: وإنـه جـاء ذات يوم فتنحنح، قالت: وعندي عجوز ترقينـي مـن الحُمْـرة، فأدخلتهـا تحـت الـسرير، فـدخل، فجلس إلى جنبي، فرأى في عنقي خيطًا، فقال: ما هذا الخيط؟ قالـت: قلـت: خـيط أُرْقِـيَ لي فيـه، فأخذه فقطعه، ثم قال: إن آل عبدالله لأغنياء عن الشِّرك، سمعت رسول الله ق يقـول: إن الرُّقـى والتمائم والتولة شرك. قلت: لم تقول هـذا، وقـد كانـت عينـي تقـذف، فكنـت أختلـف إلى فـلان اليهودي يرقيها، وكان إذا رقاها سكنت؟ قال: إنما ذلك عمل الشيطان، كـان ينخـسها بيـده، فـإذا رقيتيها كفَّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قـال رسـول الله ق: أذهـب البـأس ربَّ النـاس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا».

وقد رُوي عن الإمام مالك جواز رقيـة اليهوديـة والنـصراني للمـسلم إذا رقـى بكتـاب الله، وفي المستخرجة: «أن مالكًا كره رقى أهل الكتاب، وقال: لا أحبه».

قال ابن عبدالبر في الاستذكار (٨/ ٤١١): «كان مالك يكـره رقيـة أهـل الكتـاب وذلـك- والله أعلم- لأنه لا يدري أيرقون بكتاب الله تعالى، أو بما يضاهي السِّحر من الرقى المكروهة.

وقد روى ابن وهب، عن مالك أنه سُئل عن المرأة التى تَرقِي بالحديدة والملح، وعن التـي تكتـب الكتاب للإنسان؛ ليعلقه عليه من الوجع، وتَعْقِد في الخيط الذي يُربط به الكتاب سبع عُقَد، وسُـئل =



عن الذى يكتب خاتم- أو حِرز- سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى الكتاب؛ فكرهه كله، وقال: لم يكن ذلك من أمر الناس القديم». اهـ

وأما الشافعي، فكان لا يرى بأسًا أن يرقى الكافر المسلم بكتاب الله، أو بما يُعرف من ذكر الله؛ دليله في ذلك حديث يحيى بن سعيد، عن عمرة، عن عائشة، عن أبي بكر ط المذكور في المتن.

وقال الربيع: قلت للشافعي: «أيرقي أهلُ الكتاب المسلمين؟ قال: نعم، إذا رقوا بما يُعرف من كتاب الله، وذِكْر الله». اهـ

<u>مسألة:</u> وأما رقية المسلم للكافر، فلا بأس بها أيضًا- ما لم يكن حربيًّا- دليل ذلك ما يلي:

أولًا: حديث أبي سعيد الخدري ط المتقدِّم، قال ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٥٥): «قد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه؛ فأغنته عن الدواء، وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء، هذا مع كون المحل غير قابل: إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين، أو أهل بخل ولؤم، فكيف إذا كان المحلُ قابلًا».

ثانيًا: أن الرقية دواء وعلاج وشفاء، كما في العسل والزيت وغيرها من الأشياء التي لا تختص بكونها شفاء للمسلمين دون الكافرين.

ثالثًا: قد أباح الله لنا أن نُسْمِعَ المشركين كلامه؛ فقال تعالى: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ». فيدخل في ذلك أيضًا رقيته بالقرآن وقراءته عليه بنية العلاج، ففي قراءة القرآن عليه علاج له، وإقامة الحجة عليه.

وإكمالًا للبحث وإتمامًا للفائدة؛ فإننا نختم هذا المبحث بحكم رقية البهائم:

فنقول: الأصل أنه لا حرج في رقية البهائم والحيوانات العجماوات، وذلك بنية التداوي من العين أو الحسد، وقد دلَّ على مشروعية ذلك ما جاء في الأحاديث والآثار التالية:

١- ما رواه محمد بن فضيل الضبي في الدعاء (١١٨)، وابن أبي شيبة في المصنف، والخرائطي في مكارم الأخلاق (١٠٧٣)، وابن عبدالبر في التمهيد (٦/ ٢٣٩)، وفي الاستذكار (٨/ ٤٠٢)، وابن قتيبة في عيون الأخبار (١/ ٢٤٨)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢/ ٢٦٤) جميعهم من طريق حصين، عن هلال بن يساف، عن سحيم بن نوفل- وهو من أصحاب ابن مسعود ط، فقد روى عنه بعض أقواله، وهو من القراء الذين أخذوا عن ابن مسعود ط القراءة، وكانت لأبيه صُحبة- =



قال: «كنا عند عبدالله ط نعرض المصاحف، فجاءت جارية أعرابية إلى رجل منَّا، فقالت: إن فلانًا قد لَقَعَ مُهْرك بعينه- أي: أصابه بعين- وهو يدور في فلك- أي: أصابه دوار- لا يأكل ولا يشرب ولا يبول ولا يروث، فالتمس له راقِيًا، فقال عبدالله : لا تلتمس له راقِيًا، ولكن ائته فانفخ- وفي رواية: ابصق- في منخره الأيمن أربعًا- وفي رواية: ثلاثًا- وفي الأيسر ثلاثًا، وقل: بسم الله، لا بأس، أذهب الباس ربَّ الناس، واشف أنت الشافي، لا يكشف الضر إلا أنت؛ فقام الرجل، فانطلق، فما برحنا حتى رجع، فقال لعبدالله: فعلت الذي أمرتني به، فما برحتُ حتى أكَلَ وشربَ وبَاَلَ وَرَاثَ».

قال صاحب إتحاف المهرة (١٢٠٠٤): «وحكمه الرفع؛ إذ مثله لا مجال للرأي فيه». اهـ

٢- روى أحمد في المسند (٥/ ٦٧) بإسناد صحيح، وابن قانع في معجم الصحابة (١/ ٢٠٤)، والطبراني في الكبير (٤/ ١٣٢٦) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢١٤) عن حنظلة بن حِذْيَم التميمي م قال: «دنا بي أبي إلى النبي ق ، فقال: إن لي بنين ذوِي لِحىً، ودون ذلك، وإن ذا أصغرهم، فادع الله له، فمسح رأسه، وقال: بارك الله فيك، أو بورك فيه.

قال ذَيَّال بن عبيد بن حنظلة- وهو حفيد حنظلة بن حِذْيَم ط-: فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم وجهه، أو بالبهيمة الوارمة الضرع، فيتفل على يديه، ويقول: بسم الله، ويضع يده على رأسه، ويقول على موضع كفِّ رسول الله ق ، فيمسحه عليه. قال ذَيَّال: فيذهب الورم».

٣- روى أبو داود الطيالسي، وأحمد في مسنديهما واللفظ له، وابن أبي شيبة في مصنفه بإسناد حسن عن ابن مسعود ط، قال: «كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله ق وأبو بكر، فقال: يا غلام! هل من لبن؟ قال: قلت: نعم، ولكني مؤتمن! قال: فهل من شاة لم يَنْزُ عليها الفحل؟ فأتيته بشاة، فمسح ضرعها- وعند ابن أبي شيبة، قال: وتكلَّم بكلمات- فنزل لبن، فحلبه في إناء، فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلص؛ فقلص، قال: ثم أتيته بعد هذا، فقلت: يا رسول الله! علمني من هذا القول- وعند أبي داود الطيالسي، قال: علمني من هذا القول الطيب، يعني: القرآن- قال: فمسح رأسي، وقال: يرحمك الله، فإنك غليم مُعَلَّم». اهـ

والشاهد قوله ط: «وتكلَّم بكلمات»، وقوله: «علمني من هذا القول»، وهذه هي حقيقة الرُّقية، فدلَّ على أن الحيوانات تنتفع بالقراءة، ويصيبها بسببه بركة.

=

٤- ومما يؤيد مشروعية الدعاء للعجماوات- ومنه الرُّقية- ما رواه أبو داود، والنسائي واللفظ لـه من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص م، عـن النبـي ق أنه قال: «إذا أفاد أحدكم المرأة أو الخادم أو البعير؛ فليضع يده على ناصـيتها، ثـم يقـول: اللهـم إني أسألك خيرها، وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها، وشر ما جبلتها عليه. وأما البعـير فإنـه يأخذ بذروة سنامه، ثم يقول مثل ذلك».

٥- كما أن للشيطان على الدواب تأثير، فلا مانع كذلك من أن يكون للرقية بالقرآن أو بغـيره مـن الذكر المباح تأثير؛ يدلُّ لذلك ما رواه أبو داود عن ابن عباس م قال: «جاءت فأرة، فأخذت تَجُـرُّ الفتيلة، فجاءت بها، فألقتها بين يدي رسول الله ق على الخُمْرة التي كان قاعـدًا عليهـا، فأحرقـت منها مثل موضع الدرهم، فقال: إذا نِمتم، فأطفئوا سُرجكم؛ فإن الشيطان يدلُّ مثل هذه عـلى هـذا فتحرقكم». وفي رواية عند أحمد في المسند، قال: «أجيفوا الأبواب، واذكـروا اسـم الله عليهـا، فـإن الشيطان لا يفتح بابًا أُجِيف وذُكِرَ اسم الله عليه».

وروى أحمد في مسنده عن أبي لاس الخزاعي ط قال: «حملنا رسول الله ق على إبـلٍ مـن إبـلِ الصدقة للحج، فقلنا: يا رسول الله! ما نرى أن تحملنا هذه، قال: ما من بعير إلا في ذروته شـيطان، فاذكروا اسم الله عليها إذا ركبتموها كما أمركم، ثم امتهنوها لأنفسكم، فإنما يحمل الله عَزَّوَجَلَّ». اهـ

فدل على تأثير ذكر الله- ومنه الرُّقية- على الدواب.

٦- النصوص الواردة في الاستشفاء بالقرآن، والتطبب به من العين والحسد هي نصوص عامـة، لا فرق فيها بين الإنسان وغيره، والعمل بالعموم حجة شرعية كافية إلى أن يـأتي المخـصص، ومـن ذلك ما رواه أحمد في مسنده، عن عبدالله بن عامر أن النبي ق قال: «إذا رأى أحدكم مـن أخيـه أو من نفسه **أو من ماله**- ويدخل في ذلك كل ما يملكـه الإنـسان مـن ممتلكـات، حيوانـات كانـت أو جمادات- ما يعجبه فَلْيُبَرِّكْهُ، فإن العينَ حقٌّ». اهـ

فدلَّ على مشروعية التبريك على المال، ولو كان جمادًا.

ولا فرق في هذا بين الإنسان أو الحيوان، فلربما أدخلت العينُ الجملَ القدر والرجـل القـبر، فـإذا كان السبب فيهما واحد، فتكون رقيتهما أيضًا واحدة؛ يدلُّ لـذلك مـا بـوب عليـه ابـن أبي شـيبة في المصنف (١٠/ ٢٨٠) قال: «الدابة يصيبها الشيء بأي شيء تُعَوّذ به».

=



٧١٢ - حدثنا النضر بن إسماعيل، عن الأعمش، عن خيثمة، قال:

قال عبدالله ط:

عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل.

وقال البيهقي في الدعوات الكبير (٢/ ٢٦٤): «باب: في رقية الدابة».

وقد أُمِر المعجب ببستانه- ومثله المصانع والدور- أن يقول إذا دخله: «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله»، حتى لا تصيبه العين، وهو بستان جماد.

وقد روى هشام بن عروة، عن أبيه، أنه كان إذا رأى شيئًا يعجبه، أو دخل حائطًا من حيطانه، قال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

٧- قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما العلم علمان: علم الدِّين، وعلم الدنيا، والعلم الذي للدين فهو الفقه، والعلم الذي للدنيا فهو الطب». اهـ

والطب قائم على التجربة، وقد صحَّت التجربة بنفع رقية البهائم وذهاب ما بها من أمراض وأسقام.

وقد تواترت نقولات الناس على إصابة الدواب بالعين والحسد، وأنها تنتفع بالقرآن والدعاء والذكر، ومن علم الرقية وسَبَر خبرها؛ عرف ذلك.

٨- تأثر الدواب والجمادات بكتاب الله تعالى وبالذكر أمرٌ مشهورٌ وردت به الأدلة، ومن ذلك ما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به عن الجبل بقوله: «لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ»، ومنه حنين الجذع إلى النبي ق لانقطاعه عن سماع الذِّكر، ومنه تحرك الفرس لتنزل الملائكة بالقرآن، كما في حديث البراء بن عازب م قال: «كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فتغشَّته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ق فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزلت بالقرآن». متفق عليه.

٩- لم نجد في المتقدمين من نبَّه على المنع من ذلك، بل وجدنا من ينص على الجواز، كما سبق في تبويباتهم.

قال أبو عبيد:

يريد عبدالله ط هذه الآية: @ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ! [الإسراء:٨٢][(١)]. والآية التي في النحل: @يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ! [النحل:٦٩][(٢)].

---

(١) ومثلها: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ».
وقوله: «وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ».
وعند التأمل في هذه الآيات الثلاث نجد أن الله وصف القرآن بأنه شفاء- لمن أقبل عليه- ولم يصفه بأنه دواء؛ لأن الشفاء هو ثمرة الدواء وغايته.
وفي مصنف ابن أبي شيبة عن مجاهد، قال: «الشفاء في القرآن».
قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/ ٢٥٠): «لم يصف الله في كتابه بالشفاء إلا القرآن والعسل؛ فهما الشفاءان: هذا شفاء القلوب من أمراض غيها وضلالها وأدواء شبهاتها وشهواتها، وهذا شفاء للأبدان من كثير من أسقامها وأخلاطها وآفاتها، ولقد أصابني أيام مقامي بمكة أسقام مختلفة ولا طبيب هناك ولا أدوية، كما في غيرها من المدن؛ فكنت أستشفي بالعسل وماء زمزم، ورأيت فيهما من الشفاء أمرًا عجيبًا، وتأمل إخباره سبحانه وتعالى عن القرآن بأنه نفسه شفاء، وقال عن العسل: فيه شفاء للناس، وما كان نفسه شفاء أبلغ مما جعل فيه شفاء». اهـ
(٢) وفي تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٥٧) عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود ط أنه قال: «في القرآن شفاءان: القرآن والعسل؛ فالقرآن شفاء لما في الصدور، والعسل شفاء من كل داء».
وأخرج الطبراني عن أبي الأحوص، قال: «جاء رجل إلى عبدالله بن مسعود ط فقال: إن أخي يشتكي بطنه؛ فوُصِف له الخمر؛ فقال: سبحان الله! ما جعل الله في رجس شفاء؛ إنما الشفاء في شيئين: القرآن والعسل فيهما شفاء لما في الصدور، وشفاء للناس».
فأما بخصوص شفاء القرآن، فقد قال ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٣٥٢) تعليقًا على قوله تعالى: «وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ». قال: «الصحيح أنَّ «من» ههنا لبيان الجنس، لا للتبعيض. =



وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ». فالقرآن هو الشِّفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كُلُّ أحدٍ يُؤهَّل ولا يُوفَّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاءِ شروطه، لم يقاومه الداء أبدًا. وكيف تُقاوِم الأدواءُ كلامَ ربِّ الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها، فما من مرضٍ من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه، والحِمية منه، لمن رزقه الله فهمًا في كتابه.

وأما الأدوية القلبية، فإنه يذكرها مُفصَّلةً، ويذكر أسباب أدوائها وعلاجها. قال تعالى: « أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »، فمن لم يَشْفِه القرآن، فلا شفاه الله، ومن لم يكفه، فلا كفاه الله». اهـ

وأما بخصوص شفاء العسل؛ فيكفيه ما قاله الله عنه: «فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ».

وكذلك ما رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي انطلق بطنه، فقال رسول الله ﷺ: اسقه عسلًا؛ فسقاه، فقال: إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال له ثلاث مرات، ثم جاءه الرابعة، فقال: اسقه عسلًا؛ فقال: قد سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال رسول الله ﷺ: صدق الله، وكذب بطن أخيك! فسقاه، فبرئ».

وروى أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي».

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عليٍّ رضي الله عنه، قال: «إذا اشتكى أحدكم شيئًا؛ فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها، فليشتر بها عسلًا، فيشربه بماء السماء، فيجمع الله الهنيء المريء، والماء المبارك والشفاء». اهـ

لأن الله قال: «فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا». وقال: « وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ». وقال: «يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ».

وتأمل حُسْن عمل الصحابة بالقرآن، وحُسْن النزع منه.

وفيه عن الربيع بن خثيم، قال: «ما للنفساء عندي إلا التمر، ولا للمريض إلا العسل». اهـ

لأن الله قال لمريم حال الولادة: «وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ».

=

٧١٣ - حدثنا عبدالرحمن، عن عبدالله بن المبارك، عن عيسى بن عمر القارئ الكوفي

عن طلحة بن مصرف، قال:

كان يقال: إذا قرئ القرآن عند المريض، وجد لذلك خفة. قال: فدخلت على خيثمة، وهو مريض، فقلت: إني أراك اليوم صالحًا، فقال: إنه قرئ عندي القرآن(١).

واختلف العلماء في شفاء العسل؟ فقال السُّدي: العسل شفاء الأوجاع التي يكون شفاؤها فيه.

والقول الثاني: أن العسل فيه شفاء عام من كل داء ومرض، وذلك لقول ابن مسعود ط: «العسل شفاء من كل داء». وروى نافع أن ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة، ولا شيء إلا لطخ الموضع بالعسل، ويقرأ: «يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ».

(١) وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري ط قال: جاء رجل إلى النبي ق فقال: إني أشتكي صدري، فقال: اقرأ القرآن؛ يقول الله تعالى: «وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ».

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن واثلة بن الأسقع ط أن رجلًا شكا إلى النبي ق وجع حلقه؛ فقال: «عليك بقراءة القرآن».

وفيه عن محمد بن حميد، قال: «رمدت فشكوت ذلك إلى جرير بن عبدالحميد، فقال: أدم النظر في المصحف؛ فإني رمدت، فشكوت ذلك إلى المغيرة بن مقسم، فقال لي: أدم النظر في المصحف، فإني رمدت فشكوت ذلك إلى إبراهيم النخعي، فقال لي: أدم النظر في المصحف، فإني رمدت، فشكوت ذلك إلى علقمة بن قيس، فقال لي: أدم النظر في المصحف، فإني رمدت، فشكوت ذلك إلى عبدالله بن مسعود ط، فقال: أدم النظر في المصحف، فإني رمدت، فشكوت ذلك إلى رسول الله ق فقال لي: أدم النظر في المصحف».

وروى ابن أبي الدنيا في المحتضرين عن أيوب، عن رجل- كان يُعْجِب عبيد بن عمير- قال: «لما حضرت عبيد بن عمير الوفاة، قيل له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي رجلًا موقنًا بالقرآن يقرأ عليَّ».

=



٧١٤ - حدثنا هشيم

عن حجَّاج، قال:

سألت عطاء عن الرجل يعلق الشيء من القرآن، أو كلمة من هذا النحو، فقال: ما سمعنا بكراهة ذلك إلا من قبلكم معاشر أهل العراق.

حدثنا هُشيم، عن ليث، عن مجاهد، وخالد

عن أبي قلابة: أنهما[1] لم يريا بذلك بأسًا.

جهالة الرجل لا تضر هنا؛ إذ أن أيوب لا يروي إلا عن الثقات.

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٩٣) عن سفيان، قال: «سمعت داود بن أبي هند، يقول: أصابني الطاعون زمن الطاعون؛ فأُغمي عليَّ، فكأن اثنين أتياني، فقال أحدهما لصاحبه: أي شيء تجد؟ قال: أجد به تسبيحًا وتكبيرًا، وخطوًا إلى المساجد، وشيئًا من قراءة القرآن، ثم قاما؛ فبرأت وأقبلت على قراءة القرآن فحفظته، ولم أكن أحفظه قبل ذلك».

وفيه عن خلف بن الوليد، قال: «كان صالح المري إذا قص، قال: هات جونة المسك والترياق المجرب- يعني: القرآن- فلا يزال يقرأ ويدعو ويبكي، حتى ينصرف». اهـ

وفيه (٦/ ١٧٠) عن صالح المُرِّي، قال: «أصاب أهلي ريح الفالج؛ فقرأت عليها القرآن ففاقت، فحدثت به غالبًا القطان؛ فقال: وما تعجب من ذلك! والله لو أنك حدثتني أن ميِّتًا قُرئ عليه القرآن فحيي؛ ما كان ذلك عندي عجبًا».

(١) أي: مجاهد وأبو قلابة. وقول أبي عبيد: «وخالد عن أبي قلابة». أي: وحدثنا خالد، عن أبي قلابة.

والمقصود بقوله: «لم يريا بذلك بأسًا». أي: «كتابة آية من القرآن، ثم يسقاه صاحب الفَزَع»، كما في مصنف ابن أبي شيبة: «باب: الرُّخصة في القرآن يكتب لمن يسقاه».



حدثنا عفيف بن سالم، عن شعبة، عن حماد

عن إبراهيم، قال:

«إنما كُره ذلك من أجل الجنب والحائض»(١).



(١) وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن إبراهيم؛ أنه كان يكره المعاذة للصبيان، ويقول: «إنهم يدخلون به الخلاء».

وحتى الذين أباحوا تمائم القرآن؛ اشترطوا التحرز والحيطة الشديدة للقرآن، حتى لا يقع عليه شيء من القاذورات؛ فقد روى عبدالرزاق في مصنفه عن ابن جريج، قال: «قلت لعطاء: القرآن كان على امرأة، فحاضت أو أصابتها جنابة، أتنزعها؟ قال: إذا كان في قَصَبة؛ فلا بأس، قلت: فكان في رقعة؛ فقال: هذه أبغض إلي! قلت: فلم يختلفان؟ قال: إن القصبة هي أَكَفُّ من الرقعة». وفيه عن علقمة بن أبي علقمة، قال: «سألت ابن المسيب عن الاستعاذة تكون على الحائض والجنب؛ فقال: لا بأس به، إذا كان في قصبة أو رقعة يحرز عليها».

والاستعاذة: كتاب يُعلَّق على المريض فيه تعويذات. والقصبة: هي الشيء المجوف.

وفي لفظ آخر ذكره ابن أبي داود في المصاحف، قال: «إذا جُعل في كَنٍّ يدخل فيه، فلا يبدو؛ فلا يضر من لبسه». قال ابن أبي داود: «يعني: جلدًا يُجعل فيه».



باب: ما جاء في مَثَل القرآن وحامله والعامل به والتارك له

٧١٥ – حدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح، أن عبدالرحمن بن جبير بن نفير، حدثه عن أبيه

عن النواس بن سمعان ط، قال: قال رسول الله ق:

«ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سور فيه أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داع يقول: ادخلوا الصراط جميعًا، ولا تتعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط. فإذا أراد أحد فتح شيء من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتح، فإنك إن فتحته تلجه. قال: فالصراط: الإسلام، والستور: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: القرآن، والذي من فوقه: واعظ الله في قلب كل مسلم»[1].

---

(١) رواه أحمد، والترمذي وحسَّنه.

قال ابن رجب في شرح هذا الحديث، وسماه: (شرح حديث مَثَل الإسلام) (١/ ٢٠٥): «لما كانت النفس والهوى داعيين إلى فتح أبواب المحارم، وكشف ستورها وارتكابها؛ جعل الله لها داعيين يزجران من يريد ارتكاب المحارم، وكشف ستورهما: أحدهما: داعي القرآن، وهو الداعي على رأس الصراط يدعو الناس كلهم إلى الدخول في الصراط والاستقامة عليه، وأن لا يعوجوا عنه =



٧١٦ - حدثنا حجاج، عن الليث بن سعد، قال: حدثني سعيد المقبري

عن عطاء مولى أبي أحمد، قال:

قال رسول الله ق: «من تعلم القرآن، ثم قام به فهو مثل جراب محشو مسكًا يفوح ريحه كل مكان، ومن تعلم القرآن ورقد، فهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك»[1].

يمنة ولا يسرة، ولا يفتحوا شيئًا من تلك الأبواب التي عليها الستور المرخاة؛ قال الله تعالى حاكيًا عن عباده المؤمنين أنهم قالوا: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾، والمراد به القرآن عند أكثر السَّلف. وقال حاكيًا عن الجنِّ الذين استمعوا القرآن، أنهم لما رجعوا إلى قومهم، قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ - يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾. وقد كان النبي ق يدعو الخلق بالقرآن إلى الدخول في الإسلام، الذي هو الصراط المستقيم، وبذلك استجاب له خواص المؤمنين كأكابر المهاجرين والأنصار. ولهذا المعنى قال مالك: فُتحت المدينة بالقرآن، يعني: أن أهلها إنما دخلوا في الإسلام بسماع القرآن، كما بعث النبي ق مصعب بن عمير قبل أن يهاجر إلى المدينة؛ فدعا أهل المدينة إلى الإسلام بتلاوة القرآن عليهم، فأسلم كثير منهم. قال بعض السَّلف: من لم يردعه القرآن والموت، لو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع». اهـ

وهذا الحديث قد استدل به أهل السُّنة على عصمة الله للخلق أجمعين عن الوقوع في الشِّرك- ولو لم يأتهم رسول- وذلك عن طريق لَمَة المَلَك، أو واعظ الله في قلب كل عبد، مع الفطر، والأفئدة، وآيات الأنفس والآفاق، والميثاق.

قال الرامهرمزي في أمثال الحديث (١/ ١٥): «وهذا مَثَلٌ في وضوح الحق وظهور معالم الإسلام؛ لمن أراد قصدها، وعَدَل عن طريق الشُّبه والريب؛ مفارقًا لها». اهـ

(١) رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن عطاء مولى أبي أحمد، عن أبي هريرة ط، وقال =

٧١٧ – حدثنا مالك بن إسماعيل، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الحارث

عن علي ط قال:

مثل الذي أوتي القرآن ولم يؤت الإيمان كمثل الريحانة: ريحها طيب، ولا طعم لها، ومثل الذي أوتي الإيمان ولم يؤت القرآن مثل التمرة: طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الذي أوتي القرآن والإيمان، مثل الأُتْرُجَّة: طعمها طيب وريحها طيب، ومثل الذي لم يؤت الإيمان، ولم يؤت القرآن كمثل الحنظلة: طعمها خبيث، وريحها خبيث.

٧١٨ – حدثنا حجاج، عن المسعودي، عن القاسم بن عبدالرحمن

عن عبدالله بن مسعود ط قال:

مثل الذي يقرأ القرآن، ولا يعمل به، كمثل الريحانة: ريحها طيب، ولا طعم لها، ومثل الذي يعمل به ولا يقرؤه كمثل التمرة: طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل الذي يعمل به ويقرؤه مثل الأُتْرُجَّة- قال أبو

الترمذي: «هذا حديثٌ حسن».

وفي مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر (١/ ٢٥) عن أبي رجاء، قال: «قلت للحسن: ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه، ولا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة؟ قال: لعمر الله! ذاك إنما يتوسد القرآن، قلت: قال الله تعالى: «فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ»؟! قال: نعم، ولو خمسين آية».



عبيد: أحسبه قال: طعمها طيب وريحها طيب- ومثل الذي لا يعمل به ولا يقرؤه كمثل الحنظلة: ريحها خبيث، وطعمها خبيث[(١)].



(١) هذان الأثران عن عليٍّ وابن مسعود م أصلهما حديث مرفوع، وهو هنا شبَّه القارئ المتصف بصفتي الإيمان والقراءة بالأترجة، وهي ذات وصفين هما الطعم والريح، وليس في المشمومات شيء يجمع طيب الرائحة وطيب الطعم غيرها، وكذلك يجري الحكم في المؤمن غير القارئ، وفي المنافق القارئ، والمنافق غير القارئ.

وفي هذا دليل على أن الرجل قد يكون حافظًا لحروف القرآن وسوره، ولا يكون مؤمنًا بل يكون منافقًا، ينتفع به غيره كما يُنتفع بالريحان.

وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٩٤) قال عمر بن الخطاب ط: «لا يغرنكم من قرأ القرآن؛ إنما هو كلام يُتكلم به، ولكن انظروا إلى من يعمل به».

وفي أخلاق حملة القرآن للآجري (١/ ٥١) عن عبدالصمد بن يزيد، قال: «سمعت الفضيل يقول: إنما أنزل الله القرآن ليُعمل به؛ فاتخذ الناس قراءته عملًا- وفي لفظ، قال: قيل: كيف العمل به؟- قال: أي ليُحِلُّوا حلاله، ويحرِّموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويقفوا عند عجائبه». اهـ





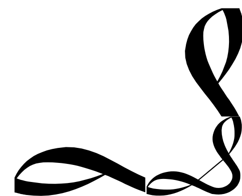


القسم الخامس:

جماعُ أبواب المصاحف

وما جاء فيها مما يؤمر به وينهى عنه







هذا جماعُ أبواب المصاحف
وما جاء فيها مما يؤمر به وينهى عنه

باب: بيع المصاحف واشترائها
وما في ذلك من الكراهة والرخصة

٧١٩ - حدثنا حماد بن خالد الخياط، عن عبدالله بن عمر العُمَري، عن نافع

عن ابن عمر ﵁: أنه كره بيع المصاحف.

٧٢٠ - حدثنا هشيم، أخبرنا ليث، عن مجاهد

عن ابن عباس ﵁: قال: اشترِ المصاحف، ولا تبعها.

٧٢١ - حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال:

أخبرنا أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبدالله ﵁، يقول في بيع المصاحف: أبتاعُها أحبّ إليَّ من أن أبيعها.

٧٢٢ - حدثنا هُشيم، قال: أخبرنا أبو بشر

عن سعيد بن جبير، قال: اشترها، ولا تبعها.



٧٢٣ – حدثنا هُشيم، أخبرنا مغيرة

عن إبراهيم: أنه كره بيعها، وشراءها.

٧٢٤ – حدثنا هشيم،؛ أخبرنا خالد، عن ابن سيرين

عن عَبيدة: أنه كره بيعها، وشراءها.

٧٢٥ – حدثنا معاذ، عن ابن عون

عن ابن سيرين: أنه كره بيعها، وشراءها.

٧٢٦ – حدثنا خالد بن عمرو، عن إسرائيل، عن أبي حَصين

عن أبي الضحى، قال:

سألتُ ثلاثة من أهل الكوفة عن شراء المصاحف؛ عبدالله بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، وشريحًا، فكلهم قال: لا تأخذ لكتاب الله ثمنًا.

٧٢٧ – حدثنا يحيى بن سعيد

عن عمران بن حدير، قال:

سألت أبا مجلز عن بيع المصاحف، فقال: إنما بيعت في زمن معاوية ﵁[١]. قال: قلت أفأكتبها؟ قال: استعمل يدك بما شئت.

---

(١) أي: أنه مُحْدَث، ففي زمن الخلفاء الراشدين لم تكن تُبَاع.

قال أبو عبيد:

فهذا ما جاء في الكراهة وقد تسهَّل في ذلك بعضهم.

٧٢٨ - حدثنا عمرو بن طارق، عن السري بن يحيى

عن مطر الوراق:

أنه سئل عن بيع المصاحف، فقال: كان حَبْرَا أو خَيِّرَا هذه الأمـة، لا يريان ببيعها بأسًا؛ الحسن والشعبي[(١)].

٧٢٩ - حدثنا هشيم، أخبرنا يونس

عن الحسن:

أنه كان لا يرى بأسًا ببيع المصاحف واشترائها.

٧٣٠ - حدثنا هشيم، أخبرنا داود بن أبي هند

عن الشعبي:

أنه سئل عن ذلك، فقال: إنما يأخذ ثمن ورقه، وأجر كتابته.

---

(١) مراده: حَبْرَا العراقيْن: البصرة، والكوفة- كما سيأتي-.

وفي المصاحف لابن أبي داود: «فقيهي العراق: الحسن والشعبي».



٧٣١ – حدثنا أبو معاوية، وأبو إسماعيل المؤدب، ويحيى بن سعيد، كلهم عن أبي شهاب- موسى بن نافع- قال:

قال سعيد بن جبير:

هل لك في مصحف عندي، قد كفيتك عرضه(١)، تشتريه؟(٢)

---

(١) أي: قمت بمراجعته، ومقابلته على مصحف عثمان، وتأكدت من صحته.

(٢) اعلم أن الذي عليه أصحاب النبي ﷺ هو كراهة بيع المصاحف كراهة شديدة، لم يختلفوا في ذلك، ومما جاء عنهم في هذا الباب:

ما رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف (١/ ٣٧٤) وابن أبي شيبة عن عبدالله بن شقيق أنه كان يكره بيع المصاحف، قال: «وكان أصحاب رسول الله ﷺ يرون بيع المصاحف عظيمًا، وكانوا يكرهون أرش الصبيان، إلا أن يجيء بالشيء من عنده».

وأرش الصبيان: أجرة تعليمهم القرآن.

وقال: «كان أصحاب محمد ﷺ يشددون في بيع المصاحف، ويكرهون الأرش على الغلمان».

وفي مصنف عبدالرزاق عن معمر، قال: «سألت الزهري عن بيع المصاحف؛ فكرهه، ثم قال: أَجْزَ- هكذا في الأصل، ولعلها: اجترأ- الناسُ عليه، وكانوا لا يفعلونه».

وقال إسحاق الكوسج في مسائله (١٨٢٥): «قلت: بيع المصاحف؟ قال أحمد بن حنبل: لا أعلم فيه رخصة عن أحد من أصحاب النبي ﷺ، والشراء أهون. قال إسحاق بن راهويه: السُّنة أن يشتريها ولا يبيعها». وفي موضع آخر، قال أحمد: «كانوا يشددون في البيع، ويرخصون في الشراء». اهـ

وفي مسائل أبي داود (١٩١) قال الإمام أحمد: «المصحف لا يُباع البتة».

وإنما حدث الاختلاف في شراء المصاحف وبيعها بعد زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين على ثلاثة أقوال:

القول الأول: كراهة البيع والشراء، تعظيمًا لها وتكريمًا، ولما في تداولها بالبيع والشراء من الابتذال والامتهان، وهو مروي عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن زيد، =

وجابر بن عبدالله، وابن عمر، وأبي موسى الأشعري، فهؤلاء سبعة من الصحابة بأعيانهم، ثم جميع الصحابة بإطلاق لا مخالف لهم منهم.

ومن التابعين: مسروق، وشريح، ومطرف بن مالك، وعلقمة، وإبراهيم، وعَبيدة السلماني، وابن سيرين، وسالم بن عبدالله، وسعيد بن المسيب، وقتادة، والزهري، وأبو مجلز، وعبدالله بن يزيد وغيرهم.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن مطرف بن مالك، قال: «شهدت فتح تُسْتَر مع أبي موسى الأشعري؛ فأصبنا (دانيال) بالسوس، ومعه ربعة فيها كتاب، ومعنا أجير نصراني، فقال: بيعوني هذه الربعة وما فيها؟ قالوا: إن كان فيها ذهب أو فضة أو كتاب الله؛ لم نبعك. قال: فإن الذي فيها كتاب الله تعالى؛ فكرهوا بيعه، قال: فبعناه الربعة بدرهمين، ووهبنا له الكتاب.

قال قتادة: فمن ثَمَّ كُره بيع المصاحف؛ لأن الأشعري والصحابة كرهوا بيع ذلك الكتاب».

وكتاب (دنيال) من الكتب الأولى، ولعمر بن الخطاب ط معه قصة.

وروى ابن أبي داود في كتاب المصاحف (١/ ٣٦٥) عن جابر، قال: «سمعت سالمًا، يقول: «كان ابن عمر إذا أتى على الذي يبيع المصاحف؛ قال: بئست التجارة!».

وفيه عن عُبادة بن نُسيّ أن عمر ط كان يقول: «لا تبيعوا المصاحف، ولا تشتروها».

وفيه عن عمر أنه كره بيع المصاحف، وقال: «لو لم يجدوا من يشتريها؛ ما كتبوها».

وعن ابن سيرين، عن عمر أنه كره بيعها وشراءها. وكذلك ابن مسعود، وجابر بن عبدالله.

وفيه عن سعيد بن جبير، قال: «وددت أني رأيت الأيدي تُقطع على بيع المصاحف».

قال: وقال ابن عمر: «ليتني لا أموت، حتى أرى الأيدي تُقطع في بيع المصاحف».

وفيه عن أبي عبيدة صاحب السابري، قال: «سألت سالم بن عبدالله عن بيع المصاحف؛ فقال: بئس البيع، بئس البيع!».

وفيه عن عكرمة بن عمار، قال: «رأيت سالم بن عبدالله مرَّ على أصحاب المصاحف؛ فقال: بئست التجارة! فقال رجل: ما تقول؟ قال: أقول ما سمعت».

=



وفيه عن مسلم بن صُبيح- أبو الضحى- قال: «سألت ثلاثة من أهل الكوفة لا آلو؛ عن بيع المصاحف؛ فكلهم يقول: «لا نأمرك أن تأخذ لكتاب الله أجرًا؛ سألت مسروقًا، وعلقمة، وعبدالله بن يزيد الأنصاري».

وفي لفظٍ عن أبي الضحى، قال: «سألت عَبيدة، وسألت مسروقًا، وسألت عبدالله الأنصاري- وفي لفظ زاد: علقمة وشريح- عن الذي يأخذ على الكتاب على المصاحف أجرًا، فكلهم اتفق لي على كلمة واحدة: «لا تأخذ على كتاب الله أجرًا». وفي لفظ قال: «إنهم كرهوا بيع المصاحف وشراءها، وقالوا: لا تأخذ لكتاب الله ثمنًا». قال وكيع: «لا يعجبنا بيعها».

وفيه عن إبراهيم النخعي، أنه قال: «الخَسُ الدَّبَر- جمع دَبَرة، وهي قرحة الدابة والبعير- أحبُّ إليَّ من بيع المصاحف، وكان يكره أن يأخذ على عرضها وكتابتها أجرًا».

وعن إبراهيم، قال: «كانوا يكرهون بيع المصاحف، ويقولون: إن كنتم لابد فاعلين؛ فمن يهودي أو نصراني، يعني: الشراء». أي: وَلُّوه البيع؛ لأن المسلم إذا امتهن القرآن بالتجارة؛ هان عليه.

وعن إبراهيم أنه كان يكره اشتراء القرآن وبيعه، وكان يقول: «لا يورث المصحف؛ إنما هو لقُراء أهل البيت». وكذلك كره الزهري بيع المصاحف.

وفيه عن عاصم، قال: «سمعت أبا العالية، يقول: وددت أن هؤلاء الذين يشترون هذه المصاحف؛ ضُربوا، قلت: على بيعها أحق أن يُضرب! قال: لو لم يشتروها؛ لم يبعها هؤلاء».

وفيه عن ابن سيرين، قال: «كانوا يكرهون بيع المصاحف وكتابتها والأجر عليها، وكانوا يكرهون أن يأخذوا الأجر على تعليم الكتاب، قلت: كيف كانوا يصنعون؟ قال: يحتسبون في ذلك الخير».

وقال عبدالله بن أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٦٩٩): «سمعت شَيبَان، يقول: سمعت سَلام ابن مِسْكين، يقول: لو أعطيت مثل هذه السارية ذَهَبًا ما بِعْت مُصحفًا».

وفيه (٢٧٢٣) عن أيوب، قال: «أدركت البصرة، وما يبيع المصاحف بها مسلم».

وروى ابن سعد في الطبقات عن حنظلة، قال: «كنت أمشي مع طاوس، فمرَّ بقوم يبيعون المصاحف؛ فاسترجع».

=



القول الثاني: جواز بيعه وشرائه، وهو مشهور عن بعض فقهاء العراق، وهو قول الحسن البصري، والشعبي، والحكم، وعكرمة، ومالك بن دينار، ويروى عن ابن عباس؛ وعللوه بأن البيع يقع على الجلد والورق، وبيع ذلك مباح.

روى ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٣٩٩) عن ابن عباس أنه سئل عن بيع المصاحف، فقال: «لا بأس؛ إنما يأخذون أجور أيديهم».

وفيه عن محمد ابن الحنفية أنه سئل عن بيع المصاحف، قال: «لا بأس؛ إنما تبيع الورق».

وفيه عن مالك بن دينار أن عكرمة باع مصحفًا له؛ وأن الحسن لم ير به بأسًا.

وعن الحسن، قال: «لا بأس ببيعها وشرائها ونقطها بالأجر».

وفيه عن سلام بن مسكين، قال: «سأل رجل الحسن على المصاحف، فقال: وما عليك أن لا تبيعها؟ وإن بعتها فما نعلم ببيعها بأسًا».

وعن عوف، قال: «كان الحسن لا يرى ببيعها بأسًا»، فقال محمد بن سيرين: «كتاب الله أعزُّ من أن يباع»، وكان عوفٌ يختار قول محمد.

وعن مطر الوراق، قال: «ما أبالي من قال في بيع المصاحف شيئًا بعد قول فقيهي العراق: الحسن، والشعبي؛ كانا لا يريان ببيعها ولا شرائها بأسًا».

وفيه عن الشعبي أنه كان لا يرى ببيع المصاحف بأسًا، ويقول: «إنما يبيع الورق وعمل يديه».

وعن الحكم: «أنه كان لا يرى بأسًا بشراء المصاحف وبيعها».

والقول الثالث: الرخصة في شراء المصاحف دون بيعها، وهو المشهور من قول ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وإسحاق، ورواية عن أحمد. وقالوا: لا يلزم من كراهة البيع؛ كراهة الشراء، كشراء دور مكة ورباعها، وشراء أرض السواد، فلا يكره للمشتري إن احتاج لذلك، ويكره للبائع بيعها.

روى عبدالرزاق وابن أبي شيبة عن ابن عباس أنه قال في المصحف: «اشترها ولا تبعها».

وروى ابن أبي داود عن ابن عباس: «أنه نهى عن بيع المصحف، ورخَّص في شرائه».

وفيه عن جابر بن عبدالله، قال في بيع المصاحف: «ابتعها، ولا تبعها». وكذلك قال سعيد بن جبير.

وروى عبدالرزاق عن ابن المسيب، قال في بيع المصاحف: «ابتعه ولا تبعه، واكتتبه ولا تكتبه بأجر».

=



وروى ابن أبي شيبة، عن يحيى بن أبي كثير، قال: «سألت أبا سلمة عن بيع المصاحف؛ قال: اشترها ولا تبعها».

وفي مسائل عبدالله للإمام أحمد (١/ ٢٨٤) قال: «سألت أبي عن بيع المصاحف، وتعليم القرآن؟ قال: قد رخَّص قوم في بيعها، والتعليم أحبُّ إليَّ من مسألة الناس. وقال: أحبُّ إليَّ أن لا يبيعها؛ كرهه ابن عمر وابن عباس، يعني: بيع المصاحف. وقال: اشتر ولا تبع. وقال: أذهب إلى حديث ابن عباس وجابر ن.

قال عبدالله: سألت أبي عن الرجل يكتب التعاويذ من القران وغيره؛ يبيعها؟ قال: أكرهه، وأكره بيع المصاحف. وشراؤها أسهل عندي من بيعها؛ قال بعضهم: وددت أن الأيدي قطعت في بيع المصاحف. قال: قلت لأبي: فإن باع لأهل الذمة التعاويذ؟ قال: ذلك أشد، وكرهه». اهـ

تنبيه: افتتن كثير من المتأخرين بفتوى ابن حزم في حِلِّ بيع المصاحف كلها، والتي بناها على الرأي والهوى ضاربًا بآثار الصحابة والتابعين وأقوال أهل العلم عرض الحائط كعادته؛ فقال في المحلى (٧/ ٤٦٠): «أما نحن، فلا حجة عندنا في قول أحدٍ دون رسول الله ق كثر القائلون به أم قَلُّوا- كائنًا من كان القائل». اهـ

وصدق من وصف كتابه المحلى بأنه كتاب رأي محلى بآثار! وأصدق منه ما نقله البخاري في كتابه: قرة العينين برفع اليدين في الصلاة (١/ ٣٧) عن وكيع، قال: «من طلب الحديث كما جاء؛ فهو صاحب سنة، ومن طلب الحديث، ليقوِّي هواه؛ فهو صاحب بدعة».

قال البخاري: «يعني: أن الإنسان ينبغي أن يلقي رأيه لحديث النبي ق حيث ثبت الحديث، ولا يعتل بعلل لا تصح؛ ليقوِّي هواه. وقد ذكر عن النبي ق: «لا يؤمن أحدكم، حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به». وقال: قال معمر: أهل العلم كان الأول فالأول أعلم، وهؤلاء الآخر فالآخر عندهم أعلم». ثم ضرب البخاري مثالًا عمليًّا لذلك، فقال: «ولقد قال ابن المبارك: كنت أصلي إلى جنب النعمان بن ثابت- يعني: أبا حنيفة- فرفعت يدي؛ فقال: ما خشيت أن تطير؟ فقلت: إن لم أَطِرْ في الأولى، لم أطر في الثانية! قال وكيع: رحمة الله على ابن المبارك؛ كان حاضر الجواب فتحير الآخر! وهذا أشبه من الذين يتمادون في غيهم، إذا لم يبصروا». اهـ

=





وفي بيع المصاحف من المفاسد ما يلي:

١- الامتهان الشديد والابتذال للمصحف، حتى صار في المكتبات يوضع مع المجلات الخليعة والروايات الماجنة والكتب الساقطة.

٢- تعريضه للمماكسة في ثمنه، ورده بعد أخذه إذا اختلف المتبايعان في السِّعر! ونحو ذلك.

٣- تعريضه للمسِّ من غير طاهر من الباعة والمشترين.

٤- تعريضه لمن يشتريه من الكفار والمنافقين، وقد نُهينا أن نسافر به لبلادهم؛ مخافة أن تناله أيديهم فيمتهنونه.

٥- تعريضه للمفاضلة بين المصاحف والطبعات، بما يُفهم منه الاستهانة بأحدهما، وهذا شبيه بالسبب الحامل لجمع القرآن وإحراق المصاحف في عهد عثمان ط كما تقدَّم.



باب: نقط المصاحف وما فيه من الرخصة والكراهة(١)

(١) اعلم أن المصاحف التي كُتبت في عهد عثمان ﷺ كانت خالية من النَّقْط والشكل، وعندما أرسلها إلى الأمصار نسخوا على غرارها مصاحف كثيرة خالية من النقط والشكل. واستمروا على ذلك أكثر من أربعين سنة. وفي خلال هذه الفترة توسعت الفتوح، ودخلت أممٌ كثيرة لا تتكلم العربية في الإسلام؛ ففشت العجمة بين الناس، وكثر اللحن، حتى بين العرب أنفسهم؛ بسبب كثرة اختلاطهم ومصاهرتهم للعجم، فخشي أئمة المسلمين على المصحف أن يتطرق له اللحن والتحريف؛ فأمروا بنقط المصحف.

والنقط كان أولًا لبيان شكل الحروف وإعرابها - أي: حركاتها - ثم استخدم النقط لتمييز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض، كالباء والياء والتاء والثاء، وكالحاء والخاء والجيم.

وكان أول من كتب النقط أبو الأسود الدؤلي، وفي هذا قصة رواها أبو بكر ابن الأنباري في كتابه الوقف والابتداء، وهي أن معاوية كتب إلى زياد يطلب عبيدالله ابنه، فلما قدم عليه كلَّمه، فوجده يلحن! فردَّه إلى زياد، وكتب إليه كتابًا يلومه فيه، ويقول: أمثل عبيدالله يُضيَّع؟! فبعث زياد إلى أبي الأسود، فقال له: يا أبا الأسود، إن هذه الحمراء - أي: العجم - قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعتَ شيئًا يُصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله؛ فأبى ذلك أبو الأسود، وكره إجابة زياد إلى ما سأل؛ فوجَّه زيادٌ رجلًا، وقال له: اقعد في طريق أبي الأسود، فإذا مرَّ بك، فاقرأ شيئًا من القرآن وتعمد اللحن فيه، ففعل ذلك، فلما مرَّ به أبو الأسود؛ رفع الرجل صوته يقرأ: «أن الله بريء من المشركين ورسولِه»؛ فاستعظم ذلك أبو الأسود، وقال: عزَّ وجه الله أن يبرأ من رسوله. وفي رواية أنه قال: لا أظن أنه يسعني إلا أن أضع شيئًا أصلح به لحن هذا. ثم رجع من فوره إلى زياد، فقال له: يا هذا! قد أجبتك إلى ما سألتَ، ورأيتُ أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعث إليَّ بثلاثين رجلًا. فأحضرهم زياد، فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختارهم، حتى اختار منهم رجلًا من عبد القيس فقال: خذ المصحف وصِبغًا يخالف لون المداد، فإذا فتحتُ شفتيّ فأنقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتُها فأجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتُها فأجعل النقطة في

=



٧٣٢ - حدثنا هشيم، أخبرنا منصور

عن إبراهيم:

أنه كان يكره نقط المصحف، ويقول لنا: جرِّدوا القرآن، لا تخلطوا به ما ليس منه[(١)].

٧٣٣ - حدثنا إسحاق الأزرق، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء

عن عبدالله ط، قال: جردوا القرآن، ولا تخلطوه بشيء[(٢)].

أسفله، فإن أتبعتُ شيئًا من هذه الحركات شيئًا منه فانقط نقطتين. فابتدأ بالمصحف، حتى أتى على آخره، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك». اهـ

وقيل: أول من نقط المصاحف: يحيى بن يعْمر، ونصر بن عاصم الليثي، وهما من تلاميذ أبي الأسود الدؤلي.

(١) وفي مصنف عبدالرزاق (٧٩٤١)، قال سفيان الثوري: «أراه نقط العربية».

وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣١١) عن إبراهيم، قال: «لَحَسُ الدَّبَر أحبُّ إليَّ من نقط المصاحف».

(٢) قال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ٤٧): «قد اختلف الناس في تفسير قوله: «جرِّدوا القرآن»، فكان إبراهيم يذهب به إلى نقط المصاحف، ويقول: «جردوا القرآن، ولا تخلطوا به غيره».

قال أبو عبيد: وإنما نُرى أن إبراهيم كره هذا؛ مخافة أن ينشأ نشءٌ يدركون المصاحف منقوطة؛ فيرى أن النقط من القرآن، ولهذا المعنى كره من كره الفواتح والعواشر، وقد ذهب به كثير من الناس إلى أن يُتعلم وحده وتترك الأحاديث. قال أبو عبيد: وليس لهذا عندي وجه، وكيف يكون عبدالله أراد هذا، وهو يحدث عن النبي ق حديثًا كثيرًا! ولكنه عندي: ما ذهب إليه إبراهيم، وما ذهب إليه عبدالله نفسه. وفيه وجه آخر، وهو عندي من أبْيَن هذه الوجوه؛ أنه أراد بقوله: «جردوا

=



القرآن»: أنه حثَّهم على أن لا يُتعلم شيء من كتب الله غيره؛ لأن ما خلا القرآن مـن كتـب الله، إنـما يؤخذ عن اليهود والنصارى، وليسوا بمأمونين عليها، وذلك بيِّنٌ في حديث آخر عن عبدالله نفـسه، عن عبدالرحمن بن الأسود، عن أبيه، قال: أصبت أنا وعلقمة صحيفة، فانطلقنا إلى عبـدالله، فقلنـا: هذه صحيفة فيها حديثٌ حسنٌ! قال: فجعل عبدالله يمحوها بيده، ويقول: « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ»، ثم قال: إن هذه القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره». اهـ

وعلى هذا، فإن المراد بتجريد القرآن أمران:

أحدهما: جرِّدوه في العلم والعمل، ولا تخلطوا به غيره إلا ما يعين على فهمه من السُّنة والأثر.

والثاني: جرِّدوه في الخط من النقط والتعشير؛ يدل لذلك ما رواه ابن أبي شيبة، وعبـدالرزاق عـن عبدالله بن مسعود ط قال: «جرِّدوا القرآن؛ يقول: لا تلبسوا به ما ليس منه».

وروى الطبراني عن مسروق أن ابن مسعود كان يكره كتابة التفسير في القرآن.

وفي السنة لعبدالله (١/ ١٣٦) عن ابن مسعود: «جردوا القرآن، ولا تكتبوا فيه شيئًا إلا كلام الله».

وفي فضائل القرآن لابن الضُّريس (١/ ٣٣) عن محمد بن سيرين، قال: «إذا أتى الرجل على هـذه الآية، وهو في الصلاة: « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ». الآية، أو يأتي عـلى الآيـة فيهـا الرغبـة والرهبة؛ قال: يمضي كما هو، وقال: جردوا القرآن».

أي: لا تخلطوا به كلامًا- ولو كان ذكر الله- لئلا يختلط على الجهال.

وفي أثر ابن سيرين هذا ملحظٌ آخر: وهو تجريد القرآن في التلاوة، فـلا يـزاد فيـه شيء ممـا يحدثـه القُراء عند قراءة آيات الرهبة أو الرغبة، أو الصلاة عن النبي ق ، أو كقول بعضهم عند قراءة قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » يقول: استعنا بالله، ونحو ذلك مما لم ترد به السُّنة.

ومن هذا الباب ذهب العلماء إلى عدم كتابة أسماء السور في المصحف، كما سيأتي في الباب التالي.

وروى البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١/ ٤٠٧) عن عروة بن الـزبير: «أن عمـر بـن الخطـاب أراد أن يكتب السُّنن، فاستشار في ذلك أصـحابَ النبـي ق ؛ فأشـاروا عليـه أن يكتبهـا، فطفـق عمـر يستخير الله، ثم أصبح يومًا وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أردت أن أكتـب الـسُّنن، وإني ذكـرت قومًـا كانوا قبلكم، كتبوا كتبًا، فأكبوا عليه وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدًا».

وتقدَّم مزيد بيان في مسألة تجريد القرآن تحت الأثرين رقم: (٣٦، ٣٧).

٧٣٤ – حدثنا يزيد، عن هشام

عن الحسن، وابن سيرين: أنهما كانا يكرهان نقط المصاحف(١).

٧٣٥ – حدثنا الأنصاري، عن أشعث

عن الحسن، قال: لا بأس بنقط المصاحف. وكرهه ابن سيرين.

٧٣٦ – حدثنا هشيم، أخبرنا منصور، قال:

سألت الحسن عن نقط المصاحف، فقال: لا بأس به ما لم تبغوا(٢).

٧٣٧ – حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن حماد بن زيد

عن خالد الحذاء، قال:

كنت أمسك على ابن سيرين في مصحف منقوط(٣).

---

(١) وفي مصنف عبدالرزاق عن ابن سيرين أنه كان يكره أن يُشَكَّل المصحف، أو يزاد فيه شيء.

وروى ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٣٢٧) عن الأوزاعي قال: «سمعت قتادة- وكان عربي اللسان- يقول في هذه النقط: لوددت أن الأيدي قُطعت فيه».

وقال فديك بن سليمان: «كان عبَّاد الخواص إذا قدم علينا؛ لا يقرأ إلا في مصحف غير منقوط».

(٢) وروى ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٣٢٨) عن محمد بن سيف، قال: «سألت الحسن عن المصحف ينقط بالعربية؟ قال: أو ما بلغك كتاب عمر بن الخطاب ﵁: أن تفقهوا في الدين، وأحسنوا عَبارة الرؤيا، وتعلموا العربية».

(٣) والذي نقطه له: يحيى بن يعْمر.

ورواه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٣٢٩) عن خالد الحذاء، قال: «كان عند محمد بن سيرين =





مصحف منقوط، وكان يقرأ فيه». اهـ

والحسن وابن سيرين كلاهما قد جاء عنه الأمران معًا: المنع والإباحة. ويحمل تجويزهما لذلك على أنه لمن أمن عليه من الزيادة في الحروف، أو أن ينفتح الباب فتوضع فيه الأسماء والزخارف والتفسير ونحو ذلك؛ ولهذا قال الحسن: «لا بأس به، ما لم تبغوا». والبغي هو الزيادة والتعدي.

وروى ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٣٢٥) عن أبي رجاء، قال: «سألت محمد بن سيرين عن المصحف ينقط بالنحو؟ قال: أخشى أن يزيدوا في الحروف».

وعلى هذا، فإن كُتبت المصاحف بلا شكل ولا نقط؛ جاز، وإن كتبت بنقط وشكل؛ جاز ولم يكره في أظهر قولي العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد.

وأما الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد كان يُفرِّق بين المصاحف الأمهات وغيرها:

قال أبو عمرو الداني في كتابه: المحكم في نقط المصاحف (١/ ١١): «قال أشهب: سئل مالك، فقيل له: أرأيت من استكتب مصحفًا اليوم أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكَتْبة الأولى.

قال مالك: ولا يزال الإنسان يسألني عن نقط القرآن؟ فأقول له: أما الإمام من المصاحف؛ فلا أرى أن ينقط ولا يزاد في المصاحف ما لم يكن فيها، وأما المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان وألواحهم؛ فلا أرى بذلك بأسًا. قال عبدالله: وسمعت مالكًا وسئل عن شكل المصاحف؟ فقال: أما الأمهات؛ فلا أراه، وأما المصاحف التي يتعلم فيها الغلمان؛ فلا بأس». اهـ

قال أبو عمرو في كتابه النقط وهو منشور مع كتابه المقنع في رسم مصاحف الأمصار (١/ ١٣٠): «والناس في جميع أمصار المسلمين من لدن التابعين إلى وقتنا هذا على الترخّص في ذلك في الأمهات وغيرها، ولا يرون بأسًا برسم فواتح السور، وعدد آيها، ورسم الخموس والعشور في مواضعها، والخطأ مرتفع عن إجماعهم». اهـ

وقد يحتمل كلامه الصحة، وقد يكون كما في أثر عدي بن حاتم ط: «إن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وإن منكركم اليوم معروف زمان ما أتى، وإنكم لن تبرحوا بخير ما دمتم تعرفون ما كنتم تنكرون، وتنكرون ما كنتم تعرفون، وما دام عالمكم يتكلم بينكم غير مستخف».



باب: تعشير المصاحف وفواتح السور والآيات

٧٣٨ – حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: حدثنا أبو حصين، عن يحيى بن وثاب، عن مسروق عن عبدالله ط: أنه كان يكره التعشير في المصحف(١).

(١) قال الفراهيدي في العين (٢٨٠): «تعشير المصحف: تقطيعه إلى أجزاء، ووضع العلامات عليه». اهـ

فالتعشير: علامة توضع عند انتهاء كل عُشر من أعشار القرآن، أو يكون علامة توضع عند انتهاء كل عشر آيات لسهولة إحصائها والوقوف عندها، وهو يشبه التحزيب الموجود الآن في المصاحف.

وقال محقق كتاب غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ٤٧): «العاشرة: واحدة العواشر من القرآن، وهي التي تكمل بها عشر آيات، ويقال: إن القرآن ستمئة عاشرة، وثلاث وعشرون عاشرة». اهـ

ومن أول العلامات التي أدخلت في المصاحف: جعل ثلاث نقاط عند رؤوس الآي، ثم توسَّع الناس بعد ذلك؛ فجعلوا علامات للسجدات والوقوف، مثل: (قلي)، و(صلي) وغيرهما، ومثل أسماء السور وعدد الأجزاء وعدد الآيات وغير ذلك مما كرهه السَّلف.

ولو أن الناس اقتصروا على ما كان عليه السَّلف ولم يتعدوا ما أجازوه؛ لكان خيرًا لهم، ولكنهم جعلوا كتاب الله مثل إشارات المرور فيه جميع الألوان! وألحقوا به أحكام التجويد المتكلفة، ثم وضعوا حواشي التفسير على جانبيه، وصار القارئ يرى كلام الله وحوله كلام كثير من كلام غيره، وهذا عين ما كرهه السَّلف.

قال إسحاق الكوسج في مسائله (٣٥٧٩): «قلت: يكره أن يُزين المصحف بالذهب أو يُعَشّر؟ قال أحمد بن حنبل: أما أن يُعَشّر فليس به بأس، وأما النقط فما أنفعه!! والتزيين بالذهب والفضة مكروه. قال إسحاق بن راهويه: كل ذلك مكروه؛ لأنه مُحْدَث». اهـ

=



٧٣٩ - حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن زائدة بن قدامة، عن أبي حصين، عن يحيى بن وثاب، عن مسروق

عن عبدالله ط: أنه كان يحك التعشير من المصحف.

وقال أبو عمرو الداني في كتابه البيان في عدِّ آي القرآن (١/ ١٣٠): «قال أشهب: سمعت مالكًا وسئل عن العشور التي تكون في المصحف بالحُمرة وغيرها من الألوان؟ فكره ذلك؛ وقال: تعشير المصحف بالحبر؛ لا بأس به. وسئل عن المصاحف يُكتب فيها خواتم السور، في كل سورة ما فيها من آية؟ فقال: إني أكره ذلك في أمهات المصاحف أن يكتب فيها شيء أو تشكل، فأما ما يتعلم فيه الغلمان من المصاحف؛ فلا أرى بذلك بأسًا. قال أشهب: ثم أخرج إلينا مصحفًا لجده كتبه إذ كتب عثمان المصاحف، فرأينا خواتمه من حبر على عمل السلسلة في طول السطر، ورأيته معجوم الآي بالحبر». اهـ

وقال الطرطوشي في كتابه الحوادث والبدع (١/ ١٠٢): «ومن ذلك ما رُوي في المستخرجة؛ قال: كره مالك أن يكتب القرآن أسداسًا وأسباعًا في المصاحف، وشدَّد فيه الكراهية، وعابه. قال: قد جمعه الله تعالى، وهؤلاء يفرقونه. قيل لمالك: هل يكتب في السُّورة عدة آيِهَا؟ فكره ذلك في أمهات المصاحف، وكره أن يشكل أو ينقط. فأما ما يتعلم فيه الصبيان وألواحهم؛ فلا بأس به. قيل لمالك: فما كتب اليوم من المصاحف؛ يكتب على ما أحكم الناس من الهجاء اليوم؟ قال: «لا، ولكن يكتب على الكتابة الأولى»». اهـ

ومن ذلك أيضًا وضع قراءتين أو أكثر في مصحف واحد؛ قال أبو عمرو الداني في كتابه النقط (١/ ١٣٠): «لا أستجيز جمع قراءات شتى بألوان مختلفة في مصحف واحد. قال: لأن ذلك من أعظم التخليط والتغيير لمرسومه». اهـ

وروى ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٣١٦) عن إبراهيم: «أنه كان يكره العواشر، والفواتح، وتصغير المصحف، وأن يكتب فيه: سورة كذا وكذا».

وقال الأعمش: «سألت إبراهيم عن التعشير في المصحف، ويكتب سورة كذا وكذا؟ فكرهه، وكان يقول: جرِّدوا القرآن».

٧٤٠ – حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن ليث

عن مجاهد: أنه كره التعشير والطيب في المصحف[(١)].

٧٤١ – حدثنا يزيد، عن هشام

عن ابن سيرين:

أنه كان يكره الفواتح والعواشر التي فيها «قاف، وكاف».

٧٤٢ – حدثنا يحيى بن سعيد

عن أبي بكر السراج، قال:

قلت لأبي رَزين: اكتب في مصحفي: سورة كذا وكذا؛ قال: لا، إني أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه؛ فيظنوا أنه من القرآن[(٢)].

---

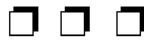
(١) وفي فضائل القرآن لابن الضُّريس (١/ ٤١) عن مجاهد: «أنه كره المسك والعنبر في المصحف».
وفي مصنف ابن أبي شيبة عن مجاهد: «أنه كان يكره أن يُكتب في المصحف تعشير، أو يفصل».
ومعنى: «يفصل». أي: يجعل كل عُشر على حدة، أو بين العُشر والذي يليه فاصل أو فراغ.

(٢) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف (١/ ٣١٨) وفيه قال: «قلت لأبي رزين: أكتب في مصحفي خاتمة سورة كذا وكذا؟ قال: أخشى أن ينشأ نشءٌ يحسبون أنه نزل من السماء».
قال ابن أبي داود: «أبو بكر: هو الزبرقان السَّراج».
وفي مصنف ابن أبي شيبة عنه، قال: «قلت لأبي رزين: إن عندي مصحفًا أريد أن أختمه بالذهب، وأكتب عند أول كل سورة: آيَهُ كذا وكذا. قال أبو رزين: لا تزيدن فيه شيئًا من الدنيا؛ قلَّ أو كثر».
=



٧٤٣ - حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي

عن يحيى بن أبي كثير، قال: ما كانوا يعرفون شيئًا مما أُحدث في هذه المصاحف، إلا هذه النقط الثلاث على رؤوس الآيات[١].



وفي المصاحف لابن أبي داود (١/ ٣١٨) عن أبي جمرة، قال: «أتيت إبراهيم بمصحف لي مكتوب فيه: سورة كذا وكذا آية. فقال إبراهيم: امح هذا! فإن ابن مسعود ط كان يكره هذا، ويقول: لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس منه».

وعن أبي العالية: «أنه كان يكره الجُمَل في المصحف، وكان يكره: فاتحة سورة كذا، وخاتمة سورة كذا، وكان يقول: جردوا القرآن».

وعن ابن جريج، قال: «قلت لعطاء: أتكتب عند كل سورة: خاتمة سورة كذا، وفيها كذا وكذا آية؟ فنهى عن ذلك، وقال: بدعة».

(١) أخرجه أبو عمرو الداني في كتابه المحكم في نقط المصاحف (١/ ١٧) بلفظ: «كان القرآن مجرَّدًا في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيها: النقط على التاء والياء، وقالوا: لا بأس به؛ هو نُور له، ثم أحدثوا فيها نقطًا عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم. قال أبو عمرو: وهذا يدل على التوسعة في ذلك». وفيه عن الأوزاعي، قال: «سمعت قتادة يقول: بدءوا فنقطوا، ثم خمسوا، ثم عشروا». قال أبو عمرو: «وهذا يدلُّ على الترخص في ذلك، والسعة فيه».

وقال في كتابه البيان في عدِّ آي القرآن (١/ ١٣١): «وهذه الأخبار كلها تؤذن بأن التعشير، والتخميس، وفواتح السور، ورؤوس الآي من عمل الصحابة ن، فأداهم إلى عمله الاجتهاد، وأرى أن من كره ذلك منهم ومن غيرهم؛ إنما كره أن يعمل بالألوان، كالحمرة والصفرة وغيرهما، لا أن لا يعمل أصلًا، على أن المسلمين في سائر الآفاق قد أطبقوا على جواز ذلك، واستعمالهم في الأمهات وغيرها، والحرج والخطأ مرتفعان عنهم في ما أطبقوا عليه، إن شاء الله تعالى». اهـ

وهذه القاعدة ليست على إطلاقها، بل العبرة في اجتماعهم على الحقِّ، كما هو معلوم.

باب: تزيين المصاحف وحليتها بالذهب والفضة

٧٤٤ - حدثنا وكيع، وأبو معاوية، عن الأعمش

عن أبي وائل، قال: مُرَّ على عبدالله ط بمصحف قد زُين بالذهب؛ فقال: إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحقِّ[١].

٧٤٥ - حدثنا أبو إسماعيل المؤدب، عن عاصم الأحول، عن عكرمة

عن ابن عباس م: أنه كان إذا رأى المصحف قد فُضِّضَ أو ذُهِّبَ؛ قال: أَتُغْرون به السَّارق، وزينته في جوفه؟!

٧٤٦ - حدثنا ابن بكير، عن الليث بن سعد، عن شعيب بن أبي سعيد مولى قريش قال:

قال أبو ذر ط:

إذا حليتم مصاحفكم، وزوقتم مساجدكم، فالدَّبَار عليكم[٢].

---

(١) وفي المصاحف لابن أبي داود (١/ ٣٤٢) عن أبي وائل، قال: «جيء إلى عبدالله ط بمصحف قد حُلِّيَ، فقال عبدالله: ما حُلِّيَ بمثل تلاوته!».

(٢) قال في لسان العرب (٢/ ١٣٢٠): «فالدبار عليكم - بالفتح - أي: الهلاك». اهـ

وقد جاء هذا المعنى عن أربعة من أصحاب النبي ق وهم: أبي بن كعب، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وأبي ذر ن. وممن رواه من أصحاب الكتب: ابن المبارك في الزهد (٧٩٧)، وأحمد في
=

وحدثنا أحمد بن عثمان، عن ابن المبارك، عن يحيى بن أيوب، عن عمرو بن الحارث، عن بكر بن سوادة، عن أبي الدرداء ، أنه قال مثل ذلك سواء.

٧٤٧ – حدثنا هشيم، عن المغيرة

عن إبراهيم:

أنه كان يكره أن يكتب المصحف بذهب، قال: وكانوا يأمرون بورق

الورع (٦٠٦)، وعبدالرزاق (٦٠٦) وابن أبي شيبة (٣٠٧٣٧) في مصنفيهما، وسعيد بن منصور في التفسير (١٦٥)، وابن أبي داود في المصاحف وغيرهم. وألفاظهم متقاربة، وأسانيدها يقوي بعضها بعضًا. وجاء بثلاثة ألفاظ: الدبار، والدمار، والدثار، وكلها بمعنى: الهلاك والذهاب والدروس، كما في النهاية لابن الأثير (٢/ ١٠٠).

وتحلية المصحف: هي زخرفته وكتابته بالذهب أو الفضة.

وفي الزهد لابن المبارك (١/ ٢٧٥) قال: التزويق: التزيين والتنقيش.

وذكره صاحب كنز العمال (٤١٩٥) بلفظ: «إذا حليتم مصاحفكم وزوقتم مساجدكم؛ فعليكم الدعاء»، وعزاه لابن أبي داود في المصاحف، ولكني لم أجده بهذا اللفظ، ومعنى: فعليكم الدعاء: يعني: الهلاك أو العذاب؛ كما في قوله تعالى: «تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ».

وهذه الآثار وإن كانت موقوفة إلا أن لها حكم الرفع؛ لأن ما فيها من وعيد لا يقال من قبل الرأي.

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي أمامة ﷺ أنه كره أن تُحلى المصاحف.

وروى ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٣٤١) عن بُرد بن سنان، قال: «ما أساءت أمة العمل؛ إلا زينت مصاحفها ومساجدها».

وفي الورع للإمام أحمد (٦٠٥) قال المروزي: قلت لأبي عبدالله: «إن ابن أسلم الطوسي لا يجصص مسجده، ولا بطوس مسجد مجصص إلا قلع جصه! فقال أبو عبدالله: هو من زينة الدنيا». اهـ

ومثله المصحف فلا يُحلى بالذهب، ولا يُكتب بالذهب؛ فيخلط به زينة الدنيا.

المصحف إذا بلي أن يدفن[(١)].

٧٤٨ - حدثنا يحيى بن سعيد، ومعاذ، عن ابن عون

عن ابن سيرين:

أنه كان لا يرى بأسًا بأن يزين المصحف، ويُحلى[(٢)].

(١) للسَّلف طُرُقٌ عِدة في التعامل مع المصحف البالي:

- فمنهم من كان يدفنه؛ كما ذكره أبو عبيد هنا عن إبراهيم النخعي.

وقال إسحاق الكوسج في مسائله (٩/ ٤٦٠٠): «قلت: يُحرق المصحف إذا كان فيه ذكر الله؟ قال أحمد: الدفن عندي كأنه أحسن. قال إسحاق: كما قال، إلا أن يمحى الاسم، ثم يحرق إن شاء». اهـ

وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٩): «وأما المصحف العتيق، والذي تخرق وصار بحيث لا ينتفع به بالقراءة فيه؛ فإنه يدفن في مكان يصان فيه، كما أن كرامة بدن المؤمن دفنه في موضع يصان فيه». اهـ

- ومنهم من كان يحرقه، كما فعله الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وأقره عليه الصحابة ن.

- ومنهم من كان يخرقه حتى تذهب معالمه، بحيث لا يمكن أن يقرأ منه شيء، كما فعله مروان مع صحف حفصة.

- ومنهم من كان يغسله بالماء؛ فتذهب الحروف والكلمات، كما في الإبانة الكبرى (٥/ ٣٢٨) عن حرب بن إسماعيل، قال: «قلت لإسحاق بن راهويه: الصبي يكتب القرآن على اللوح، أيمحوه بالبزاق؟ قال: «يمحوه بالماء، ولا يعجبني أن يبزق عليه»، وكره أن يمحوه بالبزاق». اهـ

(٢) وروى ابن أبي داود (١/ ٣٤٤) عن ابن عون، عن عبدالله- هكذا في الأصل، ولعله عن ابن سيرين- أنه كان يُسأل عن حلية المصاحف؟ فيقول: «لا أعلم به بأسًا، وكان يحب أن يزين المصحف، وتُجاد عِلاقته وصنعته، وكل شيء من أمره».

=





وروى المستغفري في كتابه فضائل القرآن (١/ ٢٤٠) عن الوليد بن مسلم، قال: «سألت مالك ابن أنس عن حلية السيوف والمصاحف؟ فقال: كان من أدركت من التابعين لا يرون بذلك بأسًا، وهذا مصحف جدي مفضض بالفضة؛ حدثني أبي أن أباه أخبره: أنه كان يكتب المصاحف حين جمع عثمان المصاحف على قراءة واحدة، وأنه فضضه في تلك الأيام. قال الوليد: فسألته أن يخرجه إليَّ؛ فأخرجه، فإذا مساميره فضة». اهـ

والصحيح عدم جواز تحلية المصاحف- لا فرق في ذلك بين مصاحف الرِّجال، ومصاحف النساء على قول من يفرِّق- لما تقدم من الوعيد الشديد على فاعله، ولقوة الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في المنع من ذلك.

وقد عدَّ ابن بطة هذه المسألة من البدع؛ كما في الإبانة الصغرى (٥٣٩).

وأما مسامير الفضة التي كانت في مصحف مالك، فلعلَّها كانت لأجل الحفاظ عليه من الصدأ، كما فعل عرفجة ط لما أصيبت أنفه؛ اتخذ أنفًا من فضة، فلما أنتنت؛ أمره النبي ق أن يتخذ أنفًا من ذهب.



باب: كتابة المصاحف وما يستحب من عظمها، ويكره من صغرها

٧٤٩ – حدثنا عبدالغفار بن داود الحراني، عن ابن لهيعة

عن أبي الأسود:

أن عمر بن الخطاب ﷺ، وجد مع رجل مصحفًا قد كتبه بقلم دقيق، فقال: ما هذا؟! قال: القرآن كله، فكره ذلك، وضربه، وقال: عظموا كتاب الله. قال: وكان عمر إذا رأى مصحفًا عظيمًا سُرَّ به.

٧٥٠ – حدثنا حجاج، عن عبدالملك بن شداد الحديدي، عن عبيدالله بن سليمان العبدي

عن أبي حُكَيمة العبدي[1]، قال: كنت أكتب المصاحف، فبينا أنا أكتب مصحفًا، إذ مَر بي عليٌّ ﷺ فقام ينظر إلى كتابي، فقال: أجلل قلمك. قال: فقصمت من قلمي قصمة[2]، ثم جعلت أكتب.

---

(١) مجهول الحال؛ لم أجد له ترجمة مفصلة فيما وقفت عليه من كتب التراجم. وقد ذكره الدولابي في الكنى (١/ ١٥٥)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف (٢/ ٥٦٦)، وابن ماكولا في الإكمال (٢/ ٤٩٤) بهذه الكنية، ولم يذكروا فيه جرحًا ولا تعديلًا، وقد روى عنه عبيدالله بن سليمان، وعلي ابن مبارك عند ابن أبي شيبة وغيره.

(٢) وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور (٨٠) قال: «فقضمت من قلمي قضمة».

=

فقال: نعم، هكذا نَوِّره كما نوره الله عَزَّوَجَلَّ[(١)].

٧٥١ - حدثنا أبو معاوية، وعلي بن هاشم، كلاهما، عن الأعمش

عن إبراهيم:

أن عليًّا  كان يكره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير[(٢)].

والقضم: هو الأكل بأطراف الأسنان، كما يُفعل بالسواك. وفي مصنف ابن أبي شيبة، والمصاحف لابن أبي داود بلفظ: «فقططتُ». أي: قطعت منه قطعة وبريته.

و«أجلل قلمك»، أي: غَلِّظه، وعَظِّمه، وكَبِّره. و«نَوِّره»، أي: أوضحه وبينه.

وفي رواية: «وأجلَّ قلمك»، أي: صَقِّله وعَرِّضه. انظر لسان العرب.

(١) لأن المصحف من شعائر الله، وفيه كلامه، وقد قال الله تعالى: «ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ»، وتصغير المصاحف ينافي التعظيم، ولأنه أقرب إلى اللحن والخطأ، وأسرع في الملل، وأصعب في القراءة على الشيخ والعاجز وذي النظر الضعيف.

وفي الجامع لأخلاق الراوي للخطيب (٥٤٠) قال عليٌّ ط لكاتبه عبيدالله بن أبي رافع: «أَلْقِ دواتك، وأطل سِنَّ -وفي لفظ: شق- قلمك، وأفرج بين السطور، وقَرْمِط -أي: قارب- بين الحروف».

وفي أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني (١/ ١٦٧): قال محمد بن مخلد: «سمعت حنبل بن إسحاق، يقول: رآني أحمد بن حنبل وأنا أكتب خطًّا دقيقًا! فقال: لا تفعل! أحوج ما تكون إليه؛ يخونك».

وأنشد أبو محمد عبدالله بن نصر السويدي من أهل آذربيجان لنفسه من لفظه:

إذا كتبت كتابا فغلِّظ القلما ... مُحَبِّرًا في ذُراه الخط والكَلِما

حتى يهون على الرائي تأمله ... فلا يقاسي له التحديق والألما

(٢) رواه ابن أبي شيبة بلفظ: «أنه كره أن يكتب القرآن في المصحف الصغير».

وفيه عن إبراهيم، قال: «كان يقال: عظموا القرآن- يعني: كبروا المصاحف-».

وفيه عن مجاهد أنه كره أن يقول: «مصيحف». وكراهة التصغير تشمل اللفظ وكذلك الحجم.

=



٧٥٢ – حدثنا القاسم بن مالك، عن محمد بن الزبير

عن عمر بن عبدالعزيز، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تكتبوا القرآن إلا في شيء طاهر»[1].

قال: وسمعت عمر بن عبدالعزيز، يقول:

لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ.

٧٥٣– حدثني أبو عبدالرحمن، من أهل الثغر، عن مخلد بن حسين، عن واصل مولى أبي عيينة

عن ابن سيرين: أنه كره أن تكتب المصاحف مَشْقًا[2].

وفي حلية الأولياء (٤/ ٢٣٠) قال إبراهيم: «كانوا يكرهون أن يصغروا المصحف». قال: «وكان يقال: عظموا كتاب الله».

(١) تقدَّم تخريجه، والتعليق عليه تحت الأثرين رقم: (١١٢و١١٣).

(٢) في لسان العرب (٦/ ٤٢١١): «قلم مشاق، أي: سريع الجري في القرطاس، ومشق الخط يمشقه مشقًا؛ مده. وقيل: أسرع فيه. والمشق: السرعة في الطعن والضرب والأكل والكتابة». اهـ

وهذا الأثر رواه ابن الضُّريس في فضائل القرآن (١/ ٤١) وزاد فيه: «قال هشام: لأن الألف تكون فيه معوجة». اهـ

وهي التي تعرف الآن باسم الألف الخنجرية؛ لأنها تشبه الخنجر في اعوجاجها.

ورواه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٣٠٤) وزاد المسيب بن وضاح: «قيل لابن سيرين: لم كره ذلك؟ قال: لأن فيه نقصًا، ألا ترى الألف كيف يغرقها! ينبغي أن ترد».

ولأن المشق هو سرعة الكتابة- كما تقدَّم- فيؤدى ذلك إلى العجلة، والعجلة تؤدي إلى إمكان وقوع نقص في الكلمات أو الحرف.



٧٥٤ - حدثنا نعيم، عن ضمرة، عن عبدالله بن شوذب

عن الحسن:

أنه رخَّص لمالك بن دينار، ومطر في الأخذ على كتاب المصاحف[(١)].

(١) الأليق بهذا الأثر أن يوضع في باب: بيع المصاحف واشترائها، وما في ذلك من الكراهة والرخصة. ومعنى: «كتاب المصاحف». أي: كتابة المصاحف. والمقصود: أخذ الأجرة على كتابتها.

وهذه المسألة اختلف فيها السَّلف- كما سبق في ما يشبهها من المسائل- فمنهم من كرهها؛ كإبراهيم النخعي، وابن سيرين، وعطاء وغيرهم، كما رواه ابن أبي شيبة في المصنف وغيره، عن إبراهيم: «أنه كره كتاب المصاحف بالأجر، وتأول هذه الآية: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾».

وروى ابن أبي داود في المصاحف عن مهدي بن ميمون، قال: «سألت محمد بن سيرين عن كتاب المصاحف؟ فقال: أكره كتابها، واستكتابها، وبيعها، وشراءها».

وفي المقابل أباحها آخرون؛ فقد روى سعيد بن منصور في التفسير (٢/ ٣٧٠) عن مالك بن دينار، قال: «دخل عليَّ جابر بن زيد وأنا أكتب، فقلت: كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء؟ فقال: ما أحسن صنعتك! تنقل كتاب الله ورقة إلى ورقة، وآية إلى آية، وكلمة إلى كلمة، هذا الحلال؛ لا بأس به».

وروى ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٩٧) عن ليث، عن مجاهد: «أن رجلًا كتب له مصحفًا؛ فأعطاه أجره». وعن أبي جعفر، قال: «لا بأس بكتاب المصاحف بالأجر».

وعن سعيد بن جبير، قال: «سئل ابن عباس عن كتاب المصاحف؟ فقال: إنما هو مُصوِّر».

وحتى الذين أباحوها؛ اشترطوا لها شروطًا، فمن ذلك:

ما رواه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٢٩٤) عن الربيع، قال: «سمعت الحسن وسئل عن كتاب المصاحف؟ فقال: لا بأس به على غير شرط».

وعن عيسى بن حنيفة، قال: «كان مالك بن دينار يكتب المصاحف ولا يشارط، يكتب المصحف في بيته، فإذا أتي بأجرة؛ أخذ ما يعلم أنه أجرته، ويرد ما سوى ذلك».

=



وعن ابن شوذب، قال: «كان مطر ومالك بن دينار يكتبان المصاحف ولا يشارطان، فما أعطيا من شيء؛ قبلاه».

ولو قال قائل: لابد للناس من شراء المصاحف وبيعها وكتابتها بأجر، ولولا ذلك لقلَّ كتابُ الله! فكيف السبيل إلى ذلك من غير بيع أو شراء؟

فالجواب نجده في الآثار التالية:

قال ابن أبي داود في كتاب المصاحف (١/ ٣٨٨): «باب: الاحتساب في كتاب المصاحف، ثم روى بسنده إلى ابن جريج، قال: قال عطاء: «لم يكن من مضى يبيعون المصاحف، إنما حدث ذلك الآن، إنما كانوا يحتسبون بمصاحفهم في الحِجر، فيقول أحدهم للرجل إذا كان كاتبًا، وهو يطوف: إذا فرغت يا فلان! تعال؛ فاكتب لي. قال: فيكتب المصحف وما كان من ذلك، حتى يفرغ من مصحفه».

وعن عمرو بن مرة، قال: «كان في أول الزمان يجتمعون فيكتبون المصاحف، ثم أنهم كسلوا وزهدوا في الأجر؛ فاستأجروا العُبَّاد فكتبوها لهم، ثم إن العُبَّاد بعدما كتبوها باعوها، وأول من باعها العُبَّاد».

وعن محل، قال: «قلت لإبراهيم: لابد للناس من المصاحف! فقال: اشتر المداد والورق واستعن - يعني: من يكتب لك». قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾.

وروى ابن أبي داود في المصاحف (١/ ٣٧٦) عن سعيد بن المسيب أنه قال في بيع المصاحف: «إنه يكره ذلك كراهية شديدة، وكان يقول: أعن أخاك بالكتاب؛ أعن أو هب له».

وفيه عن علي بن الحسين، قال: «كانت المصاحف لا تباع. قال: وكان الرجل يجيء بورقه عند المنبر؛ فيقول: من الرجل يحتسب فيكتب لي؟ ثم يأتي الآخر، فيكتب حتى يتم المصحف».

وفيه عن سلام بن مسكين، قال: «قلت لمحمد بن سيرين: الرجل يبيع المصاحف؟ قال: لا تبعها، ولا تشترها. قال سلام: فقلت أنا له: سبحان الله يا أبا بكر! فإذا لم أشترِ المصحف؛ فمن أين أصيب مصحفًا؟ قال: تستكتب الكاتب فيكتب لك، فتعطيه فيأخذ، فلا أرى عليك بأسًا أن تعطيه، ولا أرى عليه بأسًا أن يأخذ».

وفيه عن علقمة، عن عبد الله أنه كره بيع المصاحف وشراءها، قال: «وكان الرجل إذا أراد أن يكتب المصحف؛ ذهب إلى هذا، فقال: اكتب لي. وذهب إلى هذا، وقال: اكتب لي».

=





وروى البيهقي في السنن الكبرى عن ابن عباس، قال: «كانت المصاحف لا تباع؛ كان الرجل يأتي بورقه عند منبر النبي ﷺ، فيقوم الرجل فيحتسب فيكتب، ثم يقوم آخر فيكتب، حتى يفرغ من المصحف».

وقال الإمام أحمد: «إذا أراد الرجل مصحفًا؛ استكتب وأعطى الأجرة».

وفي زماننا هذا- بحمد الله- احتسبت المملكة العربية السعودية بطباعة المصاحف وتوزيعها في المساجد والمكتبات، وعلى الطلاب والطالبات في المدارس والجامعات، وعلى الحجاج والمعتمرين، فتوفرت وتيسرت- جزى الله القائمين عليها خير الجزاء-.



باب: المصحف يمسه المشرك أو المسلم الذي ليس بطاهر

٧٥٥ - حدثنا يزيد، عن محمد بن إسحاق

عن عبدالله بن أبي بكر، قال:

كتب رسول الله ﷺ لجدِّي أن: «لا يمس القرآن إلا طاهر»[1].

---

(١) جدُّه: أي: جدُّ أبيه؛ وهو عمرو بن حزم الأنصاري، وكان رسول الله ﷺ قد كتب إلى أهل نجران باليمن كتابًا فيه الفرائض والسنن والديات، وبعث به مع عمرو بن حزم، وفيه: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر». والحديث رواه مالك في الموطأ، والدارمي في سننه. وله شاهد من حديث ابن عمر؛ رواه الدارقطني في سننه، والطبراني في معاجمه الثلاثة، والبيهقي في السنن الكبرى، وله شاهد آخر من حديث حكيم بن حزام؛ رواه الدارقطني في سننه، والحاكم وصححه، والطبراني في الثلاثة.

وجاء بألفاظ شتى، منها: «لا تمس القرآن، إلا وأنت طاهر». أي متوضأ.

ومنها: «لا تمس القرآن، إلا وأنت على طهر». أي: وضوء.

وهذه ألفاظ صريحة في أن المقصود بالطهارة هنا الطهارة من الحدث، وليست الطهارة المعنوية التي هي ضد الشِّرك، كما زعمه الآرائيون في زماننا؛ فقالوا: المقصود بالطاهر: المسلم، حتى ولو كان مُحْدِثًا!

وهذا الفهم الأعجمي لم يفهمه أحد من أصحاب النبي ﷺ! والأصل في الطهارة المطلقة في العرف الشرعي: هي الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر.

وهذا الحديث قد صححه الإمام أحمد؛ كما في مسائل البغوي رقم (٣٨)، حتى قال أحمد: «لا شك أن النبي ﷺ كتبه له».

=



وصحَّحه كذلك إسحاق بن راهويه؛ كما في الأوسط لابن المنذر (٢/ ١٠١).

وقال عباس الدوري؛ كما في تاريخ ابن معين (٣/ ١٥٣) سمعت يحيى، يقول: «حديث عمرو بن حزم: أن النبي ﷺ كتب لهم كتابًا؛ فقال له رجل: هذا مُسْنَد؟! قال: لا، ولكنه صالح». اهـ

أي: ليس له إسناد بالرِّجال، لكن فيه ما هو أقوى من الإسناد؛ وهو الكتاب الـذي كتبـه رسـول الله ﷺ لعمرو بن حزم، ثم بقي عند ورثته من بعـده وأخـذ النـاس يـترددون ويتعـاقبون علـيهم، لينقلوا ما في هذا الكتاب، فهذا أقوى من الإسناد، فالإسناد وسيلة وليس غاية.

وقال الشافعي في الرسالة (١/ ٤٢٢): «لم يقبلوه حتى ثبت عندهم أنه كتاب رسول الله ﷺ».

وقال يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ١٢٦): «لا أعلم في جميع الكتب كتابًا أصح مـن كتاب عمرو بن حزم، كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون يرجعون إليه ويَدَعون آراءهم».

وقال الحاكم في المستدرك (١/ ٣٩٧): «هذا حديث صحيح كبير مُفَسَّرٌ في هذا الباب؛ يـشهد لـه أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، وإمام العلماء في عصره محمد بن مسلم بن شهاب بالصحة». اهـ

وصحة كتاب عمرو بن حزم ليست لشواهده فحسب، وإنما لشهرته وتلقي الأمة له بالقبول.

قال ابن عبدالبر في التمهيد (١٧/ ٣٩٦): «كتاب النبي ﷺ لعمرو بـن حـزم إلى أهـل الـيمن في السنن والفرائض والديات؛ كتاب مشهور عند أهل العلم، معروف يستغني بشهرته عن الإسناد».

وقال: «والدليل على صحة كتاب عمرو بن حزم: تلقي جمهـور العلـماء لـه بـالقبول، ولم يختلـف فقهاء الأمصار بالمدينة والعراق والشام أن المصحف لا يمسه إلا الطاهر عـلى وضـوء، وهـو قـول مالك والشافعي والثوري والأوزاعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بـن راهويـه وأبي ثـور وأبي عبيـد؛ وهؤلاء أئمة الفقه والحديث في أعصارهم». اهـ

ومنهم الأئمة الستة أرباب المذاهب وفقهاء الأمصار؛ سفيان الثـوري، وأبـو عمـرو الأوزاعـي، والليث بن سعد، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل.

وقال في الاستذكار (٢/ ٤٧٢): «كتاب عمرو بن حزم هذا قد تلقـاه العلـماء بـالقبول والعمـل، وهو عندهم أشهر وأظهر من الإسناد الواحد المتصل. وأجمع فقهاء الأمـصار الـذين تـدور علـيهم الفتوى وعلى أصحابهم بأن المصحف لا يمسه إلا الطاهر». اهـ

وهو خبر بمعنى النهي.

=



وقد أجمع الصحابة على عدم جواز مس المصحف للمحدث- ولم يُحفظ عن أحد منهم أنه مسَّ المصحف وهو على غير طهارة، أو قال بجوازه- ونُقل المنع عن عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، وعلى بن أبي طالب، وسلمان الفارسي، وأبي هريرة، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وأبي موسى الأشعري، وعائشة ن.

ومن التابعين: علي بن الحسين، وإبراهيم النخعي، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن سيرين، والقاسم بن محمد، والشعبي، وطاوس.

انظر أقوالهم في مصنف ابن أبي شيبة، ومصنف عبدالرزاق.

ولم يخالف في ذلك إلا الظاهرية، وأصحاب الرأي؛ قال ابن قدامة في المغني (١/ ١٦٨): «ولا نعلم مخالفًا لهم إلا دواد- الظاهري- فإنه أباح مسَّه». اهـ

وداود الظاهري قد خالف فيما هو أشد من ذلك، في أصول الدين وفروعه، وقد قال بجواز مس المصحف للجنب والحائض!

وذكر ابن تيمية في الفتاوى (٢١/ ٢٦٦) أن تحريم مس المصحف للمحدث ثابتٌ عن الصحابة، وقال: إنه قول سلمان الفارسي، وعبدالله بن عمر وغيرهما، ولا يعلم لهما من الصحابة مخالف.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، والدارقطني في سننه وصححه، واللالكائي في السُّنة، عن عبدالرحمن بن يزيد- وفي رواية: عن علقمة- قال: «كنا مع سلمان ط في حاجة، فذهب فقضى حاجته، ثم رجع، فقلنا له: توضأ يا أبا عبدالله! لعلنا أن نسألك عن آي من القرآن؟ قال: فاسألوا! فإني لا أمسه؛ إنه لا يمسه إلا المطهرون. قال: فسألناه؛ فقرأ علينا قبل أن يتوضأ- وفي رواية: فقرأ علينا ما يشاء».

وفي التفسير من سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٤٦) عن عطاء، وطاوس، ومجاهد أنهم قالوا: «لا يمس القرآن إلا وهو طاهر، أو قالوا: المصحف».

وروى مالك في الموطأ (١/ ٤٢) عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص أنه قال: «كنت أمسك المصحف على سعد بن أبي وقاص ط فاحتككت؛ فقال: لعلك مَسسْتَ ذَكَرَك؟ قلت: نعم؛ قال: قم فتوضأ، قال: فقمت فتوضأت، ثم رجعت».

٧٥٦ - حدثنا أبو معاوية، عن عبدالله بن عمر، عن نافع

عن ابن عمر :

أنه كان لا يأخذ المصحف إلا وهو طاهر.

٧٥٧ - حدثني ابن بكير

عن مالك، قال:

لا يحمل المصحف أحد بعِلاقته(١)، ولا على وسادة إلا وهو طاهر، إكرامًا للقرآن(٢).

---

(١) العِلاقة، بالكسر: عِلاقة السَّيف والسَّوط، ما في مقبضه من السير، وكذلك علاقة القَدَح والمصحف والقوس وما أشبه ذلك. انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٦٥).

وهو ما يتعلق به المصحف؛ كالخيط الذي يربط به غلافه أو كيسه.

(٢) اختلف العلماء في جواز حمل المصحف بعلاقته أو مسه بحائل؛ فمنع منه الأوزاعي ومالك والشافعي وأبو عبيد.

قال مالك في الموطأ (١/ ٩٠): «لا يَحْمِل المصحف بعلاقته ولا على وسادةٍ أحدٌ إلا وهو طاهر، ولو جاز ذلك لحُمل في أخبيته، ولم يكُره ذلك لأنْ يكون في يدي الذي يحمله شيء يدنس به المصحف، ولكن إنما كُره ذلك لمن يحمله وهو غير طاهر، إكرامًا للقرآن وتعظيمًا له». اهـ

ولم يستثن الإمام مالك من ذلك إلا كون المصحف داخلًا في أمتعة؛ قَصد حملها جميعًا.

قال ابن عبدالبر في التمهيد (١٧/ ٣٩٨): «قال مالك: ولا بأس أن يحمله في التابوت والخِرْج والغِرارة من ليس على وضوء». قال أبو عمر: «إنما رخَّص مالك في حمل غير المتوضئ للمصحف في التابوت والغرارة؛ لأن القصد لم يكن منه إلى حمل المصحف، وإنما قصد إلى حمل التابوت وما فيه من مصحفٍ وغيره». اهـ

=



ومِنْ العلماء مَن أجاز حمل المصحف بعلاقته أو مسه من وراء حائل، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ورُوي ذلك عن الحسن وعطاء وطاوس والشعبي والقاسم وأبي وائل والحكم وحماد.

روى البخاري في صحيحه معلقًا، ووصله ابن أبي شيبة في مصنفه بإسناد صحيح، قال: «كان أبو وائل يرسل خادمه وهي حائض إلى أبي رزين، فتأتيه بالمصحف، فتمسكه بعلاقته».

وعن أيمن بن نابل، قال: «سمعت عطاء، يقول: لا بأس أن تأخذ الحائض بعلاقة المصحف».

وفي مسائل عبدالله للإمام أحمد (١/ ٣٠) قال عبدالله: «رأيت أبي إذا كان على غير وضوء فقرأ في أجزاء أسباع، أدخل يده في ثيابه وأمسك الجزء بيده، ويده في ثيابه ويقرأ، فإذا أراد أن يقلب الورقة؛ قلبها بشيء يكون في يده لطيف، ولم يمس الجزء بيده». اهـ

وقال ابن هانئ: «سألت الإمام أحمد عن النظر في المصحف على غير وضوء؟ قال: لا بأس به، إذا قلبت الورق بعود أو بطرف كمك؛ فلا بأس به. وقال: قلت: أقرأ في المصحف على غير وضوء؟ قال: قَلِّب الورق بعود».

وقال ابن عبدالبر في التمهيد (١٧/ ٤٠٠): «قول مالك: أحسن ما سمعت -أي: لا يحمل المصحف بعلاقته ولا في غلافه إلا وهو طاهر- يدلُّ على أنه سمع فيها اختلافًا، وأولى ما قيل به في هذا الباب ما عليه جمهور العلماء من امتثال ما في كتاب رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن أحد إلا وهو طاهر». اهـ

أما مسألة القراءة دون مس المصحف؛ فلا خلاف في جوازها، وقد روى مالك في الموطأ (١/ ٩٠) عن ابن سيرين، أن عمر بن الخطاب كان في قوم وهو يقرأ، فقام لحاجته، ثم رجع وهو يقرأ، فقال له رجل: «لم تتوضأ يا أمير المؤمنين، وأنت تقرأ؟ فقال عمر: من أفتاك بهذا؛ أمسيلمة؟».

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، عن سعيد بن جبير، قال: «ربما نزلت وأنا في السَّفر لأقضي حاجتي من الغائط والبول، فما ألحق بأصحابي حتى أقرأ جزءًا من القرآن، قبل أن أتوضأ».

وقال إسحاق الكوسج في مسائله (٢/ ٣٤٤): «قلت: هل يقرأ الرجل على غير وضوء؟ قال أحمد: نعم، ولكن لا يقرأ في المصحف إلا متوضئًا. قال إسحاق بن راهويه: لما صحَّ من قول النبي ﷺ: «لا يمس القرآن إلا طاهر». وكذلك فعل أصحاب النبي ﷺ والتابعون». اهـ

=



قال أبو عبيد:

وهذا عندنا هو المعمول به. وقد رخَّص فيه[(١)] ناسٌ علماء:

٧٥٨ - حدثنا يزيد، عن هشام

عن الحسن:

أنه كان لا يرى بأسًا أن يمس المصحف على غير وضوء، ويحمله إن شاء[(٢)].

وفي مسائل صالح (١٦٦٧) قال الإمام أحمد: «لا يمس المصحف إلا طاهر، واحتج بحديث سعد، وإذا أراد أن يقرأ في المصحف على غير طهارة؛ لم يمسه ويتصفحه إلا بعود أو بشيء». اهـ

وروى الترمذي في سننه عن عليٍّ ط قال: «كان رسول الله ق يقرئنا القرآن على كل حال، ما لم يكن جنبًا». قال أبو عيسى: حديث عليٍّ هذا حديث حسن صحيح. وبه قال غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي ق والتابعين؛ قالوا: يقرأ الرجل القرآن على غير وضوء، ولا يقرأ في المصحف إلا وهو طاهر. وبه يقول سفيان الثوري، والشافعي، وأحمد، وإسحاق». اهـ

(١) أي: حمل المصحف بعلاقته أو على وسادة بغير طهارة.

(٢) إن صحَّ هذا عن الحسن، فإنه يحمل على مسِّه بعلاقته، وليس مقصوده أن يمسَّ نفس المصحف، ومما يدل على ذلك ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٦١) عن الحسن، قال: «لا بأس أن يتناول الرجل المصحف إذا كان في وعائه، أو بعلاقته».

والعِلاقة أو الغلاف يختلف عن جلد المصحف الملاصق له، وعن البياض الموجود في حواشي الصفحات، وأيضًا يختلف عن الورق الأبيض الذي يحفظ المصحف مع التجليد، فإنَّ هذه الأشياء كلها لا يجوز للمحدث مسُّها؛ لأن الجميع يقال له: مصحف، وهذه الأشياء وإن لم يكن فيها قرآن، إلا أنها تأخذ حكمه تبعًا للمصحف. وضابط ذلك: أن كل ما يمكن أن يُباع بمفرده، فيجوز =



٧٥٩ - حدثنا هشيم، عن مطرف

عن الشعبي:

أنه كان لا يرى بأسًا أن يأخذ المصحف بعلاقته، وهو على غير وضوء[(١)].

٧٦٠ - حدثنا يحيى بن سعيد، عن ابن جريج

عن عطاء، قال:

جاء رجل إلى ابن عباس م، فقال: أضع المصحف على الثوب الذي أجامع عليه؟ قال: نعم[(٢)].

للمحدث مسُّه، وما لا يمكن فلا يجوز؛ قال ابن تيمية في شرح العمدة (١/ ٣٨٥): «والعلاقة وإن اتصلت به فليست منه؛ إنما تُراد لتعليقه، وهو مقصودٌ زائدٌ على مقصود المصحف، بخلاف الجلد؛ فإنه يُراد لحفظ ورق المصحف وصونه». اهـ

(١) يلحق بذلك مسألة الرجل يمس الدراهم وهو على غير وضوء، فقد كانت الدراهم سابقًا تُكتب عليها الآية والآيتان من القرآن- كقوله: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ »- فمنهم من كرهها، ومنهم من أباحها. انظر: مصنف ابن أبي شيبة (١/ ١١٣).

وقال إسحاق الكوسج في مسائله (٢/ ٣٦٧): «قلت: يمس الدرهم الأبيض على غير وضوء؟ قال أحمد بن حنبل: أرجو إن شاء الله تعالى أن لا يكون هذا بمنزلة المصحف، وإن توقى ذلك أحبّ إليَّ. قال إسحاق بن راهويه: كما قال، بلا شك». اهـ

(٢) رواه عبدالرزاق في مصنفه عن عطاء: «أن رجلًا قال لابن عباس: أضع المصحف على فراشٍ أجامع عليه، وأحتلم فيه، وأعرق عليه؟ قال: نعم».

=



٧٦١ – حدثنا حجاج، عن شعبة، عن منصور، عن إبراهيم

عن علقمة: أنه أراد أن يتخذ مصحفًا، فأعطاه نصرانيًّا، فكتبه له.

٧٦٢ – حدثنا إسماعيل بن إبراهيم

عن شعبة– عن رجل لم يسمه إسماعيل[1]– قال:

كان سعيد بن جبير معه غلام مجوسي يخدمه، فكان يأتيه بالمصحف في علاقته.

وحدثنا حفص النجار، من أهل واسط، عن شعبة، عن القاسم الأعرج، عن سعيد بن جبير، مثل ذلك[2].

وعن ابن جريج قال: «قلت لعطاء: أيمس الجنب والحائض المصحف وهو في خبائه– أي: خباء المصحف، كالغلاف– قال: لا. قلت: فبين أيديهما وبين أخبيته ثوب؟ قال: لا، ولا الخباء أكفُّ من الثوب. قلت: فغير المتوضئ وهو في خبائه؟ قال: نعم، لا يضره. قلت: فيأخذه مُطْبَقًا؟ قال: نعم».

(١) الرجل الذي لم يسمه إسماعيل: هو القاسم بن أبي أيوب الأعرج، كما في المصاحف لابن أبي داود (١/ ٤١٩)، وأخبار أصبهان لأبي نعيم (٢/ ١٢٨).

وقال أبو نعيم في ترجمته: «القاسم بن أبي أيوب، وهو ابن بهرام، أصبهاني، يقال له: الأعرج. قيل: إن سعيد بن جبير نزل عليهم بأصبهان سنتين في قرية سنبلان». اهـ

(٢) هذه هي مسألة تمكين الكافر أو المشرك من مس المصحف– سواء لقراءته أو كتابته أو حمله– والصحيح الذي لاشك فيه؛ هو عدم جواز ذلك كله، إكرامًا للمصحف وتعظيمًا وتنزيهًا له. وهي إحدى المعاني المقصودة من نهي النبي ﷺ أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو؛ مخافة أن تناله أيديهم، وذلك لوصفهم الدائم بالحدث؛ فإنهم لا يتوضئون، قال الشافعي كما في معرفة السنن والآثار =



للبيهقي (١/ ١٨٦): «وهذا يشبه بعض معنى حديث آل حزم، فيشبه أن يكون نهى عنه؛ لئلا يناله مشرك فيمسّه، ويحتمل أن يكون نهى عنه لذلك، ولئلا يناله فيعبث به». اهـ

وهذا هو الذي فهمه الصحابة ن؛ كما جاء في قصة إسلام عمر بن الخطاب ط، وامتناع أخته تسليمه كتابًا كُتب فيها شيء من القرآن حتى يتطهر؛ فقد روى الدارقطني في سننه (١/ ٢٢١) بسند صحيح متصل عن أنس بن مالك ط، قال: «خرج عمر متقلدًا السَّيف، فقيل له: إن ختنك وأختك قد صبوا! فأتاهما عمر، وعندهما رجل من المهاجرين، يقال له: خبَّاب، وكانوا يقرءون (طه)، فقال: أعطوني الكتاب الذي عندكم أقرأه، وكان عمر يقرأ الكتاب، فقالت له أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ، فقام عمر فتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ (طه)». اهـ

قال البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٨٨) بعد ذكره لقصة عمر المتقدمة آنفًا: «ولهذا الحديث شواهد كثيرة، وهو قول الفقهاء السبعة من أهل المدينة». اهـ

قال أبو عبيد: الحديث المرفوع عن النبي ق: «لا يمس القرآن إلا طاهر»، أولى بالاتباع من هذا كله، وكيف تكون الرُّخصة لأهل الشرك أن يمسوه مع نجاستهم، وقد كره المسلمون أن يمسه أحد من أهل الإسلام وهو جنب أو غير طاهر؟

وقال ابن عبدالبر في التمهيد (١٥/ ٢٥٥): «الحجة لمن كره ذلك؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: «إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ». وقول رسول الله ق: «لا يمس القرآن إلا طاهر». ومعلوم أن من تنزيه القرآن وتعظيمه؛ إبعاده عن الأقذار والنجاسات، وفي كونه عند أهل الكفر تعريضٌ له لذلك، وإهانة له، وكلهم أنجاس لا يغتسلون من جنابة، ولا يعافون ميتة، وقد كره مالك وغيره أن يعطى الكافر درهمًا أو دينارًا فيه سورة أو آية من كتاب الله، وما أعلم في هذا خلافًا إذا كانت آية تامة أو سورة، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم إذا كان في أحدهما اسم من أسماء الله». اهـ

ثم قال: «فإن قال قائل: أفيجوز أن يكتب المسلم إلى الكافر كتابًا فيه آية من كتاب الله؟ قيل له: أما إذا دعي إلى الإسلام أو كانت ضرورة إلى ذلك؛ فلا بأس به، لما رواه الزهري عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس م، قال: أخبرني أبو سفيان بن حرب؛ فذكر قصة هرقل وحديثه بطوله، وفيه قال: فقرأ كتاب رسول الله ق وإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى؛ أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام؛ أسلم =





تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت؛ فعليك إثم الأريسيين، و«يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ »، الآية». اهـ

وأما ما رُوي عن بعض الصحابة والتابعين أنهم استكتبوا النصارى المصاحف، كما رواه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٤٨) عن عبدالرحمن بن عوف ط: «أنه استكتب رجلًا نصرانيًّا مصحفًا، فأعطاه ستين درهمًا». وروى عن عبدالرحمن بن أبي ليلى: «أنه كتب له نصرانيٌّ مصحفًا من أهل الحيرة بتسعين درهمًا». وروي نحو ذلك عن علقمة، وسعيد بن جبير، وغيرهما من التابعين.

فيقال: هذا على تقدير صحته، محمولٌ على اضطرارهم إليه؛ لقلة من يُحسن الكتابة في زمنهم من المسلمين، أو ليس عندهم من المسلمين من يفعل له ذلك، فيكون ذلك من باب الضرورات، ويؤيده ما رواه ابن أبي داود في المصاحف، وأبو نعيم في أخبار أصبهان عن القاسم الأعرج، قال: «كان سعيد بن جبير بأصبهان، وكان غلام مجوسي يخدمه، وكان يأتيه بالمصحف في غلافه». اهـ

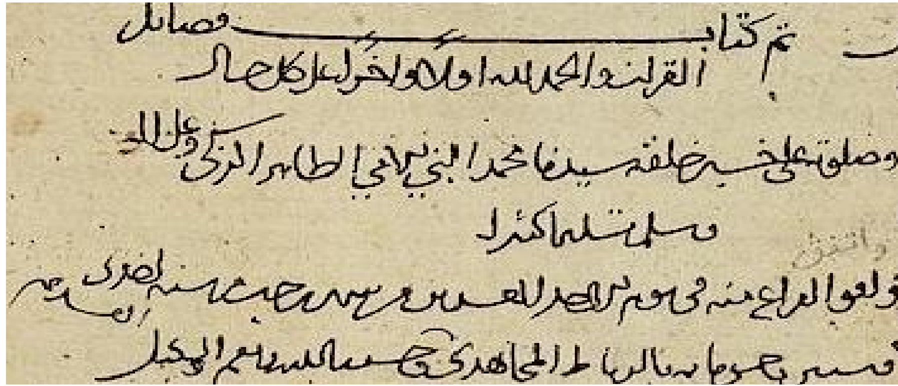
أو يُحمل على أنهم أمروهم بالطهارة قبل كتابة المصحف أو قراءته، كما فعلت أخت عمر بن الخطاب ط معه لما أراد أن يمسك الكتاب.

وقال في الفروع (٤/ ١٣): «قيل لأحمد: يعجبك أن تكتب النصارى المصاحف؟ قال: لا يعجبني. قال الزركشي: فأُخذ من ذلك روايةُ المنع». اهـ

وفي مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٦/ ٣٧٢): «سؤال: لو طلب مني رجل مسيحي مصحفًا، هل أعطيه أو لا؟ الجواب: ليس لك أن تعطيه، ولكن تقرأ عليه القرآن، وتسمعه القرآن، وتدعوه إلى الله وتدعو له بالهداية؛ لقوله تعالى في كتابه العزيز: «وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ». وقوله ق: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو؛ لئلا تناله أيديهم». رواه مسلم وأحمد. فدلَّ ذلك على أنه لا يعطى الكافر المصحف؛ خشية أن يهينه أو يعبث به، ولكن يُعلَّم ويُقرأ عليه القرآن ويوجَّه ويُدعى له، فإذا أسلم؛ سُلم له المصحف، ولا مانع أن يُعطى بعض كتب التفسير أو بعض كتب الحديث؛ إذا رجي انتفاعه بذلك، أو بعض تراجم معاني القرآن الكريم». اهـ

تم كتاب فضائل القرآن، والحمد لله أولًا وآخرًا على كل حال، وصلواته على خير خلقه محمد النبيِّ الأميِّ الطاهر الزكيِّ، وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا. وافق الفراغ منه في يوم الأحد العشرين من شهر رجب من سنة إحدى وستين وخمس مئة بالرباط المجاهديِّ القديم. وحسبنا الله ونعم الوكيل[1].





(١) هكذا، كما بالمخطوط الأصل.



s a



❒ ❒ ❒